المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا: عرض ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد
الطالب: رفيع أديسا بلو

إشراف
فضيلة الشيخ الدكتور علي بن محمد آل دخيل الله السويلم
الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي 1428/1429هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله, نحمده ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله, أما بعد:

فإن لتوحيد الألوهية أهمية بالغة في حياة المسلم؛ فإنه أساس الدين, وأول واجب على المكلف, وبه يتحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم.

ولما يسر الله لي مواصلة الدراسات العليا في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين, رأيت من الأنسب أن يكون موضوع بحثي في هذه المرحلة مما له علاقة بمجتمعي؛ إسهاما مني في إصلاح أوضاع المسلمين وتطهيرها مما يخالف الشرع المطهر, فعقدت العزم على الكتابة في موضوع (توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا: عرض ودراسة). وقد حرصت على اختيار هذا الموضوع لأسباب عديدة من أهمها:

1- أنه موضوع يسعى إلى إصلاح فئة من الأمة الإسلامية بتحقيق الغاية التي خلقوا من أجلها وهي إخلاص العبادة لله خالية من شوائب الشرك.

2- أنه لم يعهد- حسب علمي- أن أحدا طرق الموضوع بالتوسع والاستيفاء لكل ما يتعلق به, واصفا صور الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية كما تحدث تماما في المجتمع النيجيري ثم عرضها على الكتاب والسنة لبيان حكم كل صورة.

3- ما يحدث بين مسلمي نيجيريا من الخلط بين العادات الجاهلية وبين الدين الصحيح الذي أرسل به نبي الهدى- صلوات الله وسلامه عليه, فلا بد من بحث يكون عونا على التفريق بين الحق والباطل, ورد تلك الضلالات التي أفرزتها أهواء العادات والأعراف.

4- كشف ما يلبس به أهل الأهواء وتفنيد شبه المموهين الذين أغرقوا أمة القرآن والسنة في بحور من البدع حتى تأصلت في نفوس أهل الجهل وأصبحت جزءا من عقيدتهم، كما انحرفت به الأغلبية الساحقة من عوام المسلمين عن طريق الحق وسنن الرشاد.

5- ليكون من باب الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر الـــذي أمر به جل وعلا في كتابه العزيز بقولـــه: [illegible] (آل عمـران:104), وعملا بقـول الرسـول الكـريم- عليه أفضل الصـلاة وأتم التسـليم: (من رأى منكم منكرا فليغـيره بيـده, فـإن لم يسـتطع فبلسـانه, وإن لم يستطع فبقلبه, وذلك أضعف الإيمان)[1]. فيكون من أداء واجب البيـــان, ورغبة في وضع حد لتلك الانحرافـــات التي تنتشر وتزداد يوما بعد يوم وتضيف إلى محنة الإسلام. ولا شك أن تنـاول هـذا الموضـوع بالدراسة سـيعود بـالنفع على ذلك الجمهور العريض.

وإن مما يجب ذكره هنا أنني لم آت بشيء جديد لم يذكره المتقدمون عند تقرير منهج أهل السنة والجماعة في كل مسألة, وإنما قمت بتوضيح ما يستشكل على كثير من أفراد القوم لتقريبه إلى فهم من يريد الحق, والحق- ولله الحمد- ناصع بيّن لمن صلحت نيته وحسن منهاجه.

وأن عملي هذا بحث ميداني يتناول وصف مظاهر الانحراف في مسائل توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي نيجيريا، يقتبس مادته من بطون مؤلفات بعض العلماء النيجيريين, وخبرات العاملين في ساحة الدعوة، والمشاهدة والمعايشة, ونتائج الاستبانة التي وضعتها لهذا الغرض.

خطة البحث:

لقد سار البحث- بعد هذه المقدمة التي أنا بصددها- بموجب المخطط الآتي:

- التمهيد، وفيه:

---

1 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...- ص689 برقم (49) عن أبي سعيد الخدري.

أولا: شرح مفردات البحث.
ثانيا: لمحة تاريخية عن نيجيريا قبل دخول الإسلام وبعده.
أ- قبل دخول الإسلام**.**
ب- بعد دخول الإسلام.
- الباب الأول: جهود العلماء النيجيريين في تقرير توحيد الألوهية.
ويشتمل على ثلاثة فصول:
الفصل الأول: الشيخ عثمان بن فودي. وفيه مبحثان:
المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية.
المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية.
الفصل الثاني: الشيخ أبو بكر محمود غومي. وفيه مبحثان:
المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية.
المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية.
الفصل الثالث: الشيخ آدم عبد الله الألوري. وفيه مبحثان:
المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية.
المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية.
- الباب الثاني: العبادات القولية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا.
ويحتوي على تمهيد وخمسة فصول:
تمهيد: في تعريف البدعة وتقسيمها إلى حقيقية وإضافية.
الفصل الأول: الدعاء. وفيه مبحثان:
المبحث الأول: معنى الدعاء ومنزلته من توحيد العبادة.
المبحث الثاني: دعاء غير الله حكمه وصوره.
الفصل الثاني: التوسل. وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: تعريف التوسل وصلته بتوحيد الألوهية.
المبحث الثاني**:** أنواع التوسل المشروع.
المبحث الثالث**:** التوسل البدعي حكمه وصوره.
الفصل الثالث**:** الحلف. وفيه مبحثان:
المبحث الأول: تعريف الحلف لغة واصطلاحا وصلته بتوحيد الألوهية.
المبحث الثاني: الحلف بغير الله حكمه وصوره.
الفصل الرابع: بقية العبادات القولية. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول**:** الوسائل.

المبحث الثاني**:** الأساليب.

- الخاتمة: وتتضمن استخلاص أهم نتائج البحث والمقترحات.
- الفهارس: وتشتمل على فهارس للآيات, والأحاديث, والآثار, وتراجم الأعلام, والمصادر والمراجع, والموضوعات.

منهجي في البحث:

بدأت موضوع البحث- بعد هذه المقدمة- بتمهيد يعد في نظري مدخلا مهما للبحث.

خصصت الباب الأول لإبراز جهود بعض العلماء النيجيريين في تقرير توحيد الألوهية وذلك من خلال مؤلفاتهم, مع التنبيه على ما يؤخذ على بعضهم من الأخطاء.

ثم ضمنت الباب الثاني العبادات القولية في توحيد الألوهية, والباب الثالث العبادات العملية في توحيد الألوهية.

بينما جعلت الباب الرابع خاصا بشرح أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا ووسائل وأساليب علاج مظاهر ذلك الانحراف.

وقد سلكت في إعداد هذا البحث وكتابته المنهج الآتي:

1- اجتهدت في تقرير منهج أهل السنة والجماعة في كل مسألة من مسائل توحيد الألوهية معتمدا في ذلك على الاستدلال بالنصوص من الكتاب والسنة, والتزام منهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

2- قمت بعرض صور الانحراف التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا في كل مسألة مع ذكر الأمثلة التي تشهد لوجودها ثم بيان حكم كل صورة, علما بأنني قد جمعت تلك الصور من خلال اللقاءات مع الدعاة من شمال نيجيريا وجنوبها, ومن خلال الاستبانة التي وضعتها لهذا الغرض, ومن كتب بعض المؤلفين النيجيريين, ولم أكتف بالمعايشة.

3- حاولت عقب كل مسألة إيراد أبرز شبه المخالفين النقلية والعقلية, ثم الرد عليها بالحجج الدامغة.

4- حرصت على الإفادة من المصادر والمراجع القديمة إلا عند تعذر الحصول على المطلوب فيها فأرجع إلى المصادر الحديثة. ومن المصادر الحديثة التي استفدت منها كتب أئمة الدعوة السلفية وفتاوى هيئة كبار العلماء في السعودية وفتاوى بعض العلماء المعاصرين؛ وذلك لوجود بعض صور الانحراف كما تحدث عند أهل نيجيريا وبيان أحكامها في تلك الكتب.

5- خرجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مراجعها, وإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بهما أو أحدهما, وإن كان في غيرهما خرجته من كتب الأحاديث المعتمدة الأخرى مع نقل حكم العلماء عليه إن وجد.

6- ترجمت للأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في البحث, ترجمة موجزة, عند أول ورود للعلم, وكذلك تعاملت مع المرجع بذكر بيانات كاملة عنه عند أول ذكره.

7- شرحت الألفاظ الغامضة, وعلقت في الهامش على ما يتطلب ذلك مع تجنب الإطالة.

هذا ملخص منهجي في البحث, وقد بذلت قصارى جهدي في جمع المواد العلمية بالسفر إلى بعض مدن المناطق النيجيرية وخاصة الشمال والجنوب لعقد اللقاءات مع الدعاة, كما اجتهدت في توزيع الاستبانة على طلبة المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا وطلبة العلوم الشرعية في جامعات المملكة العربية السعودية, كل ذلك لمعرفة مظاهر تلك الانحرافات كما تحدث في محيط كل واحد.

وختاما أحمد الله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى, وفي مقدمتها نعمة الإيمان والإسلام, وشرف الانتساب إلى طلب العلم الشرعي على منهج أهل السنة والجماعة.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير البالغ لشيخي وأستاذي/ فضيلة الأستاذ علي بن محمد آل دخيل الله الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث, وضحى

بكثير من وقته الغالي في المتابعة وإبداء التوجيهات حتى كتب الله لي الإنجاز وإخراج الرسالة في الشكل الذي هي عليه. أسأل الله أن يبارك في جهوده ويجزل له المثوبة.

وأشكر جامعة الإمام التي هيأت لي ولزملائي فرص تحصيل العلم في رحابها, والشكر موصول لكلية أصول الدين وخاصة قسم العقيدة فيها.

ثم إني لا أنسى كل من أسهم معي في هذا البحث أو قدم لي عونا أيا كان حتى ظهر هذا الجهد وخاصة الدعاة النيجيريين الذين لم يبخلوا عليّ بشيء من المعلومات التي أحتاجها منهم أثناء جمع المواد العلمية, وكذلك الزملاء الذين تكرموا بالإجابة عن أسئلة الاستبانة رغم كثرة صفحاتها. أسأل المولى القدير أن يجزي الجميع عني خير الجزاء.

كما أسأل الله جل وعلا أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم, وأن ينفع بهذا الجهد المتواضع الإسلام والمسلمين. والله الموفق للصواب, وإليه المرجع والمآب. وصلى الله وسلم على نبي الهدى وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

وفيه:

أولا: شرح مفردات البحث

ثانيا: لمحة تاريخية عن نيجيريا قبل دخول الإسلام وبعده

أ- قبل دخول الإسلام

ب- بعد دخول الإسلام

أولا: شرح مفردات البحث

توحيد الألوهية:

التوحيد: مصدر وحّد, يوحّد, توحيدا. يقال: وحّد الشيء أي جعله واحدا[1]. ووحّد الله سبحانه أي أقرّ وآمن بأنه واحد[2]. وفي لسان العرب: التوحيد الإِيمان بالله وحده لا شريك له, والله الواحِدُ الأَحَدُ ذو الوحدانية[3].

فالتوحيد هو إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

والألوهية: من الإله, يقال: أله فلان: إلاهة, وألوهة, وألوهية أي: عبد عبادة[4]. وقال الزجاجي[5] في بيان أصل اشتقاق اسم الجلالة "الله", قال: أصله من الإله... فإله (فِعال) بمعنى (مَفْعُول) كأنه مألوه أي معبود مستحق للعبادة, يعبده الخلق ويؤلهونه, والتأله: التعبد[6].

فتوحيد الألوهية معناه: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة وإخلاصها له وحده لا شريك له ظاهرا وباطنا[7].

---

1 (1) انظر: القاموس المحيط تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي 1/414 مادة (وحد), مؤسسة الرسالة- بيروت.

2 (2) انظر: المعجم الوسيط 2/1016 مادة (وحد), إخراج مجموعة من المؤلفين ط/الثانية 1392هـ, دار الدعوة- استنبول.

3 (3) لسان العرب تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري 3/446, ط/الأولى, دار صادر – بيروت.

4 (4) انظر: مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي 1/20 مادة (أله), تحقيق محمود خاطر, طبعة جديدة 1415هـ-1995م, مكتبة لبنان ناشرون- بيروت, وتاج العروس من جواهر القاموس تأليف محمد مرتضى الحسيني الزبيدي 1/8205, تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الهداية.

5(5) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي نسبة إلى الزجاج, صاحب التصانيف, أخذ عن أبي إسحاق الزجاج وابن دريد وعلي بن سليمان الأخفش, وقد انتفع بكتابه الجمل خلق لا يحصون, قال بعض المغاربة: لكتابه عندنا مائة وعشرون شرحا, اشتغل ببغداد ثم بحلب ثم بدمشق, ومات بطبرية في رمضان سنة 340هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء 15/475, شذرات الذهب 2/357.

6 (6) اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ص23-24, تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك ط/الثانية 1406هـ مؤسسة الرسالة- بيروت.

7 (7) حماية الرسول حمى التوحيد تأليف الدكتور محمد بن عبد الله زربان الغامدي ص234, ط/الأولى 1423هـ, عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

هذا التوحيد هو أعظم أنواع التوحيد وأهمها, والمتضمن لها جميعا, ولا يصير العبد مؤمنا إلا بتحقيقه, وهو الذي لأجله خلق الله عباده, وأنزل كتبه, وبعث أنبياءه ورسله- عليهم الصلاة والسلام, قال تعالى: [illegible] (البينة: 5).

ولتوحيد الألوهية مسميات أخرى هي:

1- توحيد العبادة.
2- توحيد الإرادة, أو التوحيد الإرادي.
3- توحيد القصد, أو التوحيد القصدي.
4- توحيد العمل, أو التوحيد العملي.
5- توحيد الطلب, أو التوحيد الطلبي.

نيجيريا:

دولة من دول غرب إفريقيا, تحدها شمالا جمهورية نيجر ودولة تشاد, وجنوبا المحيط الأطلسي, وشرقا الكاميرون, وغربا جمهورية بنين.

تبلغ مساحة نيجيريا كلها نحو 924000كيلو مترا مربعا, كما يبلغ طول سواحلها حوالي 600 ميل. ويقدر عدد سكانها حسب نتيجة التعداد في عام 1991مـ مائة وخمسة وثلاثون مليون نسمة (135,000000), يشكل المسلمون منه نسبة ما بين 65% و70%, وعاصمتها حاليا (أبوجا) والقديمة (لاغوس).

وتعتبر نيجيريا أكبر الدول الإفريقية من حيث عدد السكان, وهي دولة غنية بثرواتها المختلفة المعدنية منها والطبيعية والزراعية, ومن ثرواتها:

1- النفط: وهو الذي يعتمد عليه اقتصاد الدولة بعد الله سبحانه وتعالى, وتحتل نيجيريا المركز الخامس بين الدول المصدرة للنفط في العالم[1], كما أنها من أعضاء منظمة أوبك (OPEC).

2- الأخشاب: وتحتل المركز الأول من الدول الإفريقية المصدرة للأخشاب.

---

[1] (1) Encacarta Encyclopedia Deluxe 2004 (CD). .

3- الكاكاو: يستخدم في صناعة مشروبات معينة والشوكولاته, وتعتبر نيجيريا ثاني دولة في إفريقيا بعد دولة "غانا" في إنتاج الكاكاو في العالم.

4- القصدير: وتستعمل مع النحاس في تكوين البرونز كما تستعمل في صناعة الصفيح.

5- الكولمبائت: وهي صالحة لصناعة محركات الطائرات النفائية, وتنتج نيجيريا منها ما يعادل 90% من الإنتاج العالمي.

كما توجد فيها أنواع أخرى من المعادن مثل الذهب والفحم.

ومن المنتجات الزراعية الأخرى غير التي ذكرت:

6- المطاط: ويعادل إنتاج نيجيريا 72% من الإنتاج العالمي, كما يوجد زيت النخيل, والفول السوداني والقطن.

ومن نعم الله على أهل نيجيريا أن البلد يتمتع بفصول السنة الأربع التي هي الصيف, والشتاء, والخريف, والربيع, وفي فصل الربيع ينزل المطر بغزارة, الأمر الذي جعل أهل نيجيريا يزرعون بدون أية كلفة, هذا بالإضافة إلى الغابات الكثيفة التي تبلغ مساحتها 319 ألف كيلو مترا مربعا والتي اتخذت منها محميات تعيش فيها الحيوانات.

مسلمو نيجيريا:

المراد بمسلمي نيجيريا هو كل من سوى النصارى والوثنيين من ذلك العدد الهائل من الشعب النيجيري, وهم منتشرون في القبائل النيجيرية المتعددة, تتراوح نسبتهم من إجمالي سكان البلد ما بين 65% و70%, ويمكن تقسيمهم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: المسلمون الموحدون السالكون ذلك المنهج القويم- منهج أهل السنة

والجماعة- من الدعاة المصلحين, والعلماء الصالحين العاملين, والذين يقتدون بهم من تلامذتهم, كلهم يعملون على نشر الهداية والحق.

القسم الثاني: "مسلمون يقرّون بالتوحيد ويصلون ويصومون ويزكّون, ولكنهم جهلاء يأتون بالعبادات على غير استكمال شروطها, ثم يخلطون عباداتهم بالبدع والعادات الكفرية, والرواسب الجاهلية التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم أو أحدثوها من أنفسهم"[(1)], ويضم إلى هذا القسم بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام وأجمعت الأمة على كفرها مثل القاديانية.

القسم الثالث: العلماء الضالون المضلون الذين ركنوا إلى الدنيا واستمالوا لزخارفها, وتهادنوا مع الملوك والرؤساء الظالمين, وسكتوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, لا سعي لهم في العمل الإسلامي إلا ما يحقق لهم رغباتهم الشهوانية[(2)].

القسم الرابع: المسلمون بالأسماء الذين ليس لهم نصيب من الدين الحنيف إلا فضل الانتساب إليه فقط, لا يحللون حلاله ولا يحرمون حرامه ولا يعظمون شعائره, يكثر هؤلاء في أوساط المثقفين الثقافة الغربية والعوام.

وهذه الفئات من الشعب النيجيري هي المقصودة بالدراسة.

---

[1] (1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني للشيخ آدم عبد الله الألوري ص103, ط/الثالثة 1398هـ- 1978م, دون بيانات أخرى.

[2] (2) انظر: المرجع السابق ص103.

ثانيا: لمحة تاريخية عن نيجيريا قبل دخول الإسلام وبعده

توطئة:

إنه من الأنسب إطلاع القارئ لهذا البحث المتواضع على طبائع القبائل النيجيرية ونفسياتهم وتقاليدهم القديمة؛ إذ سيكون ذلك مساعدا له ليوافق معي- فيما بعد- على أسباب ذلك الخلط العجيب الذي حصل بين التقاليد الموروثة والدين الجديد لدى هؤلاء القوم؛ ولذا سأورد في هذا الصدد صورا من المعتقدات والديانات السائدة بين القبائل النيجيرية قبل الإسلام.

أ- نيجيريا قبل دخول الإسلام:

إن جميع البلاد الواقعة فيما وراء الصحراء الكبرى جنوبا وغربا حتى المحيط إلى حدود (الكنغو) كانت تسمى في التاريخ القديم بالسودان الغربي أو بلاد التكرور, وكان سكان هذه المنطقة يعيشون جنبا إلى جنب كقبيلة وأمة واحدة يمر بهم نفوذ الممالك, فتارة تعيش تحت مملكة "غانة", ومرة تحت مملكة "مالي", وحقبة تحت مملكة "صنغي"[(1)].

وهكذا كانت المنطقة إلى أن جاءت مصائب وأنياب رجال الاستعمار فشتتت وفرقت بين الأحباء, وأورثت البغض والضغائن في نفوس أبناء تلك المنطقة كل يعمل على شاكلته, ومن ثم جاءت تقسيمات استعمارية حاملة معها بطاقات الأسامي الجديدة[(2)].

إذن فالمنطقة التي أطلق عليها اسم (نيجيريا) فيما بعد هي جزء من المناطق المسمات بالسودان الغربي أو بلاد التكرور في التاريخ القديم.

أصل التسمية:

---

[1] (1) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص14.

[2] (2) حركات التنصير في نيجيريا ورد الفعل الإسلامي إعداد الطالب إسماعيل أكنمو محمد الأول ص19, بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية والدعوة بالمعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة, للعام الجامعي 1413هـ- 1993م.

نيجيريا: معناها ما حول النيجر, وهو اسم مستمد من الكلمة اللاتينية (نيغرو) وهي تعني الزنجي الأسود, ثم أطلقوه على النهر المنسوب إلى الزنج فسموه نهر نيغرو أي نيل الزنج أو نيل السودان, فأخذت البلاد اسمها من ذلك, وأول من أطلق اسم نيجيريا على هذه البلاد هم الأسبان وتبعهم سائر الإفرنج[1].

قبائل نيجيريا وأصولها:

ترجع أصول قبائل غرب إفريقيا عموما إلى خمسة جراثيم[2] وهي: إما بربرية أو فينيقية أو نوبية أو رومية أو عربية, وقد امتزج بعضها ببعض عن طريق المصاهرة حتى تكونت منها القبائل الحاضرة[3].

فقبائل نيجيريا إذن ترجع إلى تلك الأصول الخمسة المذكورة, وهي متعددة, يبلغ عددها مائتي قبيلة, لكل واحدة منها لغتها أو لهجتها الخاصة تجهلها جارتها ولا تفهمها إلا بالتعلم, كما تختلف فيما بينها في الهيئات والعادات والتقاليد.

وعلى الرغم من تعدد هذه القبائل فإن هناك أربع قبائل رئيسية مشهورة وهي:

(1) قبائل هوسا. (2) قبائل فلانه أو فلاته.

(3) قبائل يوربا. (4) قبائل إيبو.

وبالإضافة إلى اللغة الرسمية التي هي الإنجليزية فإن حكومة نيجيريا تعترف بلغات ثلاث قبائل من تلك الأربع المذكورة, وتدرّس هذه اللغات في المدارس الحكومية والجامعات النيجيرية وهي: لغة الهوسا, ولغة اليوربا, ولغة إيبو.

أما عن أصل قبائل هوسا فإنه يرجع إلى رجل عربي مسلم يعرف بـ (أبو زيد) نزح من بغداد في أواخر القرن الثامن الميلادي, وهام على وجهه في الأرض حتى وصل إلى (دوره), ثم أصبح أحفاده ملوك هوسا السبع في

---

1 (1) موجز تاريخ نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الألوري ص21, ط/الأولى 1965م دار مكتبة الحياة- بيروت.

2 (2) الجرثومة: الأصل, وجرثومة كل شيء أصله ومجتمعه, وجمعه جراثيم. انظر: لسان العرب 12/95.

3 (3) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص14- 15.

(دوره), و(كانو), و(كاشنه), و(زكزك), و(زمفره), و(رنو), و(برم)[1].

وموطن قبائل هوسا الأصلي في نيجيريا هو الإقليم الشمالي, ويتوزعون في سائر الأقاليم, وهم أرقى القبائل الباقية حضارة وأعظمها ثقافة, ولغتهم أشهر لغات غرب إفريقيا تداولا؛ لأنها أخف على اللسان وأضبط في الأذهان, ولقبائل هوسا تاريخ مجيد وذكريات خالدة في السياسة والصناعة والتجارة والحماسة.

أما فلانه أو فلاته فللمؤرخين في أصلها أقوال ليس هنا مقام سردها, والقول التي أيدتْه الأدلة ونقله العلماء الثقات أن الجد الأعلى للفلان عربي هو عقبة بن نافع[2] الصحابي, وأن الأم العليا لهم رومية تدعى (بج مع) وهي بنت ملك لإحدى قبائل الروم, تزوجها عقبة وأنجبت أربعة أولاد صاروا فيما بعد آباء القبائل الفلانية بأسرها في بلاد (ونغارة), و(غانة), و(مالي), و(تكرور), و(صنغي), وبلاد هوسا, و(برنو)[3].

قلت: ومن سبقت له مقابلة مجموعة من الفلانيين يؤمن بصحة هذه النسبة؛ إذ هم كالعرب تماما في أشكالهم وأشعارهم وهيئاتهم وطريقتهم في اللباس.

وهم أيضا من سكان الإقليم الشمالي مثل الهوسا, فمنهم الحضر الذين نزلو المدن واختلطوا بأهلها وذابت جنسيتهم في القبائل المجاورة لهم إلا في التاريخ, ومنهم البدو وهم رعاة البقر الذين ينتقلون من مكان إلى مكان بغية المراعي الطيبة الخصبة لأبقارهم, ومع ذلك هم يحتفظون بدمائهم وتقاليدهم ولا ينكحون إلا من بنات أعمامهم حرصا على أنسابهم ألا تضيع[4].

---

1 (4) انظر: المرجع السابق ص31.

2 (1) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط القرشي الفهري, ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصح له صحبة, كان ابن خالة عمرو بن العاص, وقد ولاه عمرو بن العاص إفريقيا لما كان على مصر, افتتح عامة بلاد البربر وبنى مدينة القيروان في زمن معاوية, يقال أنه كان مجاب الدعوة, قتل سنة 63هـ.

انظر: الإصابة 4/527, أسد الغابة 1/777-778, الاستيعاب 3/1075.

3 (2) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص 92.

4 (3) انظر: موجز تاريخ نيجيريا ص 127.

أما قبائل يوربا فموطنهم الإقليم الغربي جنوب نهر النيجر، ويمتد من حدود هذا النهر شمالا وشرقا إلى المحيط الأطلسي جنوبا وحدود الداهومي (جمهورية بنين الحالية) غربا.

ويرجع أصل قبائل يوربا إلى بني يعرب بن قحطان الذين نزحوا من اليمن وانحدروا من موجات هجرة العرب الثانية (العرب العاربة) بقيادة أفريقش الحميري واستفاضوا في أواسط إفريقيا والشمال الشرقي منها والتقوا بإخوانهم العرب البائدة الذين سبقوهم في الهجرة الأولى ونزلوا مصر وحكموها مدة ثم طوردوا منها إلى ما حول مصر والحبشة فعرفوا بالنوبة[1].

ومما يقرر هذا الأصل لقبائل يوربا أن بني يعرب بن قحطان بعد نزوحهم من اليمن التقوا بإخوانهم النوبة أو الحبشة (العرب البائدة في الأصل) وجاوروهم في مصر, ولا شك أن الجيران يتأثر بعضهم ببعض وخاصة إذا طالت المجاورة, فقبائل يوربا يشبهون قبائل النوبة في كثير من عاداتهم وتقاليدهم, ذكر ذلك من رحل إلى تلك البلاد من المؤرخين أمثال الشيخ آدم عبد الله الألوري في قوله:

"وأنا الكاتب لهذه السطور لاحظت الشبه العجيب بين قبائل يوربا وقبائل النوبة في جهات دنغلا بأعالي النيل عند سفري إلى مصر عن طريق وادي حلفا وأسوان والشلال"[2].

فالتشابه واضح جدا في كلمات قبائل النوبة مع كلمات قبائل يوربا, وفي رسوم خدودهم ووجوههم وخصوصا في قبائل (البجة) وقبائل (هدندوة)، الأمر الذي جعل المؤرخ السالف الذكر يكاد يقرر بأن انتساب قبائل يوربا إلى ذرية رجل اسمه (أُودُدُوا) ليس إلا جهل بالاسم الصحيح لمن ينتسبون إليه أو على الأقل نسيان له, وإنما من ذرية (هَدَنْدَوَه),

---

1 (1) انظر: أصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة للشيخ آدم عبد الله الألوري ص117, ط/الثانية مطابع الزهراء للإعلام العربي- القاهرة.

2 (2) المرجع السابق ص 122.

نزحوا من تلك القبيلة في تلك الجهات إلى مكانهم الحالي في غرب إفريقيا. فـ (هدندوه) اسم قبيلة من النوبة والبجة والبربر في أعالي مصر لها أخبارها مفصلة في تاريخ السودان العربي وبلاد النوبة[1].

فخلاصة القول أن قبائل يوربا من الأصل العربي, وكلمة (يوربا) محرفة من (يعرب) نتيجة التحريفات التي تدخل الكلمات العربية عند اختلاطها بلغة العجم في ديار الغربة, وخير دليل على صحة هذا القول وجود عدد كبير من كلمات عربية في الألفاظ اليورباوية التي لا تزال تستخدم إلى الآن, ذكر منها الشيخ آدم عبد الله الألوري مائة وخمسين كلمة على سبيل المثال لا الحصر في كتابه: أصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة.

أما قبائل إيبو فتاريخهم القديم غامض للغاية ولم يعرف منه شيء إلا بعد نزول الإنجليز؛ إذ لم تكن بينها وبين قبائل نيجيريا الباقية أية صلة تذكر, وليس للإسلام فيها خبر يؤثر, ولما دخل الإنجليز إليها وجدوا بها أرضا خصبة لغرس النصرانية الكاثوليكية, هذا ما قاله الشيخ آدم عبد الله الألوري عنهم أثناء كلامه عن أصول القبائل النيجيرية المشهورة[2].

وموطن قبائل إيبو هو الإقليم الشرقي على حدود نهر (بينوي) الغربية وحدود مَصَب نهر النيجر الشرقية.

عادات أهل نيجيريا وتقاليدهم:

من المسلّم أنه ما من قوم في هذه الدنيا إلا ولهم عاداتهم وتقاليدهم تستحسن عندهم في الغالب وقد تستقبح عند غيرهم.

وفي هذا الصدد سأتعرض لذكر بعض العادات القديمة التي لها علاقة مباشرة بالانحرافات التي تحصل في توحيد الألوهية لدى أهل نيجيريا بعد إسلامهم؛ ذلك لأؤكد أن ظهور هذه الانحرافات كانت نتيجة العادات الجاهلية التي تأصلت في هؤلاء الناس من قديم الزمان ونقلوها إلى

---

1 (3) انظر: أصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة للشيخ آدم عبد الله الألوري ص 122, 153.

2 (1) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص 139.

الإسلام دون غربلة حتى أصبحت تُتوارث خلفا عن سلف, ومن هذه العادات:

1- طريقتهم في التحية واحترام الكبار, ولهذه عدة صور:

الصورة الأولى: الركوع والسجود عند التحية, يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري: "لا تزال في نيجيريا وما حولها من رواسب الجاهلية ما يسمونه بالتواضع, منها: خلع النعال, والانبطاح, والسجود للتحية, ونحوها من عادات ممقوتة في دين الله, بالية مهجورة في دنيا الناس"[1].

الصورة الثانية: خلع النعال قبل التحية:

"من الجاهلية التي عمت بها البلوى عندنا من غير استثناء عاقل من جاهل, ولا عابد من معاند, ولا صالح من طالح عادة خلع النعال قبل السلام على الأمير أو الكبير حتى في الشارع, وذلك لأن النعال والمظلات والقلانس وسائر الملابس الفاخرة كانت تعتبر من سيما الامتياز الاجتماعي في القرون الوسطى, تمتاز بها الطبقات الراقية من الملوك والأمراء والكبراء والأغنياء"[2].

الصورة الثالثة: الانبطاح والجثو على الركب:

"لقد كانت عادة الانبطاح والتمرغ في التراب للملوك والعظماء شائعة في غرب إفريقيا وفي نيجيريا بصفة خاصة, ويكون ذلك أحيانا بكل ما على الشخص من الملابس, ويكون أحيانا بعد تجرده من الملابس, وهذه جاهلية نكراء"[3].

2- دفن الأموات في البيوت وإقامة الحفلات لهم بعد الدفن:

من العادات الموروثة عند أهل نيجيريا دفن الميت في ناحية من البيت وإقامة الحفلة له بعد ذلك, وقد وصف الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله هذه العادة الشنيعة أتم وصف حيث قال: "كان موتى ملوك يوربا القدماء يشيعون إلى مقابرهم في مواكب وحفلات, كما يقام لهم

[1] (2) الإسلام وتقاليد الجاهلية للشيخ آدم عبد الله الألوري ص 153, مطبعة المدني- القاهرة.

[2] (1) الإسلام والتقاليد الجاهلية ص 158.

[3] (2) المرجع السابق ص161.

ذلك في حياتهم ومراسم توليتهم مثل ما في تقاليد الفراعنة المصريين, وإذا مات ملك من الملوك هيأ خلفه أو ابنه له عددا من ضحايا الأبقار والأغنام لتكون له زادا إلى العالم الثاني ... وكانت ضحايا الأبقار والأغنام التي تقدم اليوم في بلاد يوربا للموتى والملوك, كانت في الماضي السحيق ذبائح بشرية اعتقادا منهم أن يكونوا له خدما في العالم الآخر, وذلك لاعتقادهم أن من كان ملكا في هذا العالم لا بد وأن يكون كذلك في العالم الآخر, فيجب أن يبذل كل غال ونفيس لإقامة الحفلات له إلى أقصى حد؛ لأن ذلك هو التشريف النهائي له. وكانت هذه الحفلات أولا مقتصرا على الملوك والأثرياء والعظماء, ثم امتدت إلى أفراد الناس في كل قبيلة وأسرة لكسب السمعة والشرف لها"[1].

والأصل أن هذه العادة نشأت عند قبائل يوربا إلا أن شر ما في البدعة أنها تنتشر بسرعة, فقد أخذت فيما بعد تجتاز حدود بلاد يوربا إلى بلاد هوسا, حيث ذكر الدكتور علي أبو بكر في كتابه "الثقافة العربية في نيجيريا" أنه جرت مناظرات ومناقشات وردود بين علماء مدينة (كانو) إحدى مدن شمال نيجيريا حول الموضوع[2].

فهذه العادات والتقاليد بيد أنها كانت في نفسها انحرافات في مسائل توحيد الألوهية فإنها صارت فيما بعد أسبابا مؤثرة في ظهور كثير من انحرافات أخرى مثل التوسل, والحلف, ودعاء غير الله, التي كانت وليدة الغلو في تعظيم الكبار والأولياء والصالحين كما سنبين في الباب الرابع- إن شاء الله تعالى.

معتقدات أهل نيجيريا ودياناتهم:

إن التدين فطرة فطر الله عليها النفس البشرية, لا يستطيع الإنسان التخلص منها, ومهما يكن فلا بد أن يدين المرء بشيء لما يعتقد أنه إلهه سواء كان هذا الدين سماويا أو وضعيا, ولذا فإن الديانة الوحيدة التي يتدين بها

---

1 (3) المرجع السابق ص 70-71.

2 (4) انظر: المرجع السابق ص 72, والثقافة العربية في نيجيريا من 1750م إلى 1960م عام الاستقلال د. علي أبو بكر ص 314, ط/الأولى 1972م.

أهل نيجيريا قبل الإسلام هي الوثنية, وتتنوع هذه الوثنية حسب معبودات كل نوع, نذكر منها:

1- عبادة الأنصاب والتماثيل المنحوتة من الحجارة أو الطين أو الشجر ونحوها, وكان عباد هذه الأوثان يعظمونها تعظيما ويقدمون لها الذبائح والقرابين,كما يسألونها قضاء حوائجهم.

وأصل هذه الأوثان- كما ورد في الأساطير- أنها صور أناس كانوا عظماء في حياتهم ولهم آثار ملموسة في مواجهة المواقف الصعبة مثل الانتصار في الحروب وغير ذلك, وبسبب تلك العظمة والاحترام الذي كان لهم في نفوس أتباعهم جعلوهم أوثانا تعبد بعد مماتهم, ومن أمثلة هذه الأوثان[1]:

- (أوغن): إله الحديد والحرب والصيد, يقال: إنه كان صيادا في حياته.
- (أوباتالا): هو رجل وهب من الشجاعة الشيء الكثير؛ ولذا نحت تمثال على صورته واتخذ إلها يعبد من دون الله.
- (إيفا): الإله الذي يخبر عن الغيب.
- (Arochukwa أروشوكوا) إله في غاية الاحترام عند قبائل (إيبو).

2- عبادة الرعد والبرق: يوجد من النيجيريين أناس يعبدون الرعد البرق, وهم من قبائل يوربا, وكانوا يقدسون الرعد والبرق ويقدمون لهما القرابين, وعندهم اعتقاد جازم في قوة معبوداتهم هذه إلى الدرجة أنه إذا ظلم واحد منهم أو طعن في عرضه فإنه يتوسط بأكبر مسؤول في ديانتهم لينتقم له معبودهم من الظالم وقد يؤدي ذلك إلى قتله كما يزعمون, ويسمى إله الرعد بـ(سانغو)[2], يقال إنه كان ملكا في حياته.

---

1 (1) انظر: أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا للشيخ مصطفى زغلول السنوسي ص 65-67, ط/الأولى 1407هـ شركة تكنو برس الحديثة- بيروت, و (Top Secreet) للكاتب بنيامين ألالايي ص 14- 17, ط/الثانية 2002م, مطابع البيان الإسلامية- لاغوس, نيجيريا.

2 (1) انظر: Top Secreet ص15.

3- عبادة النار: يقال إن عبدة النار من أهل نيجيريا من الفولانيين, يطوفون حولها ويرقصون عليها فلا تضرهم.

4- عبادة الأنهار والأشجار والجبال: كان عباد هذه الأشياء يعظمونها ويتضرعون إليها عند طلب حوائجهم كما يقدمون لها القرابين, ويكاد يوجد هذا النوع من الوثنية عند جميع القبائل النيجيرية, ويجدر القول بأن هناك يوما خصص في كل السنة للاحتفال بهذا المعبود الباطل يشارك فيه أناس من خارج نيجيريا من الأفارقة والأوربيين.

ومن أمثلة هذه المعبودات:

- (أويا) أو (ييماجا): صنم الأنهار والبحار عند قبيلة (يوربا).
- (أوكي إبادن): جبل يعبد في مدينة (إبادن), إحدى مدن جنوب نيجيريا, يقام له عيد كل سنة قيل إنه بمناسبة إنشاء مدينة إبادن[1].

5- عبادة أرواح الأسلاف: هناك قوم من النيجيريين يعبدون بعض النباتات والحيوانات أمثال التماسيح والثعابين والأفيال, وقد نشأ ذلك عن اعتقادهم بأن أجدادهم الأولين منحدرون من هذه الأشياء.

وهناك نوع آخر لوثنية عبادة أرواح الأسلاف وهو ما يسمى بعيد الغول, وهو عيد كبير يقيمه الوثنيون في البلاد, وطريقتهم في ذلك أنهم يتنكرون فيه بالملابس المبرقشة أو جلود السباع يحيون به ذكرى أسلافهم وعظمائهم[2].

"يتقمص أحدهم رقاعا مبرقشة تغطي سائر بدنه من أعلى رأسه إلى منتهى قدميه, وربما حمل فوق رأسه أشياء رهيبة كجماجم الموتى أو مواد سامة تضر من يدنو إليها من غير حاملها الذي كان قد اصطبغ بترياق تلك السموم, يريدون بذلك ليثبتوا وجود الغول ويخوفون بها النسوان والولدان, منها الغول الطويل للنوفاويين والقصير لليورباويين, كما أن لهم طقوسا كثيرة لا تشهدها النساء

---

[1] (2) انظر: قصة سفر في نيجيريا للشيخ محمد بن ناصر العبودي ص 153, ط/الأولى 1415هـ, مطابع الفرزدق التجارية- الرياض.

[2] (3) انظر: موجز تاريخ نيجيريا ص115.

العاديات, ومنها ما يقومون به في جنح الظلام أو في الغابات"[1], ومن الأمثلة على هذا النوع من الوثنية:

- (أولولو): عند قبيلة (يوربا), وفي مدينة إبادن خاصة, وهو غول خطير جدا لا تشاهده النساء, تحدث عنه الشيخ محمد محمود الصواف في كتابه"رحلاتي إلى الديار الإسلامية"[2].
- (إغونو): عند قبيلة نوبي في ولاية نيجر, شمال نيجيريا.
- (أييو): عند قبيلة (يوربا) في مدينة لاغوس, وهو غول يتبعها الشباب أيام عيدهم.

فالوثنية بسائر أنواعها هي الديانة الأولى لأهل هذه البلاد كما ذكرنا, ورؤساء الوثنية هم الكهنة الذين يرشدون إلى تأدية الطقوس ويقودون الناس- عبدة الأوثان- إلى خدمة آلهتهم, كما يخطون خطوطا في الرمل أو يرمون الخرز ويستنطقونه عن الإخبار بالمستقبل.

الوثنية والجمعيات السرية:

ولكل نوع من أنواع الوثنية المذكورة جمعيتها, ["وأعظم الجمعيات الوثنية شوكة هي الجمعيات السرية التي يتألف أعضاؤها من الكهنة والأقيال[3] والملوك الذين يجتمعون فيما بينهم للتآمر على الاغتيالات وسلب الحقوق من أصحابها. وقد قويت شوكة هذه الجمعية بعد ما أضافوا إليها الماسونية اليهودية وذلك عندما زار فلسطين الأسقف أكنبي من أساقفة لاغوس ورجع بهذه الماسونية سنة 1973م فانتسب إليها بعض أفراد المجتمع, ولقد تآمر أعضاؤها على اغتيال واعظ مسلم سنة 1953م فوجد

---

1 (1) موجز تاريخ نيجيريا ص115-116, والإسلام والتقاليد الجاهلية ص 117-118.

2 (2) انظر:رحلاتي إلى الديار الإسلامية محمد محمود الصواف ص297-298, ط/الأولى 1395هـ دار القرآن الكريم.

3 (3) الأقيال: الملوك, قال الجوهري: أصل قيل قيّل بالتشديد مثل سيّد من ساد يسود, كأنه الذي له قول أي ينفذ قوله, والجمع أقوال وأقيال. وقال أبو عبيدة: الأقيال: ملوك باليمن دون الملك الأعظم, واحدهم قيل, يكون ملكا على قومه ومِخلافه ومَحجَره. ومراد الشيخ هنا الملوك الذين بمثابة رؤساء القبائل مثل ما قال أبو عبيدة.
انظر: لسان العرب 11/572.

المسلمون صفوفهم وأقاموا عليهم الدعوى فكسبوها فضعفت من ذلك الحين"[1]][2].

يطلق اسم الجمعيات السرية على هذه الجمعيات لأن أسرارها وأسرار معابدها لا يعرفها إلا أعضاؤها الأصليون, والأمور المشتركة بين هذه الجمعيات كلها هي:

- أن أصولها وثنية.
- أن على كل عضو من أعضائها أن يتعهد أمام معبودهم ألا يفشي أسرار الجمعية.
- أنها تقوم بتقديم الإنسان قربانا لآلهتهم.

والظاهر أن هذه الجمعيات السرية الوثنية منتشرة بين كثير من القبائل النيجيرية, فهي تسمى (Gori غوري) عند قبائل (هوسا) في شمال نيجيريا, كما تسمى (Ozo أوزو) عند قبائل (إيبو) في شرق نيجيريا, وكذلك تسمى (Ogboni أوبوني) عند قبائل (يوربا) في جنوب البلاد[3], وأمثلتها في جميع المناطق النيجيرية كالتالي[4]:

- (Ekpo أغبو) و(Ekpe أيغبي) عند قبيلة (Ibibio إبيبيو) في نيجيريا.
- (Gboya بويا) و(Ndako نداكو) و(Igunuko إغونوكو) عند قبيلة (Nupe نوبي) في ولاية نيجر, شمال نيجيريا.
- (Ndiche نيديشي) عند قبيلة (إيبو) في مدينة (أونيتشا) شرق نيجيريا.

---

1 (1) موجز تاريخ نيجيريا ص106.

2 (2) يمكن القول بأن هذه الجمعيات الوثنية السرية ضعفت في ذلك الحين لكن سرعان ما نهضت بعد ذلك, فقويت وانتشرت بين طلبة الجامعات النيجيرية حتى أصبح كل والد يخاف على ولده إذا التحق بالجامعة, وأكثر من ينضم إلى هذه الفئة اللادينيون والنصارى وكذلك المنتسبون إلى الإسلام بالأسماء فقط من أبناء الوجهاء والأثرياء وأصحاب المناصب العالية في الدولة.

3 (3) انظر: (Top Secret) ص44.

4 (4) انظر: المرجع السابق ص44-45.

- (Awo egungun أوو- أيغنغن) و(Oso أوسو) و (Aje أجي) و(Ogboni أوبوني) عند قبيلة يوربا, جنوب نيجيريا.
- (Yambori يمبوري) و(Yandaba يندابا) و(Yan-aniini يان- أنيني) و(Bori بوري) و(Yan-asiiri يان- أسيري) في ولاية (كانو) و(صوكوتو) و(غونغولا) وغيرها من ولايات شمال نيجيريا.

هذا ["ويعتمد دين النيجيريين على الرغبة فيما عند المعبود من الخير العاجل أو الرهبة مما ينزل منه من الشر العاجل على أنهم ينسبون كل خير وكل شر إلى قوة هذا المعبود وسلطانه؛ لهذا يخضعون له وينقادون لمشيئته ويستعينون به على شؤون حياتهم. ونراهم يعتقدون أن المتدين يجب أن يكون سعيدا في حياته قبل مماته, ومن لم يكن في الدنيا سعيدا فلا يكون في الآخرة سعيدا؛ ولهذا يطمئنون إلى دينهم إذا سعدوا بسعة العيش والرزق وشفاء العلل والأمراض, وتعتورهم الريبة والشكوك كلما تكلح الدنيا على وجوههم أو تصيبهم جائحة في أموالهم وأنفسهم؛ لأن ذلك في نظرهم مناف لحكمة التدين.

هكذا كانت أحوالهم قبل الإسلام, وقد هذب الإسلام هذه النظرية في عقليتهم فتهذبت نفوس المسلمين الشماليين, أما نفوس الجنوبيين فلا يزال أكثرها فيمن يعبـدون الله
على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين"[(1)]](2).

ب- نيجيريا بعد دخول الإسلام:

متى دخل الإسلام في نيجيريا؟

---

[1] (1) موجز تاريخ نيجيريا ص115.

[2] (2) قول الشيخ بأن الإسلام قد هذب نفوس المسلمين الشماليين, هذا ناتج عن سبقهم للقبائل النيجيرية الباقية إلى الإسلام, والناظر إلى أحوال الجنوبيين بعد مضي عقود على دخولهم في الإسلام يرى بأن هذه النظرية قد هذبت في عقليتهم كذلك.

إن أول منطقة دخلها الإسلام في نيجيريا هي بلاد هوسا شمال نيجيريا, وكان ذلك قديما, يرجع تاريخه إلى أول دخول الإسلام في إفريقيا على يد الصحابي الجليل عقبة ابن نافع؛ إذ كانت الصلة بين شمال إفريقيا وغربها موجودة قبل ظهور الإسلام بالسنين, فيعلم بذلك أن غرب إفريقيا قد عرف الإسلام منذ القرن الأول الهجري غير أن ذيوعه وانتشاره في المنطقة لم يكن إلا بالتدرج.

فقد قرر المؤرخون أن أسبق بلاد هوسا إلى ميدان الحضارة والعمران هي مدينة (كاشنه) التي تقع على طريق القوافل المارة من (تمبكتو) إلى (برنو) ومصر, وقد قامت بها سوق عظيمة يحضرها البرابرة والوناغرة والعرب أواسط القرن الثاني عشر الميلادي[1].

أما بلاد يوربا فأولى مدنها دخل فيها الإسلام هي مدينة (أيولي), وقد عرف أهلها الإسلام في عهد المنسا موسى سلطان مالي في القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي. ولكون الماليون هم الذين حملوا الدعوة الإسلامية إلى بلاد يوربا نسب هذا الدين إليهم فأصبح يطلق على كل من اعتنق الإسلام منذ ذاك الوقت (صاحب دين مالي) إلى بداية النصف الأخير من القرن العشرين الميلادي عندما جاء الرفض والتوضيح لهذه النسبة من الشبان المسلمين في تلك المنطقة فأوضحوا للناس أن الدين دين الإسلام وأن كل من اعتنق الإسلام فإليه ينسب[2].

وأما بلاد إيبو فليس للإسلام فيها خبر يؤثر أثناء دخوله في بلاد هوسا وبلاد يوربا, بل لم يسجل التاريخ أن أهلها شموا رائحة الدين الحنيف إلى وقت مجيء الاستعمار؛ ولذلك وجد المستعمرون الانجليز هذه البلاد أرضا خصبة لغرس نصرانيتهم وتنفيذ مخططاتهم التبشيرية.

والذي يظهر أن أهل بلاد إيبو عرفوا الإسلام في وقت متأخر جدا وبالتحديد بعد مجيء الاستعمار وجمع القبائل

---

1 (1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص31.

2 (2) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص33, وأصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة, ص104.

النيجيرية تحت حكومة استعمارية واحدة وحينئذ بدأت التجارة بين أهل بلاد إيبو وقبائل هوسا الذين يشكلون جاليات صغيرة في مدن إيبو الكبار مثل" أونشا" "وإينوغو" وغيرهما, فعرفوا الإسلام عن قبائل هوسا[1].

وضع البلاد بعد دخول الإسلام:

هكذا دخل الإسلام في نيجيريا وانتشر في أرجائها ابتداء من الإقليم الشمالي ثم الجنوبي, وقد حارب الإسلام حين دخوله تلك الأديان الوثنية بألوانها والمعتقدات البدائية بأصنافها والتقاليد الجاهلية بأشكالها, فقضى على عبادة الأصنام وحوّلها إلى عبادة الله الواحد القهار, كما منع تقديم ما يسمى بالقرابين وجعل الإنسان يتصل بخالقه جل وعلا دون وسيط أو قربان.

فقد حاول الإسلام القضاء على كل ما يتعلق بالوثنية إلى حد كبير بين القبائل النيجيرية التي دخلت فيه حيث جاء إلى هذه البلاد بشرائعه وآدابه وأنظمته السامية إلا أنه لم يقض القضاء التام على تلك العادات والتقاليد والطبائع الوثنية الشنيعة, وإنما استطاع أن يحول بعض الوثنيين إلى مسلمين يعرفون أن الله واحد لا شريك له.

ويمكن إرجاع بقاء هذه العادات والتقاليد الجاهلية في كثير من أهل نيجيريا بعد إسلامهم إلى أسباب منها:

1- دخول الأغلبية الساحقة من هؤلاء الناس في الإسلام على جهل, وما أحسن قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول: "تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية"[2].

---

1 (3) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص 139.

2 (1) انظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس 4/590, تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم, الطبعة الأولى 1406هـ, مؤسسة قرطبة, درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية 3/24, تحقيق محمد رشاد سالم, دار الكنوز الأدبية - الرياض 1391هـ, تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص101 (باب الخوف من الشرك), ص220 (باب الشفاعة), اعتنى به أبو بكر عبد الكريم حامد, الطبعة الأولى 1422هـ- 2002م, دار إحياء التراث

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في تعليقه على الأثر: "وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما دعا به القرآن وذمه وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه, وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه؛ فتنتقض بذلك عرى الإسلام, ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً, والبدعة سنة والسنة بدعة, ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد, ويبدع بتجريد متابعة الرسول- صلى الله عليه وسلم- ومفارقة الأهواء والبدع, ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً"[1].

2- عدم وجود دعاة يرشدون هؤلاء المسلمين الجدد ويوجهونهم ويعلمونهم الدين الصحيح عندما دخلوا في الإسلام؛ إذ قد تأصّلت فيهم تلك العادات واستمرؤوها, فكانت الحاجة ملحة إلى من يبث روح التضحية ومجاهدة النفس في هؤلاء الناس لكي يقلعوا عن تلك التقاليد الممقوتة كما أقلع عنها الذين اعتنقوا هذا الدين في العهد النبوي فهذبتهم المدرسة النبوية فكأنهم لم يشموا رائحة الشرك وما عاشوا حياة الجاهلية والوثنية قط.

فلما عدم من يعالج هذه الأمراض نتج من ذلك وجود مسلمين جدد لا يزالون متمسكين ببعض العادات والتقاليد الوثنية.

وقد علمنا مما سبق "أن الإسلام لم يكتسح القبائل والشعوب الإفريقية اكتساحا ولا أدرجها إدراجا في أول دخوله, ولكنه تسلل فيها تسللا قد يتسرب إلى ناحية دون أخرى, وتكون بجوار قبيلة مسلمة قبيلة أخرى كافرة, أو تكون في قبيلة واحدة مدينة مسلمة وبجانبها مدينة وثنية, وقد ترى من بعض أفراد عائلة واحدة من هو مسلم وإلى جانبه من أعضاء العائلة نفسها من لا يزال يرزح تحت أغلال الكفر والوثنية, كما ترى الملوك والسلاطين الكفار يشهدون الأعياد الإسلامية إلى جانب المسلمين ويتقدمون بالهبات والصدقات إلى الأئمة والعلماء في هذه المناسبات اشتراكا مع المسلمين في أعيادهم وهم لا يزالون في

العربي- بيروت.

[1] (1) تيسير العزيز الحميد ص101.

جهالة الكفر والوثنية, وقد فتح هذا التسامح وعدم الإكراه قلوب كثير من الوثنيين وشرح صدورهم حتى اعتنقوا الإسلام عن طواعية واختيار"[1].

هذه هي أوضاع الديار النيجيرية بعد دخول الإسلام وانتشاره فيها, والمعلوم أنه كلما بعد الناس عن زمن النبوة ولم يوجد من يجدد للأمة أمور دينها, كلما يقع المسلمون في أدران الشرك ويرجعون إلى تلك الجاهلية الأولى, فكيف إذا اجتمع لقوم ما, بُعد المكان وطول والزمان, وغياب المجدد.

لذلك نرى هذه البلاد في تلك الفترة تتأرجح بين ظلمة الكفر ونور الإسلام, وكان الإسلام فيها يتقلب بين كفتي النقصان والرجحان, ويتراوح بين الانتشار والانحسار, هكذا يتقلب حتى العصر الذي ولد فيه ابن فودي.

وقد بلغ الفساد غايته, وكادت آثار الإسلام تنمحي, وقد ارتد بعض المسلمين بأفعالهم وإن كانوا يدينون بالإسلام بلسانهم.

وعبد آخرون الأحجار والأشجار والأنهار, وصاروا يرجونها لدفع الشر وجلب الخير, وتعالى الملوك والسلاطين في الجور والطغيان, وركن بعض العلماء إلى الراحة والدعة, وتهادنوا مع الطغاة الجبابرة, والناس في تلك الفترة على خمسة أقسام:

القسم الأول: كفار بالأصالة يعبدون الأشجار والأنهار والجان والشياطين, ولم يرتضوا بشيء غير الكفر بديلا.

القسم الثاني: مرتدون عن الإسلام من جراء اختلاطهم بالكفار, ويسمون "ماغنداوى" بلغة الهوسا.

القسم الثالث: مسلمون يقرون بالتوحيد ويصلون ويصومون ويزكون, ولكنهم جهلاء, يأتون بالعبادات على غير استكمال شروطها, ثم يخلطون عباداتهم بالبدع والعادات الكفرية والرواسب الجاهلية التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم أو أحدثوها من أنفسهم.

---

[1] (2) موجز تاريخ نيجيريا ص35.

القسم الرابع: العلماء الذين ركنوا إلى الدنيا واستمالوا لزخارفها, وتهادنوا مع الملوك الظالمين, وسكتوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... .

القسم الخامس: العلماء الصالحون العاملون, والذين يقتدون بهم من تلامذتهم من الذين يعملون على نشر الهداية والحق, ومن هؤلاء كان مشايخ ابن فودي الذين ربوه وعلّموه حتى أنجبوه هو وأصحابه الذين نصروه في دعوته[1].

هذا هو الوضع في المجتمع النيجيري بعد دخول الإسلام وانتشاره, والمتأمل في أحوال الناس في ذلك المجتمع يرى أن تلك الأقسام الخمسة المذكورة في وصف الشيخ آدم عبد الله الألوري لتلك الفترة هي نفس الأقسام الموجودة فيه إلى الوقت الحاضر رغم جهود الشيخ عثمان بن فودي.

ولنضع الآن أمثلة تؤكد القول بأن الدين الإسلامي حينما دخل في أوساط القبائل النيجيرية لم يقض قضاء تاما على العادات والتقاليد الجاهلية لدى هؤلاء المسلمين, يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري:

"وكل ما تبقى اليوم من خلع النعال, والجثو على الركب, والسجود أمام الأكابر والملوك والعظماء فإنما هي من رواسب تلك الجاهلية الشنيعة التي لم ينزلها الله على أحد من البشر, بل هي من نزوات الشياطين وشهوات السلاطين. وهذه التقاليد متوغلة بوجه خاص في الأوساط الإسلامية"[2].

ويقول في موضع آخر مظهرا ارتضاء العلماء لبقاء هذه العادات والتقاليد وتأييدهم لها:

[ولقد أجدني غارقا في بحر من الذهول والدهشة عندما أرى حملة كتاب الله عز وجل, وحفظة سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في مقدمة من يستحسنون هذه التقاليد البغيضة عن جهالة وعماية, ومن يستحسنونها

---

1 (1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص 102-104.

2 (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص18.

عن بصيرة ودراية, ويعتبر الخروج عليها وقاحة وشراسة ممالأة لما يكرم به الدهماء العلماء والأمراء على السواء, فيلجأ العلماء إلى اختلاق حديثهم المشهور:"عادة أهل البلد كالسنة"[(1)][(2)].

الباب الأول
جهود العلماء النيجيريين في تقرير توحيد الألوهية

ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول : الشيخ عثمان بن فودي.
الفصل الثاني : الشيخ أبو بكر محمود غومي.
الفصل الثالث : الشيخ آدم عبد الله الألوري.

---

[1] (2) لم أعثر على هذا الأثر في كتب علماء الحديث ولا غيرها من الكتب مع البحث والتنقيب.

[2] (3) الإسلام والتقاليد الجاهلية ص5.

الفصل الأول
الشيخ عثمان بن فودي- رحمه الله

المبحث الأول
حياته الشخصية والعلمية

أ- حياته الشخصية

نسبه ومولده:

هو عثمان بن محمد فودي بن صالح بن هارون بن محمد غورطو بن جبو بن محمد ثنبو بن أيوب بن ماسران بن أيوب ين بابا بن موسى جكولو[1].

ولد بقرية (طقل) بأرض غوبر(ولاية سوكوتو في شمال نيجيريا حاليا), وذلك يوم الأحد آخر يوم من شهر صفر عام 1168هـ الموافق15 ديسمبر عام 1754م[2].

موطنه ونشأته:

هاجر أجداد الشيخ عثمان الذين هم من القبيلة الفلاتية من شمال إفريقيا إلى أقاليم فوتاتور وفوتاجالون- في موقع السنغال وغينيا الحاليتين- منذ زمن طويل,

---

1 (1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني للشيخ آدم عبد الله الألوري ص 93, وسيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته, للأستاذ عبد اللطيف سعيد, ضمن سلسلة بحوث الندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة احتفاء بذكرى الشيخ عثمان بن فودي ص33, الخرطوم 26- 28 جمادى الآخرة 1416هـ (19-21 نوفيمبر 1995م), إصدار جامعة إفريقيا العالمية ومنظمة الإيسيسكو 1417هـ- 1996م.

2 (2) المرجعان السابقان الأول ص94, والثاني ص33.

واستقروا بهذين الإقليمين لفترة من الزمن, ثم هاجروا إلى بلاد الهوسا مواطن القبائل الهوسوية واختلطوا بأهلها واستوطنوها وهناك ولد الشيخ عثمان بن فودي[1].

وقد نشأ ابن فودي في حجر والديه الصالحين وكان لهما فضل توجيهه إلى الدين والعلم والعبادة, ويلاحظ أن البيت الذي خرج منه الشيخ عثمان بن فودي بيت علم لدرجة أن النساء فيه يؤخذ عنهن العلم.

ففي بداية أمره أخذ مبادئ العلم من والده محمد فودي, ومن والدته حواء, وجدته رقية, وكانت نشأته في مثل هذا الجو من العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته[2].

أولاده:

للشيخ عثمان بن فودي من الأبناء: محمد سعد, وعلي, ومحمد ثنب, ومحمد بلو, وأبو بكر, وعمر, ومحمد البخاري, ومحمد حاج, والحسن, وغيرهم. وله من البنات: خديجة, وعائشة, وفاطمة, وحفصة, وعائشة أخرى, وسودة وأسماء, وحنة, وغيرهن.

وكان من أنجب أولاده: محمد سعد, ومحمد ثنب, ومحمد بلو, والبقية أيضا فيهم البركة وصلاح الحال [3].

وفاته:

وبعد كفاح طويل في سبيل الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والجهود الناجحة المكلّلة بقيام الدولة الإسلامية القائمة على مفهوم دار الإسلام والأمة, بعد ذلك كله توفي المجاهد الكبير الشيخ عثمان بن فودي عام 1817م في مدينة سوكوتو بنيجيريا الحالية, وقد استمرت الدولة بعد وفاته قرابة مائة عام (1817-1903)

---

1 (3) انظر: موجز تاريخ نيجيريا ص160, والإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي ص93.

2 (1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني ص94, وسيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته ص34.

3 (2) إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور تأليف محمد بلو بن عثمان بن فودي ص210- 211, 1383هـ دار ومطابع الشعب- القاهرة.

قبل أن يقوم بإسقاطها وتخريبها الاستعمار الإنجليزي الخبيث[1].

ب- حياته العلمية

طلبه للعلم:

لم تذكر المصادر التاريخية المختلفة بأن الشيخ عثمان بن فودي قد تجول كثيرا في البلاد في سبيل تلقي العلم كعادة الطلاب في ذلك الزمن, وأهم فترة قضاها خارج موطنه (غوبر) هي فترة ذهابه مع أخيه وساعده الأيمن الوزير الأكبر عبد الله بن فودي إلى مدينة (أغدس) في جمهورية النيجر حاليا للاستزادة من الرصيد العلمي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجاهدة أهل الباطل من شيخه جبريل بن عمر الأغدسي, الذي كان في تلك الفترة واحدا من أهم منارات العلم والفكر الإسلامي في منطقة السودان الأوسط والغربي[2].

شيوخه:

أما مشايخ الشيخ عثمان بن فودي فهم على النحو التالي:

أخذ مبادئ العلم عن والده محمد فودي, وعن والدته حواء, وجدته رقية, ثم أخذ عن الشيخ عثمان بندور الكبري[3].

أخذ الإعراب عن الشيخ عبد الرحمن بن حمدا[4], وسمع الفقه من محمد ثنبو بن عبد الله[5] والتفسير من

---

1 (3) سيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته ص47, ومكانة الشيخ عثمان فودي بين رجال الفكر والدعوة والدولة في الإسلام للدكتور حسن مكي محمد أحمد (ضمن بحوث الندوة ص200- 201).

2 (1) حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية- المنهجية- الأهداف للبروفسير أحمد محمد كانى ص17, ضمن سلسلة بحوث الندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة, الخرطوم 26-28 جمادى الآخرة 1416هـ/ 19-21 نوفيمبر 1995م.

3 (2) لم أجد له ترجمة.

4 (3) لم أجد له ترجمة.

5 (4) هو محمد ثنب بن عبد الله بن محمد بن سعد, من علماء الفولاني

الشيخ أحمد بن محمد بن هاشم الزنفري[1], كما أخذ الصحاح الست عن الحاج محمد بن راجي[2][3].

ويبدو أن أكثر أساتذته تأثيرا في حياته هو الشيخ جبريل بن عمر[4], إذ قد لازمه عاما كاملا وأخذ عنه العلم واقتدى بسلوكه, فالفترة التي قضاها الشيخ وأخوه الأصغر عبد الله بن فودي مع الشيخ جبريل بن عمر كانت من أهم الفترات في حياتهما الفكرية والروحية والسياسية[5].

المشهورين, كان حافظا لغالب ما قرأ من علوم, خرج إلى الحج وأقام هناك بضع عشرة سنة ثم رجع, توفي في (أغاديس) سنة 1207هـ ودفن فيها.
انظر: المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي ص22, دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة إعداد محمد بن علي بن محمد السكاكر ص 165, طبع بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية, 1421هـ- 2000م, مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض.

1 (5) لم أجد له ترجمة.

2 (6) هو محمد بن راجي بن مودب بن حم بن عال, من علماء الفولاني, ومن أئمة علم الحديث فيهم, رحل إلى الحج, وأقام في المدينة المنورة طويلا يطلب علم الحديث, حتى نقل عن أئمة هناك (الصحاح الستة), ولما رجع إلى بلاده عمل بالتدريس. انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة ص163- 164.

3 (7) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني ص94, وسيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته ص34.

4 (1) هو جبريل بن عمر الأغدسي, شيخ شيوخ زمانه, كان قادري الطريقة, حج بيت الله الحرام مرتين, وقد أكسبته رحلته إلى الحج الغيرة على أحوال مجتمعه, فعاد من الحج وهو مفعم بالغيرة على مواصلة الجهاد في بلاد الهوسا, ولما رأى الشيخ عثمان قد بدأ دعوته في هذه البلاد بارك له في ذلك وحثه على بذل الجهد لتنقية المجتمع من براثن الشرك, توفي خلال العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري.
انظر: إنفاق الميسور ص54-56, دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة ص165, المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي ص23.

5 (2) انظر: حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية- المنهجية- الأهداف ص17, وسيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته ص34.

ويؤكد الشيخ عثمان في مناسبات شتى أنه ما كان ليصل إلى ما وصل إليه لولا شيخه جبريل, فهو يقول إن الفضل يرجع لجبريل في تنبيهه إلى محاربة المنكر في بلاد السودان, ويظن أن الله قد أنعم على أهل هذا البلد عندما أرسل لهم جبريل الذي نور لهم طريق الصلاح[1].

وهكذا أخذ من مختلف الشيوخ وكلهم علماء بلاده من الفلانيين والهوساويين والبرناويين وليس من بينهم عربي واحد[2].

تلاميذه:

وأما تلاميذ الشيخ عثمان فلنذكر المشهورين منهم, وهم[3]:

1- أخوه عبد الله بن فودي, العالم العلامة النظار الفهامة المجاهد الكبير صاحب التصانيف المفيدة, كان عبقريا ومتبحرا في كل الفنون, وكان يلقب بـ (تونغا بلاربين هاوسا) (عربي بلاد الهوسا), كما لقب أيضا بـ (علامة السودان) لعبقريته, له من المؤلفات ما ينيف على مائتين.

2- ولده الأكبر محمد سعد. 3- ولده محمد بلو.

4- ولده محمد ثنبو. 5- الشيخ عبد السلام بن إبراهيم.

6- ابنته أسماء. 7- الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر الونكري التمبكتي.

أعماله ومكانته العلمية:

إن الأعمال التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي كثيرة وكبيرة في نفس الوقت, فكيف لا وهو الزعيم المجدد الذي كانت دعوته الإسلامية أنقى الدعوات التي ظهرت جنوب الصحراء, وأقربها إلى العقيدة السلفية الصحيحة.

ويمكننا اختصار أعمال هذا العالم الجليل والمجاهد الكبير في النقاط التالية [4]:

---

[1] (3) مكونات الفكر السياسي عند الشيخ عثمان بن فودي للدكتور بهيجة الشاذلي (ضمن بحوث الندوة ص82).

[2] (4) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني ص94.

[3] (5) المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي مع تحقيق كتابه نصيحة أهل الزمان تأليف الشيخ أمين الدين أبي بكر ص24- 25, مطابع المختار الإسلامي.

[4] (1) مكانة الشيخ عثمان بن فودي بين رجال الفكر والدعوة والدولة

1- أسس الشيخ عثمان دان فودي حركة فكرية, قامت على تحرير العقلية الإسلامية من سلطة اللادينية, مما أدى إلى بعث قيم الدين في الشخصية الإفريقية وإشاعة المعارف الإسلامية وسط الذكور والإناث مما أدى إلى محو أمية الكثيرين وإلى تعليم النساء في فترة زمنية ساد فيها الجهل والخرافة والشعوذة في مناطق مختلفة في غرب إفريقيا.

2- نهض الشيخ عثمان دان فودي بواجب الجهاد, أحيا هذه الفريضة بعد أن وضع لها منهجا برز في كتبه وأحاديثه, وللشيخ عثمان دان فودي قرابة مائة كتاب, من أشهرها "بيان وجوب الهجرة على العباد".

3- اعتمد اللغة العربية التي كان يجيدها كتابة وتحدثا مع أنه لم يزر العالم العربي, ولم يحج, اعتمدها لغة رسمية ونشر آدابها, وأصبحت لغة العبادة والجهاد والتجارة والمعاملات والثقافة والفكر.

4- نظر إلى مملكته بوصفها ثغرة من ثغور الإسلام يحيط به محيط من الملل الأخرى وكان يسعى لوضع النواة الأولى لمرتكزات انطلاق تهيئ غرب إفريقيا للالتقاء بالمد الإسلامي المتوقع في مراكز العالم الإسلامي مثل الحجاز والشام والسودان.

5- أسس دولة إسلامية استمرت بعد وفاته قرابة مائة عام (1817- 1903م) حينما قام بإسقاطها وتخريبها الاستعمار الإنجليزي, ومع ذلك لا تزال آثار جهوده باقية إلى الوقت الحاضر, يلاحظ ذلك في وجود التمكين لكل ما هو إسلامي في شمال نيجيريا.

6- بذل الشيخ عثمان كل ما لديه من قوة في البلاغة والحجة وجودة في الأسلوب, ومعرفة بالأحكام, في سبيل القضاء على البدع المنتشرة في مجتمعه, وقد جاهد بقلمه, ولسانه, وأخيرا بيده, في سبيل محاربة البدع, فألف كثيرا من الكتب مثل:"اتباع السنة" و"بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية" و"نور الألباب"

في الإسلام للدكتور حسن مكي محمد أحمد (ضمن بحوث الندوة ص 200- 201).

و"إحياء السنة وإخماد البدعة" وغيرها كثير, كما خصص بعض مجالسه للدرس والوعظ لمحاربة البدع, وكذلك في تنقلاته وتجواله بين المدن وقرى بلاد الهوسا في غرب إفريقيا[1].

7- استخدم الشيخ جميع الوسائل الفكرية والعلمية لإصلاح مجتمعه, فقد قام بالوعظ والإرشاد, والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة, كما سلك طريق الاتصال بالملوك وهاجر من بلدته (طقل) إلى (قد) في أطراف بلاد غوبر, وأخيرا حمل السلاح في وجوه الأعداء[2].

8- ألف الشيخ عثمان بن فودي في فنون مختلفة باللغتين: العربية والفلاتية إلا أن أكثر مؤلفاته كانت بالعربية, وقد بلغت مؤلفاته هذه نيفا ومائة وأربعين, منها المطبوع والمخطوط, نذكر منها [3]:

- بيان الهجرة على العباد وبيان نصب الإمامة وإقامة الجهاد.
- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية (مطبوع).
- نجم الإخوان.
- إحياء السنة وإخماد البدعة (مطبوع).
- وثيقة الإخوان لتبيين دلائل الكتاب والسنة (مطبوع).
- هداية الطلاب إلى طريق الصواب (مطبوع).
- نور الألباب.
- إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان.
- أصول الدين.
- أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل.
- إعداد الداعي إلى الدين.

---

1 (1) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة لمحمد بن علي بن محمد السكاكر ص 192-193, 1421هـ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض.

2 (2) المرجع السابق ص187.

3 (3) انظر: إنفاق الميسور ص209-210, ومخطوطات الفوديين:بيبليوجرافية وصفية مختارة للأستاذ عبد القيوم عبد الحليم الحسن, (ضمن بحوث الندوة العالمية ص396-404).

- الأمر بموالاة المؤمنين والنهي عن موالاة الكافرين.
- تحذير أهل الإيمان من التشبه بأهل الكفر والعصيان.
- تمييز أهل السنة وأنصار الرحمن.
- سوق الأمة إلى اتباع السنة.
- سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان.
- تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان.
- السلاسل الذهبية للسادات الصوفية.
- السلاسل القادرية.

وللشيخ عثمان بن فودي مكانة علمية مرموقة, ولقد شارك العلماءَ والفقهاءَ في إفادة قومهم بأقلامهم, وأخرج لهم عدة كتب في مختلف الفنون الدينية والسياسية والثقافية, ونجب على يديه أكثر من مائة عالم فقيه, ممن بلغوا رتبة الاجتهاد المذهبي في الفقه المالكي[1].

وجملة القول أن ابن فودي عالم, وفقيه, وواعظ, ومرب, ومصلح, وزعيم, وقائد, وأمير, وحاكم, وإمام, بل هو أمة وحده[2].

المبحث الثاني
جهوده في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه

أ- أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه:

لما كانت العقيدة هي أساس الدين, فقد أعطاها الشيخ عثمان الأَوْلَوِية في دعوته كلها وخاصة بعد إدراكه بأن مجتمعه مليء بالبدع التي هي بريد الكفر والشرك, كما أن الأغلبية الساحقة من قومه كانوا جهالا, لا يعرفون التعاليم الإسلامية الصحيحة.

---

1 (1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص95.

2 (2) المرجع السابق ص95.

لذا استخدم الشيخ عثمان أساليب متعددة لتقرير التوحيد بأنواعه الثلاثة وتوحيد الألوهية خاصة لأهميته, ومن تلك الأساليب:

1- التدريس والوعظ والإرشاد:

كان للشيخ عثمان بن فودي مجلسان أحدهما للتدريس والآخر للوعظ والإرشاد, أما تدريسه فكان يخرج بعد صلاة العصر والعشاء للتدريس, يفسر القرآن, ويدرس الحديث, والفقه, وسائر العلوم الأخرى.

أما وعظه فكان يخرج ليلة كل جمعة, ويعظ الناس فيها, وكان يحضر مجلس وعظه خلق كثير رجالا ونساء, وكان يخرج إلى الآفاق القريبة والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ أياما ثم يرجع إلى بلده[1].

2- التأليف والتصنيف:

للشيخ عثمان بن فودي مؤلفات عدة في فنون مختلفة كما سبق أن ذكرت, والذي يعنينا في هذا الصدد بعض كتبه التي تناول فيها موضوعات تتعلق بتوحيد الألوهية وتقريره, ومحاربة الانحراف فيه.

ومن أمثلة ذلك كتابه "سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان", وقد خصص الفصل الثالث فيه ببيان حكم جهاد أقوام ينطقون بكلمتي الشهادة ولا يعلمون شيئا

عن أعمال الإسلام, كما أفرد الفصل الرابع فيه ببيان حكم جهاد أقوام ينطقون بكلمتي الشهادة ويعملون أعمال الإسلام لكنهم يخلطونها بأعمال الكفر[2].

ومن الكتب التي تطرق الشيخ فيها إلى مسائل توحيد الألوهية كتاب بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في

---

1 (1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص104.

2 (1) أبرز مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي والقضايا التي تناولتها للدكتور زين العابدين عبد الحميد السراج, (ضمن بحوث الندوة العالمية ص 369).

أبواب الملة المحمدية, وكتاب نور الألباب, وكتاب إخماد البدعة وإحياء السنة.

3- المناظرات والمناقشات:

لقد فضّل الشيخ عثمان بن فودي- في بداية دعوته- الدخول مع بعض علماء بلاد الهوسا في مجادلات ومحاورات علمية بهدف تركيز القواعد الإيمانية في أوساط العامة, وعدم خلق بلبلة عقدية في أذهان الناس وإلهائهم بالقضايا الكلامية, وفي نفس الوقت الذي يؤكد فيه الشيخ عثمان بن فودي وأتباعه من الطلبة على ضرورة قبول عقيدة العوام والتسليم بظاهر الشرع في مسائل التوحيد. فرض الشيخ على نفسه وعلى طلابه وجوب رفع الجهل عن العامة وتعليمهم المبادئ الإسلامية, والخروج بهم من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام, وتربيتهم خلقيا وروحيا بهدف تكوين المجتمع الإسلامي السليم.

ولم تنحصر هذه المناظرات والمناقشات في محيط الشيخ ومخالفيه من العلماء فقط بل تعدته وشملت الحوار بين الشيخ وطلابه؛ وذلك لمعالجة بعض المفاهيم الخاطئة التي علقت بأذهان الكثير من الطلبة وخاصة تلك التي تتعلق بمسائل التوحيد وماهية الدين[1].

4- إنشاء الجمعية أو الجماعة:

إن الجماعة أداة تنفيذية في الإسلام؛ لذا اهتم بتكوينها الشيخ عثمان بن فودي في بداية دعوته حينما صار له صيت عظيم في الآفاق بوعظه ودروسه, وصار يقصده الأقربون, ويكاتبه الأبعدون, فتكونت من المستمعين لوعظه هيئة منتظمة سماهم الجماعة, وهؤلاء هم الذين صاروا له أنصارا في دعوته الإصلاحية[2].

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري: "أول جماعة إسلامية في بلاد هوسا هي جماعة السنة التي أنشأها

---

1 (2) حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية- المنهجية- الأهداف, (ضمن بحوث الندوة العالمية ص20-21).

2 (3) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص 105.

الشيخ عثمان بن فودي من تلاميذه في التعليم والإرشاد ومن مريديه في الطريقة الصوفية عام 1802م"[1].

وقد ظهرت جماعة الشيخ كجماعة ذات أهداف اجتماعية وسياسية تهدف إلى إصلاح المجتمع في بلاد الهوسا وما حولها, وكانت المواضيع الأساسية التي تركزت عليها الدعوة في فترة تكوين الجماعة هي معالجة قضايا الإيمان والكفر ومحاربة البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية, كما يدل على ذلك أحد عناوين كتبه العديدة التي تناقش هذه القضايا المهمة أو ما أسماه هو شخصيا بعلم السنة والبدعة[2].

ب- أهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها ودافع عنها:

سلك الشيخ عثمان طريق التوضيح والتبيين للأمور التي قد تُرجع المسلم إلى الشرك والكفر من الأعمال التي يتعاطاها الناس في مجتمعه باسم العادات والتقاليد؛ ولذلك قد لا نجد في كثير من كتبه ذكر أنواع العبادة وتعريفها, وإنما نجده يصرح بحكم كل من العادات الجاهلية والتقاليد البدائية الممقوتة المنتشرة في مجتمعه مع إيراد الأدلة من الكتاب والسنة وكلام السلف على تحريمها. وهذا هو الأسلوب الذي اتبعه في كتابه إخماد البدعة وإحياء السنة, وكتاب بيان البدعة الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية وغيرهما من كتبه.

ومن المسائل التي تطرق لها الشيخ عثمان بن فودي:

1- التبرك:

قال في بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في باب الجنائز والمقابر: "ومن ذلك اتخاذ المسجد عند القبر للتبرك بالصلاة فيه وهو بدعة مكروهة وقيل جائزة والصواب الأول"[3].

---

[1] (1) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص77.

[2] (2) انظر: حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية- المنهجية- الأهداف, ص21.

[3] (3) بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية ص17 مطابع أحباب- كادونا نيجيريا, وإخماد البدعة وإحياء السنة ص 126 مطبعة الزاوية التيجانية- القاهرة 1377هـ.

قلت: بادئ ذي بدء لا بد لنا من تحقيق القول في إطلاق الكراهية على بعض البدع؛ لأن هذا كثير في كلام الشيخ عثمان بن فودي. يقول الإمام الشاطبي: "فإن إثبات قسم الكراهة في البدع على الحقيقة مما ينظر فيه, فلا يغتر المغتر بإطلاق المتقدمين من الفقهاء لفظ المكروه على بعض البدع, وإنما حقيقة المسألة أن البدع ليست على رتبة واحدة في الذم, وأما تعيين الكراهة التي معناها نفي إثم فاعلها وارتفاع الحرج البتة, فهذا مما لا يكاد يوجد عليه دليل من الشرع ولا من كلام الأئمة على الخصوص"[1], وهذا هو الظاهر في طريقة الشيخ عثمان في الحكم على بعض البدع, فكثيرا ما يطلق الكراهة على بدع تكاد تصل إلى حد الشرك, وربما هذا تساهل منه أو الاغترار بإطلاق المتقدمين من الفقهاء كما قال الإمام الشاطبي.

والحقيقة أن العلماء إذا أطلقوا الكراهية في الأمور المنهي عنها لا يعنون بها كراهة التنزيه فقط, فإنه إذا دل الدليل في جميع البدع على أنها ضلالة فمن أين يعد فيها ما هو مكروه كراهية التنزيه؟ والحاصل أن النسبة بين المكروه من الأعمال وبين أدنى البدع بعيد الملتمس[2].

وعلى هذا فلا يقول أحد بجواز اتخاذ المساجد عند القبور إلا المبتدع, فاتخاذ القبور مساجد بدعة ومن وسائل الشرك, وإذا أضاف إلى ذلك قصد التبرك بالصلاة في تلك البقعة فقد وقع في محذورين وذنبه إذن أغلظ, فالقضية حماية جناب التوحيد, وسد ذرائع الشرك, فلا تساهل فيها[3].

وقال في موضع آخر في بيان ما أحدث من البدع عند قبر النبي- صلى الله عليه وسلم أثناء زيارة المسجد النبوي: "وكذلك مسحهم أيضا بالبناء, ويلقون إليه مناديلهم

---

1 (1) الاعتصام للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي ص344, علق عليه محمود طعمه حلبي ط الثانية 1420هـ دار المعرفة- بيروت.

2 (2) المرجع السابق ص348.

3 (3) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء 1/404- 405, جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش, ط/الثالثة 1419هـ, رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض.

وثيابهم, وذلك كله من البدع المكروهة؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له- عليه السلام, وما كانت عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب"[1].

2- الذبح:

قال في مسألة الذبح: "ومما أحدثوه في باب الذبح تخصيص بعض سور القرآن بأنه يذبح له لكن على سبيل الشكر لا على سبيل الشرك, وهو بدعة مكروهة"[2].

قلت: تقول اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية في الإجابة عن سؤال وجه لها, ونص السؤال: "هل تجوز الوليمة بمناسبة ختم القرآن؟", والإجابة: "... أما الوليمة أو الاحتفال بمناسبة ختم القرآن فلم يعرف عنه- صلى الله عليه وسلم- ولا عن أحد من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ولو فعلوه لنقل إلينا كسائر أحكام الشريعة, فكانت الوليمة أو الاحتفال من أجل ختم القرآن الكريم بدعة محدثة, وقد ثبت عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[3], وقال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[4]"[5].

فإذا كان لم يشرع الاحتفال أو الوليمة عند ختم القرآن الكريم بكامله فكيف يشرع الذبح لأجل قراءة بعض سور منه, فالواجب الوقوف عند حد الشرع, والخير كل الخير فيما أمر به محمد- صلى الله عليه وسلم.

وفي موضع آخر قال: "فمن أولئك المخلطين من يزعم أنه مسلم يعمل أعمال الإسلام وهو مع ذلك يعظم

---

1 (1) بيان البدع ص23, وإخماد البدعة ص148, ونور الألباب ص16 مطابع أحباب- كادونا نيجيريا.

2 (2) بيان البدع ص23, وإخماد البدعة ص152.

3 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصلح- باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود- ص214 برقم (2697) عن عائشة.

4 (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الأقضية- باب نقض الأحكام الباطلة, ورد محدثات الأمور- ص982 برقم (1718) عن عائشة.

5 (5) فتاوى اللجنة الدائمة 2/488 من الفتوى رقم (4029).

بعض الأشجار والأحجار بالذبح عندها والصدقة أو بصب العجين عليها, فهذا كافر لا تجري عليه أحكام الإسلام"[1].

3- النذر:

قال الشيخ في كلامه عمن سماهم المخلطين الذين يعتبرون أنفسهم مسلمين ومع ذلك تظهر منهم أعمال تناقض الإسلام: "ومنهم من يزعم أنه مسلم يعمل أعمال الإسـلام وهو مع ذلك يضع ثوبا أو طعاما أو غير ذلك على قبر الولي أو العالم أو العابد على طريق النذر, ويظن لجهله أنه يوفي نذره, وهذا أيضا كافر لا تجري عليه أحكام الإسلام"[2].

4- الحلف:

قال في بيان ما أحدث من البدع في باب الأيمان: "ومما أحدثوه في باب الأيمان الحلف بالنبي والكعبة والولي ونحو ذلك, وهو بدعة محرمة وهو المشهور أو مكروهة"[3].

قلت: إن سر هذه المسألة أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به, وهذا هو الأصل, فإذا حلف شخص بغير الله فإن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله فهو شرك أكبر, وأما إذا حلف بغير الله بلسانه ولم يعتقد بقلبه تعظيم من حلف به أو ما حلف به فهو شرك أصغر, قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[4].

---

[1] (6) نور الألباب ص2-3.

[2] (1) نور الألباب ص4.

[3] (2) بيان البدع ص27, وإخماد البدعة ص162.

[4] (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأيمان والنذور- باب كراهية الحلف بالآباء- ص1467 برقم (3251), والترمذي في سننه- كتاب النذور والأيمان- باب ما جاء في أن من حلف بغير الله فقد أشرك- ص 1809 برقم (1535), والحاكم في المستدرك 1/65 عن ابن عمر, قال الترمذي: حديث حسن, وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص, وصححه الألباني في غاية المرام برقم (259), غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للشيخ محمد ناصر الدين الألباني, ط/الثالثة 1405هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.

فنَهَى النبي- صلى الله عليه وسلم- عن الحلف بغير الله أياً كان ذلك المخلوق, والأصل في النهي التحريم, بل ثبت عنه أنه سماه شركا كما سبق في الحديث, وحمله العلماء على الشرك الأصغر, وكونه شركا أصغر في هذه الحالة لا يعني أن المسلم يتساهل في ذلك, فإن الشرك الأصغر أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر, قال ابن مسعود رضي الله عنه:

"لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقا"[1], وبذلك يتبين أن الحلف بالنبي والولي والكعبة وغيرها من المخلوقات محرم, وليس في المسألة سوى هذا القول عند أهل السنة والجماعة[2].

5- البناء على القبور:

قال الشيخ عثمان في كلامه حول بدع الجنائز والقبور: "ومن ذلك البناء على القبر, هو بدعة مكروهة إن لم يقصد به الفخر, وإلا فهو بدعة محرمة إجماعا"[3].

قلت: البناء على القبور محرم البتة؛ لأنه باب واسع يوصل إلى عبادة الأموات بالاستغاثة بهم ودعائهم وخوفهم ورجائهم, وسواء كان البناء على القبر يقصد به الفخر أو غير الفخر فإنه محرم سدا لذرائع الشرك وحماية لجناب التوحيد[4].

6- الرقى والتمائم:

وفي ذلك قال: "ومما أحدثوه في باب التعالج والرقى التداوي بالنجاسة كالميتة ونحوها, وهو بدعة محرمة على

---

1 (1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 9/183 برقم (8902), المعجم الكبير تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني, تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي, ط/ الثانية 1404هـ- 1983م, مكتبة العلوم والحكم- الموصل. وابن أبي شيبة في المصنف 3/79, المصنف في الأحاديث والآثار تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي, تحقيق كمال يوسف الحوت, ط/الأولى 1409هـ, مكتبة الرشد- الرياض عن عبد الله بن مسعود, وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (2953), صحيح الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني, ط/الخامسة, مكتبة المعارف- الرياض.

2 (2) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة 1/340- 342, فتوى رقم (8902).

3 (3) إخماد البدعة ص125.

4 (4) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة 1/ 398- 400, فتوى رقم (1644).

الإجماع إن كان في بطن الجسم وعلى المشهور إن كان في ظاهره, ومن ذلك التداوي بكلام أعجمي لا يعرف وهو بدعة محرمة على مذهب مالك, ومن ذلك التداوي بالعقد وهو بدعة مكروهة"[1].

قلت: مما يحرم على المرء المسلم الانتفاع به الأشياء النجسة كالميتة, فلا يصح التداوي بمحرم؛ لأنه لا يوجد في المحرم شفاء لحديث: (إن الله خلق الداء والدواء فتـداووا
ولا تتداووا بحرام)[2], ولقول ابن مسعود: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)[3], وعلى هذا, فالتداوي بالنجاسة حرام سواء استعمل الدواء في داخل الجسم أو على ظاهره[4].

وكذلك التداوي والرقية بكلام أعجمي لا يفهم معناه فإنه محرم خشية أن يكون شركا, لما ثبت من قول الرسول- صلى الله عليه وسلم: (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)[5][6].

أما التداوي بالعِقْد وهو خيط ينظم فيه الخرز ونحوه يحيط بالعنق أو يربط بأي عضو من أعضاء الشخص, فإن كان من غير القرآن فهو محرم إجماعا, بل شرك؛ لقوله-

---

1 (5) بيان البدع الشيطانية ص43.

2 (1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 24/254 برقم (649) عن أم الدرداء, وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1633).

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا- كتاب الأشربة- باب شراب الحلواء والعسل- ص481.

4 (3) انظر: الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى 1/198, إشراف الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ط/ الأولى 1424هـ, رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض.

5 (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك- ص1068, برقم (2200) عن عوف بن مالك الأشجعي.

6 (5) انظر: الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى 1/401.

صلى الله عليه وسلم: (من علق تميمة فقد أشرك)[1], وإن كان ما علقه من آيات القرآن فالصحيح أنه ممنوع أيضا[2].

7- التطير:

يقول الشيخ في بيان حكم بعض العادات التي تعد من التطير: "فإن قلتَ: ما حكم ما يفعله بعض النساء من جعل السكين التي قطعت بها سرة المولود عند رأسه ما دامت أمه جالسة عند رأسه, فإذا قامت حملته معها, تفعل هذا مدة أربعين يوما, وتفعل ذلك لئلا يصيبه شيء من الجن؛ قلتُ: إنه بدعة مكروهة"[3].

قلت: هذه الفعلة من التطير, وهو محرم, ولا خلاف في ذلك بين علماء أهل السنة والجماعة, يقول الشيخ سليمان بن عبد الله معلقا على هذا الباب: "ولما كانت الطيرة بابا من الشرك منافيا للتوحيد أو لكماله؛ لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ذكره المصنف في كتاب التوحيد تحذيرا منها وإرشادا إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله, وأعلم أن من كان معتنيا بها قابلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره, وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه, ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه, وينكد عليه عيشه, فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك"[4].

8- الخضوع:

---

1 (6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 4/193 عن عقبة بن عامر, مسند الإمام أحمد بن حنبل رقمه محمد عبد السلام عبد الشافي ط/الأولى 1413هـ دار الكتب العلمية- بيروت.وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (492), السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف- الرياض.

2 (7) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة 1/244- 245.

3 (8) بيان البدع الشيطانية ص24.

4 (1) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص317.

قال في بيان بعض العادات المخالفة للشريعة الإسلامية في باب التحية والسلام: "ومن ذلك في السلام: الانحناء عند ذلك, وهو بدعة محرمة إجماعا, إذا صدق عليه أنه ركوع شرعا, وإلا فهو بدعة مكروهة", ثم قال: "وفي المدخل[1], قد روى الترمذي عن أنس قال: سمعت رجلا يقول لرسول الله- صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله, الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ فقال: (لا) الحديث[2]"[3].

قلت: الانحناء عند التحية محرم سواء وصل إلى الحد الذي يطلق عليه الركوع شرعا أم لم يصل إليه, تقول اللجنة الدائمة في إجابتها لسؤال وجه إليها: "لا يجوز الانحناء تحية للمسلم ولا للكافر لا بالجزء الأعلى من البدن ولا بالرأس؛ لأن الانحناء تحية عبادة, والعبادة لا تكون إلا لله وحده"[4].

ما يؤخذ على الشيخ عثمان بن فودي:

(أ) كان ابن فودي أشعري العقيدة, قادري الطريقة[5].

وفي كونه أشعري العقيدة فقد قال عنه ابنه محمد بلو[6] في ذكر ما يحدّث الناس به في فن أصول الدين:

---

1 (2) أي المدخل لابن الحاج.

2 (3) أخرجه الترمذي في سننه- أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله- باب ما جاء في المصافحة- ص1926 برقم (2728), وأحمد في مسنده 3/198 عن أنس بن مالك, وقال الترمذي: حديث حسن, والحديث بكامله: عن أنس بن مالك قال: قال رجل: يا رسول الله, الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: (لا), قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: (لا), قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: (نعم).

3 (4) إخماد البدعة وإحياء السنة ص218.

4 (1) فتاوى اللجنة الدائمة 1/233- 234 فتوى رقم (5313).

5 (2) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص 101.

6 (3) هو محمد بلو بن عثمان بن محمد بن فودي, ولد سنة 1195هـ, وتربى في بيت العلم بين والده الشيخ عثمان وعمه عبد الله بن فودي, تولى خلافة الدولة الصكتية بعد وفاة والده وكانت مدة خلافته 21 سنة, له عدة مؤلفات منها: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور, الإنصاف في ذكر مسائل الخلاف, تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة, توفي في مدينة (برنو) سنة 1253هـ وعمره 58 سنة. انظر: إنفاق الميسور ص

"العالم حادث وصانعه الله تعالى واجب الوجود, قديم لا أول له, مخالف للحوادث, ما هو بجرم ولا صفة للجرم, ولا جهة له ولا مكان, بل هو كما كان في الأزل قبل العالم, غني عن المحل والمخصص واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله, قادر بقدرة, مريد بإرادة, عالم بعلم, حي بحياة, سميع بسمع, بصير ببصر, متكلم بكلام, مختار في فعله وتركه, والكمال الإلهي كله واجب له, والنقص الذي هو ضد هذا الكمال الإلهي مستحيل عليه"[1].

أما كونه قادري الطريقة فقد كتب عن نفسه في رسالة سماها "ولما بلغت ستا وثلاثين", أودع فيها بيان الجذب الإلهي الذي حصل له, وبيان تلقيه الورد الخاص به.

يقول عن نفسه: "لما بلغت ستا وثلاثين سنة كشف الله الغطاء عن بصري, والوقر عن سمعي, والصخاء عن ذوقي, والطي عن يدي, والثبات عن رجلي, والثقل عن بدني, وكنت أنظر للبعيد كالقريب ... فوجدت في خامس أضلعي من جنب الأيمن مكتوبا فيها الحمد لله رب العالمين عشر مرات, اللهم صل عل سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم عشر مرات, أستغفر الله العظيم عشر مرات, بقلم القدرة, وكنت أتعجب من ذلك ... ثم أتاني غوث الثقلين سيدي عبد القادر الجيلاني بثوب أخضر مطرز بلا إله إلا الله محمد رسول الله- صلى الله عليه وسلم"[2].

(ب) يعتقد الشيخ عثمان بن فودي في التوسل بالنبي- صلى الله عليه وسلم والولي, وقد اتضح ذلك جليا في دعائه الذي يتكرر بعد ذكر كل بدعة من البدع المنتشرة في مجتمعه وإرشاد الأمة إلى السنة في ذلك, في كتابه "إخماد البدعة وإحياء السنة" حيث يقول: "اللهم وفقنا لاتباع سنة نبيك محمد- صلى الله عليه وسلم- بجاهه عندك"[3].

21, محمد بلو الشاعر (ضمن سلسلة بحوث الندوة ص355).

[1] (4) إنفاق الميسور ص74.

[2] (1) رسالة بعنوان: (ولما بلغت) للشيخ عثمان بن فودي ص1 (مخطوط).

[3] (2) انظر مثلا: إخماد البدعة ص36, وثيقة الإخوان ص7.

كما له في قصائده توسلات كثيرة جدا بالنبي- صلى الله عليه وسلم, والصحابة, والأولياء, وقد عرب أخوه عبد الله قصيدة أعجمية نظمها في التوسل بالشيخ عبد القادر, وهي في أربعين بيتا جاء فيها[1]:

يا رب عالم بـاطن كالظـاهر أجب الذي يدعو بعبد القادر

بركات أحمد في بـلاد الله قـد عمت وجمت عند عبد القادر

يا رب يا متفـضلا لعبـاده صلني بفضلك عند عبد القادر

إن المسيء لدى الأكابر يلتـجي فلجأت عند الشيخ عبد القادر

ما كنت أهلا إن أجاب أجب لكـو ن وسيلتي درجات عبد القادر

عربت ما لأخي وشيخي عجـمة متوسلين معا بعبد القـادر

(د) فسر الشيخ عثمان مقام الإحسان المذكور في بعض الآيات القرآنية وفي حديث جبريل حينما سأل النبي- صلى الله عليه وسلم- عن معنى الإحسان فأجابه, فسره بالتصوف. يقول تحت عنوان (السنة في التصوف):

"أما طريق السنة المحمدية في باب الإحسان الذي هو باب التصوف, فهو أن يقتدي كل واحد بما كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يفعل فيه, ومن طريق سنته- صلى الله عليه وسلم- عدم غفلة العبد في كل عبادته حتى كأنه يرى مولاه, لقوله- كما في صحيح البخاري في جواب ما الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ومن طريق سنته- صلى الله عليه وسلم: مراقبة الله بفعل الفرائض والنوافل... ومن طريق سنته- صلى الله عليه وسلم: مراقبة الله بترك المحرمات, كبيرها وصغيرها, وترك المكروهات..."[2].

---

1 (3) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص101.

2 (1) إخماد البدعة ص230.

التعليق:

قلت: ومع احترامي وتقديري لجهود الشيخ عثمان في سبيل الدعوة إلى الله ومحاربة البدع فإن هذه النقاط المذكورة تعتبر من المآخذ عليه؛ إذ قد اشتبه عليه الحق في تلك المسائل؛ لذا أحببت أن أوضح منهج السلف الصالح في المسائل راجيا أن يكون فيها خير الإسلام والمسلمين فأقول مستعينا بالله:

أولا: إن جميع ما ورد في رسالة "ولما بلغت ستا وثلاثين" خرافات وخزعبلات لا يمكن صدورها إلا من أصحاب العقائد الباطنية الهدامة.

فقد ادعى الشيخ أنه أخذ أوراده عن طريق الجذب, ومعنى الجذب عند الصوفية: حال من أحوال النفس يغيب فيها القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق, ويتصل فيها بالعالم العلوي, وهو ما يسميه بعضهم بالوجد[1].

فاجتماع أحد كائنا من كان مع النبي- صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام ونبي الله يوسف وعبد القادر الجيلاني[2] بعد وفاتهم, وإلباسهم إياه الثوب والعمامة وتلقيه أورادا خاصة به يتعبد الله بها وينشرها بين الناس, فحصول هذه الأمور لا يشك مؤمن في بطلانه؛ لأنها من باب الزيادة في الدين, وقد اكتمل هذا الدين الحنيف قبل موت الرسول- صلى الله عليه وسلم, قال تعالى: [illegible] (المائدة:3).

وليس من باب الكرامة؛ لأن الكرامة أمر خارق للعادة لا يخالف النصوص الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة.

---

[1] (2) انظر: المعجم الوسيط 1/112, ودراسات في التصوف تأليف إحسان إلهي ظهير ص167, ط/الأولى 1409هـ, إدارة ترجمان السنة- لاهور باكستان.

[2] (3) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد محي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي, مؤسس الطريقة القادرية, ولد في جيلان وراء طبرستان سنة 471هـ, ثم انتقل إلى بغداد سنة 488هـ, من أهم مصنفاته: (الغنية لطالب طريق الحق), و(الفتح الرباني), و(فتوح الغيب), و(الفيوضات الربانية), توفي ببغداد سنة 561هـ. انظر: الأعلام 4/47.

والحاصل أن الشـــيطان يتمثل لعبـــاد الله الصـــالحين ويحاول إضلالهم لكن ذلك يـرد بـالعلم الشـرعي والبصـيرة في الـــدين, يقـــول شـــيخ الإســـلام ابن تيميـــة- رحمه اللـــه: "والضـــلال من أهل القبلة يـــرون من يعظمونه إما النبي- صـــلى الله عليه وســـلم- وإما غـــيره من الأنبيـــاء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه وقد يستفتونه ويسـألونه عن أحـاديث فيجيبهم, ومنهم من يخيل إليه أن الحجـــرة قد انشـــقت وخرج منها النبي وعانقه هو وصاحباه, ومنهم من يخيل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيـام وإلى مكـان بعيد, وهذا وأمثاله أعـرف ممن وقع له هـذا وأشـباهه عـددا كثـيرا, وقد حـدثني بما وقع له في ذلك وبما أخـبر به غـيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم, وهذا موجود عند خلق كثـير كما هو موجـود عند النصـارى والمشـركين, لكن كثيرا من الناس يكذب بهـذا, وكثـير منهم إذا صـدق به يظن أنه من الآيات الإلهية, وأن الذي رأى ذلك رآه لصـلاحه ودينه ولم يعلم أنه من الشـــــيطان, وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان, ومن كان أقل علما قـال له ما يعلم أنه مخـالف للشـريعة خلافا ظـاهرا, ومن عنـده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشـريعة ولا مفيـدا فائـدة في دينه, بل يضـــله عن بعض ما كـــان يعرفه, فـــإن هـــذا فعل الشياطين, وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئا فالذي خسـره من دينه أكثر"[1].

ثم وصف الشيخ عبد القادر الجيلاني بـ(غـوث الثقلين) شـرك في الألوهية والربوبية معـا؛ لما في ذلك من اعتقـاد بأن هناك من يستغاث به غـير الله سـبحانه وتعـالى, مع أن الاستغاثة نوع من أنواع العبادة التي لا ينبغي صرفها إلا لله؛ فإنها من حقوقه الخاصة, لا يستحقها غيره سبحانه وتعالى.

---

[1] (1) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام 27/391- 392.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه اللـه: "فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستـحقه
إلا الله فهو غيــاث المســتغيثين, فلا يجــوز لأحد الاســتغاثة بغيره تعالى, لا بملك مقرب ولا بنبي مرسل"[2].

ثانيا: أما مسألة التوسل, فالتوسل بالنبي أو الولي يحتمل أنواعا من التوسل الممنوع, ويختلف الحكم باختلاف هذه الأنواع, وبيان ذلك كالتالي:

النوع الأول: أن يتوسل الإنسان إلى الله في دعائه بجاه نبي أو حرمته أو بركته أو بجاه غيره من الصالحين أو حرمته أو بركته, فيقول مثلا: (اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو حرمته أو بركته أن تعطيني مالا وولدا), فحكم هذا النوع أنه بدعة من جهة؛ لأن التوسل بالجاه والحرمة ونحوهما في الدعاء لم ينقل عن النبي- صلى الله عليه وسلم, والعبادة توقيفية, ولم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله- عليه الصلاة والسلام- ولا عن الصحابة ما يدل على هذا النوع من التوسل, وقد قال عليه الصلاة والسلام: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[3][4].

ومن جهة أخرى فإن هذا النوع من التوسل حكمه شرك أصغر ووسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك

---

[1] (1) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الإمام العلامة الحافظ الحجة فريد العصر بحر العلوم تقي الدين أبو العباس الحراني ثم الدمشقي, ولد بحران سنة 661هـ وقدم دمشق مع والده, كان إماما متبحرا في علوم الديانة صحيح الذهن سريع الإدراك كثير المحاسن موصوفا بفرط الشجاعة والكرم, فارغا عن شهوات المأكل والملبس والجماع, لا لذة له في غير نشر العلم وتدرينه والعمل بمقتضاه, صنف التصانيف البديعة, توفي معتقلا بقلعة دمشق سنة 728هـ وشيعه أمم لا يحصون عددا رحمه الله وغفر له. انظر: تذكرة الحفاظ 4/1496, شذرات الذهب 6/80, معجم الذهبي 1/25.

[2] (2) مجموع الفتاوى 11/437.

[3] (3) سبق تخريجه ص43.

[4] (4) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش 1/505-506, الفتوى رقم (2961).

الأكبر؛ وذلك لما فيه من اعتقاد الداعي بأن الله تعالى جعل التوسل بجاه المخلوق سببا لنيل المطلوب أو دفع المرهوب, مع أن الله لم يجعله سببا؛ فكل من أثبت سببا لم يجعله الله سببا شرعيا ولا قدريا فقد جعل نفسه شريكا مع الله[1].

النوع الثاني: أن يتوسل الداعي بذات نبي من أنبياء الله أو أحد الصالحين, يقصد به الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ وذلك بجعل واسطة بينه وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار, فحكم هذا النوع أنه شرك أكبر؛ وذلك لما يأتي:

1- أن الداعي جعل ما ليس بسبب سببا مع اعتقاد أن هذا السبب يستقل بالتأثير بدون مشيئة الله تعالى, كحال المشركين الأوائل الذين بعث فيهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعباد الأصنام الذين يعتقدون أنها تنفع وتضر استقلالا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما إذا لم نتوسل إليه سبحانه بدعائهم- أي الأنبياء والصالحين- ولا بأعمالنا, ولكن توسلنا بنفس ذواتهم, لم يكن نفس ذواتهم سببا يقتضي إجابة دعائنا, فكنا متوسلين بغير وسيلة؛ ولهذا لم يكن هذا منقولا عن النبي- صلى الله عليه وسلم- نقلا صحيحا, ولا مشهورا عن السلف"[2].

2- أن الله جل وعلا أنـزل كتبه وأرسل رسـله لإبطـال هذا التوسل والتحذير منه, قال تعالى: [illegible] (الإسراء: 56, 57).

---

(1) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد باب من الشرك لبس الحلقة (ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص24-25), القول المفيد على كتاب التوحيد 1/164- 165.

(2) مجموع الفتاوى 1/337.

3- ما في هـذا النـوع من التوسل من الـدعاء الصـريح لغير الله, ودعاء غير الله شرك أكبر, قال تعالى: [illegible] (المؤمنون: 117), وقال تعالى: [illegible] (الأحقاف:5).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "... لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور... الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سببا إلا أن تكون مشروعة؛ فإن العبادات مبناها على التوقيف, فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره, وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه"[1].

النوع الثالث: أن يتوسل العبد إلى الله ويسأل حاجته مقسما على الله بنبي أو ولي أو بحق نبي أو ولي, ويقول مثلا: اللهم إني أقسمت عليك بفلان أو بحق فلان أن تقضي حاجتي.

فالإقسام بالمخلوق على الله محرم؛ وذلك لما يأتي:

1- ما ورد من الأدلة الدالة على أن الحلف بالمخلوق شرك, فيكون الإقسام بالمخلوق على الله جل وعلا على سبيل التوسل أشد تحريما؛ لما فيه من التقرب إلى الله تعالى بالشرك به[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكل ما كان واجبا أو مستحبا في العبادات والأدعية فلا بد أن يشرعه النبي- صلى الله عليه وسلم- لأمته, فإذا لم يشرع هذا لأمته لم يكن واجبا ولا مستحبا, ولا يكون قربة وطاعة, ولا سببا لإجابة الدعاء[3].

---

1 (1) مجموع الفتاوى 1/137.

2 (2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص229, ط/الرابعة 1391هـ, المكتب الإسلامي- بيروت, التجانية ص163.

3 (3) مجموع الفتاوى 1/287.

2- أنه لا حق لمخلوق على الخالق بمجرد طاعته له سبحانه وتعالى حتى يقسم به على الله أو يتوسل به[1].

ثالثا: أما تفسير كلمة الإحسان بأن المقصود بها التصوف فلم يفسرها أحد من علماء السلف- فيما أعلم- بهذا المعنى, وإنما فسروه بإتقان العبادة بإخلاصها لله تعالى والخشوع فيها.

قال الشوكاني[2] رحمه الله في تفسير قوله تعالى: .. (لقمان:22), قال: "في أعماله, لأن العبادة من غير إحسان لها ولا معرفة بما يحتاج إليه فيها لا تقع بالموقع الذي تقع به عبادة المحسنين"[3].

وقال الإمام ابن كثير[4] رحمه الله في تفسير الآية السابقة: "أي في عمله باتباع ما به أمر, وترك ما عنه نهي"[5].

---

1 (1) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء 1/500, الفتوى رقم (1328).

2 (2) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني الحافظ العلامة الشهير بالشوكاني, له مؤلفات كثيرة جدا منها فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير, وتوفي سنة 1250هـ.
انظر: كشف الظنون 6/365, معجم المؤلفين 11/53.

3 (3) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني 4/301, تصحيح أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية- بيروت.

4 (4) هو الإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي أبو الفداء, حافظ مؤرخ فقيه مفسر, ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة 701هـ وتوفي في دمشق سنة 774هـ.
انظر: الأعلام 1/320, طبقات الحفاظ 1/534, ذيل تذكرة الحفاظ 1/57.

5 (5) تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي 3/2202, ط الخامسة 1421هـ مكتبة دار السلام- الرياض.

ويقول الحافظ ابن حجر[1] رحمه الله في شرحه لحديث جبريل الذي سأل فيه النبيَّ- صلى الله عليه وسلم عن الإحسان[2]:

"قوله: الإحسان هو مصدر, تقول: أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسانا, ويتعدى بنفسه وبغيره, تقول: أحسنتُ كذا إذا أتقنته, وأحسنتُ إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع, والأول هو المراد؛ لأن المقصود إتقان العبادة, وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلا محسن بإخلاصه إلى نفسه, وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود, وأشار في الجواب إلى حالتين أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله: كأنك تراه أي وهو يراك, والثانية أن يستحضر أن الحق مُطَّلِع عليه, يرى كل ما يعمل, وهو قوله: فإنه يراك. وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته, وقد عبر في رواية عمارة بن القعقاع بقوله: أن تخشى الله كأنك تراه, وكذا في حديث أنس. وقال النووي: معناه إنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك, فأحسن عبادته وإن لم تره, فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك"[3].

---

1 (6) هو الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الأصل, ثم المصري الشافعي, كان إماما في الحديث وعلومه, وله فيه مصنفات باهرة زادت على مائة وخمسين ومعظمها في الحديث والتاريخ والأدب والفقه, توفي سنة 852هـ. انظر: الأعلام 1/178, معجم المؤلفين 2/20.

2 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الإيمان- باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلم الساعة- ص6 برقم (50), ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله...- ص 681 برقم (9) عن أبي هريرة.

3 (2) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني 1/120, دار المعرفة- بيروت 1379هـ.

وقال الإمام النووي[1] رحمه الله في شرحه لمعنى الإحسان: " فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك, وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء مـن

النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه في سره وعلانيته"[2].

بل الذي تقرر في تفسير كلمة الإحسان في الآيات القرآنية وفي حديث جبريل المذكور يعارض ما ذهب إليه بعض المتصوفة بزعمهم, قال ابن حجر:

"وأقدم بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علم فقال: فيه إشارة إلى مقام المحو والفناء, وتقديره فإن لم تكن أي: فإن لم تصر شيئا وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فإنك حينئذ تراه. وغفل قائل هذا- للجهل بالعربية- عن أنه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الألف؛ لأنه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط, ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف, ومن ادعى أن إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس فلا يصار إليه؛ إذ لا ضرورة هنا. وأيضا فلو كان ما ادعاه صحيحا لكان قوله: فإنه يراك ضائعا؛ لأنه لا ارتباط له بما قبله, ومما يفسد تأويله رواية كهمس فإن لفظها: فإنك إن لا تراه فإنه يراك, وكذلك في رواية سليمان التيمي فسلط النفي على الرؤية لا على الكون الذي حمل على ارتكاب التأويل المذكور, وفي رواية أبي

[1] (3) هو الإمام محي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي, فقيه محدث حافظ, صاحب التصانيف النافعة, ولد في سنة 631هـ, كان أوحد زمانه في العلم والورع والعبادة, وكان لا يخاف لومة لائم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, توفي سنة 677هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ 4/1470, العبر في خبر من غبر 5/312, ومعجم المؤلفين 13/202.

[2] (1) شرح النووي على صحيح مسلم للإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف بن مري النووي 1/158, ط الثانية 1392هـ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

فروة: فإن لم تره فإنه يراك, ونحوه في حديث أنس وابن عباس, وكل هذا يبطل التأويل المتقدم, والله أعلم"[1].

وختاما, إني وجدت نفسي متحيرا أمام طريقة التوفيق بين هـذه الجهـود الـتي لا تنكر في سـبيل الـدعوة إلى الله وجهاد أعدائه ومحاربة البدع والخرافـات, وبين تلك الأقـوال الـتي توقع قائلها في البـدع والخرافـات في نفس الـوقت, فـالمخرج الوحيد الـذي أراه للشـيخ حسب اطلاعي على بعض كتبه وحسب معرفتي لما بقي من آثـار جهـاده هو أن يعتـذر له كما يعـذر كثـير من العلمـاء والعبـاد, بل والأمـراء فيما أحدثوه لنوع اجتهاد, فـإن كثـيرا "من مجتهدي السـلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة, ولم يعلمـوا أنه بدعة, إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة, وإما لآيـات فهمـوا منها ما لم يرد منها, وإما لـرأى رأوه, وفي المسـألة نصـوص لم تبلغهم, وإذا اتقى الرجل ربه ما اسـتطاع دخل في قوله تعالى: [illegible] (البقرة: 286), وفي الصحيح أن الله قال: (قد فعلت)[2]"[3].

وقد اعتذر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لبعض أهل الفضل والصلاح مع ما حصل منهم من الأخطاء فقال: "لكن شيوخ أهل العلم الذين لهم لسان صدق, وإن وقع في كلام بعضهم ما هو خطأ منكر, فأصل الإيمان بالله ورسوله إذا كان ثابتا, غفر لأحدهم خطأه الذي أخطأه بعد اجتهاده"[4].

وقال معللا عدم تأثيم المجتهد إذا أخطأ في مسائل أصولية أو فرعية: "ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق, ولا يستحق الوعيد إلا من ترك مأمورا أو فعل

---

1 (2) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 1/120.

2 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر...- ص699 برقم (126) عن ابن عباس.

3 (2) مجموع الفتاوى 19/191-192.

4 (3) الصفدية تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس 1/265, تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم, الطبعة الثانية 1406هـ.

محظورا, وهذا هو قول الفقهاء والأئمة, وهو القول المعروف عن سلف الأمة, وقول جمهور المسلمين"[1].

ومما يُقوّي أحقية الاعتذار للشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في المسائل التي جانب الصواب فيها ما يأتي:

أ- البيئة التي نشأ فيها الشيخ, والمشايخ الذين تلقى عنهم العلم, حيث إن جميع هؤلاء المشايخ من علماء بلاده الفلانيين والهوساويين والبرناويين, وأكثرهم من مشايخ الصوفية[2].

ب- أنه اعتبر التصوف من باب الزيادة في التقرب إلى الله تعالى[3], وقد أتي كما أتي غيره من قبل الخلل في مصادر التلقي, فأخطأ في اجتهاده.

ج- عدم وجود علماء أهل السنة الخلص الذين يمكن أن تكون بينهم وبين الشيخ مناقشات حول القضايا الاعتقادية التي أخطأ فيها حتى تقوم الحجة, ولا يحكم على من وقع في بدعة أنه من أهل الأهواء إلا إذا دافع عن ما ابتدعه, ووالى عليه وعادى عليه, وجعله قولا يفارق به جماعة المسلمين.

يقول شيخ الإسلام: "ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولا يفارقون به جماعة المسلمين, يوالون عليه ويعادون, كان من نوع الخطأ, والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك, ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها, لهم مقالات قالوها باجتهاد, وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة, بخلاف من والى مُوافِقَه, وعادى مخالفه, وفرق بين جماعة المسلمين, وكفّر وفسّق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات, واستحل قتال مخالفه دون موافقه, فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات"[4].

---

1 (4) مجموع الفتاوى 19/213, منهاج السنة النبوية 5/98.

2 (5) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص94.

3 (6) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري ص66, الطبعة الأولى 1299هـ- 1979م, مطبعة الأمانة- القاهرة.

4 (1) مجموع الفتاوى 3/349.

د- ولو فرضنا أن الشيخ عثمان بن فودي قد جانب الصواب في أكثر مسائل الدين التي تناولها, وارتكب بدعا منكرة, لكان من الإنصاف ذكر ما له من محامد وإظهار ما عليه من مذام, وقبول ما عنده من حق, ورد ما عنده من باطل؛ إذ ذاك سبيل الأمة الوسط, وكيف فقد كثرت حسناته حيث حارب كثيرا من البدع والشركيات المنتشرة في مجتمعه في زمنه, وحاول- قدر استطاعته- إعادة المسلمين إلى التمسك بالدين الصحيح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع, وهو أن المؤمن يستحق وعد الله وفضله والثواب على حسناته, ويستحق العقاب على سيئاته, وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه, وما يحمد عليه وما يذم عليه, وما يحب منه وما يبغض منه"[1].

ويقول رحمه الله في موضع آخر مؤكدا على أن هذا هو المنهج الصواب: "والصواب أن يحمد من حال كل قوم ما حمده الله ورسوله, كما جاء به الكتاب والسنة, ويذم من حال كل قوم ما ذمه الله ورسوله, كما جاء به الكتاب والسنة"[2].

ونحن إذ نعتذر للشيخ عثمان بن فودي فإننا لم نقل بإقراره على ما ظهر منه من البدع, ولا إباحة اتباعه على ذلك, وإنما نقول بأنه يجب الإنكار عليه فيما يسوغ إنكاره مع مراعاة الأدب في ذلك, فكل ما يؤخذ على الشيخ من أقواله في بعض المسائل التي تناولها يجب رده إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ومنهج السلف للوقوف على الصواب فيه. والله ولي التوفيق.

---

1 (2) المرجع السابق 11/16.

2 (3) الاستقامة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني 1/221, تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم, الطبعة الأولى 1403هـ, جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة النبوية.

الفصل الثاني
الشيخ أبو بكر محمود غومي- رحمه الله

المبحث الأول
حياته الشخصية والعلمية

أ- حياته الشخصية

نسبه ومولده:

هو أبو بكر بن محمود غومي بن أحمد بن الشيخ علي بارو البدوي.

ولد في قرية (غومي) في إمارة سوكوتو (ولاية سوكوتو النيجيرية حاليا) في آخر جمعة من شهر رمضان عام 1344هـ الموافق 7 من نوفمبر عام 1924م[1].

---

[1] (1) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري ص84, الطبعة الأولى 1405هـ- 1985م, مطابع المختار الإسلامي, وانظر: WHERE I STAND حوار مع الشيخ أبو بكر محمود غومي في سيرته أجراه الكاتب إسماعيل تسيغا مطابع SPECTRUM- (كادونا), نيجيريا 1992م.

موطنه ونشأته:

كان جده من العرب البدو الذين كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر بحثا عن العشب لأبقارهم, وقد هاجر إلى مدينة (سوكوتو) لمواصلة عمله الذي كان يمارسه من قبل وهو تعليم الناس أمور دينهم.

نشأ الشيخ أبو بكر في كنف والده الشيخ محمود الذي كان أعلم وأشهر علماء زمانه في مدينة (سوكوتو) وما حولها؛ ولذلك غلب لقب (ملام) بمعنى معلم على اسمه الأول ولا يكاد يعرفه الناس باسمه محمود, حتى صار لا يناديه الناس من خارج بلدته (غومي) إلا بـ (ملام نا غومي) أي معلم من غومي[1].

أولاده[2]:

تزوج الشيخ أبو بكر محمود غومي أربع زوجات, وأثمر الزواج المبارك بإنجاب تسعة وعشرين ولدا له, ذكورا وإناثا.

فمن أولاده الذكور: حمزة, عبد القادر, عبد العزيز, حسن, يوسف, عباس, أحمد, إبراهيم, عثمان, علي, عبد الرحمن, أبو بكر.

ومن الإناث: خديجة, أم الخير, عائشة, حفصة, حواء, بركة, مريم, زبيدة, أسماء, سعدية.

وقد وفق الله الشيخ أبا بكر في تربية أولاده, فلا يكاد يوجد فيهم من ليس له إلمام بالعلوم الإسلامية بالإضافة إلى تخصصاتهم في ميادين العلوم المختلفة, فمنهم أطباء, ومهندسون, ومحامون, ومحاضرون في الجامعات, وموظفون في الدوائر الحكومية, كما له أولاد في الجيش النيجيري. ففي ذلك يقول عن نفسه: "لا تكاد توجد مهنة من المهن إلا وفيها ممثل من أفراد أسرتي"[3].

ومن أكبر أولاده الدكتور حمزة أبو بكر غومي وهو طبيب يعمل حاليا مع وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية, وأحمد أبو بكر غومي كان في الجيش النيجيري

---

1 (2) انظر: WHERE I STAND للكاتب إسماعيل تسيغا ص2.

2 (3) انظر: المرجع السابق ص202.

3 (1) انظر: WHERE I STAND للكاتب إسماعيل تسيغا ص202.

سابقا, وهو الآن يحضر دكتوراه في جامعة أم القرى بمكة المكرمة وهو خليفة الشيخ بعد وفاته.

وفاته:

بعد سنوات عدة في سبيل الدعوة إلى الله عبر وسائل مختلفة, وبعد جهاد طويل في ميدان القضاء لتقرير العدل, وبعد الدخول في حرب ضروس مع أهل البدع رغبة في إخراج الناس من حلكة الظلام إلى نور القرآن توفي الشيخ أبو بكر محمود غومي في 11 من شهر سبتمبر عام 1992م رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

ب- حياته العلمية

طلبه للعلم:

تلقى الشيخ أبو بكر غومي تعليمه الابتدائي من والده الذي كان قاضيا في تلك القرية, وفي عام 1933م التحق بالمدرسة الوسطى في سوكوتو حيث أخذ مبادئ الإنجليزية والعربية, وبعد تخرجه من هناك التحق بمدرسة الشريعة بمدينة كانو, مكث فيها أربع سنوات يتدرب ليتخرج قاضيا ثم رجع إلى مدينته سوكوتو عام 1947م, وكان من الطليعة الأولى التي أنجبتها المدرسة ومن الذين أكملوا تعليمهم في معهد التربية بمدينة (بخت الرضا) بالسودان العربي الشرقي[1].

شيوخه:

لم تكن طريقة الشيخ أبي بكر محمود غومي مثل طريقة غيره في تلقي العلم ولعل ذلك مما ميزه عن بقية المشايخ الذين أبرزت جهودهم في محاربة الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية في المجتمع النيجيري, فلم أعثر عليه قط- حسب اطلاعي- أنه تلقى العلم على يد بعض المشايخ الصوفية, بل كان أكثر دراسته نظامية.

فقد تلقى التعليم الابتدائي من والده الذي يعد من علماء البلاد والذي تولى القضاء فيما بعد في بلدته (غومي), وعلى يديه حفظ القرآن وأخذ مبادئ اللغة العربية, ثم التحق بالمدرسة الوسطى حيث درس الإنجليزية والعربية معا, ثم التحق بمدرسة الشريعة بمدينة

---

[1] (1) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص84.

(كانو), وحين جاء نظام الابتعاث كان ممن اختيروا للدراسة في السودان فحصل على الدبلوم من هناك[1].

تلاميذه:

للشيخ أبي بكر محمود غومي تلاميذ كثيرون نذكر منهم: ملام إبراهيم طاهر من (كاشنه), ملام ريان, ملام محمد دنبرني, ملام محمد إدريس من (زاريا), العقيد عثمان جبرين, الحاج محمد علي كايتا[2].

أعماله ومكانته العلمية:

عمل الشيخ أبو بكر محمود غومي في مجال التعليم برهة من الزمن ثم انتقل إلى ميدان القضاء وشغل منصب نائب قاضي قضاة الشرعيين ثم قاضي قضاة المنطقة الشمالية كلها ولقب بالقاضي الكبير.

مكث في هذا المنصب منذ عهد الاستقلال سنة 1960م إلى عهد جنرال مرتضى محمد[3] سنة 1976م حينما أحيل إلى المعاش وصار متفرغا لعمل الدعوة تحت

---

[1] (2) المرجع السابق ص84, وانظر: جريدة عكاظ العدد (9349) 23 من شعبان 1412هـ ص10, تحت عنوان "الشيخ (جومي) عالم نيجيريا: التعليم الصناعي ضرورة لتقدمنا", أجرى الحوار: محمد عبده عداوي.

[2] (3) انظر: WHERE I STAND للكاتب إسماعيل تسيغا ص136, 139, 141, 153.

[3] (1) هو العميد مرتضى رحمة محمد الرئيس العسكري لجمهورية نيجيريا الاتحادية من شهر يوليو عام 1975م إلى شهر فبراير عام 1976م, قام ببرامج إصلاحية مختلفة في عهده لإصلاح الوضع الاقتصادي والأمني وتوزيع الثروات فعم الرخاء أرجاء البلاد, وضع الخطة لنقل عاصمة نيجيريا من مدينة (لاغوس) الساحلية إلى مدينة (أبوجا) في وسط البلاد, اغتيل في انقلاب عسكري في عام 1976م رحمه الله, وكان من أفضل رؤساء نيجيريا. انظر: Encarta Encyclopedia Deluxe 2004

إطار جماعة نصر الإسلام التي أنشأها السيد أحمد بللو[4] عام 1964م وكانت أول جمعية دينية في شمال نيجيريا.

وللشيخ أبي بكر غومي مؤلفات في فنون مختلفة من العلوم الإسلامية باللغتين: العربية والهوساوية, وأشهر مؤلفاته كتاب"العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة", الذي أثار ضجة كبيرة في صفوف المشايخ المتصوفة في نيجيريا كلها, وسبب ذلك أن الشيخ غومي استهدفهم بالكتاب حيث تناول فيه بالتفصيل المسائل العقدية التي أخطأ فيها هؤلاء الناس مثل: مفهوم الولاية والإيمان, والاعتقاد بأن النبي- صلى الله عليه وسلم- ينفع ويضر بعد موته فيجوز الاستغاثة به, وأنواع البدع الأخرى التي أحدثوها في باب الذكر مثل الأوراد المحدثة والرقص الشديد أثناء الذكر وغير ذلك.

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري في وصفه للجو المتكدر الذي أحدثه كتاب العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة بين مؤلفه الشيخ أبي بكر غومي ومشايخ الصوفية: "كان الجو كله بينه وبين العلماء هادئا وسلاما إلى أن أخرج كتابه المسمى العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة, هجم فيه على مشايخ الطريقة القادرية والتجانية المعاصرين له في نيجيريا وانتقد ما في كتاب الفيوضات الربانية من كتب القادرية وما في جواهر المعاني من كتب التجانية واعترض على الشطحات الصوفية وكفّرهم بها, فقام أولئك برد الفعل العنيف"[1].

وفي الحقيقة كانت ردود الأفعال من قبل هؤلاء عنيفة جدا, حيث ظهر في الرد على الشيخ غومي كتاب "النصيحة

---

4 (2) هو السيد الحاج أحمد بللو, من أحفاد الشيخ عثمان بن فودي, أول رئيس وزراء شمال نيجيريا, كان عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ورئيس جمعية نصر الإسلام في شمال نيجيريا, نذر نفسه لنشر الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية مضحيا بكل غال وثمين في سبيل إرضاء الله, قتل شهيدا على يد ضابط في الجيش النيجيري في 24من شهر رمضان عام1385هـ الموافق 15 من يناير عام 1966م- رحمه الله. انظر: مجلة الأزهر العدد 1 محرم 1408هـ/ سبتمبر 1987م, ص49- 53 بحث (سياسي موفق وداعية ناجح) الأستاذ عبد الحكم عبد القوي حسن.

1 (1) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص85.

الصريحة في الرد على العقيدة الصحيحة" للشيخ محمد الناصر الكبرى القادري, وكتاب "المنح الحميدة في الرد على فاسد العقيدة" للشيخ محمد الثاني ابن الحسن الكافنغي, وغير ذلك من الكتب التي ألفت نتيجة غضب المشايخ المتصوفة.

ومن مؤلفات الشيخ أبي بكر غومي باللغة العربية[1]:

- الاقتصاد في الإسلام.
- الاقتصاد العصري: المعاملة مع البنك.
- نور الإسلام.
- حل النزاع في مسألة نزول عيسى بن مريم- عليه الصلاة والسلام.
- تفسير القرآن الكريم تحت عنوان: رد الأذهان إلى معاني القرآن.
- الورد العظيم.

هذا, بالإضافة إلى قصائد عديدة باللغة العربية في موضوعات شتى, كما له ترجمة لمعاني القرآن الكريم وكتب أخرى بلغة الهوسا.

ومما فاق الشيخ أبو بكر غومي أقرانه ومعاصريه من العلماء فيه أنه أجاد وأتقن اللغة الإنجليزية التي هي اللغة الرسمية في نيجيريا إضافة إلي لغة أمه الهوساوية, وبذلك استطاع أن يوصل دعوته إلى أشراف القوم من أصحاب الثقافة الغربية, فكان له برنامج إذاعي في إذاعة (كادونا) يلقي فيه المحاضرات, كما له دروس ومحاضرات أخرى مسجلة على الأشرطة في موضوعات تمس إليها حاجة المجتمع.

يقول الباحث محمد الثاني عمر موسى[2]: "الشيخ أبو بكر محمود جومي رحمه الله, رائد الدعوة السلفية في بلاد

---

[1] (2) POLEMICAL LITERATURE FOR AND AGAINST SUFISM P:552-554.

[2] (3) هو محمد الثاني عمر موسى, باحث نيجيري من مدينة "كانو", درس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية, أخذ الدكتوراه في الحديث وعلومه في الجامعة, تخرج سنة 1426هـ, وهو الآن في العقد الخامس من عمره.
انظر: قراءات إفريقية مجلة ثقافية متخصصة في شؤون القارة الإفريقية, العدد الأول رمضان 1425هـ, ص32.

الهوسا وما جاورها, فقد كان لدروسه في ترجمة (صحيح البخاري) إلى لغة الهوسا, التي كانت تبث في كبرى إذاعة في شمال نيجيريا, وهي إذاعة (كادونا) الفيدرالية, قد كان لها أكبر أثر في إحياء السنة المحمدية, ومحاربة بدع الصوفية التي عمت ربوع بلاد الهوسا قبل بزوغ دعوة هذا الشيخ"[1].

ومن أعماله الذي لا ينبغي التغافل عنه رئاسته لـ "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة", التي تعتبر إلى الآن أكثر الجمعيات الإسلامية انتشارا ومن أشدها تمسكا بمنهج أهل السنة والجماعة إلا أن أغلب أعضائها من قبيلة الهوسا والفلاته, وهي لا تزال تعمل إلى الآن في ساحة الدعوة وتضم إلى كنفه أناسا من طبقات المجتمع المختلفة من المدنيين, والعسكريين, والعلماء, ورجال الأعمال, وأصحاب المراكز العليا في الدولة.

أما مكانته العلمية فقد بلغ درجة القاضي الكبير, حينما عمل في القضاء, وكان مستشارا دينيا للسيد أحمد بللو في حياته, وكان محترما عند جميع علماء بلاد هوسا أيام أحمد, ولما أنشئ مجلس الشورى للشؤون الدينية في شمال نيجيريا شغل الشيخ أبو بكر غومي منصب المدير العام للمجلس[2].

وفي عام 1976م عين مفتي البلاد الأكبر, وشارك السيد أحمد بللو في إنشاء منظمة جماعة نصر الإسلام, كما كان عضوا في المجلس الأعلى العالمي لشؤون المساجد, وعضوا في المجمع الفقهي في مكة, وعضوا في مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة, وعضوا في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة ثلاث مرات, وعضوا مؤسسا لجامعة أحمد بللو بنيجيريا, وعضوا في مجلس كبار العلماء في نيجيريا, وعضوا مؤسسا لرابطة العالم الإسلامي, ورئيس مجلس مركز التعليم التربوي[3].

---

1 (1) انظر: قضايا السنة النبوية والاهتمام بها في لغة الهوسا, بحث قدمه محمد الثاني عمر في ندوة عقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة, ص16.

2 (2) انظر: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص84-85.

3 (3) انظر: جريدة المسائية, عدد 3965 رمضان 1415هـ ص2, تحت

وبسبب قلمه الذي يجاهد به في التأليف والتصنيف على منهج أهل السنة والجماعة فقد فاز الشيخ أبو بكر غومي بجائزة الملك فيصل في خدمة الإسلام, فتشرف بالسفر إلى المملكة لتسلم الجائزة وذلك عام 1407هـ[1].
كما يجدر بالذكر أن السيد أحمد بللو منحه وساما ذهبيا أمام الجماهير تكريما له, ثم أعطته حكومة نيجيريا الفيدرالية وسام الشرف الأعلى, كل ذلك بفضل الله تعالى ثم بجهوده الجبارة في نصر السنة المحمدية ونشر العقيدة السلفية الصحيحة بكل صدق وإخلاص.

المبحث الثاني

عنوان (للنجاح كلمة).

[1] (1) انظر: جريدة عكاظ, عدد 7559 رجب 1407هـ ص10, تحت عنوان: (جائزة الملك فيصل العالمية).

جهوده في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه

أ- أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه:

من بين العلماء النيجيريين الذين أبرزت جهودهم في هذا البحث يعتبر الشيخ أبو بكر محمود غومي أشدهم تمسكا بمنهج أهل السنة والجماعة في دحض البدع وتبيين ضلال المبتدعين, وقد لوحظ ذلك في كتاباته وأثناء عرضه لمسائل عقدية عبر وسائل مختلفة كالبرامج الإذاعية والمحاضرات العامة, ومما يشهد لهذا القول التهم التي ألحقت به من قبل بعض العلماء المعارضين له أنه يحدث التفرقة بين المسلمين ويتخذ منهجا سلبيا في دعوته.

وتتخلص الأساليب التي استخدمها الشيخ أبو بكر غومي في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه في النقاط التالية:

1- التأليف والتصنيف:

لم تكن مؤلفات الشيخ غومي كثيرة بل يمكن تعدادها بالأصابع مع أن أغلبها عبارة عن رسائل إما باللغة العربية أو الهوساوية, فكان أشهر كتبه العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة وهو أهم كتاب تناول فيه المسائل العقدية مثل: مفهوم الإيمان, ومعنى النبوة والرسالة والولاية, كما ذكر بعض البدع التي أحدثت في باب الذكر عند مشايخ الصوفية ومريديهم مثل: رفع الصوت بالذكر, والرقص الشديد عند ذلك, وشطحات أخرى يتعبد الله بها المتصوفة.

ومن أهم كتبه أيضا ترجمة القرآن الكريم إلى اللغتين: العربية والهوساوية سماها (رد الأذهان إلى معاني القرآن), وقصده في القيام بهذه الترجمة

محاولة تقريب معاني الكتاب الحكيم إلى أفهام العامة المتحدثين بلغة الهوسا, الذين يقدرون بالملايين ليس في نيجيريا وحدها بل حتى في البلدان المجاورة لها, كما يستهدف بها التحذير مما يقع فيه علماء بلده من مخالفة منهج السلف الصالح في الترجمة.

2- التدريس وإلقاء المحاضرات:

لما أدرك الشيخ أبو بكر غومي أهمية التدريس وإلقاء المحاضرات في نشر العقيدة السلفية الصحيحة اهتم بهما كثيرا, فأخذ على نفسه العهد أن يربي الأجيال القادمة حتى ترسخ في قلوبهم العقيدة السلفية؛ ليكون ذلك سبيلا من سبل القضاء على البدع المتعددة الناتجة من خلط العادات والتقاليد الموروثة بالدين الصحيح في مجتمعه.

فقد استهدف الشيخ بالدروس شباب قومه على وجه الخصوص كما استهدف عامة الناس بالمحاضرات التي تكون في مسجده أحيانا وتُبث في إذاعة (كادونا) أحيانا أخرى. ومما أعان الشيخ على إلقاء المحاضرات في الإذاعة إجادته للغة الإنجليزية, فيستمع إلى برامجه الإذاعية الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية من المجتمع, مما أدى إلى تسجيل كثير من محاضراته في الأشرطة تباع هنا وهناك في المحلات, وهذا هو العامل الرئيسي المساعد للشيخ غومي على انضمام الكثير من جميع أصناف المجتمع النيجيري إلى الجمعية التي كان رئيسا ومرشدا لها وهي: "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة".

ومن أهم ما يذكر من دروس الشيخ غــومي درسه في صحيح البخاري, يقول الباحث محمد الثاني عمر:

[وقد بـــدأ الشّـــيخ أبو بكر جـــومي رحمه الله بإلقـــاء الـدّروس العِلمِيَّة في جـامع السّـلطان بللو الّـذي في ولاية (كادونا) عام 1381هــ الموافق 1961م في عهد أحمد بللو أوّل رئيس وزراء شــمال نيجيريا رحمه الله تعـالى، وكـانت الدّروس تُقـام في عهـده في أيّـام شـهر رمضـان المبـارك. وفي عــام 1971م زاد الشّــيخ على دروسه بهــذا الجــامع دروساً في مساء كلّ يـوم الجمعة ويـوم الأحـد، ثمّ تحـولت

فيما بعد إلى يَومي السّبت والأحد مسـاءً، ومن ضـمن هـذه الـدّروس درسُـه في صـحيح البخـاري في لغة الهوسا الّـذي يُقام في سبت كـلّ أسـبوع من السّـاعة 4,30 إلى السّـاعة 6,00 مساءاً، ويبث بعد ذلك في إذاعة (كادونا).

وكـان لهـذا الـدّرس أَثَـرٌ كبـير في معالجة قضـايا دينيّة كثيرة، فقد كان الشّيخ رحمه الله يَسعى جاهداً في محاولة تقـريب نصـوص هـذا الكتـاب إلى أفهـام العامّـة، مع ربطها بِواقعهم الدِّيني واستنباط أحكامٍ شـرعيَّةٍ وآدابٍ مرعيَّةٍ من خلال أحاديثـه، والتّحـذير مما يقع فيه كثـير من المسـلمين ومنهم علماؤهم من مخالفة هدي رسول الله ﷺ. وقد جَذَبَتْ هـذه الـدّروس شـريحةً عريضــةً من المجتمـع، واسـتطاع الشَّيخ بفضل الله أن يَخـترق الحـواجز الّـتي وضـعها علمـاءُ الصّوفية لإقصاءِ أتباعهم عن سَماع الحق ودعوة السُّــنَّة؛ إذ أصــبح هــذا الــدّرس يــدخل بيــوتهم من خلال تلك الإذاعة الشّـهيرة الواسِـعَةِ الانتشـارِ، فكـان ذلك بفضل الله تعـالى عـاملاً كبـيراً في نجـاح دعـوة الشّـيخ رحمه الله وتحقيق انتصــارات كبـيرةٍ في حَربه ضــدّ بــدع الصــوفيّة والتّقاليد المخالفـةِ لشـرع الله تعـالى. وما زالت هـذه الـدّروس تُبثّ في تلك الإذاعة رَغْم رَحِيل الشَّيخ عن هذه الحياة بأكثر من إحدى عشر سنة، وهذا مصداقٌ لقوله تعالى: [illegible] (الرعد :17)، وقد صدَق أحدُ زعمـاء الصّـوفيّة وأكـبرُ مُنَـاوِئِي دعـوةِ الشَّـيخ حيثُ قـال: " ذهب الشَّــيخُ إلى ربِّه، لكنَّ شَــبَحَه ما زال يُطاردنا " في الإشــارة إلى دروسه الــتي اســتمرّ بثُّها في إذاعة كادونا الفيدراليّة][1].

3- رئاسة الجمعية بالتوجيه والإرشاد:

مساندة لجهوده في نشر العقيدة السلفية الصحيحة والدعوة إليها ومحاربة البدع من جهة, ومن أجل تقوية جماعة المسلمين وحماية بيضة الإسلام من جهة أخرى

---

1 (1) قضايا السنة النبوية والاهتمام بها في لغة الهوسا للباحث النيجيري محمد الثاني عمر ص16-17.

وافق الشيخ أبو بكر غومي أن يكون رئيسا ومرشدا لجمعية إسلامية دعوية لما رأى أنها ستعينه هو وأنصاره على تحقيق هذه الأهداف النبيلة وذلك بعد الطلب إليه من قبل بعض الشباب الغيورين على دينهم وعلى رأسهم ملام بلا سراج, وملام إسماعيل إدريس, فأطلق الشيخ أبو بكر غومي على الجماعة: "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة", وفي الحقيقة ليس هو صاحب فكرة إنشاء تلك الجماعة وإنما دعي لتولي رئاستها للإرشاد والتوجيه؛ إذ لا يوجد من هو أنسب منه لتولي هذا المنصب من بين علماء المنطقة الشمالية في ذلك الوقت[1].

وقد عرف أعضاء هذه الجماعة بشدة تمسكهم بمنهج السلف الصالح في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع والتقاليد الممقوتة, هذا بالإضافة إلى ما منحهم الله من القدرة على ضم فئات مختلفة من المجتمع في حوزة الجماعة, ويرجع ذلك إلى فضل من الله أولا ثم جهود رئيسها الجبارة في إيصال دعوته إلى من يسمون بالطبقة المثقفة في المجتمع.

4- المناظرات والمناقشات:

من الطرق التي سلكها الشيخ أبو بكر غومي في محاربة الانحرافات وبيان المنهج الصحيح لبني قومه طريقة المناظرات والمناقشات, وقد أخذ على نفسه العهد ليبين الحق للناس لما رأى ما عليه المشايخ المتصوفة من ادعاء تلقي أدعية وأوراد خاصة بهم من النبي- صلى الله عليه وسلم- يلزمون بها مريديهم, وتعبدهم إلى الله بالرقص أثناء الذكر, وغير ذلك مما قد عرف به القوم من الخرافات والبدع.

فعزم الشيخ أبو بكر على أن يبين الحق لرؤساء الصوفية لعلهم يدركون الصواب فيرجعون, وقد التقى بهم على طاولة المناظرة أكثر من مرة, وكان يحتج على باطلهم بحجج من كتبهم ويبين لهم الصواب بأدلة من الكتاب والسنة, لكنهم في كل هذه الملتقيات حاولوا اغتيال الشيخ والقضاء عليه عن طريق مريديهم الذين يكنون

---

1 (1) انظر: WHERE I STAND ص155.

احتراما بالغا لمشايخهم ومستعدون للتضحية حتى بأنفسهم دفاعا عن هؤلاء المشايخ, فقد حاولوا اغتياله أكثر من أربع مرات حتى تابعوه إلى مكة المكرمة في أحد أسفاره لحضور جلسة رابطة العالم الإسلامي لكن الله حفظ الشيخ أبا بكر غومي من كيد الأعداء فما استطاعوا أن يقضوا عليه, وقد أرسلت الحكومة- في فترة من الفترات- أفراد الجيش للحفاظ على الأمن في بيته واستقروا هناك لمدة ثلاثة أشهر.

وكان كتابه المشهور (العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة) نتاج تلك المناظرات التي قد جرت بين الشيخ أبي بكر غومي وبعض أفراد علماء المنطقة من المتصوفة وغيرهم[1].

5- الكتابة في المجلة:

في أواخر عام 1970م بدأ الشيخ أبو بكر غومي الكتابة في مجلة أسبوعية تصدر كل يوم الاثنين اسمها (*Gaskiya ta fi kwabo*) بمعنى (الصدق أثمن من الدينار والدرهم), وهي المجلة الوحيدة التي تصدر بلغة الهوسا, وهي منتشرة ولها القبول لدى الناطقين بهذه اللغة؛ ولذلك قرر الشيخ أبو بكر غومي تخصيص زاوية للكتابة في المجلة بشكل مستمر تحت عنوان (النصيحة).

وقد كان الهدف الأساسي للشيخ أبي بكر في هذا الأمر تنبيه الناس على أشياء يعملونها في حياتهم اليومية دون أن يلقوا لها بالا مع أنها مخالفة تماما لتعاليم الإسلام, وكان أكثرها مما تعوّد عليه الناس قبل الإسلام مثل تقديس أرواح الأسلاف, وإجلال أشياء طبيعية أخرى مثل الأنهار والأشجار والجبال؛ لاعتقاد أن لها تأثيرات في حياة الأفراد[2].

ب- أهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها ودافع عنها:

وعلى الرغم من كون الشيخ أبي بكر محمود غومي أشد تمسكا بمنهج أهل السنة والجماعة من بين العلماء

---

[1] (2) انظر: المرجع السابق ص138-141, 152-153.

[2] (1) انظر: WHERE I STAND ص137.

النيجيريين الثلاثة الذين أبرزت جهودهم في هذا البحث إلا أن مسائل توحيد الألوهية التي قررها في كتبه قليلة جدا, وذلك ناتج عن قلة مؤلفاته؛ إذ كان أشهر مؤلفاته كتاب العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة, وهو الكتاب الوحيد الذي يمكن الرجوع له عند إبراز الجهود التي بذلها في تقرير توحيد الألوهية.

ولم يَعْنِ هذا القول أن الشيخ أبا بكر غومي لم يقرر التوحيد بأنواعه الثلاثة وغيره من المسائل العقدية, بل قرر مسائل عقدية متعددة ودافع عنها لكنه فعل ذلك عبر وسائل أخرى مثل إلقاء الدروس والمحاضرات في الإذاعة والمساجد, والمناظرات والمناقشات, وغير ذلك إلا أن أكثرها لم تطبع كمراجع.

ويمكنني ذكر مسائل توحيد الألوهية التي قررها الشيخ أبو بكر غومي في النقاط التالية:

1- معنى الشهادتين وأنهما أساس الدين:

قال الشيخ أبو بكر في هذا الشأن: "إنما معرفة الدين تعتمد على معرفة معنى كلمتي الشهادة وهما لا إله إلا الله محمد رسول الله. فمعنى لا إله إلا الله هـو:- والله أعلم- لا معبــود بحق إلا اللــه, ومعــنى محمد رســول الله أي تلك العبادة الـتي لا يسـتحقها إلا الله لا تكـون بـرأي وكما يحبها العابد بل هي كما يحبها المعبـــود؛ ولـــذلك أرسل رســـوله محمدا ليعلمنا كيف نعبده. فكل من يريد أن يكون عابدا لله حقا فلا يسـعه إلا أن يتعلم رسـالة محمـد- صـلى الله عليه وسلم- يعمل بها في عبادة ربه الله, الإله, الواحد. وكل من عبد الله بغـير ما جـاء به محمد فلم يعبد الله حقيقـة. قـال الله تعالى: [illegible] (آل عمران:85), ومعلوم أنه لا يكـون إسـلاما إلا ما جـاء به محمـد- صـلى الله عليه وسلم- في حال حياته الشريفة"[1].

---

[1] (1) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة للشيخ أبي بكر محمود غومي ص6-7, دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت 1392هـ.

2- فضائل كلمة التوحيد:

يقول الشيخ أبو بكر غومي في بيان فضائل لا إله إلا الله إذا عظم نورها في قلب المؤمن: [وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته, بحيث أنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنبا إلا أحرقه, وهذه حال الصادق في توحيده, فسماء إيمانه قد حرس بالرجوم من الشيطان السارق, ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي- صلى الله عليه وسلم: "إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"[1], وقوله: "لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله[2]", فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب][3].

3- الدعاء:

من المسائل التي قررها الشيخ أبو بكر مسألة الدعاء, والطريقة التي سلكها في ذلك هي أن يذكر الانحرافات التي يقع فيها الناس مما يتعلق بالدعاء ويقرر أن هذه الأمور من البدع المذمومة وليست مما جاء به الإسلام في شيء, ثم يحلل المسألة المذكورة محتجا بأدلة نقلية وعقلية, وكثيرا ما يورد شبهات المبتدعين ويجيب عنها. مثال ذلك قوله: "ومن البدع المذمومة اتباع شيخ في باطل مع التعصب وذلك كالاستمرار على قراءة الدعاء الذي يسمونه جوهرة الكمال, بعد ما تبين أنها تخالف الشريعة عقلا ونقلا ... فإن هذا الدعاء فيه غموض في المعنى وتعقيد, فلا يشابه كلام النبوة"[4].

كما تحدث عما يفعله بعض المنتسبين للعلم الشـرعي عند الـدعاء وسـؤال الحاجة حيث ينـادي بأسـماء الجن أو

---

1 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأطعمة- باب الخزيرة- ص 466 برقم (5401), ومسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر- ص780 برقم (1496) كلاهما عن عتبان بن مالك.

2 (3) لم يرد الحديث بهذا اللفظ وإنما الوارد اللفظ السابق.

3 (4) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص13, وأصله من كلام الإمام ابن القيم الجوزية في مدارج السالكين 1/330- 331.

4 (1) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص49-50.

الملائكة أو يدعو بأدعية لا يعرف معناها, وقـرر أن هـذا كله من البـدع المذمومـة. يقـول رحمه اللـه: [... وقـراءة أوراد غير مفهومة المعنى وغير ذلـك, فكلها من البـدع المذمومة وداخلة في قوله تعالى: [illegible] (الشورى:21), ثم إن تلاوة الأسماء بـدون معرفة معناها لا ينفع شـيئا وهي كما قال الله تعالى: [illegible] (الأنفال: 35), ..., وربما تجد من يتلو أسـماء لا يعـرف معناها يضـر نفسه بـدل أن ينفعهـا, قـال الله تعـالى: [illegible] (الإسراء: 11), وقـال مالك رحمه الله لرجل رآه يـدعو بأسـماء لا يعرف معناها: "وما يدريك لعلها كفر؟"[(1)]][(2)].

4- الذكر والصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم:

ففي هذه المسألة قرر الشيخ أن العبادة ما أمر الله به عباده ليتعبدوه به عن طريق رسوله الأمين, وأنه لا يمكن إطلاقا أن نتعبد الله بشيء أتى به أحد كائنا من كان بعد موت الرسول- صلى الله عليه وسلم- ناهيك أن يكون هذا الشيء الذي أتى به أفضل وأثقل في الميزان عند الله مما جاء به الرسول- صلى الله عليه وسلم- في حياته.

ثم ذكر صلاة الفاتح لما أغلق التي يفضلها المتصوفة على الصيغة المشروعة, وقرر أنها من البدع المذمومة المنتشرة في المجتمع النيجيري, يقول:[وفي الحديث لم يذكر النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه يمكن أن يأتي أحد بشيء زيادة بعده, بل نهى عن اتباع كل بدعة تحدث بعده وحذر بأنها ضلالة. فعن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم... فذكر الحديث وفيه (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين, عضوا

---

1 (2) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني تأليف أبي الحسن المالكي 2/643, تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي, دار الفكر- بيروت 1412هـ.

2 (3) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص55-56.

عليها بالنواجذ, وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)[1],... هذا ولم يرو عن أحد من أئمة الحديث لفظ صلاة الفاتح, ولم يسنده أحد إلى النبي في حياته, ولا إلى أحد من الصحابة والتابعين وتابع التابعين. وعمل لم يؤخذ عن هؤلاء فبدعة, وكل بدعة دعت إلى ترك ما روي عن النبي في حال حياته فهي تبديل في الدين وتغيير فيه, وكل من بدل شيئا في الدين وغيّره فلا يشرب من ماء الكوثر...][2].

الفصل الثالث

الشيخ آدم عبد الله الألوري- رحمه الله

المبحث الأول

حياته الشخصية والعلمية

أ- حياته الشخصية

نسبه ومولده:

هو آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله بن عبد الله الأويوي الألوري النيجيري.

كان عبد الباقي بن حبيب الله والد الشيخ آدم كثير الانتقال وعشيق الترحال, وقد خرج من موطنه الأصلي إلى بلدة (واسا) في جمهورية بنين, فتولى بها إمامة البلد, ولمكانة

---

[1] (1) أخرجه أبو داود في سننه- أول كتاب السنة- باب في لزوم السنة ص1561 برقم (4607), والترمذي في سننه- أبواب العلم- باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ص1921 برقم (2676), وابن ماجه في سننه- كتاب السنة- باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ص 2479 برقم (42) عن العرباض بن سارية, وقال الترمذي: حديث صحيح, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2735).

[2] (2) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص21-22.

العلماء عند أهل بنين زُوج عبد الباقي ببنت رئيس البلد رغبة في إسلامها, فأسلمت وحسن إسلامها وهي السيدة عائشة بنت رئيس بلدة (واسا) من قبيلة بربرة في أرض جمهورية بنين وأم الشيخ آدم عبد الله الألوري, ففي جمهورية بنين كان مولد الشيخ آدم عبد الله الألوري في عام 1917م[1].

موطنه ونشأته:

كان موطن الشيخ آدم الأصلي مدينة (إلورن) في جمهورية نيجيريا الاتحادية, ذلك أن جده حبيب الله نزل من مدينة (أويو) إلى هذه المدينة حتى ولد أبوه هناك, ولما كبر أبوه رحل إلى بلدة (واسا) في جمهورية بنين مدة من الزمن ثم رجع إلى مدينة (إلورن)[2].

نشأ الشيخ آدم تحت كنف والده في جمهورية بنين حتى ناهز ثلاثة عشر سنة من عمره قبل أن قدر الله لهم الرجوع والعودة إلى مدينة (إلورن) سيرا على الأقدام كالعادة آنذاك, ودائما يكون الشيخ آدم مع والده الذي يحب السفر ويهوى الترحال, يقول عن نفسه: "ولما استقر مقامه في (إلورن) اتحذ لنفسه أستاذين يتعلم منهما: أحدهما يتعلم منه الأشعار الوعظية والمدائح النبوية وهو الشيخ مالك ألاهوسا, وثانيهما يتعلم منه التفسير وكتب الحديث وهو الشيخ أحمد الهاشمي أريكيهويو, ولم يزل كذلك حتى عاقه كسب الرزق لأهله عن حضور مجالس الدرس واستأنف التجوال في البلاد اليرباوية من (إلورن), و(أوشوبو), و(أويو), و(إبادن), و(إجبو), وكان يأخذني معه في حله وترحاله منذ نعومة أظفاري يهتم بتربيتي على أسلوب القاسي الشديد ويعلمني مما علمه الله من العلوم اللغوية والدينية إلى أن وصلنا مدينة (إبادن) عام 1934م, وهناك أطلق سراحي لكي أذهب إلى الشيخ صالح سبط

---

1 (1) الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته تأليف الشيخ مشهود رمضان جبريل الأميري الكيتوي ص13- 15, ط/الأولى 1425هـ, مكتبة الله نور- لاغوس نيجيريا.

2 (2) المرجع السابق ص15.

أستاذه مالك ألاهوسا, وبهذا انفتح أمامي منهج جديد في الحياة غير الذي سرت عليه عند والدي رحمه الله"[1].

أولاده:

رزق الشيخ آدم بأولاد كثيرين ذكورا وإناثا, نذكر الكبار منهم, فمن الذكور:

1- رضوان الله.

2- حبيب الله, مدير مركز تعليم العربي الإسلامي حاليا.

3- جمال الدين, مؤسس جمعية الروضة الجمالية الإسلامية.

4- محمد ثوبان, مدير مركز العلوم أوتوبو أغيغي لاغوس, وخطيب مسجده الجامع.

5- عبد الله المحامي.

ومن الإناث: مريم وحليمة, وغير هؤلاء كثير ذكورا وإناثا[2].

وفاته:

ففي فجر يوم الأحد الخامس من شهر إبريل من العام 1992م لبى الشيخ الألوري نداء ربه أثناء علاجه بأحد مستشفيات العاصمة البريطانية لندن؛ لينهي بذلك رحلة نضال استمرت قرابة خمسين عاما بعد حياة حافلة بالعطاء والكفاح والإنجازات, تغمده الله بواسع رحمته[3].

ب- حياته العلمية

طلبه للعلم:

قام الشيخ آدم عبد الله الألوري برحلات علمية عديدة داخل وطنه وخارجه, فكان أول من تلقى العلم على يديه والده الشيخ عبد الباقي بن حبيب الله, وهو الذي أخذ عنه

---

[1] (1) رسالة بعنوان: (من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرجت) للشيخ آدم عبد الله الألوري ص3, لمناسبة عيد الأربعين عاما من تأسيس المركز العربي الإسلامي أغيغي نيجيريا مطبعة الثقافة الإسلامية- لاغوس 1411هـ.

[2] (2) انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته ص 18-19.

[3] (3) مجلة "الكوثر" العدد 61 رمضان- شوال 1425هـ(نوفمبر2004م) ص52- 54, تحت عنوان: (آدم الألوري: مناضل إفريقي من أجل التعريب).

الشيخ آدم مبادئ العلوم اللغوية والدينية من فجر حياته, ثم انتقل إلى مدينة (إبادن) ودرس عند الشيخ صالح بن محمد الأول الذي قد أنشأ معهدا منزليا هناك, أخذ عنه العلوم الإسلامية واستفاد من طريقته في الوعظ والإرشاد.

وفي عام 1935م زار الألوري لأول مرة مدينة (لاغوس) لقصد التمرين على الوعظ والإرشاد فالتقى بالشيخ عمر أحمد الإمام الأبجي, وكان يراجعه في كل ما يتصدى أمامه من المسائل الدينية التي لا يعرفها فبذلك صار الشيخ عمر أستاذا له يتردد إليه عندما يتواجد في مدينة (لاغوس) حتى تعلم منه الكثير من العلوم العربية والإسلامية.

ومما تجدر الإشارة أن للشيخ أستاذا من أهل شمال نيجيريا من قبيلة الهوسا وهو الشيخ آدم نمعجي الكنوي[1] الذي أخذ منه علوم البلاغة والعروض وغير ذلك[2].

وأما أساتذته من العرب, يقول عنهم: "أما أساتذتي من العرب الأقحاح فلا أستطيع إحصاءهم عددا, ومنهم من استفدت منه موضوعا كاملا من مواضيع العلوم والبحوث, ومنهم من راجعته لحل مشكلة من فصول وأبواب في كتاب أو كتب, ولما سافرت إلى مصر لازمت الشيخ محمود أبا العيون الذي كان شيخ علماء الاسكندرية ثم تولى السكرتير العام للمعاهد الأزهرية, ومنهم الشيخ شلبي يحيى, والشيخ عثمان مريزيق, ومنهم الشيخ محمود شلتوت قبل أن يتولى المشيخة وبعد توليه, ومنهم الإمام حسن البنا المرشد العام للإخوان[3].

شيوخه:

---

1 (1) ستأتي ترجمته ص79.

2 (2) انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص11.

3 (3) المرجع السابق ص15.

للشيخ آدم أساتذة كثيرون من العرب ومن غير العرب نذكر منهم[4]:

- والده الشيخ عبد الباقي بن حبيب الله[2]. - الشيخ صالح بن محمد الأول[3].
- الشيخ عمر أحمد الإمام الأبجي[4]. - الشيخ آدم نمعجي الكنوي[5].

وله من العرب أساتذة, فيهم من استفاد منه موضوعا كاملا من مواضيع العلوم والبحوث, ومنهم من راجعه لحل مشكلة من فصول وأبواب في كتاب أو كتب, وأكثرهم مصريون؛ إذ كانت جمهورية مصر العربية أكثر دولة عربية قام الشيخ بزيارتها.

---

4 (1) رسالة (من هنا نشأت) ص 2-15.

2 (2) هو عبد الباقي حبيب الله بن عبد الله, والد الشيخ آدم, من مدينة (إلورن) نيجيريا, كان كثير الترحال, وقد مكث في بلدة (واسا)- الواقعة في جمهورية بنين حاليا- مدة من الزمن, وزوجه سلطان البلدة ابنته التي صارت والدة الشيخ آدم فيما بعد, أخذ منه الشيخ آدم مبادئ العلوم الدينية واللغوية, توفي في أغيغي بمدينة لاغوس عند ابنه آدم وذلك عام 1375هـ رحمه الله. انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص2-3.

3 (3) هو الشيخ صالح بن محمد الأول من حارة أبجي بمدينة إلورن, تعلم على يد جده من جهة الأم الشيخ مالك, ثم انتقل بأمر من الشيخ مالك إلى مدينة (إبادن) وأنشأ معهدا منزليا هناك, استفاد منه عدد لا يستهان به, كان الشيخ آدم يحضر دروس علمه ومجلس وعظه ومنه أخذ طريقته في الوعظ والإرشاد, توفي عام 1985م- رحمه الله. انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص5-7.

4 (4) هو عمر بن أحمد الإمام الأبجي ولد في بيت علم ودين وكان والده عالما نجيبا لكنه مات وابنه عمر ما زال صغيرا, فتربى على يد إخوانه وأعمامه, لما زار الشيخ آدم مدينة لاغوس أول مرة للتمرين على الوعظ والإرشاد كان يراجعه في كل ما يتصدى له من المسائل الدينية التي لا يعرفها فبذلك صار شيخا له, وكان يباهي به المشايخ أن يأتوا بمثله من تلامذتهم, حج الشيخ عمر عام 1960م, وتولى منصب جده الإمام الأبجي عام 1971م, وبقي في الإمامة حتى توفي عام 1974م- رحمه الله. انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص8-9.

5 (5) هو آدم بن محمد العربي بن آدم الكنوي الفندكي العطار, كان أجداده من العرب المغاربة, سكنوا مدينة (كانو) حتى ولد الشيخ آدم بها, تلقى علومه من عدة مشايخ كنويين كما تلقى من عدة مشايخ عرب مغاربة, له مؤلفات يزيد على ستين كتابا من منثور ومنظوم في مختلف الفنون, وكان قادري الطريقة, توفي في مدينة (ميدغوري) عام 1363هـ (1944م) وهو في طريقه إلى الحج وزيارة البلدان العربية. انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص 11-13.

تلاميذه:

تجول الشيخ الألوري كثيرا داخل وطنه كما تغرب عنه مدة من الزمن رغبة في طلب العلم, ولما أوقف سفره وألقى عصا الترحال باشر عملية التدريس والدعوة إلى الله, فتتلمذ على يديه ألوف من الناس داخل وطنه نيجيريا وخارجه.

ومن أشهر طلبة الألوري[1] في نيجيريا:

- الشيخ محمد راجي سليمان الإمام.- الشيخ أحمد المحلي بخاري (بابا إوو).
- الأستاذ عبد الغني صلاح الدين. - الشيخ يحيى مرتضى.
- الشيخ مصطفى زغلول السنوسي (مدير دار الدعوة والإرشاد).

وفي جمهورية بنين:

- الأستاذ أحمد الفاتح شئت ثاني الخليفة. - الشيخ ذو الكفل يوسف جبريل.
- الشيخ محمود إبراهيم أيندي بلبل المركز. - الشيخ محمد مشكور يوسف.
- الشيخ مسعود مصطفى أبو بكر المغربي.

وفي جمهورية ساحل العاج:

- الأستاذ محمد مرتضى ناصر. - الأستاذ محمد مرتضى مصطفى.
- الشيخ عبد السلام مصطفى (الشيخ المقري).

وفي جمهورية غانا:

- الشيخ عيسى بللو. - الأستاذ حامد إبراهيم.
- الشيخ إبراهيم حمدي كوفوردى.

أعماله ومكانته العلمية:

---

[1] (1) الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته ص71-74.

يمكننا تلخيص أهم أعمال الشيخ الألوري في النقاط التالية:

1- السعي الجاد لتوحيد صفوف مسلمي نيجيريا:

نهضت همة الشيخ الألوري فقام للعمل بنية خالصة لتوحيد صفوف العلماء علما منه أن الإصلاح للأمة يتم بوحدة العلماء وإيجاد الوئام فيما بينهم, وعمل بكل ما أعطي من الطاقة لإزالة التمييز العنصري بين مسلمي شمال نيجيريا وجنوبها.

قال في كلامه عن بعض الخطوات التي خطاها في ربط الجنوب مع الشمال: "لقد عملت أعمالا بعد أن نشرت أقوالا في تحقيق الوحدة بين الجهتين.

الخطوة الأولى: بعد اتصالاتي بأئمة بلاد يوربا وبعلماء وأمراء بلاد هوسا (1949م) وقابلوا عملي بالكسل وشجاعتي بالجبن رجعت إلى إنشاء هذا المركز (1952م).

الخطوة الثانية: في عام 1958م تعاونت مع الهوساويين في إنشاء جمعية شباب الإسلام برئاسة الحاج صالح غربا؛ فكان من آثارها صحوة هوسا بإنشاء المدارس في (أغيغي) (وشاغامو) وغيرها.

الخطوة الثالثة: في عام 1962م جمعت عشرين إماما من بلاد يوربا إلى مدينة (إلورن) باعتبارها مدخلا للشمال والجنوب, وهناك أنشأنا رابطة الأئمة والعلماء, ولما ضرب قومي بهذه الجهود عرض الحائط رجعت بها إلى (إبادن) وبنينا لها هناك مقرا ... .

الخطوة السادسة: تعاونت مع الزعيم إسحاق رابح الكنوي في ربط الشمال بالجنوب على جامعة الشعوب عام 1982م, كان من آثارها دعوة شيخ الأزهر والأمير فيصل السعودي إلى نيجيريا عام 1983م"[1].

2- **إنشاء المركز:**

---

1 (1) أشعة العقول والنقول على أضواء القنديل والفضول تكملة على هامش الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا, للشيخ آدم عبد الله الألوري ص 31-32, ط/الأولى 1988م, مطبعة الثقافة الإسلامية- لاغوس, نيجيريا.

أنشأ الشيخ آدم عبد الله الألوري مركز التعليم العربي الإسلامي عام 1952م, فبدأ العمل فيه وقتئذ في منزل صغير مستأجر بمساعدة جماعة أنصار الدين في مدينة (أبيوكوتا), ثم انتقل هذا المركز إلى مقره الدائم في مدينة (لاغوس), وقد كلل الله جهود الشيخ بالنجاح فأصبح يخرج آلافا من طلبة العلم[1].

3- تأليف الكتب:

كان الشيخ آدم مولعا بحب الكتابة والتأليف وكان يرغب في ذلك ويحث عليه أبناء جنسه من اليورباويين والهوساويين, يقول في نصيحته للشباب: "ونصيحتي إلى الشباب أن يجدّوا ويجتهدوا في الكتابة, لا يخافون من الوقوع في الخطأ, ولا يكترثوا بالمادح والقادح كما فعلت أنا حتى ظهرتُ بالكتابة"[2].

وله مؤلفات في فنون عديدة مثل الدعوة, والتاريخ, والفلسفة, والتصوف, بيد أن أكثر كتاباته في الدعوة والتاريخ, فمن مؤلفاته:

- تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم.
- تاريخ الدعوة الإسلامية.
- فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة.
- توجيه الدعوة والدعاة.
- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني.
- الإسلام وتقاليد الجاهلية.
- نظام التعليم العربي وتاريخه.
- موجز تاريخ نيجيريا.
- الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا.

بالإضافة إلى كتب مدرسية أخرى تبلغ عشرين كتابا.

أما عن مكانته العلمية فإن للشيخ آدم الألوري شخصية فذة بين الشخصيات الإسلامية في غرب إفريقيا, إذ هي شخصية برزت في ميادين مما يمكن الكاتب عنه أن

---

1 (2) انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته ص 55-56.

2 (1) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص167.

يصفه بأنه متفنن, لأنه يباشر الأعمال الفكرية من التدريس والتأليف وغير ذلك من مجالات تطبيق المعارف.

ولتميز الشيخ آدم ومكانته العلمية استحق- بفضل الله- وسام العلوم والفنون من حكومة جمهورية مصر العربية تحت قيادة الرئيس محمد حسني مبارك الذي تشرف بتقليد الشيخ آدم عبد الله الألوري ذلك الوسام من الطراز الأول بقاعة محمد عبده في الأزهر الشريف وذلك يوم الخميس 12 ربيع الأول عام 1410هـ الموافق 12 أكتوبر عام 1989م[1].

وبالإضافة إلى هذا كان الشيخ آدم يتمتع بالعضوية في مجمع البحوث الإسلامية بمصر ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة[2].

المبحث الثاني
جهوده في تقرير توحيد الألوهية

أ- أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحرافات فيه:

لم تتنوع الطريقة التي استخدمها الشيخ آدم عبد الله الألوري في تقرير مسائل توحيد الألوهية التي قررها حسب فهمه, وإنما اقتصرت على التأليف وإنشاء المدرسة.

1- التأليف

للألوري إلمام كبير بالكتابة منذ بداية تلقيه للعلم, وقد عوّد نفسه على الكتابة باللغة العربية بممارسة إنشاء الرسائل وقرض الأشعار اقتداء ببعض العلماء القليلين الذين يعملون ذلك وقتئذ.

هكذا درب نفسه على الكتابة باللغة العربية حتى صار له صوت يسمع في الآفاق من خلال كتاباته, فألف في فنون مختلفة مثل التاريخ والدعوة الإسلامية والفلسفة والمنطق واللغة, وله الفضل في فتح باب الكتابة على الكثيرين من أبناء جنسه اليورباويين والهوساويين, فقد نقل

---

[1] (2) الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته ص61.

[2] (3) المرجع السابق ص62.

من كتبه عددٌ غير قليل من العرب والعجم وعزوا إليه ونسبوا[1].

ومن أهم كتبه التي حارب بها الانحرافات في توحيد الألوهية كتاب الإسلام وتقاليد الجاهلية, وكتاب توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا.

2- **الدروس والوعظ والإرشاد:**

أعطى الشيخ آدم الألوري الاهتمام الكبير للتربية والتعليم, ولكي يتسع له المجال لنشر الدعوة الإسلامية في ربوع الديار النيجيرية وخارجها فكر في إنشاء مركز التعليم العربي الإسلامي ليوجد لنفسه جوا صافيا ينقل فيه ما تعلمه من أساتذته العرب وغير العرب لأبناء جنسه.

فقد باشر الشيخ عملية التدريس في هذا المركز حتى تخرج على يديه مباشرة ما يقارب خمسة آلاف طالب وحوالي عشرة آلاف بواسطة تلاميذه, كما كان يقوم بإلقاء خطب الجمعة وغيرها في جامع هذا المركز المبارك, ويتولى تفسير القرآن الكريم ودروس أخرى في الجامع.

ب- أهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها الشيخ آدم ودافع عنها:

من خلال تتبعي لمؤلفات الشيخ آدم لاحظت أن مسائل توحيد الألوهية التي قررها قليلة جدا؛ وسبب ذلك أنه لم يكن يكتب في العقيدة وإنما أكثر كتاباته في التاريخ والدعوة الإسلامية. وأهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها ودافع عنها كالتالي:

1- **التأله:**

بين الشـــيخ آدم شـــناعة ما يفعله ملـــوك نيجيريا من قديم الزمان حيث يجعلـون أنفسـهم آلهة لرعايـاهم فقـال: "وكذلك كان الأقيال ورؤساء القبائل والعبيد يخلعـون جميعا ما عليهم من ســـــيما التفاضل والامتيـــــاز والكرامة قبل دخولهم على ملوكهم, ويتجـردون من كل فضـفاض وزينـة, ثم يرتمون على الأرض وهم يتململون ويتمرغون ويضــعون حفنات التراب على رؤوسهم وأكتافهم, ويزحفون على هذه الصــورة حــتى يقــتربوا من الملك فــيراهم عليها فيعـترف

---

[1] (1) انظر: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص168.

بـــولائهم وعبـــوديتهم لـــه, كيف وهم يزعمـــون أنه هو الإله الأصغر رب الأرض الذي ينوب عن الإله الأكبر رب السماء [illegible] (الإســـــــــراء: 43)"[1].

وقال: "لقد كان ملوك نيجيريا القدامى من طراز الفراعنة والأباطرة تساموا بأنفسهم إلى مقام الألوهية وأنزلوا سائر الناس منزلة العبودية وساووا بين الرعية والأنعام, وكانوا يقدمون ضحايا البشر مع ضحايا الأنعام إلى آلهتهم في أعيادهم ومواسمهم, وكان إذا مرض أحدهم افتدى نفسه من الموت بعدد كبير من العبيد والإماء"[2].

ثم أرشد إلى حقيقة التواضع الذي لا يؤدي إلى صرف ما هو من خصائص الألوهية التي لا يستحقها غير الخالق جل وعلا للمخلوق الضعيف, فقال: "ينبغي للمسلم الصحيح أن يقتصر في الأدب مع الكبير على آداب الصحابة مع النبي- صلى الله عليه وسلم- وذلك بألا يتقدم عليه في الكلام والأخذ والترك, وألا يرفع صوته فوق صوته, وألا يجاهره في الكلام ولا يناديه من بعيد حتى يدنو منه, ولا يناديه باسمه بل بالكناية أو باللقب إلا للضرورة, وأن يطيعه في كل ما أمر به إلا في المعصية, وأن يلتزم الوقار والسكينة والاحترام وحسن السؤال والمودة والإخلاص ..."[3].

2- الركوع والسجود:

ذكر الشيخ صور الركوع والسجود لغير الله فقال: "هذا, وفي نيجيريا المسلمة عادات ممقوتة في دين الله, بالية مهجورة في دنيا الناس, محمودة محببة في نيجيريا وهي خلع النعال والسجود والركوع عند دخول البيوت, وعند السلام والتحية ... وقد امتازت نيجيريا بهذه التقاليد عن العالم الإسلامي, وامتاز أمراؤها وعلماؤها باستحسانها, وتقديسها والذود عنها"[4].

---

1 (1) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الألوري ص18.

2 (2) المرجع السابق ص31.

3 (1) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص25.

4 (2) المرجع السابق ص4.

وقال في محاربته لهذا الانحراف: "ولست أدري متى يقيض الله لنيجيريا من العلماء الأحرار من يستطيع أن ينير عقول الناس حتى تنجلي عنها غياهب هذه الجاهلية المشنوءة, وحتى تستضيء بنور الإسلام, وتسلك سواء السبيل, ولقد أجدني غارقا في بحر من الذهول والدهشة عندما أرى حملة كتاب الله عز وجل, وحفظة سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في مقدمة من يستحسنون هذه التقاليد البغيضة عن جهالة وعماية, ومن يستحسنونها عن بصيرة ودراية, ويعتبر الخروج عليها وقاحة وشراسة ممالأة لما يكرم به الدهماء العلماء والأمراء على السواء, فيلجأ العلماء إلى اختلاق حديثهم المشهور: (عادة أهل البلد كالسنة)[1]"[2].

وعند بيانه لحكم الركوع والسجود لغير الله قـال: "أما السـجود لغـير الله سـبحانه فهو كفر صـريح بـدليل قوله تعالى: ﴿ ﴾ (الجن: 18)"[3].

كما ألقى الضوء على ما يفعله بنو جنسه ويزعمون أنه من باب التواضع.

قال: "... وليس كما يزعم البعض من أن السجود المنهي عنه هو وضع الجبهة على الأرض, بل الركوع, والجثو, والقعود كلها تدخل في السجود"[4].

3- الخضوع:

تحدث الشيخ آدم رحمه الله عن عادات أخرى منتشرة في مجتمعه يعدها الناس من طرق التحية, وفي الحقيقة تخالف ما جاءت به السنة المطهرة وتقدح في توحيد الألوهية؛ إذ الخضوع كله لله سبحانه وتعالى وهو من خصائص ألوهيته. ذكر الشيخ آدم من هذه العادات خلع النعال, والجثو على الركب, والانبطاح فقال: "ومن التقاليد

---

1 (3) لم أعثر على الأثر.

2 (4) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص4-5.

3 (5) المرجع السابق ص22.

4 (1) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص23.

الجاهلية اعتبار خلع النعال, والسجود, والركوع, والجثو على الركب, والانبطاح من التواضع ..."[1].

وقال في موضع آخر: "وكل ما تبقى اليوم من خلع النعال, والجثو على الركب, والسجود أمام الأكابر والملوك والعظماء فإنما هي من رواسب تلك الجاهلية الشنيعة التي لم ينزلها الله على أحد من البشر, بل هي من نزوات الشياطين, وشهوات السلاطين, وهذه التقاليد متوغلة بوجه خاص في الأوساط الإسلامية؛ إذ قد ارتضاها العلماء واستحسنوها بدلا من استنكارها والتنديد بها, واعتبروها بجهالتهم تواضعا وأدبا إسلاميا, وليس هذا فقط بل يعتبرون كل من خرج عليها شيطانا متكبرا, جديرا بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[2].

وقد أنكر هذه العادات البغيضة وحاربها بقوله:
"فمعلوم من ذلك كله أن جعل خلع النعال ضرورة لدخول أي بيت من بيوت الناس أو لتحية رجل لا يملك نفعا ولا ضرا تعتبر همجية نكراء وجاهلية شنعاء لا تدخل في شرع السماء, ولا في حضارة أهل الأرض, ولا في عقلية أهل العلم"[3].

وأنشد في ذلك هذه الأبيات[4]:

ويح قومي جهلوا معنى الحـياء وأساءوا فيه ختما وابتــداء

هكـذا قد جـهلوا التواضعـا وبنوه في سجود وانحــنـاء

خلع نعل جعلوه واجــبــا لهم قبل وصــول للفنــاء

كل من خالفــهم في هــذه وصفوه بالذي مــنه بـراء

---

1 (2) المرجع السابق ص17.

2 (3) المرجع السابق ص18.

3 (4) المرجع السابق ص21.

4 (1) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص21.

جعلوه كــافـرا لدينهــم واستعدوا لقتــال واعتـداء
والتــواضع الـذي نعرفــه مثل ما في العقل أو شرع السماء
بقبول الحق من كـل أحــد واجـتناب جرثومة الخيــلاء
واحترام الغير في حـد النهـي واحتقار النفس لا كالحمــقاء
والحيــاء الحق أن تســألني ما يقيك العار عند العــقـلاء
ويقي مـن كـل فحش وخنـا غير هذا لا يسمى بالحــيـاء.

4- الذبح:

قال الشيخ آدم رحمه الله: "ومن الخرافات التي أبطلها الإسلام ما كانت الجاهلية تفعله وتسميه العقر: وذلك أن يذبحوا عند القبر بقرة أو شاة أو جملا ويقولون: إنه كان يعقرها للأضياف في حياته فيكافأ بذلك بعد الموت, وبعضهم يزعمون أن من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها, ومن لم يفعل ذلك حشر ماشيا؛ فجاء الإسلام لإلغاء ذلك كله فقال: (لا عقر في الإسلام)[1]؛ لهذا ذهب العلماء إلى النهي عن التصدق على الميت بذبيحة من بقرة أو شاة أو نحوهما حتى لا تشتبه بهذا العقر, وذلك من باب سد الذرائع أو من باب ترك الشبهات"[2].

قلت: المنهي عنه في معنى الحديث هو الذبح لصاحب القبر؛ لأن ذلك شرك أكبر, وكذلك ينهى عن الذبح لله تعالى عند القبر أو في المقبرة؛ لأنه وسيلة مؤصلة إلى الوقوع في الشرك, فليست هناك عبادة شُرِعت عند المقبرة.

---

1 (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الجنائز- باب كراهية الذبح عند القبر- ص1465 برقم (3222), والبيقي في السنن الكبرى 4/57, عن أنس بن مالك, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2436).

2 (3) الإسلام وتقاليد الجاهلية للشيخ آدم عبد الله الألوري ص118.

أما الذبح لله في المقبرة بنية الصدقة على الميت فإنه منهي عنه أيضا, وهو بدعة شنيعة, ووسيلة نافذة إلى الشرك, وهو الذي يشبه عمل المشركين المسمى بالعقر, بالإضافة إلى ما فيه من الرياء.

وبناء على هذا, فأيما إنسان يرغب في الصدقة على الميت بالذبح فإنه يجب عليه أن ينوي بذبحه التقرب إلى الله تعالى مع رجاء الثواب للميت, ولا يحصل الذبح عند القبر.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: "وقد صرح العلماءُ بتحريم الذبح في المقبرة لما فيه من مشابهة المشركين؛ ولأنه وسيلة إلى الشرك بالذبح للموتى والتقرب إليهم, ولا يخفى أن الذبح لغير الله كالذبح للأموات والجن والشياطين شرك وكفر بالله رب العالمين، وأَدلة ذلك واضحة.

وعن أَنس بن مالك رضي الله عنه أَن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (لا عَقرَ في الإِسلام) رواه أَحمد وأَبو داود. وقال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة في الجاهلية، قال أَحمد: كانوا إذا مات لهم ميت نحروا جزورًا فنهى النبي- صلى الله عليه وسلم- عن ذلك.

قال العلماءُ: وفي معنى الذبح عنده الصدقة فإنه محدث وفيه رياءٌ. قال الشيخ تقي الدين في الاختبارات: ويحرم الذبح عند القبر. وقال في موضع آخر: وإخراج الصدقة مع الجنازة بدعة مكروهة، وهي تشبه الذبح عند القبر، ولا يشرع شيء من العبادات عند القبور, لا الصدقة ولا غيرها"[1].

---

[1] (1) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ

وقــالت اللجنة الدائمة للبحــوث العلمية والإفتــاء في جوابها عن سـؤال وجه إليهـا. ونص السـؤال: يقـول- صـلى الله عليه وســـلم: (لعن الله من ذبح لغــــير اللـــه), ما هو المقصـــود من ذلـــك، ونحن في الجنـــوب إذا ذبح شـــخص لضـيف أو لأهل بيته يقـول: باسم اللـه, وعلى ملة رسـول الله, صدقة لوجه الله، اللهم اجعل ثوابها لي ولأهل بيتي؟

والجـواب**:** المقصـود من الحـديث تحـريم الـذبح لمن مـات من الأنبيـاء والأوليـاء؛ رجـاء بـركتهم, والـذبح للجن؛ إرضاءً لهم، ورجاء قضائهم للحاجات، أو دفعاً لشرهم, فـإن هذا شرك أكـبر يسـتحق فاعله لعنة الله وغضـبه، أما الـذبح للضيوف إكراماً لهم أو للأهل توسـعة عليهم، والـذبح تقربـاً إلى الله من أجل أن تجعل صـــدقة على الأمـــوات يـــرجى ثوابها من الله للحي والميت فهـــذا جـــائز، بل هو إحســـان يرجى ثوابه من الله، وهكذا الضحايا يوم النحر عن الأموات والأحياء[1].

5- الرقى والتمائم والتولة:

قال الألوري رحمه الله: "ومن المزاعم الباطلة الرقى والتمائم والتولة, لما جاء في الحديث: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)[2]"[3].

وقد عرف الرقى بقوله: "أما الرقى فهي كلمات تقال للتعوذ والتحصن من الشياطين وشرورهم, فقد نهى

1/124, جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم, تصوير طبق الأصل على الطبعة الأولى, مطبعة الحكومة بمكة المكرمة 1399هـ.

1 (1) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء 1/195-196 الفتوى رقم (5276).

2 (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الطب- باب في تعليق التمائم- ص 1508, برقم (3883), وابن ماجه في سننه- كتاب الطب- باب تعليق التمائم- ص2689 برقم (3530), وأحمد في مسنده 1/381, وابن حبان في صحيحه 13/456 عن عبد الله بن مسعود, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (331).

3 (3) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص118.

الإسلام عما كان منها غير مفهوم أو كان مما يستعان فيه بالجن"[1].

وعرف التميمة فقال: "أما التميمة فهي الخرزة التي كانت العرب تعلقها على أولادهم لمنع العين عنهم, وتكون من الثعلب أو الهر أو الكلب أو الودعة أو نحو ذلك, وكانوا يعتقدون أن ذلك إذا علق على الطفل لم تقدر الجن على خطفه أو إصابته, فيسلم من كل آفة, فتلك خرافة من الخرافات"[2].

ما يؤخذ على الشيخ آدم عبد الله الألوري:

للشيخ آدم آراء تخالف منهج أهل السنة والجماعة في بعض المسائل ولعل ذلك ناتج عن عدم احتكاكه بعلماء أهل السنة خارج نيجيريا وبصفة خاصة أئمة الدعوة السلفية في المملكة العربية السعودية؛ ولذلك نرى الشيخ يقرر بعض مسائل توحيد الألوهية في كتبه وقد جانب الصواب في فهمه لهذه المسائل وطريقته لتقريرها, ومع احترامي لهذا الشيخ وتقديري لجهوده المبذولة في سبيل الدعوة إلى الله فلا بد من بيان الحق والصواب في هذه المسائل, فكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم محمد- صلى الله عليه وسلم.

فلنأخذ على سبيل المثال:

(أ) رأيه في وضع الأذكار غير المأثورة:

قال في هذه المسألة: "لقد جاء في كتب الحديث أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أقر بعض الصحابة على أذكار وأدعية من عباراتهم وكافأ بعضهم على حسن ثنائه على الله تعالى, ..., فبناء على ذلك كله أجاز العلماء والأولياء وضع الأذكار والأدعية حسب ما ألهمهم الله وهداهم إليه"[3] [4].

---

1 (4) المرجع السابق ص118-119.

2 (5) المرجع السابق ص119-120.

3 (1) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا للشيخ آدم عبد الله الألوري ص77-79, ط/الأولى 1299هـ, مطبعة الأمانة- القاهرة.

4 (2) هذا ليس دليلا على جواز وضع الأذكار لكل أحد؛ لأن مجرد إقرار النبي- صلى الله عليه وسلم- لهؤلاء على تلك الأذكار التي تلفظوا بها جعلها من السنن النبوية, فماذا نقول عن تلك الأذكار التي أنشأها غير

وقال في صيغة الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم: "واتفق جمهور العلماء على أن الصلاة على النبي لا تلتزم صيغة واحدة بل يجوز أن تختلف الصيغ والعبارات"[1].[2]

(ب) رأيه في الاستغاثة بالأموات:

تناول الشيخ آدم موضوع الاستغاثة كمسألة من المسائل التي احتدم الجدال حولها بين الدعاة المبعوثين والعلماء المحليين في غرب إفريقيا وأبدى رأيه فيها قائلا: "أما الاستغاثة فهي القول بنحو: أغثني يا فلان, فلم يرد نص واحد من الكتاب والسنة في جواز ذلك من الحي إلى الميت بل الميت هو الذي يستغيث بدعاء الحي لتخفيف العذاب عنه. وأنا لا أقول:

إن المستغيث بغير الله كافر؛ إذ لم يرد نص صريح بتكفيره إذا لم يعتقد كفرا ولا تأثيرا لغير الله"[3].

قلت: إن الاســـــتغاثة بـــــالأموات والجن والملائكة والأشــجار والأحجــار كلها من الشــرك الأكــبر, وقد وردت نصــوص صــريحة في ذلك من الكتــاب والســنة مثل قوله تعالى: [illegible] (الرعد:14).

كما لا يشترط في ذلك كون المستغيث يعتقد كفــرا أو تأثيرا لغير الله لأن المشركين الأولين لم يعتقدوا أن آلهتهم تنفعهم بنفســها بل يعرفــون أنها لا تخلق ولا تــرزق وإنما يرجــون جاهها وشــفاعتها وتقــريبهم إلى الله زلفى, قــال تعالى: [illegible]

هؤلاء الصحابة بعد موت الرسول هل هي أيضا سنة؟

1 (3) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا ص76.

2 (4) لو ذكر الشيخ مورد هذا الاتفاق لكان أحسن, والمقرر عند أهل السنة أن الصلاة على النبي عبادة, والعبادة توقيفية, فلا يجوز إذن وضع صيغة الصلاة على النبي بعد أن سأل الصحابة النبي كيف يصلون عليه وأجابهم.

3 (1) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا ص105-106.

فرد الله (يونس:18)

عليهم ذلك بقولـه:

(يونس:18).

(ج) رأيه في التوسل المشروع وأدلته:

ذكر الشيخ آدم مسألة التوسل ضمن المسائل التي يختلف فيها الدعاة السلفيون -خريجو جامعات المملكة العربية السعودية- مع العلماء المحليين, فقد أحسن في بيان قسمي التوسل: المشروع والبدعي مع سياق الأدلة التي احتج بها أصحاب كل قسم, لكن الغريب في أمر الشيخ هو الرأي الذي أبداه حول حديث ثلاثة رهط ممن كان قبلنا الذين أووا المبيت إلى غار فدخلوه, فانحدرت صخرة من الجبل, فسدت عليهم الغار, فتوسلوا بأعمالهم فنجوا, وعلى الرغم أن هذا الحديث في الصحيحين ودلالته صريحة على جواز توسل الإنسان بأعماله الصالحة, فقد كانت وجهة نظر الشيخ آدم رحمه الله في هذه المسألة عجيبة جدا وغريبة في نفس الوقت. يقول في رأيه الخاص حول حديث أصحاب الغار بعد سياقه له:

"(قلت): ليس في الحديث دليل على تصويب الاستعلاء على الله بصالح الأعمال وترك الافتقار إلى رحمة الله بالاعتماد على العمل, ثم إن في نفسي من قصة أصحاب الغار أشياء كثيرة: ... ثانيا: أن الاستدلال بتوسلهم على شرعية التوسل بالأعمال الصالحة لم يقم على نص صريح في الحديث, والتشريع لا يقوم على دليل ظني, ثم إن أصحاب الغار ليسوا أنبياء حتى يكون شرعهم شرعا لنا, وإنما أورد النبي- صلى الله عليه وسلم- قصتهم للعبرة والعظة حسبما كان الحديث عن بني إسرائيل جائزا, ولم نسمع أن واحدا من الأنبياء الذين مضوا توسلوا بشيء من أعمالهم إلى الله, وإنما كانوا يضرعون إلى الله عند لزوم ذلك في حينه"[(1)].

قلت: إني أقول في تبيين ما التبس على الشيخ في هذه المسألة: إن في هذا الحديث دليلا قاطعا على جواز

---

[1] (1) توجيه الدعوة والدعاة ص 95-96.

التوسل بالعمل الصالح, وهو من أنواع التوسل المشروع, يقول النووي في شرحه للحديث: "استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفى دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم, وذكره النبي- صلى الله عليه وسلم- في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم"[1].

كما يحسن بي أن أسوق كلام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في استدلاله بهذا الحديث على أن التوسل بالأعمال الصالحة التي عملها الداعي من التوسل المشروع حيث قال: "ورسولنا الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- يروي لنا هذه القصة الرائعة التي كانت في بطون الغيب, لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى؛ ليذكرنا بأعمال فاضلة مثالية لأناس فاضلين مثاليين من أتباع الرسل السابقين؛ لنقتدي بهم ونتأسى بأعمالهم, ونأخذ من أخبارهم الدروس الثمينة, والعظات البالغة, ولا يقولنّ قائل: إن هذه الأعمال جرت قبل بعثة نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- فلا تنطبق علينا بناء على ما هو الراجح في علم الأصول أن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا؛ لأننا نقول: إن حكاية النبي- صلى الله عليه وسلم- لهذه الحادثة إنما جاءت في سياق المدح والثناء والتعظيم والتبجيل, وهذا إقرار منه- صلى الله عليه وسلم- بذلك, بل هو أكثر من إقرار لما قاموا به من التوسل بأعمالهم الصالحة المذكورة, بل إن هذا ليس إلا شرحا وتطبيقا عمليا للآيات المتقدمة, وبذلك تتلاقى الشرائع السماوية في تعاليمها وتوجيهاتها ومقاصدها وغاياتها, ولا غرابة في ذلك فهي تنبع من معين واحد, وتخرج من مشكاة واحدة, وخاصة فيما يتعلق بحال الناس مع ربهم سبحانه فهي لا تكاد تختلف إلا في القليل النادر الذي تقتضي حكمة الله سبحانه تغييره وتبديله"[2]. ا.هـ

---

1 (2) شرح النووي على صحيح مسلم 17/59.

2 (1) التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص37-38, نسقه وآلف بين نصوصه محمد عيد العباسي, ط/الأولى 1421هـ-

وهـــذا دليل واحد من تلك الأدلة الكثـــيرة من الســـنة المطهرة, وقبل ذلك هناك أدلة قرآنية تثبت هـذا النـوع من أنـواع التوسل المشـروع, مثل قوله تعـالى: (آل عمـران:193), وغيرهـا من الآيـات. وإنما أشكلت هذه المسألة على الشـيخ آدم لقلة احتكاكه بعلمـاء أهل السنة والجماعة خارج نيجيريا.

(د) الفرق الإسلامية ورأيه فيها:

قال تحت عنوان (الفرق الإسلامية مجتهدون):

"الفلاسفة المسلمون, والمعتزلة المتكلمون, والأشاعرة والسلفيون, كلهم مجتهدون في العقيدة, يثابون إن أصابوا ويعذرون إن أخطأوا, وعليه القاضي ابن رشد القرطبي"[1].

وقال في موضع آخر: "فالدعوة إلى مذهب السلف في العقيدة لا ينبغي إنكارها, بل تجب إجابة من دعا إلى إحيائها, وفي الوقت نفسه لا ينبغي محاولة القضاء على المذاهب الاعتقادية الأخرى فإنها صارت تراثا ثقافيا علميا فكريا للإسلام يجب التزود به, وإذا كان الاكتفاء بالأدلة القرآنية واجبا للمسلم العادي أو الطالب المبتدئ فليس من الحكمة أن يمنع طلاب العلم العالي من النظر في علم الكلام والمذاهب الاعتقادية الأخرى في الإسلام"[(2)(3)].

(هـ) رأيه في التصوف:

فسر الشيخ آدم مقام الإحسان المذكور في الآيات القرآنية وفي حديث جبريل حينما أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- يسأله, فسره الشيخ بالتصوف فقال: "ولقد حث القرآن على الإحسان في قوله تعالى: (لقمان:22), وفي الحديث:

2001م, مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.

[1] (2) توجيه الدعوة والدعاة ص31.

[2] (3) المرجع السابق ص37.

[3] (4) الاكتفاء بما ورد في الكتاب والسنة يغنينا عن هذه المذاهب الاعتقادية التي توقع الإنسان في حيرة من دينه, فمنهج السلف الصالح التمسك بما فيهما.

(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1].

وهذا الإحسان هو الذي اصطلح عليه أخيرا كلمة التصوف, فصح أن التصوف قد نبع من المعين الإسلامي من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح, وإن كان قد تأثر ببعض رواسب الأديان القديمة من الأمم الأخرى التي دخلت في الإسلام وحملت إليه بعض آثار معارفها وثقافتها وعقيدتها وديانتها فليس ذلك يجعله كله بدعة وضلالة"[2].

ونراه يدافع بقوة عن المتصوفة, ويرفع اللوم عنهم مع تقديم الاعتذار لهم على شطحات الغلاة منهم: "فلا يجوز لوم طائفة على ما هي عليه من هذه الأشياء, كما لا يجوز حمل كافة الناس على شيء واحد من هذه الأشياء, وكم رأينا من أهل الدنيا من يتفانون في حب المال والجاه والنساء إلى حد الجنون, فكيف نلوم أناسا على أنهم تفانوا في حب الله ورسوله ودينه"[3].

وقال في موضع آخر: "فلكل منهم (أي الطوائف الإسلامية) مثالب ومناقب كما للصوفية, ولماذا يلوم بعضنا بعضا؟"[4].

وقال: "إن القول بأن تخلف المسلمين كان من التصوف يجر إلى تصديق الأعداء الذين قالوا بأن التدين يجر إلى التخلف ..., ومن أراد أن يلوم أحدا على ما أصاب المسلمين

---

1 (1) سبق تخريجه ص56.

2 (2) توجيه الدعوة والدعاة ص48-49.

3 (3) المرجع السابق ص52.

4 (4) المرجع السابق ص56.

من التخلف فعليه أن يأخذ بأسلوب الشمول, كما فعل شكيب أرسلان[1] وأبو الحسن الندوي وغيرهما, ولا يقتصر على الصوفية"[2].

وقال في اعتذاره لهم: "ولا يصدر منهم أمر ولا ينسب إليهم أي قول يخالف ظاهر النص, وإذا صدر من الصوفية المخلصين شيء يخالف ظاهر النص أو نسب إليهم ذلك فلا يخلو من أحد أمرين:

إما أن يكون ذلك ناشئا من خطأ في اجتهاد, حيث إنهم مجتهدون في التقرب إلى الله وليسوا معصومين من الخطأ.

وإما أن يكون مدسوسا عليهم وهم أقل من يدس عليه وقد دس الناس على سيد البشر أحاديث"[3].

قلت: لم يفسر أحد من علماء السلف- فيما أعلم- كلمة الإحسان بهذا المعنى, وإنما جاء تفسيرها في الحديث الذي سأل جبريل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عنها بقوله- عليه الصلاة والسلام: (أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[4], وتتحقق العبادة بهذه الصورة بإتقانها وإخلاصها لله تعالى مع الخشوع فيها. وقد سبق إيراد ما يكفي من أقوال علماء السلف في بيان الصواب في هذا الأمر[5].

---

1 (1) هو الأمير شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان, من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة, عالم بالأدب والسياسة والتاريخ, من أكابر الكتاب, ينعت بأمير البيان, ولد في الشويفات بلبنان سنة 1286هـ وتوفي في بيروت سنة 1366هـ.
انظر: الأعلام 3/173, معجم المؤلفين 4/404.

2 (2) توجيه الدعوة والدعاة ص58-59.

3 (3) المرجع السابق ص66.

4 (4) سبق تخريجه ص56.

5 (5) يراجع: الفصل الأول من هذا الباب ص55-57.

الباب الثاني
العبادات القولية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

ويحتوي على تمهيد وخمسة فصول:

تمهيد
في تعريف البدعة وتقسيمها إلى حقيقية وإضافية

يستحسن قبل الشروع في تناول مسائل هذا الباب والذي يليه أن أقوم ببيان معنى البدعة لغة وشرعا؛ إذ هي الكلمة التي سترد غالبا عند توضيح أحكام صور الانحرافات التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا فيما يتعلق بتوحيد الألوهية والتي هي محاور هذين البابين.

بل يكاد يكون تعريف كلمة البدعة وكيفية معرفتها أمرا واجبا في مستهل هذا الباب وإن لم يكن من صميم البحث لمسيس حاجة القارئ إليه حيث لا يستحسن ورود

الكلمة فيما بعد عند توضيح الأحكام دون تعريف مسبق لها, ولكي يكون المطلع على البحث على دراية واعية بالوجه الذي دخل منه عمل ما في باب البدعة؛ إذ قد يشبه ذلك العمل السنة؛ فيشكل على المرء الذي يجهل مفهوم حقيقة البدعة وكيفية معرفتها "فالحكم على الشيء فرع عن تصوره"[1].

معنى البدعة في اللغة:

البدعة لغة تطلق على معنيين: **أحدهما** الشيء المخترع على غير مثال سابق, وقد جاء في هذا المعنى قوله تعالى: [illegible] (الأحقاف:9), أي ما كنت أول من أرسل, قد كان قبلي رسل[2].

وقوله تعالى: [illegible] (البقرة:117): "أي منشئها وموجدها ومبـدعها ومخترعها على غـير حد ولا مثال"[3].

الثاني: التعب والكلال, يقال أبـدعت الإبل إذا بـركت في الطريق من هــزال أو داء أو كلال, ومنه قـــول الرجل الذي جاء إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: إني أبدع بي فاحملني, فقال: (ما عندي), فقال رجل: يا رسول الله! أنا أدله على من يحمله, فقال رسول اللـه- صـلى الله عليه وسلم: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[4].

---

1 (1) مجموع الفتاوى 6/295.

2 (2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري 11/275, حققه وعلق على حواشيه محمود محمد شاكر, راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر, ط/الثانية, دار المعارف- بمصر, تفسير ابن كثير 4/2572.

3 (3) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي 2/60, تحقيق سالم مصطفى البدري ط/الأولى 1420هـ- 2000م, دار الكتب العلمية- بيروت.

4 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإمارة- باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره, وخلافته في أهله بخير- ص1017 برقم (1893) عن أبي مسعود الأنصاري.

قال ابن فارس[1]: "بدع: البـاء والـدال والعين أصـلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثـال, والآخر الانقطـاع والكلال"[2].

والمعــنى الثــاني للبدعة يعــود إلى الأول؛ لأن معــنى أبدعت الراحلة بدأ بها التعب بعد أن لم يكن بها[3].

معنى البدعة في الشرع:

البدعة شرعا هي: طريقة في الـدين مخترعة تضـاهي الشـــرعية يقصد بالســـلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه[4].

ويلاحظ من هـذا التعريف أن الإمـام الشـاطبي[5] ربط بين المعنى اللغـوي والمعـنى الشـرعي لكلمة البدعة حيث قال بعد بيانه للمعـنى اللغـوي: "ومن هـذا المعـنى سـميت البدعة بدعــة, فاســتخراجها للســلوك عليها هو الابتــداع, وهيئتها هي البدعـة, وقد يسـمى العمل المعمـول على ذلك الوجه بدعة, فمن هـذا المعـنى سـمي العمل الـذي لا دليل عليه في الشرع بدعة"[6].

ومما يســاعد على معرفة البدعة وتحديد الوجه الــذي دخل منه عمل من الأعمــال في دائــرة البدعة الاهتمــام

---

1 (2) هو أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين القزويني المعروف بالرازي المالكي, من أئمة اللغة والأدب وكان بصيرا بفقه مالك, له مصنفات ورسائل منها: المجمل, غريب إعراب القرآن, حلية الفقهاء, مقاييس اللغة, مات بالري سنة 395هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 17/103, معجم الأدباء 1/533, الأعلام 1/193.

2 (3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص101, وانظر: المصباح المنير ص42-43, والمفردات في غريب القرآن ص49-50, ولسان العرب 8/6 مادة (بدع).

3 (4) انظر: لسان العرب 8/6 مادة (بدع).

4 (5) الاعتصام للعلامة الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ص24, علق عليه وأخرج أحاديثه محمود طعمه حلبي ط/الثانية 1420هـ-2000م دار المعرفة- بيروت.

5 (6) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي, أصولي حافظ من أهل غرناطة, كان من أئمة المالكية, من مؤلفاته كتاب الاعتصام, والموافقات في أصول الفقه, توفي سنة 790هـ.
انظر: الأعلام 1/75, موسوعة الأعلام 1/298 (قسم تراجم وطبقات موقع وزارة الأوقاف المصرية).

6 (1) الاعتصام ص23.

بتقسيماتها وفهم تلك الأقسام وخاصة تقسيمها إلى حقيقية وإضافية.

فالبدعة الحقيقية هي: الــتي لم يــدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا إجمـاع ولا اسـتدلال معتـبر عند أهل العلم, لا في الجملة ولا في التفصيل[1].

ومن الأمثلة على البدعة الحقيقية[2]:

1- تحـريم الحلال أو تحليل الحـرام اسـتنادا إلى شـبه واهية وبــدون عــذر شــرعي أو قصد صــحيح, فقد أخـــرج البخـاري عن عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه قـال: كنا نغزو مع النـبي- صـلى الله عليه وسـلم- وليس معنا نسـاء, فقلنا: ألا نختصـي, فنهانا عن ذلـك, فـرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ: ﮋ ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ (المائدة:87)[3].

2- اختراع عبادة ما أنزل الله بهـا من سـلطان كصـلاة سادسة مثلا بركوعين في كل ركعة أو الصلاة بغير طهارة.

3- إنكار الاحتجاج بالسنة, أو تقديم العقـل على النقـل وجعله أصلا والشرع تابع له.

4- القول بارتفاع التكـاليف عنـد الوصـول إلى مرحلـة معينة مع بقاء العقل وشروط التكليـف, فلا تجب عنـد ذلـك طاعـات ولا تحـرم محرمـات بـل يصـير الأمـر على حسـب الهوى والرغبات.

5- تخصيص مكان كبئر أو شجرة أو نحوهـا بخصوصـية معينة من اعتقاد جلب خير أو دفع ضـر بلا اسـتناد إلى خـبر صحيح.

---

[1] (2) المرجع السابق ص234.

[2] (3) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار تأليف الدكتور صالح بن سعد السحيمي ص93-95, ط/الأولى 1410هـ- 1989م دار ابن حزم للنشر والتوزيع- الرياض, البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة للدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي ص14- 15, ط/الثانية 1419هـ, مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

[3] (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التفسير- باب قوله تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ (المائدة:87)- ص381 برقم (4615) عن عبد الله بن مسعود.

والبدعة الإضافية هي: التي لها شائبتان: إحـــداهما لها من الأدلة متعلق فلا تكـــــون من تلك الجهة بدعــــــة, والأخـــرى ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقيـــة, أي أنها بالنسـبة إلى إحـدى الجهـتين سـنة؛ لأنها مسـتندة إلى دليل وبالنسبة إلى الجهة الأخـرى بدعـة؛ لأنها مسـتندة إلى شبهة لا إلى دليل أو غير مستندة إلى شيء[1].

ومن الأمثلة على البدعة الإضافية[2]:

1- ذكر الله تبارك وتعـالى على هيئة الاجتمـاع بصـوت واحـــد, فالـــذكر مشـــروع بل واجب لكن أداءه على هـــذه الكيفية غير مشروع بل هو بدعة مخالفة للسنة.

2- تخصـــيص يـــوم النصف من شـــعبان بصـــيام وليلته بقيام, أو إفراد شهر رجب بالصيام.

فالعبادات في هذه الأمثلة مشروعة لكن يأتي الابتـداع من تخصـيص الزمـان أو المكـان إذا لم يـأت تخصـيص ذلك في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم.

والفـــــرق بين البدعة الحقيقية والإضــــافية من جهة المعنى أن الدليل على الإضافية من جهة الأصل قــائم ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصـيل لم يقم عليها مع أنها محتاجة إليـــه؛ لأن الغـــالب وقوعها في التعبـــديات لا في العاديات المحضة[3].

فيفهم من هذا التبيين أن العمل المشـروع الـذي يُتعبد الله به يتحول إلى العمل البدعي

إذا أخل فيه المـرء المسـلم بشـرط المتابعـة؛ إذ العبـادة لا تكون عملا صالحا إلا إذا تحقق فيها شرطان[4]:

---

[1] (1) الاعتصام ص234, تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار للدكتور صالح بن سعد السحيمي ص96.

[2] (2) تنبيه أولي الأبصار ص96, البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة ص15-16.

[3] (3) الاعتصام ص234.

[4] (1) انظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المشهور بابن القيم الجوزية ص135, دار الكتب العلمية بيروت 1395هـ- 1975م, ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن قيم الجوزية 1/83, ط/الثانية 1393هـ- 1973م,

الأول: الإخلاص
الثاني: المتابعة
والمتابعة لا تتحقق إلا إذا كـان العمل موافقا للشـريعة في أمور سـتة, هي: السـبب, والجنس, والقـدر, والكيفيـة, والزمان, والمكان.
وتوضيح ذلك كالتالي[1]:
أولا: السبب: بأن يكون العمل موافقا للشـريعة في سـببه, فلو تعبد الإنسـان لله عبـادة مقرونة بسـبب ليس شرعيا فهي بدعة مردودة على صاحبها, مثال ذلك أن بعض النـاس يحـيي ليلة السـابع والعشـرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول اللـه- صـلى الله عليه وسـلم, فالتهجد عبادة ولكن لما قرن بهذا السـبب كـان بدعـة؛ لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعا.
مثال آخر: لو أن أحدا أحدث عيـدا لانتصـار المسـلمين في بـدر فإنه يـرد عليـه؛ لأنه ربطه بسـبب لم يجعله الله ورسوله سببا.
ثانيا: الجنس: بأن يكون العمل موافقا للشريعة في الجنس, فلو تعبد إنسان لله بعبـادة لم يشـرع جنسـها فهي غـير مقبولـة, مثـال ذلك أن يضـحي رجل بفـرس فلا يصح أضحية؛ لأنه خالف الشريعة في الجنس, فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام: الإبل, البقر, الغنم.
ثالثا: القدر: بـأن يكـون العمل موافقا للشـريعة في القدر, فلو تعبد شخص لله عز وجل بقـدر زائد على ما ورد في الشريعة لم يقبل منه, مثال ذلك أن يصلي إنسان صلاة الظهر خمسا, فإن صلاته لا تصـح؛ لأنها زائـدة على ما جـاء في الشريعة.
رابعا: الكيفيـة: بـأن يكـون العمل موافقا للشـريعة في الكيفيـة, فلو عمل شـخص عملا يتعبد به لله وخـالف

دار الكتاب العربي- بيروت.

[1] (2) شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص98-100, ط/الأولى 1424هـ- 2003م, دار الثريا للنشر والتوزيع- الرياض, وانظر: رسالة صغيرة بعنوان: الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ محمد بن صالح العثيمين أيضا ص15-17, أشرف على تصحيحه وطبعه إبراهيم بن عبد العزيز الشثري.

الشريعة في كيفيته لم يقبل منه بل هو مردود عليـه, مثـال ذلك لو أن رجلا صلى وسـجد قبل أن يركـع, فصـلاته باطلة مردودة؛ لأنها لم توافق الشريعة في الكيفية.

خامسا: الزمان: بأن يكـون العمل موافقا للشـريعة في الزمان, فلو صلى امرؤ الصـلاة قبل دخـول وقتها فتلك الصــلاة غــير مقبولــة؛ لأنها أدّيت في زمن غــير ما حــدده الشــرع, وكـذلك لو ضـحى قبل أن يصــلي صـلاة العيد لم تقبل؛ لأنه لم توافق الشرع في الزمان.

سادسا: المكان: بأن يكـون العمل موافقا للشـريعة في المكـان, فلو أن أحـدا اعتكف في غـير المسـاجد بـأن يكون قد اعتكف في المدرسة أو في البيت, فإن اعتكافه لا يصح؛ لأنه لم يوافق الشرع في مكان الاعتكاف, فالاعتكاف محله المساجد.

فالعمل التعبدي المشروع الذي حقق فيه العبد شــرط الإخلاص بـأن يقصد به وجه الله تعـالى والـدار الآخـرة لكنه خــالف فيه الشــريعة عند القيــام به في واحد من الأمــور الســتة المــذكورة, يتحــول بســبب هــذه العلة تلقائيا إلى البدعـة؛ لانعـدام الشـرط الثـاني للعبـادة الـذي هو موافقة الســنة, وأقــرب ما يكــون بدعة إضــافية, وإلى ذلك أشــار الإمام الشاطبي عند تفريقه بين البدعة الحقيقية والإضافية من جهة المعنى كما ذكرت آنفا.

وقـــال الـــدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي معرفا البدعة الإضافية: "وأما البدعة الإضافية فلها جانبـان: جـانب مشروع, ولكن المبتدع يـدخل على هـذا الجـانب المشـروع أمــرا من عند نفسه فيخرجها عن أصل مشــروعيتها, بعمله هذا, وأكثر البدع المنتشرة عند الناس من هذا النوع[1].

ومما يعين على ضبط البدعة ومعرفتها بالدقة القواعد والأسس الــتي ذكرها الشــيخ المحــدث محمد ناصر الــدين

---

[1] (1) البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة للدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي ص15, ط/الثانية 1419هـ, مطابع الجامعة الإسلامية- المدينة النبوية.

الألبـاني حيث قـال[2]: "إن البدعة المنصـوص على ضـلالتها من الشارع هي:

أ- كل ما عــارض الســنة من الأقــوال أو الأفعــال أو العقائد ولو كانت عن اجتهاد.

ب- كل أمر يتقـرب إلى الله بـه, وقد نهى عنه رسـول الله- صلى الله عليه وسلم.

ج- كل أمر لا يمكن أن يشــرع إلا بنص أو توقيــف, ولا نص عليــه, فهو بدعة إلا ما كــان عن صــحابي تكــرر ذلك العمل منه دون نكير.

د- ما ألصق بالعبادة من عادات الكفار.

هـــ- ما نص على اســتحبابه بعض العلمــاء ســيّما المتأخرين منهم ولا دليل عليه.

و- كل عبادة لم تـأت كيفيتها إلا في حـديث ضـعيف أو موضوع.

ز- الغلو في العبادة.

ح- كل عبــادة أطلقها الشــارع وقيــدها النــاس ببعض القيود مثل المكان أو الزمان أو صفة أو عدد.

الفصل الأول
الدعاء

المبحث الأول

---

[2] (1) أحكام الجنائز وبدعها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص306, ط/الأولى 1412هـ- 1992م, مكتبة المعارف- الرياض.

معنى الدعاء ومنزلته من توحيد العبادة

توطئة:

يحسن بي أن أبين- في مستهل هذا المبحث- المعاني التي تطلق عليها كلمة الدعاء وكذلك الألفاظ التي تشترك معها في المفهوم لما لها من علاقة وطيدة بالمسألة التي سأتناولها هنا؛ ذلك أن الانحرافات في الدعاء قد تكون باستخدام لفظ الدعاء نفسه أو أحد إطلاقاته, وقد تكون باستخدام أي واحد من الألفاظ التي تشترك مع الدعاء في المفهوم وتناسبه في الدلالة كالاستعانة والاستغاثة.

معنى الدعاء:

الدعاء مصدر للفعل "دعا" يقال: دعا, يدعو, دعاءً.

ويأتي في اللغة على معانٍ عدة, منها:

1- الطلب وسؤال الحاجات, قال الشوكاني: "معنى الدعاء حقيقة وشرعا هو الطلب"[1].

وفي كتاب التعريفات للجرجاني[2]: "الدعوى: مشتقة من الدعاء وهو الطلب"[3].

ومما ورد في القرآن الكريم في هذا المعنى قوله تعالى: (البقرة:61), وقوله تعالى: (آل عمران:38), وقوله تعالى: (الإسراء:56).

وأكثر ما يستعمل الدعاء في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء في هذا المعنى أي السؤال والطلب[4].

---

[1] (1) فتح القدير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني 4/622.

[2] (2) هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني, فيلسوف من كبار العلماء بالعربية, له نحو خمسين مصنفا منها التعريفات, توفي في شيراز سنة 816هـ.
انظر: الأعلام 5/7, موسوعة الأعلام 1/102 (قسم تراجم وطبقات موقع وزارة الأوقاف المصرية).

[3] (3) كتاب التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني ص104, دار الكتب العلمية- بيروت 1416هـ.

[4] (1) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ص 204, تحقيق الدكتور الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان ط/الرابعة 1419هـ, توزيع وزارة الشؤون

2- الاستغاثة والاستعانة, وفي المفردات للأصفهاني[1]:"دعوته: إذا استغثته"[2].
وفي المعجم الوسيط: دعا فلانا: استعان به[3], ومن ذلك قوله تعالى: (البقرة:23).
3- العبادة, ورد في هذا المعنى قوله تعالى: (الأعراف: 194), قال العلامة أحمد بن محمد الصاوي[4] في تفسير الآية: (إن الذين تدعون) أي تعبدون[5].
4- الرغبة إلى الله عز وجل[6].

الإسلامية- الرياض.

1 (2) هو الحسين بن محمد بن الفضل أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب, أديب من الحكماء العلماء, من مؤلفاته المفردات في غريب القرآن, ومحاضرات الأدباء, وجامع التفاسير, توفي سنة 502هـ.
انظر: الأعلام 2/255, موسوعة الأعلام 1/221 (موقع وزارة الأوقاف المصرية).

2 (3) المفردات في غريب القرآن للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص 315, تحقيق محمد خليل عيتاني ط/الثانية 1420هـ- 1999م, دار المعرفة- بيروت.

3 (4) انظر: المعجم الوسيط, 1/286 مادة (دعا), ولسان العرب 4/359 مادة (دعا), تأليف محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ط/الأولى دار صادر- بيروت.

4 (5) هو أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي نسبة إلى (صاء الحجر) في إقليم المحافظة الغربية بمصر, كان فقيها مالكي المذهب, من مؤلفاته: حاشيته على تفسير الجلالين, والفرائد السنية, وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية, توفي في المدينة النبوية سنة 1241هـ.
انظر: الأعلام 1/246, موسوعة الأعلام 1/318 (موقع وزارة الأوقاف المصرية).

5 (6) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين تأليف أحمد بن محمد الصاوي المصري 2/316, ضبطه محمد عبد السلام شاهين ط/الأولى 1420هـ دار الكتب العلمية- بيروت. وانظر: لسان العرب, 4/359-361 مادة (دعا).

6 (7) انظر: لسان العرب 4/359-361 مادة (دعا).

5- التسمية, قال في المفردات: "دعوتُ ابني زيداً, أي: سميته,"[1]. وفي المصباح المنير: "دعوت الولد زيدا وبزيد: إذا سميته بهذا الاسم"[2].

6- الحث على الشيء, قال الراغب الأصفهاني:" الدعاء إلى الشيء: الحث على قصده, قال تعالى: [illegible]" (يوسف: 33), وقال تعالى: [illegible] (يونس: 25)][3].

7- النداء والصياح, تقول: دعوت فلانا وبفلان: ناديته وصحت به, قال في المفردات: "الدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يقال بيا أو أيا ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم, والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان"[4].

قال تعالى: [illegible] (الإسراء:52), وقال تعالى: [illegible] (الكهف:52).

معنى الدعاء شرعا:

الدعاء في الشرع هو: "الرغبة إلى الله تعالى والتوجه إليه, في تحقيق المطلوب, أو دفع المكروه, والابتهال إليه في ذلك إما بالسؤال, أو بالخضوع والتذلل, والرجاء والخوف والطمع"[5].

أنواع الدعاء:

الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة, وقد ذكر هذين النوعين غير واحد من العلماء, منهم شيخ الإسلام

---

[1] (1) المفردات في غريب القرآن ص176 مادة (دعا).

[2] (2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف الشيخ العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ص164 مادة (د ع ا), اعتنى به عادل مرشد, مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد- لبنان.

[3] (3) المفردات في غريب القرآن ص177.

[4] (4) المرجع السابق ص176 مادة (دعا).

[5] (5) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي 1/48, ط/الأولى 1417هـ, مكتبة الرشد- الرياض.

ابن تيمية حيث قال: "لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين: دعاء العبادة ودعاء المسألة"[1].
وقال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله: "واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.... ويراد به في القرآن هذا تارة, وهذا تارة, ويراد به مجموعهما, وهما متلازمان"[2].

فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر[3].

ودعاء العبادة هو الاتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب, وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره, وكل ما يجب من عبده أن يفعله[4].

وهذان النوعان للدعاء متلازمان في معناهما فإن كل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة لأن الداعي دعاء المسألة عابد لله تعالى بسؤاله ورغبته, والتضرع إليه, والابتهال إليه, والانطراح بين يديه, وهو يرجو قبول دعوته, وقضاء حاجته, وهو مع ذلك خائف من طرده, وعدم قبول دعوته, فهذا هو لب العبادة وروحها وحقيقتها[5].

كما أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة؛ إذ إن العابد لله تعالى سائل إياه في الحقيقة بامتثال أوامره في فعل العبادة, وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب؛ لأن ما يقوم به من الاشتغال بطاعة ربه هو فعلاً الأسباب التي تقتضي حصول المطلوب.

هذا, وهناك كلمات تشترك مع الدعاء في المفهوم, ولها دلالة على معناه, يمكن تقسيم هذه الكلمات قسمين:

---

1 (1) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني 10/237- 238.
(2) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص172.
2 (3) المرجع السابق ص172-173.
3 (4) المرجع السابق ص172-173.
4 (5) انظر: فتح الباري لابن رجب 1/18.
5

القسم الأول: ما يستعمل مرادفا للدعاء أو أعم من الدعاء, ومن هذا القسم كلمة العبادة, والذكر, والصلاة, والاستعانة.

القسم الثاني: ما هو خاص بنوع معين من أنواع الدعاء, وهو أيضا ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما كان مختصا بالاستعمال في دفع المكاره والمضار, ومن هذا النوع الاستعاذة, والاستغاثة, والاستجارة, واللياذة, والاستغفار, والشفاعة.

النوع الثاني: ما كان مختصا بالاستعمال في جلب المنافع والمسار, ومن هذا النوع كلمة "السؤال".

النوع الثالث: ما كان مختصا بالاستعمال في صفة معينة من صفات الدعاء, ومن هذا النوع كلمة النداء, والجؤار, والابتهال[1].

منزلة الدعاء من توحيد العبادة:

إن للدعاء منزلة سامية ودرجة رفيعة ومكانة عظيمـة؛ ذلك أنه هو العبـادة كما ثبت في الحـديث الشـريف الـذي صرح فيه رسول الهـدى- صـلوات الله وسـلامه عليـه- بـأن "الدعاء هو العبادة" ثم قرأ: [illegible] (غافر:60)[2].

وإذا كان الدعاء بنوعيه هو العبادة, وتوحيد العبادة هو إفراد الله تعالى بالعبادة, فمن أفرد الله بالدعاء فقد وحده في عبادته وحقق هذا التوحيد, ومن صرف الدعاء لغير الله فقد أشرك في توحيد العبادة. ولما كان الأمر هكذا فالدعاء إذن حق من حقوق الألوهية, وصرفه لغير الله شرك واضح.

---

1 (1) انظر: شرح ابن رجب للبخاري 1/52-53.

2 (2) أخرجه أبو داود في سنه برقم (1479), والترمذي في سننه برقم (2969), وابن ماجه في سننه برقم (3828), وأحمد في مسنده 4/267, والحاكم في المستدرك 1/667 عن النعمان بن بشير, وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (5719), صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, المكتب الإسلامي.

إن عبادة الله وحده هي أصل الدين, وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب قال تعالى: (النحل:36), والعبادة بأنواعها المتعددة أفضلها الدعاء كما سبق, بل هو أساسها ومخها؛ ولذلك لم يسع الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا أن يكون الأمر بدعاء الله وحده دون ما سواه هو أول دعوتهم, فبينوا ذلك أوضح بيان وبأبلغ حجة, فلم يبق للمشركين أي مستمسك لما هم عليه من دعاء غير الله تعالى.

هذا هو منهج الرسل من لدن نوح أولهم, إلى محمد آخرهم وأفضلهم وإمامهم- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- تعريف أممهم وإرشادهم إلى أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به, ففعله لله عبادة, فإذا صرف من تلك العبادة شيء لغير الله فذلك شرك, مصادم لما بعث الله به رسله.

فالدعاء رأس العبادة وهو حق خالص لله تعالى, لا ينبغي صرف شيء منه لأحد سواه من المخلوقين مهما عظم شأن ذلك المخلوق؛ إذ قد قال الله تعالى لحبيبه المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه- وهو أشرف الخلق وأكرمهم على ربه: (الزمر:65).

كما خاطب الأنبياء والرسل جميعهم بقوله: (الأنعام:88). فيعلم بذلك أن توجيه هذه العبادة العظيمة- أعني الدعاء لشيء غير المستحق لها سبحانه وتعالى شرك مخرج من ملة الإسلام ومحبط لجميع الأعمال.

وكما سبق أن الدعاء حق من حقوق الألوهية, فحماية توحيد الألوهية إذن حماية للدعاء من صرفه لغير الله, ونبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- خير من قام ببيان اختصاص الرب تعالى بالألوهية, فبين هذا التوحيد أتم بيان ودعا إليه أعظم دعوة, وجُلُّ القرآن الكريم نزل ليقرر هذا النوع من التوحيد ويدعو إليه, وجاهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في ذلك أعظم جهاد, وقام في حمايته وصيانة حماه

حتى أتاه اليقين, بل إنه وهو في الرمق الأخير, وهو يعالج نزع الروح يبين لأمته أهمية هذا التوحيد, كما ربى أصحابه- رضي الله عنهم- على ذلك ليكونوا جنودا حماة لهذا التوحيد ويسلموا هذه الأمانة إلى من بعدهم صافية نقية, وقد كانوا كذلك- رضي الله عنهم.

وقد سلك النبي- صلى الله عليه وسلم- عدة طرق في سبيل تحقيق هذا الغرض النبيل إما ببيان ما ينبغي أن يفعله العبد لتحقيق هذا التوحيد أو بالنهي عما يضاده من شرك أو بدعة أو ما يكون وسيلة وذريعة إلى ذلك, فكان يحذر من الغلو عموما والغلو في مدحه- صلى الله عليه وسلم, كما كان يحذر من اتخاذ القبور مساجد أو البناء عليها أو اتخاذها عيدا أو شد الرحال إليها أو الدعاء عندها أو العكوف عندها, وكان ينهى من اتخاذ الصور واستعمال الألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين خلقه, وغير ذلك من الطرق التي استخدمها- صلى الله عليه وسلم- لحماية جناب توحيد الألوهية ويدخل فيه الدعاء دخولا أوليا.

وعلى هذا المنوال سار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مستمسكين بما تتلمذوا عليه على يدي أحسن مربّ في تاريخ الإنسانية من دعاء الله وحده والاستعانة به, فلم ينقل عن أحد منهم أنه ذهب إلى قبره- صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته يستغيث به فضلا عن أن يستغيث بغيره.

فالصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يكونوا يجعلون بينهم وبين خالقهم وسائط من الملائكة والأنبياء والصالحين, كما أنه ليس من منهجهم دعاء الغائب والاستغاثة به, وما كانوا يطلبون من المخلوق الحاضر ما لا يقدر عليه إلا الخالق- سبحانه وتعالى. يقول شيخ الإسلام في بيان ذلك: "سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين, لم يأمر الله به ولا رسوله, ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان, ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين, وهذا يعلم بالاضطرار من دين المسلمين"[(1)].

---

[1] (1) تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية 1/448, تحقيق محمد علي عجال ط/الأولى 1417هـ, مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة

وبناء على هذا فالدعاء بنوعيه حق خالص لله تعالى وصرف أي شيء منه لغيره شرك بين, والشرك هضم لحق الربوبية, وتنقص لعظمة الإلهية, وسوء الظن برب العالمين[1].

وإذا تبين ذلك فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئا من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك, ولو قال: لا إله إلا الله وصلى وصام؛ إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين ألا يعبد إلا الله, فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله فما أتى بهما حقيقة وإن تلفظ بهما كاليهود الذين يقولون لا إله إلا الله وهم مشركون, ومجرد التلفظ بهما لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناهما واعتقاده إجماعا[2].

ويدخل في مسمى الشرك كلٌ من سؤال الأموات وسؤال الغائبين الأحياء, وسؤال الحي الحاضر ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى مثل غفران الذنوب وإنزال الغيث.

والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة كلها دالة على معنى الدعاء وتشترك معه كما تقدم, فتوجيه شيء منها لغير الله شرك, إلا أنه يخرج من هذا المعنى ما كان سببا مباحا لم ينه عنه الشارع ولم يعد من أنواع الشرك كالاستغاثة والاستعانة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه, فهو من قبيل ما ذكره الله عن موسى- عليه السلام: (القصص:15). قال في الفتاوى: "والاستغاثة طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون, والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها, كما قال تعالى: (الأنفال:72), وكما قال تعالى:

المنورة.

1 (2) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية 1/60- 61, تحقيق محمد حامد الفقي ط/الثالثة 1395هـ, دار المعرفة- بيروت.

2 (1) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد للعلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص 181.

[illegible] (القصص:15), وكما قال تعالى: [illegible] (المائدة:2)"[1].

لقد وردت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- في بيان وجوب دعاء الله وحده والتحذير من دعاء غيره, كما اجتهد جم غفير من علماء أهل السنة والجماعة في توضيح هذا الأمر وذلك لأسباب منها[2]:

1- أن هذه المسألة هي أعظم مسألة خالف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فيها المشركين, فإنهم كانوا يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته, يريدون بذلك شفاعتهم ووساطتهم.

2- أن أغلب شرك الأوائل الذين أرسل إليهم الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان في الدعاء, فالشرك في الدعاء هو الأكثر انتشارا ووقوعا بينهم من أنواع الشرك الأخرى.

3- أن أصل شرك العالم هو الشرك في الدعاء وطلب الحوائج من الصالحين الميتين.

قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر[3] رحمه الله: "لا نعلم نوعا من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه"[4].

---

[1] (2) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 1/103- 104.

[2] (3) انظر: مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب 1/5, تحقيق محمود شكري الألوسي, مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية 1396هـ, والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية تأليف أبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي 1/298-300, ط/الأولى 1417هـ- 1996م, مكتبة الرشد- الرياض.

[3] (1) هو حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي, من آل معمر أهل العيينة, بعثه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود على رأس ركب من العلماء إلى مكة المكرمة لمناظرة علماء الحرم في شيء من أمور الدين بطلب من غالب بن مساعد شريف مكة عام 1211هـ, له عدة رسائل في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية, توفي سنة 1225هـ.
انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم ص157, علماء الدعوة ص72.

[4] (2) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 1/299.

الأدلة الواردة في التحذير من دعاء غير الله وأن الدعاء حق خالص لله تعالى لا يجوز صرفه لغيره

هذه الأدلة كثيرة ومتنوعة منها:

1- النصوص الكثيرة الآمرة بإخلاص الدعاء لله وحده والناهية عن دعاء غيره:

فقد تنوعت أساليب القرآن في توجيه هذا الأمر والنهي, فمن هذه النصوص ما وردت موجهة إلى نبي الله وخليله محمد- صلى الله عليه وسلم- تنهاه عن دعاء غير ربه- تعالى, وهذا أبلغ ما يكون من النهي؛ لأنه إذا كان الرسول- صلى الله عليه وسلم- يحذره الله من دعاء غيره مع أنه المعصوم, فمن باب أولى أن يخاف منه باقي الأمة ويحذروا من الوقوع فيه.

ومن تلك النصوص قوله تعالى: (يونس:106), وقوله تعالى: (الشعراء:213).

ففي هذه الآيات وجه خطاب التحذير إلى المصطفى- صلى الله عليه وسلم- للدلالة على خطر دعاء غير الله تعالى[1].

ومن هذه النصوص ما ورد فيه النهي عن دعاء غير الله موجها إلى جميع الناس, منه قوله تعالى: (الجن:18).

ومنها ما ورد فيه الأمر موجها إلى نبي الله- صلى الله عليه وسلم- بإخلاص الدعاء لربه وحده, وفي ذلك الأمر نهي عن دعاء غيره تعالى؛ إذ الأمر بالشيء نهي عن ضده[2], كما أن أمر النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر لأمته

---

1 (1) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 1/415.

2 (2) انظر: التبصرة في أصول الفقه, إبراهيم بن علي بن يوسف الفيرزآبادي الشيرازي أبو إسحاق ص31, تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو, ط/الأولى 1403هـ, دار الفكر- دمشق, والإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي تأليف علي بن عبد الكافي السبكي 2/79, تحقيق جماعة من العلماء, ط/الأولى 1404, دار الكتب العلمية- بيروت.

ونهيه نهي لأمته بأبلغ وجه. ومثال ذلك قوله تعالى: (الشرح:7-8).

ومنها ما ورد فيه الأمر موجها إلى جميع العباد بإخلاص الدعاء لله وحده, وفي ذلك نهي عن دعاء غيره أو إشــراكه معه في الــدعاء؛ لأن الأمر بالشــيء نهي عن ضــده, مثــال ذلك قوله تعالى: (الأعراف: 29), وقوله سبحانه: (الأعــراف:180), وقوله تعــالى: (غافر:60).

ومن الســنة حــديث عبــد اللــه بن عبــاس رضــي اللــه عنهما, وفيه: (إذا سألت فاسأل الله, وإذا استعنت فاسـتعن بالله)[1].

2- نصوص تبين عجز المدعوين من دون الله وغيــابهم عن الــداعين لهم عنــد احتيــاجهم إليهم لجلب المنــافع أو كشف الشــدائد والمحن, وأن المــدعوين أنفســهم يلتجئــون إلى الله تعالى ويتقربون إليه:

فمن هذه النصوص قوله عز وجل: (فاطر:13-14), وقوله تعالى: (النحل:20-21).

3- نصــوص تصــف دعــاء غــير اللــه بأنــه شــرك وكفــر وضلال مــبين, وتصــف الــداعين غــير اللــه بــأنهم مشــركون وتتوعدهم بالعذاب الأليم, ومن تلك النصوص قولــه تعــالى: (المؤمنون: 117), وقوله تعالى: (الأعراف:37).

---

[1] (3) أخرجه الترمذي في سننه- أبواب صفة القيامة- باب حديث حنظلة- ص1904 برقم (2516) عن ابن عباس, وقال: هذا حديث حسن صحيح, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (13917), وظلال الجنة برقم (315).

4- ما ورد من النهي الشديد عن تقديم أي نوع من أنواع العبادة لله تعالى عند القبور لما في ذلك من الوسائل المفضية إلى الشرك:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد)[1].

وفي الصحيحين من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يحذر ما صنعوا[2].

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء أو بعض الصالحين متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحاداة لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به, فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من أن الصلاة عند القبر أي قبر كان لا فضل فيها لذلك ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا بل مزية شر"[3].

5- أن دعاء الله وحده والاستغاثة به دون من سواه في كشف الضر هي طريقة الأنبياء والمرسلين التي وصفهم الله تعالى بها, وأثنى بها عليهم, فلم يعرف عن أحد منهم التجاؤه إلى قبر نبي بعث قبله يسأله ويستغيث به بحجة الشفاعة وطلب القربى[4]:

---

1 (1) أخرجه أحمد في مسنده 1/405, وابن خزيمة في صحيحه 2/6 برقم (789), وابن أبي شيبة في مصنفه 3/30 عن عبد الله بن مسعود, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (10860).

2 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصلاة- باب- ص37 برقم (435, 436), ومسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب النهي عن بناء المساجد على القبور- ص760 برقم (531).

3 (2) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية 1/334, تحقيق محمد حامد الفقي ط/الثانية 1369هـ, مطبعة السنة المحمدية- القاهرة.

4 (3) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: عرض ونقد ص303, رسالة

فنوح عليه السلام توجه إلى ربه وحده بالـدعاء عنـدما أصابه قومه بالضر, قال عنه سـبحانه وتعـالى: (الأنبياء:76).

وكـذلك فعـل أيـوب عليـه السـلام لمـا أصـابه الضـر, فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه وأن الضر بلـغ منـه كل مبلغ, قال عنه عز من قائل: (الأنبياء:83).

وقال تعالى عن يونس عليـه السـلام: (الأنبياء:87).

قال العلامة عبد الـرحمن بن ناصـر السـعدي[1] رحمـه اللـه في تفسـير الآيـة: "فـأقر للـه تعـالى بكمـال الألوهيـة, ونزهـه عن كـل نقص, وعيب, وآفـة, واعـترف بظلم نفسـه وجنايته".[2]

فقد أثنى يونس عليه السـلام على اللـه بأجـل صـفاته تعالى, واعترف بذنبه ثم توجه بعد ذلك إليه جل وعلا سـائلا إياه النجاة مما هو فيه, فمـاذا كـانت النتيجـة: , وهكذا فليكن المؤمن الصادق.

وفي الحـديث عن حذيفـة بن اليمـان رضـي اللـه عنـه قـال: "كـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا حزبـه أمـر صلى"[3]. ففي الصلاة ما لا يخفى من التضرع والالتجاء إلى

مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية أصول الدين بالرياض, إعداد عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل, إشراف الدكتور راشد بن حمد الطيار, 1424هـ- 2003م.

1 (1) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي النجدي, مفسر, محدث, فقيه, أصولي, ولد في عنيزة القصيم بنجد سنة 1307هـ وتوفي بها سنة 1376هـ, من مؤلفاته الكثيرة: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
انظر: معجم المؤلفين 13/396, الأعلام 3/340, مشاهير علماء نجد وغيرهم ص256.

2 (2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص502, تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ط/الأولى 1424هـ, دار ابن حزم- بيروت.

3 (3) أخرجه أبو داود في سننه- أبواب قيام الليل- باب وقت قيام النبي

العظيم القدير؛ ولذلك كان خـاتم الأنبيـاء وإمـام المرسـلين يستعين بها إذا ألمّ به أمر شديد.

وهذه الأمثلة التي أوردتها قليلة من مواقف أنبياء اللــه ورسله, فإن سنتهم- عليهم الصلاة والسلام- في جلب النفع ودفع الضر هي التوجه بالدعاء إلى ربهم تعـالى وحـده, ولم يعرف عن أحد منهم أنه سأل أو استغاث أو طلب الشفاعة من غيره تعالى.

وعلى هذا الدرب سار السلف الصـالح من هـذه الأمـة المرحومـة, فلم يكونـوا يتوجهـون بالـدعاء إلى نـبيهم بعـد موته, وما كانوا يستغيثون به ناهيك عن غيره من الأموات.

6- إجماع العلماء على أن من صرف شـيئا من نـوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك:

وقد حكى إجماع العلماء على ذلـك شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله فقال: "فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثـل أن يسـألهم غفـران الـذنب وهدايـة القلـوب وتفـريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين"[1].

وقــال الشــيخ ســليمان بن عبــد الله[2]: "فــاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شـيئا من نـوعي الـدعاء لغير الله فهو مشرك"[3].

هذا المنهج الذي أوردناه هو الطريقة التي سلكها المرسلون- عليهم الصلاة والسلام- في أداء الأمانة وتبليغ الرسالة لأممهم, وهو أيضا مذهب أهل السنة والجماعة,

---

صلى الله عليه وسلم من الليل- ص1321 برقم (1319) عن حذيفة, وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (1171).

1 (1) مجموع الفتاوى لابن تيمية 1/124.

2 (2) هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي, ولد بالدرعية سنة 1200هـ, كان بارعا في التفسير والحديث والفقه, وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا بن محمد علي بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها فقتله وذلك سنة 1233هـ, من مؤلفاته تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد, أوثق عرى الإيمان.
انظر: الأعلام 3/129, معجم المؤلفين 4/268.

3 (3) تيسير العزيز الحميد ص 181.

فَحْواه أن الدعاء حق من حقوق الألوهية لا يصرف إلا لله تعالى, وأن صرف شيء منه لغيره سبحانه شرك مخرج من الملة[1].

الدعاء في نيجيريا:

ذلك المنهج الذي قررته منهج سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان وأئمة الهدى, هو المنهج الذي عليه الكثير من مسلمي نيجيريا من التوجه إلى الباري جل وعلا عند الحاجة, واللجوء إلى بابه عند نزول الكربة معترفين بأنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه.

وقد عرف مسلمو نيجيريا بحبهم للدين واحترامهم للمتدينين؛ ولذلك تجد الكثير منهم يضحون بإرسال أبنائهم إلى المدارس الإسلامية لينهلوا من العلوم الشرعية ويتقنوا اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم؛ إذ أدركوا أنه دستور الخالق لإصلاح الخلق, فيفضّلون أن يتعلم أبناؤهم هذه العلوم مع علمهم بأن الشهادة التي سيحصل عليها الطالب بعد تخرجه من هذه المدارس لا تؤهله للعمل لدى حكومة البلد, وكذلك تجد الأثرياء منهم ينفقون بسخاء في المشاريع الخيرية من بناء المساجد وإعانة العلماء الذين ينشئون المدارس الإسلامية.

والتوجه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى يكاد يصبح دندنة كثير من المسلمين النيجيريين, فقلما تجتمع مجموعة لشأن من شؤون الحياة التي يجتمع لها في العادة إلا ويدرجون في برنامجه الدعاء, يتولى ذلك من يرجى له القبول من العلماء الربانيين. ففي جلسة عقيقة المولود فإن هذا العالم الرباني هو الذي يوكّل بإعلان اسم المولود يوم السابع ويدعو له بالخير والبركة, وعند الزواج فإن الذي يتولى العقد بين الزوجين هو ذاك العالم ويدعو لهما بالبركة, وهكذا الأمر عند الدعاء للميت شأنهم الطلب ممن تقدم في الصلاة على الجنازة أن يدعو للميت ويطلب له الثبات والمغفرة, كل هذه تدل دلالة واضحة على معرفة

---

[1] (4) انظر: شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص 294.

قومي لأهمية الدعاء ووجوب إخلاصه لمن هو حقه سبحانه وتعالى.

هذا هو الخير الذي عليه كثير من مسلمي نيجيريا, وأحسِن بالمجتمع الذي وجد فيه مثل هذا الخير لو عمّ, ومع الأسف الشديد فإنه وجد في هذا العدد الهائل من المسلمين أناس قد جانبوا الصواب في هذه المسألة المهمة التي نحن بصددها, تحصل منهم انحرافات في عدة صور, منها ما يصل إلى حد الشرك الأكبر, ومنها ما هو من قبيل الوسائل المفضية إليه, ومنها ما هو من البدع الشنيعة, وسأتعرض لذكر صور هذه الانحرافات في المبحث التالي ثم أبين أحكامها مدعمة بالحجج المقنعة راجيا من الله تعالى أن يعيد هؤلاء الناس إلى الصواب.

المبحث الثاني
دعاء غير الله حكمه وصوره

مدخل:

ذكر لي واحد من الذين جلست معهم وحاورتهم أثناء الجولات التي قمت بها لجمع المواد العلمية للبحث, وهو من المنتسبين للدراسات الإسلامية وكان يضع صورة الشيخ إبراهيم انياس الكولاخي[1] أمامه أثناء الدعاء, فلما

---

[1] (1) هو إبراهيم انياس السنغالي, ولد بقرية تدعى طيبة انيسين بإقليم سين سالوم في جمهورية السنغال سنة 1320هـ, نشا في حجر والده وقرأ القرآن على يديه كما أخذ عنه العلوم الأخرى, ثم أخذ عنه الطريقة التجانية, ولما تجاوز العشرين من عمره تدفقت إليه الإجازات من شيوخ الطريقة تمنحه كامل التصرف في أوراد الطريقة التجانية وأسرارها, ومن سنة 1350هـ امتد نفوذه إلى خارج السنغال فأصبحت له مراكز في إفريقيا الغربية, اعتقد وقرر أن النبي محمد أصل الكائنات وأن الله أوجد التجاني وجعله واسطة بين الناس والنبي صلى الله عليه وسلم, وكان يسافر كثيرا لنشر طريقته, وقد حج وزار الحرمين وكان لذلك السفر أهمية كبرى في ذيوعه وانتشار طريقته, من مؤلفاته: تنبيه الأذكياء في كون الشيخ تجاني خاتم الأولياء, البيان

سألته عن سبب ذلك أجابني قائلا: "أخبرني أحد الإخوة أن هناك شخصا كان يضع صورة الشيخ في جهات مختلفة في بيته, ففي يوم من الأيام دخل مجموعة من اللصوص في بيت هذا الشخص, وأثناء محاولتهم لسرقة الأمتعة والأغراض الثمينة من هذا المنزل, فجأة تحولت صورة الشيخ إلى الإنسان الحقيقي فإذا بشخصية الشيخ إبراهيم انياس أمام هؤلاء اللصوص, فقاومهم مقاومة شرسة حتى انصرفوا ورجعوا خائبين", فقلت لهذا الأخ: وأنت تصدق مثل هذا؟ قال: لم لا أصدق فقد كانت الحادثة من كرامات الشيخ.

هذا مثال لصور الانحرافات التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا فيما يتعلق بالدعاء, وقد دفع هؤلاء الناس إلى الوقوع في هذه الانحرافات عدة أسباب منها: الجهل, والغلو في محبة الأولياء والصالحين كما هو واضح في المثال المذكور, وكذلك التأثر بالوثنية والجاهلية التي كان عليها آباؤهم قبل الإسلام[1], وسأتعرض في هذا المبحث لذكر الانحرافات التي تخص مسألة الدعاء فأقول مستعينا بالله:

صور دعاء غير الله لدى مسلمي نيجيريا:

الصورة الأولى: دعاء شياطين الإنس والاستغاثة بهم:

المقصود بشياطين الإنس هم فئة من الناس يتعاملون فيما بين أنفسهم بالسحر والشعوذة, وتدار أمورهم وتتخذ قراراتهم في سرية تامة, يرأسهم كبير الكهنة الذي لا يسكن غالبا إلا في الغابة أو في مكان خال من الناس, يعتقد المؤمنون بهم أن لهم قوة شريرة خارقة تقتل, وتدمر, وتفرق بين المتحابين, وتجمع بين المتفرقين, وكثيرا

والتبيين في التجانية والتجانيين, رفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام, توفي سنة 1975م ودفن وراء مسجده حسب ما امر به في وصيته.

انظر: الشيخ إبراهيم انياس السنغالي حياته وآراؤه وتعاليمه كاشف الإلباس وتحقيق السر الأكبر دراسة وتعليق ص78 وما بعدها.

[1] (1) سيأتي الكلام بالتفصيل حول أسباب هذه الانحرافات ووسائل علاجها في الباب الرابع من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

ما توجد بين هذه الفئة نساء شريرات يطلق عليهن (أمهات الدنيا).

كانت هذه الفئات من الجمعيات الوثنية السرية التي تحدث عنها الشيخ آدم حيث قال: "فالجمعيات الوثنية هي التي تمثلها الطوائف الوثنية من عبدة القوى الطبيعية وعبدة أرواح الأسلاف وغيرها, وأعظم الجمعيات الوثنية شوكة هي الجمعيات السرية التي يتألف أعضاؤها من الكهنة والأقيال والملوك الذين يجتمعون فيما بينهم للتآمر على الاغتيالات وسلب الحقوق من أصحابها"[1].

إن هذه الجمعيات وثنية في أصلها إلا أنها تستطيع أن تجد أعضاءها من جميع الأديان بشعار التعاون الذي تدعيه, وهي مثل الماسونية العالمية التي أنشأها اليهود ونشروا سمومها في العالم تحت شعار الأخوة والرحمة والتعاون, وكان ينتظم فيها غالبية القضاة والدكاترة وعلية الناس والأثرياء[2].

ولقد صرح الشيخ آدم عبد الله الألوري بوثنية هذه الجمعيات واغترار بعض المسلمين بالانضمام إليها أثناء ذكره للأخطار التي تهدد المسلمين ومستقبل الإسلام في نيجيريا فقال: "من الأخطار التي تهدد الإسلام في نيجيريا: انسياق المسلمين وراء كل منظمة غربية وهي ليست بريئة من الفساد والإلحاد, أعظمها إثما منظمة الماسونية وهي نوعان: الماسونية العالمية التي أنشأها اليهود... ومنها الماسونية المحلية وهي دون الأولى ولكنها قوية منتشرة في الأوساط اليورباوية[3] في جهات (أبيوكوتا) و(إجيبو أودي) و(لاغوس), وهي لا تخلو من طقوس جاهلية وتقاليد وثنية, ويندرج تحتها بعض المسلمين المغلوب على أمرهم المغرورون بالوعود الكاذبة في معاونة أعضائها عندما تنتابهم نائبة[4].

---

[1] (2) موجز تاريخ نيجيريا ص106.

[2] (3) انظر: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص177-178.

[3] (1) هذا حسب علم الشيخ آدم وإلا فهذه الجمعيات ليست في أوساط قبيلة (يوربا) فقط بل هي منتشرة بين أغلب القبائل النيجيرية كما سبق أن ذكرت في تمهيد هذا البحث ص23-25.

[4] (2) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص178.

هذه الصورة من صور دعاء غير الله تحصل في ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: أن يسأل هؤلاء الشياطين الأناسي ما لا يقدر عليه إلا الله والسائل حاضر عندهم كما يفعل من ينتمي إلى هذه الفئة إذا كانت له حاجة من ابتغاء الرزق أو طلب الولد أو تفريج كربة فيحضر لقاء جماعته ذاكرا لهم تلك الحاجة, وفي الغالب يلزمونه في هذه الحالة بتقديم القربان لهم ولربما يطلبون منه أن يقدم أعز الناس عليه من ولده أو زوجه؛ فلذلك قلما تجد من ينضم إلى هذه الجماعة إلا ويزداد أمر دنياه سوءً, هذا بالإضافة إلى كفره وخروجه من الملة.

الطريقة الثانية: أن يُسأل هؤلاء الشياطين الأناسي ويستغاث بهم من مسافات بعيدة, يُسألون ما يقدرون عليه لو كانوا حاضرين, كما يستغيث بهم بعض الذين يعتقدون أن لهم قوة غيبية أن يرشدوه إذا ضل الطريق, ويستعين بهم ليوفروا له المال إذا انقطعت به السبل ونفد ماله.

الطريقة الثالثة: دعاء هؤلاء الشياطين الأناسي من مسافات بعيدة وسؤالهم ما لا يقدرون عليه لو كانوا حاضرين, كما يسألهم من يؤمن بهم في الصباح الباكر قبل خروجه
من المنزل أن يعينوه على أن يربح في تجارته أو يحفظه في سفره أو يشفيه من مرض ألم به.

وفي هذه الطرق الثلاثة يلزم السائل أو المستغيث تقديم القربان أو التحدث بكلمات أجنبية ذات معان شركية ومشتملة على ثناء لهؤلاء الشياطين الأناسي والتذلل لهم كمقدمة لندائهم.

حكم هذه الصورة:

هذه الصـورة بطرقها الثلاثة حكمها شـرك, بل هي من أعظم الشرك؛ وذلك لما يأتي:

1- ما في الطريقة الأولى من سـؤال الحي الحاضر ما لا يقـدر عليه إلا الله وذلك عبـادة قد صـرفها الـداعي لهـذا

المدعو العاجز, وصرف شيء من العبـادة لغـير الله شـرك وكفر وضلال مبين. وقد ورد في ذلك أدلة كثيرة منها:

قوله تعالى: (يـونس:106), والمراد بالظلم هنا الشرك, قال تعالى: (لقمان:13).

وقوله تعالى: (المؤمنون:117).

وقوله تعالى: (الأعراف:37).

وقوله تعالى: (الرعد:14).

2- ما يوجد في الطريقة الثانية من المحـــــــاذير وهو اعتقاد علم الغيب لغير الله تعـالى, واعتقـاد سـمع المـدعو الغـائب لنـداء الـداعي وصـراخه وغواثـه. وعلم الغيب مما استأثر الله به جل وعلا, وقد وردت في ذلك نصـوص منهـا: قوله تعالى: (النمل:65), وقوله تعـالى على لسـان عيسى عليه السلام: (المائدة:116), وقوله تعالى لحبيبه محمد- صلى الله عليه وسلم: (الأنعام:50). ومن ادعى علم الغيب بـأي وسـيلة من الوسـائل فهو كـذاب آثم يدعي الألوهية, وأما من اعتقد ذلك في شـخص ما كائنا من كان فهو مشـرك؛ إذ قد أشـرك مع الله غـيره في ربوبيتـه, وأنكر النصوص الثابتة في الكتاب والسنة[1].

3- أن في هذه الصورة تعليق القلب بغير الله في السر والعلن وتوجيه النيات إلى من لا يملك لنفسه نفعا ولا

---

[1] (1) انظر: رسالة التوحيد للعلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ص61-62, نقله إلى العربية وعلق عليه أبو الحسن علي الحسني الندوي, ط/الثانية 1398هـ- 1978م, المكتبة التجارية لدار العلوم ندوة العلماء- لكهنؤ الهند.

ضرا فضلا عن غيره, قال تعالى: [illegible] (الحج: 12).

4- ما في الطريقة الثالثة من دعـــاء الغـــائب أولا ثم سؤاله ما لا يقدر عليه حتى لو حضر عنده ثانيا, وسؤال غير الله ما لا يقـدر عليه إلا الله تعـالى مثل طلب الولد وشـفاء المريض ونحوهما من الشرك الأكبر؛ لأن السائل قد أشرك مع الله غـيره فيما هو من خصائصه الربوبيـة. وقد فند الله مقولة الذين يدعون غـيره وسـفه أحلامهم وقطع رجـاءهم, فعل ذلك في غــير ما آية مثل قوله تعــالى: [illegible] (غافر: 20), وقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه: [illegible] (الشعراء:72-73), وقوله تعالى: [illegible] (النحــل:20-21), قــال الشوكاني: " [illegible] أي: وصـفتهم أنهم يُخلقـون فكيف يتمكن المخلوق من أن يخلق غيره؟ ففي هـذه الآيـة زيادة بيان؛ لأنه أثبت لهم صفة النقصان بعد أن سلب عنهم صفة الكمال"[1].

5- أن النبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- قـد أمـره ربـه تعالى أن يعلن للناس أنـه لا يعلم الغيب إلا مـا أطلعـه اللـه عليـه, ولا يقـدر على شـيء إلا مـا أقـدره اللـه عليـه, قـال تعالى: [illegible] (الأعـراف:188), هـذا في حياتـه- عليـه الصـلاة والسلام, أما بعد مماته فإنه لا علم لـه بشـيء ممـا يحـدث بعده, كما ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي- صلى اللـه عليـه وسـلم- قـال: (... ألا وإنـه يجـاء برجال من أمـتي فيؤخـذ بهم ذات الشـمال فـأقول: يـا رب أصيحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك, فأقول: كما قال العبد الصالح: [illegible]

---

[1] (2) فتح القدير 3/222.

﴿ ﴾ (المائدة:117), فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)[1]. هكذا كان النبي- صلى الله عليه وسلم- وهو أفضل الأنبياء وإمام المرسلين, وسيد ولد آدم أجمعين وحبيب رب العالمين, فكيف تستسيغ عقول بعض الناس أن يعتقدوا علم الغيب لمخلوق مثلهم, أو يتمنون جلب النفع أو دفع الضر من بشر مثلهم, إن هذا لمن السفاهة بعينها!

6- يضاف إلى كل ما سبق ما يلزم الذي يدعو غير الله في هذه الصورة من مقدمات يمهد بها للحصول على حاجته إما تقديم القربان أو التلفظ بكلمات أجنبية ذات معان شركية, وكل ذلك لم يطلب منه إلا لكي يشرك بالله سبحانه وتعالى ويرضي شياطينه.

ومع الأسف الشديد فإنه يوجد بين المنتسبين إلى العلم من ضعاف الإيمان من ينتمون إلى هذه الفئة من مسلمي نيجيريا, والذي يدفعهم إلى هذه الفعلة الشنيعة هو رغبتهم في حصول الكرامات على أيديهم, فيريدون أن يدعو الله فيستجاب لهم على الفور ويطلبون منه حاجة فتقضى في الحال, ولما قَلَّتْ بضاعتهم في التعبد والتقرب إلى الباري جل وعلا عدلوا إلى استخدام هذه القوى الشريرة الخارقة كما يزعمون.

وأما الأثرياء والوجهاء فإنهم ينضمون إلى هذه الفئة ويلتجئون إليهم بالدعاء بهدف صيانة مكانتهم والحفاظ على كرامتهم والرغبة في ازدياد أموالهم. وكذلك نجد من ينضم إلى هذه الجماعات من الفقراء والعوام أو يلوذ بهم لرفع الظلم عن نفسه؛ إذ الظلم متفش في المجتمع وقلما يجد المظلوم من ينصره ويستردّ له حقوقه أو من يوقع عقوبة رادعة بالظالم إذا كان ذا مكانة مرموقة في المجتمع.

"وقد نكب هؤلاء الجهال عن طريق الحق, وأعرضوا عن الله الذي كان أقرب إليهم من كل أحد, وأقبلوا على

---

[1] (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق- باب الحشر- ص547 برقم (6526), ومسلم في صحيحه- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة- ص1174 برقم (2860) عن عبد الله بن عباس.

غير الله, واتخذوه ظهيرا ونصيرا ووليا من دون الله, وحرموا نفوسهم النعمة الكبيرة التي أنعم الله بها عليهم؛ فإنه يحقق جميع المطالب, ويرد جميع الآفات من غير واسطة, فلم يشكروا هذه النعمة, ولم يقدروها قدرها, وأقبلوا على خلقه يطلبون منهم قضاء الحاجات ورفع الآفات, فعسروا الميسور... وقد وضح من ذلك أن من اتخذ وليا من دون الله كان مشركا بالله كاذبا كافرا بنعمة الله"[1].

أفلا يتعظ القـوم ويتـأملوا النصـوص الكثـيرة الآمـرة بإفراد الله تعالى بالدعاء والناهية عن دعاء غـيره مثل قوله تعالى: (الأعراف:55). وقوله تعـالى: (الأعراف:180), وقوله- عليه الصلاة والسـلام- في حـديث عبد الله بن عبـاس رضي الله عنهمـا: (إذا سـألت فاسـأل الله, وإذا استعنت فاستعن بالله)[2], يقـول ابن رجب رحمه الله في شـرحه لهـذا الحـديث: "واعلم أن سـؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين؛ لأن السـؤال فيه إظهـار الـذل من السـائل والمسـكنة والحاجة والافتقـار, وفيه الاعـتراف بقدرة المسئول على رفع هذا الضر ونيل المطلـوب وجلب المنافع ودرء المضار, ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده؛ لأنه حقيقة العبادة"[3].

ويجدر بالذكر أن هذه الصورة من دعاء غير الله تكثر عند المسلمين في جنوب نيجيريا وشرقها وتقل عند مسلمي الشمال.

الصورة الثانية: دعاء الأولياء والصالحين الأحياء والاستغاثة بهم:

هذه الصورة لها ثلاث طرق:

---

[1] (1) رسالة التوحيد للدهلوي 1/31.

[2] (2) سبق تخريجه ص113.

[3] (3) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للإمام عبد الرحمنبن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب 1/481, تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره, ط/السابعة 1423هـ, مؤسسة الرسالة- بيروت.

الطريقة الأولى: ســؤال الأوليــاء والصــالحين والمشــايخ الأحيــاء ما لا يقــدر عليه أحد إلا الله تعــالى والسائل حاضر عندهم, كما يسأل بعض مريـدي المتصـوفة مشـايخهم أن يشــفيه من مرضه أو يُســعده في حياته أو يكشف عنه كربا نزل به.

الطريقة الثانية: دعاء الأولياء والصالحين والمشايخ الغائبين, يناديهم المنـادي ويسـألهم ما هم قـادرون عليه لو كانوا حاضـرين مثل إنقـاذه من غـرق أو إطعامه من جـوع, وهـذا يحصل كثـيرا من المتصـوفة وبصـفة خاصة الطائفة التجانية.

الطريقة الثالثة: دعاء الأولياء والصالحين والمشايخ الغـائبين والاسـتغاثة بهم, وسـؤالهم ما لا يقـدرون عليه لو كـانوا حاضـرين, وهــذا أيضا منتشر جــدا بين المتصــوفة التجـانيين. ولقد أخـبرني أحد الـذين جلست معهم أن بعض مشايخ الصوفية جوز ذلك لمريديه, وصـرح لهم بـأن ينـادوه ويسـتغيثوا به إذا كـانت عنـدهم حاجة أو وقعـوا في شـدة. وكذلك تجد في الآونة الأخيرة بين عـوام المسـلمين وأتبـاع مشايخ الصوفية من ينادي: يا شـيخ فلان أنقـذني أو نجـني, عند وقوع حادثة مرورية.

حكم هذه الصورة:

الحكم في هــذه الصــورة بطرقها الثلاثة (الأولى, والثانيــة, والثالثــة) مثل الحكم في الصـورة الأولى بطرقها الثلاثة (الأولى, والثانيــة, والثالثــة) ســواء بســواء مع نفس التعليلات.

قال الشـيخ عبد العزيز بن بـاز رحمه اللـه: "والشـرك نوعان: شرك أكبر مخرج عن الملة وشرك دون ذلك, النوع الأول: الشـرك الأكـبر وهو كل شـرك أطلقه الشـارع وهو يتضمن خروج الإنسـان عن دينه, مثل أن يصـرف شـيئا من أنواع العبادة لله عز وجل لغير الله, كأن يصلي لغير الله أو يصوم لغير الله أو يذبح لغير الله, وكذلك من الشرك الأكبر أن يـدعو غـير الله عز وجل مثل أن يـدعو صـاحب قـبر أو يدعو غائبا ليغيثه من أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل"[1].

---

[1] (1) فتاوى مهمة لعموم الأمة للشيخ عبد العزيز بن باز, محمد بن صالح

الصورة الثالثة: دعاء الجن والملائكة:

هـذه الصـورة تحـدث كثـيرا عند المنتسـبين للعلم من طلبة الدراســات الإســلامية وأدعيــاء العلم من مشــايخ الصوفية, ولهم في ذلك ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: أن يســألوا الله تعــالى بأســمائه الحســنى وصــفاته العلا ويــدخلون أثنــاء ذكر تلك الأســماء أسماء أخرى للجن والملائكة ينادونها ويستغيثون بها.

الطريقة الثانيــة: أن يســألوا الله تعــالى بأســمائه الحسنى أو بأدعية من الأدعية المـأثورة مع تخصـيص خطبة بدعية تحتوي على مناداة أسماء الجن والملائكة والاسـتغاثة بها, يقرأون هذه الخطبة بعد الدعاء, مثال ذلك (دعاء الفوز العظيم), وهو كتيّب فيها خطب كثـيرة مختلقة تحتـوي على منــاداة أســماء الملائكــة, ومشــهور جــدا بين المنتســبين للدراسات الإسلامية.

الطريقة الثالثة: أن يسـألوا الله باسم من أسـمائه الحســنى لكن تــذكر معه أســماء أخــرى يقــال إنها أســماء الروحانيين, يعتقدون أنها هي التي تخدم هـذا الاسم ويـدفع الدعاء للإجابة السريعة.

حكم هذه الصورة:

هذه الصورة بجميع طرقها شرك واضح وكفر بواح لما يأتي:

1- ما فيها من دعاء غير الله مع الله وقد قال تعــالى: [illegible] (المؤمنون: 117). قال الشيخ الشـنقيطي في تفسـير الآيـة: "وأعظم الكافرين كفرا هو من يدعو مع الله إلهـا آخـر لا برهـان لـه به, ونفي الفلاح عنه يدل على هلاكه وأنه من أهل النار"[1].

العثيمين ص27-28, تحقيق إبراهيم الفارس, ط/الأولى 1413هـ, دار العاصمة- الرياض.

[1] (1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ص364, اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلايلي, ط/الأولى 1417هـ, دار إحياء التراث العربي- بيروت.

وقال تعالى: (القصص:88).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى, قال الله تعالى: (الشورى:21)"[1].

2- أنها مخالفة لمنهج الرسل عليهم الصلاة والسلام وهم الذين أمرت الأمم بالاقتداء بهم, (الأنعام:90), بل هي مخالفة للعلم الذي ورّثه الأنبياءُ العلماءَ من بعدهم, (إن العلماء ورثة الأنبياء, وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما, إنما ورثوا العلم, فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)[2], فالأنبياء والرسل لم يكونوا يتجهون إلى الملائكة والجن عند الشدائد, فهذا إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام لما رفع ليلقى في النار عرض له جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم! هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وعلم أنه لم يكن النبي- صلى الله عليه وسلم- بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين ولا يستشفعوا بهم, لا بعد مماتهم ولا في مغيبهم, فلا يقول أحد: يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله, سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا"[4].

---

1 (1) مجموع الفتاوى 1/159.

2 (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب العلم- باب في فضل العلم- ص 1493 برقم (3641), والترمذي في سننه- كتاب العلم- باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة- ص1922 برقم (2682), وابن ماجه في سننه- كتاب السنة- باب فضل العلماء والحث على طلب العلم- ص 2491 برقم (223), والدارمي في سننه 1/110 عن أبي الدرداء, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/335: رواه البزار ورجاله موثقون.

3 (3) شعب الإيمان 2/28.

4 (4) مجموع الفتاوى 1/160.

3- أن هذه الخطب التي تقرأ مع أسماء الله الحسنى أو الأدعية المأثورة والمنتشرة في كتيّبات الدعاء ليس لها سند لا صحيح ولا ضعيف, إنما هي من اختراع أناس قل نصيبهم من العلم الشرعي فظنوا أنه يسعهم إحداث أدعية للناس يسألون بها ربهم, والدعاء عبادة, والعبادة توقيفية, فلا يسع أحدا أن يبتدع أدعية ويرتب على قراءتها الأجور.

الصورة الرابعة: دعاء الأموات:

انتشرت هذه الصورة من دعاء غير الله بين المسلمين في المجتمع النيجيري نتيجة انتشار طرق الصوفية بطائفتيها التجانية والقادرية, فهناك قبور وأضرحة كلها لمشايخ الصوفية في شمال البلاد وجنوبها إلا أنها أكثر في الشمال من الجنوب.

ففي مدينة (كانو):

- ضريح للشيخ محمد ناصر الكبرى القادري خلف مسجده الجامع.
- ضريح للشيخ أمير السنوسي الذي يعتبر أول من أدخل الطريقة التيجانية في نيجيريا, وهو ضريح مستقل لم يبن مع المسجد.
- ضريح الشيخ عبد الله ثكا, وهو أيضا ضريح مستقل.

وفي مدينة (كاشنه):

- قبر الشيخ ولي طمرنا.

وفي مدينة (سوكوتو):

- ضريح الشيخ عثمان بن فودي الفلاني القادري.

وفي مدينة (لاغوس):

- ضريح الشيخ آدم عبد الله الألوري ووالديه, بناه بعض الجهال بعد موت الشيخ وهو منه بريء, وهو ضريح مستقل قريب من مسجد المركز الجامع.

وفي مدينة (إبادن):

- قبر الشيخ جامع ييميتو.
- قبر الشيخ السنوسي.
- قبر الشيخ بلو.

ومع الأسف الشديد فإن كل واحد من هذه القبور والأضرحة يحدث عنده ما تشمئز منه النفوس ويندى له الجبين من أمور تناقض العقيدة الإسلامية.

ولدعاء غير الله بهذه الصورة طريقتان:

الطريقة الأولى: أنهم يأتون إلى قبر من قبور هؤلاء المشايخ يقدمون أذكارا وأورادا خاصة بهم عند القبر, كما ينشدون أناشيد فيها مدح للرسول- صلى الله عليه وسلم, وبعد كل هذا يتوجه صاحب الحاجة بالدعاء إلى صاحب القبر ويستغيث به, يقول قائلهم: "يا الشيخ جئت أشكو جماعة باغين بين البرية", وهذا يحصل كثيرا عند قبر الشيخ محمد الناصر ابن محمد المختار الكبرى في مدينة (كانو), كما تحصل الصلاة عنده والتبرك بجدران القبر, وقد شاهدت ذلك بأم عينيّ أثناء قيامي بالجولة العلمية.

الطريقة الثانية: دعاء الأموات والاستغاثة بهم والداعي بعيد كل البعد عن القبور, وهذه الطريقة أيضا منتشرة بين مريدي مشايخ الصوفية حتى بدأ المقلدون تقليدا أعمى من عوام الناس يقلدونهم, فترى واحدا منهم إذا وقع في شدة سرعان ما ينادي: يا شيخ التجاني, يا شيخ انياس, بل بلغ الأمر بالجهال في مدينة (سوكوتو) وما حولها إلى مناداة الشيخ عثمان بن فودي إذا أراد أحدهم أن يسقط على الأرض مثلا أو عند وقوع حادثة سيارة, يفعل ذلك رجاء أن ينجيه هذا الشيخ الذي يناديه ويستغيث به. وأدهى من ذلك وأمر أن الكثير من هؤلاء قد استبدلوا ما جرت به العادة أن يتلفظ به الإنسان من ذكر اسم من أسماء الله الحسنى عند انتقاله من حال إلى حال, كالذي جلس طويلا ثم أراد القيام من مجلسه, ويقول في العادة: يا الله, يا رحمن, استبدلوا ذكر هذه الأسماء بنداء المخلوق المقبور العاجز, يقول قائلهم بدل ذلك: يا شيخ! ويقصد الشيخ عثمان بن فودي.

حكم هذه الصورة:

هذه الصورة حكمها أنها شرك؛ وذلك للأسباب التالية:

1- أن الداعي في هذه الصورة نادى غير الله, ووجه طلبه وقلبه إلى غير المولى جل وعلا, واستغاث به طالبا

كشف ضره أو جلب نفع له مما لا يقدر عليه غير الله تعالى.

2- أن الداعي اعتقد في المقبور قوة غيبية وسلطانا غيبيا وتأثيرا بالقوة الغيبية التي ليست من جنس قوة البشر, ولا من صفاتهم؛ لأنه اعتقد للميت أنه يقدر على إيصال النفع, أو دفع الضر عنه بقوة غيبية لا ترى ولا تلامس الأشياء الملامسة المعروفة لدى البشر[1].

3- أن الله قد أظهر بطلان هذا الفعل الشنيع وعجز هؤلاء المدعوين وغيابهم عن الداعين وعدم قدرتهم على النفع أو الضر في مثل قوله تعالى: [illegible] (فاطر:14).

وقوله جل شأنه: [illegible] (الأحقاف:5). وما أضل هؤلاء الناس! ما الذي يستفيدون من هذا الدعاء وقد قطع الله رجاءهم بهذه الآيات البينات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا ونحوه مما يبين أن الذين يدعون الأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وغير قبورهم هم من المشركين الذين يدعون غير الله كالذين يدعون الكواكب والذين اتخذوا الملائكة والنبيين أربابا, قال تعالى: [illegible] (آل عمران:79-80)"[2].

4- أن الاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبيا أو وليا ليس مشروعا ولا هو من صالح الأعمال؛ إذ لو كان مشروعا أو حسنا من العمل لكانوا (أي الصحابة) به أعلم وإليه أسبق, ولم يصح عن أحد من السلف أنه فعل ذلك[3].

5- أن الأموات قد انقطع منهم الحس والحركة, وأعمالهم كذلك منقطعة عن زيادة ونقصان, فدل ذلك أن

---

1 (1) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 2/487.

2 (1) مجموع الفتاوى 1/178.

3 (2) تلخيص كتاب الاستغاثة 1/93.

ليس للميت تصرف في ذاتـه فضـلا عن غـيره بحركـة, وأن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر, فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره؟

ومع هذا كله يرى المؤمن الحقيقي أنـه من العجب أن يذهب هؤلاء إلى هؤلاء المقبورين الذين يعلمـون أنهم جثث هامدة لا يستطيعون أن يتخلصوا مما هم فيه, يطلبون منهم أن يخلصوهم من الشدائد, ويطلبون منهم تفـريج الكربـات. إذا تأمـل الإنسـان حـال هـؤلاء فإنـه يفضـي منهـا العجب العجاب, ولـو أن هـؤلاء رجعـوا إلى أنفسـهم وإلى عقـولهم لتبين لهم سفههم وأنهم في ضلال مبين, فنسأل الله تعالى للمسـلمين عامـة أن يبصـرهم في دينهم وأن يهـديهم إلى الحق وأن يثبتهم عليه[1].

الصورة الخامسة: دعاء الله عند قبور الأوليـاء والصالحين:

يوجد بين مسلمي نيجيريا الذين يدعون الله عند قبـور الأولياء والصالحين, ولهم في ذلك طريقتان:

الطريقة الأولى: ما يفعله من يقصد القبر ويتحـراه للدعاء عنده بحيث لا يكون له غرض آخر سوى اعتقاده بأن الدعاء عند القبور أجوب وأسرع للقبول, وأن لذلك المكـان خصوصية في إجابة الدعاء, وهذا يحصل عند قبر الشيخ آدم عبد الله الألوري الـذي جعلـه بعض الجهـال ضـريحا وزينـوه بعد موته رحمه الله, ولقد شـاهدت بـأم عيـنيّ امـرأة تمتـد يديها إلى السماء سائلة الله عند هذا القبر, وأنكـرت عليهـا بشدة قائلا لها: لن ينفعك هذا الدعاء, وإن حصل لك شـيء فإنـه فتنـة وامتحـان!!. كمـا سـمعت من أحـد من أخـذت المقابلـة معهم من أهـل مدينـة (لاغـوس) بـل من خـريجي مركز تعليم العربي الإسلامي مقر قبر الشـيخ آدم, سـمعت منه أنه لما فتح باب ضريح الشيخ وجـدوا على القـبر مبلغـا من المال قدره إحـدى عشـر ألـف (نـيرا) النيجيريـة, الأمـر الذي يؤكد مجيء أناس من ضعاف الإيمان إلى هذا المكـان قاصـدين فيـه الـدعاء, ولربمـا هـذه النقـود تقـدم من بـاب الوفاء بنذورهم للشيخ المقبور.

---

1 (1) فتاوى مهمة 1/76-77.

الطريقة الثانية: ما يفعله بعضهم من قصد القبـور للزيارة والـدعاء عنـدها, يجمعـون بين النيـتين: نيـة الزيـارة ونية الدعاء, ويعتقدون أن الدعاء هناك أجوب وأسـرع, وأن لذلك المكان خصوصـية في إجابـة الـدعاء, وهـذا مـا يفعلـه بعض العوام المقلدين لمشايخ الصوفية ومريديهم عند قبور مشـايخهم الميـتين مثلمـا يحـدث عنـد قـبر الشـيخ محمـد الناصر الكبرى في مدينة (كانو), ويحصـل عنـد قـبر الشـيخ جامع ييميتو في مدينة (إبادن).

حكم هذه الصورة:

دعاء الله عند القبور بدعة محدثة وذلك لما يأتي:

1- ما في هاتين الطريقتين من تحرٍ للدعاء عند القـبر, والتحري لـه حكم خـاص؛ لأن الرجـل مـا يتحـرى ويخصـص مكانا معينا للدعاء إلا وقد سيطر على عقله اعتقاد أن لذلك المكان خصوصية ودخلا في إجابة الدعاء, فلذلك توجـه إلى تلك البقعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللـه في كلامـه عن مـراتب الأمـور المبتدعـة عنـد القبـور: "المرتبـة الثانية: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت فيقصد زيارته لذلك أو للصـلاة عنـده أو لأجـل طلب حوائجـه منه, فهـذا أيضـا من المنكـرات المبتدعة باتفاق أئمة المسـلمين, وهي محرمة, ومـا علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين"[(1)].

هذا ما يظنه هؤلاء الجهال, والحقيقة أن أداء أية عبادة عند القبور ليس له أية مزية ولا خصيصة؛ إذ لو كان للـدعاء عند القبور والصـلاة عنـدها والتـبرك بهـا فضـيلة أو سـنة أو مباحا لنصب المهـاجرون والأنصـار هـذا القـبر (قـبر النـبي) عَلما لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم, ولكن كـانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلـوف الـتي خلفت بعـدهم, وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السـبيل, وقـد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله- صـلى اللـه عليـه وسلم- بالأمصار عـدد كثـير وهم متـوافرون, فمـا منهم من

---

[1] (1) تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية 1/146.

استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا بـه ولا دعـا عنـده ولا استشفى به ولا استسقى به ولا استنصر به[1].

فتبين من هذا أن تحري الدعاء عند القبر بدعة منكـرة وهي من البدع التي تضـارع دين النصـارى, بـل يخشـى في بعض الأحـوال أن تصـل إلى الشـرك الواضـح, فهـو وإن لم يصل في جميع صوره إلى الشرك لكنه بـاب واسـع يوصـل إلى الشرك وذريعة إليه[2].

2- مـا ورد من النهي الشـديد عن تقـديم أي نـوع من أنـواع العبـادة للـه تعـالى عنـد القبـور لمـا في ذلـك من الوسائل المفضية إلى الشرك, فمن ذلك مـا روي عن عبـد الله بن مسعود رضي الله عنـه قـال: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: (إن من شـرار النـاس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد)[3].

وفي الصحيحين من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم طفـق يطـرح خميصـة لـه على وجهـه فـإذا اغتم بهـا كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنـة اللـه على اليهـود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يحذر ما صنعوا[4].

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضـي اللـه عنه قال: سمعت النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- قبـل أن يمـوت بخمس وهـو يقـول: (ألا وإن من كـان قبلكم كـانوا يتخـذون قبـور أنبيـائهم وصـالحيهم مسـاجد, ألا فلا تتخـذوا القبور مساجد, إني أنهاكم عن ذلك)[5].

كـل هـذه الأحـاديث وردت في التحـذير عن توجيـه أي نوع من أنواع العبادة لله سـبحانه وتعـالى عنـد القبـور؛ لأن ذلـك من وسـائل الشـرك, فـأمر- صـلى الله عليه وسـلم-

---

1 (2) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للعلامة حافظ بن أحمد حكمي 2/523, تحقيق عمر بن محمود أبو عمر, ط/الأولى 1410هـ, دار ابن القيم- الدمام.

2 (3) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 2/622-623.

3 (1) سبق تحريجه ص114.

4 (2) سبق تخريجه ص115.

5 (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب النهي عن بناء المساجد على القبور- ص760 برقم (532).

بتحــري العبــادة في الــبيوت ونهى عن تحريها عند القبــور, واتخاذ القبور مساجد لا يعني فقط بنـاء المسـاجد عليها بل الصـلاة عند القبــور وإلى القبــور كلها من اتخاذها مســاجد الملعون من فعله, وهي محرمة.

3- أن ســلف هــذه الأمة من الصــحابة الكــرام عليهم رضوان الله والتابعين لهم بإحسـان رحمهم الله جميعا كـان منهجهم إذا زاروا قــبر الرســول- صــلى اله عليه وســلم- وصاحبيه أنهم لا يستقبلون القبر عند الدعاء بل يستدبرونه.

يقول الإمام ابن القيم[1] رحمه الله تعالى: "ولقد جــرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبـه حـتى كـان أحـدهم إذا سلم على النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- ثم أراد الـدعاء استقبل القبلة وجعل ظهـره إلى جـدار القـبر ثم دعا, ونص على ذلـك الأئمـة الأربعـة أنـه يسـتقبل القبلـة وقت الـدعاء حتى لا يدعو عند القبر؛ فإن الدعاء عبادة[2].

ويقول أيضـا: "وأمـا عبـادة اللـه عنـد القبـور كالصـلاة عندها والعكوف عليها فهو أشد وأغلظ؛ لأنه ذريعــة مفضـية إلى عبادة المقبور نفسه[3].

هـذا هـو الحكم في دعـاء اللـه عنـد القبـور بطريقتيـه المذكورتين, أما إذا حصل الـدعاء عنـد القـبر بحكم الاتفـاق بدون قصد سابق وتحرٍ كمن يدعو اللــه في طريقــه ويتفــق أن يمر بـالقبور, أو من يزورهـا فيسـلم عليهـا ويسـأل اللـه لنفسه وللموتى, فهـذا الـدعاء جـائز لا بـأس بـه؛ لأنـه وقـع ضمنا وتبعا وبدون قصد, ويدل على ذلك الأحــاديث الــواردة في السلام على أهل القبور[4].

---

1 (4) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين, فقيه, أصولي, مجتهد, مفسر, محدث, نحوي, من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ومن أكثر من تأثر به, عذب في سبيل الله وسجن مع شيخه ابن تيمية في قلعة دمشق, كان محبا للعلم وجمع من الكتب عددا عظيما, له مؤلفات كثيرة, توفي في دمشق سنة 751هـ.

انظر: الأعلام 6/56, معجم المؤلفين 9/106.

2 (1) إغاثة اللهفان لابن القيم 1/200.

3 (2) إغاثة اللهفان لابن القيم 1/204.

4 (3) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية, 2/508.

فمن ذلك ما روي عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: "كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر, فكان قائلهم يقول: (في رواية أبي بكر) السلام على أهل الديار, (وفي رواية زهير) السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين, وإنا إن شاء الله للاحقون, أسأل الله لنا ولكم العافية"[1].

شبه وردود

الشبهة الأولى:

ادعاؤهم وجود ما يسمى بالروحانية خدام الآيات والسور.

مما يحتج به ضعفاء الإيمان من المنتسبين للدراسات الإسلامية وأدعياء العلم ويتوصلون به إلى تجويز دعاء غير الله مع الله من الملائكة والجن اعتقادهم فيما يسمونه بالروحانيات خدام سور القرآن الكريم وآياته.

وردّ هذه الشبهة من وجوه:

1- أن هذه الأمور من الأمور الغيبية فيحتاج إثباتها إلى دليل, كما وجدت أدلة تثبت وجود مخلوقات تعتبر من الأمور الغيبية مثل الملائكة والجن وغيرهما مما يفوق إدراك البشر, ولما لم يرد دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- يثبت وجود مخلوقات يطلق عليها الروحانية خدام الآيات والسور, علم بطلان القول بوجودها.

2- أنه لو وجدت هذه المخلوقات لا يمكن أبدا أن يخفى أمرها على سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة الهدى, مع وجود المقتضي إلى استخدام تلك الأسماء عند الدعاء؛ فقد كانت لهم حوائج من خير يطلبون جلبه أو شر يسعون إلى دفعه.

3- أن دعاء غير الله مع الله أيا كان المدعو يعتبر من اتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه, واتخاذ الوسائط من

---

[1] (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها- ص831 برقم (975) عن سليمان بن بريدة عن أبيه.

أفعال المشركين, [illegible] (الزمر:2), فمن دعا مع الله غيره سواء كان المدعو ملكا أو جنا أو بشرا فقد أشرك, قال تعالى: [illegible] (المؤمنون:117).

الشبهة الثانية:

قولهم بأن مطلوبهم يحصل إذا دعوا هؤلاء الأولياء والصالحين, بل يتمثل لهم بعض المدعوين أحيانا عند ندائه ويقضي حاجة الداعي.

وردّ هذه الشبهة من وجوه:

1- أن كل من دعي من دون الله فلن يستجيب الدعاء ولن ينفع الداعي ولكن قد يحصل المطلوب المدعو به عند دعاء غير الله فتنة وامتحانا, وفي كتاب الله تعالى آيات كثيرة تثبت هذه الحقيقة, منها: قوله عز وجل: [illegible] (فاطر:13-14), وقوله تعالى: [illegible] (الإسراء:56), وقوله تعالى: [illegible] (الرعد:14). قال الإمام ابن كثير في معنى هذا المثل القرآني: "ومعنى هذا الكلام أن الذي يبسط يده إلى الماء إما قابضا وإما متناولا له من بعد كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلا للشرب فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلها غيره لا ينتفعون بهم أبدا في الدنيا ولا في الآخرة, ولهذا قال: [illegible]"[1].

2- أن الله وحده هو الذي يستجيب الدعاء, وهو النافع الضار, والمعطي المانع, ومما يدل على ذلك قوله تعالى: [illegible] (النمل:

---

(1) تفسير ابن كثير 2/667.

62), وقوله تعالى: (الرعد:26), وقوله تعالى: (فاطر: 2).

ومن السنة ما ورد عن النبي- صلى الله عليـه وسـلم- أنـه قـال: (واعلم أن الأمـة لـو اجتمعت على أن ينفعـوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللـه لك, ولـو اجتمعـوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبـه اللـه عليك)[1], وقوله- عليه الصلاة والسلام في الـدعاء المـأثور: (اللهم لا مانع لمـا أعطيت ولا معطي لمـا منعت)[2]. وهـذه الصـفات المـذكورة من خصائصـه الربوبيـة, يحـرم صـرف شيء منها لغير اللـه, فمن اعتقـد أن هنـاك أحـدا كائنـا من كان يستجيب الدعاء, وينفع ويضـر, ويعطي ويمنـع من دون الله تعالى فقد أشرك مع الله غيره.

3- أنه ليست هناك حاجـة إطلاقـا إلى دعـاء غـير اللـه سـواء في السـراء لطلب مزيـد من الخـير أو في الضـراء لرفع البلاء؛ إذ قد أمر الله جـل وعلا رسـوله- عليـه الصـلاة والسلام- بأن يعلن للناس أنه قريب منهم كل القرب, فقال تعالى: (البقرة:186), وقـال تعـالى: (ق:16).

4- أن مطلوبهم الذي يدّعون حصـوله بـدعاء غـير الله إنما حصل عند الـدعاء, أي عند دعـاء هـذا الـذي دعي من دون الله لا بدعائه, وفرقٌ بين حصول الشيء بالشيء وبين حصول الشيء عند الشيء, فإننا نعلم علم اليقين أن دعـاء غــير الله ليس ســببا لجلب النفع أو دفع الضــرر بالآيــات الكثيرة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ولكن قد يحصل الشيء عند هذا الدعاء فتنة وامتحانا, والله تعـالى قد يبتلي

---

1 (2) سبق تخريجه ص113.

2 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الدعوات- باب الدعاء بعد الصلاة, ومسلم في صحيحه برقم (593) عن المغيرة بن شعبة.

الإنسان بأسـباب المعصـية ليعلم سـبحانه وتعـالى من كـان عبدا لله ومن كان عبدا لهواه[1].

فحصول المطلوب لا يدل على مشروعية الدعاء الذي سأل به الـداعي, كما أن ظنهم أن مشـايخهم يتمثلـون لهم عند الحاجة ويقضـون حـوائجهم ليس إلا مثـول الشـياطين الذين يريدون إضلالهم وإخراجهم من الملة.

قال شيخ الإسـلام في كلامه عن الـذين كـانوا يعبـدون الأولياء والصـالحين: "وهكـذا كثـير من أهل البـدع والضـلال والشـرك المنتسـبين إلى هـذه الأمة, فـإن أحـدهم يـدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت أو يستغيث به عند قـبره ويسـأله, وقد ينـذر له نـذرا ونحو ذلك, ويـرى ذلك الشـخص قد أتـاه في الهـواء ودفع عنه بعض ما يكـره أو كلمه ببعض ما سـأله عنه ونحو ذلك, فيظنه الشـيخَ نفسـَه أتى إن كان حيا, ولهذا أعرف غير واحد من الشيوخ الأكـابر الذين فيهم صدق وزهد وعبادة لما ظنـوا هـذا من كرامـات الصـالحين صـار أحـدهم يوصـي مريديه يقـول: إذا كـانت لأحـــدكم حاجة فليســتغث بي وليســتنجدني وليستوصني, ويقول: أنا أفعل بعد موتي ما كنت أفعل في حيـاتي, وهو لا يعرف أن تلك شياطين تصورت على صـورته لتضـله وتضل أتباعه فَتُحَســِّـن لهم الإشـــراك بالله ودعـــاء غـــير الله والاستغاثة بغير الله"[2].

5- أن علماء الأمة اتفقـوا على أن دعـاء غـير الله من الملائكة والجن والأولياء والصـالحين أحيـاء وأمواتـا, وطلب الحوائج منهم والاستغاثة بهم واعتقاد أنهم يسمعون الـدعاء وينفعون ويضرون, شـرك أكـبر, ومخـالف للكتـاب والسـنة وإجماع الأمة.

قال الشيخ صنع اللـه الحلـبي الحنفي[3]: "... وأنـه قـد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعـات يـدعون أن للأوليـاء

---

[1] (1) فتاوى مهمة ص85.

[2] (1) مجموع الفتاوى 17/456-457.

[3] (2) هو صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي, واعظ فقيه محدث أديب, له أرجوزة في الحديث, سيف الله على من كذب على أولياء الله, توفي سنة 1120هـ.
انظر: معجم المؤلفين 5/24.

تصـــرفات في حيــاتهم وبعــد الممــات ويســتغاث بهم في الشــدائد والبليــات, وبهممهم تكشــف المهمــات, فيــأتون قبــورهم وينــادونهم في قضــاء الحاجــات... ثم قــال: وهــذا الكلام فيه تفريط وإفراط, بل فيه الهلاك الأبــدي, والعــذاب السرمدي, لمـا فيـه من روائح الشـرك المحقق, ومصـادمة الكتاب العزيز المصدق, ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة, وفي التنزيل: [illegible] (النساء:115)"[1].

الفصل الثاني
التوسل

المبحث الأول
تعريف التوسل وصلته بتوحيد الألوهية

معنى التوسل لغة واصطلاحا:

قال في اللسان: (وسل) الوَسِيلةُ المَنْزِلة عند المَلِك, والوَسِيلة الدَّرَجة, والوَسِيلة القُرْبة, ووَسَّل فلانٌ إِلى الله وسِيلةً إِذا عَمِل عملاً تقرَّب به إِليه, والواسِل الراغِبُ إِلى الله ... وتوَسَّل إِليه بوَسيلةٍ إِذ تقرَّب إِليه بعَمَل[2].

وفي مختار الصحاح: [وسل] و س ل: الوَسِيلة ما يتقرب به إلى الغير, والجمع الوَسِيلُ والوَسَائِل, والتَّوْسِيل والتَّوَسُّل واحد, يقال: وَسَّل فلان إلى ربه وسيلة بالتشديد, وتَوَسَّل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل[3].

---

[1] (3) تيسير العزيز الحميد ص183-184.

[2] (1) انظر: لسان العرب 11/724 مادة (وسل).

[3] (2) انظر: مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي 1/740 مادة (وسل), تحقيق محمود خاطر, طبعة جديدة

فالتوسل إذن هو: التقرب والتوصل إلى المطلوب برغبة, والوسيلة هي القرب والسبب الموصل إلى المطلوب.

والتوسل اصطلاحا له معنيان: معنى عام ومعنى خاص.

المعنى العام: هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته, واتباع أنبيائه ورسله, وبكل عمل يحبه الله ويرضاه[1].

ويقصد بهذا المعنى التقرب إلى الله تعالى بكل ما هو موجب للقربة إليه من فعل المأمورات وترك المحرمات.

المعنى الخاص, هذا المعنى خاص بباب الدعاء وهو: أن يذكر الداعي في دعائه ما يرجو أن يكون سببا في قبول دعائه, أو أن يطلب من عبد صالح أن يدعو له[2].

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "والتوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سببا في قبول دعائه[3].

فيلاحظ أن هناك تطابقا بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لكلمة التوسل؛ إذ كل من المعنيين يعود إلى التقرب أو ما يؤول إليه من القربى, لكن المعنى الشرعي يزيد على اللغوي بأنه تقرب إلى الله تعالى وبذل الأسباب الموصلة إلى محبته ورضاه.

ويدل على ذلك قوله تعالى: (المائدة:35).

1415هـ, مكتبة لبنان ناشرون- بيروت.

1 (3) التوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ محمد نسيب الرفاعي ص12, ط/الثانية المكتبة المكية. وانظر: مجموع الفتاوى 1/247, الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 2/628- 629.

2 (1) تسهيل العقيدة الإسلامية أ.د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص 490, ط الأولى1423هـ دار الصميعي- الرياض.

3 (2) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين 2/340, 5/280.

يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري[1] رحمه الله في تفسير الآية: "قال قتادة: ﴿ [illegible] ﴾ أي: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه"[2].

معنى الوسيلة في الشرع:

ومعنى الوسيلة في الشرع هو أعلى منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وهو نبينا محمد, وذلك في قوله- صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول, ثم صلوا علي, فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا, ثم سلوا الله لي الوسيلة, فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو, فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)[3].

صلة التوسل بتوحيد الألوهية:

إن صلة التوسل بتوحيد الألوهية واضحة؛ إذ التوسل بمعناه الخاص جزء من الدعاء, والدعاء بنوعيه هو العبادة كما صح بذلك الخبر عن المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه, فتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة, والعبادة هي الدعاء, فمن اتخذ في دعائه أسبابا مشروعة موصلة للإجابة فقد أفرد الله بدعائه وبالتالي وحد الله في عبادته, ومن أدخل في دعائه ما لم يجعله الشارع وسيلة موصلة للإجابة كأن توسل بذات الصالحين, أو حقهم, أو جاههم, أو توسل بالأموات, لم يفرد الله بالدعاء ولم يوحده في عبادته.

فالتوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سببا في قبول دعائه, وهو بذلك يطلب الوصول

---

[1] (3) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر, رأس المفسرين على الإطلاق, أحد الأئمة, جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره, كان بصيرا بمعاني القرآن, فقيها في أحكامه, عالما بالسنن وطرقها, له مصنفات عظيمة منها جامع البيان وهو أجل التفاسير, ولد سنة 224هـ وتوفي سنة 310هـ.
انظر: طبقات المفسرين 1/95, الوافي بالوفيات 2/212, كشف الظنون 6/26, الأعلام 6/69.

[2] (4) تفسير الطبري 4/566.

[3] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الصلاة- باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ... - ص738 برقم (384) عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنه.

إلى الغاية المقصودة التي هي رجاء إجابة دعائه والرغبة إليه تعالى رغبة صادقة مع قطع الأمل عن غيره تعالى, وهذا النوع من العبادة من أعظم أعمال القلوب, كما أن النداء وذكر المدعو في حالة التوسل بأسماء الله وصفاته من أعظم أعمال اللسان.

ولما كان التوسل بمعناه الخاص جزءاً من الدعاء فإذا توسل العبد في دعائه توسلا مشروعا إذن فقد أفرد الله بعبادته وحقق توحيد الألوهية, فيعلم بذلك أن هناك علاقة وثيقة بين التوسل وتوحيد الألوهية, يقول الشيخ محمد نسيب الرفاعي: "فالتوسل إلى الله تعالى بالوسائل الشرعية هو هو ... من لدن آدم أول الأنبياء إلى محمد خاتمهم- صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم تسليما, لم يتبدل ولم يتغير لصلته الوثيقة بالتوحيد"[1].

والتوسل بعمل صالح قام به العبد من أنواع التوسل المشروع, وأفضل عمل يتوسل به المرء إلى ربه العلي هو التوحيد, وأعظم أنواع التوحيد الثلاثة هو توحيد الألوهية؛ إذ من أجله خلق الله الجن والإنس, وأرسل الرسل وأنزل الكتب, وهو أول دعوة الرسل وآخرها, وقد توسل المؤمنون بتوحيد ربهم والإيمان به في مثل قوله جل وعلا: [illegible] (آل عمران:193).

وفي حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: سمع النبي- صلى الله عليه وسلم- رجلا يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد, قال: فقال: (والذي نفسي بيده, لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب, وإذا سئل به أعطى)[2].

---

1 (2) التوصل إلى حقيقة التوسل ص123.

2 (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الوتر- باب الدعاء- ص1333 برقم (1493), والترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله- ص2009 برقم (3475) عن عبد الله بن بريدة عن أبيه, وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (1324), وصحيح الترمذي برقم (2763).

المبحث الثاني
أنواع التوسل المشروع

التوسل في أصله ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع

القسم الثاني: التوسل الممنوع

والذي يعنينا في هذا المبحث هو القسم الأول.

فالتوسل المشروع هو: التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصلة إلى المطلوب[1], والوسيلة الصحيحة هي التي دلت عليها نصوص الكتاب أو السنة.

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: "وأما الوسيلة الشرعية فلا يشترط فيها إلا ثبوتها في الشرع ليس غير"[2].

والتوسل المشروع ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا:

---

1 (1) معجم ألفاظ العقيدة تأليف عامر عبد الله فالح ص104- 105, ط/الأولى 1417هـ مكتبة العبيكان- الرياض.

2 (2) التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص22.

وذلك بأن يدعو الله تعالى بأسمائه كلها كأن يقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى أن تغفر لي, أو أن يدعو الله باسم معين من أسمائه تعالى مناسب للمطلوب في دعائه, كأن يقول: اللهم يا رحمن ارحمني, أو يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم أن ترحمني, أو أن يدعو الله بجميع صفاته كأن يقول: اللهم إني أسألك بصفاتك العليا أن ترزقني رزقا حلالا, أو أن يدعوه بصفة واحدة من صفاته تعالى تناسب ما يدعو به, كأن يقول كما في الحديث: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)[1], ومن ذلك أيضا دعاء الاستخارة المشهور.

وهذا النوع من التوسل هو أعلى أنواع التوسل إلى الله وأقربها إجابة؛ لأنه تمجيد وتقديس وثناء على الله تعالى, وهو أكثر ما جاء ذكرا في القرآن, وأكثر ما كان عليه النبي- صلى الله عليه وسلم- في دعواته[2], يقول الإمام ابن القيم: "وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته, ففتح لهم باب الدعاء رغبا ورهبا؛ ليذكره الداعي بأسمائه وصفاته فيتوسل إليه بها؛ ولهذا كان أفضل الدعاء وأجوبه ما توسل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته, قال الله تعالى: (الأعراف:180)"[3].

أدلة مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته:

أدلة هذا النوع من التوسل كثيرة في الكتاب والسنة منها:

قوله تعالى: (الأعراف:180), يقول العلامة عبد الرحمن السعدي في

1 (3) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب في فضل سؤال العافية والمعافاة- ص2013 برقم (3513), وابن ماجه في سننه- كتاب الدعاء- باب الدعاء بالعفو والعافية- ص2707 برقم (3850) عن عائشة- رضي الله عنها, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (3337).

2 (1) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل ص17.

3 (2) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم 3/911, تحقيق الدكتور علي بن محمد الدخيل الله, ط/الثالثة 1418هـ, دار العاصمة- الرياض.

تفسير الآية الكريمة: "ومن تمام كونها أنه لا يدعى إلا بها, ولذلك قال: وهذا شامل لدعاء العبادة, ودعاء المسألة, فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب, فيقول الداعي مثلا: اللهم اغفر لي وارحمني, إنك أنت الغفور الرحيم, وتب علي يا تواب, وارزقني يا رزاق, والطف بي يا لطيف, ونحو ذلك"[1].

ومنها قوله تعالى في دعاء زكرياء عليه السلام: (الأنبياء:89).

ومنها قوله تعالى في دعاء أيوب عليه السلام: (الأنبياء:83).

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (إن لله تسعة وتسعين اسما, مائة إلا واحدا, من أحصاها دخل الجنة)[2].

وفي معنى هذا الإحصاء يقول ابن القيم: "الثاني عشر في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة, وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح, المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها, المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها, المرتبة الثالثة: دعاؤه بها, كما قال تعالى: (الأعراف: 180)"[3].

ومنها ما روته عائشة في دعاء النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا قام من الليل, قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل, فاطر السماوات والأرض, عالم الغيب والشهادة, أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون, اهدني لما اختلف

---

[1] (3) تفسير السعدي ص287- 288.

[2] (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التوحيد- باب: إن لله مائة اسم إلا واحدة- ص615 برقم (7392), ومسلم في صحيحه- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها- ص1144 برقم (2677) عن أبي هريرة.

[3] (1) بدائع الفوائد لابن القيم 1/ 171-172, تحقيق هشام عبد العزيز عطا وغيره, ط/الأولى 1416هـ, مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة.

فيه من الحق بإذنك, إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)[1].

ومنها ما رواه محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: دخل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول: اللهم إني أسألك يا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي, إنك أنت الغفور الرحيم. قال: فقال: (قد غفر له, قد غفر له) ثلاثا[2].

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح:

هذا نوع آخر من أنواع التوسل المشروع وهو أن يذكر الداعي بين يدي دعائه عملا صالحا قام به متوسلا بذلك إلى ربه جل وعلا, وليس هذا من باب منّ العبد على ربه بأعماله الصالحة كما يظنه بعض الناس؛ إذ الفضل لله تعالى في كل هداية يهتدي بها العبد إلى الأعمال الصالحة, ﴿ [illegible] ﴾ (الحجرات:17).

ويدخل في هذا النوع التوسل بالإيمان بالله تعالى وبنبيه- صلى الله عليه وسلم- وتصديقه وطاعته واتباعه, كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك, ومحبتي لك, واتباعي لرسولك اغفر لي ... أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لمحمد- صلى الله عليه وسلم- وإيماني به أن تفرج عني ... .

ومنه التوسل بمحبة الصالحين في الله ولله, والتوسل بالصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- بالصيغة التي وردت في السنة المطهرة وبطريقة مشروعة؛ لأن هذه كلها توسل بأعمال صالحة قام بها العبد نفسه[3].

---

[1] (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة النبي- صلى الله عليه وسلم- ودعائه بالليل- ص800 برقم (770) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

[2] (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الصلاة- باب ما يقول بعد التشهد- ص1296 برقم (985), والنسائي في سننه- كتاب السهو- باب الدعاء بعد الذكر- ص2172 برقم (1302) عن محجن بن الأدرع. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (869).

[3] (1) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 2/632.

أدلة مشروعية التوسل بالعمل الصالح:

من الأدلة الدالة على هذا النوع من التوسل:

قوله تعالى في دعاء المؤمنين: [illegible] (آل عمران:16).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان؛ أن يغفر لهم ذنوبهم ويقيهم شر آثارها, وهو عذاب النار"[1].

وقوله جل شأنه في دعاء المؤمنين أيضا: [illegible] (آل عمران: 193).

ومن السنة حديث بريدة بن الحصيب المتقدم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد, قال: فقال: (والذي نفسي بيده, لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)[2].

ومنها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قصة الثلاثة الذين أطبقت عليهم صخرة في غار, فدعا كل واحد منهم بعمل صالح عمِلَه ففرج الله عنهم[3].

وهناك أمثلة من أعمال السلف الصالح منها ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول بعد صلاة الليل: اللهم أمرتني فأطعت, ودعوتني فأجبت, وهذا سحَر فاغفر لي[4].

---

[1] (2) تفسير السعدي ص108.

[2] (3) سبق تخريجه ص143.

[3] (1) سيأتي تخريجه ص165.

[4] (2) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره, عند تفسير قوله تعالى: (والمستغفرين بالأسحار), 3/207.

فالقيام في السحر والناس نيام من أجل الأعمال الصالحة, قدمها ابن مسعود بين يدي دعائه, ولم يدع قبل أن يتوسل بها إلى الله تعالى[5].

ويلحق بهذا النوع توسل الداعي بذكر حاله وضعفه وافتقاره, والاعتراف بالذنب وإظهار الحاجة لرحمة الله ومغفرته؛ إذ الاعتراف بالذنب والندم على ما فات ثم إتباعه بالتوبة عمل صالح جليل يقوم به العبد لربه سبحانه وتعالى, قال تعالى عن زكرياء عليه السلام: (مريم:4).

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح:

وذلك بأن يطلب المرء المسلم من أخيه الحي الحاضر أن يدعو الله له, كأن يقع في ضيق شديد, أو تحل به مصيبة كبيرة, ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى, فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله, فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى, أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة, فيطلب منه أن يدعو له ربه, ليفرج عنه كربه, ويزيل عنه همه[2], ولا يشترط كون المطلوب منه الدعاء أفضل من الطالب.

هذا النوع من التوسل له صورتان[3]:

الأولى: أن يطلب المسلم من أخيه الحي الحاضر الدعاء, فيدعو له بدون أن يدعو الطالب المتوسِّل.

الثانية: أن يطلب المسلم الدعاء من الحي الحاضر, ثم يدعو بنفسه أن يتقبل الله دعاء المتوسَّل بدعائه, أو يؤمِّن على دعائه. مثال ذلك طلب عمر الدعاء من العباس بن عبد المطلب في حديث الاستسقاء, فدعا العباس ودعا معه عمر والحاضرون.

---

5 (3) التوصل إلى حقيقة التوسل ص127.

2 (4) انظر: التوسل للألباني ص38.

3 (1) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 2/635.

ولا يشترط في هذا النوع أن يكون المطلوب منه أفضل من الطالب, فقد طلب عمر رضي الله عنه- ومعه السابقون الأولون- من العباس بن عبد المطلب الدعاء في الاستسقاء, ومما لا شك فيه أن عمر أفضل من العباس رضي الله عنهم أجمعين[1].

أدلة مشروعية التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح:

من أدلة التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام: [illegible] (يوسف:97).

ومن السنة ما رواه أنس أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر, ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- قائم يخطب, فاستقبل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قائما فقال: يا رسول الله, هلكت المواشي وانقطعت السبل, فادع الله يغيثنا, قال: فرفع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يديه فقال: (اللهم اسقنا, اللهم اسقنا, اللهم اسقنا), قال أنس: لا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا, وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار, قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت, قال: والله ما رأينا الشمس ستا, ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- قائم يخطب فاستقبله قائما, فقال: يا رسول الله, هلكت الأموال, وانقطعت السبل, فادع الله يمسكها, قال: فرفع رسول الله يديه ثم قال: (اللهم حوالينا ولا علينا, اللهم على الآكام والجبال والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر), قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس[2].

---

1. (2) انظر: المرجع السابق 2/635.
2. (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاستسقاء- باب الاستسقاء في المسجد الجامع- ص79 برقم (1013), ومسلم في صحيحه- كتاب صلاة الاستسقاء- باب الدعاء في الاستسقاء- ص817 برقم (897) عن أنس بن مالك.

ومنها ما رواه أنس أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا, وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيسقون[1].

ومعنى قول عمر: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا- صلى الله عليه وسلم- وإنا نتوسل إليك بعم نبينا, أننا كنا نقصد نبينا- صلى الله عليه وسلم- ونطلب منه أن يدعو لنا, ونتقرب إلى الله بدعائه, والآن وقد انتقل- صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى, ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا, فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس, ونطلب منه أن يدعو لنا, وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم بجاه نبيك اسقنا, ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته- صلى الله عليه وسلم: اللهم بجاه العباس اسقنا؛ لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة, ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم[2].

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر), وقال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه, فقال: يا رسول الله, ادع الله أن يجعلني منهم, فقال: (اللهم اجعله منهم), ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله, ادع الله أن يجعلني منهم, فقال: (سبقك عكاشة)[3].

وهذه الأنواع الثلاثة للتوسل المشروع كلها صحيحة؛ لأنه قد ثبت في النصوص ما يدل على مشروعيتها, وعليها جرى عمل السلف الصالح كما أجمع عليها المسلمون.

التوسل لدى مسلمي نيجيريا:

---

1 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاستسقاء- باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا- ص79 برقم (1010) عن أنس بن مالك.

2 (3) التوسل أنواعه وأحكامه ص41.

3 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق- باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب- ص548 برقم (6542), ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب- ص717 برقم (216) عن أبي هريرة.

لا يزال المسلمون بخير ما طبقوا شريعة الله واتبعوا سنة رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه, فقد كان مسلمو نيجيريا متمسكين بسنة نبيهم في توسلهم بكلام الله؛ وذلك لمعرفتهم بأن كلام الله القرآن الكريم معجزة خالدة من معجزاته- صلى الله عليه وسلم, وأنه دستور الخالق لإصلاح الخلق.

والتوسل بكلام الله جائز في الشرع المطهر؛ لأن كلامه صفة من صفاته, والتوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا من أنواع التوسل المشروع الذي سبق بيانه في الصفحات السابقة, فالقرآن كلام الله لفظا ومعنى, وكلامه تعالى من صفاته, فالتوسل به توسل إلى الله بصفة من صفاته, وهذا لا ينافي التوحيد وليس ذريعة من ذرائع الشرك[1].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه مر على قاص يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (من قرأ القرآن فليسأل الله به, فإنه سيجيئ أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس)[2] [3].

فبمثل هذا فليتوسل المتوسلون من المسلمين, فبدلا من التوسل بذات النبي- صلى الله عليه وسلم- وذوات غيره من الأنبياء والصالحين, فليتوسلوا بإيمانهم به- صلى الله عليه وسلم- واتباعهم له, وحبهم لهؤلاء الأولياء والصالحين فإن ذلك من أعمالهم هم, وبدلا من التوسل ببركة وحق الآباء والمشايخ, فليتوسلوا ببرهم لوالديهم, وبدلا من التوسل بالجن والملائكة, فليتوسلوا بأسماء الله

---

1 (1) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة 11/519 فتوى رقم (6384).

2 (2) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب فضائل القرآن- باب من قرأ القرآن فليسأل الله به- ص1944 برقم (2917) عن عمران بن حصين, وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (11413).

3 (3) وفي هذا الحديث دليل على عدم جواز ما يفعله المنتسبون للدراسات الإسلامية من مسلمي نيجيريا حيث يتخذ بعضهم الدعاء للناس حرفة فينتقل من بيت إلى بيت يقرأ القرآن وغيره من الأدعية المشروعة للناس يسألهم بها ما يقضي به حاجته, فهذا من سؤال الناس بالقرآن الذي نهينا عنه في الحديث.

الحسنى وصفاته العلا وبكلام الله تعالى, فإن هذا هو السبيل الحق والمنهج القويم.

المبحث الثالث
التوسل الممنوع حكمه وصوره

التوسل الممنوع هو: أن يتقرب العبد إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة, بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة.

فالتوسل إلى الله بما ليس بوسيلة شرعية صحيحة من اللغو والباطل المخالف للمعقول والمنقول, مثال ذلك أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بدعاء ميت, يطلب من هذا الميت أن يدعو الله له[1].

هذا, وقد أساء كثير من مسلمي نيجيريا الفهم في طريقة التوسل المشروع؛ فجعلوا يتوسلون بذوات الأنبياء والأولياء والصالحين ويطلبون القربى إلى الله بحقهم وجاههم وحرمتهم معتقدين بأن لهؤلاء مكانة مرموقة عند الله سبحانه وتعالى ولا بد من الاستفادة من هذه المكانة.

وبسبب الغلو[2] في محبة النبي- صلى الله عليه وسلم- ومجانبة الصواب في وسائل إظهار تلك المحبة كثر عدد الذين يتوسلون بذات النبي- صلى الله عليه وسلم- وحقه وجاهه وحرمته وبركته بين مسلمي نيجيريا, وتتراوح نسبتهم بين 70% و 80% حسب نتائج الاستبانة, وقد فشت هذه الصورة من التوسل الممنوع وانتشرت بين مسلمي نيجيريا حتى أن بعض خريجي جامعات المملكة العربية السعودية لم يسلم منها.

ولتنوع صور التوسل الممنوع وكبر نسبة من يقعون فيها من مسلمي نيجيريا أفصّل القول في ذكر هذه الصور ثم أبين أحكامها راجيا من المولى العظيم أن يعين القوم على تدبر المقام وإعطائه ما يستحق من ترك القبيح والتزام المنهج السليم.

صور التوسل الممنوع لدى مسلمي نيجيريا:

للتوسل الممنوع لدى مسلمي نيجيريا خمس صور:

---

1 (1) مجموع فتاوى العقيدة للشيخ محمد بن صالح العثيمين 2/335.

2 (2) سيأتي الكلام بالتفصيل حول هذا السبب وغيره من أسباب هذه الانحرافات في الباب الرابع من هذا البحث.

الصورة الأولى:

التوسل إلى الله بأسماء لم يسم بها نفسه, وأوصاف لم يصف بها نفسه في كتابه العزيز ولا وصفه بها رسوله في السنة المطهرة.

وهذه الصورة من التوسل الممنوع تكثر وقوعها لدى المنتسبين للدراسات الإسلامية من طلاب المدارس العربية النظامية والأهلية؛ وذلك أن الكثير منهم يرغبون في الدراسات الإسلامية دون معرفة الغاية من تحصيلها, فيحرمون على أنفسهم اتخاذ وسائل أخرى لكسب الرزق, ولما كان السعي إلى توفير عيشة هنيئة للنفس مطلب كل فرد اتخذوا الدعاء للناس لحل مشاكلهم حرفة, وقد وضع لهم ساداتهم أدعيةً مختلفة فيها خطب مشتملة على توسلات بهذه الأسماء والأوصاف التي ليست لله تعالى, لكنهم يصفونه بها ويتوسلون بها إليه.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

فمن أمثلة هذه الصورة ما قاله الحاج عبد العزيز بن أحمد بالوغن[1] في (دعاء الغاية المقصودة الكبرى) في خطبته المحدثة لسورة الضحى: "يا هو, يا كافي, يا فاطر, يا كبير, يا مالك, يا عظيم, يا سلام, اكفني شر ما أخاف شره"[2].

ويلاحظ مناداة الرب تعالى بـ (يا هو), ولم يرد هذا في كتاب الله ولا سنة رسوله, وإنما هو مما أحدثه المتصوفة في أذكارهم البدعية.

---

[1] (1) هو الحاج عبد العزيز أحمد بالوغن الألوري, ولد ببلدة (إلى-أورنغن) في ولاية (أويو), ودرس وتخرج من معهد (إلورن) التابع للأزهر الشريف بولاية (كوارا) نيجيريا, وكتابه هذا يعتبر زادا لطالب الدراسات الإسلامية في نيجيريا سفرا وحضرا إلا من رحم ربي للاهتداء إلى منهج أهل السنة والجماعة وقليل ما هم, وقد أعيدت طباعته أكثر من مرة. انظر: مقدمة كتابه (دعاء الغاية المقصودة الكبرى).

[2] (2) دعاء الغاية المقصودة بموافقة الاستجابة تأليف الحاج عبد العزيز أحمد بالوغن الألوري ص56, دون بيانات أخرى.

وقال في موضع آخر من دعاء ذكره لقضاء حاجة: "اللهم لك الكل, وبك الكل, ومنك الكل, وإليك الكل, وأنت الكل, وكل الكل"[1].

وفي موضع آخر قال: "اللهم يا فطعطيائيل يا مسكيائيل يا كشفيائيل يا رطفيائيل يا دمدم يائيل يا كعكيائيل يا ملكيائيل يا تبيائيل يا تبتيائيل يا عجبيائيل, أجب يا روقيائيل. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم, اللهم ارزقني رزقا واسعا..."[2].

وقال الشيخ يعقوب عبد الله الألوري[3] في كتابه (عون العلماء الصالحين), عند ذكره لدعاء سماه بدعاء أم موسى لتفريج الكروب, ودفع كيد العدو, وتدمير الظالم وإهلاكه, والحفظ من كل مصيبة, قال: "وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما. اللهم يا فَحشَشُ وهَيطَثُ لِيُوتا فَيُوتا ويا طَلَمَتالَهَا مَيُوتَا"[4][5].

وفي موضع آخر قال: "أجب يا كعيائيل ويا سعديائيل ويا ظمهريائيل ويا رب جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل"[6].

وهكذا يطلقون تلك الأسماء الغريبة والعجيبة في نفس الوقت على الله عز وجل على حسب ما تأمرهم به أهواؤهم, معتمدين في ذلك على علم الحساب مع

---

1 (3) المرجع السابق ص100.

2 (1) المرجع السابق ص38.

3 (2) هو الحاج يعقوب بن عبد الله الألوري, من مواليد بلدة (إلورن) ولاية (كوارا) نيجيريا, كان أخا شقيقا للشيخ آدم عبد الله الألوري ورفيق دربه في رحلاته مع والدهما حتى توفي, ثم صار من طلاب الشيخ آدم الذين هاجروا معه من (أبيوكوتا) إلى (أغيغي), لا يزال يدرس في مركز التعليم العربي الإسلامي إلى الآن, وهو المشهور بشيخ الرواق. انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته ص19.

4 (3) عون العلماء الصالحين جمع وترتيب الحاج يعقوب بن عبد الله الألوري ص65, دون بيانات أخرى.

5 (4) ومن الداري هل هذا السائل يتوسل إلى ربه بما ليس من أسمائه ولا صفاته لأنه قال في بداية الدعاء: "اللهم", أو ينادي الجن ويستغيث بهم لأن هذه الأسماء المذكورة يتوقع أن تكون من أسماء الجن.

6 (5) عون العلماء الصالحين ص67.

اعتقادهم أن لها معانٍ تنفعهم في دعائهم إياه وتوسلهم إليه, تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

فقد كذبوا في ظنهم الباطل, فالمنهج السليم هو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم, وأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى.

حكم هذه الصورة:

هذه الصورة من التوسل حكمها التحريم؛ وذلك للأسباب التالية:

1- عدم مشروعيتها أي عدم وجود ما يدل على هذا النوع من التوسل لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله, وإذا لم تثبت مشروعيته فهو إذن ليس مشروعا, وبدهي إذا لم يكن مشروعا أن يكون ممنوعا وحراما[1].

2- بل الدليل يدل على خلافه؛ لأن إطلاق أسماء وأوصاف لم يصف الله بها نفسه ولا وصفه بها رسوله- عليه الصلاة والسلام- من القول على الله بما لا يعلمه العبد, وقد قال تعالى: [illegible] (الأعراف:33), وقال تعالى: [illegible] (الإسراء:36).

3- أن الإنسان إذا كانت له حاجة عند غيره فإنه ينادي هذا الغير بأحب أسمائه إليه لكي يجد منه القبول ويحصل على مطلوبه, ولله المثل الأعلى, وهو سبحانه يحب أن ينادى ويتوسل إليه بما أمر به عباده في قوله تعالى: [illegible] (الأعراف:180), فكيف يعقل أن يتقرب العبد إلى ربه بما لا يرضاه؟

4- أن هذا السلوك مخالف لما عليه سلف هذه الأمة, فمنهج سلف الأمة في هذا الشأن أن أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها, فلا يوصف الله بأكثر مما وصف به

---

[1] (1) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل ص178, وهذا الدليل عام في منع جميع أنواع التوسلات الممنوعة.

نفسه, ولا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله- صلى الله عليه وسلم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل, فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه, ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين, بل هو سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير, ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله"[1].

الصورة الثانية:

التوسل إلى الله بذات المخلوق.

هذه الصورة منتشرة جدا بين مسلمي شمال نيجيريا وجنوبها, ولم يخرج من ذلك أية فئة من فئات المجتمع النيجيري؛ إذ هي موجودة بين العلماء وطلبة الدراسات الإسلامية وعوام الناس, ومما يتوسل الناس بذاته نبينا محمد وسائر الأنبياء- عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ومعنى التوسل بذات المخلوق الاستغاثة به- سواء كان النبي أو غيره- فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ وذلك أن الأدلة الشرعية تدل على نفي اتخاذ الواسطة بين العبد وربه لإجابة دعاء العبد وقضاء حاجته, بل المأمور به إخلاص الدعاء الذي هو أعظم العبادات لله وحده.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

يقول قائلهم: أسألك يا الله بحبيبك محمد أن تفعل لي كذا وكذا.

وقال في دعاء الغاية المقصودة, في الخطبة لسورة طه: "اللهم إني أسألك برسولك الأكرم الأحب من خلقك, سيد البشر النبي المصطفى المنتقى أن تنزل البركات على هذه السورة"[2].

---

1 (2) مجموع الفتاوى 5/195.

2 (1) دعاء الغاية المقصودة ص29.

واشتهر أن يتوسل مسلمو نيجيريا من سائر الأنبياء بأمثال موسى وعيسى وآدم وإبراهيم- عليهم الصلاة والسلام, كما يتوسلون بذوات الأولياء والصالحين والعلماء, ويغالي المتصوفة في التوسل بذوات مشايخهم إلى حد يدخل بهم في الشرك في بعض الأحيان.

ومن المخلوقات الأخرى التي يتوسل مسلمو نيجيريا بذواتها الكعبة المشرفة, ومكة المكرمة, والمدينة النبوية, والمسعى, والصفا, والمروة, وجبل هود, وجبل الطور, وزمزم.

فقد جمع صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى هذه التوسلات كلها في أبيات عنون لها بـ (استغاثة مباركة لتفريج الكروب وقضاء الحوائج), والأبيات هي[1]:

إليك فأنت الحاكم العالم الشكوى وأنت الذي تدري السرائر والنجوى

سألتك بالكتب التي منك أنـزلت وبالمـرسلين المنـقذين من البـلوى

وبالعلـماء العـاملين بعـلمهم وبالأوليـاء السـالمين من الدعـوى

وبالبيت والمسعى وزمزم والصـفا وبالحرمين الآمـنين من الأسـوى

وبالمسجد الأقصى وبالجبل الذي تحـط الـسيئات عليه كمـا يروى

أن تفيّض لي رزقا حلالا بلا عنـا وترزقني العلم الشريف مع التقـوى

كما يتوسلون بالجن وما يسمى بالروحانيين.

---

1 (2) دعاء الغاية المقصودة الكبرى ص105-106, ولست أدري هل الأبيات من إنشاء المؤلف أو لغيره, والذي يظهر لي أنها له لأنني لم أعثر عليها من غير هذا الكتيب مما يسمى بكتيبات الدعاء, ومهما يكن, فالمهم أن الأبيات مشهورة جدا بين أدعياء العلم وطلابه وخاصة الذين يتخذون الدعاء للناس حرفة, يذكرونها عقب دعائهم متوسلين بها, كما يتغنون بها بكل فرح وسرور دون أدنى شعور منهم بما اشتملت عليه من التوسلات البدعية, والشرك في الربوبية في قول الشاعر: (وبالمرسلين المنقذين من البلوى).

ففي دعاء الفوز العظيم[1]: "اللهم إني أسألك يا الله يا الله يا الله يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد يا غني يا مغني بمهمهوب مهمهوب ذي اللطف الخفي بصعصع صعصع ذي النور والبهاء بسهسهوب سهسهوب ذي العز الشامخ الذي له العظمة والكبرياء لطهطهوب طهطهوب لهوب ذي النور والبرهان والقدرة والسلطان"[2][3].

حكم هذه الصورة:

التوسل بذات المخلوق إذا قصد به الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله, فهو شرك؛ وذلك لما يأتي:

1- عدم ورود دليل يدل على مشروعيته لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم.

2- أن التوسل بذات المخلوق بقصد الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله فيه توجيه الدعاء لغير الله, ودعاء غير الله شرك أكبر, يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

3- أن التوسل بالذوات هو الذي فتح للعوام نداء الأموات والاستغاثة بهم بحجة أن ذلك توسل؛ لعدم معرفة بعضهم الفرق بين التوسل بدعاء رجل صالح الذي هو المشروع وبين التوسل بذاته الذي يقصد به الاستغاثة به, ولتساهل آخرين, فأدى بهم التوسل بذوات الأولياء والصالحين إلى التصريح بندائهم أحياء وأمواتا, وذلك عين الشرك.

4- ما يقصد بهذه الصورة من جعل الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه في قضاء الحوائج واستجابة الدعاء, وذلك عين فعل المشركين الأولين, كما قال تعالى عنهم: [illegible] (الزمر:3), كما أن

---

[1] (1) هو كتيب آخر من كتيبات الدعاء, ولعل لشهرته لم يكتب عليه اسم المؤلف ولا دور النشر وقد طبعت عدة مرات, قل من لا يملكه من طلبة الدراسات الإسلامية في نيجيريا؛ وذلك لجهلهم بما فيها من استغاثات وتوسلات غير مشروعة.

[2] (2) دعاء الفوز العظيم ص19-20.

[3] (3) وقع المتوسل بهذه الألفاظ في محذورين اثنين, الأول: أنه ينادي ربه متوسلا إليه بذوات أعيان من الجن, والثاني: أنه يصف هؤلاء الجن بأوصاف لا ينبغي إطلاقها إلا على الله وحده, ووصف المخلوق بصفات الله تعالى شرك في الأسماء والصفات.

الذي يجعل بينه وبين الله وسائط في الدعاء يفهم من لسان حاله تشبيه الخالق بالمخلوق, وفي ذلك تنقص لجناب الرب تعالى, حيث إن المعهود بين الناس أن الملوك غالبا يكون لهم وزراء يرفعون قضايا الناس العاديين إليهم؛ وذلك لعجزهم وقصر علمهم عن معرفة ما يجري في مملكتهم, والله جل وعلا علام الغيوب والقادر على كل شيء, لا حاجة له إلى الوسائط والوزراء لتبلغه أصوات عباده ومعرفة حوائجهم, بل هو أقرب إلى عبده من حبل وريده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه, فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم, فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم, والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج, فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك, يجب أن يستتاب, فإن تاب وإلا قتل"[1].

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى: "القسم الثاني فهو التوسل بذواتهم, فهذا ليس بشرعي بل هو من البدع من وجه, ونوع من الشرك من وجه آخر, فهو البدع؛ لأنه لم يكن معروفا في عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه, وهو من الشرك؛ لأن كل من اعتقد في أمر من الأمور أنه سبب ولم يكن سببا شرعيا فإنه قد أتى نوعا من أنواع الشرك, وعلى هذا لا يجوز التوسل بذات النبي- صلى الله عليه وسلم- مثل أن يقول: أسألك بنبيك محمد- صلى الله عليه وسلم, إلا على تقدير أنه يتوسل إلى الله تعالى بالإيمان برسول الله- صلى الله عليه وسلم- ومحبته؛ فإن ذلك من دين الله الذي

---

1 (1) مجموع الفتاوى 1/126.

ينتفع به العبد, وأما ذات النبي- صلى الله عليه وسلم- فليست وسيلة ينتفع بها العبد"[1].

الصورة الثالثة:

التوسل إلى الله تعالى بحق مخلوق أو حرمته أو جاهه أو بركته.

وهي صورة أخرى من صور التوسل الممنوع التي لا يكاد يحصى وقوعها لدى مسلمي نيجيريا, فيتوسلون بجاه النبي- صلى الله عليه وسلم- وحقه وحرمته وبركته, وكذلك غيره من الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

يقول صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "اللهم إني أسألك بجاه محمد المصطفى وبحق هذا الدعاء أن تهب لي في الدنيا والآخرة, إنك على كل شيء قدير"[2].

وضمن سلسلة من أبيات أخرى سماها بـ (الاستغاثة المباركة), قال فيها:

أرجوك يا رب في الدارين ترحمنا   بجاه من في يديه سبّح الحجـر[3]

وفي التوسل بحق النبي- صلى الله عليه وسلم- وأولاده السبعة قال مؤلف كتاب (عون العلماء الصالحين): "اللهم إني أسألك بحق سيدنا محمد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأولاده السبعة وهم: القاسم وعبد الله وإبراهيم وزينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم"[4].

ومن التوسل ببركة الأنبياء قول صاحب دعاء الغاية المقصودة: "اللهم اقض حاجتي ببركة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسول الله-صلى الله عليه وسلم"[5].

---

1 (1) فتاوى مهمة ص90.

2 (2) دعاء الغاية المقصودة ص19.

3 (3) المرجع السابق ص94.

4 (4) عون العلماء الصالحين ص43.

5 (5) دعاء الغاية المقصودة ص37.

كما يتوسلون بحق الصحابة الكرام وحرمتهم رضي الله عنهم أجمعين, وفي ذلك قول صاحب دعاء الغاية المقصودة: "اللهم اقض حاجتي بحرمة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح- رضي الله عنهم أجمعين"[1].

وتوسل صاحب عون العلماء الصالحين بأبي بكر وحده وقال:

فيا رب فاسترنا من الظلم كله بجـاه أبي بكر حبـيب نـبينا[2]

ويتوسلون بحق الأولياء والصالحين, يقول في ذلك صاحب كتاب عون العلماء الصالحين: "بسم الله الرحمن الرحيم, بحق سيد تاج العارفين أبي الوفا, وبحق عبد القادر الكيلاني والجيلاني, وبحق سيد أحمد التجاني[3] رضي الله عنهما"[4].

وقد لا يذكرون أسماء الأولياء الذين يتوسلون بهم بل يقولون مثلا: "اكفني شر من لا يخافك بحق من يخافك, يا ذا الجلال والإكرام"[5].

ويتوسلون بحق الملائكة الكرام وحرمتهم, كما في دعاء الغاية المقصودة: "وبحق جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل وسمسيائيل ونورميائيل وأوقيائيل, وكل الملإ الأعلى"[6].

---

1 (1) دعاء الغاية المقصودة ص37-38, وانظر: عون العلماء الصالحين ص16.

2 (2) عون العلماء الصالحين ص113.

3 (3) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني, شيخ الطريقة التجانية ومؤسسها, ولد بعين ماضي بالجزائر سنة 1150هـ ونشأ بها, رحل في سنة 1171هـ إلى فاس فلقي بها بعض الشيوخ فأخذ عنهم, ثم رحل إلى تلمسان وأقام بها مدة, وحج سنة1186هـ, ومر بتونس وأقام بها مدة ثم عاد إلى فاس واستقر بها إلى أن توفي سنة 1230هـ.
انظر: الأعلام 1/245, معجم المؤلفين 2/143.

4 (4) عون العلماء الصالحين ص15-16.

5 (5) المرجع السابق ص42.

6 (6) دعاء الغاية المقصودة ص30.

وفي دعاء الفوز العظيم أيضا: "أجب بحرمة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ورقيب وعتيد ومنكر ونكير عليهم الصلاة والسلام"[1].

كما يتوسلون ببركتهم, مثل ما قال صاحب دعاء الغاية المقصودة في خطبته لسورة يس: "اللهم اقض حاجتي ببركة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكرسي والملائكة المقربين وجميع الأنبياء والمرسلين"[2].

حكم هذه الصورة:

مذهب جمهور العلماء أن التوسل بجاه المخلوق أو حقه أو حرمته أو بركته من البدع المذمومة لكنه لم يصل إلى حد الشرك, وهذا القول لم يخالف فيه إلا العز بن عبد السلام[3] الذي أجاز التوسل بالنبي- صلى الله عليه وسلم- خاصة معلقا القول بذلك على صحة حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه عند الترمذي, والحديث صحيح[4] إلا أنه ليس فيه دليل على جواز التوسل بذات النبي- صلى الله عليه وسلم أو بجاهه.

ومما يدل على بدعية هذه الصورة:

1- أن الشخص الذي يُسأل الله تعالى بجاهه لم يحصل على هذا الجاه وتلك المنزلة العالية إلا باجتهاده بفعل المأمورات وترك المنهيات, وهذا سعيه هو ولا نصيب لغيره منه, كما قال تعالى: [illegible] (النجم:39), فكيف يتوسل المرء بما ليس من ملكه ولا رابط معه به؟[5].

2- أنه لو كان التوسل بالجاه مشروعا ومتعارفا عليه لدى الصحابة الكرام ما عدلوا عن التوسل به- صلى الله عليه وسلم- بعد موته إلى التوسل بالعباس, ولاكتفى ذلك الأعمى الذي جاء إليه- صلى الله عليه وسلم- يطلب منه

---

1 (7) دعاء الفوز العظيم ص21.

2 (1) دعاء الغاية المقصودة ص37.

3 (2) انظر: تيسير العزيز الحميد ص211.

4 (3) انظر: ص170 من هذا البحث.

5 (4) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل ص180-181.

الدعاء, لاكتفى بالجلوس في بيته والتوسل بذات النبي أو جاهه هناك.

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى:

"وأما قول القائل: أسأل الله بحق أوليائه أو بجاه أوليائه أو بحق النبي أو بجاه النبي فهذا ليس من الشرك ولكنه بدعة عند جمهور أهل العلم ومن وسائل الشرك؛ لأن الدعاء عبادة وكيفيته من الأمور التوقيفية ولم يثبت عن نبينا- صلى الله عليه وسلم- ما يدل على شرعية أو إباحة التوسل بحق أو جاه أحد من خلقه فلا يجوز للمسلم أن يحدث توسلا لم يشرعه الله سبحانه وتعالى, [illegible]

[illegible]

(الشورى:21), وقول النبي- صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[1] متفق على صحته, وفي رواية لمسلم وعلقها البخاري في صحيحه جازما بها: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[2], ومعنى قوله: (فهو رد) أي: مردود على صاحبه لا يقبل, فالواجب على أهل الإسلام التقيد بما شرعه الله والحذر مما أحدثه الناس من البدع"[3].

الصورة الرابعة:

التوسل إلى الله تعالى بكلمات لا يفهم معناها.

يكثر وقوع هذه الصورة لدى المنتسبين للدراسات الإسلامية الذين جعلوا أنفسهم زعماء روحانيين للناس, فيريدون دائما أن يأتوا بأشياء غريبة يتعجب منها الناس كي يتيقن المغترون بهم بأن لديهم كرامات, وأن دعاءهم مستجاب.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ومن الأمثلة على هذه الصورة قول صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى في خطبته لسورة الكهف: "اللهم إنا نسألك بدعوة مستجابة سورة مجيبا سقفاطيش

---

1 (1) سبق تخريجه ص43.

2 (2) سبق تخريجه ص43.

3 (3) فتاوى مهمة ص93.

سقفاطم أخون قاف: آدم حم هاء آمين وبحق كهيعص طه وطس ويس وحم وحم عسق ق ف وتطريفها اقهر لي على خلقك أجمعين وبحق فهتمي برهان أذوني أصباؤت ءال شداى هوتان تطروت وصوقاد ولا طيح ولا يكمتوتا أيكان هاهن سنطليش, لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"[1].

وقوله في موضع آخر: "العجل العجل الوحا الوحا الساعة الساعة بارك الله فيكم وعليكم, وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم"[2].

حكم هذه الصورة:

التوسل إلى الله تعالى بكلمات لا يفهم معناها من البدع الشنيعة, وذلك لأمور:

1- أن معنى التوسل التقرب إلى الله تعالى بالطاعات من واجبات ومستحبات, وبكل عمل يحبه الله ويرضاه, وقد دلت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة على أن الله لا يحب أن يعبد إلا بما أمر به وشرعه على لسان رسوله- صلى الله عليه وسلم, وما من شك بأن هذه الأباطيل لم ترد على لسان رسول الله- عليه الصلاة والسلام- ولم تسمع من أحد كائنا من كان ممن عاش في القرون المفضلة.

2- أن ما ورد في كتاب الله من توسلات المؤمنين إلى ربهم وما ورد في السنة مما علّم النبي- صلى الله عليه وسلم- به أمته من التوسلات كلها واضحة المعاني, فالمسلم الجديد يدرك بسهولة معنى (الغفور) و(الرحيم) من أسمائه تعالى التي أمرنا بالتوسل بها, كما يدرك معنى قوله- صلى الله عليه وسلم: (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق...) في توسله المعروف, فكل هذه التوسلات واضحة المعاني لا غموض فيها ولا تكلف.

3- أن ما دلت عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- من أنواع التوسل المشروع, وعمل بها الرسول- عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام عليهم رضوان الله لنا فيه كفاية وغنية عن

---

1 (4) دعاء الغاية المقصودة ص20.

2 (1) دعاء الغاية المقصودة ص65.

إحداث نوع آخر مما لا يسلم أن يكون من إملاءات الشياطين.

4- أن الإنسان لا يدري ربما هذه الكلمات مشتملة على معان شركية تُخرج الذي يتلفظ بها من ملة الإسلام, وتسبب له الشقاوة في الدنيا والآخرة.

يقول الشيخ أبو بكر محمود جومي[1] عند ذكره لبعض البدع المنتشرة بين مسلمي نيجيريا ومنها قراءة أوراد وأدعية غير مفهومة المعاني, قال: [ثم إن تلاوة الأسماء بدون معرفة معناها لا ينفع شيئا ... وربما تجد من يتلو أسماء لا يعرف معناها يضر نفسه بدل أن ينفعها, قال الله تعالى: [illegible] (الإسراء:11), وقال مالك رحمه الله لرجل رآه يدعو بأسماء لا يعرف معناها: "وما يدريك لعلها كفر"[2]][3].

5- أن ما وردت به النصوص من أنواع التوسلات المشروعة قد وَجد آثارَها جمٌ غفير من أفراد الأمة, وأيقنوا نتائجها, وهي استجابة الباري جل وعلا لدعوتهم, وقضائه لحوائجهم.

ففي التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا ما رواه محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: دخل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول: اللهم إني أسألك يا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي, إنك أنت الغفور الرحيم. قال: فقال: (قد غفر له, قد غفر له) ثلاثا[4].

وما رواه أنس بن مالك قال: كنت مع رسول- الله صلى الله عليه وسلم- جالسا ورجل قائم يصلي, فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم! إني أسألك بأن

---

1 (2) هو أحد العلماء النيجيريين الذين أبرزت جهودهم في محاربة الانحرافات في الباب الأول من هذا البحث, وهو من علماء أهل السنة والجماعة.

2 (1) سبق تخريجه ص74.

3 (2) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص55-56.

4 (3) سبق تخريجه ص146.

لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام! يا حي يا قيوم! إني أسألك, فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: (أتدرون بما دعا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم, قال: (والذي نفسي بيده! لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى) [1].

وفي التوسل بالعمل الصالح ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه في قصة الثلاثة الذين أطبقت عليهم صخرة في غار, فدعا كل واحد منهم بعمل صالح عمله ففرج الله عنهم.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه, فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار, فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم, فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا, فنأى بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين, وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا, فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما, اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة, فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج) قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه, فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب

---

[1] (4) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الوتر- باب الدعاء- ص1333-1334 برقم (1495), والنسائي في سننه- كتاب السهو- باب الدعاء بعد الذكر- ص2172 برقم (1302) عن أنس بن مالك, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (2290).

الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها, اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه, فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها). قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله, أدّ إلي أجري, فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله, لا تستهزئ بي, فقلت: إني لا أستهزئ بك, فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا, اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه, فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون)[1].

وفي التوسل بدعاء الرجل الصالح ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب[2].

هذه هي التوسلات المشروعة الناجحة المجربة التي يثاب عليها المرء لامتثاله أمر الله تعالى واتباعه سنة نبيه- عليه الصلاة والسلام, يضاف إلى ذلك استجابة الله لدعوته ونيله لمطلوبه, ولِمَ العدول عنها إلى التوسلات التي الأقرب فيها أن تكون من الشرك؟ والله المستعان.

الصورة الخامسة:

التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من الأموات.

ذلك بأن يقوم المتوسل بزيارة القبور ويتوسل إلى الله تعالى بطلبه الدعاء من الأموات, وهي صورة يكثر وقوعها عند المتصوفة بطائفتيهم في نيجيريا: التجانية والقادرية, إلا أنه لقوة شوكتهم فقد بدأ هذا الأمر ينتشر بين الذين يقلدونهم من العوام.

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الإجارة- باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد ....- ص176 برقم (2272), ومسلم في صحيحه- كتاب الرقاق- باب قصة أصحاب الغار الثلاثة, والتوسل بصالح الأعمال- ص1153 برقم (2743) عن عبد الله بن عمر.

2 (1) سبق تخريجه في ص150.

ذكر الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ومثال هذه الصورة من التوسل الممنوع ما قاله الشيخ عبد الجبار بن محمد الناصر المختار كبرى[1] في رده على أحد علماء أهل السنة: "وبدون تطويل فإن أحدا منا لا يقوم بعبادة مثله من الخلق حيا كان أو ميتا, لكننا نكن احتراما وتقديرا لكل من شهد الواقع له بالصلاح, في حياته وبعد مماته فهما عندنا سواء, والذي نقوم به تجاه الصالحين الأموات هو الزيارة وغايتها القصوى الدعاء لهم, وطلب الدعاء منهم, والاعتبار بهم, وليس العبادة كما يفتري أتباع السلفية"[2].

وشبهتهم[3]- كما هي واضحة في النقل السابق- أنهم يظنون أن سؤالهم الأموات مثل سؤالهم إياهم لما كانوا أحياء, فلا فرق عندهم بين الحياة والموت.

حكم هذه الصورة:

التوسل بطلب الدعاء من الميت من البدع المنكرة ومن وسائل الشرك, وهو باب من الأبواب الموصلة إلى دعاء الميت نفسه فيما بعد, هذا إذا كان ذلك التوسل قد حصل عند قبر الميت ومشهده.

ويدل على بدعية هذه الصورة ما يترتب عليها من مفاسد عظيمة من صرف القلوب إلى غير باريها وفاطرها, والافتقار إلى المخلوق المقبور العاجز, وإيذاؤه بتكليفه سؤال الله تعالى إن قُدر أنه يسأل الله, ومن يدري ما هو فيه من النعيم أو الجحيم؟[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما الزيارة البدعية فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج أو يطلب منه الدعاء والشفاعة, أو يقصد الدعاء عند قبره

---

1. (2) هو عبد الجبار بن محمد الناصر المختار الكبرى أحد أبناء الشيخ محمد الناصر الكبرى الكنوي القادري, كان والده رئيس الطائفة القادرية في نيجيريا كلها إلى أن توفي, وهو خليفة والده الآن بدار القادرية بمدينة (كانو).
2. (3) عصا موسى بين حبال السحرة تأليف عبد الجبار محمد الناصر المختار كبرى ص13, مطبعة شريف بلا, كانو- نيجيريا 1424هـ.
3. (4) سيأتي الرد على هذه الشبهة في صفحات مقبلة.
4. (1) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 2/495.

لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء, فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ولا فعلها الصحابة لا عند قبر النبى- صلى الله عليه وسلم- ولا عند غيره وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك[1].

أما إذا توسل بطلب الدعاء من الميت بعيدا عن قبره فالحكم في هذه الحالة أن هذا التوسل شرك؛ لأن المتوسل قد زعم أن الولي الذي يطلب منه الدعاء يعلم الغيب, ويسمع كلامه في كل زمان ومكان, ويشفع له في كل حين وأوان, فهذا شرك صريح[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فعلم أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئا, لا يطلب منه أن يدعو الله له ولا غير ذلك, ولا يجوز أن يشكى إليه شيء من مصائب الدنيا والدين, ولو جاز أن يشكى إليه ذلك في حياته فإن ذلك في حياته لا يفضي إلى الشرك وهذا يفضي إلى الشرك؛ لأنه في حياته مكلف أن يجيب سؤال من سأله لما له في ذلك من الأجر والثواب وبعد الموت ليس مكلفا[3].

وخلاصة القول أن التوسل جزء من الدعاء, والدعاء عبادة من العبادات, كما ثبت في الحديث: (الدعاء هو العبادة)[4], وقد وردت النصوص الصحيحة الصريحة بتحريم إحداث عبادة لم ترد في النصوص الشرعية, فإن كل توسل لم يرد في النصوص ما يدل على مشروعيته فهو توسل بدعي محرم, وتتراوح حرمته بحسب نوعيته وصوره.

إذن فالتوسلات المذكورة آنفا بجميع صورها محرمة, وأخف صورة فيها هي ما كان حكمها من البدع المنكرة.

فلا يجوز للمسلم أن يدعو الله تعالى بشيء من هذه التوسلات؛ إذ قد أثبتت النصوص أن التوسل المشروع بجميع أنواعه مخالف لهذه الصور من التوسلات, فلم يرو قط في خبر صحيح عن النبي- صلى الله عليه وسلم, ولا

---

1 (2) مجموع الفتاوى 1/166.

2 (3) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 2/497.

3 (4) مجموع الفتاوى 1/354.

4 (1) سبق تخريجه ص108.

عن صحابته الكرام ما يدل على عمل أحد منهم بهذه الصور من التوسلات أو ما يشبهها, مع أنه قد نقلت عنهم أدعية كثيرة, وهم أفقه الأمة لهذا الدين بعد نبيها, وأحرصهم على الخير والتمسك بسنة نبيهم[1].

شبه وردود

لم تكن لدى مسلمي نيجيريا شبهات كثيرة في مسألة التوسل, وإنما الذي أوقع أغلبهم في تلك التوسلات الممنوعة الجهل في الدين والغفلة عن اتباع سنن الهدى والغلو في محبة الأولياء والصالحين.

أما تلك الشبهات القليلة التي يشهد الواقع على وجودها ودلت التجارب على اشتباه الحق على الناس حولها فهي:

الشبهة الأولى:

استدلالهم على جواز التوسل بجاه النبي- صلى الله عليه وسلم بحديث: (توسلوا بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عظيم), ويرويه بعضهم بلفظ: (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عظيم).

ورد هذه الشبهة من وجوه:

1- أن هذا الحديث لا أصل له في شيء من كتب السنة, بل هو مما وضعه بعض الفسقة على النبي- صلى الله عليه وسلم؛ ولذا بطل الاستدلال به.

يقول شيخ الإسلام: "وروى بعض الجهال عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم, وهذا الحديث كذب, ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث, ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث, مع أن جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين[2].

2- أننا لا ننكر عظمة جاه النبي, فإن جاهه- صلى الله عليه وسلم- أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين؛ إذ هو

---

1 (2) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية ص4970498.

2 (1) مجموع الفتاوى 1/319.

أفضل ولد آدم على الإطلاق, فلسنا ننكر جاهه إلا أنه لم يرد دليل شرعي صحيح في جواز التوسل بجاهه هذا ولا جاه غيره من الأنبياء والأولياء, فلا نتمسك بالقول بتعظيمه ومحبته فندخل من ذلك الباب في التوسل بجاهه وحرمته, وإنما نعظمه باتباعه وطاعته فيما أمر واجتناب ما عنه نهى, وكذلك التأسي به في سننه, فالحب الصادق إنما هو بالاتباع وليس بالابتداع.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله فأنزل الله آية المحنة: [illegible] (آل عمران:31), وقال: [illegible], إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها, فدليلها وعلامتها اتباع الرسول, وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم, فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية[1].

3- أن التوسل بجاه النبي- صلى الله عليه وسلم- أو غيره من الأولياء والصالحين ليس مشروعا, وليس هناك دليل صحيح يثبته في الكتاب والسنة؛ إذ لو كان من أنواع التوسل المشروع لانتشر بين الصحابة في حياة النبي- عليه الصلاة والسلام- ولنقلت إلينا أمثلة منه كما نقلت إلينا بأسانيد صحيحة أمثلة من التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا, وأمثلة من التوسل بالعمل الصالح, وأمثلة من التوسل بدعاء الرجل الصالح.

4- بل الأدلة تدل على أن التوسل بالجاه ممنوع شرعا, ومن ذلك حديث الرجل الأعمى الذي جاء إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- يطلب منه الدعاء بالعافية.

فقد روى عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: ادع الله أن يعافيني, فقال: (إن شئت أخرت لك وهو خير, وإن شئت دعوت), فقال: ادعه, فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه, ويصلي ركعتين, ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة, يا محمد إني قد

---

1 (2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن قيم الجوزية 3/22, والذي قاله الحسن البصري.

توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى, اللهم فشفعه فيّ)[1].

ويلاحظ في الحديث مغادرة الرجل الأعمى بيته ومجيئه إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- ليطلب منه الدعاء مما يدل بجلاء على فهمه الدقيق للأسباب الشرعية التي تقرب الداعي من الإجابة, ولو كان التوسل بجاه النبي- عليه الصلاة والسلام- جائزا ومشهورا في عصرهم لما احتاج الرجل للمجيء إلى النبي, بل لجلس في بيته يتوسل بجاه النبي وحرمته, ولو لم يكن عالما بأن توسله بجاهه يكفيه وأتى النبي- عليه الصلاة والسلام- لأرشده إلى ذلك وأرجعه إلى بيته ليقعد هناك ويتوسل بجاهه- عليه الصلاة والسلام.

الشبهة الثانية:

ظنهم بأن طلب المسلم الدعاء من أخيه في حياته مثل طلبه منه بعد موته ولا فرق عندهم بين الحياة والموت, وأصل هذه الشبهة عندهم هو الغلو في محبة الأولياء والصالحين, وهو الذي أدى بهم إلى هذا الاعتقاد الباطل.

ورد هذه الشبهة من وجوه:

1- إن الظن بأنه لا فرق بين الحياة والموت وقياس أحدهما على الآخر ظن سيء, وقياس مع الفارق, وهو فاسد الاعتبار؛ لأن طلب الدعاء منه في حال حياته ليس فيه محذور ولا مفسدة؛ فإن أحدا من الأنبياء عليهم السلام لم يعبد في حياته بحضوره, فإنه ينهى من يعبده ويشرك به ولو كان شركا صغيرا كما قال- صلى الله عليه وسلم: (لا

---

[1] (1) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب في دعاء الضيف- ص2020 برقم (3578), وابن ماجه في سننه- كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها- باب ما جاء في صلاة الحاجة- ص2559 برقم (1385) عن عثمان بن حنيف.قال الترمذي:حديث صحيح حسن غريب, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (2495).

تقولوا ما شاء الله وشاء فلان, ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان)[1], ونهى من قال: (وفينا نبي يعلم ما في غد)[2].

وأما بعد موته فيخاف الفتنة والإشراك به كما أشرك بالمسيح والعزير وغيرهما عند قبورهم وغير قبورهم[3].

2- أنه لم يرد قط أن نبيا طلب من نبي آخر ممن سبقوه أن يدعو الله له, ولا فعل ذلك نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم, وكذلك الصحابة الكرام لم يكونوا يطلبون من النبي بعد موته أن يدعو لهم مع أن طلب الدعاء منه في حياته معروف فيما بينهم, والذي فعلوه هو العدول عنه إلى غيره من الصالحين مثل توسلهم بدعاء العباس بن عبد المطلب, ولو كان الأمر كما يظنه القوم من جعل الحياة والموت سواء لما انصرف الصحابة إلى التوسل بالعباس رضي الله عن الجميع بطلب الدعاء منه, والموقف يقتضي الأخذ بأسرع وسيلة للإجابة.

3- ما في الكتاب والسنة من الدلائل البينة على جواز التوسل بدعاء الرجل الصالح في حياته ومنع ذلك بعد موته.

ومن تلك الأدلة قول الله تعالى: [illegible] (النساء:64).

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير الآية: "[illegible] أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم, ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها, والثواب عليها, وهذا المجيء إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك, لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته, وأما بعد موته, فإنه لا يطلب منه شيء, بل ذلك شرك"[4].

---

1 (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتب الأدب- باب ..- ص1588 برقم (4980), والإمام أحمد في مسنده- 5/461 برقم (23409) عن حذيفة, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (137).

2 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المغازي- باب .. ص326-327 برقم (4001) عن الربيع بنت معوذ.

3 (3) انظر: مجموع الفتاوى 1/332-333, 27/80.

4 (1) تفسير السعدي ص165.

وعلى الرغم من وضوح وجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة على جواز توسل المسلم بدعاء أخيه الحي الحاضر, فقد استدل بها بعض المبتدعة على مذهبهم الباطل الذي هو الاستغاثة بالأموات وطلب الدعاء منهم والتوسل بهم, وليس في الآية أدنى وجه استدلال لهم بل هي دليل عليهم.

فهي حكاية عن واقع حال أيام الرسول- صلى الله عليه وسلم- يذكرها الله في القرآن, ويرويها لنا؛ لنتعظ بما فيها ونعمل بما نفهم منها[1], ولا تدل بأي وجه على جواز الذهاب إلى قبره الشريف- صلى الله عليه وسلم- بعد موته أو غيره من الأنبياء والصالحين وطلب الاستغفار أو الدعاء منه أو الاستغاثة به. يؤكد ذلك أن (إذ) في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾, تستعمل لحكاية أمر وقع في زمن مضى كما يقول اللغويون.

ففي القاموس المحيط: "إذْ: تَدُلُّ على الماضي مَبْنِيٌّ على السكونِ وحَقُّهُ إضافَتُهُ إلى جُمْلَةٍ, وتكونُ اسماً للزَّمَنِ الماضي وحينئذٍ تكونُ ظَرْفاً غالِباً: فقد نَصَرَه اللَّهُ إذ أخْرَجَهُ, ومَفْعولاً به: واذْكُروا إذ كُنْتُمْ قَليلاً, وبَدَلاً من المَفْعولِ: واذْكُرْ في الكِتابِ مَرْيَمَ إذِ انْتَبَذَتْ"[2].

ويقول الشيخ محمد نسيب الرفاعي: "ومما يجب التنبيه إليه, والتنويه عنه هو أن الذهاب إلى الرسول واستغفار الله تعالى في مجلسه ثم سؤالهم رسول الله الاستغفار لهم, واستغفاره- صلى الله عليه وسلم لهم فعلا ... كل هذا ... إنما كان ولا شك في حياته- صلى الله عليه وسلم, فلا يجوز لأحد بعد وفاته أن يأتي قبره- صلى الله عليه وسلم- ويسأله أن يستغفر الله له؛ لأن استغفاره- صلى الله عليه وسلم- قد انقطع بوفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى- بأبي هو وأمي- ولم يعد يستطيع الدعاء والاستغفار لانقطاع عمله بالوفاة. وبناء على ذلك فإن كل

---

1 (2) التوصل إلى حقيقة التوسل ص136.

2 (3) انظر: القاموس المحيط 1/421, ومختار الصحاح 1/11.

سؤال منه بالاستغفار بعد وفاته محرم, وليس لأحد أن يحتج بالآية على فعل ذلك"[3].

ومن السنة عدول الصحابة الكرام عليهم رضوان الله عن التوسل بدعاء النبي- صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته إلى التوسل بدعاء العباس عم النبي رضي الله عنه, ولو كان التوسل بدعائه في حياته وبعد موته سواء ما عدلوا عن التوسل بدعائه عليه الصلاة والسلام إلى التوسل بدعاء من هو أقل منه فضلا.

الفصل الثالث
الحلف

المبحث الأول
تعريف الحلف لغة واصطلاحا وصلته بتوحيد الألوهية

[3] (1) التوصل إلى حقيقة التوسل ص136.

التعريف اللغوي للحلف:

الحِلْفُ والحَلِفُ القَسَمُ لغتان. حَلَفَ أَي: أَقْسَم, يَحْلِفُ, حَلْفاً, وحِلْفاً, وحَلِفاً, ومَحْلُوفاً[1].

والحلف, والقسم, واليمين, كلها بمعنى واحد, يقول الراغب الأصفهاني: "وأقسم: حلف, وأصله من القسامة, وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول ثم صار اسما لكل حلف"[2].

وقد وردت هذه الألفاظ كلها في القرآن الكريم.

ففي لفظ "الحلف" قال تعـالى: [illegible] (التوبة:62), وقال تعـالى: [illegible] (القلم:10).

وفي لفظ "القسم" قال تعالى: [illegible] (النحل:38).

وفي لفظ "اليمين" قــال تعــالى: [illegible] (البقرة:225).

التعريف الاصطلاحي للحلف:

الحلف: هو اليمين والقسم, وهو توكيد حكم بذكر معظم على وجه مخصوص[3].

صلة الحلف بتوحيد الألوهية:

لما كان توحيد العبادة هو توحيد الله تعالى بأفعال العباد, وكان الحلف فعل العباد أنفسهم, كان صرفه لله تعالى توحيدا؛ إذ الحلف تعظيم للمحلوف به[4], والتعظيم فعل العبد, وإنه بالحلف يكون العبد قد عبد الله تعالى بقلبه ولسانه وجوارحه.

---

1 (1) انظر: لسان العرب 9/53 مادة (حلف).

2 (2) المفردات في غريب القرآن ص404.

3 (3) المطلع على أبواب المقنع تأليف محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي ص387, تحقيق محمد بشير الأدلبي, المكتب الإسلامي- بيروت, 1401هـ- 1981م.

4 (1) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبد الرؤوف المناوي 6/120, ط/الأولى 1356هـ, المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

فعبد الله بقلبه, وذلك بما يقوم في قلبه من اعتقاد العظمة والكبرياء والجبروت لله تعالى, وبما يقوم في قلبه من خشية الله تعالى وخوفه إن هو كذب في حلفه, وبما يقوم في قلبه من الرجاء لله إن هو بر في يمينه, ولم يكذب. وهذه عبادات قلبية, وأعمال للقلوب يتقرب بها العبد إلى الله تعالى.

وهو بحلفه يتعبد لله بلسانه, حيث إن اللسان أداة للحلف, وترجمان القلب ومقدمته. فإذا حلف كان قد عبد الله به؛ لأن حلفه يشتمل على إثبات توحيد الربوبية والعبودية والأسماء والصفات, والإقرار بهذه عبادة لله تعالى.

وهو بحلفه يتعبد لله بجوارحه, فبكفه عما حلف عليه, وبفعله لما حلف أن يفعله- إن لم يكن معصية, أو حلفا على ترك طاعة- قد تعبد الله بجوارحه, وكذا بما يظهر على الجوارح من الخشوع والخضوع والتعظيم لله تعالى, كل هذا عبادة لله جل وعلا.

كما أن للحلف صلة بالتوحيد. من جهة ما يضاده ويناقضه أو يقدح فيه, فكما أن الحلف بالله تعالى توحيد, فإن الحلف بغيره جل وعلا شرك, فهو شرك أكبر تارة, وشرك أصغر تارة أخرى, بحسب ما يقوم بالقلب, كما أن الحلف بالله كاذبا منقص لثواب التوحيد. وتكذيب الحالف الصادق كذلك منقص لثواب التوحيد. ومؤذن بعدم الاكتراث بالله- تعالى[1].

أدلة النهي عن الحلف بغير الله:

الحلف- كما سبق تعريفه- هو تأكيد الشيء بذكر معظم بصيغة مخصوصة, فيتبين من ذلك أن الأصل في الحلف تعظيم المحلوف به, ولما كان من واجب المرء المسلم ألا يعظم بقلبه ولسانه وجوارحه إلا الله سبحانه وتعالى أصبح أمر الحلف عند العبد خاصا به تعالى, ومن حقوقه الإلهية.

---

[1] (2) الحلف والأيمان دراسة عقدية للدكتور يوسف بن محمد السعيد, بحث في مجلة جامعة الإمام العدد 39 رجب 1423هـ ص221-223.

فمعلوم أن ما كان حقا خالصا لله لا ينبغي أن يكون لغيره فيه نصيب, فالحلف به من حقه تعالى, وهو عبادة, والعبادة كلها له وحده لا شريك له, [illegible] (البينة:5), وإذا كان الحلف نوعا من أنواع العبادة فإفراد الله تعالى به يكون توحيدا, فأي حلف بشيء آخر كائنا ما كان ذلك الشيء مناف لكمال التوحيد الواجب؛ وذلك لما فيه من إعظام غير الله بما هو من خصائص الله تعالى.

وقد بعث الله رسوله- صلى الله عليه وسلم- داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا, فكان أول ما دعا إليه التوحيد الذي هو دينه ودين إخوته الأنبياء والمرسلين, [illegible] (النحل:36), فبلغ رسالة ربه غاية التبليغ, وحمى جناب التوحيد, ونهى عن نقيضه الذي هو الشرك دقه وجله, وسد جميع الوسائل المؤدية إليه. ومن هذا الشرك الذي نهى عنه الرسول- صلى الله عليه وسلم- الحلف بغير الله, فإنه شرك أصغر؛ ولذلك جاء النهي عنه في أحاديث كثيرة.

ومن أدلة النهي عن الحلف بغير الله:

ما روي عن عمر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم), قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي- صلى الله عليه وسلم- ذاكرا ولا آثرا[1].

وما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-

أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم, من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)[2].

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأيمان والنذور- باب لا تحلفوا بآبائكم- ص556 برقم (6647), ومسلم في صحيحه- كتاب الأيمان- باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى- ص965 برقم (1646) عن عمر بن الخطاب.

2 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأيمان والنذور- باب لا تحلفوا

وعنه رضي الله عنهما عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله), فكانت قريش تحلف بآبائها, فقال: (لا تحلفوا بآبائكم)[1].

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم)[2].

المبحث الثاني
الحلف بغير الله حكمه وصوره

صور الحلف بغير الله لدى مسلمي نيجيريا:

يمكن تقسيم الأشياء التي يحلف بها بعض مسلمي نيجيريا غير الله إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

بآبائكم- ص556 برقم (6646), ومسلم في صحيحه- كتاب الأيمان- باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى- ص966 برقم (1646) عن عبد الله بن عمر.

1 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب مناقب الأنصار- باب أيام الجاهلية- ص311 برقم (3836), ومسلم في صحيحه- كتاب الأيمان- باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى- ص966 برقم (1646) عن عبد الله بن عمر.

2 (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الأيمان- باب من حلف باللات والعزى, فليقل: لا إله إلا الله- ص966 برقم (1648) عن عبد الرحمن بن سمرة.

مخلوقات يحلفون بها لمكانتها الخاصة في قلوبهم, فيكنّون لهذه الأشياء احتراما وتبجيلا يدفعهم إلى الحلف بها, وتحت هذا القسم صورتان:

الصورة الأولى:

الحلف بالنبي- صلى الله عليه وسلم, وذلك عندما يريد شخص منهم تأكيد أمر معين لشخص آخر فيهتف بالحلف بالنبي لكي يصدقه الذي يتحدث معه, وقد جرت العادة أن يقع مثل هذا الحلف في الكلام العادي وأثناء المعاملات التجارية, وهي صورة منتشرة بين مسلمي شمال نيجيريا وجنوبها إلا أنها أكثر في الشمال.

الصورة الثانية:

الحلف بقبر النبي- صلى الله عليه وسلم.

من الأشياء التي يحلف بها جهال مسلمي نيجيريا قبر نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم, وسبب ذلك عندهم احترامهم لقبره الشريف, وهي صورة منتشرة بين مسلمي شمال نيجيريا دون جنوبها.

القسم الثاني:

مخلوقات يحلفون بها لاعتقادهم أن لها قوة مؤثرة يمكن أن تضرهم أو تسبب لهم الهلاك إذا حلفوا بها وهم كاذبون أو حلفوا بها وحنثوا في ذلك الحلف, وتحت هذا القسم ثلاث صور:

الصورة الأولى:

الحلف ببعض آلهة الكفار ورموزها.

فإنه أمر مشهور عند الجهلة من مسلمي جنوب نيجيريا الحلف بالقطعة الحديدية وهي رمز لإله الحديد والصيد المسمى بـ (Ogun أوغن) عند الوثنيين, وكذا البندقية والسيارة (وسيلة من وسائل المواصلات) كانوا يحلفون بهما وهما من رموز ذلك الإله الباطل المذكور حسب زعمهم.

ومما يذكر تحت هذه الصورة ذلك الأمر المنتشر بين الجهلة من مسلمي شمال نيجيريا, وخاصة في القرى والأرياف, حيث يحلف أحدهم بالرعد قائلا في حلفه: (Kuarankuasa-dubu كوارنكواسا دوبو) بمعنى: حلفت

بالرعد, ومقصوده بذلك أنه يقسم بالرعد تعظيما له ومعتقدا بأن له القدرة ليصيبه بالضرر أو يهلكه إذا كان كلامه كذبا, وعلى الرغم من قدم دخول الإسلام في المنطقة ووجود بعض علماء أهل السنة والجماعة الذين يتصدون لمثل هذه الانحرافات إلا أن هذه الصورة من الحلف لا تزال توجد لدى بعض المسلمين هناك وخاصة في القرى والأرياف.

الصورة الثانية:

الحلف بالأموات, وتراب القبور, والماء الذي غسل به الميت, وكذا الحلف بالأرض, وقبر الشخص الذي سيدفن فيه.

لعل القارئ الكريم يستغرب ويتساءل أنى لهم هذه الأشياء التي يحلفون بها؟ فلا غرابة, فإن العادة عند أهل جنوب نيجيريا- ولا تزال موجودة إلى الآن- أن الأموات عندهم يدفنون في البيوت, وليس للمسلمين عندهم مقابر خاصة, اللهم إلا ما وجد في الآونة الأخيرة في مدينة (إلورن) إحدى مدن جنوب نيجيريا بجهود بعض الدعاة الغيورين على دينهم.

فلهذا السبب يجد أهل الميت فرصة أخذ القبضة الأخيرة من تراب القبر بعد حفره والاحتفاظ به لهذا الغرض, وأصل هذه الفعلة الشنيعة من العادات الجاهلية التي يتوارثونها كابرا عن كابر, فلم يتورعوا عنها حتى بعد دخولهم في الإسلام.

والحلف بالميت, وتراب القبر, والماء الذي غسل به الميت, يحصل عادة عند أهل الميت وعشيرته, فإذا نشأ خلاف بينهم, أو حصلت فضيحة كبيرة من أحدهم ولم يعرف مصدرها أو المسبب لها, فإنهم حينئذ يجتمعون فيما بينهم- وربما حول القبر- ويحلف كل واحد على أنه ليس بفاعل لتلك الفضيحة, وإذا كان الحلف بتراب القبر فالعادة أنهم يضعون هذا التراب في الماء الصافي ثم يشربون الماء, يقولون في ذلك: (O mu ilepa أو مو إليبا), ومعناه: شرب من تراب القبر.

الصورة الثالثة:

الحلف بالأوراق النقدية التي يعتبر عندهم رمزا للحظوظ التجارية, ويكثر هذا عند التجار والعاملين في الأسواق وخاصة أثناء المساومة, ويعتقدون بأن الذي حلف بالفلوس كاذبا سيكون سوء الحظ حليفه, ولا يربح في التجارة إذا دخل فيها.

فللناس في هذه الصور الثلاثة من الحلف بغير الله اعتقاد باطل بأن لهذه الأشياء التي يحلفون بها قوة فعالة تؤثر في الحالف بها بطريقة سلبية إذا حنث في حلفه أو حلف كاذبا, فهذا- بدون شك- شرك في الربوبية والألوهية معا, فشرك في الربوبية؛ لاعتقاد وجود قوة أخرى تستطيع أن تدبر في الكون من دون الله, وشرك في الألوهية؛ لأن ذلك الاعتقاد أدى بهم إلى الخوف من تلك الأشياء ألا تُلحق بهم ضررا أو تمنعهم من خير, ومن ثم تعظيمها مثل تعظيم الله- سبحانه وتعالى- أو أشد.

القسم الثالث:

مخلوقات يحلفون بها بألسنتهم دون أي اعتقاد أن يَلحق بهم الضرر من قبلها, ومثال ذلك حلفهم بالحياة, فيقول قائلهم لمن نقل له خبرا يشك في صدقه: احلف بحياتك! أو يقول هو بنفسه دون طلب منه: حلفت بحياتي, إني لصادق, وهكذا دواليك.

والجدير بالذكر في هذه الصورة أن عدم اعتقاد مجيء الضرر من هذه المخلوقات التي يحلفون بها لا يدل على جواز الحلف بها؛ لأنهم في الحقيقة يقصدون الحلف, والأصل في الحلف تعظيم المحلوف به, وقد نهى الشارع عن الحلف بكل ما سوى الله مطلقا كما ورد في تلك الأحاديث المذكورة آنفا, والأصل في النهي التحريم.

حكم الحلف بغير الله:

لا يجوز الحلف بغير الله, حيث جاءت الأدلة الصريحة في النهي عنه؛ وذلك أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه, وقد حكى الحافظ ابن عبد البر[1] الإجماع على عدم جواز

---

[1] (1) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي أبو عمر, مؤرخ, أديب, فقيه, عارف بالرجال والأنساب, من كبار حفاظ الحديث, يقال له حافظ المغرب,

الحلف بغير الله فقال: "لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء, ولا على حال من الأحوال, وهذا أمر مجمع عليه"[1].

غير أن حكاية الإجماع هنا فيها نظر, ولعل المراد بالإجماع المحكي إجماع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم حيث لم يعرف عن أحد منهم أجاز الحلف بغير الله تعالى, وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا في قوله: "والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور, وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد, وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك"[2].

وإلا فقد ورد عن الإمام أحمد في رواية عنه جواز الحلف بالنبي- صلى الله عليه وسلم- خاصة دون غيره, وأن اليمين تنعقد به.

قال في المغني: "فصل: ولا تنعقد اليمين بالحلف بمخلوق كالكعبة والأنبياء وسائر المخلوقات, ولا تجب الكفارة بالحنث فيها, هذا ظاهر كلام الخرقي, وهو قول أكثر الفقهاء, وقال أصحابنا: الحلف برسول الله- صلى الله عليه وسلم- يمين موجبة للكفارة, وروي عن أحمد أنه قال: إذا حلف بحق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فحنث, فعليه الكفارة, قال أصحابنا: لأنه أحد شرطي الشهادة فالحلف به موجب للكفارة كالحلف باسم الله تعالى[3].

ولد بقرطبة سنة 368هـ, ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها, من مؤلفاته التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد, الاستيعاب في معرفة الأصحاب, توفي بشاطبة سنة 463هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 18/153, الأعلام 8/240, معجم المؤلفين 13/315.

[1] (1) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري 14/366, تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري, وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب, 1387هـ.

[2] (2) مجموع الفتاوى 1/204.

[3] (3) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني تأليف عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي 11/204, ط/الأولى 1405, دار الفكر- بيروت, وانظر: الشرح الكبير 11/180, مجموع الفتاوى 1/204.

و مذهب جمهور العلماء من الأئمة الثلاثة: أبي حنيفة, ومالك, والشافعي, وأحد قولي الإمام أحمد هو عدم جواز الحلف بغير الله مطلقا سواء كان المقسم به النبي- صلى الله عليه وسلم- أو غيره, وأن اليمين لا تنعقد به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا تنازع الناس: هل يحلف بالنبي؟ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة, كالعرش, والكرسي, والكعبة, والملائكة. فذهب جمهور العلماء كمالك, والشافعي, وأبي حنيفة, وأحمد في أحد قوليه إلى أنه لا يحلف بالنبي ولا تنعقد اليمين, كما لا يحلف بشيء من المخلوقات, ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث ... وعن أحمد بن حنبل رواية أنه يحلف بالنبي خاصة؛ لأنه يجب الإيمان به خصوصا ويجب ذكره في الشهادتين والأذان, فللإيمان به اختصاص لا يشركه فيه غيره"[1].

والصواب في حكم الحلف بغير الله تعالى أنه محرم؛ وذلك لأمور:

1- أن هذا القول هو الذي تعضده الأدلة وتشهد له النصوص الشرعية, ورد في التشديد في النهي عن الحلف بغير الله كثير من الأدلة الصحيحة والصريحة, منها:

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله, ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق)[2].

وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة, فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله, فإني سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[3].

---

[1] (1) مجموع الفتاوى 27/349.

[2] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التفسير (سورة النجم)- باب أفرأيتم اللات والعزى- ص415 برقم (4860), ومسلم في صحيحه- كتاب الأيمان- باب من حلف باللات والعزى, فليقل: لا إله إلا الله- ص 966 برقم (1647) عن أبي هريرة.

[3] (3) سبق تخريجه ص44.

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد, ولا تحلفوا إلا بالله, ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون)[1].

وما روته قتيلة الجهينية أن يهوديا أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: إنكم تنددون, وإنكم تشركون, تقولون: ما شاء الله وشئت, وتقولون: والكعبة! فأمرهم النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة! ويقولون: ما شاء الله ثم شئت[2].

وما رواه بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (من حلف بالأمانة فليس منا)[3].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق"[4].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: "أقل ما تقتضيه الأحاديث الكثيرة في النهي عن الحلف بغير الله والوعيد الشديد عليه أن يكون الفاعل لذلك آثما؛ لأنه أقدم على فعل محرم, والإثم لازم من لوازم الحرام"[5].

---

1 (4) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأيمان والنذور- باب كراهية الحلف بالآباء- ص1467 برقم (3248), والنسائي في سننه- كتاب الأيمان والنذور- باب الحلف بالأمهات- ص2336 برقم (3800) عن أبي هريرة, وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (2784).

2 (1) أخرجه النسائي في سننه- كتاب الأيمان والنذور- باب الحلف بالكعبة- ص2336 برقم (3804) عن قتيلة الجهينية, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1166).

3 (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأيمان والنذور- باب كراهية الحلف بالأمانة- ص1467 برقم (3253), وأحمد في مسنده 5/352 عن بريدة بن حصيب, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته رقم (11148).

4 (3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 9/183 برقم (8902), وعبد الرزاق في المصنف 8/469, مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط/الثانية 1403هـ المكتب الإسلامي- بيروت, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح, مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي 4/318, دار الفكر- بيروت 1412هـ.

5 (4) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني 4/16, تحقيق محمود إبراهيم زايد, ط/الأولى 1405هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.

2- أن التحريم هو المنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم, ولم يعرف عنهم مخالف لذلك.

3- أن الذي وقع الخلاف عليه في الحلف به أو عدم الحلف به- الذي هو النبي- هو نفسه القائل: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك), فبطل القول باختصاصه بهذا الأمر؛ إذ إنه- صلى الله عليه وسلم- داخل في لفظ "غير" المنهي عن الحلف به في هذا الحديث وما شابهه.

4- أن القول بالتحريم سدا للذريعة أوفق لمقاصد الشريعة في حماية جناب التوحيد وسد كل باب يوصل إلى الشرك, ولا شك أن استمراء الحلف بشيء آخر غير الله يورث تعظيما لذلك المحلوف به وقد يوازي تعظيم الخالق- تبارك وتعالى- في قلب الحالف, وهذا ما أجمع العلماء على كفر صاحبه, فسلامة الدين لا يعدلها سلامة[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "... مع أن الصواب الذي عليه عامة المسلمين سلفهم وخلفهم أنه لا يحلف بمخلوق لا نبي ولا غير نبي, ولا مَلَك من الملائكة, ولا مِلِك من الملوك, ولا شيخ من الشيوخ, والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم كمذهب أبي حنيفة وغيره, وهو أحد القولين في مذهب أحمد"[2].

وفي موضع آخر قال: "وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشايخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه, وغير منعقد باتفاق الأئمة, ولم ينازعوا إلا في الحلف برسول الله خاصة, والجمهور على أنه لا تنعقد اليمين لا به ولا بغيره, وقد قال النبي: (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)[3], وقال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[4]. فمن حلف بشيخه أو بتربته أو بحياته أو بحقه على الله أو بالملوك أو بنعمة السلطان أو بالسيف أو بالكعبة أو أبيه أو تربة أبيه أو نحو ذلك كان منهيا عن ذلك, ولم تنعقد يمينه باتفاق المسلمين"[5].

---

1 (1) انظر: شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص641.

2 (2) مجموع الفتاوى 27/349.

3 (3) سبق تخريجه ص176.

4 (4) سبق تخريجه ص44.

5 (5) مجموع الفتاوى 11/506.

5- ما يعلق بقلب الحالف بغير الله من الاعتقاد الباطل أن للمحلوف به قوة فعالة تؤثر في الحالف بطريقة سلبية إذا حنث في حلفه أو حلف كاذبا, فهذا- بدون شك- شرك في الربوبية والألوهية معا, فشرك في الربوبية؛ لاعتقاد وجود قوة أخرى تستطيع أن تدبر في الكون من دون الله, وشرك في الألوهية؛ لأن ذلك الاعتقاد يؤدي به إلى الخوف من ذلك الشيء ألا يلحق به ضررا أو يمنعه من خير, ومن ثم صرف عبادة الخوف والخشية لغير الله.

فتبين مما سبق أن الحلف بغير الله محرم بل هو شرك, إلا أن المراد بالشرك والكفر هنا الشرك أو الكفر الأصغر؛ لدلالة الشرع على عدم وقوع الكفر أو الشرك الأكبر المخرج من الملة, ومما يدل على ذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- سمع بعض الصحابة يحلف بأبيه فنهاه عن ذلك[1], ولم يقل له إن ذلك مخرج من ملة الإسلام, ولم يطالبه بتجديد إسلامه. وبيان نواقض الإيمان من الضرورات, وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بلا خلاف[2], فدل ذلك على أنه لا يخرج من الملة, وأن الشرك الوارد في الحديث خرج مخرج التغليظ والزجر, وأنه من الشرك الأصغر.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في كلامه عن الشرك الأصغر: "وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء, والتصنع للخلق, والحلف بغير الله كما ثبت عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[3]"[4].

---

1 (1) سمع النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحلف بأبيه فقال: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم...) وقد سبق تخريجه في ص176.

2 (2) انظر: الإحكام في أصول الأحكام تأليف علي بن محمد الآمدي 1/245, 3/36, تحقيق الدكتور سيد الجميلي, ط/الأولى 1404هـ, دار الكتاب العربي- بيروت, روضة الناظر وجنة المناظر تأليف عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ص185, تحقيق الدكتور عبد العزيز عبد الرحمن السعيد, ط/الثانية 1399هـ, مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

3 (3) سبق تخريجه ص44.

4 (4) مدارج السالكين 1/344.

هذا هو حكم الحلف بغير الله من حيث الأصل, أنه شرك أصغر, ولكن قد يدخل فيه ما يجعله من أنواع الشرك الأكبر, كأن يقصد بتلك اليمين تعظيما لذلك المحلوف به كتعظيم الله تعالى أو أشد, كما كان يفعل أهل الجاهلية بحلفهم بآلهتهم كاللات والعزى وغيرهما.

فلو حلف شخص بغير الله, فإن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله فهذا العمل شرك أكبر؛ إذ قد اعتقد مساواته لله, فقد خرج من الملة, أما إذا حلف بغير الله بلسانه ولم يعتقد بقلبه تعظيم من حلف به أو ما حلف به فذلك شرك أصغر, وكذلك إذا جرت ألفاظ الحلف بغير الله على لسان الشخص من غير قصد الحلف لكونـه

اعتاد ذلك, فهو أيضا من باب الشرك الأصغر, شرك في الألفاظ[1], فالحكم يختلف بحسب مقصد قائله[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: "قال الأصحاب: فلو اعتقد الحالف في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله تعالى كفر, وعلى هذا يحمل ما روي أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (من حلف بغير الله تعالى فقد كفر)[3], ولو سبق لسانه إليه بلا قصد لم يوصف بكراهة, بل هو لغو يمين, وعلى هذا يحمل ما ثبت في الصحيحين أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (أفلح وأبيه إن صدق)[4]"[5].

---

1 (1) انظر: منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل لمحمد عليش 3/12, دار الفكر- بيروت 1409هـ- 1989م, تيسير العزيز الحميد ص 438.

2 (2) انظر: مدارج السالكين 1/344.

3 (3) سبق تخريجه ص44.

4 (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام- ص682 برقم (11) عن طلحة بن عبيد الله.

5 (5) روضة الطالبين وعمدة المفتين تأليف النووي 11/6, ط/الثانية 1405, المكتب الإسلامي- بيروت.

وكونه شركا أصغر هذا لا يعني أن المسلم يتساهل في ذلك, فإن الشرك الأصغر أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر, قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا"[1].

فاليمين الغموس من الكبائر, ومع ذلك فقد جعل ابن مسعود الشرك الأصغر أكبر منها[2]؛ لأن الحلف بغير الله شرك والحلف بالله توحيد, وتوحيد معه كذب خير من شرك معه صدق[3]؛ ولأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق, وسبب الكذب أسهل من سبب الشرك[4].

قال الإمام ابن القيم: "وقد قصر ما شاء أن يقصر من قال إن ذلك مكروه, وصاحب الشرع يجعله شركا, فرتبته فوق رتبة الكبائر"[5].

---

1 (6) سبق تخريجه ص45.

2 (7) فتاوى اللجنة الدائمة 1/340-341 فتوى رقم (436).

3 (8) مجموع الفتاوى 1/81.

4 (9) الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني 5/551, تحقيق حسنين محمد مخلوف, ط/الأولى 1386, دار المعرفة- بيروت.

5 (1) إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي 4/403, تحقيق طه عبد الرؤوف سعد, دار الجيل- بيروت 1973م.

الفصل الرابع
بقية العبادات القولية

المبحث الأول
الذكر
المطلب الأول
منهج أهل السنة والجماعة في الذكر

مفهوم الذكر وأهميته:

عــرف الــذكر بأنه هو التخلص من الغفلة والنســيان, والفــرق بين الغفلة والنســيان: أن الغفلة تــرك باختيــار الغافل, والنسيان ترك بغير اختياره, ولهذا قال تعالى: (الأعراف:205), ولم يقل: ولا تكن من الناسـين, فـإن النسـيان لا يـدخل تحت التكليـف, فلا ينهى عنه[1].

وذكر الله تعالى عمل جليل ذو أجر جزيـل, أمر الله به عبـاده وجـزم على مجـازاتهم عليـه, قـال القرطـبي[2] في تفسير قوله تعالى: (البقرة:152): "أمر وجوابـه, وفيه معـنى المجـازاة فلـذلك جـزم"[3], وهو روح الأعمـال الصـالحة, فـإذا خلا العمل عن الــذكر كــان

---

(1) مدارج السالكين 2/434.

(2) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي, إمام متقن متبحر في العلم, له مصنفات مفيدة منها الجامع لأحكام القرآن, التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة, توفي سنة 671هـ.
انظر: طبقات المفسرين 1/92, الأعلام 5/322, معجم المؤلفين 8/239.

(3) تفسير القرطبي 2/115.

كالجسد الــذي لا روح فيه[1]؛ ولــذلك جعله ســبحانه قــرين جميع الأعمــال؛ فإنه ما من عمل إلا والــذكر مشــترط في تصــحيحه, بل إن جميع الأعمــال إنما شــرعت لإقامة ذكر الله, قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (طه:14), كما ثبت عنـه- صـلوات اللـه وسـلامه عليـه- قولـه: (إنمـا جعـل الطواف بالبيت وبين الصفا والمـروة ورمي الجمـار لإقامـة ذكر الله)[2].

هذا, وإن العبادات كلها لها قيودها وشـرائطها وأوقاتهـا التي تصح أو لا تصح أو تكـره فيهـا إلا ذكـر اللـه عـز وجـل, فإنه مطلوب في كل الأوقات[3], قال الإمـام ابن كثـير: "إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضـة إلا جعـل لهـا حـدا معلوما, ثم عذر أهلها في حال العذر غير الـذكر, فـإن اللــه تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه, ولم يعذر أحدا في تركــه إلا مغلوبا على تركه, فقال: ﴿ [illegible] ﴾ (آل عمران:191) بالليل والنهار, في البر والبحــر, وفي الســفر والحضــر, والغـنى والفقــر, والســقم والصحة, والسر والعلانية, وعلى كل حال[4].

ولم يقتصر أمر الشارع الحكيم على عـدم وضـع الحــد لهذه العبادة الجليلـة وإنمـا تعـداه إلى اشـتراط الكـثرة في شأنها كلما طلبت من العبد, قال العلامة المفسر محمـد بن أحمد ابن جزي الكلبي في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الأحزاب:41): "اشترط الله الكثرة في الذكر حيثمـا أمـر بـه بخلاف سـائر الأعمال, والذكر يكون بـالقلب وباللسـان, وهـو على أنــواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمـد والتكبـير وذكـر أسـماء الله تعالى"[5].

---

1 (4) مدارج السالكين 2/424.

2 (1) أخرجه أبو داود في سننه برقم (1888), والترمذي في سننه برقم (902) وقال: هذا حديث حسن صحيح, وذكره الألباني في ضعيف أبي داود رقم (410).

3 (2) تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر محمد أديب كلكل ص11 المطبعة التعاونية- دمشق, دون بيانات أخرى

4 (3) تفسير ابن كثير 3/2261.

5 (4) التسهيل لعلوم التنزيل العلامة المفسر محمد بن أحمد بن جزي

والواقع أن الإنسان إذا تدبر الآيات القرآنية الواردة في الذكر فإنه يجدها تستغرق الأوقات والحالات, فأينما وجد الإنسان المسلم وكيفما كان عليه دائما أن يكون ذاكرا لله سبحانه وتعالى.

ولا يشغل ذكر الله المسلم عن عمله؛ لأنه عمل أداؤه سهل وثوابه جسيم وليس له وقت معين بل إن جميع الأوقات صالحة له؛ وقد كان الكثير من كبار الصحابة تجارا بارزين ولم يمنعهم ذلك عن ذكر ربهم في كل حال من أحوالهم, ﴿ ...... ﴾ (النور:37).

وذكر الله هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته[1], وذاكر الله أكرمه ربه فقال: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني, فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي, وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)[2].

وأما عن مفهوم الذكر "فأصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له, وسمي الذكر باللسان ذكرا لأنه دلالة على الذكر القلبي, غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم"[3].

فتبين مما سبق أن أصل الذكر ما كان بالقلب إلا أن القول اللساني غلب عليه لكثرة إطلاقه على الذكر فصار كأنه هو الأصل, وذكر اللسان مجردا هو أضعف الأذكار لكنه كلما انضافت إليه مزية أخرى كلما ازداد كمالا, قال الحافظ ابن حجر: "ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق, ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه, وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب

الكلبي 2/191, صححه محمد سالم هاشم ط/الأولى 1415هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.

[1] (1) مدارج السالكين 2/424.

[2] (2) حديث قدسي أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿ ...... ﴾ (آل عمران:28)- ص616 برقم (7405), ومسلم في صحيحه- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب الحث على ذكر الله تعالى- ص1144 برقم (2675) عن أبي هريرة.

[3] (3) تفسير القرطبي 2/115.

فهو أكمل, فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالا, فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فـرض من صـلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالا, فإن صح التوجه وأخلص للـه تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال"[1].

ولكي نعرف يقينا بأن الذكر إذا أطلق لم يقتصر معناه على الأذكار القولية فحسـب بـل يشـمل ذلـك كمـا يشـمل امتثال كل شيء أمر الله به عباده واجتناب ما نهـاهم عنـه, أسوق في هذا الصدد كلام ابن حجر رحمه اللـه في شـرحه للأحاديث التي عنون لها الإمام البخاري بـ (باب فضـل ذكـر اللـه عـز وجـل) حيث قـال: "والمـراد بالـذكر هنـا الإتيـان بالألفـاظ الـتي ورد الـترغيب في قولهـا والإكثـار منهـا مثـل الباقيات الصالحات وهي (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا اللـه واللـه أكـبر) ومـا يلتحـق بهـا من الحوقلـة والبسـملة والحسـبلة والاسـتغفار ونحـو ذلـك, والـدعاء بخـيري الـدنيا والآخرة, ويطلـق ذكـر اللـه أيضـا ويـراد بـه المواظبـة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة"[2].

ولقد زاد الإمام النووي رحمه اللـه هـذا الأمـر وضـوحا حين قال: "قال القاضي عياض رحمه الله: وذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب, وذكـر باللسـان. وذكـر القلب نوعـان: أحدهما وهـو أرفـع الأذكـار وأجلهـا: الفكـر في عظمـة اللـه تعـالى, وجلالـه, وجبروتـه, وملكوتـه, وآياتـه في سـماواته وأرضه... والثاني: ذكره بالقلب عند الأمـر, والنهي, فيمتثـل ما أمر به, ويترك ما نهى عنه, ويقف عما أشكل عليه. وأمـا ذكر اللسان مجـردا فهـو أضـعف الأذكـار, ولكن فيـه فضـل عظيم كما جاءت به الأحاديث"[3].

وعلى كل حال, فإن ذكر الله تعـالى أفضـله مـا تواطـأ عليه القلب واللسان, وهـو الـذكر الـذي يثمـر معرفـة اللـه

---

1 (4) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 11/209.
2 (1) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 11/209.
3 (2) شرح النووي على صحيح مسلم 17/15.

ومحبته, وكثرة ثوابه[1], وهذا هو المجدي الذي يرى أثره في حركات الإنسان وسكناته, وفيما يأتي ويذر من أعمال, ولا شك أن الذكر الذي يثمر هو الذي اشتمل على طاعة المعبود سبحانه وتعالى؛ إذ معنى الذكر كما فسر في الآية هو طاعة الله, قال القرطبي: "ومعنى الآية: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة, قاله سعيد بن جبير. وقال أيضا: الذكر طاعة الله؛ فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن"[2].

النصوص الواردة في فضل ذكر الله تعالى والحث عليه:

لقد وردت نصوص عديدة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- تبين مكانة ذكر الله تعالى من الأعمال وتحث عليه في جميع الأحوال كما تحذر من الغفلة والإعراض عنه, فمن كتاب الله:

قوله تعالى: (الأحزاب:41).

وقوله تعالى: (الأعراف: 205).

ونهى عن ضده من الغفلة والنسيان بمثل قوله تعالى: (الأعراف:205).

وقوله تعالى: (الحشر:19).

ومن السنة: ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)[3].

---

1 (3) تيسير الكريم الرحمن ص60.

2 (4) تفسير القرطبي 2/116.

3 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الدعوات- باب فضل ذكر الله عز وجل ص538, برقم (6407), ومسلم في صحيحه- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب استحباب صلاة النافلة في بيته...- ص801 برقم (779) عن أبي موسى, ولفظ مسلم: (مثل البيت الذي يذكر فيه, والبيت الذي لا يذكر الله فيه, مثل الحي والميت).

ومنها ما رواه عبد الله بن بسر قال: أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- أعرابيان فقال أحدهما: من خير الرجال يا محمد؟ قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: (من طال عمره وحسن عمله) وقال الآخر: إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فباب نتمسك به جامع, قال: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل)[1].

ومنها ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم, وأزكاها عند مليككم, وأرفعها في درجاتكم, وخير لكم من إنفاق الذهب والورق, وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) قالوا: بلى, قال: (ذكر الله تعالى), فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما شيءٌ أنجى من عذاب الله من ذكر الله[2].

والأذكار القولية هي التي كثر إطلاق لفظ الذكر عليها وهي الدلالة على الذكر القلبي[3].

ولهذا السبب من ناحية, ولكون هذا النوع من الذكر هو الذي دخلت عليه أيادي المبتدعة من ناحية أخرى أرى أنه لا بد من فصل القول فيه لبيان المأثور ومعرفة المبتدع.

فالذكر القولي: هو ما يقع باللسان مما ينطبق عليه الوصف من كونه ذكرا لله تبارك وتعالى ويكون بتسبيحه, وتحميده, وتمجيده, وتلاوة قرآنه, والصلاة على نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- وسؤال الله الحاجات للدين والدنيا والآخرة, والاستعاذة به سبحانه من كل ما استعاذ منه نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم[4].

---

1 (2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 4/188, والطبراني في المعجم الأوسط 2/118, 2/374, والبيهقي في شعب الإيمان 1/393, والسنن الكبرى 3/371, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (13658).

2 (1) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب منه- ص1999 برقم (3377), وأحمد في مسنده 5/195 برقم (21750) عن أبي الدرداء, وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (2688).

3 (2) انظر: تفسير القرطبي 2/115-116.

4 (3) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع إعداد عبد الرحمن محمود خليفة ص64, ط/الأولى 1424هـ- 2003م, دار طيبة الخضراء- مكة

والأذكار القولية التي ينطبق عليها المفهوم الشرعي للذكر قسمان:

القسم الأول: المأثور, وهو ما جاءت به النصوص, ويكون من كتاب الله كالآيات والسور المخصوصة التي أمر بتلاوتها في مناسبات ومواطن وأحوال, أو يكون بتلاوة القرآن المطلقة, أو يكون من الثابت في السنة وورد أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يقوله مطلقا أو لسبب, أو أمر به مطلقا أو لسبب, ويكون كل بحسب ما ورد في الإطلاق والسبب[1].

القسم الثاني: ما ينشئه العبد من الثناء والدعاء.

والأذكار المأثورة لها ضوابط تجعلها موافقة لمفهوم الذكر الشرعي, وهي[2]:

1- أن تكون مما جاء في كتاب الله أو من الثابت عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم.

2- أن يتأدب معها بمنهج الشرع في الإطلاق والتقييد, فيشتغل بالذكر المقيد بسبب في سببه ومناسبته, ويبقى ما أطلقه الشارع على إطلاقه فلا يقيده بمناسبة ولا هيئة ولا عدد لم يقيده بها الشارع.

3- الالتزام بالأعداد التي يفهم أن الأجر ربط بها, كالمأثور عقب الصلاة من الأذكار.

4- الالتزام بالألفاظ التي يفهم أن الشارع حرص على أدائها كما هي؛ كألفاظ الأذان والإقامة وألفاظ التشهد والتلبية.

5- مراعاة آداب الذكر العامة, الواجب منها, والمسنون, والمستحب.

والذكر المأثور أيضا قسمان: مطلق ومقيد.

والأذكار المطلقة يقصد بها تلك الأذكار المأثورة التي وردت عن الشارع, ولم تربط بسبب ولا مناسبة, ولا هيئة, ولا عدد[3].

المكرمة, وأصل الكلام في الاقتداء في الذكر والدعاء محمد جودة صوان ص10.

[1] (4) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص64-65.

[2] (5) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص67.

[3] (1) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص69.

فكل ذكر أو دعـاء من هـذا الصـنف أي مطلـق ووارد, ضابطه أنه يؤتى به على الوجه الذي ورد في لفظه[1].

وأفضـل الأذكـار المطلقـة القـرآن الكـريم, قـال في التـذكار في أفضـل الأذكـار: "إن القـرآن أفضـل الـذكر إذا عمل به"[2].

والأذكار المقيدة: هي الأذكار التي قيد لهـا الشـارع مـا تقال فيه من الحال والمناسبة والظرف المكاني والزمـاني, وقيد لها العدد والهيئة, وبعبارة أخرى هي الأذكـار الـتي ثبت أن الرسول- صلى الله عليـه وسـلم- قالهـا أو أمـر بهـا في أوقـات مخصوصـة أو سـبب أو مناسـبة معينـة تقـال فيهـا؛ كأذكار الصباح والمساء, وأذكار النـوم والاسـتيقاظ, وأذكـار الصلاة وما يقال عقب التسـليم منهـا وغـير ذلـك من أذكـار المناسبات والأحوال, والأوقات المتكرر منها والعارض[3].

وأي ذكر أو دعاء كهذا, فشرطه أن يأتي به العبـد على الوجه الذي ورد في زمانه, أوحالـه, أو مكانـه, وفي لفظـه, وفي هيئة الداعي به, من غـير زيـادة, أو نقصـان, أو تبـديل كلمة بأخرى[4].

أما القسم الثاني من قسمي الأذكار القوليـة وهـو: مـا ينشئه أو يخترعـه العبـد من عنـد نفسـه, فإنـه يجـوز للعبـد الذكر والدعاء بغير الوارد في هـذا البـاب بخمسـة شـروط, هي[5]:

1- أن يتخـير من الألفـاظ أحسـنها, وأنبلهـا, وأجملهـا للمعـاني, وأبينهـا؛ لأنـه مقـام مناجـاة العبـد لربـه ومعبـوده سبحانه.

2- أن تكون الألفاظ موافقة للغة العربيـة في المعـنى والمبنى.

3- أن يكـون خاليـا من أي محـذور شـرعا, لفظـا, أو معنى.

---

1. (2) انظر: تصحيح الدعاء تأليف الشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد ص42, ط/الأولى 1419هـ- 1999م, دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض.
2. (3) التذكار في أفضل الأذكار ص39.
3. (1) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص97.
4. (2) تصحيح الدعاء ص42.
5. (3) المرجع السابق ص42- 43.

4- أن يكون في باب الذكر والدعاء المطلق لا المقيـد بزمان, أو حال, أو مكان.

5- أن لا يتخذه سنة راتبة يواظب عليها.

ومع هذا الحكم بالجواز فإن الوارد أفضل مما اخترعه العبد بنفسه, ففي تصحيح الدعاء: "أجمع العلماء على أن للعبد المسلم الدعاء مطلقا بما لم يرد, بشرط أن لا يتضمن محذورا لفظا ومعنى, ولا يوظفه مقيدا بحال, أو زمان, أو مكان, **هذا مع إجماعهم على أن الوارد أفضل**"[1].

المطلب الثاني
الانحراف في الذكر حكمه وصوره

صور الانحراف في الذكر لدى مسلمي نيجيريا:

للانحراف في ذكر الله لدى مسلمي نيجيريا ثلاث صور:

الصورة الأولى:

الإتيان بالأذكار الواردة في السنة بشكل جماعي وأصوات مرتفعة.

فقد جرت العادة عند الكثير من مسلمي نيجيريا أن يأتوا بالأذكار المشروعة مثل الواردة بعد الصلوات المفروضة بصورة جماعية وأصوات مرتفعة, فأحيانا يتقدم واحد منهم ويأتي بهذه الأذكار ويردد الباقون وراءه, وأحيانا يأتون بها بصورة جماعية بصوت واحد, ففي طريقتهم هذه من المحاذير الشرعية ما لا يخفى.

الصورة الثانية:

تقييد الأذكار المطلقة الواردة في الشرع بزمان أو مكان, أو هيئة أو عدد, لم يكن لها ذلك في الشرع المطهر.

ذكر الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

---

1 (4) المرجع السابق ص325.

يكثر هذا الفعل عند الجمعيات الإسلامية التي تسمي نفسها بـ (جمعيات الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم), مثل جمعية يسر الله النيجيرية, وجمعية نصر الله الفاتح, وجمعية نصر الله قريب, وغيرها كثير.

ففي كتاب الأذكار لجمعية يسر الله النيجيرية: "يا اللطيف يا الله, يا كريم يا الله, يا رزاق يا الله, يا ستار يا الله, يا ودود يا الله, يا غفور يا الله. سبع مرات"[1].

وكذلك الطرق الصوفية بطوائفها في المجتمع النيجيري كالتجانية والقادرية.

ففي كتاب (أحزاب وأوراد) لأحمد التجاني: "ومن الأوراد اللازمة للطريقة ذكر الكلمة المشرفة: لا إله إلا الله, أو الذكر الفرد: الله الله ألفا وخمسمائة مرة أو وستمائة مرة, ووقته مساء يوم الجمعة فقط"[2].

وفي جواهر المعاني: "ومن أوراده: وظيفة اليوم والليل ثلاثة في الصباح وثلاثة في المساء وهي..."[3].

وفي جواهر المعاني أيضا: "ومن أوراده دبر الصلوات وفي الصباح والمساء, أما دبر الصلوات فالفاتحة أربعا دبر كل صلاة, ثم آية الكرسي مرة, ثم اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن..."[4].

الصورة الثالثة:

إنشاء أذكار لم ترد في السنة أصلا وقد تكون صحيحة الألفاظ, واضحة المعاني, فتتوفر فيها بعض شروط الأذكار المنشأة, أو لا تكون كذلك, مع تقييدها وترتيب الثواب عليها.

---

[1] (1) الأذكار لجمعية يسر الله النيجيرية ص37, مطبعة أيوأولابو التجارية- (إبادن) نيجيريا.

[2] (2) أحزاب وأوراد أحمد التجاني ص5.

[3] (1) جواهر المعاني وبلوغ الأماني تأليف علي حرازم بن العربي براد المغربي الفاسي ص53, إشراف مكتب البحوث والدراسات, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت, 1421هـ- 2001م.

[4] (2) جواهر المعاني ص54.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ويمثل لذلك بـ:

الوظيفة عند التجانية, فإنها مشتملة على ما يسمونه صلاة الفاتح لما أغلق[1], وجوهرة الكمال.

ومنها الحرز اليماني وهو الحزب السيفي أو دعاء السيفي, قال في جواهر المعاني: "الحرز اليماني وهو دعاء السيفي, له فضل عظيم وثواب جسيم, من فضله أن من ذكره مرة تكتب له عبادة سنة, ومرتين بسنتين وهكذا, ومن حمله معه كتب من الذاكرين الله كثيرا ولو لم يذكر"[2].

ومنها ما يسمى بالأنفاس عند القادرية, وهي عبارة عن همهمات يزعمون أنها أذكار الملائكة.

ومنها ما أسماه صاحب (دعاء الغاية المقصودة الكبرى) بـ (سيف العلماء): "كيفية استعماله: يعتبر هذا الدعاء سيف العلماء الصارم, فمن داوم على قراءته (3 مرات) عقب صلاة الصبح يوميا فقد دخل في وقاية الله تعالى التي أغنت عن مضاعفة من الدروع ومن عال من الأطم, تلك الوقاية التي تحميه من شر الناس والجن, وإذا بان لك أن عدوا يدعو عليك فبادر إلى هذا الدعاء, تقرأ (73 مرة) في الساعة الحادية عشرة صباحا أو مساء, فإلى العدو تعود شروره ومكره- إن شاء الله تعالى ..."[3].

يحصل هذا التقييد والتحديد عندهم في باب الذكر والدعاء؛ ولذلك تجد مما يلازمونه ولا يكادون يغفلون عنه من الدعاء إلا قليلا: دعاء نصف شعبان, دعاء أول سنة[4], دعاء آخر سنة, وغير ذلك من الأدعية التي لم ترد لا في كتاب الله ولا سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ينشئونها

---

1 (3) سيأتي تفصيل القول فيما رتبوا عليها من الأجر في المبحث الثالث من هذا الفصل.

2 (4) جواهر المعاني وبلوغ الأماني ص53.

3 (1) دعاء الغاية المقصودة ص87-88.

4 (2) وقد يقصد به أول سنة ميلادية لتأثرهم بالنصارى في ذلك وخاصة في جنوب نيجيريا والأقلية المسلمة في شرقها.

ثم يحددون لها الأعداد, والهيئات, والأزمنة التي يجب فيها مناداة الله بها- في زعمهم.

وأمثلة هذه كثيرة موفورة في كتيّبات الأذكار والأدعية المتداولة بين ضعاف الإيمان من طلبة الدراسات الإسلامية والمنتمين إلى جمعيات الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- من العوام.

حكم هذه الصور:

يلاحظ أنه قد وردت مسألتان في الصورة الأولى من صور الانحراف المذكورة آنفا, بيانها كما يلي:

المسألة الأولى: المقصود بحلق الذكر أو مجالس الذكر:

وردت أحاديث في الثناء على حلق الذكر وبيان ما ميز الله به الجالسين فيها من الأجر العظيم والثواب الجزيل, علاوة على ما تحصل عندهم أثناء مزاولتهم لهذه العبادة الجليلة من نزول السكينة, وغشيان الرحمة.

ومن أجل الرغبة في هذه الأجور وتلك المزايا صار عند كثير من الناس الحرص الشديد على إنشاء حلق الذكر أو مجالس الذكر دون معرفة المقصود بها حقيقة, فما حقيقة حلق الذكر؟

حلق الذكر أو مجالس الذكر يقصد بها الاجتماع لتعلّم العلوم الشرعية وتعليمه, ومدارسة كتاب الله تعالى وتلاوته, كما تعني القيام بأداء أذكار أخرى من الأذكار الواردة المطلقة مثل الباقيات الصالحات, وهي: (سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر).

ويدل على أن هذا هو المقصود بحلق الذكر ما قاله ابن رجب الحنبلي[1] في كتابه جامع العلوم والحكم: "واستدل الأكثرون على استحباب الاجتماع لمدارسة

---

[1] (1) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب, زين الدين أبو الفرج, محدث, حافظ, فقيه, أصولي, واعظ, مؤرخ, من مصنفاته: شرح جامع الترمذي, جامع العلوم والحكم, توفي سنة 795هـ.
انظر: الأعلام 3/295, معجم المؤلفين 5/118, طبقات الحفاظ 1/540.

القرآن في الجملة بالأحاديث الدالة على استحباب الاجتماع للذكر, والقرآن أفضل أنواع الذكر"[1].

وما قاله ابن حجر العسقلاني في الفتح عند شرحه لأحاديث باب فضل ذكر الله- عز وجل: "ويؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمجالس الذكر وأنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما, وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى, وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة"[2].

وقالت اللجنة الدائمة في إجابتها عن سؤال وجّه إليها حول مفهوم مجالس الذكر,

السؤال: هناك بعض الإخوان في باكستان وهم يدّعون أنهم سلفيون, لكنهم مقيمون مجالس الذكر ويلتزمون بها في يوم الخميس بعد العصر دائماً وهم يتخيلون أن هذا الوقت مناسب، بل هو أنسب للذكر، أما بالنسبة لطريقة الذكر فهي تجري أن واحداً منهم يجلس أمامهم ويبدأ بصوت مرتفع قليلا ويقول كلمة: (الله), والناس حوله في الحلقة يرددون بعده: الله، الله, بصوت منخفض, ثم الذي أمامهم يغير ويقول: سبحان الله، وهم يستمرون بعده، ثم يغير إلى الحمد لله وهكذا، إن الإخوان يتخيلون أنهم يفعلون هذا لتزكية نفوسهم وهم يستدلون من بعض الأحاديث التي جاء فيها ذكر الحلقات للذكر فما الحكم فيهم؟

والجـــواب: إذا كـــان الواقع من حـــالهم ما ذكر من الـتزامهم بمجـالس ذكر بعد العصر كل يـوم خميس دائمـاً, ومن جلوس واحد منهم أمامهم ونطقه بكلمة اللـه, بصـوت مرتفـع, فيتبعونه في النطق بها بصـوت منخفض, الله اللـه، ثم ينتقل إلى كلمة سبحان اللـه- وهم يتبعونه فيهـا- ثم إلى كلمة الحمد للـــه- وهم يتبعونه فيها وهكـــذا- إذا كـــان واقع حـــالهم ما ذكر فليســـوا ســـلفيين، ولا من أهل الســـنة والجماعة في هـذا العمـل، بل هم مبتدعـة؛ لأن هـذا العمل

---

[1] (2) جامع العلوم والحكم 2/302- 303.

[2] (3) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 11/212.

بهذه الكيفية لم يثبت عن النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا عن الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري ومسلم. وأما ما ورد من الأحاديث في حلقات الذكر والاجتماع عليه فالمراد بذلك: مجالس العلم[1].

فيتبين من خلال ما سبق من الأدلة المعنى المراد بحلق الذكر أو مجالس الذكر, هذا مع الالتزام والتقيد بمنهج سلف الأمة في الإتيان بهذه الأذكار, فإذا كان ما يعمل في مجلس من مجالس الذكر هو قراءة القرآن ومدارسته, فالمشروع للناس في ذلك ثلاث حالات[2]:

الحالة الأولى: أن يقرؤوا جميعا بفم واحد وصوت واحد, وهذا على سبيل التعليم لا بأس به, كما يقرأ المعلم الآية ثم يتبعه المتعلمون بصوت واحد, وإن كان على سبيل التعبد فبدعة؛ لأن ذلك لم يؤثر عن الصحابة ولا عن التابعين.

الحالة الثانية: أن يجتمع القوم فيقرأ أحدهم وينصت الآخرون, ثم يقرأ الثاني ثم الثالث ثم الرابع وهلم جرا.

الحالة الثالثة: أن يجتمعوا وكل إنسان يقرأ لنفسه دون أن يستمع له الآخرون, وهذا هو الذي عليه الناس الآن, فتجد الناس في الصف في المسجد كل يقرأ لنفسه والآخرون لا يستمعون إليه.

أما إذا كان المجلس لأذكار أخرى من التهليل, والتسبيح, والتكبير, والتحميد, والحوقلة, والحسبلة, والاستغفار, والصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- فالسنة في ذلك أن يشتغل كل واحد منهم بذكر الله بنفسه دون رفع الصوت أو الذكر بصورة جماعية بصوت واحد؛ ذلك لأن الأذكار المأثورة المطلقة أي التي لم تكن مقيدة بحال أو زمان أو مكان, يشترط فيها الإتيان بها على الوجه الذي وردت في ألفاظها, وهذا من جهة اللفظ, أما من جهة

---

[1] (1) فتاوى اللجنة الدائمة 2/530, فتوى رقم (7515).

[2] (2) شرح الأربعين النووية الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص364-365.

هيئة الداعي أو الذاكر فإن وردت هيئة في النص للذكر والدعاء المطلق فيؤتى بها وفق ما ورد, وإن لم ترد به هيئة فيأتي به الداعي أو الذاكر على أي حال, **في حدود المشروع**[1].

تقول اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية: "إذا كان المقصود من قراءة القرآن جماعة أنهم يقرؤون جميعا بصوت واحد فهذا غير مشروع؛ لأنه لم يؤثر عن النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا عن الصحابة- رضي الله عنهم, وإن كان المقصود أن يقرأ أحدهم ويستمع الباقون, أو أن يقرأ كل منهم لنفسه في مكان الاجتماع دون أن يلتقي صوته بصوت الآخرين في الحركات والسكنات والوصل والوقف, فهذا مشروع"[2].

وفي موضع آخر تقول: "ذكر الله بصفة جماعية وختمه بالحضرة وتلاوة كتاب الله بلسان واحد في المساجد وفي البيوت والحفلات والمآتم لا نعلم له أصلا شرعيا يعتمد عليه لإثبات مشروعيته على هذه الصفة, والصحابة رضي الله عنهم هم أولى الناس باتباع الشرع ولم يعرف عنهم ذلك, وكذلك بقية القرون المفضلة, والخير في اتباع هدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم, وقد ثبت عنه- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[3], وقال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[4], وبما أنه لم يثبت في ذلك سنة عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولم يعمله أحد من الصحابة فيما نعلم فيكون بدعة يتناوله الدليل السابق, فهو مردود على صاحبه"[5].

المسألة الثانية: الجهر أو الإسرار بالذكر:

---

1 (1) انظر: تصحيح الدعاء ص43.

2 (2) فتاوى اللجنة الدائمة 2/526 فتوى رقم (4600).

3 (3) سبق تخريجه ص43.

4 (4) سبق تخريجه ص43.

5 (5) فتاوى اللجنة الدائمة 2/520-521.

الأصل في الذكر والدعاء الإسرار, وحدّه: التلفظ بتحريك اللسان بالحروف من مخارجها بصوت أقله أن يسمع الإنسان نفسه[1].

قال تعالى: (الأعراف:205).

قال الإمام القرطبي في تفسير الآية الكريمة: " أي دون الرفع في القول, أي أسمع نفسك, كما قال: (الإسراء:110) أي بين الجهر والمخافتة, ودل هذا على أن رفع الصوت بالذكر ممنوع, على ما تقدم في غير موضع"[2]. وقال الإمام ابن كثير: " أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهرا, ولهذا قال: وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء وجهرا بليغا"[3].

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: كنا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير, فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! اربعوا على أنفسكم, إنكم لا تدعون أصما ولا غائبا, إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم) قال: وأنا خلفه وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: (يا عبد الله بن قيس! ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟) فقلت: بلى يا رسول الله! قال: (قل: لا حول ولا قوة إلا بالله)[4].

قال الإمام النووي في شرحه للحديث: ["اربعوا" بهمزة وصل, وبفتح الباء الموحدة معناه: ارفقوا بأنفسكم, واخفضوا أصواتكم, فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه, وأنتم تدعون الله تعالى وليس

---

1 (1) تصحيح الدعاء ص91.

2 (2) تفسير القرطبي 7/225.

3 (3) تفسير ابن كثير 2/1200.

4 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المغازي- باب غزوة خيبر- ص 345 برقم (4202), ومسلم في صحيحه- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب استحباب خفض الصوت بالذكر...- ص1147-1148 برقم (2704) عن أبي موسى.

هو بأصم ولا غائب, بل هو سميع قريب, وهـو معكم بـالعلم والإحاطة, ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجـة إلى رفعـه, فإنـه إذا خفضـه كـان أبلـغ في توقـيره وتعظيمه, فإن دعت حاجة إلى الرفـع رفـع, كمـا جـاءت بـه أحاديث][1].

والذي يظهر- والله تعالى أعلم- أن المسلم الذي يذكر ربه بمفرده الأفضل في حقه الإسرار بالذكر بقدر ما يسـمع نفســه؛ لأن ذلــك أقــرب إلى الإخلاص, قــال القرطــبي: [والشريعة مقررة أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر أعظم أجرا من الجهر ... قال الحسن بن أبي الحسن: "لقد أدركنا أقوامـا مـا كـان على الأرض عمـل يقـدرون على أن يكون سرا فيكون جهرا أبدا, ولقد كان المسلمون يجتهدون في الـدعاء فلا يسـمع لهم صـوت, إن هـو إلا الهمس بينهم وبين ربهم"][2].

فـإذا دعت حاجـة إلى أن يرفـع صـوته فإنـه يأخـذ بالتوسط في ذلك؛ لأنه هو خير الأمور الذي كان عليـه نـبي الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- لما قال عنـه ابن عبـاس رضي اللـه عنهمـا: "كـانت قـراءة النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- على قـدر مـا يسـمعه من في الحجـرة وهـو في البيت"[3], وإلى هذا التوسط كـذلك وجـه- صـلى اللـه عليـه وسلم- أبا بكـر وعمـر رضـي اللـه عنهمـا في قراءتهمـا في حديث أبي قتادة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر يصلي يخفض من صوته, قال: ومـر بعمـر بن الخطاب وهو يصلي رافعا صوته, قال: فلما اجتمعا عنـد النبي- صلى الله عليه وسلم- قال النـبي- صـلى اللـه عليـه وسلم: (يا أبا بكر مررت بـك وأنت تصـلي تخفض صـوتك), قـال: قـد أسـمعت من نـاجيت يا رسـول الله, قـال: وقـال

---

[1] (1) شرح النووي على صحيح مسلم 17/28.

[2] (2) تفسير القرطبي 7/143.

[3] (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب قيام الليل- باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل- ص1321 برقم (1327), وأحمد في مسنده 1/271, والطبراني في المعجم الكبير 11/218, والبيهقي في السنن الكبرى 3/10 عن عبد الله بن عباس, وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (1203).

لعمر: (مررت بك وأنت تصلي رافعا صوتك), قال: فقال: يا رسول الله أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان. زاد الحسن في حديثه فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: (يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا), وقال لعمر: (اخفض من صوتك شيئا)[1].

قال العلامة شمس الحق العظيم آبادي[2] في شرح هذا الحديث: "وتأمل في الفرق بين مرتبتهما ومقامهما, وإن كان لكلٍ نية حسنة في فعليهما وحاليهما من مرتبة الجمع للأول وحالة الفرق للثاني, والأكمل هو جمع الجمع الذي كان حاله- عليه الصلاة والسلام- ودلهما عليه وأشار لهما إليه: (يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا) أي قليلا لينتفع بك سامع ويتعظ مهتد, (وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئا) أي قليلا لئلا يتشوش بك نحو مصل أو نائم أو معذور, قال الطيبي: نظيره قوله تعالى: [illegible] (الإسراء:110) كأنه قال للصديق: انزل من مناجاتك ربك شيئا قليلا واجعل للخلق من قراءتك نصيبا, وقال لعمر: ارتفع من الخلق هونا واجعل لنفسك من مناجاة ربك نصيبا"[3].

فالحاجة تدعو في بعض الأحيان إلى رفع الصوت بذكر الله كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "إن كنا لنعد لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- في المجلس الواحد مائة مرة (رب اغفر لي وتب علي, إنك أنت التواب

---

[1] (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب قيام الليل- باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل- ص1321 برقم (1329), والترمذي في سننه- كتاب الصلاة- باب ما جاء في القراءة بالليل- ص1687 برقم (447) عن أبي قتادة, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (1204).

[2] (2) هو محمد بن علي بن مقصود علي الصديقي العظيم آبادي أبو الطيب شمس الدين, عالم بالحديث, ولد في عظيم آباد في الهند سنة 1273هـ, وتوفي في ديانوان من أعمال عظيم آباد سنة 1329هـ. انظر: الأعلام 6/301.

[3] (3) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية 4/147, ط/الأولى 1419هـ, منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية- بيروت.

الرحيم)[1], فـإن الحاجـة قائمـة في هـذه الحالـة أن يسـمع المربي الأول النبي- صلى الله عليه وسلم- أصحابه؛ إعلامـا لهم بأهمية الاستغفار.

أما إذا كـان النـاس في جماعـة, فالصـحيح الـذي دلت عليه الأحاديث أن يذكروا الله خاضعين دون رفع الأصـوات؛ لعدم وجود الدليل على ذلك, بل إن جميع ما ورد من الأدلة في الاجتماع على الذكر ورد فيه النهي عن الجهر به أو رفع الصوت, وهـذا أقـوى أدلـة على عـدم جـواز الـذكر بصـورة جماعية.

ففي حديث أبي موسى رضي اللـه عنـه, قولـه- صـلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! اربعوا على أنفسـكم, إنكم لا تـدعون أصما ولا غائبا, إنكم تـدعون سـميعا قريبـا وهـو معكم)[2].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضـي اللـه عنـه قـال: اعتكف رسول الله- صـلى اللـه عليـه وسـلم- في المسـجد فسمعهم يجهـرون بـالقراءة فكشـف السـتر وقـال: (ألا إن كلكم مناج ربه, فلا يؤذينّ بعضـكم بعضا, ولا يرفـع بعضـكم على بعض في القراءة) أو قال: (في الصلاة)[3].

وإذا كان الذكر الذي اجتمع الناس عليه مثـل الباقيـات الصالحات أو غيرها من الأذكار المطلقـة, فالسـنة في ذلـك أن يذكر كل واحد منهم ربه دون رفع الصوت أو تقييد ما لم يرد تقييده في السنة المطهرة بعـدد أو زمن أو مكـان, وإذا كـان المجلس لقـراءة القـرآن فلا بـد لهم من الالـتزام بالمشروع في ذلك كما سبق بيانه[4].

---

1. (4) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الوتر- باب في الاستغفار- ص 1335 برقم (1516), وابن ماجه في سننه- كتاب الأدب- باب الاستغفار- ص2704 برقم (3714) عن عبد الله بن عمر, وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
2. (1) سبق تخريجه ص202.
3. (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب قيام الليل- باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل- ص1322 برقم (1332) عن أبي سعيد, وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (1183).
4. (3) يراجع ص 200 من هذا البحث.

هذا, وهناك حالات ورد في الشرع الجهـر بالـذكر فيهـا وجوبا أو استحبابا, فمن الـذكر الـذي يجب الجهـر بـه بقـدرٍ يحصل منـه المقصـود[1]: الأذان, الإقامـة, تكبـيرات الإمـام, تسميعه, قراءته في الصلاة الجهريـة, تكبـيرات التبليـغ عنـد الحاجة, إلقاء السلام للخروج من الصـلاة, السـلام وجوابـه, الحمد عند العطاس, وتشميته, الدعاء بقوم والتأمين عليه.

ومن الذي يسن الجهر به بقدرٍ يحصل بـه المقصـود[2]: التـأمين في الصـلاة, وعلى الـدعاء, التكبـير في العيـدين, الذكر بعد الصلاة, التلبية والتكبير في الحج, قراءة القـرآن, التسمية على الذبيحة.

أما الصورة الثانية من صور الانحرافـات في الـذكر فحكمها بدعـة؛ لأن الإتيـان بالأذكـار بهـذه الطريقـة تجعلهـا مندرجـة تحت البدعـة الإضـافية, فالعبـادة مشـروعة, لكن يـأتي الابتـداع من تخصـيص الزمـان أو المكـان أو العـدد أو الهيئـة لتلـك العبـادة إذا لم يـأت تخصـيص ذلـك في السـنة المطهرة.

والبدعة الإضافية أشد خطورة من الحقيقيــة من حيث الشبه التي يستند إليها المبتدع في فعلهـا, فإنـك إذا سـألته عن دليل ذلك قال: إنه يذكر الله ويصـوم للـه, فهـل الـذكر والصيام محرمان؟ ومن ثم يستمرئها ويـداوم عليهـا وقـد لا يتوب منها في الغالب؛ ذلك أن الشبهات أخطر الأمـور على الدين, فهي أخطر من الشهوات وإن كـان الجميـع خطـيرا؛ لأن إبليس اللعين لما يئس من تضليل المسلمين بالمعاصي دخل عليهم من باب العبادة, فزين لهم البدع بحجة التقـرب إلى الله, وهنا مكمن الخطر"[3].

قلت: وفي الحقيقـة, هـذا هـو القـول الـذي يبـادر بـه هؤلاء المتوغلون في هذا النوع من البدع؛ لأنهم واثقون في أنفسهم أنهم على خير, بل يتهمـون من ينكـر عليهم فعلهم

---

1 (4) تصحيح الدعاء ص92.

2 (1) تصحيح الدعاء ص92.

3 (2) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار تأليف الدكتور صالح بن سعد السحيمي ص96-97.

بأنه لا يحب الله ورسوله, وإلا فكيف يمنعهم عن ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه- صلى الله عليه وسلم.

وفي الصورة الثالثة فصحيح أنه يجوز للمرء المسلم أن ينشئ من عند نفسه ذكرا مطلقا, لكن لا بد من استيفاء شروطٍ وضعها العلماء لصحة هذا الإنشاء[1]. فتقييد الأذكار التي أنشأها العبد بنفسه بهيئة أو زمان أو مكان أو كيفية معينة, وكذلك ترتيب الأجور عليها, كل ذلك يجعلها من البدعة الإضافية؛ لأن هذا التقييد وترتيب الأجور من حقوق الشارع الخاصة؛ ولأننا لو فتحنا المجال لينشئ أي واحد الأدعية والأذكار بنفسه دون قيد لكان ذلك بمثابة فتح باب شر عظيم لا يغلق أبدا, يستطيع كل مبتدع أن يدخل ويخرج منه سالما غانما, وفي ذلك من الضرر على الدين وهدم مرتكزاته ما لا يخفى.

قال الإمام الشاطبي عند شرحه لحد البدعة: [وقوله في الحد: "تضاهي الشرعية" يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها من أوجه متعددة منها وضع الحدود..., ومنها التزام الكيفيات, والهيئات المعينة, كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد..., ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة][2].

شبه وردود

الشبهة الأولى:

استدلالهم بالأحاديث الواردة في الحث على مجالس الذكر أو حلق الذكر أنها أدلة لهم على جواز الذكر الجماعي, قالوا: لا يمكن أن تقوم جماعة من الناس بذكر الله في مكان اجتماعهم إلا بصورة جماعية بصوت واحد, ومن الأحاديث التي يستدلون بها:

ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر الله, قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا:

---

[1] (3) سبق ذكر هذه الشروط في ص195.

[2] (1) الاعتصام للشاطبي 1/25-26.

والله ما أجلسنا إلا ذاك, قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم, وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أقل عنه حديثا مني, وإن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا, قال: (آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك, قال: (أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم, ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة)[1].

وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا), قالوا: وما رياض الجنة ؟ قال: (حلق الذكر)[2].

ورد هذه الشبهة من وجوه:

1- إن استدلالهم هذا ناتج عن سوء فهمهم للمقصود بحلق الذكر أو مجالس الذكر, حيث إنهم يظنون بأن حلق الذكر يقتصر مفهومها على ترديد بعض ألفاظ الذكر مثل الباقيات الصالحات فقط, وذلك فهم قاصر, فإن المراد بحلق الذكر أو مجالس الذكر أوسع وأكبر مما يزعمون, فحلق الذكر أو مجالس الذكر يقصد بها الاجتماع لتعلّم العلوم الشرعية وتعليمه, ومدارسة كتاب الله تعالى وتلاوته, كما تعني القيام بأداء أذكار أخرى من الأذكار الواردة المطلقة مثل الباقيات الصالحات, وهي: (سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر), وقد سبق ذكر ما يكفي من أقوال العلماء مما يدل على أن هذا هو المشهور والمتعارف عليه عند السلف.

وإذا قبل القوم أن هذا هو المفهوم الصحيح لمعنى حلق الذكر أو مجالس الذكر بما يكفي من الحجج

---

[1] (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن, وعلى الذكر- ص 1147 برقم (2701) عن أبي سعيد الخدري.

[2] (1) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب حديث في أسما الله الحسنى مع ذكرها تماما- ص2013 برقم (3510), وأحمد في مسنده 3/150 عن أنس بن مالك, وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم (2787).

والبراهين, فلكل نوع من أنواع الذكر طريقة خاصة للإتيان به وفق منهج سلف الأمة عند اجتماع الناس له.

2- أن هذه الطريقة مخالفة لما عرف عن صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم, يدل على ذلك ما أخرجه الدارمي في سننه عن عمر بن يحيى بن عمرو بن سلمة الهمداني قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة, فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد, فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا, فجلس معنا حتى خرج, فلما خرج قمنا إليه جميعا فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرا, قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه, قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة, في كل حلقة رجل, وفي أيديهم حصا, فيقول: كبروا مائة, فيكّبرون مائة, فيقول: هللوا مائة, فيهللون مائة, ويقول: سبحوا مائة, فيسبحون مائة, قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك, قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم, ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق, فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الله! حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح, قال: فعدوا سيئاتكم, فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء, ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم, هؤلاء صحابة نبيكم- صلى الله عليه وسلم- متوافرون, وهذه ثيابه لم تبل, وآنيته لم تكسر, والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد, أو مفتتحوا باب ضلالة, قالوا: والله, يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير, قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه, إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم, وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم, ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[1].

---

1 (1) أخرجه الدارمي في سننه 1/79 برقم (204), وصححه الألباني في

ويلاحظ في الحديث أن الأمر الذي أنكره ابن مسعود على هؤلاء القوم هو الإتيان بالذكر بصورة جماعية, وتقييد الأذكار المطلقة بأعداد معينة, فأنكر عليهم ابن مسعود وبين لهم أن سلوك تلك الطريقة في ذكر الله تعالى ليس من منهج رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- وصحابته الكرام عليهم رضوان الله.

الشبهة الثانية:

قالوا: يجوز للعبد المسلم أن ينشئ أدعية وأذكارا من عند نفسه مطلقا دون أي قيد أو ضابط أو شرط, بدليل أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أقر بعض الصحابة على أذكار وأدعية من عباراتهم وكافأ بعضهم على حسن ثنائه على الله تعالى. ومما استدلوا به من الأحاديث:

ما أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول: يا من لا تراه العيون, ولا تخالطه الظنون, ولا يصفه الواصفون, ولا تغيره الحوادث, ولا يخشى الدوائر, يعلم مثاقيل الجبال, ومكاييل البحار, وعدد قطر الأمطار, وعدد ورق الأشجار, وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار, لا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضا, ولا بحر ما في قعره, ولا جبل ما في وعره, اجعل خير عمري آخره, وخير عملي خواتمه, وخير أيامي يوم ألقاك فيه. فوكل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالأعرابي رجلا فقال: (إذا صلى فائتني به, فلما صلى أتاه, وقد كان أهدي لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذهب من بعض المعادن, فلما أتاه الأعرابي وهب له الذهب وقال: (ممن أنت يا أعرابي! قال: من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله, قال: (هل تدري لِمَ وهبت لك الذهب؟) قال: للرحم بيننا وبينك يا رسول الله, فقال: (إن للرحم حقا, ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل)[1].

السلسلة الصحيحة برقم (2005) عن عمرو ابن سلمة.

[1] (1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 9/172 عن أنس بن مالك, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 10/242: رواه الطبراني في الأوسط

وما روي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: سمع النبي- صلى الله عليه وسلم- رجلا يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد, قال: فقال: (والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)[1].

ورد هذه الشبهة من وجوه:

1- أن القول بجواز وضع العبد المسلم أدعية وأذكار لنفسه يدعو الله بها ليس على إطلاقه, بل لا بد من توفر بعض الشروط والضوابط التي ذكرها العلماء[2].

قال في تصحيح الدعاء: "أجمع العلماء على أن للعبد المسلم الدعاء مطلقا بما لم يرد, بشرط أن لا يتضمن محذورا لفظا ومعنى, ولا يوظفه مقيدا بحال, أو زمان, أو مكان, **هذا مع إجماعهم على أن الوارد أفضل**"[3].

2- أن استدلالهم بما دعا به بعض الصحابة وأقرهم عليه النبي- صلى الله عليه وسلم- ليس دليلا لهم؛ لأن مجرد تلفظ الصحابة بهذه الأقوال والعبارات في حضرة النبي- عليه الصلاة والسلام- وإقراره لهم عليها جعلها من السنة, فهي من السنن التقريرية. وأما الذي يتلفظ به من بعدهم من الأدعية والأذكار المنشأة فلا بد أن تتوفر فيه تلك الشروط التي ذكرها العلماء؛ لتكون من العبادات المقبولة.

3- أنه لولا تلك الشروط والضوابط التي وضعها العلماء لدخل في الأذكار المنشأة أباطيل المتكلفين والفسقة مما يطلق عليه اسم الأدعية والأذكار وهي من إلهامات شياطينهم.

الشبهة الثالثة:

ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبي عبد الرحمن الأذرمي وهو ثقة, مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي, دار الفكر- بيروت.

1 (2) سبق تخريجه ص143.

2 (3) يراجع ص195 من هذا البحث.

3 (4) تصحيح الدعاء ص325.

احتجاجهم بأن تقييد الأذكار المطلقة الواردة في الشرع بزمان أو مكان أو هيئة أو عدد لم يأت به الشرع, فيه نوع من ربط الناس بالعبادة وتقريبهم إلى العمل الصالح, وكذلك ترتيب الأجر والثواب على الأذكار المنشأة فيه الحث على القيام بالأعمال الصالحة.

ورد هذه الشبهة من وجوه:

1- أن الذكر عبادة, والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع[1], فالتعيين والإلزام والحدود, وتحديد الكيفية والهيئة, والعدد والأجر, هي من الحقوق الخاصة بالشارع, فالناس وعقولهم عنها بمعزل, فالأذكار التي أتى بها الشارع مطلقة ليس للمرء أن يضع لها من عنده قيودا, بل إن المسلم له أن ينشئ بنفسه من الأذكار المطلقة صحيحة المعنى ولكن أيضا دون أن يضع لها شيئا مما ذكر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وليس لأحد أن يسن للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به بخلاف ما يدعو به المرء أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة, فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرما لم يجز الجزم بتحريمه"[2].

2- أن دعوى إرادة الخير من ربط الناس بالعبادة وترغيبهم في العمل الصالح لن تتحقق إلا بموافقة الشرع؛ فكل عمل يراد به التقرب إلى الله تعالى ينبغي أن يكون مما شرعه الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله- صلى الله عليه وسلم- وأن يؤدى على نحو ما أداه عليه رسول الله مع مراعاة كميته وعدده وزمانه ومكانه وهيئته.

يقول ابن مسعود في الأثر المروي عنه: ".. وكم من مريد للخير لن يصيبه"[3].

---

1 (1) انظر: مجموع الفتاوى 22/510-511.

2 (2) المرجع السابق 22/511.

3 (1) سبق تخريجه ص209.

وفي الأثر عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: "عليكم بالسبيل والسنة, فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة, ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله, فتمسه النار"[1].

3- أن ترتيب الأجور والجزاء على الأذكار المنشأة فيه من المبالغة والتهويل والتضخيم ما لا يخفى, فيجر هذا التضخيم ضررا كبيرا على الدين, حيث إن فيه الإغراء للعامة, وتزهيدهم في الأذكار والأدعية المشروعة, وصرفهم عنها.

المبحث الثاني
قراءة القرآن

المطلب الأول
فضل قراءة القرآن وآداب القراءة

1 (2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 7/224, وأبو نعيم في حلية الأولياء 1/253.

القرآن كلام الله, وفضل كلامه تعالى على كلام البشر كفضل الله على عباده, وقد أنزله ليتعبد بتلاوته ويعمل بأحكامه, وليكون معجزة لنبيه- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وفضل قراءة القرآن عظيم, لا يقدر قدره إلا الذي أنزله سبحانه وتعالى؛ ولذلك وردت نصوص كثيرة في الكتاب نفسه وفي السنة المطهرة تحث على تلاوة أشرف كتاب, وأجل خطاب, وكلام رب الأرباب, تبين هذه النصوص ما للقارئ من الأجر العظيم في هذه الحياة الدنيا وفي الدار الآخرة.

فمن هذه النصوص قوله تعالى: [illegible] (النمل:91-92).

وقوله تعالى: [illegible] (فاطر:29).

وقوله تعالى: [illegible] (المزمل:4).

ومن السنة ما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين, وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[1].

وما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: عن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: (يقال لصاحب القرآن: اقرا وارتق ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا, فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)[2].

---

[1] (1) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب فضائل القرآن- باب[ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي]- ص1945 برقم (2926) عن أبي سعيد الخدري, وقال: هذا حديث حسن غريب, وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (1335).

[2] (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الوتر- باب كيف يستحب الترتيل في القراءة- ص1332 برقم (1464), والترمذي في سننه- كتاب فضائل القرآن- باب [إن الذي ليس في جوفه من القرآن كالبيت

وما روي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول- الله صلى الله عليه وسلم- يقول: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه)[1].

وما روي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة, والحسنة بعشر أمثالها, لا أقول: الم حرف, ولكن ألف حرف, ولام حرف, وميم حرف)[2].

وعندما يتوجه المسلم إلى القرآن الكريم عليه أن يستشعر أنه مقبل على الله سبحانه وتعالى بتلاوة كتابه, يتلقى منه ويناجيه, فهذا المتلو هو الوحي الذي أنزل على محمد- صلى الله عليه وسلم- الذي لا يتطرق إليه باطل, من بين يديه ولا من خلفه, تنزيل العزيز العليم[3].

ولقراءة القرآن آداب ينبغي ذكر شيء منها[4]:

الأول: الإخلاص, ومراعاة الأدب للمناجاة بالقرآن.

الثاني: يستحب أن يكون القارئ على طهارة, وإن كان على غيرها جاز, إن كانت القراءة من غير المصحف.

الثالث: يستحب أن تكون القراءة في موضع نظيف.

الرابع: يستحب استقبال القبلة, والجلوس بخشوع ووقار.

الخامس: أن يحافظ على البسملة في بداية كل سورة, ما عدا سورة براءة.

الخرب..]- 1944 برقم (2914) عن عبد الله بن عمرو, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2240).

1 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة- ص804 برقم (804) عن أبي أمامة الباهلي.

2 (3) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب فضائل القرآن- باب ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر- ص1944 برقم (2910) عن عبد الله بن مسعود, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (2137).

3 (4) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص73.

4 (5) التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكرياء يحيى بن شرف الدين النووي ص54-62, دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت 1409هـ.

السادس: فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر.

وتلاوة القــرآن الكــريم مــع تــدبر معانيــه من أفضــل القربــات, إلا أن هــذا التــدبر لا يتحقــق غالبــا إلا إذا ســلك القــارئ الطريــق الصــحيح في قراءتــه؛ وذلــك بــأن يقتــدي برسول الهدى- صلوات الله وسـلامه عليـه- فيمـا أمـره بـه ربــه جــل وعلا حيث قــال: [illegible] (المزمل:4), وقـد اتفـق العلمـاء على اسـتحباب الترتيل[1]. وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسـول الله- صلى الله عليه وسلم- قراءة مفسرة حرفا حرفا[2].

وفي كتاب الحوادث والبدع: "[illegible] (المزمل:4) يعني فصله تفصيلا, وبينه تبيينا, وترســل فيــه ترسيلا, ولا تعجل في قراءته"[3]

أما الإفراط في الإسراع عند قـراءة القـرآن فقـد نهي عنـه, وهـو مـا يسـمى بــ (الهـذّ)[4], فثبت عن عبـد اللـه بن مسـعود أن رجلا قــال لــه: إني أقــرأ المفصــل في ركعــة واحــدة, فقــال عبد الله بن مســعود: هــذاً كهذّ الشــعر, إن أقواما يقرؤون القرآن لا يجاوز تـراقيهم, ولكن إذا وقـع في القلب فرسخ فيه نفع[5].

قال العلماء: والترتيل مسـتحب للتـدبر وغـيره, قـالوا: يسـتحب الترتيـل للعجمي الـذي لا يفهم معنـاه؛ لأن ذلـك أقرب إلى التوقير والاحترام, وأشد تأثيرا في القلب[6].

---

1 (1) التبيان في آداب حملة القرآن ص66.

2 (2) أخرجه الحاكم في المستدرك 1/453, والبيهقي في السنن الكبرى 3/13, والنسائي في السنن الكبرى 1/349 عن أم سلمة, وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه, وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح رقم (2204).

3 (3) كتاب الحوادث والبدع للإمام أبي بكر محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي المعروف بابن زندقة ص57, تحقيق بشير محمد عيون, ط/الثانية 1412هـ- 1991م, مكتبة المؤيد- الطائف.

4 (4) انظر: التبيان ص67.

5 (5) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به- باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ..- ص806 برقم (822) عن أبي وائل.

6 (6) التبيان في آداب حملة القرآن ص67.

كما نهي عن الاستعجال في قراءة القرآن وكذلك نهي عن قراءته بالألحان والتطريب, ومعنى هذا أن يمطط الحروف, ويفرط في المد, ويشبع الحركات حتى تصير حروفا, فإنه متى أشبع حركة الفتح صارت ألفاً, وإن أشبع حركة الضم صارت واواً, وإن أشبع حركة الكسر صارت ياء. وأعظم من هذا أن الحرف الذي فيه واوٌ واحدة تصير واوات كثيرة, ويكون في الحروف ألف واحدة فيجعلونه ألفات كثيرة, وكذلك كل حرف من الآية يزيد فيه من الحروف بحسب ما تحتاج إليه نغمته ولحنه؛ فيزيل الحرف عن معناه, فتلحق الحروف الزيادة والنقصان على حسب النغمات والألحان, فلا تخلو من زيادة أو نقصان, وهذا أمر ليس في كلام العرب, ولا يعرفه الفصحاء والشعراء[1].

والاجتماع لقراءة القرآن ودراسته جائز مع اتباع الطريقة التي وضعها العلماء لذلك, وقد سبق بيان ذلك بشكل مفصل[2].

المطلب الثاني
الانحراف في قراءة القرآن حكمه وصوره

---

1 (1) كتاب الحوادث والبدع تأليف محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي ص62.

2 (2) يراجع ص 200 من هذا البحث.

صور الانحراف في قراءة القرآن لدى مسلمي نيجيريا:

للانحراف في قراءة القرآن الكريم لدى القوم صور عديدة منها:

الصورة الأولى:

قراءة القرآن بالألحان.

إنه من الأمور المعهودة لدى مسلمي نيجيريا تلحين القرآن الكريم عند القراءة, ولعل ذلك نتيجة سوء فهمهم للحديث الشريف: (زينوا القرآن بأصواتكم)[1], وقد أخطأوا في ذلك الفهم السقيم؛ لأن تزيين القرآن بصوت القارئ لم يقصد به التلحين الذي سبق بيان معناه قبل قليل.

الصورة الثانية:

تخصيص بعض الآيات والسور وقراءتها لأغراض لم يرد تخصيصها لها في السنة المطهرة, مع وضع خطبة لكل سورة تقرأ قبلها أو بعدها, وأحيانا توضع خطبتان لبعض السور, الأولى لابتداء السورة, والثانية بعد الانتهاء منها.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

يمثل لهذه الصورة بتخصيصهم سورة الكهف للحفظ من كل شر, وسورة الفتح لفتح أبواب الخير, وسورة النصر لجلب الرزق, وسورة يس لقضاء الحوائج بجميع أشكالها, وغير ذلك من سور القرآن الكريم التي لم يرد نص في السنة المطهرة يدل على هذا التخصيص.

قال صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "سورة الإخلاص والخطبة: بسم الله الرحمن الرحيم, فائدة عظيمة لقضاء الحوائج فاقرأها ألف مرة, ثم تقرأ الخطبة هذه بعد سورة الإخلاص, بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد ... إلى آخر السورة. خطبة سورة الإخلاص: اللهم إني أسألك يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد يا من لم يتخذ صاحبة ولا ولدا, يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد,

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا- كتاب التوحيد- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة) و(زينوا القرآن بأصواتكم)- ص630.

أسألك بحق أسمائك العظام وأنبيائك الكرام أن تسخر لي خدام هذه السورة العظيمة, عبدك عبد الرحمن, وعبدك عبد الصمد, وعبدك عبد الواحد, يكون لي عونا على قضاء حوائجي..."[1].

وقال في موضع آخر: "سورة الكوثر. من كان له إلى الله حاجة مهمة فليقرأ هذه السورة الجليلة خصوصا في جلب الأرزاق والمال وطلب الجاه والمراتب وغيرها لفتح الخيرات. تقرأها ألف مرة, وعلى كل مائة تقرأ هذا الدعاء أربع مرات. وهي: بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر ... إلى آخر السورة. بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إني أسألك يا إله الأولين والآخرين أن ترزقني رزقا حلالا, وأن تغنيني بفضلك, وأن تسخر لي خادم هذه السورة بحق مهيش مهيوش عيطلوش نوزة وهيم, أجب واقض حاجتي بمن قال للسماوات والأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين, الوحا (3) العجل (3) الساعة (3) بارك الله فيك وعليك"[2].

وفي دعاء الفوز العظيم: "سورة الواقعة: من قرأها ثلاث مرات في كل يوم صباحا ومساء يغنيه الله, ومن قرأها أربع عشرة مرة بعد صلاة العصر ويتلو (يا غني, يا مغني) ألف مرة مع الخطبة ثلاث مرات كل يوم يكون غنيا بأمر الله, وهذا مجرب. ومن قرأها إحدى وأربعين مرة كل ليلة إلى أربعين يوما يرزقه الله رزقا واسعا بلطفه"[3].

وقد ساعد على اندفاع كثير من جهال المنتسبين للعلم الشرعي إلى مزاولة هذا العمل ما يفعله ساداتهم أهل الأهواء من وضع كتيّبات الدعاء بهذا الخصوص, يقوّون فيها أقوالهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة, يسلكون في هذا الباب سبيل بعض السذج كأبي عصمة نوح بن أبي مريم حيث حاول أن يرغب الناس في القرآن الكريم

---

1 (1) دعاء الغاية المقصودة ص65.

2 (2) المرجع السابق ص62.

3 (3) دعاء الفوز العظيم ص14, دون أية بيانات, وهو كتيّب مشهور جدا بين المنتسبين إلى العلوم الشرعية, يشتمل على بعض سور القرآن وخطبها المصطنعة, يستعمل للدعاء.

فوضع أحاديث عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن[1].

الصورة الثالثة:

قراءة السورة من آخرها إلى أولها, أو قراءة سورة وإدخال ما ليس من كلام الله من أسماء الملائكة أو الجن أو كلام البشر بين آياتها, أو جمع آيات من سور شتى في موضع واحد وقراءتها مثل قراءة سورة واحدة؛ كل ذلك لأغراض معينة.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال في دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "هذا دعاء لتسخير القلوب, يقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح 3 مرات. بسم الله الرحمن الرحيم. بسم الله العزيز المعتزّ بعلو عزه عزيزا, وكل عزيز بعزة الله يعتزون, يا عزيز تعززت بعزتك فمن اعتز بعزتك فهو عزيز لا ذل بعده, ومن اعتز بدون عزتك فهو ذليل, إن الله قوي عزيز, وإنه لكتاب عزيز, وينصرك الله نصرا عزيزا, لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز, يحبهم ويحبونه اللهم أعزني في عيون خلقك وأكرمني بينهم, ولقد كرمنا بني آدم, وإنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العلمين, وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ..." [2].

وفي موضع آخر قال: "ورود قوله: (كن فيكون) في القرآن العظيم. ورد قوله: (كن فيكون) ثماني مرات في القرآن العظيم"[3], فجمع كل الآيات التي فيها لفظ (كن فيكون) في القرآن؛ وذلك ليستفاد من قراءتها هكذا للدعاء.

حكم هذه الصور:

---

1 (4) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي 1/282, تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف, مكتبة الرياض الحديثة, بدون سنة الطبعة.

2 (1) دعاء الغاية المقصودة ص79.

3 (2) المرجع السابق ص89.

إن تلحين القرآن عند قراءته مثل القصائد والأناشيد من البدع المحدثة في الكتاب العزيز وذلك للأسباب التالية[4]:

1- أن القرآن إذا لحّن موسيقيا فإنه لا يتميز بتأثيره الفطري في النفوس والقلوب, وإنما يعود التأثير في ذلك الحين إلى الطرب المصطنع.

2- أن هذا التلحين يخرجه عن كونه قرآنا إلى ما يشبه الغناء والنشيد.

3- أن الذي يشتغل بترنيم الموسيقي لا يلتفت إلى معانيه بإدراكه الوجداني, ولا يتفهم مقاصده بقلبه.

4- مما لا شك فيه أن هذا التلحين لن يراعى فيه مخارج الحروف بأحكامها الراسخة في قواعد التجويد.. وهذا سيؤدي حتما إلى التمطيط والترجيع والرعش الصوتي أو تموجه.. وهي أمور لا تجوز شرعا, ولا يتفق ذلك مع جلال القرآن وهيبته.

هذا, وقد أنزل القرآن لتتدبر آياته وتفهم معانيه, من أمر أو نهي أو وعد أو وعيد أو وعظ أو تخويف أو ضرب مثل أو اقتضاء حكم أو غير ذلك, قال تعالى: (ص:29), وقال تعالى: (النساء:82), وقال جل شأنه: (الأنفال:2).

فكيف يتدبر آيات القرآن ويفهم معانيه من كان أكبر همه أثناء القراءة هو اللذة والطرب والنغمات والألحان, ولا شك أن هذه الأشياء تبعد عن الخشوع وتناقض الخوف والوجل, وإذا كنا معاشر المسلمين قد أمرنا بالبكاء أو التباكي أثناء القراءة, وقال ربنا جل وعلا عن عباده المؤمنين: (المائدة:83), فيا

---

4 (3) كيف نتأدب مع المصحف كتابة قراءة تعلما استماعا محمد رجب فرجاني ص173-174, دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة, بدون بيانات أخرى.

ترى هل هذا البكاء ناتج عن الفهم لمعاني الآيات المقـروءة أو من الألحان المطربة المشبهة للأغاني؟

أما الصورة الثانية من الانحرافات المذكورة فحكمها بدعة؛ وذلك لأمور:

1- ما فيها من تخصيص بعض الآيات والسور لأغراض لم يرد دليل من السنة المطهرة على تخصيصها لها.

2- ما فيها من تعيين الأعداد التي تقرأ بها هذه السور دون أي دليل شرعي, وقد سبق أن ذكرنا بأن تحديد الكيفية والهيئة, والزمان والمكان والعدد, وترتيب الأجور على الأعمال, هي من الحقوق الخاصة بالشارع.

ولهذين الأمرين فقد خالف هذا النوع من الذكر تلك القاعدة العظيمة للتعبد وهي: "وقف العبادة على النص ومورده في جهات التعبد الست", وهي: السبب, والجنس, والمقدار, والكيفية, والزمان, والمكان[1].

3- ما في هذه الصورة من الخطب المنشأة المصطنعة من قبل القوم, وعلى الرغم من أن هذه الخطب هي من باب الأدعية المطلقة التي يجوز للعبد أن ينشئه من عند نفسه إلا أن لها شروطا لا بد من توفرها في هذا النوع من الأدعية, ولم تستوف تلك الخطب المصطنعة هذه الشروط؛ حيث وجدت فيها بعض المحاذير الشرعية لفظا ومعنى[2], بالإضافة إلى المنهج الذي سلكه الذين وضعوها حيث اتخذوها سنة راتبة يداوَم على قراءتها, ورتبوا عليها الأجور.

تقول اللجنة الدائمة في إجابتها عن سؤال وجه إليها حول مسألة تخصيص بعض سور القرآن الكريم وتسميتها بالسور المنجيات: "القرآن كل سوره وآياته شفاء لما في الصدور, وهدى ورحمة للمؤمنين, ونجاة لمن اعتصم به واهتدى بهداه من الكفر والضلال والعذاب الأليم... فمن خص السور المذكورة في السؤال (وهي: سورة الكهف, والسجدة, ويس, وفصلت, والدخان, والواقعة, والحشر, والملك) بالمنجيات فهو جاهل مبتدع, ومن جمعها على هذا

---

1 (1) تصحيح الدعاء ص41.

2 (2) انظر: خطبة سورة الكوثر في المثال السابق.

الترتيب[1] مستقلة عما سواها من سور القرآن رجاء النجاة أو الحفظ أو التبرك بها فقد أساء في ذلك وعصى؛ لمخالفته لترتيب المصحف العثماني الذي أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم؛ ولهجره أكثر القرآن وتخصيصه بعضه بما لم يخصه به رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا أحد من أصحابه"[2].

ويندرج تحت هذه الصورة مما يتعبد به بعض مسلمي نيجيريا تخصيص بعض قصار السور وقراءتها بعد الدعاء, يقرأون من تلك السور ما يتناسب مع ما دعوا به- حسب زعمهم- من خيري الدنيا والآخرة, فإذا دعوا بكثرة الرزق مثلا يختمون دعاءهم بقراءة سورة النصر أو الكوثر, وإذا دعوا بالأمن يقرأون بعده سورة قريش وهكذا, وقد كانت سورة الفاتحة أكثر استعمالا من قصار السور لهذا الغرض, فلا تكاد تجد رجلا أو امرأة من المنتسبين للدراسات الإسلامية وعوام الناس إلا وقد اتخذ ختم دعاءه بقراءة الفاتحة سنة متبعة.

يقول صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى فيما أسماه بالدعاء المبارك: "... وارفع مقتك وغضبك عنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا يا رب العلمين. اللهم آمين **بسر الفاتحة**"[3].

وإني أقول في بيان حكم هذه الصورة: إن القرآن كلام الله تعالى, وفضل كلامه تعالى على كلام البشر كفضل الله على عباده, وفضل قراءة القرآن عظيم لا يقدر قدره إلا الله سبحانه, لكن ليس للقارئ أن يخص سورة أو آية بالتلاوة في وقت معين أو لغرض معين إلا ما خصه الرسول- صلى الله عليه وسلم- كفاتحة الكتاب للرقية, أو في الصلاة في كل ركعة, وكقراءة آية الكرسي عندما يأخذ مضجعه من فراشه للنوم رجاء أن يحفظه الله من

---

1 (3) كما في دعاء الفوز العظيم, ودعاء الغاية المقصودة الكبرى, وعون العلماء الصالحين, كلها كتيبات الدعاء مشهورة في نيجيريا وغرب إفريقيا.

2 (4) فتاوى اللجنة الدائمة 2/478-479 فتوى رقم (1260).

3 (1) دعاء الغاية المقصودة ص75.

الشيطان, وكقراءة المعوذات (قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) للرقية[1].

فيتبين من ذلك أن تخصيص بعض السور بالقراءة بعد الدعاء من البدع المحدثة التي لا دليل عليها, فهو بدعة إضافية حيث إن قراءة القرآن في أصلها من العبادات المشروعة, لكن التخصيص الذي اقترن بها دون دليل شرعي هو الذي جعلها بدعة. ولا يقال إن هذا العمل من باب التبرك بالقرآن الكريم, فإن القرآن الكريم لا يقرأ من أجل التبرك به فقط وإنما يقصد بقراءته التقرب إلى الله تعالى, وتدبر آياته, وفهم معانيه وأحكامه, والاعتبار به لنيل الأجر والثواب, ثم لا مانع من الدعاء بعد ختمه أو الانتهاء من قراءة جزء منه وذلك مشروع إلا أنه لا يداوم عليه الإنسان المسلم ولا يلتزم فيه صيغة معينة كأنه سنة متبعة[2].

حكمت اللجنة الدائمة في جوابها عن السؤال: هل كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يقرأ الفاتحة بعد الدعاء؟ بأنه "لم يثبت عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقرأ الفاتحة بعد الدعاء فيما نعلم, فقراءتها بعد الدعاء بدعة"[3].

والصورة الثالثة من صور الانحراف في قراءة القرآن التي هي قراءة السورة من آخرها إلى أولها فهي لا تجوز, وذلك لما يأتي:

1- ففي التبيان في آداب حملة القرآن قال: "وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فممنوع منعا مؤكدا, فإنه يذهب بعض ضروب الإعجاز, ويزيل حكمة ترتيب الآيات"[4].

---

[1] (2) فتاوى اللجنة الدائمة 2/483-484.

[2] (3) انظر: المرجع السابق 2/480 فتوى رقم (3861).

[3] (1) فتاوى اللجنة الدائمة 2/528 فتوى رقم (5881).

[4] (2) التبيان ص73.

2- ما روي عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه كره ذلك وقال: "من قرأ منكوسا أدّب, والذي يقرأ السورة من آخرها إلى أولها يؤدّب"[5].

وبناء على ذلك فالأدب في قراءة القرآن أن يقرأ على الترتيب فلا يلتقط من كل سورة آية أو آيتين يقرأ بهما كما يفعل كثير من قراء اليوم في المآتم[2], أو يجمع آيات من سور مختلفة تقرأ بعضها مع بعض كقراءة سورة واحدة, فقد ذكر ابن كثير في فضائل القرآن رواية عن أبي عبيد: أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سمع بلالا يقرأ من كل سورة آية .. فقال: (سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة) فقال بلال: أخلط الطيب بالطيب, فقال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (اقرأ السورة على وجهها) وفي رواية أخرى: (إذا قرأت فانفذها)[3]. وبلال رضي الله عنه كان يقصد جمع آيات الرحمة وآيات الجنة في مرة واحدة فأمره الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن يقرأه على تأليف الله[4].

وإذا كان جمع آيات من سور مختلفة وقراءة بعضها مع بعض مما لا يجوز شرعا بدليل نهي الرسول- صلى الله عليه وسلم- عنه, فكيف بإدخال ما ليس من كلام الله ضمن كلامه سبحانه وتعالى, فلا شك أنه ظاهر البطلان لما فيه من العبث بكلام الباري جل وعلا, وقد قال عنه تعالى: [illegible] (الطارق:13-14), قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية [illegible]: "أي ليس القرآن بالباطل واللعب, والهزل: ضد الجد"[5].

---

5 (3) كتاب الحوادث والبدع ص120.

2 (4) كيف نتأدب مع المصحف ص187.

3 (5) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف- كتاب فضائل القرآن- باب الرجل يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة- 6/151 برقم (30259), المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي, تحقيق كمال يوسف الحوت, ط/الأولى 1409هـ, مكتبة الرشد- الرياض.

4 (6) كيف نتأدب مع المصحف ص187.

5 (1) تفسير القرطبي 20/9.

مسألة: حكم الوليمة عند تخرج الطلبة أو ختم حفظ القرآن الكريم أو قراءته

هذه المسألة لها علاقة مباشرة بقراءة القرآن الكريم, وإقامة الحفلة أو ما يسمى بالوليمة إذا أكمل طالب علم قراءة القرآن أمر منتشر جدا عند النيجيريين المسلمين, ولا فرق في هذا الأمر بين المنتسبين للعلم الشرعي والعوام, بل إن المسألة أشكلت على بعض خريجي جامعات الدول العربية ولا يدري هل هي بدعة أم سنة, ولرفع هذا الإشكال وبيان الحق الذي ليس بعده إلا الضلال أخص هذه المسألة بالكلام في هذا الصدد فأقول:

الاحتفال بمناسبة ختم قراءة القرآن الكريم أو حفظه لطلبة العلم ليس فيه بأس ولا يدخل في بدعة الأعياد والاحتفالات وذلك لما يأتي:

1- أن مثل هذه الاحتفالات لا تتكرر بالنسبة لهؤلاء الذين يحتفل بهم.

2- أن لهذه الاحتفالات مناسبة حاضرة، وليست أمراً ماضياً"[1].

وضابط العيد الممنوع أنه هو كل زمان يعتاد مجيئه, أو مكان يتقصد الإتيان إليه من أجل اجتماع وأعمال لم يأذن بها الشارع.

إلا أنه ينبغي التنبه لتلك الصورة التي تقام بها تلك الاحتفالات لدى مسلمي نيجيريا حيث إن الكثير ممن يملكون المدارس الخاصة بتعلم القرآن الكريم أو حفظه قد اتخذوا هذا الاحتفال مدخلا لإلحاق الأضرار بأولياء أمور الطلبة؛ وذلك أن الطالب الذي أكمل قراءة القرآن أو تخرج من المدرسة يكلّف حين تخرجه بدفع مبالغ لا يستطيع ولي أمره توفيرها في غالب الأحيان, فمبلغ لاستلام شهادة التخرج, ومبلغ للضيافة, وآخر لتكريم المعلم, كما يكلف بصناعة أنواع من الأطعمة وإحضارها يوم الحفلة, بل هناك من يطلبون من كل طالب شراء

---

[1] (2) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع للعلامة محمد بن صالح العثيمين5/114, ط/الأولى 1423هـ, طبع بإشراف مؤسسة الشي محمد بن صالح العثيمين الخيرية, دار ابن الجوزي- الرياض.

شـاة. كل هـذا يكلف به الطـالب على سـبيل الإلـزام لا من بـاب الاختيـار, والطـالب الـذي لم يتمكن من تقـديم كل ما طلب منه يؤجل وقت حفلته إلى أن تتخـرج دفعة أخـرى أو يدفع تلك المبـالغ فيما بعـد, ففي أية حالة لا يعفى عن تلك المتطلبـات. فهـذه الصـورة الـتي اعتادها بعض المدرسـين ومدراء المدارس هي الـتي تحتـاج إلى إعـادة النظـر, فـإن الاحتفـال بهـذه الصـورة يعطي المجـال ليـدخل فيه بعض الأمور الـتي تنهى عنها شـريعتنا الإسـلامية وأهمها الإضـرار بالمسلمين حيث يضطر الكثير من أوليـاء أمـور الطلبة إلى تحمل الديون, فبدلا من أن يحتفل الطـالب بهـذه المناسـبة بفــرح وســرور فإنه يفكر كيف يقضي هو وولي أمــره تلك الديون التي تحملوها, وقد قـال- عليه الصـلاة والسـلام: (لا ضرر ولا ضرار)[1].

إن هــذا الاحتفــال ينبغي أن يكــون من بــاب التكــريم لهؤلاء الطلبة الذين صـبروا وتحملـوا وقضـوا أثمن أوقـاتهم في حفظ وقـــــراءة أشـــــرف كلام على الإطلاق وهو كلام الباري جل وعلا, فيقـدم لهم كل غـال ونفيس تشـجيعا لهم على بذل مزيد من الجهود لمواصلة هذا العمل الجليل, كما توجه لهم نصائح قيمة كي يحـافظوا على آداب حملة كتـاب الله تعالى. فـإذا كُـرّمت مجموعة بهـذه الطريقة المشـوّقة فإنها ســـتكون ترغيبا لغـــيرهم ليتوجهـــوا إلى كتـــاب الله قاصدين تعلمه وحفظه.

وإكـرام قـارئ القـرآن وحافظه مرغـوب فيه بنصـوص من الكتاب والسنة:

قال تعالى: [illegible] (الحج:32).

وقال تعالى: [illegible] (الحج:30).

وفي الحــديث: (إن من إجلال الله تعــالى إكــرام ذي الشـيبة المسـلم, وحامل القـرآن غـير الغـال فيه والجـافي

[1] (1) أخرجه الدارقطني في سننه 3/77, والبيهقي في السنن الكبرى 6/69 عن أبي سعيد الخدري, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (250).

عنه, وإكـــرام ذي الســـلطان المقسط)[2]. فأهل القـــرآن يكرمون ولا يؤذون.

هذا, مع التنبيه إلى أننا لا نمانع أن يطلب المعلم من طلابه المتخرجين أو الذين ختمـوا قـراءة القـرآن أو حفظه أن يطلب منهم بعض المبـالغ لمناسـبة الاحتفـال بتخـرجهم لكن لا يكـون ذلك على سـبيل الإلـزام, بل يـترك المجـال ليقدم كل من أولياء أمور الطلبة ما في وســعه, وذلك أريح لهم وأدعى لمرضاة الرب جل وعلا.

المبحث الثالث
الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول

---

[2] (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب- باب تنزيل الناس منازلهم- ص1579 برقم (4843), والبخاري في الأدب المفرد 1/130 برقم (357), وابن أبي شيبة في مصنفه 4/440, والبيهقي في شعب الإيمان 2/550 عن أبي موسى الأشعري, قال في تخريج أحاديث الإحياء (2/151): أخرجه أبو داود من حديث أبي موسى بسند حسن, وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (3962).

معنى الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- وفضلها وكيفيتها

معنى الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم:

الصلاة في اللغة أصلها: الدعاء, لقوله تعالى: (التوبة:103), أي: ادع لهم[1].

ويطلق لفظ "الصلاة" على معان أخرى غير الدعاء مثل التعظيم, والرحمة, والبركة, قال الراغب الأصفهاني: "الصلاة: قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء والتبريك والتمجيد, يقال: صليت عليه, أي: دعوت له وزكّيت"[2].

وفي المصباح المنير: "وقيل: الصلاة في اللغة مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة, ومنه: (اللهم صل على أهل أبي أوفى)[3], أي: بارك عليهم أو ارحمهم"[4].

أما معنى الصلاة في قوله تعالى: (الأحزاب:56), فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الصلاة من الله رحمته ورضوانه, ومن الملائكة الدعاء والاستغفار, ومن الأمة الدعاء والتعظيم[5].

لكن الأولى- والله تعالى أعلم- أن معنى الصلاة على النبي في الآية الكريمة الثناء عليه بين الملائكة وفي الملإ الأعلى, قال البخاري: "قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة, وصلاة الملائكة الدعاء"[6], وقال ابن حجر بعد ذكره للأقوال الواردة في المسألة: "وأولى الأقوال ما تقدم عن أبي العالية أن معنى صلاة الله على

---

1 (1) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ص284, ومختار الصحاح1/375 مادة (ص ل ا).

2 (2) المفردات ص287 مادة (صلا).

3 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الزكاة- باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة- ص118 برقم (1497) عن عبد الله بن أبي أوفى.

4 (4) المصباح المنير ص285.

5 (5) انظر: تفسير القرطبي 14/149, وتفسير الصاوي 5/48.

6 (1) رواه البخاري في صحيحه معلقا- كتاب التفسير- سورة الأحزاب باب قوله: (الآية:56).

نبيه ثناؤه عليه وتعظيمه, وصلاة الملائكة وغيرهم عليه طلب ذلك له من الله تعالى"[1].

وهذا القول هو الذي اختاره العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره للآية, قال: " عليه, أي: يثني الله عليه بين الملائكة, وفي الملإ الأعلى, لمحبته تعالى له"[2].

ونحى العلامة محمد بن صالح العثيمين منحى شيخه في هذه المسألة فأبطل القول بأن الصلاة من الله معناها الرحمة حيث قال: "والصلاة من الله على رسوله ليس معناها كما قال بعض أهل العلم: إن الصلاة من الله الرحمة, ومن الملائكة الاستغفار, ومن الآدميين الدعاء. فهذا ليس بصحيح بل إن صلاة الله على المرء ثناؤه عليه في الملإ الأعلى, كما قال أبو العالية وتبعه على ذلك المحققون من أهل العلم. ويدل على بطلان القول الأول قوله تعالى: (البقرة:157)؛ فعطف الرحمة على الصلوات, والأصل في العطف المغايرة, ولأن الرحمة تكون لكل أحد"[3].

والصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- أجرها عظيم وفضلها جسيم, أمر الله تعالى بها في القرآن الكريم, ورغب فيها رسوله الأمين- صلى الله عليه وسلم- وحث عليها وبيّن أن أجرها مضاعف فقال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا)[4].

وقد شرعت الصلاة عليه- صلى الله عليه وسلم- عند ذكر اسمه, وبعد التشهد في الصلاة, وفي خطبة الجمعة والنكاح ونحوهما.

---

1 (2) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 11/156.

2 (3) تيسير الكريم الرحمن ص639.

3 (4) القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين 1/447, بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية, ط/الثانية 1424هـ, دار ابن الجوزي- الدمام.

4 (5) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الصلاة- باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد- ص743 برقم (408) عن أبي هريرة.

والصلاة على النبي نوع من أنواع الـذكر, والأذكـار من أفضل العبادات, والعبادات مبناها على التوقيـف والاتبـاع, لا على الهـوى والابتـداع, والخـير كـل الخـير في اتبـاع هديـه- صلى الله عليـه وسـلم- وهـدي خلفائـه الراشـدين, وسـائر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

ولقد أجـاب النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- أصـحابه بالأجوبة الكافية حينما سألوه عن كيفية الصـلاة عليـه, وهـو الصادق المصدوق- صلوات الله وسلامه عليه, لا ينطـق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى, فبينت أحاديثـه الشـريفة هـذه الكيفيات, فتمسك بهـا صـحابته الكـرام, يصـلون عليـه كمـا أمرهم وبالهيئات التي ذكر لهم, وما كانوا يجهـرون بهـا, ولا أحدثوا حلقات يجتمعون فيها, ولا ابتدعوا صفات أخرى لهذه العبادات.

[ولا شك أن ما جاءت به السنة وفعله الصحابة الكرام والتـابعون لهم بإحسـان هـو الطريـق المسـتقيم والمنهج القويم والفائدة للآخذ به محققة والمضرة عنه منتفية, وقـد قال- عليه الصلاة والسلام- في الحديث المتفق على صحته عن عائشة- رضي الله عنها: (من أحدث في أمرنـا هـذا مـا ليس منه فهـو رد)[1], وفي روايـة لمسـلم: (من عمـل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[2], وقال- صلى الله عليـه وسـلم-: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديـين من بعدي, عضوا عليها بالنواجذ, وإياكم ومحـدثات الأمـور, فـإن كل محدثة بدعة, وكل بدعة ضلالة)[3]][4].

نصوص وردت في فضل الصلاة على النبي- صـلى الله عليه وسلم- والحث عليها والأمر بها:

---

1 (1) سبق تخريجه ص43.

2 (2) سبق تخريجه ص43.

3 (3) سبق تخريجه ص75.

4 (4) فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبيان معناها وكيفيتها وشيء مما ألف فيها تأليف عبد المحسن بن حمد العباد ص 21, ط/الثانية 1408هـ, مركز شؤون الدعوة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وردت نصوص كثيرة في فضل الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- والحث عليها والأمر بها وأكثرها في السنة المطهرة, منها:

قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الأحزاب:56).

يقول الشوكاني رحمه الله: "والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملإ الأعلى بأنه يثني عليه عند ملائكته وأن الملائكة تصلي عليه, وأمر عباده بأن يقتدوا بذلك ويصلوا عليه"[1].

ومنها ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا)[2].

وعند أبي داود أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا)[3].

ومنها ما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات, وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات)[4].

ومنها ما روي عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم:

(البخيل الذي من ذكرتُ عنده فلم يصل عليّ)[5].

---

1 (1) فتح القدير للشوكاني 4/375.

2 (2) سبق تخريجه ص228.

3 (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الوتر- باب في الاستغفار- ص 1336 برقم (1530) عن أبي هريرة, وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (1656).

4 (4) أخرجه النسائي في سننه-كتاب السهو- باب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم- ص2172 برقم (1298) عن أنس بن مالك, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (922).

5 (1) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب [رغم أنف رجل ذكرت عنده]- ص2016 برقم (3546) عن علي بن أبي طالب وقال:

ومنها ما روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (من نسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة)[1].

هذه هي بعض النصوص الواردة في فضل الصلاة على خير الخلق- صلوات الله وسلامه عليه, وقد اختلف أهل العلم في حكم هذه الصلاة هل هي واجبة أم مستحبة؟ بعد اتفاقهم على أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة, قال القرطبي: "ولا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة, وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه"[2].

وقد ذكر ابن حجر مذاهب العلماء في المسألة وأوصلها إلى عشرة أقوال.

والذي يقتضيه الاحتياط, الصلاة عند كل ذكر, لما ورد من الأخبار في ذلك[3].

قال ابن حجر عند ذكره للأقوال الواردة في المسألة: "ثامنها: كلما ذكر, قاله الطحاوي[4] وجماعة من الحنفية, والحليمي[5] وجماعة من الشافعية, وقال ابن العربي[6]

هذا حديث حسن صحيح غريب, وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم (5).

1 (2) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها- باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم- ص2530 برقم (908) عن عبد الله بن عباس, وصححه الألباني في صحصح ابن ماجه برقم (740).

2 (3) تفسير القرطبي 14/150.

3 (4) المرجع السابق.

4 (5) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الحجري المصري, أبو جعفر الطحاوي الحنفي الحافظ المحدث, كان ثقة نبيلا فقيها عاقلا, انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة في مصر, من مصنفاته معاني الآثار, أحكام القرآن, توفي سنة 321هـ.
انظر: العبر في خبر من غبر 2/192, الوافي بالوفيات 8/7, طبقات الحنفية 1/102.

5 (6) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري, الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني أبو عبد الله, كان إماما متقنا, وله وجوه حسنة في المذهب الشافعي, توفي سنة 403هـ.
انظر: العبر في خبر من غبر 3/86, الوافي بالوفيات 12/217, طبقات الشافعية 1/178.

6 (7) هو الإمام العلامة القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله

من المالكية: إنه الأحوط, وكذا قال الزمخشري[1]"[2].

أما الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- في تشهد الصلوات المفروضة فقد ذهب جمهور العلماء إلى أنها سنة مؤكدة وليست واجبة, ودليل ذلك عمل السلف الصالح وإجماعهم عليه, كما أن صفة تشهد ابن مسعود الذي علمه النبي- صلى الله عليه وسلم- ليس فيها الصلاة على النبي[3].

كيفية الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم:

بين رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- كيفية الصلاة عليه لأصحابه حين سألوه عن ذلك, وقد وردت هذه الكيفية من طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم, وسأقتصر على ما أخرجه الشيخان أو أحدهما, فمن هذه الطرق:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي- صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: بلى, فأهدها لي, فقال: سألنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم, قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد, كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم, إنك حميد مجيد, اللهم بارك على محمد

بن أحمد أبو بكر ابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي, كان حافظا فقيها من أهل التفنن, له مصنفات في الفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ, توفي بفاس سنة 543هـ.
انظر: الوافي بالوفيات 3/265, طبقات الحفاظ 1/468, سير أعلام النبلاء 20/197, وفيات الأعيان 4/296.

[1] (1) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي أبو القاسم الزمخشري المعتزلي, نحوي لغوي مفسر, كان داعية إلى الاعتزال, له عدة مصنفات منها الكشاف, والمفصل, توفي سنة 538هـ.
انظر: العبر في خبر من غبر 4/106, الأعلام 7/178, سير أعلام النبلاء 20/151.

[2] (2) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 11/153.

[3] (3) انظر: تفسير القرطبي 14/152.

وعلى آل محمد, كمـــا بـــاركت على إبـــراهيم وعلى آل إبراهيم, إنك حميد مجيد)[1].

وأخـرج البخـاري أيضـا في كتـاب التفسـير من حـديث كعب بن عجرة رضي الله عنه ولفظه: قيل: يا رسول الله! أما السلام عليك فقـد عرفنـاه فكيـف الصـلاة عليك؟ قـال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد, كما صــليت على آل إبراهيم, إنك حميـد مجيد, اللهم بـارك على محمـد وعلى آل محمد, كمـا بـاركت على آل إبـراهيم إنـك حميـد مجيد)[2].

ومنهـا مـا أخرجـه البخـاري في صـحيحه في كتـاب التفسير من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قـال: قلنا: يا رسول الله! هذا التسليم فكيف نصلي عليك؟ قـال: (قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك, كمـا صـليت على آل إبـراهيم, وبـارك على محمـد وعلى آل محمد, كمـا باركت على إبراهيم)[3].

ومنها ما أخرجه أيضا في صحيحه في كتاب الأنبياء من حديث أبي حميد السـاعدي رضـي اللـه عنـه أنهم قـالوا: يـا رسول الله, كيف نصـلي عليك؟ فقـال: (قولـوا: اللهم صـل على محمد وأزواجـه وذريتـه كمـا صـليت على آل إبـراهيم, وبـارك على محمـد وأزواجـه وذريتـه كمـا بـاركت على آل إبـراهيم, إنــك حميــد مجيد)[4]. وأخرجــه أيضــا في كتــاب

---

[1] (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب أحاديث الأنبياء- باب [10]- ص 274 برقم (3370), وكتاب الدعوات- باب الصلاة على النبي- ص534 برقم (6357), ومسلم في صحيحه- كتاب الصلاة- باب الصلاة على النبي بعد التشهد- ص743 برقم (406) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

[2] (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التفسير- باب قوله: [illegible] - ص407 برقم (4797) عن كعب بن عجرة.

[3] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التفسير- باب [illegible] - ص407 برقم (4798), وكتاب الدعوات- باب الصلاة على النبي- ص535 برقم (6358) عن أبي سعيد الخدري.

[4] (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب أحاديث الأنبياء- باب [10]- ص 274 برقم (3369), ومسلم في صحيحه- كتاب الصلاة- باب الصلاة على النبي بعد التشهد- ص743 برقم (407) عن أبي حميد الساعدي.

الدعوات, كما أخرجه أصحاب السنن إلا الترمـذي كلهم عن أبي حميد الساعدي.

ومنهـا مـا أخرجـه مسـلم في صـحيحه من حـديث أبي مسعود الأنصاري رضـي اللـه عنـه قـال: أتانـا رسـول الله- صلى الله عليـه وسـلم- ونحن في مجلس سـعد بن عبـادة, فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يـا رسول الله! فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حـتى تمنينـا أنـه لم يسـأله, ثم قـال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبـراهيم, وبـارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين, إنك حميد مجيد, والسلام كما قد علمتم)[1].

أفضل كيفيات الصلاة على النبي- صلى الله عليـه وسلم:

ما سبق ذكره هي الصفات والهيئـات الـتي أجـاب بهـا رسول الله- صـلى اللـه عليـه وسـلم- للصـلاة عليـه حينمـا سـأله أصـحابه عن ذلـك, والخـير كـل خـير في الاتبـاع دون الابتداع؛ فينبغي للمرء المسلم الالتزام بهذه الصـيغ إذا أراد أن يصلي على النبي ويؤجر على عمله ذاك؛ لأن هذه الصيغ هي الأفضـل, قـال الحافـظ ابن حجـر: "قلت: واسـتدل بتعليمه- صـلى اللـه عليـه وسـلم- لأصـحابه الكيفيـة بعـد سؤالهم عنها بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه؛ لأنه لا يختـار لنفسه إلا الأشرف الأفضل, ويترتب على ذلك لـو حلـف أن يصلي عليه أفضل الصلاة فطريـق الـبر أن يـأتي بـذلك"[2], وقـال العلامـة عبـد الـرحمن بن ناصـر السـعدي: "وأفضـل هيئـات الصـلاة عليـه- عليـه الصـلاة والسـلام- مـا علم بـه أصحابه"[3].

فالأفضل هو الالتزام بالصيغ الواردة في السنة المطهرة لمن أراد أن يصلي ويسلم على الحبيب

---

1 (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الصلاة- باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد- ص742 برقم (405) عن أبي مسعود الأنصاري.

2 (1) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 11/166.

3 (2) تيسير الكريم الرحمن ص639.

المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه, ولكن هناك صيغتان أخريان مختصرتان كثر ذكرهما في كتب السلف, ففيهما الإجزاء أيضا, وهما: [صلى الله عليه وسلم] و [عليه الصلاة والسلام], إلا أنه ينبغي مراعات الجمع بين الصلاة والسلام وعدم الاقتصار على واحد منهما امتثالا لما ورد في آية الأحزاب.

كما ذهب بعض أهل العلم إلى أن أكمل هذه الصيغ كلها هي الصيغة التي فيها الجمع بين الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- وآله والصلاة على إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- وآله, مستدلا بحديث أبي هريرة عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[1].

قال الشوكاني: "والذي يحصل به الامتثال لمطلق الأمر في هذه الآية هو أن يقول القائل: اللهم صل وسلم على رسولك, أو على محمد, أو على النبي, أو اللهم صل على محمد وسلم. ومن أراد أن يصلي عليه ويسلم عليه بصفة من الصفات التي ورد التعليم بها والإرشاد إليها فذلك أكمل وهي صفات كثيرة قد اشتملت عليها كتب السنة المطهرة"[2].

---

1 (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الصلاة- باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد- ص1295 برقم (982) عن أبي هريرة, وأورده الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود برقم (207).

2 (1) فتح القدير للشوكاني 4/ 376.

المطلب الثاني

الانحراف في الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- حكمه وصوره

صور الانحراف في الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- لدى مسلمي نيجيريا:

لقد أتي مسلمو نيجيريا من جهة محبتهم للرسول- صلى الله عليه وسلم, ومما لا يشك فيه أن الهتاف بمحبة شخص دون أن يقترن ذلك بطاعته يكون مجرد الدعوى الذي لا حقيقة له؛ ولذلك أدت بهم هذه الادعاءات إلى الوقوع في انحرافات في كيفية الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- وطريقتها.

إن الانحرافات التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا فيما يخص الصلاة على نبيهم لم تكن كثيرة في نوعها لكنها منتشرة جدا بين فئات المسلمين في المجتمع, وأذكر صورها كالتالي:

الصورة الأولى:

إنشاء جمعيات إسلامية خاصة بالصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم-:

لقد اعتاد بعض الجهال من مسلمي نيجيريا إنشاء جمعيات إسلامية تحوي في حوزتها الرجال والنساء والكبار والصغار, تكمن مهمتها في الصلاة على النبي- صلى الله

عليه وسلم, وطريقة هذه الجمعيات في أداء المهمات التي أنشئت لأجلها هي أن يؤلف رؤساؤها كتيبات صغيرة يحددون فيها أورادا معينة يعملها أعضاء الجمعية في أيام يتفقون عليها فيما بينهم, وفي الغالب تكون هذه الأوراد عبارة عن الصلاة على النبي بالكيفيات المسنونة مثل الصلاة الإبراهيمية, أو تلك الصيغة المختصرة المشهورة (اللهم صل على محمد وسلم), إلا أنهم يعملون هذه الأوراد بشكل جماعي رافعين بها أصواتهم.

وعلاوة على المحظورات التي يقع فيها هؤلاء الناس في الجانب العقدي التي سأذكرها عند بيان حكم هذه الصور, فإنه يغلب على هذه الجمعيات سيمة الاختلاط بين الرجال والنساء وعدم التزام النساء باللباس الشرعي للمسلمات في المجتمع.

ويجدر بالذكر أن مكان وجود هذه الجمعيات هو جنوب نيجيريا ولا يكاد يوجد في شمالها إلا ما كان فرعا لتلك التي أنشئت في الجنوب, ونذكر من هذه الجمعيات على سبيل المثال لا الحصر:

- جماعة نصر الله الفاتح (Nasfat ناسفت) وهي أشهر هذه الجمعيات على مستوى الدولة.
- جماعة نصر من الله وفتح قريب (Quoreeb قريب).
- جماعة الاستجابة.
- جماعة يسر الله, وغيرها كثير.

فقد كان الهدف الأساسي في إنشاء هذه الجمعيات التعاون على حل مشكلات أعضائها بالدعاء الجماعي والأذكار الجماعية؛ لذا تجدهم مهتمين كثيرا بالجانب المادي ولا يكاد يوجد لديهم برامج هادفة لتربية أتباعهم تربية إسلامية حسنة تساعدهم على سلوك المنهج القويم والالتزام به وتطبيق السنة.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري: "ولا عيب في جمعية الصلاة على النبي (يا رب صل على محمد) وجمعية (قيلة) غير أنهما ليس لهما أي هدف غير التفاخر والتظاهر بالزينة يوم العيد لتحويل أنظار الوثنيين والمسيحيين إليهم

في تلك الأعياد, ولقد دخل في الإسلام عدد غير قليل بواسطة هاتين الجمعيتين"[1].

ومن الأمور التي تضحك وتبكي في نفس الوقت أن كثيرا من المنتسبين للدراسات الإسلامية من ضعاف الإيمان وقليلي الحياء قد اكتشفوا في الآونة الأخيرة أن هذه الجمعيات كانت بمثابة أراضي خصبة لجمع الأموال, فبدأوا ينشئونها ويستغلون أتباعهم فيها شر استغلال.

الصورة الثانية:

الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- بالصيغة التي وردت في السنة وبشكل جماعي: وتكثر هذه الصورة عند الجمعيات المذكورة في الصورة الأولى كما توجد عند أناس آخرين ممن لا ينتمون إلى تلك الجمعيات.

ففي المناسبات مثلا سواء في وليمة الزواج أو عقيقة المولود أو غيرهما قد اعتاد مسلمو نيجيريا تقديم الدعاء في بداية البرنامج, وغالبا ما يكون ذلك الدعاء مقرونا ببعض الأذكار منها الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- التي يجهرون بها بصورة جماعية.

الصورة الثالثة:

إحداث صيغ أخرى للصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- غير الصيغة التي وردت في السنة المطهرة مع اعتقاد أن هذه الصيغ أولى وأفضل مما جاء في السنة, ويمثل لذلك بما يسمى بـ (صلاة الفاتح لما أغلق) عند الطريقة التجانية, وهذه الصيغة المبتدعة مشهورة جدا لدى مسلمي نيجيريا شمالها وجنوبها, وبالدرجة الأولى بين أصحابها مشايخ الطريقة التجانية ومريديهم وأتباعهم, ثم بين عوام الناس المقتدين بهم والمتمسكين بكل غث وسمين مما مر عليهم دون تمحيص واستفتاء العلماء المعتبرين.

وهناك صيغ أخرى أحدثوها للصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- منها الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية[2], والصلاة النرجسية وفيها: "اللهم إني أسألك يا

---

[1] (1) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص70.

[2] (1) انظر: أحزاب وأوراد أحمد التيجاني ص10, مكتبة ومطبعة المشهد

الله, يا الله, يا الله, يا أول, يا آخر, يا أحد, بغيب الهوية الذي استأثرت بعلمه, الذي هو اسمك الأعز, أن تصلي على مستودع سرك, ومستقر أمرك, كنز الحقائق, الحامل لتجليك الأعظم, أول ملب لدعوتك, وأسبق منقاد لأمرك, الحد الأوسط, روح كل كائن, النور الذي به ظهر وجودك, وانصدع فجر ليل الغيب, في آفاق التنزلات إلى أن صار الأول آخرا, والباطن ظاهرا, صلاتك التي بدوامها يستمد القلم, ويجري في اللوح بما أنت به أعلم ... اللهم يا سميع, يا سريع, يا سلام, أسألك بسر سيدنا محمد, وبعقل سيدنا محمد. وبروح سيدنا محمد. وبقلب سيدنا محمد, وبذات سيدنا محمد. وبجسد سيدنا محمد. وبشأن سيدنا محمد. كله, أن تصلي على سيدنا محمد الصلاة التي أنت أهل إهدائها, وهو أهل قبولها, كما صليت عليه صلاة انتشر بها الطي, وصار للوجود بها فيٌّ ..."[1].

ويلاحظ ما في هذه الصيغة وغيرها من الغلو في مدح النبي- صلى الله عليه وسلم- واستخدام ألفاظ غامضة وعبارات بعيدة المعاني, وهكذا هم, يريدون دائما أن يأتوا بما لم تأت به الأوائل من الأعاجيب؛ لكي يسوغ لهم ادعاء الكرامات.

وهذه الصيغ المبتدعة تكثر أمثلتها في كتاب دلائل الخيرات لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الجزولي السملالي[2], وقد اشتمل الكتاب على الغث والسمين, وشيب فيه الجائز بالممنوع, وفيه أحاديث موضوعة وأحاديث ضعيفة, وفيه مجاوزة للحد ووقوع في المحذور الذي لا يرضاه الله ولا رسوله- صلى الله عليه وسلم- وهو طارئ لم يكن من نهج السابقين بإحسان[3].

الحسيني- القاهرة.

1 (2) المرجع السابق ص 114-130.

2 (1) هو محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجزولي السملالي الحسني الشاذلي أبو عبد الله, فقيه صوفي من أهل سوس المراكشية, كان له أتباع يسمون "الجزولية" من الشاذلية, توفي سنة 870هـ, من آثاره دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار. انظر: الأعلام 6/151, معجم المؤلفين 10/52.

3 (2) فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ص21.

ويعتبر هذا الكتاب من أجل وأنفع ما ألف في كيفية الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- عند كثير من جهال المسلمين في نيجيريا؛ ولذلك جعلوه كتاب الدعاء حيث إنهم يجلسون لقراءته ثم يتوسلون بعد ذلك بصلاتهم على النبي ويسألون الله بها حاجاتهم.

وقد اشتهر هؤلاء بلزومهم لقراءة هذا الكتاب أكثر من تلاوتهم للقرآن العظيم, كما كانوا ينشئون له مجالس لتعليم الشباب والشابات, يقرأونه من بعد العشاء إلى الفجر رافعين به أصواتهم في مكبرات الصوت لاعتقادهم بأن الرياء لا يدخل في قراءته[1].

حكم هذه الصور:

إن الصور التي سبق ذكرها للانحرافات في الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- حكمها أنها بدعة, وإن علل الواقعون فيها فعلتهم بتعليلات واهية.

فإنشاء الجمعيات الخاصة بالصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- ثم تحديد بعض الأيام والليالي لاجتماع أعضاء هذه الجمعيات للإتيان بالصلاة عليه على سبيل الذكر والعبادة, من البدع المحدثة, وهي بدعة حقيقية؛ لأنه لم يدل عليها دليل شرعي, لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله, ولا من إجماع, ولا استدلال معتبر عند أهل العلم, لا في الجملة ولا في التفصيل[2]. فليس للذين يتعاطون هذه الأفعال سلف في أعمالهم التعبدية- كما يزعمون, وأية عبادة يتعبد بها المسلم لا بد أن يكون له فيها سلف؛ إذ الدين بالاتباع لا بالابتداع[3], وسلفنا دائما وأبدا هو رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- وصحابته الكرام رضوان الله عليهم, إذن فإن إنشاء جمعيات من هذا القبيل يعتبر من الأعمال المبتدعة التي لا يؤجر عليها أصحابها.

أما الإتيان بالصلاة عليه- صلى الله عليه وسلم- بشكل جماعي وبأصوات مرتفعة, فهو من البدع الإضافية؛ ذلك بأن الصلاة على النبي- عليه الصلاة والسلام- عمل

---

1 (3) هذه الطريقة توجد في شمال نيجيريا بصفة خاصة.

2 (4) الاعتصام ص234.

3 (1) مجموع الفتاوى 23/94.

مشـروع, وهـو من الـذكر, والـذكر من أعظم العبـادات؛ إذ لأجلـه شـرعت العبـادات, فلـذلك ربـط بكثـير من الأعمـال الصالحة.

ففي الصــلاة (طــه:14), [illegible] (الجمعة:10).

وفي الحج [illegible] (البقرة:200).

وفي الجهــاد [illegible] (الأنفال:45).

فذكر الله عبادة جليلة أمر اللـه تعـالى بـه ورغّب فيـه رسـوله- صـلى اللـه عليـه وسـلم, فالـدليل عليـه من جهـة الأصل قـائم[1], إلا أن البدعـة دخلت في أعمـال القـوم من جهـة الكيفيـة والهيئـة, وتحديـد الهيئـة والكيفيـة من حقـوق الشارع, لا يـأتي بـه العبـد من نفسـه مـا دام يقصـد بعملـه التعبد لله سبحانه وتعالى.

هذا بالإضافة إلى ما ذكرنا آنفا مما يحصل عند أعضاء هذه الجمعيات من الوقوع في محظورات شرعية مثل الاختلاط بين الجنسين وعدم التزام نسائهم باللباس الشرعي للمرأة المسلمة.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه في جوابـه لسؤال وجه إليه في مثل هذه المسألة:

[والصلاة عليه هي دعاء من الأدعية كمـا علم النـبي- صـلى الله عليه وسلم- أمته حين قالوا: قـد علمنـا السـلام عليـك فكيف الصلاة عليك فقـال: (قولـوا: اللهم صـل على محمـد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبـارك على محمـد وعلى آل محمـد كمـا بـاركت على آل إبراهيم إنك حميـد مجيد) أخرجـاه في الصـحيحين, والسـنة في الدعاء كلـه المخافتـة إلا أن يكـون هنـاك سـبب يشـرع الجهر قال تعالى: [illegible] (الأعراف:55), وقال تعالى عن زكريا: [illegible] (مريم:3), بل السنة في الذكر

---

1 (2) الاعتصام ص234.

كله ذلك كما قـال تعـالى:

(الأعراف:205), وفي الصحيحين أن أصحاب رسـول الله- صلى الله عليه وسلم- كانوا معه في سفر فجعلوا يرفعـون أصواتهم فقال النبي- صلى الله عليـه وسـلم: (أيهـا النـاس أربعوا على أنفسكم فـإنكم لا تـدعون أصـم ولا غائبـا وإنمـا تدعون سميعا قريبا, إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)[1], وهذا الذي ذكرناه في الصلاة عليه والـدعاء مما اتفـق عليـه العلمـاء, فكلهم يـأمرون العبـد إذا دعـا أن يصلي على النبي- صلى الله عليه وسلم- كما يدعو لا يرفـع صوته بالصلاة عليه أكـثر من الـدعاء سـواء كـان في صـلاة كالصلاة التامة وصـلاة الجنـازة أو كـان خـارج الصـلاة حـتى عقيب التلبية فإنه يرفع صوته بالتلبية ثم عقيب ذلك يصــلي على النبي- صلى الله عليه وسلم- ويدعو سرا, وكـذلك بين تكبيرات العيد إذا ذكر اللـه وصـلى على النـبي- صـلى اللـه عليه وسلم- فإنه وإن جهر بالتكبير لا يجهر بذلك, وكذلك لو اقتصـر على الصـلاة عليه- صـلى اللـه عليـه وسـلم- خـارج الصلاة مثل أن يذكر فيصلي عليه, فإنه لم يستحب أحد من أهل العلم رفع الصوت بـذلك, فقائـل ذلـك مخطئ مخـالف لما عليه علماء المسلمين][2].

وقـالت اللجنة الدائمة للبحـوث العلمية والإفتـاء: "بيّن النبي- صلى الله عليه وسلم- فضيلة الاجتمـاع لتلاوة كتـاب الله ودراسته وتدبره وتفهم معانيه، فقـال- صـلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلـون كتـاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نـزلت عليهم السـكينة، وغشـيتهم الرحمـة، وحفتهم الملائكـة، وذكـرهم الله فيمن عنـده)[3]، وبين بعمله مـراده بـذلك؛ فكـان أحيانـاً يقـرأ ويسـمعه من حضر من أصــــحابه رضي الله عنهم ليعلمهم كيفية التلاوة والترتيل، وكان أحياناً يأمر بعض أصـحابه أن يقـرأ حبّـاً منه

---

[1] (1) سبق تخريجه ص202.

[2] (2) الفتاوى الكبرى 2/199.

[3] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الذكر والدعاء- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن, وعلى الذكر- ص1147 برقم (2699) عن أبي هريرة.

لسماعه من غـيره، كما ثبت عنـه- صـلى الله عليه وسـلم- أنه قال لعبد الله بن مسـعود رضي الله عنـه: (اقـرأ عَلَيَّ), قال: أأقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (فإني أحب أن أسـمعه من غيري) فقـرأ عليه عبد الله سـورة النسـاء حـتى بلـغ: ﴿ ﴾ (النساء:41), فقال: (أمسك), فإذا عيناه تذرفان[1].

وكــان يتخــولهم بالموعظة خشــية الســآمة عليهم، ويجلس لهم في المسجد أو غيره لإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم،...ـ إلى غير ذلك بما هو تفسير عملي لاجتماع النــبي- صلى الله عليه وسـلم- بهم على الـذكر بأنه تعليم وإرشـاد, وموعظة واختبــار, وتلاوة لكتــاب الله تلاوة تفهّم واعتبــار, ولم يعـرف عنـه- صـلى الله عليه وسـلم- أنه خصص أيامـاً وليـالٍ من الأسـبوع يجتمع فيها هو وأصـحابه على ذكر الله تعالىٍ جماعة, باسم مفـرد من أسـمائه الحسـنى, قيامـاً أو قعوداً في حلقات, أو صفوفاً يترنحون فيها تـرنح السـكارى ويتمــايلون فيها تمايل الراقصــين طربــاً لتوقيع الأناشــيد، ونغمـات المغـنين، ودفـات الطبـول والـدفوف، وأصـوات المزامــير، وبهــذا يعلم أن ما يفعله الصــوفية اليــوم بدعة محدثة وضلالة ممقوتة؛ لقول النبي- صلى الله عليه وسلم: (من أحـــــدث في أمرنا هــــذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه"[2].

وأما مسـألة إحـداث صـيغ أخـرى للصـلاة على النـبي- صلى الله عليه وسلم- ولزومهـا بـل تفضـيلها على الصـيغة الواردة في السنة المطهـرة, فإنـا نقـول: إن مـا جـاءت بـه السنة وفعله الصـحابة الكـرام والتـابعون لهم بإحسـان هـو الطريــق المسـتقيم والمنهج القـويم؛ إذ لـو تـرك المجـال وأعطيت الفرصة لكل واحد أن يصلي على نبينا حســب مــا يملي عليه عقله القاصر فالذي يحـدث هـو مـا نشـاهده من

---

1 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب فضائل القرآن- باب البكاء عند قراءة القرآ- ص437 برقم (5055), ومسلم في صحيحه- كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به- باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع...- ص803 برقم (800) عن عبد الله بن مسعود.

2 (3) فتاوى اللجنة الدائمة فتوى رقم (3560).

الغلو في وصف الرسول- صلى اللـه عليـه وسـلم- وتجـاوز الحدود في الألفاظ المستخدمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللـه في بيـان حكم الأذكار والدعوات التي لم ترد في السنة, وبدون شـك فـإن الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- من أفضل الـذكر وأوجب الــدعوات, قــال: "الحمــد لله, لا ريب أن الأذكــار والــدعوات من أفضــل العبــادات, والعبــادات مبناهــا على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع, فالأدعيـة والأذكـار النبوية هي أفضل ما يتحـراه المتحـري من الـذكر والـدعاء, وسالكها على سبيل أمان وسـلامة, والفوائـد والنتـائج الـتي تحصل لا يعبر عنه لسان ولا يحيط بـه إنسـان, ومـا سـواها من الأذكار قد يكون محرما, وقد يكون مكروها, وقد يكــون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر النـاس وهي جملـة يطـول تفصـيلها, وليس لأحــد أن يســن للنــاس نوعــا من الأذكــار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبـة يـواظب النـاس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس, بـل هـذا ابتـداع دين لم يأذن الله به, بخلاف مـا يـدعو بـه المـرء أحيانـا من غير أن يجعلـه للنـاس سـنة, فهـذا إذا لم يعلم أنـه يتضـمن معنى محرما لم يجـز الجـزم بتحريمه, لكن قـد يكـون فيـه ذلــك والإنســان لا يشــعر به, وهــذا كمــا أن الإنســان عنــد الضـرورة يـدعو بأدعيـة تفتح عليه في ذلـك الـوقت, فهـذا وأمثاله قريب, وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه, ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهايـة المقاصـد العليــة ولا يعــدل عنهــا إلى غيرهــا من الأذكــار المحدثــة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد"[1].

ومن هنا وضع العلماء شروطا لدعاء أو ذكر مطلـق إذا كان غير وارد في الكتـاب أو السـنة بـل أتى بـه الـداعي أو الذاكر من عند نفسه أو نقل عن أحـد من السـلف, فيجـوز للعبــد الــذكر والــدعاء بهــذا النــوع إذا تــوفرت فيــه تلــك الشروط[2].

---

1 (1) الفتاوى الكبرى 2/214.

2 (2) سبق ذكر هذه الشروط في ص195.

هذا هو المعيار الشرعي الذي وضعه العلمـاء لأي ذكـر أو دعاء من هذا القبيل, وإذا توفرت هذه الشروط الخمسـة فإنه يجوز للمرء المسلم أن يتوجه بذلك الدعاء إلى المولى جل وعلا أو يـذكره بتلـك الصـيغة من الـذكر, أمـا إذا اختـل شرط من هذه الشروط فإن الـدعاء أو الـذكر يكـون بدعـة محرمة.

وإذا تأملنا أكثر شيء انتشارا بين مسلمي نيجيريـا من الأذكار المنشأة وهو ما يسمى بـ (صـلاة الفـاتح لمـا أغلـق) نـرى بأنـه لم تتـوفر في صـيغتها هـذه الشـروط, فمثلا قـد اتخذت الفرقة التجانية هذه الصيغة وردا لازما يواظب عليه شيوخهم وأتباعهم.

ففي كتاب أحـزاب وأوراد قـال مؤلفـه: "هـذه أحـزاب وأوراد القطب المكتوم سيدي الشيخ أحمـد التجـاني رضـي اللــه عنــه وأرضــاه وعنــا بــه وهي على قســمين: لازمــة واختياريــة, أمــا اللازمــة فهي الــورد صــباحا ومســاء وهــو: أستغفر الله مائة مرة, والصلاة على النبي- صلى الله عليـه وسلم- بأي صيغة كانت مائـة مـرة, **وإن كانت بالصـيغة الفاتحيـة فهـو أفضـل,** وهي: اللهم صـل على سـيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بـالحق والهـادي إلى صـراطك المسـتقيم وعلى آلـه حـق قـدره ومقداره العظيم"[1].

فتبين ممـا سـبق أن الشـيخ أحمـد التجـاني قـد جعـل (صلاة الفاتح لما أغلق) من الأوراد اللازمة يجب على أتباعه الإتيان بها صباحا ومساء مثل أذكـار الصـباح والمسـاء الـتي دلت على مشـروعيتها الأحـاديث الشـريفة, فتكـون هـذه الصيغة للصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- بدعة.

يقال هذا الكلام إذا سلمنا جدلا أن التجـانيين اقتصـروا على أن تلك الصـيغة من وضـع شـيخهم, وأنهـا من الأذكـار العادية التي ليست لها أية مزية, فكيف وقـد رفعوهـا فـوق منزلتها كمـا رفعـوا واضـعها فـوق مـا يسـتحق من المكانـة فقالوا: إن (صلاة الفاتح لما أغلق) من كلام الله كالأحـاديث القدسية, وقد تلقاها شيخهم أحمد التجاني من النبي- صلى

---

1 (1) أحزاب وأوراد أحمد التجاني ص2-3.

الله عليه وسلم, كما رتبوا عليها جزيل الثواب, وفضلوها على الصيغ الواردة في السنة المطهرة بل فضلوها على قراءة القرآن الكريم[1].

وقولهم هذا باطل لأمور:

1- أن هذه الصلاة التي يزعم التجانيون أن شيخهم تلقاها من النبي- صلى الله عليه وسلم- لم ترو- كاملة- مسندة مرفوعة إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- لا في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف, ولا في حديث قدسي ولا في غيره[2], فكيف يزعمون أنها من كلام الله كالأحاديث القدسية؟ [3].

2- أن في قوله هذا صدا عن كتاب الله, وصرفا للناس عن قراءته وتدبر معانيه, وداعيا إلى هجره, فإذا كانت صلاة الفاتح لما أغلق وهي لا تتجاوز ثلاثة أسطر تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن, فإن من يعتقد ذلك سينصرف عن قراءة القرآن إلى هذه الصلاة التي لا تتطلب منه وقتا ولا جهدا[4].

3- أن تفضيل التجاني صلاة الفاتح لما أغلق على القرآن استهزاء واستهتار بكتاب الله؛ لأن التفضيل في غير مقام الاستهزاء والتهكم لا بد فيه من مشاركة المفضول للفاضل في أصل الفضل, فلا يقال: فلان أعلم من الحمار, إلا على جهة التهكم.

بل لو أنه قال بأن القرآن أفضل من صلاة الفاتح لما أغلق؛ لكان في ذلك تنقيص له:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

فكيف وقد فضل صلاة الفاتح على القرآن[5]؟

4- وإذا كانت هذه الصلاة من كلام الله فكيف يصح للتجاني أن يزيد فيها لفظ "سيدنا" ويزعم أن الله يقول:

---

1 (2) انظر: جواهر المعاني ص57-58.

2 (1) مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني تأليف الشيخ محمد الخضر الشنقيطي ص ..., جمعها وعلق عليها الشيخ إبراهيم القطان ص161, ط/الأولى 1405هـ- 1985م, دار البشير- عمان.

3 (2) التجانية ص114.

4 (3) المرجع السابق ص115.

5 (4) مشتهى الخارف الجاني ص166, 167.

"اللهم صل على سيدنا محمـد...", أفلا يـدري أن الرسـول- صلى الله عليه وسلم- ليس سيدا لله بل الله هـو السـيد[1] سبحانه وتعالى؟

فهذا النوع من أخطر أنواع الابتداع لما يترتب عليه من هـذا الضـرر المباشـر على الـدين وهدمـه لمرتكزاتـه ومسـلماته, وأي ضـرر أبلـغ وأكـبر على دين الإسـلام من استهداف القرآن والسنة بهذه الصورة؟ بل أي معلم للـدين سيبقى وأي مضمون لقوله تعـالى: (المائدة:3) فيما لو خرج على المسلمين في كـل فترة مدّع يقول إن النبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- أخـبره بكذا وكذا يقظة أو منامـا ليضـيف إلى الـدين أو ينقص منـه ومن قدره ما أراد[2].

---

1 (5) الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية تأليف محمد تقي الدين الهلالي ص106, ط/الأولى 1393هـ- 1973م (دون بيانات أخرى).

2 (1) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع عبد الرحمن محمود خليفة ص 233.

الفصل الخامس
أقوال شركية منتشرة

المبحث الأول
نهي النبي- صلى الله عليه وسلم- عن الألفاظ التي تقدح في التوحيد

كان النبي الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- أبعد الناس عن الشرك, وأخلص الناس توحيدا لله تعالى, "فقد بلغ أمته كل ما فيه نفع لهم, ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين, فلا خير إلا دلهم عليه وأوله تحقيق التوحيد, ولا شر إلا حذرهم منه, وأوله ما يقرب من الشرك لفظا وإن لم يقصد به"[(1)]؛ ولذلك لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح صيانة لهذا المقام, وأرشد إلى ترك ذلك نصحا لهم وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده أو يضعفه من الشرك ووسائله[(2)].

فحمى التوحيد حماية بالغة, وسد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إلى الشرك؛ إذ هو أعظم الذنوب الذي توعد الباري جل وعلا ألا يغفر لصاحبه, والحماية من المنكر تعظم كلما كان المنكر أعظم وأكبر أو كان الداعي إليه في النفوس أشد, ألا ترى جريمة الزنا كيف كان ضرره عظيما فحمي بابه حماية عظيمة, حتى منعت المرأة من التبرج وكشف الوجه وخلوتها بالرجل بلا محرم كيلا يكون ذلك ذريعة إلى الوقوع في الزنا لأن النفوس تطلبه.

والشرك قد يكون من الأمور التي لا تطلبها النفوس وتدعو إليها كثيرا لكن الشيطان اللعين حريص كل الحرص على أن يوصل ابن آدم إليه بكل وسيلة, فيستميله بما ليس ظاهره شركا من الأقوال والأفعال إلى أن يوقعه فيما هو شرك؛ لذلك كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يحمي باب

---

[1] (1) انظر: فتح المجيد 443.

[2] (2) تيسير العزيز الحميد 664.

الشرك حماية تامة محكمة حتى لا يدخل الإنسان فيه من حيث لا يشعر.

ومن الأشياء التي حمى بها النبي- صلى الله عليه وسلم- باب التوحيد ليبقى خالصا من كل شائبة, إرشاد الأمة إلى ما ينبغي أن يقال وما لا يقال من الألفاظ.

ولم يترك- عليه الصلاة والسلام- شيئا يخل بالتوحيد إلا نهى عنه وحذر منه وإن لم يكن في نفسه شركا, فقد نهى عن التشريك بين الله وخلقه بالواو, وذكر النياحة من أعمال الجاهلية تحذيرا منها, ونهى عن إضافة النعم إلى غير الله, كما نهى عن سب الدهر؛ كل هذا من باب سد ذرائع الشرك ووسائله اللفظية وإن لم يقصد القائل بها شركا.

حتى الأمور التي يعدها الناس يسيرة من الأقوال لقد حذر منها النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا وجد الاحتمال بأن تكون تلك الأمور ذريعة إلى الشرك, فعل ذلك حماية للتوحيد أن يمسه ما يقدح فيه.

وإذا كانت تلك الأمور السالفة الذكر مما يقدح في التوحيد تحدث في عهد النبوة مع أنه خير القرون وماذا نقول في عصرنا الحاضر؟ وهذا مما يؤكد حاجة المسلمين إلى أن يكونوا على بينة من أمورهم العقدية في كل عصر وفي هذا العصر الذي كثرت فيه المغريات وطغت المادة على حياة الناس بالذات, فأكثر هذه الألفاظ مما يخرج من أفواه المسلمين في حياتهم اليومية, فإذا كان الناس جهلاء ولا يفرقون بين ما ينبغي أن يقال وما لا ينبغي, إذن فلا يدري العبد بأية كلمة يمكنه أن يوقع نفسه بها في المأزق, فيتكلم بكلمة لا يلقي لها بالا يكون مما يغضب الله تعالى كما في حديث أبي هريرة عند البخاري أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات, وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم) [1].

[1] (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق- باب حفظ اللسان- ص 544 برقم (6478) عن أبي هريرة.

النصوص الواردة في النهي عن التلفظ بالألفاظ الشركية أو التي توصل إلى الشرك:

1- ما ورد في النهي عن إضافة النعم إلى غير الله, ومن ذلك:

قول الله تعالى: [illegible] (الواقعة:82).

قـال القرطـبي بعد تفسـير الآيـة: "ففيه بيـان أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يـروه من قبل الوسـائط التي جرت العادة بأن تكون أسـبابا, بل ينبغي أن يـروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر إن كـان نعمة أو صـبر إن كان مكروها؛ تعبدا له وتذللا"[1].

وقول الله تعالى: [illegible] (النحل:83).

قـال القرطـبي: "قـال عـون بن عبد الله: هو قـول الرجل: لولا فلان لكان كذا, ولولا فلان ما أصـبت كـذا, وهم يعرفون النفع والضرر من عند الله"[2].

وقولـه تعالى: [illegible] (البقرة:22).

قال ابن عباس في الآية: "الأنداد هو الشرك, أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول: والله, وحياتك يا فلان, وحياتي. وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص, ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان, لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك"[3].

2- ما ورد في الاعتراض على قضاء الله وقدره, ومنه:

قولـه تعالى: [illegible] (آل عمران:154).

---

1 (2) تفسير القرطبي 17/148.

2 (1) تفسير القرطبي 10/106.

3 (2) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير, وفتح القدير, وقال في تخريج الظلال 1/10: إسناده حسن.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير الآية: "يعني بذلك أن هؤلاء المنافقين يقولون: لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا ما خرجنا إليهم, ولا قتل منا أحد في الموضع الذي قتلوا فيه بأحد"[1].

وقــال العلامة عبد الــرحمن بن ناصر الســعدي رحمه الله: " أي: لو كان لنا في هــذه الواقعة رأي ومشــورة . وهــذا إنكار منهم, وتكذيب بقدر الله, وتسفيه منهم لــرأي رســول اللــه- صــلى الله عليه وســلم, ورأي أصــحابه, وتزكية منهم لأنفسهم, فرد الله عليهم بقوله: الــتي هي أبعد شــيء عن مظــان القتل "[2].

ومنه قوله تعالى: (آل عمران:168).

قال الإمــام ابن كثــير رحمه اللــه: "أي: لو ســمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعــدم الخــروج ما قتلــوا مع من قتل, فقال الله تعالى: أي: إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والمــوت, فينبغي أنكم لا تموتــون, والمــوت لا بد آت إليكم ولو كنتم في بــروج مشــيدة, فــادفعوا عن أنفســكم الموت إن كنتم صادقين"[3].

وقــال العلامة عبد الــرحمن بن ناصر الســعدي رحمه اللــه: "أي: جمعــوا بين التخلف عن الجهــاد وبين الاعــتراض والتكــذيب بقضــاء الله وقــدره, قــال الله ردا عليهم: أي: ادفعوا إنهم لو أطــاعوكم ما قتلــوا, لا تقــدرون على ذلــك, ولا تستطيعونه"[4].

---

1 (3) تفسير الطبري 3/482.

2 (1) تفسير السعدي ص136.

3 (2) تفسير ابن كثير 1/583.

4 (3) تفسير السعدي ص139.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز, وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا, ولكن قل قدر الله وما شاء فعل, فإن لو تفتح عمل الشيطان)[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (ليس

منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)[2].

3- ما ورد في النهي عن الإطراء, والغلو في التعظيم بالقول, ومنه:

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (إياكم والغلو في الدين, فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[3].

وعن أنس بن مالك أن رجلا قال: يا محمد, يا سيدنا وابن سيدنا, وخيرنا وابن خيرنا, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! عليكم بتقواكم, ولا يستهوينكم الشيطان, أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله, والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)[4].

---

1 (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب القدر- باب الإيمان بالقدر والإذعان له- ص1142 برقم (2664) عن أبي هريرة.

2 (1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب- باب ما ينهى من دعوى الجاهلية- ص287 برقم (3519) عن عبد الله بن مسعود.

3 (2) أخرجه النسائي في سننه- كتاب مناسك الحج- باب التقاط الحصى- ص2284 برقم (3059), وابن ماجه في سننه- كتاب المناسك- باب قدر حصى الرمي- ص2660 برقم (3029), وأحمد في مسنده 1/215, وابن حبان في صحيحه 9/183, والبيهقي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عباس, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (4445).

4 (3) أخرجه أحمد في مسنده 3/153, والنسائي في السنن الكبرى 6/70, والبيهقي في شعب الإيمان 4/226 عن أنس بن مالك, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1097).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: أثنى رجل على رجل عند النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: (ويحك قطعت عنق صاحبك, قطعت عنق صاحبك) مرارا ثم قال: (من كان منكم مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه, ولا أزكي على الله أحدا, أحسبه كذا وكذا, إن كان يعلم ذلك منه)[1].

4- ما ورد في النهي عن الاستهزاء بالدين, ومنه:

قوله تعالى: [illegible] (التوبة:65, 66).

وقوله تعـالى: [illegible] (الفرقان:41, 42).

5- ما ورد في النهي عن معارضة تحكيم شرع الله, ومنه:

قوله تعالى: [illegible] (النساء:58). فالخضوع لحكم الله والرضا بشرعه من مقتضى الإيمان بالله تعالى, فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل؛ ولذلك قال الله في حقهم هذا الكلام.

كما يجب على الرعية أن يتحــاكموا إلى ما أنــزل الله في كتابه وسـنة رسـوله؛ فقـال تعـالى في حق الرعيـة: [illegible] (النساء:59).

ثم بين جل شأنه أنه لا يجتمع الإيمـان مع التحـاكم إلى غـير ما أنـزل اللـه, فقـال تعـالى: [illegible] (النساء:60), إلى قوله تعالى: [illegible] (النساء:65).

---

[1] (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب ما يكره من التمادح- ص512 برقم (6061), ومسلم في صحيحه- كتاب الزهد والرقائق- باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه الفتنة على الممدوح- ص1996 برقم (3000) عن أبي بكرة.

ونفى سبحانه الإيمـان عمن لم يتحـاكم إلى الرسـول- صلى الله عليه وسلم- ويرض بحكمه ويسـلم لـه, كما حكم بكفر الـــولاة الـــذين لا يحكمـــون بما أنـــزل الله وبظلمهم وفسـقهم فقـال تعـالى: [illegible] (المائدة:44), [illegible] (المائدة:45), [illegible] (المائدة:47).

المبحث الثاني

الألفاظ التي تقدح في التوحيد لدى مسلمي نيجيريا حكمها وأمثلتها

لم أقف على شيء يشير إلى أن الكثير من مسلمي نيجيريا يدركون خطورة تلك الألفاظ التي تقدح بالتوحيد بأنواعه الثلاثة وتوحيد الألوهية بشكل خاص؛ وذلك أن تلك الألفاظ تستخدم عند أغلبهم بصورة واسعة دون أدنى شعور منهم بارتكاب خطأ فاحش فيما يتعلق بالعقيدة, ولربما إذا نُبّه أحدهم على خطأه فيما صدر منه من هذه الألفاظ يستصغره ويقول: هذا مجرد قول ولا علاقة له بالعقيدة, أو يقول: إني لم أقصد ذاك الذي فهمته. فلأجل من يقول هذا الكلام وأمثاله أضرب أمثلة لهذه الألفاظ مبينا أحكامها بالأدلة القاطعة والحجج المقنعة التي لا يبقى معها ريب حول المسألة.

1- إضافة النعم إلى غير الله, ولها صور:

الصورة الأولى:

ما يقوله أرباب الأموال والأثرياء الذين أغناهم الله بعد الفقر وجعل توفيقه لهم في إدارة أعمالهم أو تجارتهم سببا لتحول أحوالهم من الفقر إلى الغنى, فينسون مسبب الأسباب الذي هو الله جل وعلا ولا ينسبون هذه النعمة الكبيرة إليه تعالى وإنما ينسبونها إلى ذكائهم وقدراتهم, حيث يقول أحدهم: إنما وجدت هذه الأموال بجهودي الشخصية.

ومثل هذه الأقوال تصدر من أصحاب الثقافات الغربية من المسلمين أيضا إذا حقق أحدهم نجاحا بتوفيق من الله

وفضل منه, لا يعترف بفضل الله عليه فينسب النعم إلى غير المنعم ويقول مثلا: لقد بلغت هذه المنزلة وتحقق لي هذا النجاح بمهارتي وجهودي.

وكما هم ينســبون الخــير إلى غــير الله وكــذلك إذا أصابهم الضر يظنون ظن الجاهلية فيتبـادر إلى أذهـانهم أن هذا الضر من البشر إما بـالعين أو السـحر أو الشـعوذة, ولا يفهمون أن الإنسان العـائن أو السـاحر أو المشـعوذ مجـرد سبب, لكن الفاعل والمسـبب هو الله تعـالى؛ لأن الضـرلم يحصل إلا بقضائه وقدره, يقـول جل شـأنه:

(النحل:53).

ويلحق بهذه الصورة ما اعتاده بعض مسلمي جنوب نيجيريا من كتابة ألفاظ تقدح في التوحيد على السيارات وأمام البيوت والمحلات التجارية, فعند مسلمي الجنوب مثلا انتشرت كتابة ألفاظ مثل: (ola ore أولا أوري) أي: هذا من فضل الصديق, (ola egbon أولا إيبون) أي: هذا من فضل أخي الأكبر, (ola iya أولا إيبا) أي: هذا من فضل الأم, وهكذا.

ولقد بلغ بهم الأمر حتى بدأوا يكتبون (ola Anabi أولا أنابي) أي: هذا من فضل النبي- صلى الله عليه وسلم, وهو من آثار اتباع السنن مصداقا لقول الصادق المصدوق- صلوات الله وسلامه عليه: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم), قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)[1], فقد تأثر مسلمو نيجيريا وخاصة- في الجنوب- بجيرانهم النصارى الذين سووا بين الله والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام, بل جعلوا المسيح هو الله؛ فيكتبون على سياراتهم وبيوتهم ومحلاتهم (ola Jesuأولا جيسو) أي: هذا من فضل المسيح, وبئس ما كانوا يكتبون!!.

الصورة الثانية:

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم)- ص 610 برقم (7320), ومسلم في صحيحه- كتاب العلم- باب اتباع سنن اليهود والنصارى-ص1142 برقم (2669) عن أبي سعيد الخدري.

أقوالهم عند استخدام (لولا), فكثيرا ما تسمع من يقول إذا تحقق له نجاح بتوفيق من الله وفضله: لولا أنت يا سيدي ما وصلت أبدا إلى هذه المرتبة, ويقول بعضهم: لولا مهارة الرجل في السياقة لوقعت حادثة, وغير ذلك كثير من أقوالٍ يذكرونها يضيفون فيها النعم إلى الأسباب, وهذا منتشر جدًا في أوساط أصحاب الثقافات الغربية والعوام من المسلمين, والحقيقة أنهم لا يلقون لهذه الأقوال بالا, ولا يدركون أنهم يرتكبون بها أخطاء عقدية.

الصورة الثالثة:

ما يحدث في أمر الاستسقاء, فقد جرت العادة عند أغلب الصغار في شمال نيجيريا إذا رأوا تجمّع السحب في السماء أن يرددوا: "حليل اسقنا الماء, يا حليل صاحب قلنسوة الماء, صاحب قميص الماء, صاحب سروال الماء, فتراهم ينشدون بهذا الشكل:

اسقنا الماء	bamu ruwa musha
حليل	halilu
صاحب سروال الماء	maiwando ruwa
حليل	halilu
صاحب قميص الماء	mairigarruwa
حليل	halilu
صاحب قلنسوة الماء	maihularruwa
حليل	halilu

وكذلك إذا تجمعت السحب وهبت الرياح بشدة ثم في النهاية لم تمطر السماء, فتسمع بعض الناس- وهم مسلمون- صغار وكبار يقول: ذهب قوس العنكبوت بالسحاب ولم يمطر, وقوس العنكبوت عبارة عن حمرة تظهر في السماء أحيانا عند تجمع السحب, كما انتشر بين المزارعين قولهم بأن سحاب الشرق فقط هو الذي يمطر أما غيره فلا يمطر, هذه الأقوال كلها ورثها مسلمو شمال

نيجيريا عن أجدادهم, ولا زالت موجودة إلى الآن, وخاصة في القرى والأرياف.

أما عند مسلمي جنوب نيجيريا فإن صور هذا الانحراف أبشع وأشنع؛ إذ لها تعلق بآلهة الكفار, فإذا كانت السماء تمطر بشكل متقطع في يوم مطير يقول بعض المسلمين: إن عباد إله البحار والأنهار يعبدون إلههم اليوم, ففي اعتقادهم أن ذلك الشيء لم يحصل إلا بسبب عبادة هؤلاء المشركين لإلههم في ذلك اليوم.

وكذلك إذا تجمعت السحب في السماء وهبت الرياح بشدة ثم في النهاية لم تمطر السماء أو أمطرت قليلا ثم توقف, فعندئذ يقول هؤلاء الجهلة من المسلمين: إن أناسا قد دفعوا هذا المطر ومنعوه من أن ينزل لكي لا يزعجهم أو يعرقل إقامة حفلاتهم.

حكم صور إضافة النعم إلى غير الله:

إضافة النعم إلى غير الله قسمان:

القسم الأول: أن يضيف حصول النعمة إلى السبب, وهذا له ثلاث حالات[1]:

الأولى: أن يكون السبب الذي أضيف حصول النعمة إليه سببا خفيا لا تأثير له إطلاقا, كأن يقول: لولا الولي الفلاني ما حصل كذا وكذا؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه يعتقد بهذا القول أن لهذا الولي تصرفا في الكون مع أنه ميت, فهو تصرف سري خفي.

الثانية: أن يضيفه إلى سبب صحيح ثابت شرعا أو حسا؛ فهذا جائز بشرط أن لا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه, بل المنعم هو الله سبحانه وتعالى.

الثالثة: أن يضيفه إلى سبب ظاهر, لكن لم يثبت كونه سببا لا شرعا ولا حسا؛ فهذا نوع من الشرك الأصغر, وذلك مثل: التولة, والقلائد التي يقال: إنها تمنع العين, وما أشبه ذلك؛ لأنه أثبت سببا لم يجعله الله سببا, فكان مشاركا لله في إثبات الأسباب.

---

1 (1) القول السديد على كتاب التوحيد 2/203-204.

القسم الثاني: أن يضيف حصول النعمة إلى السبب على أنه هو الفاعل الحقيقي دون الله سبحانه وتعالى؛ فهذا كفر النعمة وشرك في الربوبية مخرج من الملة؛ لأنه أضاف نعمة الخالق إلى غيره فجعل معه شريكا في ربوبيته تعالى.

أما الاستسقاء فإن القول الذي يردده الأطفال في شمال نيجيريا عند تجمع السحب في السماء: يا حليل اسقنا الماء, إذا كان من باب سوء الاعتقاد فإنه شرك في الألوهية؛ لأنه دعاء غير الله, ودعاء غير الله من الشرك الأكبر, كما أن الاعتقاد بأن غير الله قادر على إنزال المطر شرك في الربوبية, فمثل الذي يصدر منه هذا الكلام مثل من يدعو الأنواء بالسقيا ويقول: يا نوء كذا اسقنا أو أغثنا, أما إذا كان هذا القول مجرد كلام يجري على الألسن مع الاعتقاد بأن الله هو الذي ينزل المطر؛ فهذا كفر أصغر, ويسمى كفر النعمة[1].

"فكل من أضاف النعمة إلى غير الله, فإن هذا كفر بالله, إما أن يكون كفرا أكبر,
وإما أن يكون كفرا أصغر, بحسب ما يقوم باعتقاد الشخص وقرارة نفسه"[2].

وسواء يعتقد هؤلاء الأطفال ما يقولونه أو لم يعتقدوه فالواجب علينا معاشر المسلمين تربية أطفالنا تربية إسلامية حسنة في الجانب العقدي والإيماني والسلوكي وغير ذلك مقتدين في ذلك بسلف هذه الأمة الذين ربّوا أطفالهم على الخير الذي كانوا عليه منذ صغرهم, "فأرض الفطرة رحبة قابلة لما يغرس فيها, فإن غُرست شجرة الإيمان والتقوى؛ أورثت حلاوة الأبد, وإن غُرست شجرة الجهل والهوى فكل الثمر مر"[3].

---

1 (2) انظر: القول المفيد 2/18 وإعانة المستفيد 2/152-153.

2 (3) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان 2/151, ط/الثانية 1422هـ- 2001م مؤسسة الرسالة- بيروت.

3 (1) الفوائد لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية ص34, ط/الثانية 1393هـ- 1973م دار الكتب العلمية- بيروت.

"ومن حق الطفل على والديه أن يعرفـــاه بنعم اللـــه, فيلفتا نظره إلى عينيه وأذنيه ويديه ورجليه... وكل ما حوله من أشجار وأنهار وبحار وسماء, وحيوانـات وطيـور ونباتـات مختلفـــة.., ويوجهـــاه إلى أن هـــذه النعم كلها من الله وهو خالقها ورازقها وموجدها, يقول الله تعالى: [illegible] (فاطر:3), وقال جل شأنه: [illegible] (لقمان:20)" [1].

وكما سبق أن قلت بأن هذه الألفاظ منتشرة جدا عنـد مسلمي نيجيريا تجري على ألسنتهم ولا يلقون لهـا بـالا, ولا يــدركون خطورتهـا على عقيــدتهم. فــالواجب على المــرء المسلم أن يكون على بصيرة من أمور دينه. يقول ســماحة الشيخ صـالح بن فـوزان الفـوزان- حفظـه اللـه تعـالى- في كلامـه عن إضـافة النعم إلى غـير اللـه: "فهـذا البـاب بـاب جليـل؛ لأنــه يعـالج مشـكلة يقـع فيهـا كثـير من النـاس ولا يحسبون لها حسابا, ويتكلمون بكلام يظنونه هينـا وهـو عنـد الله عظيم, حيث إنهم ينسـبون نعم اللـه تعـالى إلى غـيره, ولا يشكرون الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: (**ونحـو ذلـك مما يجري على ألسنة كثير**) فهـذا تنبيــه لنـا أن لا نقـع في هـذه المزالـق ... فهـذه مسـائل هي في عـرف النـاس سهلة, ولكنها خطيرة جـدا؛ لأنهـا كفـر بنعمـة اللـه سـبحانه وتعالى وإساءة أدب مع جناب الربوبية"[2].

وخلاصة القـول أن أيـة صـورة من صـور إضـافة النعم إلى غير الله عز وجل إذا كان فيهـا نـوع من إشـراك شـيء آخر مع الله في ربوبيته أو ألوهيته فحكمها أنها شـرك أكـبر مخرج من ملة الإسلام, أما إذا كان إضافة النعم إلى ســبب ظاهر, لكن لم يثبت كونه سببا لا شرعا ولا حسا؛ فهذا نــوع من الشــرك الأصــغر؛ لأنه أثبت ســببا لم يجعله الله ســببا,

---

1 (2) تربية الأطفال في الإسلام بقلم رأفت فريد سويلم تقديم الشيخ محمد حسين يعقوب ص141, ط الأولى 1425هـ - 2004م دار ابن الجوزي, القاهرة.

2 (3) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد 2/153.

فكان مشاركا لله في إثبات الأسباب, وفي هذا النوع وردت هذه النصوص:

قـول الله تعـالى: [illegible] (النحل:83).

وقوله تعالى: [illegible] (البقرة:22).

وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال: مطر النـاس على عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال النـبي- صـلى الله عليه وسـلم: (أصـبح من النـاس شـاكر ومنهم كـافر, قالوا: هـذه رحمة الله, وقـال بعضـهم: لقد صـدق نـوء كـذا وكذا). قال: فنزلت هذه الآية [illegible] حتى بلغ [illegible] (الواقعــة:82)[1].

وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة, فلما انصرف النبي- صلى الله عليه وسلم- أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم, قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر, فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب, وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)[2].

2- الاعتراض على قضاء الله وقدره:

ويمثل لهذا الانحراف بما يسمع كثيرا من ولي الميت إذا كان الميت صاحب شأن بين أسرته ينفق عليهم ويرعى شؤونهم, يقول وليه سواء كان والده أو ولده أو أمه أو قريبه: هاه هاه لقد مضى ناصري ومعيني, وكأن لا يمكن أن يجعل الله شخصا آخر سببا لنصرته ورعايته. ومنشأ المشكلة لهذا الاعتقاد الباطل هو أنهم يجهلون ما ينبغي أن

---

[1] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء- ص691 برقم (73) عن ابن عباس.

[2] (2) أخرجه البخـاري في صـحيحه- كتـاب الاستسـقاء- بـاب قوله تعـالى: [illegible] (الواقعة:82) قال ابن عباس: شكركم- ص 81 برقم (1038), ومسلم في صحيحه- كتـاب الإيمـان- بـاب بيـان كفر من قال مطرنا بالنوء- ص691 برقم (71) عن زيد بن خالد الجهني.

يعتقده المرء المسلم أن الخير كله بيد الله سبحانه وتعالى.

ومثال آخر للاعتراض على قضاء الله وقدره عند القوم النياحة, وهو التصريح بالتسخط على أقدار الله سبحانه وتعالى. يقول بعضهم إذا مات له شخص عزيز عليه: يا الله لماذا فعلت بي ما فعلت وأنت تعلم حالي, أو يقول مثل قول امرأة توفي ابنها الوحيد وهي في سن الكبر: ما ذنبي حتى قتلت ابني الوحيد وأنا في هذا السن, يا الله لقد أسأت بفعلك هذا!!.

إن هذه الألفاظ الكفرية وأمثالها تسمع كثيرا عند أصحاب المسلسلات, المسلمين منهم والنصارى, وهؤلاء الفئة من أفجر الناس وأكثرهم مهارة في فن إفساد عقيدة المسلمين وأخلاقهم.

حكم الاعتراض على قضاء الله وقدره:

الاعتراض على قضـاء الله وقـدره من كبـائر الـذنوب, يدل على ذلك:

1- أن الاعتراض على قضـاء الله وقـدره ينـافي كمـال الإيمان, فكما أن الصبر على أقدار الله من علامات الإيمان وكذلك كان التسخط عليها مما ينـافي كمـال الإيمـان, قـال تعالى: [illegible] (التغابن:11).

وبوّب الشيخ محمد بن عبد الوهـاب رحمه الله تعـالى: "باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله"[1].

2- أن الاعــتراض على قضــاء الله وقــدره يجلب على العبد غضب الله وسخطه, كما قال تعـالى: [illegible] (محمد:28). وقال عليه الصلاة والسلام: (إن عظم الجــزاء مع عظم البلاء, وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم, فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)[2].

---

[1] (1) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب 6/68).

[2] (2) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الزهد- باب ما جاء في الصبر على البلاء- ص1892 برقم (2396), وابن ماجه في سننه- كتاب الفتن- باب الصبر على البلاء- ص2719 برقم (4031) عن أنس بن

أما النياحة على الميت فهو أيضا من كبائر الذنوب, بل هو كفر أصغر, وذلك لما يأتي:

1- ما ورد من التصـريح بـذلك في قولـه- عليه الصـلاة والســـلام: (اثنتـــان في النـــاس هما بهم كفر: الطعن في النسب, والنياحة على الميت)[1].

قـــال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله بعد إيـــراد الحـديث: "فقوله: هما بهم, أي: هاتـان الخصـلتان هما كفر قائم بالنـاس, فنفس الخصـلتين كفر حيث كانتا من أعمـال الكفر, وهما قائمتـــان بالنـــاس, لكن ليس كل من قـــام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافرا الكفر المطلق حــتى تقوم به حقيقة الكفر"[2].

2- وجود الوعيد عليها في الآخرة, وكل ذنب عليه الوعيد في الآخرة فهو من الكبائر, قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب, والطعن في الأنساب, والاستسقاء بالنجوم, والنياحة). وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها, تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران, ودرع من جرب)[3].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: "وظاهر الحديث أن هذا الذنب لا تكفره إلا التوبة, وأن الحسنات لا تمحوه؛ لأنه من كبائر الذنوب, والكبائر لا تمحى بالحسنات, فلا يمحها إلا التوبة"[4].

3- ما ورد من الزجر الشديد بإعلان براءة النبي- عليه الصلاة والسلام- من فاعلها, ومن ذلك:

مالك, وقال الترمذي: حسن غريب, وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (1566).

1 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة- ص691 برقم (67) عن أبي هريرة.

2 (2) اقتضاء الصراط ص70.

3 (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب التشديد في النياحة- ص824 برقم (934) عن أبي مالك الأشعري.

4 (4) القول المفيد على كتاب التوحيد 2/25.

ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)[1].

وما روي عن أبي بردة بن أبي موسى قال: وجع أبو موسى وجعا فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا, فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسول الله- صلى الله عليه وسلم؛ فإن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- برئ من الصالقة والحالقة والشاقة[2][3].

4- وعلاوة على كون النائح يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب فإن مثله مثل الذي يستجير من الرمضاء بالنار؛ "إذ إن نياحته لا تزيده إلا شدة وحزنا وعذابا, وهي تسخط من قضاء الله وقدره واعتراض عليه, كما أنها تهيج أحزان غيره, ومهما أتعب نفسه بلطم الخد وشق الثوب فلا يرد ذلك القضاء ولا يرفع ما نزل"[4].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله عند شرحه لحديث: (ليس منا من ضرب الخدود...): "وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر؛ لأنها مشتملة على التسخط على الرب, وعدم الصبر الواجب, والإضرار بالنفس من لطم الوجه, وإتلاف المال بشق الثياب وتمزيقها, وذكر الميت بما ليس فيه, والدعاء بالويل والثبور, والتظلم من الله تعالى"[5].

فقول تلك المرأة المسكينة: يا الله لقد أسأت بفعلك هذا, في المثال السابق غاية في سوء الأدب مع الله تعالى,

---

1 (5) سبق نخريجه ص251.

2 (1) الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة, والحالقة: التي تحلق شعرها, والشاقة: التي تشق ثيابها عند المصيبة. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري 8/93, تأليف بدر الدين محمود بن أحمد العيني, دار إحياء التراث العربي- بيروت.

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز- باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة- ص101 برقم (1296), ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية- ص695 برقم (104) عن أبي موسى.

4 (3) القول المفيد 2/25.

5 (4) تيسير العزيز الحميد ص385.

وأعلى درجة في التسخط من قضائه وقدره, وهو من الأقوال الكفرية, فالله سبحانه وتعالى له الحكمة في جميع أفعاله, له ما أعطى وما أخذ, فلا ينبغي صدور مثل هذا القول من مؤمن.

إذن فالواجب عند نزول المصيبة بالشخص الصبر والاحتساب, يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "وكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- السكون والرضى بقضاء الله والحمد لله والاسترجاع, ويبرأ ممن خرق لأجل المصيبة ثيابه أو رفع صوته بالندب والنياحة أو حلق لها شعره"[1].

3- الإطراء وأنواع أخرى من الغلو في التعظيم بالقول:

من أوضح الأمثلة على الإطراء لدى بعض مسلمي نيجيريا ما يحدث عند مدحهم للنبي- صلى الله عليه وسلم, ومنشأ هذا الانحراف من أفعال المتصوفة الذين يبالغون بل يغالون في مدحه- عليه الصلاة والسلام- وخاصة عند الاحتفال بالمولد النبوي, وقد نشأ هذا الفعل الشنيع منهم بموجب بعض عقائدهم الباطلة في رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- مثل اعتقادهم بأنه أول من خلق من الكائنات وأن بقية المخلوقات خلقوا من نوره, وأنه خلق من نور الله عز وجل, فالمتصوفة هم أول من عرفوا بإطراء الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلا أن الأمر لم يعد يقتصر عليهم في مجتمعنا النيجيري في الوقت الحاضر.

ذكر بعض الأمثلة على الغلو في مدح النبي- صلى الله عليه وسلم:

ففي كتاب "المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية" تحت عنوان: "في مدح الحبيب- صلى الله عليه وسلم":

أتيت رسول الله من أرضنا (كنو)   فكن يا رسول الله منبع فيضنا

---

1 (1) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المشهور بابن قيم الجوزية 1/508, تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره ط/الرابعة 1407هـ, مؤسسة الرسالة- بيروت.

أتيتك يا كــنز الأنـام وعترتي   ألا يا رسول الله أنت شفاؤنا
بعثمان ذي الـنورين رب تـولنا وزمـرتنا يا رب محص ذنوبنا[1].

وفي موضع آخر تحت عنوان: "صفاء الحب" قال:

سيدي يا رسول الله يا سـندي   يا من به كل ميـل الأرض يعتـدل
سيدي أيهـا الميمـون طالـعه   ومن بـه ملـكوت الـله يحتـفل
سيدي يا رسول الله خذ بيـدي   وكـن لنا عند ما قد ضاقت السبل
عشق كل الربانيين إن عشقـوا   ومن به رحمـة الرحمـن تنهـمل
شافع الشافعين المصطفى الـقمر   أمنن علـينا بجـود منك منـهطل
من تقبلنه هو المرضي عـنه ومن   لم ترتضيه فداك الخـائب الخجـل
منك الوصول إلى الغايات أجمعها   ومن سنا برقـك الإيمـان ينتـقل
إنسان عين وجود الكل أكمـله   يا عدتي وملاذ الخـائف الـوجل
بك السماوات والأملاك والرسل   وكافة الخلق عـند الله تـبتـهل
ومن أتى بابكم لا ينسني وجـلا   إن الكريم لديه يبـذل الأمــل
بالله يا سيد السادات خذ بـيدي   وقل لي فلتبتعد عن وجهك العلل
نفسي فداك رسول الله يا أمـلي   وليس لي عن معاني حبكم بـدل
حياك ربي وبيـاكم أيا سنـدي   يا صفوة الله باب الواحد العـدل

---

1 (2) المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية تأليف قريب الله بن محمد الناصر الكبرى القادري ص171.

أنت الكريم الذي يفني وديـعته وجـود كفكمو ما نـاله مطـل

والجود يعلم أنتـم أصل منـبعه وأنتمـوا مصدر الإمـداد والفضل[1].

هذا غيض من فيض من أمثلة الغلو في أعلى درجاته في مدح النبي- عليه الصلاة والسلام, وأمثال تلك الأبيات المذكورة كثيرة جدا, بل هناك قصائد نظمت في هذا الشأن تطفح بها كتب المتصوفة, وتعج بها منتدياتهم, وهي أفضل شيء يقدمونه- حسب زعمهم- عند الاحتفال بالمولد النبوي, يحسبون أنهم بذلك الغلو في المدح يكونون أقرب إلى من يمتدحونه محبة وتوقيرا وإجلالا.

حكم الغلو في المدح والتعظيم:

الغلو في المدح أو الاحترام أو التعظيم وسيلة من الوسائل الموصلة إلى الشرك, فقد حذر النبي- صلى الله عليه وسلم- من الشرك أشد تحذير, وسد كل باب يوصل إليه.

وكان- عليه الصلاة والسلام- يعرض عما دون تلك المدائح المذكورة في الأمثلة بكثير, فكيف بما فيه الرفع إلى خصائص الربوبية والألوهية!

ومما يدل على ذم الغلو والنهي عنه والتحذير منه:

1- التصريح بالنهي عن الغلو في نصوص الكتاب والسنة, ومنها:

قول الله تعالى: (النساء:171).

وقوله تعالى: (المائدة:77).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله- صلى الله عليه وسلم: غداة العقبة وهو على راحلته: (هات, القط لي). فلقطت له حصيات هن حصى الخذف, فلما وضعتهن في يده قال: (بأمثال هؤلاء, وإياكم والغلو في الدين, فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[2].

---

1 (1) المرآة الصافية ص172-173.

2 (1) سبق تخريجه ص251.

2- ما ورد في ذم الغالين والتحذير من طريقهم, ومنه:

قوله تعالى: [illegible] (التوبة:30).

وقوله تعالى: [illegible] (التوبة:31).

3- ما ورد في مدح التوسط, والثناء على الأمة بأنها أمة وسط, ومنه:

قوله تعالى: [illegible] (البقرة: 143).

وما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم, وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه, وإكرام ذي السلطان المقسط)[1].

4- نهيه النبي- صلى الله عليه وسلم- عن بعض مظاهر الغلو التي قيلت فيه, ومما ورد في ذلك:

ما روي عن أنس بن مالك أن رجلا قال: يا محمد, يا سيدنا وابن سيدنا, وخيرنا وابن خيرنا, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان, أنا محمد بن عبد الله, عبد الله ورسوله, والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)[2].

---

[1] (2) سبق تخريجه ص226.

[2] (1) أخرجه أحمد في مسنده 3/153, والنسائي في السنن الكبرى 6/70, والبيهقي في شعب الإيمان 4/226عن أنس بن مالك, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1097).

وروى الطبراني في معجمه الكبير عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن منافقا كان يؤذى المؤمنين فقال أبو بكر قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يستغاث بي, وإنما يستغاث بالله)[1].

وعن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: جاء النبي- صلى الله عليه وسلم- فدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من أبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد, فقال: (دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين)[2]. وفي رواية عند ابن ماجه قال: (أما هذا فلا تقولوه. ما يعلم ما في غد إلا الله)[3].

وعن عبد الله بن شخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا, فقال: (السيد الله تبارك وتعالى) قلنا: وأفضلنا فضلا, وأعظمنا طولا, فقال: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم, ولا يستجرينكم الشيطان)[4].

فنلاحظ في هذا الحديث أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لم يسكت عن بيان ما ينبغي بيانه في ذلك الموقف, فكأنه لم يوافقهم على هذا القول مع أنه هو سيد ولد آدم على الإطلاق, وخير من وطئت قدمه الأرض, لكن خوفا مما يمكن أن ينتج من إقرارهم على تلك المقولة من وسوسة الشيطان علّق رسول الهدى- صلوات الله وسلامه

---

[1] (2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/246): رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

[2] (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب النكاح- باب ضرب الدف في النكاح والوليمة- ص445 برقم (5147) عن الربيع بنت معوذ بن عفراء.

[3] (4) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب النكاح- باب الغناء والدف- ص 2590 برقم (1897) عن الربيع بنت معوذ بن عفراء, وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (1539).

[4] (5) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب- باب في كراهية التمادح- ص1577 برقم (4806) عن عبد الله بن شخير, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (4900).

عليه- على المقولة, فأذن لهم أن يقولوا بقولهم لكنه حذرهم من أن يستجريّنهم الشيطان بالغلو حتى لا يقول أحدهم يوما من الأيام "أنت السيد", والسيد هو الذي له السيادة المطلقة وهو الله سبحانه وتعالى, فأرشدهم إلى ما ينبغي أن يقال, ونهاهم عن الأمر الذي لا ينبغي؛ كل ذلك حماية للتوحيد من النقص أو النقض.

وكما نهى النبي- صلى الله عليه وسلم- عن إطرائه بأن يؤخذ ما هو حق خالص لله سبحانه وتعالى فيوصف به- عليه الصلاة والسلام- وكذلك نهى عن تعظيمه بلفظ يقتضي مساواته للخالق جل وعلا؛ لأن التشريك بين الخالق والمخلوق بالواو شرك؛ وذلك أن العطف بالواو يفيد التسوية.

فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان, ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)[1].

وعن قتيلة أن يهوديا أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت, وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة, وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت[2].

وعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلـم فراجعه في بعـض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (أجعلتني مع الله عدلا (وفي لفظ: ندا)؟! لا, بل ما شاء الله وحده)[3].

---

1 (1) سبق تخريجه ص171.

2 (2) سبق تخريجه ص183.

3 (3) أخرجه أحمد في مسنده 1/214, وابن أبي شيبة في مصنفه 5/340, والبيهقي في السنن الكبرى 3/217, عن عبد الله بن عباس, قال في تخريج أحاديث الإحياء 3/128: أخرجه النسائي في الكبرى وابن ماجه بإسناد حسن, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (139).

فإذا اعتقد أن المعطوف مساو لله فهو شرك أكبر, وإن اعتقد أنه دونه لكن أشرك به في اللفظ فهو أصغر[4].

5- بيان حقائق الأمور على ما هي عليه, كيلا يغالى بها عن حدها, ومما ورد في ذلك:

قوله تعالى: [illegible] (الأعراف:188).

وقوله تعالى: [illegible] (الأنعام:50).

وقوله تعالى: [illegible] (الجن:21).

وقـــال تعـــالى عن عيسى عليه الســـلام وأمـــه: [illegible] (المائدة:75).

وقوله تعالى: [illegible] (آل عمران:79).

4- الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته:

ويمثل لذلك بقول أحد العلمانيين في استثقاله للصلوات الخمس قال: "المفروض أن يعلم الله كثرة المشاغل في هذا الزمان ويقدّر ظروف المسلمين ولا يجعل الصلاة فرضا خمس مرات في اليوم, وهذا مما يشق أداؤه على الناس", ومن ذلك أيضا استهزاؤهم بمن تمسك بسنة من سنن رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه, وهذا كثير جدا في الآونة الأخيرة وخاصة لما بدأت آثار الالتزام بالدين تظهر بين الشباب في الجامعات النيجيرية, فوُجد من يستهزئ بهم يقول مثلا: "أصحاب اللحى والسراويل القصيرة" استهزاء بسنة عدم إسبال الثياب, وسنة إعفاء اللحية, أو يقول للشابة التي تحترم نفسها وترتدي الحجاب الشرعي: "ما لهذه تلبس الأسود كأنها تعتد لوفاة زوجها".

---

4 (1) القول المفيد على كتاب التوحيد 2/228.

ومن المؤسف أن الاستهزاء بالمتمسكين بالسنة ظاهرة منتشرة جدا بين أصحاب التمني من عوام المسلمين الذين يقولون: "ما دام أن قلبك صافٍ فأنت من أهل الجنة وإن لم تصلّ وإن لم تصمْ", ومن أقوالهم أيضا: "أن الآخرة هي التي تحدد المفلحين والخاسرين, وأن الذي يتوقع أن يدخل النار قد نجده في الجنة, والذي يتوقع أن يدخل الجنة قد نجده في النار". وهؤلاء الناس هم المستحقون بالفعل أن يطلق عليهم مرجئة العصر الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان, وهم مسلمون بالأسماء فقط, فما أكبر نسبتهم بين مسلمي نيجيريا, نعوذ بالله من الضلال.

حكم الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته:

الاستهزاء بالدين كفر وردة عن الإسلام, لقوله تعالى: [illegible] (التوبة:65-66).

فمن استهزأ بالله أو استهزأ بآياته أو استهزأ بالرسول- عليه الصلاة والسلام- أو بشيء مما جاء به فهو كافر؛ "ذلك لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله, وتعظيم دينه ورسله, والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل, ومناقض له أشد المناقضة"[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقا على الآية: "فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كنا نخوض ونلعب, وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر, ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام, ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام, والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه"[2].

والحق ما قاله شيخ الإسلام أنه لو كان الإيمان في قلب من صدر منه هذا الكلام لمنعه أن يتكلم به, وهذا يؤكد حقيقة أحوال الفئة المذكورة آنفا الذين أطلقتُ عليهم اسم

---

1 (1) تفسير السعدي ص320.

2 (2) مجموع الفتاوى 7/220-221.

أصحاب التمني, فإنهم بعيدون كل البعد عن الوازع الإيماني الذي يمنع من الوقوع في مثل هذا الانحراف.

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "ومن هزل بالله أو بآياته الكونية أو الشرعية أو برسله فهو كافر؛ لأن منافاة الاستهزاء للإيمان منافاة عظيمة. كيف يسخر ويستهزئ بأمر يؤمن به؟! فالمؤمن بالشيء لا بد أن يعظمه وأن يكون في قلبه من تعظيمه ما يليق به"[1].

4- التصريح بمعارضة تحكيم شرع الله في أرضه:

لم يوقع المسلمين في هذا الانحراف سوى التعصب القبلي الأعمى الذي يشكل خطرا كبيرا يهدد وحدة المسلمين في نيجيريا وخاصة مسلمي الشمال والجنوب.

ولقد ظهرت دعوات صريحة إلى معارضة تحكيم الشريعة الإسلامية من قبل بعض المتعصبين لقبائلهم الذين لا يفهمون حقيقة الإسلام وذلك عندما انتخب "أولوشيغن أوباسنجو" رئيسا للدولة وكان نصرانيا من قبيلة يوربا, فتزامن مع فوزه رئيسا إعلان ولاية زمفرا (إحدى الولايات الشمالية) تطبيق الشريعة في الولاية, وحينئذ فهم بعض المسلمين الذين قد أعمتهم العصبية القبلية وهم قلة من مسلمي جنوب نيجيريا, فهموا بأن إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية في ذلك الوقت نوع من الحيل من قبل مسلمي الشمال يريدون به الإطاحة بحكومة الرئيس المنتخب أو على الأقل إحداث الفوضى السياسية في عهده.

فنتج من ذلك التصريح بمعارضة تحكيم الشريعة الإسلامية من بعض مسلمي الجنوب, والحقيقة أن المروجين لهذه الفكرة أساسا هم النصارى الذين يستفيدون دائما من الخلاف الواقع بين مسلمي شمال نيجيريا وجنوبها.

حكم معارضة تحكيم شرع الله في أرضه:

إن تحكيم شرع الله في أرضه إيمان وعقيدة وعبادة لله يجب أن يدين بها المسلم, كما أنه مما يقتضيه مفهوم قوله تعالى:

---

1 (1) القول المفيد على كتاب التوحيد 2/267.

(البقــرة: 208), فالإســلام كل لا يتجــزأ, هو دين ودولة, وعقيدة وسياسة؛ ولـذلك صـار مما يجب أن يعتقـده المسـلم ويرضى به التحـاكم إلى ما أنـزل الله إذا كـان من الرعيـة؛ لأن الله سـبحانه نفى نفيا مؤكـدا بالقسم الإيمـان عمن لم يتحاكم إلى الرسـول- صـلى الله عليه وسـلم- في قوله تعالى:

(النساء:65), كما يجب أن يعتقد ويرضى بوجـوب تحكيم ما أنزل الله إذا كان من الولاة؛ إذ إن الله تعـالى قد حكم بكفر الولاة الذين لا يحكمـون بما أنـزل الله وبظلمهم وفسـقهم, قـال تعـالى:

(المائدة:44), (المائدة:45), (المائدة: 47).

إذن فلا ينبغي للمســـلم رئيسا كـــان أو مرؤوسا أن يعـارض الحكم بما أنـزل اللـه, فلا يكـون رائـده ودليله في الحياة الهـوى واتبـاع الأحـزاب الجاهليـة, بل عليه أن يكـون دليله كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم.

وقد عـــاب الله على من يعـــارض تحكيم شـــرعه أو يحكّمه لأجل مصـلحة نفسه من دون تعبد لله بــذلك فقــال سبحانه:

(النور:48).

فعدم اعتقاد وجوب تحكيم شرع الله والرضى به كفر كما سبق بيانه, قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر, فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر"[1].

---

[1] (1) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني 5/130.

"والحاصل أنه لا يجوز التلفظ بكلمة تشم منها رائحة الشرك أو إساءة الأدب مع الله؛ فإن ذلك من باب المشتبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس, فالواجب على المرء فيها أن يتقيها ويتجنبها لكي يستبرئ لدينه. فالله سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلا والنعوت الحميدة, ولا يصح أن يتكلم الإنسان بلفظ ظاهره إساءة الأدب وباطنه الإجلال والتعظيم ويقول المتكلم: تكلمت بالكلمة الفلانية وإنما أقصد غيرها, فإن الألغاز والمعميات لها مجالات كثيرة وهي لا تليق بالله تعالى, ولا نعرف عاقلا يهزأ بملكه أو بأبيه ولا يستعمل معهما الصنائع البديعية والكنايات الأدبية التي اخترعها الأدباء, بل يكون كلامه واضحا يصدر عن وعي يدل على أدب, إن مجال هذه الأساليب الأدبية هي مجالس الإخوان والنوادي الأدبية"[1].

---

[1] (1) رسالة التوحيد للدهلوي ص143 بتصرف يسير.

الباب الثالث
العبادات العملية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

ويحتوي على ثمانية فصول:

الفصل الأول
الركوع والسجود والقيام

المبحث الأول
وجوب إفراد الله تعالى بالركوع والسجود والقيام

[إن السجود لله تعالى والركوع له وحده تحقيقا للعبودية هو من لب دعوات المرسلين عليهم الصلاة والسلام, وأساس من أسس تعاليمهم, كما أن الركوع

والسجود عبادة لغيره تبارك وتعالى مناقض لدعوتهم, وموافق لأحوال أعدائهم.

ومن نظر في سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم يدرك ما هم عليه من كمال توحيد لله عز وجل, والتزام خضوع وانكسار بين يديه, ودوام ركوع وسجود له, حتى صار السجود وصفا لا ينفك عنهم, قال تعالى: [illegible] (الحجر:98).

فالركوع حق للواحد المعبود, ومن خالف في ذلك فقد خالف في المسلمات, وناقش في الثوابت, وتصدى لمعارضة الآيات البينات, والدلائل الصريحات, وما ضل الناس وتاهوا في الغي إلا لما خلطوا بين حقوق الخالق والمخلوق, فصرفوا من مظاهر التذلل والخضوع والانقياد للمخلوق ما لا ينبغي إلا لله تعالى.

ومن ذلك الركوع والسجود, فجعلوا للمخلوق فيهما حظا ونصيبا تعبدا وذلا, ورغبة ورهبة, وتقدمة بين يدي طلب الحاجات, وكشف الكربات, وجعلوا ذلك من وسائل القرب التي يرجون بها عند الله تعالى الشفاعة والزلفى! فتحقق فيهم ما أخبر الله تعالى عن الأخسرين أعمالا [illegible] (الكهف:104).

وتلك هي سيرة أهل الجاهلية الذين عبدوا أهل القبور وسجدوا لهم, وسجدوا للشمس والقمر, والشجر والحجر, تعود سيرتهم كلما غابت عن الناس معالم الرسالات, وغلبت عليهم الجهالة والخرافات, وعظموا المخلوق في نفوسهم كما يعظمون الله تعالى, بل أشد.

فأي شيء سيحظى به الساجدون لغير الله تعالى, ولو كان المسجود لهم خيرة الناس, وأفضل العالمين؟ سوى اللحوق بركب الجاهلين, والبعد عن سبيل المرسلين, والسعي إلى سراب بقيعة [illegible] (النور:39)][1].

ولقد وردت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- تدل على هذا الحق الذي

---

1 (1) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص473-474.

قررناه وهو إفراد الله تعالى بالركوع والسجود والقيام, وأن الذي صرف شيئا منها لغير الله يكون في زمرة المشركين, ومع هذا فهناك نصوص أخرى تدل على وقوع السجود لغـير الله تعالى بأمر منه تعالى وتشريع.

ولكي لا يـترك البـاب مفتوحـا لمعارضـة بعض هـذه النصـوص ببعض من قبـل أهـل الأهـواء, ولفهم النصـوص الشرعية على وجهها أرى أنه لا بد من التفريق "بين الركوع والسجود الَّذَين هما حق خالص للواحد الأحد وهمـا مـا كانـا على وجه العبادة, وبين ما كان من ركوع وسجود على وجه التحية والتكريم"[1].

فلا بد إذن عند التفريق بين أحـوال السـجود أن يكـون مرجع ذلك هو كتاب الله تعـالى وسـنة رسـوله- صـلى اللـه عليـه وسـلم, وقوفـا عنـد حـدودهما, وتسـليما للمعـاني الصريحة التي دلا عليها؛ ذلك لئلا يـأتي من يصـنف الأحـوال ويقسمها على حسب ما يمليه الهـوى, فيتكلم عن السـجود الذي تدل جميع القرائن على كونه عبادة للمسجود لـه بأنـه من باب التحية والاحترام فلا يصـل إلى حـد الإشـراك باللـه تعالى[2].

هـذا, مـع العلم أني سأقتصـر خلال حـديثي في هـذا المبحث على السجود؛ لأن ذلك يدخل فيه حكم الركوع من باب أولى كما يلحق به حكم القيام إذا كان بخشوع وتواضع وتعظيم المقـام لـه, "فكـل سـاجد راكـع وليس كـل راكـع ساجدا؛ لأنه إذا سجد الإنسان من قيام انحنى انحناء الراكـع وزاد ويصـير حينئذ سـاجدا, ولـو صـلى قاعـدا أيضـا انحـنى انحنـاء الركـوع وزاد فإنـه يصـير سـاجدا, فالسـاجد راكـع وزيادة؛ فلهذا جاز أن يسمى راكعا"[3].

أحوال السجود:

لقد تقرر مما سبق أن هناك نصوصا تنهى عن السجود لغير الله تعالى, كما أن هناك نصوصا أخرى تدل على وقوع

---

1 (2) المرجع السابق ص475.

2 (3) المرجع السابق ص476.

3 (1) رسالة في قنوت الأشياء تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ص34, ط/الأولى 1410هـ, الإدارة العامة للطبع والترجمة- الرياض.

السجود لغيره تعالى بأمر منه وتشريع, وليس هناك تعارض بين هذه النصوص وتلك؛ إذ له الحكمة فيما خلق وشرع, فالسجود المنهي عن صرفه لغير الله هو ما كان عبادة محضة وهي من خصائصه الألوهية لا يستحق غيره منها شيئا ولا يشاركه فيها أحد من المخلوقين, وهذا المعنى لم يشرعه الله تعالى ولم يأمر به أبدا أن يصرف لغيره, أما السجود الذي يصرف للمخلوق بأمر الله تعالى وشرعه فهو ليس من معاني العبادة, بل هو للتكريم والتشريف والتحية.

فالسجود له حالتان: الأولى: أن يكون سجود عبادة, الثانية: أن يكون سجود تشريف وتكريم وتحية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "ثم يقال: السجود على ضربين: سجود عبادة محضة, وسجود تشريف, فأما الأول فلا يكون إلا لله"[1].

سجود العبادة:

وهو الذي تضمن غاية الذل والخضوع, ولا يكون إلا لله تعالى؛ "ذلك بأن السجود هو سر العبودية والعبودية هي الذل والخضوع"[2].

أدلة وجوب إفراد الله تعالى بسجود العبادة:

هذا النوع من السجود من أجلّ العبادات البدنية, ومن خصائص ألوهية الله تعالى لا ينبغي صرف شيء منها لغيره كائنا من كان, والأدلة على هذه الحقيقة كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية, منها:

1- النصوص الكثيرة التي تبين أن جميع ما سوى الله يسجدون ويخضعون لخالقهم تبارك وتعالى, وأنه قد كتب ذلك عليهم, فليس لهم خيار بين الخضوع لقدرته وعدم الخضوع لها, بل هم مقهورون, لا حركة لهم ولا سكون إلا بإذنه تعالى, مثال ذلك قوله تعالى: (الرعد:15), وقوله عز وجل: (الحج: 18).

---

1 (2) مجموع الفتاوى 4/361.

2 (3) زاد المعاد 1/228.

2- النصوص الكثيرة الآمرة بالسجود له وحده سبحانه وتعالى والناهية عن صرف شيء من هذا السجود لغيره، مثل قوله تعالى: (الحج:77), وقوله عز وجل: (فصلت:37).

3- أن الله تعالى أثنى على عباده في العالم العلوي والسفلي وجعل من أخص أوصافهم كثرة سجودهم لربهم تبارك وتعالى, قال تعالى في شأن ملائكته الكرام وسجودهم له: (الأعراف:206).

كما قال تعالى مثنيا على نبيه الكريم- صلى الله عليه وسلم- والذين آمنوا معه: (الفتح:29).

ووصف الله عباده المؤمنين وذكر من أوصافهم كثرة السجود, قال تعالى: (الفرقان:63-64).

4- النصوص الواردة في تصوير قبح ما عليه المشركون من السجود لغير الله, والاستكبار عن السجود له تعالى في الدنيا, وتوعدهم بنقيض ذلك في الدار الآخرة بعدم قدرتهم عليه حين يريدون.

من ذلك قوله تعالى: (القلم:42-43).

5- سد كل ذريعة موصلة للسجود لغير الله تعالى حماية لجناب التوحيد، حتى ولو كان السجود في أصله لله تعالى, فكيف بمن يسجد صراحة لغير الله تعالى؟.

وعن عمرو بن عبسة قال: (قلت يا نبي الله أخبرني عن الصلاة قال: صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار, ثم صل فإن الصلاة

مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم اقصــر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم, فإذا أقبل الفيء فصل فــإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر, ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب فإنها تغـرب بين قـرني شـيطان وحينئـذ يسجد لها الكفار)[1].

قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: "قيل: المراد بقرني الشيطان حزبه وأتباعه, وقيل: قوتـه وغلبته وانتشار فساده, وقيل: القرنان ناحيتا الرأس وأنـه على ظاهره, وهذا هو الأقـوى, قـالوا: ومعنـاه أنـه يـدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقـات ليكـون السـاجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصـورة وحينئـذ يكـون لــه ولبنيــه تســلط ظــاهر وتمكن من أن يلبســوا على المصلين صلاتهم فكرهت الصـلاة حينئـذ صـيانة لهـا كمـا كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشيطان"[2].

"فإذا كان في هذه الأزمنة من يفعل مثل هــذا تحققت حكمة الشـارع- صـلوات اللـه وسـلامه عليه- في النهي عن الصلاة في هذه الأوقات سدا للذريعة, وكان فيه تنبيــه على أن كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها مما يكـون كفرا أو معصـية بالنيـة ينهى المؤمنـون عن ظـاهره وإن لم يقصدوا به قصد المشركين سـدا للذريعـة وحسـما للمـادة, ومن هذا الباب أنه- صلى الله عليـه وسـلم- كـان إذا صـلى إلى عـود أو عمـود جعلـه إلى حاجبـه الأيمن أو الأيسـر ولم يصمد له صمدا؛ ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبـد من دون الله عموما وإن لم يكن العابد يقصــد ذلك؛ ولهــذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل وإن لم يقصد الساجد ذلك لمــا فيه من مشابهة السجود لغير الله.

فـانظر كيـف قطعت الشـريعة المشـابهة في الجهـات وفي الأوقات, وكما لا يصلى إلى القبلة الـتي يصـلون إليهـا كذلك لا يصلى إلى ما يصلون له بل هـذا أشد فسـادا, فـإن

---

[1] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به- باب إسلام عمرو بن عبسة- ص808 برقم (832) عن عمرو بن عبسة السلمي.

[2] (1) شرح النووي على صحيح مسلم 6/112.

القبلة شريعة من الشرائع قد تختلف باختلاف شرائع الأنبياء, أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله, كما قال سبحانه وتعالى: (الزخرف:45)"[(1)].

فكل ما سبق ذكره من أدلة الكتاب والسنة وكلام الأئمة يؤكد تأكيدا ليس بعده أدنى شك بأن السجود حق خالص لله سبحانه وتعالى يجب إفراده به, وأن صرف شيء من هذا السجود لغيره شرك مخرج من الملة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وبالجملة فالقيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والأرض, وما كان حقا خالصا لله لم يكن لغيره فيه نصيب"[(2)].

سجود التشريف والتكريم والتحية:

هذه هي الحالة الثانية من حالتي السجود, فالسجود قد يكون عبادة كما سبق وقد يكون للتشريف والتكريم كما في هذه الحالة, وعلى هذه الحالة الثانية "حمل سجود الملائكة عليهم السلام لآدم عليه السلام, فلم يكن سجودهم له عبادة له؛ إذ لا يلزم من كل سجود أن يكون عبادة للمسجود له, بل كان سجودهم طاعة لربهم, وامتثالا لأمره, حيث أمرهم بذلك, وهو لآدم تشريف وتكريم.

وكذلك سجود يعقوب عليه السلام وأولاده ليوسف عليه السلام, هو سجود تحية لا سجود عبادة, وحاشا أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام أن يصرف أحدهم شيئا من العبادة لغير الله تعالى"[(3)].

قال تعالى في أمره للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام: (البقرة:34), قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية: "واختلف الناس

---

1 (2) اقتضاء الصراط ص64-65.

2 (3) مجموع الفتاوى 27/93.

3 (1) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص492.

في كيفية سـجود الملائكـة لآدم **بعد اتفـاقهم على أنـه لم يكن سجود عبادة**"[1].

وقال تعالى حكاية عن سجود أبوي يوسف وإخوته لـه: (يوسف: 100), قال القرطبي رحمه الله تعالى: "وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجـه كـان **فإنما كـان تحيـة لا عبادة**"[2].

وقال ابن حزم[3] عند كلامه عن يوسف عليـه السـلام: "وأما سجود أبويه فلم يكن محظورا في شريعتهما بل كـان فعلا حسنا وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالى, ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه السـلام إلا أن الذي لا شك فيه أنه لم يكن سـجود عبـادة ولا تـذلل, وإنمـا كان سجود كرامة فقط بلا شك"[4].

وهــذا النــوع من الســجود داخــل تحت ســنة المحــو والإثبات الـتي جعلهـا اللـه تعـالى بين الشـرائع حكمـة منـه ورحمة, كما قال تعـالى: (الرعد:38)[5].

فلم يعد سجود التشريف والتكريم مأذونا له أو مأمورا به في الشريعة المحمدية, بل أصـبح منهيـا عنـه ومحرمـا لا يجوز فعله لأحد من الخلق كائنا من كان.

---

1 (2) تفسير القرطبي 1/201.

2 (3) المرجع السابق 9/174.

3 (4) هو العلامة علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم, الفاسي الأصل, الأندلسي القرطبي الظاهري أبو محمد, كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن, وسعة العلم بالكتاب والسنة, والمذاهب والملل والنحل, والعربية والآداب والمنطق والشعر, من مصنفاته: الفصل في الملل والأهواء والنحل, توفي سنة 456هـ. انظر: العبر في خبر من غبر 3/241, طبقات الحفاظ 1/435, الأعلام 4/254, سير أعلام النبلاء 18/184.

4 (1) الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري 4/9-10, مكتبة الخانجي- القاهرة, دون بيانات أخرى.

5 (2) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص489.

ويدل على تحريم هذا السجود حـديث أنس بن مالك[1] في الجمل الذي استصعب على أصـحابه فمنعهم ظهـره ثم سجد للنبي- عليه الصلاة والسلام, وحديث عبد اللـه بن أبي أوفى[2] في قصـــة معـــاذ بن جبـــل لمـــا رجـــع من الشـــام وســـجوده للنـــبي- عليـــه الصـــلاة والســـلام, وغيرهمـــا من الأحاديث الدالـة على استشـعار الصـحابة رضـي اللـه عنهم بأن النبي- صلى الله عليه وسلم- أحق بالسجود من غــيره؛ إذ هو خـير خلـق اللـه على اللـه, لكن النـبي- عليـه الصـلاة والسلام- وهـو أعلم النـاس بحقـوق ربـه جـل وعلا حـذرهم أشد تحذير من السجود له- عليه الصلاة والسلام.

وخلاصـــة القـــول أن الســـجود المتعلـــق بالعبـــادة حـــق خـــالص للـــه تعـــالى, لم يبح صـــرفه لغـــيره في زمن من الأزمان, ولا في شريعة من شرائعه, ولم يأت عن أحـــد من الأنبياء وأتباعهم الصادقين أنهم صرفوه لغير الله تعـالى؛ إذ إن إفـــراد اللـــه تعـــالى بـــه هـــو من لب دعـــوتهم, وأســـس رسالتهم, وصرفه لغيره مناقض أشد المناقضة لها[3].

أما السجود الذي هو من باب التشريف والتكريم فقـــد كان مباحا في شرع من قبلنـا, لكنـه منسـوخ في الشـريعة التي جـاء بهـا خـاتم النبـيين؛ ولـذلك نهى عنـه أشـد النهي, فحرام على المرء أن يسجد لغيره بهـذا القصـد مهمـا علت منزلة الذي يسجد له أو بلغ من الشرف.

قـال ابن كثـير رحمـه اللـه عن سـجود أبـوي يوسـف وإخوته له: "وقد كـان هـذا سـائغا في شـرائعهم إذا سـلموا على الكبير يسجدون له ولم يـزل هـذا جـائزا من لـدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم هـذا في هـذه الملة, وجعل السجود مختصا بجنـاب الـرب سـبحانه وتعـالى, هـذا مضمون قول قتادة وغيره"[4].

---

1 (3) سيأتي تخريجه ص290.

2 (4) سيأتي تخريجه ص290.

3 (1) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص487.

4 (2) تفسير ابن كثير 2/1469.

المبحث الثاني

الركوع والسجود والقيام لغير الله حكمها وصورها

صور الركوع والسجود والقيام لغير الله لدى مسلمي نيجيريا:

إن العادات عند القبائل النيجيرية متقاربة جدا في طرق التحية, وقد توارث مسلمو نيجيريا هذه العادات عن أجدادهم كابرا عن كابر, وما دام أن ديانة أولئك الأجداد هي الوثنية فلا غرابة أن تكون العادات التي ورثها عنهم أبناؤهم لا تزال فيها آثار الوثنية, لكن العجيب هو نقل هذه العادات إلى الإسلام دون تنقية لها, والبقاء عليها لهذه المدة الطويلة بعد إسلامهم, والواجب على هؤلاء المسلمين تجنب تلك العادات والتقاليد بعد معرفتهم بمناقضتها لشريعة الإسلام, كما ترك الصحابة في صدر الإسلام تلك العادات الشنيعة التي لم تتوافق مع نظام الإسلام بعدما نهاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- عنها وحذرهم منها.

فالتحية عند القوم أشبه ما يكون بهيئة الركوع والسجود, والسبب الأساسي في ذلك هو الغلو في إكرام كل من هو أكبر من الشخص سنا أو أرفع منه منزلة, وسأذكر فيما يلي- إن شاء الله تعالى- صور الركوع

والسجود لغير الله التي جهلها كثير من مسلمي نيجيريا فعدوها لأنفسهم طرقا للتحية والإكرام.

الصورة الأولى:

السجود والركوع لقبور الأولياء والصالحين والمشايخ:

فإنه يوجد بعض الجهلة من مسلمي شمال نيجيريا وصل بهم الحال إلى السجود لقبور الأولياء والمشايخ تحية لهم وتعظيما, وفي الحقيقة لا يقصد هؤلاء المغلوبون على أمورهم مجرد التحية بدليل أنهم يوجهون من خلال هذه السجدات أنواعا من الأعمال التعبدية لأصحاب القبور مثل الدعاء والاستغاثة والنذر والتوسل وغير ذلك, فهل يعقل أن يطلق على هذه التصرفات تحية وسلاما؟

وتقع هذه الصورة من السجود لغير الباري جل وعلا عند قبر الشيخ عثمان ابن فودي في مدينة (سوكوتو) وقبر الشيخ محمد ناصر الكبرى في مدينة (كانو), وإن كان وجودها قليلا إلا أنه ينبغي أن تذكر لخطورتها؛ لأن السجود لغير الله شرك مخرج من الملة.

قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي فيما كتبه عن ما شاهده أثناء زيارته لقبر الشيخ عثمان بن فودي: "وهذه الأمور أكثرها بدعي لا يجوز فعله في الشرع, ومنها البناء على القبر ورفعه عن الأرض أكثر من الشبر, والتوجه بالدعاء إلى القبر متجها إلى غير القبلة"[1].

الصورة الثانية:

الركوع والسجود لأشخاص معينين من الأحياء, يقصدون بهما التحية, فطريقة التحية عند مسلمي شمال نيجيريا هي الانحناء بالرأس قريب من هيئة الركوع أو الجثو وهو الجلوس على الركبتين إذا كان الشخص المسلّم عليه جالسا, وبهذه الطريقة تتم تحية الصغير للكبير والولد لوالديه, والبنت لوالديها, والتلميذ لأستاذه, والزوجة لزوجها.

أما أشراف القوم مثل السلاطين والأمراء فإن الأمر يختلف؛ إذ تكون تحية الناس لهم بالجلوس مع الانحناء

---

[1] (1) قصة سفر في نيجيريا 2/100.

بالرأس قريب من هيئة السجود, بالإضافة إلى قبض أصابع اليد اليمنى دون الإبهام ورفعها إلى الأعلى. وهكذا تكون التحية عند تلك الفئات من المسلمين في شمال نيجيريا.

وبالنسبة للجنوب فإن الأمر يختلف قليلا فتحية الصغير للكبير والولد لوالديه هي الانبطاح وامتداد الجسم على الأرض, وتحية البنت لوالديها والصغيرة للكبيرة تكون بالجثو وهو الجلوس بالركبتين على الأرض, هذا كله عند الذين لم ينهلوا من العلوم الشرعية شيئا أو كان حظهم فيها قليلا وهم مسلمون, قد توارثوا هذه العادات عن آبائهم ولا تزال منتشرة إلى يومنا هذا.

وأما المنتسبون إلى الدراسات الإسلامية من العلماء وطلبة العلم فإن بعضهم يحيي بعضا بالقعود إلى أقصى ما يمكن على القدمين مع المصافحة, وبالنسبة للتلميذ مع أستاذه فإنه مثل ذلك مع الانحناء بالرأس دون المصافحة وأحيانا يتصدق عليه أستاذه بالمصافحة.

هذه هي طرق التحية عند المسلمين في نيجيريا, وقد وصف الشيخ آدم عبد الله الألوري هذا التواضع الجاهلي فقال: "وكل ما تبقى اليوم من خلع النعال, والجثو على الركب, والسجود أمام الأكابر والملوك والعظماء فإنما هي من رواسب تلك الجاهلية الشنيعة لم ينزلها الله على أحد من البشر, بل هي من نزوات الشياطين, وشهوات السلاطين, وهذه التقاليد متوغلة بوجه خاص في الأوساط الإسلامية؛ إذ قد ارتضاها بعض العلماء واستحسنوها بدلا من استنكارها والتنديد بها, واعتبروها بجهالتهم تواضعا وأدبا إسلاميا, وليس هذا فقط بل يعتبرون كل من خرج عليها شيطانا متكبرا, جديرا بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[(1)].

وقال في موضع آخر: "لا تزال في نيجيريا وما حولها من رواسب الجاهلية ما يسمونه بالتواضع, منها خلع النعال والانبطاح[(2)] والسجود للتحية ونحوها من عادات ممقوتة في

---

[1] (1) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص18.

[2] (2) انبطح فلان وتبطّح: استلقى على وجهه ممتدا على وجه الأرض. انظر: لسان العرب 2/412, المصباح المنير ص52 مادة (بطح).

دين الله, بالية مهجورة في دنيا الناس, ولكنها باقية ومحببة إلى الأمراء والملوك والكبراء في نيجيريا إلى اليوم"[1].

كما أكد الشيخ آدم على ما سبق أن قلته بأن المنتسبين للدراسات الإسلامية أيضا متورطون في هذه الانحرافات ولهم تأثير بارز في بقائها إلى الوقت الحاضر, فقال: "ولقد أجدني غارقا في بحر من الذهول والدهشة عندما أرى حملة كتاب الله عز وجل, وحفظة سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- في مقدمة من يستحسنون هذه التقاليد البغيضة عن جهالة وعماية, ومن يستحسنونها عن بصيرة ودراية ويعتبر الخروج عليها وقاحة وشراسة ممالأة لما يكرم به الدهماء العلماء والأمراء على السواء"[2].

وقد تألم الشيخ آدم رحمه الله كثيرا على هذا الوضع وقدم ما كان باستطاعته أن يقدمه في سبيل تغيير تلك المنكرات, يقول: "ولست أدري متى يقيض الله لنيجيريا من العلماء الأحرار من يستطيع أن ينير عقول الناس حتى تنجلي عنها غياهب هذه الجاهلية المشنوءة, وحتى تستضيء بنور الإسلام, وتسلك سواء السبيل ... ويؤلمني دائما أن يختار المسلمون الإسفاف على التحليق, وأن يعطوا الدناءة والمهانة من أنفسهم قبل أن يضطروا لذلك"[3].

ويقول: "ولقد نظمت في ذلك أبياتا وألزمت الفوج الأول من طلاب مركز التعليم العربي حفظها, فكانت أول حملة إصلاحية قاموا بها في المجتمع الإسلامي وهي"[4]:

ومما يلحق بهذه الصورة من صور الركوع والسجود لغير الله ما يفعله مسلمو نيجيريا من القيام لشخص كبير الشأن أو صاحب منصب إذا قدم إلى الحفلات والمآتم, والعادة أن يظل هؤلاء الناس واقفين حتى يأخذ ذلك الشخص مكانه في الحفل, وإذا كلف أحدهم بالدعاء في بداية الحفل فإنه ينفذ ذلك واقفا ويطلب من الحضور

---

1 (3) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص153.

2 (4) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص5.

3 (5) المرجع السابق ص4-5.

4 (1) الإسلام والتقاليد الجاهلية ص154, والأبيات سبق ذكرها في ص 87 من هذا البحث.

الوقوف معه, وهي عادة أخذها مسلمو جنوب نيجيريا من النصارى.

كما هو منتشر عندهم أمر خلع النعال للتحية إلا أن ذلك كان أكثر انتشارا بين مشايخ الصوفية ومريديهم وأتباعهم, فترى واحدا منهم إذا شاهد شيخه من بعيد لا يسعه إلا أن يخلع نعليه وينحني بظهره إلى أقصى درجة ممكنة ويمشي مسرعا ليسلم على شيخه.

قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي فيما شاهده أثناء زيارته لدولة نيجيريا: "وعندما انتهى بنا الممشى إلى باب حجرة أمرونا بأغلبيتهم بخلع أحذيتنا إكراما للشيخ عثمان؛ لأنهم هكذا يفعلون مع من يعظمونهم حتى في حياتهم فيخلعون نعالهم, ولا يجيز لهم عرفهم أن يقترب الواحد منهم من الرجل الكبير القدر وهو يلبس حذاء في رجله"[1].

حكم هذه الصور:

الركوع والسجود لغير الله من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار إن لم يتب منه قبل موته, فمن ركع أو سجد لشيء سوى الله من إنسان أو حيوان أو جماد فقد أشرك بالله غيره؛ لأن القرائن الدالة على أن هذا السجود للعبادة واضحة جلية فلا مدخل لاحتمال مقصد آخر فيه, وسجود العبادة- كما قررنا سابقا- حق خالص لله تعالى لم يبح صرفه لغيره في زمن من الأزمان, ولا في شريعة من شرائعه, ومما يدل على أن سجود العبادة من حقوق الله وحده, تلك النصوص التي يأمر تعالى بها عباده بإفراده بهذا السجود وينهاهم بها عن فعله لغيره, ومن ذلك:

قوله تعالى: (الحج:77).

وقوله عز وجل: (فصلت:37).

قال العلامة الدهلوي رحمه الله: "السجود بجميع أنواعه لا يجوز إلا لله تعالى, وقال الله تعالى:

---

[1] (2) قصة سفر في نيجيريا 2/97.

, فقد دلت هذه الآية على أن السجدة من أعظم شعائر العبادة وهي مختصة بالخالق جل وعلا فلا تجوز لمخلوق, وقد تساوى في هذه الصفة القمر والشمس والنبي والولي, ومن قال إنه قد جاز السجود في الأديان القديمة لبعض المخلوقات ونقل ذلك بالخبر الصحيح فصح سجود الملائكة لآدم وسجود يعقوب ليوسف فلا بأس أن نسجد لشيخ أو ولي, فهذا باطل"[1].

وأمر المولى تبارك وتعالى رسوله المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه- بالسجود له بخطاب خاص والمراد به العموم في مثل قوله تعالى: (الإنسان:26), وقوله تعالى: (العلق:19).

ولم ترد هذه الأوامر كلها إلا لبيان أهمية هذه العبادة الجليلة واختصاص الباري بها جل وعلا؛ "وذلك أن السجود غاية الخضوع والذل من العبد وغاية انقياده وتواضعه بأشرف شيء فيه لله وهو وجهه بأن يضعه على التراب"[2], وهذه حقيقة العبودية لله تعالى.

قال الدهلوي في رسالة التوحيد له تحت العنوان: (أعمال العبادة وشعائرها خاصة بالله تعالى), قال: "والشيء الثالث أن الله سبحانه وتعالى خصص بعض أعمال التعظيم لنفسه وهي التي تسمى عبادة كالسجود والركوع, والوقوف بخشوع وتواضع"[3].

وبناء على هذا فالسجود لقبور الأولياء والصالحين شرك أكبر, قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى عند شرحه لحديث: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد): "كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم السابقة قبله, الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم, واتخذوها قبلة ومسجدا, كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها, وذلك الشرك الأكبر, فكان النبي- صلى الله عليه وسلم- يخبرهم بما في

---

1 (1) رسالة التوحيد للدهلوي ص96.

2 (2) مجموع الفتاوى 5/237.

3 (1) رسالة التوحيد للدهلوي ص37

ذلك من سـخط اللـه وغضـبه, وأنـه ممـا لا يرضـاه, خشـية عليهم امتثال طريقتهم"[1].

فمن سجد لغير الله بعد بيان حكم ذلك له فهو مشرك كافر, لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا, وإن صلى وإن صـام؛ لأن أعمال المشرك لا تقبل منه[2].

ويقول القاضي عيـاض[3] رحمـه اللـه تعـالى: "وكـذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنـه لا يصـدر إلا من كـافر, وإن كـان صـاحبه مصـرحا بالإسـلام مـع فعلـه ذلـك الفعـل كالسجود للصنم, وللشمس والقمر, والصليب والنار"[4].

أمــا إذا كــان الســجود لغــير اللــه من قبيــل التحيــة والتشريف- وله قرائن تدل عليه أيضا- فإن كـان المـراد بـه تعظيم المسـجود لـه مثـل تعظيم اللـه تعـالى فهـو شـرك, وذلك لما يأتي:

1- أن في ذلـك تسـوية بين الخـالق والمخلـوق, واللـه سبحانه وتعـالى لا يسـاوي شـيئا من خلقـه, كمـا قـال جـل شــأنه: [illegible] (الشورى:11).

2- أن تقديم ما يختص به الرب سبحانه وتعالى لغــيره من المخلـوقين هـو عين أفعـال المشـركين الـذين قـاتلهم الرسول- صلى الله عليه وسلم.

3- أنه جل شأنه قـد صـرح بكفـر الـذين يسـوون بينـه وبين خلقه فيما هو من خصائصه من العبادات القلبية وغــير

---

[1] (2) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري 5/45, تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري, وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب 1387هـ.

[2] (3) فتاوى اللجنة الدائمة 1/336 فتوى رقم (4360).

[3] (4) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى الإمام العلامة أبو الفضل اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي, حافظ, محدث, مفسر, فقيه, أصولي, نحوي, لغوي, شاعر, خطيب, من مصنفاته: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم, الشفا بتعريف حقوق المصطفى, توفي سنة 544هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 20/213, العبر في خبر من غبر 4/122, الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب 1/168, طبقلت الحفاظ 1/470.

[4] (5) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض 2/236.

القلبية كما في قوله تعالى: (البقرة:165).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية:

"يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا, ومالهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادا أي: أمثالا ونظراء, يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه, وهو الله الذي لا إله إلا هو, ولا ضد له ولا ند له, ولا شريك معه"[1].

"وقوله تعالى: أي: يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم, ولهذا يقولون لأندادهم وهم في النار: (الشعراء:97, 98)"[2].

وإن كان ذلك السجود من باب الاحترام والتقدير فهو مما حرم في الشريعة المحمدية؛ وذلك أن الركوع والسجود من أظهر صور التذلل والخضوع, وهما مضمون العبادة التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والسجود من جنس القنوت؛ فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل, وكل مخلوق فقد تواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته"[3].

ومن أدلة تحريم هذا النوع من السجود ما يأتي:

1- أن الله تعالى قد عظم حق نبيه- عليه الصلاة والسلام- لدى أمته فجعله أولى بهم من أنفسهم (الأحزاب:6), ومع ذلك كان لحقوقه حدود, فلم يجعل منها السجود والركوع وغيرهما من أنواع العبادة, بل جعل أشرف مقامه- عليه الصلاة والسلام- كونه عبدا لربه ومولاه جل وعلا.

2- أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فهموا قوله تعالى: (الفتح:9), بمعنى الإجلال والتعظيم لنبيهم, وعملوا به كما عملوا بغيره من الآيات,

---

1 (1) تفسير ابن كثير 1/286.

2 (2) تيسير العزيز الحميد ص351.

3 (3) رسالة في قنوت الأشياء ص27.

لكن مع ذلك لم يـؤثر عنهم قـط بـأن طـريقتهم في إجلالـه وتعظيمه هو السجود أو الركوع له- عليه الصلاة والسلام.

3- بل لما شاهد بعضهم عليهم رضوان اللـه مـا تفعلـه الأعــاجم من الســجود والركــوع والقيــام تــذللا وتعظيمــا لملوكهـا, وقـرر في نفسـه أن الرسـول- صـلى اللـه عليـه وسـلم- أولى وأحـق لتلـك الأنـواع من التعظيم نهـاهم نهيـا شديدا عن الإقدام على ذلـك كلـه, وأكـد لهم بـأن السـجود من حقوق الله الخاصة لا يجـوز فعلـه لأحـد كائنـا من كـان, ومما ورد في ذلك:

ما رواه أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصـار لهم جمــل يســنون عليه, وإن الجمــل استصــعب عليهم فمنعهم ظهره, وإن الأنصـار جـاؤوا إلى رسـول الله- صـلى الله عليه وسلم- فقالوا: إنه كـان لنـا جمـل نسـني[1] عليه, وإنــه استصــعب علينــا ومنعنــا ظهــره وقــد عطش الــزرع والنخل, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: (قوموا), فقاموا فدخل الحائط والجمـل في ناحية, فمشـى النبي- صلى الله عليه وسلم- نحوه فقالت الأنصار: يـا نـبي الله! إنـه قـد صـار مثـل الكلب وإنـا نخـاف عليـك صـولته, فقال: (ليس علي منه بأس), فلما نظر الجمـل إلى رسـول الله- صلى الله عليه وسلم- أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه, فأخذ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بناصـيته أذل ما كانت قط حتى أدخلـه في العمل, فقـال لـه أصـحابه: يـا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك, فقال: (لا يصلح لبشـر أن يسـجد لبشر, ولو صلح لبشر أن يسـجد لبشـر لأمـرت المـرأة أن تسـجد لزوجها من عظم حقه عليها, والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفـرق رأسـه قرحـة تنبجس بـالقيح والصـديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه[2].

---

1 (1) سنى على الدابة: سقى عليها. انظر: معجم مقاييس اللغة ص 471, القاموس المحيط ص1673 مادة (سنى).

2 (1) أخرجه أحمد في مسنده 3/158 عن أنس بن مالك, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/556: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن أخي أنس وهو ثقة, وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (1936): صحيح لغيره, رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد

وما رواه عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي- صلى الله عليه و سلم, قال: (ما هذا يا معاذ؟), قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم, فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك, فقال رسول- الله صلى الله عليه وسلم: (فلا تفعلوا, فإني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله, لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها, والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه)[1].

وما رواه قيس بن سعد قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت: رسول الله أحق أن يسجد له, قال: فأتيت النبي- صلى الله عليه وسلم- فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك, قال: (أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟), قال: قلت: لا, قال: (فلا تفعلوا, لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق)[2].

إذن فجميع ما ورد من صور السجود في النصوص السابقة كانت من باب التحية والتكريم والتشريف؛ إذ هؤلاء الصحابة شاهدوا عند الأعاجم أنهم يكرمون ساداتهم وكبراءهم بهذا السجود فأرادوا أن يفعلوا مثله لخير الخلق-

---

ورواته ثقات مشهورون والبزار بنحوه.

[1] (2) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب النكاح- باب حق الزوج على المرأة- ص2588 برقم (1853), وأحمد في مسنده 4/381, وابن حبان في صحيحه 9/479 عن عبد الله بن أبي أوفى, صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق شعيب الأرنؤوط, ط/الثانية 1414هـ, مؤسسة الرسالة- بيروت, وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (1938).

[2] (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب النكاح- باب في حق الزوج على المرأة- ص1380 برقم (2140), والدارمي في سننه- كتاب الصلاة- باب النهي أن يسجد لأحد- 1/406 برقم (1463) عن قيس بن سعد, والحاكم في المستدرك 2/204 وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص. سنن الدارمي للإمام عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي, تحقيق فواز أحمد زمرلي وغيره والأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها, ط/الأولى 1407, دار الكتاب العربي- بيروت.

صلوات ربي وسلامه عليه- وهو أولى به لـو كـان جـائزا في شريعتنا, ولما كان غير جـائز نهـاهم عنـه أشـد النهي, وأكـد ذلك بأنـه لـو كـان ينبغي أن يـأمر أحـدا من البشـر ليسـجد لغيره لأمر المرأة أن تسجد لزوجها.

وعلى الرغم من أن حق النبي- صلى الله عليه وسلم- على المؤمنين أعظم من حق الرجل على زوجته لم يسمح لأحد من الأمة بالسجود له- صلى الله عليه وسلم- تشـــريفا وتكريما؛ لأن ذلك حق خالص للمولى جل وعلا.

"فإذا كان النبي- صلى اللـه عليـه وسـلم- قـد نهى أن يسجد له من بـاب التكـريم والتعظيم, فـإن غـيره من بـاب أولى؛ إذ إنه- صلى الله عليه وسلم- سـيد ولـد آدم, وأكـرم الخلق على الله تبارك وتعالى؛ ولذلك لم ينقل عن أحـد من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم سجدوا هذا السـجود لأحـد من المخلوقين كائنا من كان"[1].

وكـل مـا ذكـر في الصـورة الثانيـة من صـور الركـوع والسجود لغير الله لدى مسلمي نيجيريا مما اعتـبره القـوم طرقـا للتحيـة والتكـريم من الانحنـاء بـالرأس أو بـالظهر, والجثو, والجلوس, والقعود, والانبطاح إذا أريد بتلك الأفعال التعظيم مثل تعظيم الله فهـو شـرك, وإذا كـان المـراد بهـا التقدير والاحترام وليس غير فهـو محـرم لعمـوم النهي عن السجود لغير الله الذي لم يخصص منه معـنى من المعـاني بالجواز.

ولأن النبي- صلى الله عليه وسلم- قد نهى عن يسـجد له من باب التكريم والتعظيم وقال: (... لو كنت آمـرا أحـدا أن يسـجد لأحـد لأمـرت النسـاء أن يسـجدن لأزواجهن لمـا جعل الله لهم عليهن من الحق)[2].

فالانحنـاء بـالرأس الـذي هـو أخـف طـرق التحيـة عنـد القـوم حكمـه أنـه محـرم, وسـأورد فيمـا يلي أدلـة تحـريم الانحناء, فإذا ثبت تحريمه فمن باب أولى أن يكـون مـا هـو أقبح منه أشد تحريما.

---

1 (1) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص491.

2 (2) سبق تخريجه ص290.

معنى الانحناء لغة:

الانحناء لغة الانعطاف. يقال: حَناهُ حَنْواً وحَنَّاهُ أي: عَطَفَهُ, فانْحَنَى وتَحَنَّى: انْعَطَفَ[1].

وقال في لسان العرب: حَنَا الشيءَ حَنْواً وحَنْياً, وحَنَّاهُ: عَطَفه. والانْحِناءُ الفعل اللازم وكذلك التَّحَنِّي. وانْحَنى الشيءُ: انعطف, وانْحَنى العُودُ وتَحَنَّى: انعطف[2].

والانحناء بهذا المعنى يعم الركوع والسجود؛ لأن الركوع في اللغة: الانحناء[3], وأصل السجود كذلك: الانحناء لمن سجد له معظما[4].

إذن فكل ركوع انحناء, كما أن كل سجود انحناء, ولكن ليس كل انحناء ركوعا, وليس كل انحناء سجودا, فالإنسان قد ينحني برأسه فقط فلا يصل إلى حد الركوع أو السجود الشرعيين.

أما إذا قصد بالانحناء بأي شكل كان تعظيم المنحنى له فيدخل حينئذ في معنى السجود؛ إذ قد دخل فيه معنى التذلل والخضوع, وكلاهما من العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى.

ولذلك قال ابن جرير الطبري: "أصل السجود الانحناء لمن سجد له معظما بذلك, فكل منحنٍ لشيء تعظيما له فهو ساجد"[5].

وعلى هذا فكل انحناء سواء كان بالرأس أو بأعلى الجسم إذا قصد به التحية والإكرام فهو محرم لورود النهي عنه في الحديث.

أما إذا كان المقصود من الانحناء هو العبادة والتعظيم فهذا شرك أكبر مخرج من الملة. قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى, وقد سئل عن الانحناء

---

1 (1) القاموس المحيط ص1648, وانظر: مختار الصحاح ص167.
2 (2) لسان العرب 14/202.
3 (3) فتح القدير 1/95.
4 (4) تفسير الطبري 1/338.
5 (5) المرجع السابق 1/338.

ووضع اليد على الجبهة فقال: "الانحناء عند السلام حرام إذا قصد به التحية. وأما إن قصد به العبادة فكفر. ووضع اليد على الجبهة مثل السجود ويدخل في الشرك"[1].

قال ابن القيم رحمه الله: "نهى النبي- صلى الله عليه وسلم- الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه كما يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة, بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلا, حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه, ثم يرفع رأسه من الركوع كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات, أخذوا من الصلاة سجودها, وأولئك ركوعها, وطائفة ثالثة قيامها, يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة, فقاسمت الفرق الثلاث أجزاء الصلاة. والمقصود أن النبي- صلى الله عليه وسلم- نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدا لذريعة الشرك كما نهى عن السجود لغير الله, وكما نهاهم أن يقوموا في الصلاة على رأس الإمام وهو جالس مع أن قيامهم عبادة لله تعالى, فما الظن إذا كان القيام تعظيما للمخلوق وعبودية له, فالله المستعان[2].

وبناء على هذا الأصل فكل ما يفعل من العادات والتقاليد مما يعتبره الناس من باب التحية والاحترام مثل الوقوف على الركبتين, والجثو على الركب, والانبطاح, والقعود على الرجلين, فكلها محرمة للأسباب التالية:

1- ما ورد من تحريم الانحناء للتحية والإكرام سواء بلغ حد الركوع الشرعي أم لم يبلغ, ومن ذلك:

ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله, الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: (لا), قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: (لا), قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: (نعم)[3].

---

[1] (1) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ 1/109, وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية 1/377.

[2] (2) إعلام الموقعين 3/154-155.

[3] (3) سبق تخريجه ص47.

2- أن النهي عن الانحناء كان سدا لذريعة الشرك, والعلة التي من أجلها نهي أهل الإسلام عن الانحناء أوضح في هذه العادات أكثر من وضوحها في الانحناء, وهي التذلل والخضوع لغير الله الذي هو من العبادة, فالوقوف أو القعود على الركبتين, والجثو على الركب, والانبطاح, فيها أوضح صورة للخضوع والتذلل والتطامن للمخلوق أكثر من الانحناء.

3- أن السنة قد بينت طريقة التحية عند أهل الإسلام وليس منها شيء من هذه الطرق التي اعتادها القوم للتحية والاحترام, بل المصافحة هي التي جاءت بها السنة كما ظهر في حديث أنس السابق وغيره من الأحاديث.

4- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- نهى أصحابه أن يقوموا عليه كما يقوم الأعاجم على ملوكهم لما جلس في الصلاة, فنهاهم عن التشبه بالكفار رغم أن القيام عبادة وركن من أركان الصلاة, وكذلك أصل هذه العادات من الكفار فينبغي تجنبها.

وقد كان منهجه- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- أنه يبقي الناس على ما هم عليه قبل الإسلام ما لم يتعارض مع الشريعة الإسلامية, أما إذا تعارض مع الشريعة الإسلامية كان أسرع الناس إلى تبيين ذلك لهم وتحذيرهم منه, فمما كان عليه الناس قبل الإسلام ووافقهم حلف الفضول[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قد تقدم النهي عن القيام كما يفعله الأعاجم بعضها لبعض, فكيف بالركوع والسجود, وكذلك ما هو ركوع ناقص يدخل في النهي عنه"[2].

وقـــال في موضع آخـــر: "فـــإذا نهت الشـــريعة عن مشـــابهة الأعـــاجم دخل في ذلك ما عليه الأعـــاجم الكفـــار قديما وحـــديثا, ودخل في ذلك ما عليه الأعـاجم المسـلمون مما لم يكن عليه السابقون الأولون, كما يدخل في مسـمى

---

1 (1) انظر: البداية والنهاية تأليف الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء 2/291, مكتبة المعارف- بيروت.

2 (2) مجموع الفتاوى 1/377.

الجاهلية العربية ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام وما عاد إليه كثير من العرب من الجاهلية التي كانوا عليها"[1].

وإني لأعلم أن هذه الحقيقة ستكون في غاية المـرارة لدى الأغلبية الساحقة من مسلمي نيجيريا لكن الـذي نـدعو إليـه هـو طي صـفحات الماضـي والإقلاع عن تلـك العـادات السيئة والتقاليد الجاهلية التي بها استعبد بعض الناس بعضا بعد أن ولدتهم أمهاتهم أحرارا, فالحق رائد المـؤمن, وقـوة الدليل من الكتاب والسنة هي الفيصل بين الحق والباطل.

تقول اللجنـة الدائمـة في المملكـة العربيـة السـعودية في الجواب عن سؤال وجه إليها, ونص السـؤال: "انخرطنا في نـادي من نـوادي الكاراتيه بأمريكا وقـال المـدرب: إنه يجب أن تنحني عندما ينحـني لك هـو، فرفضـنا وشـرحنا له ذلك في ديننا فوافـق, ولكن قـال: على أن نحـني فقط الـرأس؛ لأنه هو يبـدؤك بالانحنـاء فلا بد أن تـرد تحيتـه, فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

والجواب: "لا يجوز الانحناء تحية للمسلم ولا للكـافر, لا بالجزء الأعلى من البـدن ولا بـالرأس؛ لأن الانحنـاء تحيـة عبادة, والعبادة لا تكون إلا لله وحده"[2].

فالمشـروع في تحيـة المسـلم لأخيـه عنـد اللقـاء هـو المصافحة لما روي عن قتادة رضـي اللـه عنـه قـال: "قلت لأنس: أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم"[3].

وعن البراء رضـي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه- صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا)[4].

---

1 (3) اقتضاء الصراط المستقيم ص162.

2 (1) فتاوى اللجنة الدائمة 1/233-234, فتوى رقم (5313).

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاستئذان- باب المصافحة- ص 528 برقم (6263) عن قتادة.

4 (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب- باب في المصافحة- ص 1604 برقم (5212), والترمذي في سننه- كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله- باب ما جاء في المصافحة- ص1926 برقم (2727) عن البراء بن عازب وقال: هذا حديث حسن غريب, وصححه الألباني

وكذلك حديث أنس الذي سبق ذكره.

هذا هو الصواب المؤيد بالأدلة الصريحة من السنة النبوية, فلا عبرة بما عليه كثير من مشايخ الصوفية في المجتمع النيجيري الذين يستعبدون أتباعهم ومريديهم ويستمتعون بما يفعله هؤلاء الأتباع إذا رأوهم من بعيد حيث يخلعون الأحذية وينحنون بالظهور مسرعين إليهم لتحيتهم, وإذا طلب أحدهم أن يدعو له شيخه فتراه يقعد على ركبتيه, وينحني برأسه وظهره, تكاد جبهته تمس الأرض خضوعا وتذللا, ويتهيأ لنزول بركة الدعاء عليه حسب زعمهم.

ولقد شاهدت مواقف عدة لمشايخ الصوفية مع أتباعهم ومريديهم, فيكون المشايخ جالسين مطمئنين, والأتباع واقفين تعظيما وتبجيلا لمشايخهم, لا حركة ولا كلام لأحد منهم إلا بإذن شيخه وكأنهم جثث بين يدي المغسّل.

إن هذا النوع من التحية والتعظيم قد وصل إلى حد الشرك لما لوحظ فيه من ذل النفوس وخضوع الجباه والتضرع بين يدي المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا, وما بالك بغيره.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ؛ فإنه شرك من الساجد والمسجود له, والعجب أنهم يقولون: ليس هذا سجودا, وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراما وتواضعا, فيقال لهؤلاء: ولو سميتموه ما سميتموه, فحقيقة السجود وضع الرأس لمن يسجد له, وكذلك السجود للصنم وللشمس وللنجم وللحجر, كله وضع الرأس قدامه"[1].

مسألة: حالات القيام وأحكامها:

أما القيام فله ثلاث حالات[2]:

الحالة الأولى: أن يقوم عليه وهو جالس للتعظيم كما تعظم العجم ملوكها وعظماءها, كما بينه النبي- صلى الله عليه وسلم, فهذا لا يجوز, ولهذا أمر النبي- صلى الله

في السلسلة الصحيحة برقم (525).

1 (1) مدارج السالكين 1/344-345.

2 (2) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز 4/394-395.

عليه وسلم- الصحابة أن يجلسوا لما صلى بهم قاعدا, أمرهم أن يجلسوا ويصلوا معه قعودا, ولما قاموا قال: (إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود, فلا تفعلوا, ائتموا بأئمتكم, إن صلى قائما فصلوا قياما, وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا)[1].

الحالة الثانية: أن يقوم لغيره واقفا لدخوله أو خروجه من دون مقابلة ولا مصافحة, بل لمجرد التعظيم, فهذا أقل أحواله أنه مكروه. وكان الصحابة- رضي الله عنهم- لا يقومون للنبي- صلى الله عليه وسلم- إذا دخل عليهم, لما يعلمون من كراهيته لذلك- عليه الصلاة والسلام, ففي هذا النوع من القيام ورد الحديث الذي روي عن معاوية قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم يقول: (من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار)[2].

الحالة الثالثة: أن يقوم مقابلا للقادم ليصافحه أو يأخذ بيده ليضعه في مكان أو ليجلسه في مكانه, أو ما أشبه ذلك, فهذا لا بأس به وهو من مكارم الأخلاق, بل هو من السنة, وقد قام النبي- صلى الله عليه وسلم- لفاطمة, وقامت له رضي الله عنها, وقام الصحابة رضي الله عنهم بأمر النبي لسعد بن معاذ رضي الله عنه لما قدم ليحكم في بني قريظة, وقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بين يدي النبي- صلى الله عليه وسلم- لما جاء كعب بن مالك رضي الله عنه حين تاب الله عليه فصافحه وهنأه ثم جلس.

وأما ما يفعله بعض الجهال من المسلمين في بداية الحفلات حيث يقوم أحدهم ليدعو فيطلب من الحضور أن يقوموا ويبقوا واقفين حتى ينتهي من الدعاء, فإن ذلك

---

1 (3) أخرجه مسلم, كتاب الصلاة, باب ائتمام المأموم بالإمام, ص744 برقم (413), عن جابر بن عبد الله.

2 (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب- باب الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك- ص1605 برقم (5229), والترمذي في سننه- كتاب الأدب عن رسول الله- باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل- ص 1929 برقم (2755) عن معاوية وقال: هذا حديث حسن, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (357).

بدعـة مـا أنـزل اللـه بهـا من سـلطان, وهي عـادة أخـذها مسـلمو جنـوب نيجيريـا عن جـيرانهم النصـارى, وقـد قـال رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليـه- محـذرا أمتـه من التشبه بالكفار: (من تشبه بقوم فهو منهم)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم, وإن كان ظـاهره يقتضي كفر المتشبِّه بهم"[2].

ومن المسائل التي يحسن ذكرها في هذا الصـدد تلـك الصعوبة التي يجدها بعض الملتزمين بأمر الله وأمر رسوله فيما يتعلق بالتحية, فتجد واحدا منهم إذا دخل على شـخص كبير الشأن أو صاحب منصـب أو عـالم كبـير ممن لا يـرون احترام الغـير لهم إلا بالانحنـاء أو الركـوع أو الجثـو, فيفعـل هذا الملتزم لهذا الشخص واحدا من هذه الأمـور إرضـاء لـه حـتى لا يظن أنـه حـط من قـدره أو بخسـه حقـه؛ فيتخـذ الموقف الشديد ضده.

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله تعالى أثناء كلامه عما أسماه بالتواضع الجاهلي في المجتمع النيجـيري: "ومن العلماء من يطوون قلـوبهم على كـره هـذه العـادات وعلى اسـتهجانها, ولكنهم لا يملكـون من الأمـر شـيئا, ولا يجدون مفـرا ولا ملجـأ من فعلهـا لمن لا يرضـى إلا بفعلـه, وأنا من أولئك النفر الذين يرضخون قسـرا على فعلهـا لهم ويعتمدون في ذلك على الحديث القائل: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[3]"[4].

تعليق:

1 (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب اللباس- باب في لبس الشهرة- ص1518 برقم (4031) عن ابن عمر, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (11094).

2 (3) اقتضاء الصراط المستقيم ص83.

3 (1) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب الطلاق- باب طلاق المكره والناسي- ص2599 برقم (2045) بلفظ (إن الله وضع...), وابن حبان في صحيحه 16/202 برقم (7219), والحاكم في المستدرك 2/216, والطبراني في المعجم الكبير 11/133, والبيهقي في السنن الكبرى 10/60 عن ابن عباس, وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في التلخيص.

4 (2) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص155.

لكننا نقول بـأن هـذا ليس هـو الحـل النـاجع للمشـكلة القائمة, وإنما الحل أن يفهّم هؤلاء الناس ما هـو المشـروع في ديننا الحنيف مستدلا بما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسـوله- صـلى اللـه عليـه وسـلم- في هـذا الشـأن, ثم إذا فهمــوا نكــون نحن مستمســكين بهــذا المبــدأ الإســلامي معتمدين على الله الآمر به, فلا نخاف بعد ذلـك لومـة لائم؛ لأن من أراد أن يكـون عبـدا للـه خالصـا فلا يسـجد إلا لـه سبحانه وتعالى, ولا يخضع ولا يذل للمخلوق الضـعيف؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ويعجبـني مـا قالـه الشـيخ آدم في موضـع آخـر من كتاباتـه, ولعـل ذلـك اسـتدراك منـه على نفسـه حيث قـال: "ومن العلماء من يطوون قلـوبهم على كـره هـذه العـادات واستهجانها, ولكنهم لا يملكون من الأمر شيئا؛ لأنهم ليســوا أحـرارا[1] مخلصـين للـدعوة"[2], فلنكن إذن أحـرارا, نحـرّر أنفسنا من عبودية المخلوق ونخلصها لله تعالى.

إن العزة والرفعة التي ينشدها كل إنسان لا تكون أبدا إلا بتطابق تلك المعاني, فكلما كان العبد أشد تعظيما لربه, وأشد خضوعا وانكسارا بين يديه تفتحت له أبـواب مشـرعة إلى أفق فسيح في العزة والعلـو والرفعـة, وأي عـزة فـوق أن يقصر العبد ذله وخضوعه وعبادتـه لمن هـو أهـل لـذلك, ربه ومولاه تبارك وتعـالى, ويكـون بـذلك مسـتغنيا بالخـالق عن خلقه, مستعزا ومسـتقويا ومسـتنصـرا بمن لـه ملكـوت كل شيء, وإليه يرجع كل شيء[3].

ومـا أجمـل الحيـاة! ومـا أسـعد النفـوس حين تكـون جباهـا طـاهرة من سـجود لغـير اللـه تعـالى, وتتطهـر في الوقت نفسه بكثرة التزام الأرض سـجودا بين يـدي خالقهـا وباريها تعالى[4].

---

[1] (3) يقصد الشيخ آدم بهذا بعض العلماء الذين عرفوا الحق ويكرهون هذه التحايا بقلوبهم لكنهم لا يجاهرون بالإنكار على الناس طمعا في الحصول على ما عند الأمراء والسلاطين الذين يحبون هذه التحايا.

[2] (4) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص19.

[3] (1) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص472.

[4] (2) المرجع السابق ص472.

فكل من فهم مضمون العبادة وأنه الخضـوع والتـذلل, وأخلص ذلـك للـه, ثم استشـعر عظمتـه في كـل حـال من أحواله, فإن الله سيرفع قـدره, ويعلي ذكـره, ويجعـل أكـبر جبـابرة الأرض صـغيرا في عينيـه, وينجيـه من كـل مـا يـدار حوله من كيد الأعداء, وأمثلـة ذلـك كثـيرة في حيـاة سـلف هذه الأمة المنصورة ولله الحمد.

ومن النماذج التي تناسب هذا المقام قصة المسـلمين الأوائل الذين هاجروا إلى أرض الحبشة وموقفهم مـع كفـار قريش أمام النجاشي.

فعن أبي موسى رضـي اللـه عنـه قـال: أمرنـا رسـول الله- صـلى اللـه عليـه و سـلم- أن ننطلـق إلى أرض النجاشي, فبلغ ذلك قريشا؛ فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليـد وجمعـوا للنجاشـي هـدايا, فقـدمنا وقـدموا على النجاشي, فأتوه بهدية فقبلها, وسجدوا له ثم قال عمرو بن العاص: إن قومـا منـا رغبـوا منـا عن ديننـا وهم في أرضك, فقـال لهم النجاشـي: في أرضـي؟ قـال: نعم, قـال: فبعث إلينا, فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد, أنا خطيبكم اليوم. فانتهينا إلى النجاشـي وهـو جـالس في مجلسه, وعمرو بن العـاص عن يمينـه وعمـارة عن يسـاره, والقسيسـون والرهبان جلوس سماطين, فقال له عمرو وعمـارة: إنهم لا يسجدون لك. فلمـا انتهينـا إليـه زبَرَنا[1] مَنْ عنـده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله. فقال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا رسوله, وهو الرسول الذي بشر به عيسى برسول يأتي من بعده اسمه أحمد, فأمرنا أن نعبد الله ولا نشـرك بـه شـيئا, ونقيم الصلاة, ونؤتي الزكاة, وأمرنـا بـالمعروف, ونهانـا عن المنكر, قـال: فـأعجب النـاس قوله, فلمـا رأى ذلـك عمـرو قال له: أصـلح اللـه الملـك إنهم يخالفونـك في عيسـى ابن مريم, فقـال النجاشـي لجعفـر: مـا يقـول صـاحبك في ابن مريم؟ قـال: يقـول فيـه هـو روح اللـه وكلمتـه أخرجـه من البتول العذراء لم يقربها بشر, قال: فتناول النجاشـي عـودا

---

[1] (3) زبره: انتهره ونهاه عن الإقدام على ما لا ينبغي. انظر: لسان العرب 4/315 مادة (زبر).

من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان, ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه, مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده, فأنا أشهد أنه رسول الله, وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم, ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه, امكثوا في أرضي ما شئتم. وأمر لهم بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهم[1].

هكذا ينصر الله من يخلص عبوديته له سبحانه وتعالى, ويمكنه في أرضه, وينجيه من كيد أعدائه, وبمثل هذا فليعمل العاملون, قال تعالى: [illegible] (النور:55).

شبه وردود

الشبهة الأولى:

استدلالهم بالحديث الموضوع: (عادة أهل البلد كالسنة), والأثر: (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن, وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ).

ورد هذه الشبهة كالتالي:

إن الذين لا يرون احترام الناس لهم إلا بالركوع والسجود من المنتسبين للعلم الشرعي يستدلون بما يزعمونه حديثا وهو قولهم: (عادة أهل البلد كالسنة), وهذا القول ليس في شيء من كتب الحديث أصلا, لا بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف, إنما هو موضوع, كذبوا به على رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه, ولقد توصلت إلى هذه الحقيقة بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال, إذن فلا يقوم الاحتجاج بمثله أصلا.

وأما الأثر: (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن, وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ), وهو

---

[1] (1) أخرجه الحاكم في المستدرك 2/338, وابن أبي شيبة في مصنفه 7/350, وأبو نعيم في حلية الأولياء 1/115 عن أبي موسى, وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين, ووافقه الذهبي في التلخيص.

أثر ثابت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلا أنه ليس حجة لهم.

وقد تحدث حول هذا الأثر الإمام ابن القيم رحمه الله في الفروسية فقال: "ليس من كلام رسول الله, وإنما يضيفه إلى كلامه من لا علم له بالحديث, وإنما هو ثابت عن ابن مسعود من قوله, ذكره الإمام أحمد وغيره موقوفا عليه"[1].

ومن جهة الاستدلال بالأثر فقد أجاب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني إجابة مفصلة تفي بالمقصود في هذا الصدد؛ ولذلك أرى الكفاية في إيراد كلامه, يقول- رحمه الله تعالى: "إن من عجائب الدنيا أن يحتج بعض الناس بهذا الحديث على أن في الدين بدعة حسنة, وأن الدليل على حسنها اعتياد المسلمين لها!!

ولقد صار من الأمر المعهود أن يبادر هؤلاء إلى الاستدلال بهذا الحديث عندما تثار هذه المسألة.

وخفي عليهم:

أ- أن هذا الحديث موقوف, فلا يجوز أن يحتج به في معارضة النصوص المرفوعة القاطعة في أن (كل بدعة ضلالة)؛ كما صح عنه- صلى الله عليه وسلم.

ب- وعلى افتراض صلاحية الاحتجاج به؛ فإنه لا يعارض تلك النصوص لأمور:

الأول: أن المراد به إجماع الصحابة واتفاقهم على أمر؛ كما يدل عليه السياق, ويؤيده استدلال ابن مسعود به على إجماع الصحابة على انتخاب أبي بكر خليفة.

وعليه؛ فاللام في (المسلمون) ليس للاستغراق كما يتوهمون, بل للعهد.

الثاني: سلمنا أنه للاستغراق, ولكن ليس المراد به قطعا كل فرد من المسلمين, ولو كان جاهلا لا يفقه من

---

[1] (1) الفروسية للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ص 298-299, تحقيق مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان ط/الأولى 1414هـ- 1993م, دار الأندلس- السعودية.

العلم شيئا؛ فلا بد إذن من أن يحمل على أهل العلم منهم, وهذا مما لا مفر لهم منه فيما أظن"[2].

الشبهة الثانية:

تجويزهم للسجود لغير الله مستدلين بقوله تعالى: (البقرة:34), وقوله تعالى: (يوسف:100).

ورد هذه الشبهة كالتالي:

لا يحتاج رد هذه الشبهة إلى إطالة الكلام, وقد سلف القول بأن السجود المصروف للمخلوق بأمر الله تعالى وشرعه في هاتين الآيتين ليس من معاني العبادة, بل هو للتكريم والتشريف والتحية, والتحية بهذه الصورة كانت مما هو مباح في شريعتهم, ولكنها منسوخة في الشريعة التي جاء بها نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم, يدل على ذلك عموم النهي عن السجود لغير الله مثل قوله جل وعلا: (فصلت:37).

استدل الشيخ إسماعيل الدهلوي بهذه الآية الكريمة على كلامه تحت عنوان: (السجود بجميع أنواعه لا يجوز إلا لله تعالى), وعلق عليها قائلا:

"فقد دلت هذه الآية على أن السجدة من أعظم شعائر العبادة, وهي مختصة بالخالق جل وعلا, فلا تجوز لمخلوق, وقد تساوى في هذه الصفة القمر والشمس, والنبي والولي, ومن قال إنه قد جاز السجود في الأديان القديمة لبعض المخلوقات, ونقل ذلك بالخبر الصحيح, فصح سجود الملائكة لآدم, وسجود يعقوب ليوسف, فلا بأس أن نسجد لشيخ أو ولي, فهذا باطل. فقد جازت أشياء في الأديان السابقة وحرمت في ديننا, وقد أبيح النكاح بالأخوات الشقيقات في عهد آدم, فهل يبيح هؤلاء المحتجون بهذه الدلائل أن يتزوج الإخوة أخواتهم؟ والأصل أن العبد مكلف بامتثال أمر ربه, فعليه أن يمتثل أمره عن رضا وطواعية نفس, لا يجد في نفسه حرجا مما أمر به, ولا يحاج ولا

---

[2] (2) علم أصول البدع ص131-132.

يتشبث بأمور الأولين وأخبارهم, وبأن هذا الأمر بدع لم يسبق له نظير, أو معارض للشرائع القديمة, لأن هذا يؤدي إلى الكفر, ومثل ذلك أن ملكا أصدر مرسوما في مملكته, وبقي هذا المرسوم مدة ثم نسخ, وأبدل بمرسوم آخر, فمن قال إني سأظل متمسكا بالمرسوم الأول ولا أقبل المرسوم الجديد اعتبر خارجا على الملك محاربا له"[1].

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له, ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام, فحرم هذا في هذه الملة, وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى, هذا مضمون قول قتادة وغيره"[2].

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله: □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□ □ □ □ (يوسف:100) أي الأبوان والأخوة, والمعنى: أنهم خروا ليوسف سجدا, وكان ذلك جائزا في شريعتهم منزلا منزلة التحية"[3].

الشبهة الثالثة:

زعم بعضهم بأن السجود المنهي عنه هو وضع الجبهة على الأرض.

ورد هذه الشبهة كالتالي:

نقول: إذا كانوا يزعمون بأن السجود المنهي عنه في الأدلة التي ورد فيها النهي عن السجود لغير الله هو وضع الجبهة على الأرض, فماذا يقولون في تلك الأدلة التي ورد التصريح فيها بالنهي عما لا يصل إلى حد السجود بهذا المعنى مثل حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله, الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: (لا), قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: (لا) قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: (نعم)[4].

---

1 (1) رسالة التوحيد للدهلوي ص96-98.

2 (2) تفسير ابن كثير 2/1469.

3 (3) فتح القدير3/68.

4 (4) سبق تخريجه ص47.

فيعلم من ذلـك بـأن شـريعتنا الغـراء تنهى عن صـرف السجود بمعنى وضع الجبهة على الأرض لغير الله كما تنهى عما هو أقل منه مثـل الركـوع والانحنـاء, سـواء بـالرأس أو بالجزء الأعلى من البدن أو بالظهر كله.

الشبهة الرابعة:

يحتج بعض المنتسبين للدراسات الإسلامية ممن لا يرون الاحترام إلا في الانحناء والركوع والجثو, يحتج على جواز هذه الأنواع من عادات القوم في التحية بما ورد في بعض الأحاديث من بروك الصحابة الكرام أمام رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- مستدلا بتعليق الحافظ ابن حجر على إحدى هذه الأحاديث[1] وهو قوله رحمه الله: "وفي هذا الحديث... جواز تقبيل رجل الرجل, وجواز الغضب في الموعظة, وبروك الطالب بين يدي من يستفيد منه, وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأله في حاجة"[2].

ذكر بعض ما استدلوا به من الأحاديث:

منها: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر, فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أمورا عظاما ثم قال: (من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه, فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا). قال أنس: فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يقول: (سلوني). قال أنس: فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: (النار). فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: (أبوك حذافة). قال: ثم أكثر أن يقول: (سلوني سلوني). فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربا, وبالإسلام دينا, وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا. قال: فسكت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين قال عمر ذلك, ثم قال رسول الله-

---

1 (1) حديث أنس بن مالك الذي فيه (من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه...).

2 (2) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 13/270.

صلى الله عليه وسلم: (أولى والذي نفسي بيده, لقد عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط وأنا أصلي فلم أَرَ كاليوم في الخير والشر)[1].

وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي- صلى الله عليه وسلم- إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: (أما صاحبكم فقد غامر). فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه, ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك, فقال: (يغفر الله لك يا أبا بكر) ثلاثا. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا, فأتى إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فسلم, فجعل وجه النبي- صلى الله عليه وسلم- يتمعر[2] حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله! والله أنا كنت أظلم, مرتين. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: (إن الله بعثني إليكم, فقلتم: كذبت, وقال أبو بكر: صدق, وواساني بنفسه وماله, فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟), مرتين. فما أوذي بعدها[3].

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والنبيون يوم القيامة لقربهم من الله تعالى ومجلسهم منه), فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله صفهم لنا وحلهم لنا, قال: (قوم من أقناء

---

1 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه- ص607 برقم (7294), ومسلم في صحيحه- كتاب الفضائل- باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه- ص1092 برقم (2359) عن أنس بن مالك.

2 (1) يتمعر: أي يتغير وتذهب نضارته من الغضب, وأصله من العر وهو الجرب, يقال: أمعر المكان إذا أجرب. انظر: فتح الباري 7/25, غريب الحديث تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي 2/364, تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي, ط/الأولى 1985م, دار الكتب العلمية- بيروت.

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذا خليلا)- ص297 برقم (3661) عن أبي الدرداء.

الناس, من نزاع القبائل, تصادقوا في الله وتحابوا فيه, يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور, يخاف الناس ولا يخافون, هم أولياء الله عز وجل, الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1].

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نتمنى أن يأتي الأعرابي العاقل فيسأل النبي- صلى الله عليه وسلم- ونحن عنده, فبينا نحن كذلك إذ أتاه أعرابي فجثا بين يدي النبي- صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! إن رسولك أتانا فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: (نعم), قال: فبالذي رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال! آلله أرسلك؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: (نعم)[2].

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

1- أن الاحتجاج بمثل هذه الأحاديث على جواز التحية بالانحناء والركوع والجثو على الركب استدلال في غير محله, فإن هذه الأحاديث كلها لم ترد في الأمر الذي نحن بصدده وهو التحية بهذه الطرق.

2- أن كل ما ورد من بروك الصحابة أو جثوهم عند النبي- عليه الصلاة والسلام- يأتي لأحد هذين الأمرين:

الأمر الأول: إذا حدث أمر أدى إلى غضب النبي- صلى الله عليه وسلم- سواء كان بفعل أحد منهم أو بفعل أكثر من واحد؛ فيرى من يجثو على ركبتيه تعظيما وإجلالا لشأن الرب سبحانه وتعالى وأدبا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- وإكراما له لما يعرفون من استجابة ربه لدعائه إذا غضب, فيصحب هذا الجثو التضرع إلى الله تعالى خوفا من

---

[1] (3) أخرجه الحاكم في المستدرك 4/188 عن عبد الله بن عمر, وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في التلخيص, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (3464).

[2] (4) أخرجه مسلم, كتاب الإيمان, باب السؤال عن أركان الإسلام, ص 682 برقم (12) بدون لفظ: (فجثا بين يدي النبي), والترمذي في سننه- كتاب الزكاة- باب ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك- ص1706 برقم (619), والدارمي في سننه- كتاب الطهارة- باب فرض الوضوء والصلاة- 1/171 برقم (650) عن أنس بن مالك, وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

نزول العقوبة, وإلى هذه الحقيقة يدل حديث أنس بن مالك عند البخاري ومسلم, وحديث أبي الدرداء عند البخاري.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح حديث أنس المتقدم: "قال ابن بطال: فهم عمر منه أن تلك الأسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك, فخشي أن تنزل العقوبة بسبب ذلك فقال: رضينا بالله ربا الخ, فرضي النبي- صلى الله عليه وسلم- بذلك فسكت"[1].

وقال النووي رحمه الله: "قال القاضي: وظاهر الحديث أن قوله- صلى الله عليه وسلم: سلوني, إنما كان غضبا, كما قال في الرواية الأخرى: سئل النبي- صلى الله عليه وسلم- عن أشياء كرهها, فلما أكثر عليه غضب, ثم قال للناس: سلوني, وكان اختياره- صلى الله عليه وسلم- ترك تلك المسائل, لكن وافقهم في جوابها لأنه لا يمكن رد السؤال, ولما رآه من حرصهم عليها, والله أعلم. وأما بروك عمر رضي الله عنه وقوله فإنما فعله أدبا

وإكراما لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وشفقة على المسلمين لئلا يؤذوا النبي- صلى الله عليه وسلم- فيهلكوا"[2].

الأمر الثاني: إذا أراد أحدهم أن يسأل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن شيء من أمور الدين وكان الرسول جالسا, يدل على ذلك حديث ابن عمر عند الحاكم وحديث أنس عند الترمذي.

وقد استنتج الحافظ ابن حجر هذا الأمر من حديث أنس السابق حيث قال: "وفي هذا الحديث... جواز تقبيل رجل الرجل وجواز الغضب في الموعظة وبروك الطالب بين يدي من يستفيد منه وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأله في حاجة[3].

3- أن ما فعله بعض الصحابة من البروك والجثو على الركب في هذه الأحاديث ليس فيه أدنى دليل على التحية

---

[1] (1) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 1/188.

[2] (1) شرح النووي على صحيح مسلم 15/113.

[3] (2) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 13/270.

بالانحناء والركوع والقعود؛ لأن المواقف في تلكما الأمرين المذكورين تتطلب تلك التصرفات أعني الجثو والبروك, ويؤكد ما نقوله:

(أ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه وجثا على ركبتيه ومد بيديه وقال: (اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما أرسلت به, وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به, اللهم اجعلها رحمة, ولا تجعلها عذابا, اللهم اجعلها رياحا, ولا تجعلها ريحا)[1].

ففي هذا الحديث الشريف برهان ساطع على مسيس حاجة الإنسان إلى التضرع والتطامن والتذلل لله تعالى عند خوف نزول العقوبة, فحالة المرء الراجي رحمة ربه والخائف من عذابه يتطلب أن يقدم بين يديه كل شيء يظهر به ضعفه ويعلن به حاجته إلى مولاه القدير القاهر, فهذا رسول الهدى وأفضل الورى وأكرم الخلق على الله تعالى يجثو على ركبتيه خوفا من ربه جل وعلا ورحمة بأمته وشفقة عليهم, [illegible] (التوبة: 128).

(ب) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذات يوم, إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر, لا يرى عليه أثر السفر, ولا يعرفه منا أحد, حتى جلس إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه, ووضع كفيه على فخذيه, وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام... [2].

---

[1] (3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 11/213, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 10/195: رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الرحبي أبو علي الواسطي الملقب بحنش وهو متروك, وقد وثقه حصين بن نمير, وبقية رجاله رجال الصحيح, وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (4217).

[2] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان...- ص681 برقم (8) عن عمر بن الخطاب.

وكذلك يظهر في هذا الحديث احتياج السائل إلى أن يجلس أو يقعد أو يبرك أمام المسؤول إذا كان المسؤول جالسا, وهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى الاستدلال؛ إذ لا يعقل أبدا أن يكون المعلم في حالة الجلوس ويقوم عليه الطالب استعلاء, فما من شك أن هذا يتنافى مع آداب طلب العلم. فالبروك والجثو على الركبتين هنا كان في مقام التعليم, فلا يستدل به على الجثو أو الانحناء في التحية.

4- نفترض أننا سلمنا جدلا بأن ما فعله الصحابة من البروك والجثو على الركب في تلك الأحاديث فعلوه تعظيما واحتراما للنبي- عليه الصلاة والسلام- فإن ذلك يكون في حالة خاصة لا يمكن تعميمه, فالنبي- عليه الصلاة والسلام- لن يقبل مثل هذا النوع من الاحترام في التحية؛ لأنه يخالف تماما ما عرف عنه, وما حث عليه صحابته من التواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان. ومما ورد في تواضعه- صلوات ربي وسلامه عليه:

قوله- صلى الله عليه وسلم: (إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)[1].

وقال الإمام ابن القيم: "دخل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مكة عام الفتح واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته"[2].

وفي هديه- صلى الله عليه وسلم- في هيئة الجلوس للأكل تقول عائشة رضي الله عنها: كان لا يأكل متكئا, ويقول: (آكل كما يأكل العبد, وأجلس كما يجلس العبد)[3].

---

1 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار- ص1175 برقم (2865) عن عياض بن حمار.

2 (3) زاد المعاد 3/418, وأخرجه الحاكم في المستدرك 4/352 بلفظ: (دخل مكة وذقنه على رحله متخشعا) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه, وقال الذهبي: على شرط مسلم.

3 (1) أخرجه أبو يعلى في مسنده 8/318 عن عائشة, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/582: رواه أبو يعلى وإسناده حسن. مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي التميمي, تحقيق حسين سليم أسد, ط/الأولى 1404هـ- 1984م, دار المأمون للتراث- دمشق.

"وكان يأكل وهو مقع, ويذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه, ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعا لربه عز وجل, وأدبا بين يديه, واحتراما للطعام وللمؤاكل"[1].

وله أيضا من الأخلاق أطيبها وأزكاها كالحلم, والوقار, والسكينة, والرحمة, والصبر, والوفاء, وسهولة الجانب, ولين العريكة, والصدق, وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد, والتواضع, وخفض الجناح لأهل الإيمان[2].

الفصل الثاني
النذر والذبح

المبحث الأول
وجوب إفراد الله تعالى بالنذر والذبح

أولا: النذر

النذر لغة: الإيجاب[3], يقال: نذر على نفسه, ينذِرُ, وينذُرُ نذراً ونذوراً: أوجبه[4].

---

1 (2) زاد المعاد 4/202.

2 (3) المرجع السابق 1/65.

3 (1) الروض المربع شرح زاد المستقنع تأليف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي 3/375, مكتبة الرياض الحديثة- الرياض 1390هـ.

4 (2) انظر: القاموس المحيط ص619 مادة (نذر).

والنذر شرعا: إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالى شيئا غير محال بكل قول يدل عليه[1].

وقد كان مما عليه أهل الجاهلية من الشرك النذر لغير الله واحترام تلك النـذور وجعلها أشد حرمة مما ينذرونه لله تعالى, يقول جل شأنه: (الأنعام:136).

"روى ابن أبي حـاتم في الآية: يعـني جعلـوا للـه جـزءا من الحرث ولشركائهم ولأوثانهم جزءا, فما ذهبت به الـريح مما سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه, وقالوا: الله عن هـذا غني, وما ذهبت بـه الـريح من جـزء أوثـانهم إلى جـزء اللـه أخذوه. وعباد القبور يجعلون للـه جـزءا من أمـوالهم بالنـذر والصدقة وللأموات والطواغيت جزءا كذلك"[2].

أما أهل الإيمان فإنهم لا يعقدون نذورهم إلا لله تعـالى تحقيقا للتوحيد, كما أخبر الله جـل وعلا عن امـرأة عمـران في قوله تعالى: (آل عمران:35), وقـال تعـالى عن مـريم- عليهـا السـلام: (مريم: 26), كما أثنى على المؤمنين الذين يوفون بنـذورهم فقـال جل وعلا: (الإنسان:7).

هذا هو المنهج عند أهـل الإيمـان من الأنبيـاء والرسـل وأتباعهم, ولم يأت قط عن أحد منهم أنه نذر لغير الله؛ لمـا هـو متقـرر عنـدهم من أن النـذر عبـادة يتقـرب بهـا النـاذر للمنذور له, والعبادات كلها حق خالص لله تعالى لا يشـاركه فيها أحد كائنا من كان[3].

---

1 (3) الروض المربع 3/375, شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى تأليف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي 3/472, ط/الثانية 1996م, دار عالم الكتب- بيروت.

2 (4) تيسير العزيز الحميد ص165.

3 (1) انظر: شبهات المبتدعة ص434.

الأدلة الدالة على أن النذر عبادة, وأن صرفها لغير الله شرك:

مما يدل على أن النذر عبادة يجب إفراد الله تعالى بها وأن صرف شيء منها لغير الله شرك قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (البقرة:270), "فقرن النذر مع النفقة والصدقة, والنفقة والصدقة عبادة, فيكون النذر عبادة"[1].

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الحج:29), قرن النذر مع الطواف, والطواف عبادة لله عز وجل, فالوفاء بالنذر عبادة[2].

ومنه ما روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه, ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه)[3].

وما روي عن عبد الله بن عمر, عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال: يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام, فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم: (أوف نذرك), فاعْتَكفَ ليلة[4].

وينبغي أن يعلم أن ما أمر الله ورسوله بالوفاء به من النذور فيما سبق من الأدلة فإنه نذر طاعة, كأن ينذر المرء أن يتصدق أو يصلي أو يصوم أو يحج أو غير ذلك من فعل الطاعات, أما نذر المعصية فإنه يحرم الوفاء به, بدليل حديث عائشة[5].

---

1 (2) سلسلة شرح الرسائل للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب, والشرح بقلم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص259, أشرف على طبعه عبد السلام بن عبد الله السليمان ط/الأولى 1424هـ- 2003م.

2 (3) المرجع السابق ص260.

3 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأيمان والنذور- باب النذر في الطاعة- ص559 برقم (6696) عن عائشة.

4 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاعتكاف- باب من لم ير عليه صوما إذا اعتكف- ص159 برقم (2042), ومسلم في صحيحه- كتاب الأيمان- باب نذر الكافر وما يفعل فيه إذا أسلم- ص968 برقم (1656) عن ابن عمر.

5 (2) سبق تخريجه ص311, وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (من نذر أن يطيع الله فليطعه...).

ففي هـذه الحجج والـبراهين المـذكورة دلالـة صـريحة على أن الوفاء بالنذر عبادة يجب إفراد الله تعالى بهـا, وأن صرف شيء منها لغير الله شرك أكبر.

ولعلماء أهل السنة والجماعـة أقـوال عـدة في تقريـر هذا الأصل المهم, بينوا من خلالهـا زيـغ النـاذرين لغـير اللـه وضلالهم.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعـالى: "فمـا أسـرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله, ولـو كـانت مـا كانت, ويقولون: إن هذا الحجر وهذه الشـجرة وهـذه العين تقبل النذر, أي تقبل العبادة من دون الله تعالى, فإن النــذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له"[1].

ثانيا: الذبح

الذبح في اللغـة: الشق[2]. قـال ابن فـارس: "ذبح: الـدال والبـاء والحـاء أصـل واحـد, وهـو يـدل على الشـق. فالذبح: مصدر ذبحت الشاة ذبحا"[3].

وشرعا: قطع الحلقوم والمريء والـودجين[4], وقيـل: هو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص[5].

والذبح عبادة عظيمـة يجب إفـراد اللـه تعـالى بهـا, ولا ينبغي صرف شيء منها لغيره, فغير الله لا يستحق العبادة؛ إذ هو عبد مملوك, والعبد لا يعبد, حتى لـو كـان من أشـرف العباد كالملائكة والرسل والأولياء, كلهم عبيد لله عز وجــل؛ ولذلك بين النبي- صلى اللـه عليـه وسـلم- كمـا بين الأنبيـاء والرسل قبله بأن دينه مخالف لدين المشركين, قال تعـالى آمرا رسوله بإعلان البراءة من المشركين ومـا يعبدونـه من دونه: [illegible] (الكافرون:

---

1 (3) إغاثة اللهفان 1/212

2 (4) انظر: القاموس المحيط ص278, المصباح المنير ص173 مادة (ذبح).

3 (5) معجم مقاييس اللغة ص372 مادة (ذبح).

4 (1) المغني لابن قدامة 11/120.

5 (2) معجم ألفاظ العقيدة ص182.

6-1), فالمشركون يذبحون لغير الله, أما النبي- صلى الله عليه وسلم- ومن اتبعه فإنهم يقدمون ذبائحهم لله وحده لا شريك له ويصلون له, كما أنهم لا يصلون لغيره وكذلك لا يذبحون لغيره.

وعلى ذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم, فلم ينقل عن أحد منهم أنه ذبح لأحد من المخلوقين, بل لم يكونوا يذبحون له- عليه الصلاة والسلام, وهم يعلمون أنه- صلى الله عليه وسلم- أكرم الخلق على الله تعالى, وأحبهم إليه؛ وذلك لكمال علمهم بما أنزل الله تعالى على رسوله- صلى الله عليه وسلم, وتحقيقهم للمقصد الأسمى الذي خلق الجن والإنس من أجله وهو تحقيق التوحيد الخالص لله عز وجل[1].

والذبح على وجه التقرب كان موجودا في الجاهلية, كانوا يذبحون للأصنام, ويذبحون للجن, ويذبحون للكواكب, وغير ذلك مما سوى الله عز وجل.

والذبح لغير الله جريمة نكراء لعن الله من اقترفها على لسان رسوله- صلى الله عليه وسلم- فقال: (لعن الله من ذبح لغير الله)[2], ولا فرق بين أن يكون الشيء المذبوح كثيرا أو

قليلا, جليلا أو حقيرا[3].

والمقصود بالذبح لغير الله أن يذكر على الذبيحة غير اسم الله أو يكون في نيته وقلبه واعتقاده أنه يتقرب بهذه الذبيحة إلى غير الله, أو يريد بهذه الذبيحة دفع شر هذا المذبوح له, فيذبح للجن من أجل دفع شرهم, وخوفا منهم, أو يذبح للصنم من أجل أن الصنم يجلب له الخير ..." [4].

والذبح ينقسم إلى قسمين[5]:

---

1 (3) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص445.

2 (4) سيأتي تخريجه ص316.

3 (1) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان 1/167-168.

4 (2) المرجع السابق 1/168.

5 (3) سلسلة شرح الرسائل ص257.

القسم الأول: الذبح لأكل اللحم, ويقع على وجهين[1]:

الوجه الأول: أن يقع فرحا وإكراما للضيف, أو وليمة لعرس, أو نحو ذلك, "فهذا من الأمور العادية التي قد تكون مطلوبة أحيانا وغير مطلوبة أحيانا, فالأصل أنها مباحة"[2].

الوجه الثاني: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك, فهذا أيضا الأصل فيه الإباحة, قال تعالى: (يس:71-72).

ويدخل في هذا النوع ما ذبح عند النزول أو الانتقال إلى بيت جديد من باب الفرح والسرور, ودعوة الجيران الأقارب.

وهذا القسم الأول الذي حكمه الإباحة بنوعيه يشترط فيه أن يذكر اسم الله عند الذبح لقوله تعالى: (الأنعام: 121), أما إذا ذكر اسم غير الله على الذبح فإنه حينئذ يخرج من كونه مباحا ويصبح أكله محرما على المرء المسلم.

القسم الثاني: ما ذبح عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له, والتذلل له, والتقرب إليه, فهذا نوع من أنواع العبادة؛ ولذلك لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه, وصرف شيء منه لغير الله شرك مخرج من الملة, يقول عز من قائل: (الأنعام:162), ويقول جل وعلا: (الكوثر:2).

فذبح الأضاحي, وذبح الهدي, وذبح العقيقة للمولود كلها عبادة لا يجوز التقرب بها إلا لله تعالى, ومن ذبح لغير الله على وجه التقرب فإنه يكون مشركا الشرك الأكبر.

---

[1] (4) انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص182.

[2] (5) القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص1/214.

وعلى هـذا فيـدخل فيمـا ذبح لغـير اللـه الأصـناف التالية[3]:

1- ما ذبح للأصنام تقربا إليها.

2- ما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير الله.

3- ما ذبح تعظيما لمخلوق وتحية له عند نزوله ووصوله إلى المكان الذي يستقبل فيه.

4- ما ذبح عند انحباس المطر في مكـان معين أو عنـد قـبر لأجل نزول المطر.

5- ما ذبح عند نزول البيوت خوفا من الجن أن تصـيبه, كـل هذا يدخل في الذبح لغير الله, ويكون شـركا باللـه سـبحانه وتعالى.

أدلة وجوب إفراد الله بالذبح, وأن صرفه لغير الله شرك:

هناك أدلة كثيرة في كتاب اللـه تعـالى وسـنة رسـوله- صلى الله عليـه وسـلم- تـدل دلالـة واضـحة على أن الـذبح عبادة عظيمة يجب إفـراد اللـه بهـا, وأن صـرفها لغـير اللـه شـرك, فمن الكتـاب قولـه تعـالى: [illegible] (الأنعام:162-163).

وقوله تعالى: [illegible] (الكوثر:2).

ومن السنة ما روي عن أبي الطفيـل قـال: قلنـا لعلي بن أبي طالب: أخبرنا بشيء أسره إليك رسول الله- صـلى الله عليـه وسـلم- فقـال: مـا أسـر إلي شـيئا كتمـه النـاس ولكـني سـمعته يقـول: (لعن اللـه من ذبح لغـير الله, ولعن الله من آوى محـدثا, ولعن اللـه من لعن والديه, ولعن اللـه من غير المنار)[2].

ومنها ما جاء عن طارق بن شهاب عن سـلمان رضـي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (دخل رجل الجنة في ذبـاب ودخـل النار رجـل في ذبـاب), قـالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: (مـر رجلان على قـوم لهم

---

[3] (1) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد 1/169.

[2] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الأضاحي- باب تحريم الذبح لغير الله- ص1031 برقم (1978) عن أبي الطفيل.

صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب إليه شـيئا, فقـالوا لأحـدهما: قرّب, قال: ليس عندي شيء أقـرّب, قـالوا لـه: قـرب ولـو ذبابا, فقرب ذبابا, فخلوا سبيله, فدخل النـار. وقـالوا للآخر: قرب, فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا غـير اللـه عـز وجل, فضربوا عنقه, فدخل الجنة)[1].

ما يحمد عليه مسلمو نيجيريا فيما يتعلق بالنذر والذبح

مما يشهد له الواقع أن مسلمي نيجيريا من أكثر مسلمي العالم قياما بعبادة الذبح تعظيما للمولى جل وعلا وتقربا إليه, يتضح ذلك من خلال بذلهم لكل غال ونفيس مما يملكونه لشراء شيء من بهيمة الأنعام يذبح أو ينحر أضحية في أيام عيد الأضحى المبارك, فلا تكاد تجد بيتا من بيوت المسلمين قبل حلول العيد بأسابيع إلا ويربط أمامه كبش أو بقرة أو تيس على الأقل.

ولقد بلغ الأمر بهؤلاء المسلمين إلى أن يعتقدوا أن من ذبح لله مرة في عيد الأضحى يلزمه القيام بهذه العبادة

---

[1] (2) أخرجه أحمد في الزهد ص15-16, وابن أبي شيبة في مصنفه 6/473, والبيهقي في شعب الإيمان 5/485, وأبو نعيم في حلية الأولياء 1/203.

العظيمة طيلة حياته؛ ولذلك تجد أمثال هؤلاء إذا كان ممن قدّر عليه رزقه يبدأ في جمع ما سيكفيه لشراء أضحيته قبل حلول عيد الأضحى بأشهر.

وإن كان في هذا الأمر نوع من تكليف الإنسان نفسه بما لا تطيق, لكنه دليل واضح على حب هؤلاء القوم لإراقة دماء بهيمة الأنعام تعبدا لله تعالى وتعظيما لشعائره.

ومما يحسن التنبيه له أن محبة مسلمي نيجيريا لعبادة الذبح لله تعالى لم يقتصر على وقت عيد الأضحى فقط, وإنما قد صار من ديدنهم أنهم يمتثلون أوامر ربهم في الذبح كلما أمر به, فتجدهم يفضلون الذبح للهدي إذا حجوا, كما يذبحون للأضاحي وعقيقة المولود متعبدين بكل ذلك لخالقهم ومولاهم سبحانه وتعالى.

وعلى الرغم من وجود هذا الخير لدى مسلمي نيجيريا فإنه لا يزال يوجد فئات من المسلمين أخذهم حب الدنيا وأدى بهم إلى النذر والذبح وتقديم القرابين لغير الله تعالى, وأكثر من يقدم على هذا الفعل الشنيع جهلة المسلمين وبعض المنتسبين للدراسات الإسلامية والمتصوفة.

المبحث الثاني

النذر والذبح لغير الله حكمهما وصورهما

صور النذر والذبح لغير الله لدى مسلمي نيجيريا:

النذر لغير الله لدى مسلمي نيجيريا له صورتان:

الصورة الأولى:

النذر للمشايخ الأحياء, ويحصل هذا من بعض الجهلة الذين اتخذوا بعض ضعاف الإيمان من المنتسبين للدراسات الإسلامية زعماء روحانيين لأنفسهم, يلجأون إليهم عند الحاجة كطلب المال والولد, أو شفاء المريض, أو قضاء

الديون. وهؤلاء المنتسبون للدراسات الإسلامية هم في حقيقة الأمر أدعياء العلم وليسوا بعلماء بل عملهم الحقيقي هو السحر والشعوذة لكنهم يخادعون الناس بأنهم يدعون الله لهم عند الحاجة, وهم بعيدون كل البعد عمن يدعو الله لمساعدة الناس على قضاء حوائجهم.

وإذا توجه واحد من هؤلاء الجهلة إلى المشعوذين بطلب شفاء مريض له مثلا فإنه بنفسه يبدأ ينذر لهذا المشعوذ أو الساحر قائلا: إذا شفي مريضي فللشيخ كذا وكذا من المال.

الصورة الثانية:

النذر للأموات: إن هذه الصورة من صور النذر لغير الله لم تكن منتشرة جدا كسابقتها لكن ذلك لا يمنع من ذكرها والكلام عنها؛ إذ إنه قد أخذ في طور الانتشار وخاصة بين المتصوفة. وإذا كان سبب دعاء المتصوفة مشايخهم الميتين وتوسلهم بهم هو الاعتقاد بأن هؤلاء المشايخ ينفعون ويضرون فإني لم أجد ما يمنعهم من تقديم النذور لهم أيضا؛ لأن العلة في المسألتين واحدة.

ثم ليعلم أن جريمة دعاء غير الله أعظم من جريمة النذر لغيره مع أن كليهما شرك, فالذي دعا غير الله فبمجرد توجيه دعائه هذا لغير مستحقه فإنه قد أشرك, أما الذي نذر لغير الله فلو أدركه من يبين له الحق قبل وفائه بنذره ثم رجع عنه ولم يوف به واستغفر ربه بعد ذلك فإنه لم يكن مشركا.

فأتباع المتصوفة ومريدوهم وكثير ممن يقتدون بهم من العوام كانوا ينذرون لأهل القبور عند زيارتهم لهم؛ إذ إن زيارتهم ليست شرعية وإنما يزورون تلك المشاهد والأضرحة لعرض حاجاتهم على أصحابها لتقضى, وأثناء تلك الزيارة البدعية يقع ما يقع من النذور لأولئك الأموات, كما يحصل في قبر الشيخ عثمان بن فودي في مدينة "سوكوتو" وقبر الشيخ محمد ناصر المختار الكبرى القادري في مدينة "كانو" وغيرهما من القبور التي تزار في شمال نيجيريا.

أما الذبح لغير الله لدى مسلمي نيجيريا فله أيضا صورتان:

الصورة الأولى:

الذبح وتقديم القربان لشياطين الإنس:

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله تعالى عند كلامه عن الجمعيات الوثنية: "فالجمعيات الوثنية هي التي تمثلها الطوائف الوثنية من عبدة القوى الطبيعية وعبدة أرواح الأسلاف وغيرها, وأعظم الجمعيات الوثنية شوكة هي الجمعيات السرية التي يتألف أعضاؤها من الكهنة والأقيال والملوك الذين يجتمعون فيما بينهم للتآمر على الاغتيالات وسلب الحقوق من أصحابها"[(1)].

وقال أيضا في كلامه عن العين واعتقاد الناس فيها: "إن من اعتقاد اليورباويين حتى اليوم مسألة المرأة العاينة التي تمتص دماء الأطفال والمرضى, يوجد هذا الاعتقاد في جميع الشعوب الإفريقية, ولكنه عند اليوربويين أشد وأرسخ؛ إذ يقل من لا يعتقد بصحتها من سائر طبقات الناس, وكادوا يقولون إنه لا بد من وجود امرأة عاينة واحدة من بين عشر نسوة ويسمونها (طير سوء)؛ لأنها غالبا تستعمل طير البوم في امتصاص دماء الناس"[(2)].

فهاتان الفئتان من شرار الناس هما اللتان أطلقتُ عليهما اسم شياطين الإنس, فلا نستغرب من انضمام بعض المسلمين إلى هاتين الفئتين أو تعامله معهما, وخاصة الجمعيات السرية الوثنية؛ لأنها مثل الماسونية اليهودية التي تجعل التعاون والإخاء شعارا لها وفي الحقيقة هي وثنية من جميع النواحي.

فيوجد الكثير من ضعاف الإيمان من مسلمي نيجيريا الذين لا تسعهم شمولية هذا الدين من يتقربون إلى هؤلاء الشياطين من الإنس بالذبح لهم وتقديم القربان بأنواعه؛

---

[1] (1) موجز تاريخ نيجيريا ص106.

[2] (2) نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري ص31, ط/الثالثة 1411هـ- 1990م, مكتبة وهبة- القاهرة.

ليقضوا لهم حوائجهم أو خوفا منهم من أجل أن لا يضروهم.

وكما تبين سابقا من خلال كلام الشيخ آدم عبد الله الألوري أن هاتين الفئتين تتكون فرقتهما من الكهنة والسحرة والمشعوذين؛ ولذلك قلما تجد من يقدم شيئا من القرابين لهؤلاء الشياطين الأناسي إلا من قد انحرف عقديا بارتياده لبيوت السحرة والمشعوذين.

فتجد أولئك السحرة والمشعوذين الذين هم الوسطاء بين هؤلاء المغفلين وشياطين الإنس يأمرونهم بالذبح ويصرحون لهم بأن الذبيحة تقدم لشياطينهم؛ فتجدهم يعطون أوصافا دقيقة لتلك الذبيحة: نوعها, ولونها, والمكان الذي تذبح فيه, والوقت, وغالبا ما تتم هذه العملية في سرية تامة, داخل الغابات في غالب الأحيان وفي جوف الليل.

وإن مما يحسن ذكره هنا أن هذه الصورة موجودة في شمال نيجيريا وجنوبها وشرقها بل عند جميع القبائل النيجيرية؛ إذ لا توجد قبيلة إلا وعندها الاعتقاد بحقيقة العين, وكذلك الجمعيات السرية كما سلف القول عنها في تمهيد هذا البحث[1].

الصورة الثانية:

الذبح وتقديم القربان لشياطين الجن, ويتم هذا العمل الخبيث عن طريق بعض مرضى القلوب من أدعياء العلم, وفي الحقيقة إني لم أعلم أحدا أشد سعيا في إفساد الإسلام وإضلال المسلمين من هؤلاء الناس, لقد وُجد فيهم من هو وثني قح وهو يدعي صحة انتسابه للإسلام, كما وجد فيهم من قد أخرجه ما صنعت يداه من دائرة الدين الحنيف ولا يزال يعتبر نفسه من المؤمنين, أم ما ذا تقول أيها القارئ الكريم عن شخص يستخدم عظم ابن آدم ليصنع بعض العقاقير يعالج بها الناس؟ وبما تحكم على شخص قد صيّر نفسه عبدا لشياطين الجن, يقدم لهم ما يشاءون لكي يتعاونوا معه في أعماله النتنة؟ إنهم هم المفسدون حقا,

---

1 (1) انظر: ص23-25 من هذا البحث.

وما أكثر أمثالهم في صفوف طلبة الدراسات الإسلامية في نيجيريا.

فطريقة هؤلاء المفسدين أنهم يجعلون أنفسهم زعماء روحانيين للمغترين بهم من جهلة المسلمين, وإذا احتاج الجهلة إلى قضاء حاجة ما كطلب سعة في الرزق, أو شفاء المريض, أو الانتقام من العدو, فإن زعماءهم المفسدين يفرضون عليهم الذبح أو تجهيز القربان من الأطعمة وغيرها لشياطين الجن الذين يتعاونون معهم.

والمشكلة الكبرى في أمر هؤلاء المفسدين أنهم لا يصرحون أبدا بأن الذبيحة التي طلبوها ستقدم للجن؛ ولذلك قلما يشعر من وقع في قبضتهم من ذوي الحاجات وأمروه بهذا الذبح أنه أشرك بالله جل وعلا.

حكم هذه الصور:

إن النذر والذبح عبادتان لا ينبغي صرف شيء منهما إلا لله سبحانه وتعالى, ومن نذر لغير الله وأوفى بنذره, أو ذبح تعبدا وتعظيما لغيره فقد أشرك به تعالى وشابه أهل الجاهلية.

فإفراد الله تعالى وحده بالنذر والذبح وغيرهما من أنواع العبادة هو الطريق المستقيم, والدين القويم الذي عليه أنبياء الله ورسله- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبناء على هذه النصوص الواضحة التي لا تقبل التأويل فإن جميع ما ذكر آنفا من صور النذر والذبح لغير اللـه لـدى مسلمي نيجيريا حكمها شرك, وذلك لما يأتي:

1- أن اللــه تعــالى امتــدح المــوفين بنــذورهم, وهــذا مقتض لتحقيق العبادة الـتي صـرفوها لـربهم وحـده, فقـال تعالى: [illegible] (الإنسان:7).

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[1] رحمه الله مستدلا بقوله تعالى: (البقرة:270), وقوله تعالى: (الإنسان:7), على كون النذر عبادة لا يصح صرفها لغير الله: "فوصف خواص عباده بالوفاء بالنذر, وأثنى عليهم بذلك, وفي الآية الأخرى الوعد بالإثابة والجزاء, فثبت أنه عبادة يحبها الرب ويرضاها, أي الوفاء به, وما كان كذلك فيجب إخلاصه لله؛ لأن صرف العبادة لغير الله شرك"[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: "فإن النذر عبادة مدح الله الموفين به, وأمر النبي- صلى الله عليه وسلم- بالوفاء بنذر الطاعة, وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة, فإن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة, والنذر من ذلك, وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها, وبالاستعانة به في كل شدة ومشقة, فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد, وصرفها لغير الله شرك وتنديد"[3].

كما طلب سبحانه وتعالى من رسوله- صلى الله عليه وسلم- أن يعلن للناس بأن عباداته كلها لله سبحانه وتعالى خالصة له, بل إن حياته ومماته كلها له, وفي هذا برهان ساطع أن فعل هذه العبادات لغير الله شرك, يقول جل

---

1 (1) هو عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي, فقيه, أديب, من آل الشيخ في نجد, ولد ببلدة الدرعية, وارتحل إلى مصر, من مؤلفاته: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس, توفي بالرياض سنة 1292هـ. انظر: معجم المؤلفين 6/10, مشاهير علماء نجد وغيرهم ص70, علماء الدعوة ص47.

2 (1) منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس تأليف العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص240, ط/الثانية 1407هـ- 1987م, دار الهداية للطبع والنشر والترجمة- الرياض.

3 (2) القول السديد في مقاصد التوحيد ص30 (ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي), دار اشبيليا للنشر والتوزيع- الرياض.

وعلا: [illegible]
[illegible]
(الأنعام:162-163).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "يـأمره تعـالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غـير اللـه ويـذبحون لغـير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك, فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له"[1].

وقال العلامة عبـد الـرحمن بن ناصـر السـعدي رحمـه الله تعالى: [illegible] أي:ذبحي, وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما, ودلالتهما على محبة اللـه تعـالى, وإخلاص الدين له, والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح, وبالذبح الذي هو بـذل مـا تحبـه النفس من المـال, لمـا هـو أحب إليها, وهو الله تعالى. ومن أخلص في صلاته ونسـكه, استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله[2].

2- أن الله تعالى أمر رسوله- عليـه الصـلاة والسـلام- بإخلاص الذبح له, وذلك في قوله جـل وعلا: [illegible] (الكوثر:2).

قال الإمـام ابن جريـر الطـبري بعـد ذكـر الأقـوال في معنى النحر في الآية: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصـواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربـك خالصـا دون ما سواه من الأنداد والآلهـة, وكـذلك نحـرك اجعلـه لـه دون الأوثان شكرا له على ما أعطـاك من الكرامـة والخـير الذي لا كفء له, وخصك به من إعطائه إياك الكوثر.

وإنما قلت ذلـك أولى الأقـوال بالصـواب في ذلك؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر نبيه- صلى الله عليه وسلم- بمـا أكرمـه به من عطيته وكرامته وإنعامـه عليـه بـالكوثر ثم أتبـع ذلـك قوله: [illegible] فكان معلوما بذلك أنه خصه بالصلاة له والنحر على الشكر له على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه بإعطائـه إيـاه الكـوثر, فلم يكن لخصـوص بعض الصلاة بذلك دون بعض, وبعض النحر دون بعض وجـه إذ كان حثا على الشكر على النعم.

---

1 (3) تفسير ابن كثير 2/1093.

2 (1) تفسير السعدي ص260.

فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك يا محمد الكوثر إنعاما منا عليك به وتكرمة منا لك, فأخلص لربك العبادة, وأفرد له صلاتك ونسكك خلافا لما يفعله من كفر به وعبد غيره ونحر للأوثان"[1].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسيره للآية: "وقال محمد بن كعب القرظي: يقول: إن ناسا يصلون لغير الله, وينحرون لغير الله, وقد أعطيناك الكوثر, فلا تكن صلاتك ولا نحرك إلا لله. قال ابن العربي: والذي عندي أنه أراد: اعبد ربك, وانحر له, فلا يكن عملك إلا لمن خصك بالكوثر, وبالحرى أن يكون جميع العمل يوازي هذه الخصوصية من الكوثر, وهو الخير الكثير الذي أعطاكه الله ..." [2].

فالمراد بالنحر في الآية: الذبح, أي اجعل نحرك لله كما أن صلاتك له, فأفادت هذه الآية الكريمة أن النحر من العبادة؛ ولهذا أمر الله به وقرنه بالصلاة[3].

فالجمع بين الأمر بالصلاة والنحر حصل في الآية لبيان أنه كما لا تجوز الصلاة التي هي أجل العبادات البدنية لغير الله وكذلك لا يجوز الذبح لغيره؛ إذ هي أيضا من أجل العبادات المالية.

3- ما ورد من نفي النبي- صلى الله عليه وسلم- كل نذر إلا ما يبتغى به وجه الله, كما جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: (لا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله عز وجل)[4].

---

1 (2) تفسير الطبري 12/721.

2 (1) تفسير القرطبي 20/149.

3 (2) القول المفيد 1/220, إعانة المستفيد 1/166. .

4 (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأيمان والنذور- باب اليمين في قطيعة الرحم- برقم (3273), وأحمد في مسنده 2/185 عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده, وقال المتقي الهندي في كنز العمال 9/1125: "أخرجه أبو داود, وقال المنذري الحديث حسن", وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (2801).

وما ورد من النهي عن الذبح لغير الله, وتعليق الوعيد الشديد على ذلك, كما في حديث أبي الطفيل[5].

فمن ذبح لغير الله فهو مشرك ملعون, سواء تلفظ وقال: هذه الذبيحة للقبر, أو للبدوي, أو للسيد الحسين, أو لفلان أو لفلان, أو نوى بقلبه فقط, وهذه الذبيحة حرام؛ لأنها تدخل في قوله: (البقرة: 173), فما أهل به لغير الله يشمل ما ذبح باسم غير الله, ويشمل ما ذبح باسم الله وينوى به الصنم أو الجن أو العفاريت"[2].

ومما ورد في النهي عن الذبح لغير الله حديث سلمان رضي الله عنه في رجل دخل النار من أجل الذباب الذي قربه للصنم[3].

قال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بعد ذكر هذا الحديث: "في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل, وأنه يوجب النار, ألا ترى إلى هذا لما قرب لهذا الصنم أرذل الحيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاؤه النار, لإشراكه في عبادة الله؛ إذ الذبح على سبيل القربة والتعظيم عبادة, وهذا مطابق لقوله تعالى: (المائدة: 72)"[4].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: "فقف وتأمل حكمة الشريعة وسرها في إخلاص العبادة والتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله, ولو بأحقر شيء كالذباب, فكيف بكرائم الأموال! والله المستعان"[5].

4- ما ورد من النهي عن الذبح لله تعالى بمكان تعظم فيه شعائر أهل الجاهلية, مما يدل من باب أولى على التشديد في الذبح لغير الله.

---

[5] (4) سبق تخريجه ص316.

[2] (5) إعانة المستفيد 1/168.

[3] (6) سبق تخريجه ص316.

[4] (1) تيسير العزيز الحميد ص157.

[5] (2) منهاج التأسيس ص247.

ومن ذلك ما روي عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل على عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- أن ينحر إبلا ببوانة فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟) قالوا: لا, قال: (هل كان فيها عيد من أعيادهم؟) قالوا: لا, قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (أوف بنذرك, فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله, ولا فيما لا يملك ابن آدم)[1].

"وقد دل الحديث على أنه لا يجوز سوق دابة تذبح لله إلى مكان تقرب فيه القرابين لغير الله أو يعبد فيه غيره ويجتمع الناس هناك على شرك وإن صحت النية وصلحت العقيدة"[2].

قلت: إن هذه التساؤلات التي حصلت بين رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- من جهة وبين الذي نذر أن يذبح ببوانة والحاضرين معه من جهة أخرى, فيها دليل قوي على التشديد في النهي عن الذبح بمكان تعظّم فيه شعائر أهل الجاهلية مع أن الذبح يقصد به التقرب إلى الله تعالى, وهذا يدل من باب أولى على شدة تحريم الذبح لغير الله.

5- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قد نهى عن سنة أهل الجاهلية في الذبائح, ومن ذلك نهيه عن الفرع الذي كان يفعله أهل الجاهلية لآلهتهم بأن يذبحوا أول النتاج لآلهتهم رجاء البركة فيه. قال- عليه الصلاة والسلام: (لا فرع ولا عتيرة)[3].

والفرع أول نتاج كان ينتج لهم, كانوا يذبحونه لطواغيتهم, والعتيرة في رجب[4].

---

1 (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأيمان والنذور- باب ما يؤمر به من وفاء النذر- ص1470 برقم (3313) عن ثابت بن الضحاك, وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (2834).

2 (4) رسالة التوحيد للدهلوي ص148.

3 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العقيقة- باب الفرع- ص471 برقم (5473), ومسلم في صحيحه- كتاب الأضاحي- باب الفرع والعتيرة- ص1030 برقم (1976) عن أبي هريرة.

4 (2) بعد رواية البخاري السابقة. وانظر: عمدة القاري شرح صحيح

ومن ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (لا عَقرَ في الإسلام)[1].

قال أبو داود بعد الرواية مباشرة: قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة.

وقال ابن الأثير في النهاية: "كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى, أي ينحرونها, ويقولون: إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته, فنكافؤه بمثل صنيعه بعد وفاته"[2].

قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: [illegible] (المائدة:3): "كانت النصب حجارة حول الكعبة... كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها, وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح, ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب"[3].

ثم قال: "فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع, وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب, حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله"[4].

6- ما نقل عن أئمة أهل السنة وعلماء الأمة المعتبرين في تقرير أن النذر والذبح عبادتان لا ينبغي صرف شيء منهما لغير الله, ومن ذلك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشايخ وغيرهم, أو لقبورهم, أو المقيمين عند قبورهم, فهو نذر شرك ومعصية لله تعالى, سواء كان النذر نفقة, أو ذهبا, أو غير ذلك, وهو شبيه بمن ينذر للكنائس والرهبان وبيوت الأصنام"[5].

البخاري تأليف بدر الدين محمود بن أحمد العيني 21/89, دار إحياء التراث العربي- بيروت.

1 (3) سبق تخريجه ص87.

2 (4) النهاية في غريب الحديث والأثر 3/529.

3 (5) تفسير ابن كثير 2/840.

4 (1) تفسير ابن كثير 2/840.

5 (2) مجموع الفتاوى 11/504.

وقال أيضا: "والنذر للمخلوقات أعظم من الحلـف بها, فمن نـذر لمخلـوق لم ينعقـد نـذره, ولا وفـاء عليـه باتفـاق العلماء, مثل من ينذر لميت من الأنبياء والمشائخ وغـيرهم, فكل هذه النذور محرمة باتفاق المسلمين, ولا يجب بـل ولا يجوز الوفاء به باتفاق المسلمين, وإنما يوفى بالنذر إذا كان لله عـز وجـل وكـان طاعة, فـإن النـذر لا يجـوز إلا إذا كـان عبادة, ولا يجوز أن يعبد اللـه إلا بمـا شـرع, فمن نـذر لغـير الله فهو مشـرك أعظم من شـرك الحلـف بغـير الله, وهـو كالسجود لغير الله"[1].

ويـبين رحمـه اللـه أن هـذا محـل اتفـاق بين العلمـاء فيقول: "وقد اتفق العلماء على أنـه لا يجـوز لأحـد أن ينـذر لغير الله, لا لنبي ولا لغير نبي, وأن هذا النذر شرك لا يوفى به"[2].

وقـال الشـيخ قاسـم بن قطلوبغـا الحنفي رحمـه اللـه تعالى في شرح درر البحار: "النذر الذي ينذره أكـثر العـوام على ما هو مشاهد, كأن يكون للإنسان غائب, أو مريض, أو حاجـة ضـرورية, فيـأتي إلى بعض الصـلحاء, ويجعـل على رأسه سترة, ويقول: يا سـيدي فلان, إن رد اللـه غـائبي, أو عوفي مريضي, أو قضيت حاجتي, فلك من الـذهب كـذا, أو من الفضـة كـذا, أو من الطعـام كـذا, أو من المـاء ومن الشمع والزيت كذا, فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه منها:

أنه نذر لمخلوق, والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنـه عبـادة, والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت, والميت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله, واعتقاد ذلك كفر.

... إلى أن قال: إذا علمت هذا فما يؤخـذ من الـدراهم والشمع والزيت وغيرهـا, وينقـل إلى ضـرائح الأوليـاء تقربـا إليهم حرام بإجماع المسلمين"[3].

---

1 (3) المرجع السابق 33/123.

2 (4) المرجع السابق 1/286, وانظر: منهاج السنة 2/440.

3 (1) البحر الرائق شرح كنز الدقائق تأليف زين الدين بن نجيم الحنفي 2/320-321, ط/الثانية, دار المعرفة- بيروت.

ومما نقل عنهم في الذبح:

ما قاله قتادة رحمه الله في معنى قوله تعالى: [illegible] (الأنعام:121): وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع الله إلهـا آخر, أو يسجد لغير الله, أو يسمي الذبائح لغير الله"[1].

وقال البربهاري[2] رحمـه اللـه تعـالى: "ولا يخـرج أحـد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب اللـه عـز وجـل أو يـرد شـيئا من آثـار رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وسلم- أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله, وإذا فعل شـيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام"[3].

وقــال الإمــام النــووي رحمــه اللــه: "اعلم أن الــذبح للمعبود وباسمه نازل منزلة السجود له, وكـل واحـد منهمـا نـوع من أنـواع التعظيم والعبـادة المخصوصـة باللـه تعـالى الذي هو المستحق للعبـادة, فمن ذبح لغـيره من حيـوان أو جماد كالصنم على وجه التعظيم والعبـادة, لم تحـل ذبيحته, وكان فعله كفرا, كمن سجد لغيره سجدة عبادة"[4].

وقال العلامة الشـيخ عبـد الـرحمن بن ناصـر السـعدي رحمه الله تعالى في بيانه أن صرف شـيء من الـذبح لغـير الله شرك: "فإن نصوص الكتاب والسنة صـريحة في الأمـر بالذبح لله, وإخلاص ذلك لوجهه, كما هي صريحة بــذلك في الصلاة, فقد قرن الله الـذبح بالصـلاة في عـدة مواضـع من كتابــه, وإذا ثبت أن الــذبح للــه من أجــلّ العبــادات وأكــبر

---

1 (2) تفسير الطبري 5/325.

2 (3) هو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري الحنبلي, الفقيه العابد, شيخ الحنابلة في وقته, من أهل بغداد, ومن أشد الناس في الإنكار على أهل البدع, كان له صيت عند السلطان, وكان أحد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول المتقنين والثقات المؤمنين, من مصنفاته: شرح كتاب السنة, توفي سنة 328هـ وقيل 329هـ.
انظر: طبقات الحنابلة 2/18, الوافي بالوفيات 12/90, الأعلام 2/201, سير أعلام النبلاء 15/90.

3 (4) شرح السنة للحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد ص31, تحقيق الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني, ط/الأولى 1408هـ, دار ابن القيم- الدمام.

4 (1) روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي 3/205- 206, ط/الثانية 1405هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.

الطاعات, فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج من دائرة الإسلام, فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله"[1].

ذلك هو الحكم الشرعي لتلك الصور المذكورة للنذر والذبح لغير الله لدى مسلمي نيجيريا, وهناك صور أخرى للذبح يحتاج في الحكم عليها إلى تفصيل؛ لتوضيح تلك الأمور التي لبّست على كثير من المسلمين حتى أظهرت لهم الباطل في صورة الحق, فيكون المسلمون حينئذ على بينة من أمورهم فيما يتعلق بعبادة الذبح, فيَسلم دينُهم من شوائب الشرك؛ إذ سلامة الدين لا يعدلها سلامة.

وتلك الصور هي:

1- الذبح إذا شرع المرء في بناء منزل, أو إذا وصل البناء إلى النصف, أو عند اكتمال البنيان وإرادة السكن, وكذلك الذبح عند إقامة مشروع من المشاريع كالمصانع, فهذه الصورة لها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون الذبح للجن أو العين أو غير ذلك من القوى الشريرة؛ خوفا منهم أن لا يضروه, أو إرضاء لهم ورجاء قضائهم للحاجات, فهذا شرك أكبر يستحق فاعله لعنة الله وغضبه؛ لأن الذبح عبادة وقد صرفها لغير الله, وعلامة ذلك أن الذبح في هذه الحالة يحصل غالبا عند باب المنزل ويرش من دم الذبيحة على الجدران ولا يؤكل[2].

الحالة الثانية: أن يكون الذبح لله تعالى مع الاعتقاد أن هذا الذبح يحصل به سلامة المنزل وسلامة ساكنيه من شرور الجن أو العين, فهذه من البدع الشنيعة ووسيلة من وسائل الشرك[3].

---

1 (2) القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص28.

2 (3) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة 1/195 الفتوى رقم (5276), سلسلة شرح الرسائل للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص259.

3 (1) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز 5/388.

الحالـة الثالثـة: أن يكـون الـذبح من بـاب الفـرح والسرور والشكر على ما أنعم اللـه بـه عليـه من الوصـول إلى السـقف أو إكمـال الـبيت, فيجمـع أقاربـه وجيرانـه ويدعوهم لهذه الوليمة ليشـاطروه هـذا الفـرح ويـأكلوا من هذه الذبيحة, فهذه لا بأس بهـا؛ لأنهـا من بـاب الشـكر لنعم اللـه حيث منّ عليـه بتعمـير الـبيت والسـكن فيـه بـدلا من الاستئجار[1].

2- الذبح عنـد قـدوم الضـيوف من الملـوك والرؤسـاء وغيرهم, وهذه الصورة لها حالتان:

الحالـة الأولى: أن يحصـل الـذبح للضـيف القـادم تعظيما له وتحية, فهذا النوع من الذبح شرك أكبر؛ لأنـه من بـاب التحيـة والتعظيم, ويعـرف ذلـك غالبـا بـأن تـذبح هـذه الذبيحة في وجه الضـيف القـادم تحت السـيارة أو الطـائرة تعظيما لهذا الوافد عند نزوله, ثم تترك ولا تؤكل[2].

الحالـة الثانيـة: أن يحصـل الـذبح للضـيف القـادم وليمة, من باب الإكرام والضيافة, فهذا ليس بشـرك, وإنمـا هـو من المباحـات, إذا ذكـر اسـم اللـه على الذبيحـة, ثم طبخت وأكلت, فحكم هـذا الجـواز سـواء ذبح القـادم من السفر بنفسه أو ذبح المستضيف إكرامـا

لضيفه كما سبق؛ لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان إذا قدم من سفر نحر جزورا ودعا الناس لذلك[3][4].

3- الذبح عند الاحتفال, مثل ما يفعله المتصوفة وكثـير من عوام مسلمي نيجيريا من الذبح عنـد الاحتفـال بالمولـد النبـوي في شـهر ربيـع الأول, ومولـد الشـيخ عبـد القـادر الجيلاني في شهر ربيع الثاني, ومولد الشيخ إبراهيم انيـاس في شهر رجب, وهذه الصورة لها حالتان:

---

1 (2) انظر: المرجع السابق 5/388.

2 (3) انظر: سلسلة شرح الرسائل ص259.

3 (4) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا أو بقرة, كتاب الجهاد والسير- باب الطعام عند القدوم- ص248 برقم (3089).

4 (5) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة 5/388.

الحالـة الأولى: أن يحصـل الـذبح في مولـد نـبي أو ولي تعظيما لـه, فهـذا ممـا ذبح لغـير اللـه وهـو شـرك, ولا يجوز الأكل من تلك الذبيحة[1], قال النبي- صلى اللــه عليــه وسلم: (لعن الله من ذبح لغير الله)[2].

قـال ابن عطية[3] رحمـه اللـه في تفسـير قـول اللــه تعالى: ﴿ □□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ ﴾ (المائدة:3): "يعني ما ذبح لغير الله تعالى وقصد به صنم أو بشـر من النـاس كمـا كـانت العـرب تفعل, وكـذلك النصـارى, وعـادة الـذابح أن يسمي مقصوده ويصيح به, فذلك إهلاله"[4].

قال الإمام النووي في شرح حديث (لعن اللــه من ذبح لغير الله): "وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يـذبح باسـم غير الله تعالى, كمن ذبح للصـنم أو الصـليب أو لموسـى أو لعيسى صلى الله عليهمـا أو للكعبة, ونحـو ذلك, فكـل هـذا حرام, ولا تحل هـذه الذبيحة, سـواء كـان الـذابح مسـلما أو نصرانيا أو يهوديا, فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبـادة له, كـان ذلـك كفـرا, فـإن كـان الـذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا"[5].

الحالــة الثانيــة: أن يكــون الــذبح للــه تعــالى لكن بمناسبة الاحتفال بمولد النبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- أو ولي أو شـيخ, فهـذا من البـدع الـتي تضـارع دين النصـارى,

---

[1] (1) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة 1/217 فتوى رقم (10685).

[2] (2) سبق تخريجه ص316.

[3] (3) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن تمام بن عطية, الإمام الكبير قدوة المفسرين, أبو محمد الغرناطي القاضي, كان فقيها, عارفا بالأحكام, والحديث, والتفسير, بارعا بالأدب, واسع المعرفة, كان يتوقد ذكاء, له كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, توفي سنة 541هـ.
انظر: طبقات المفسرين 1/60, الوافي بالوفيات 18/40, الأعلام 3/282.

[4] (4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي 2/150, تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد, ط/الأولى 1413هـ- 1993م, دار الكتب العلمية- بيروت.

[5] (5) شرح النووي على صحيح مسلم 13/141.

وليس للاحتفال بمولد نبي أو ولي أصل في ديننا الإسلامي[6].

ومن البدع في مسألة الذبح ما يفعله بعض مسلمي نيجيريا من تخصيص بعض سور القرآن الكريم بأنه يذبح له, فهذا أمر يشهد له الواقع حيث قد انتشر بين الجهلة من المنتسبين للدراسات الإسلامية أن الإنسان إذا قرأ سورة يس أو طه أو الكهف أو غيرها من السور, وكذلك إذا قرأ القرآن وختمه ثم دعا بعد القراءة فيجب عليه إراقة الدم؛ إما بذبح كبش أو تيس أو دجاج على أقل تقدير, واعتقادهم في ذلك أن الذي قرأ شيئا من القرآن الكريم ثم توسل به إلى ربه فلا يقبل له دعاء حتى يذبح لله تعبدا وتقربا إليه تعالى. فهذا الاعتقاد بدعة كما تقدم؛ إذ الذبح لله تعالى بهذا الوجه من باب اختيار العبد وليس بواجب, إن شاء وقدر على الذبح ذبح تنسكا وتعظيما لله تعالى ويحصل له أجر الذبح, وإن لم يقدر فيكفيه في إجابة الله لدعائه أن يخلص الدعاء لله ويحرص على أن تتوفر فيه شروط الإجابة, والله تعالى أعلم.

وسواء كان حكم الذبح شركا محرما أو بدعة شنيعة, فالذي ندعو إليه نحن هو طيّ صفحات الماضي والإقلاع عن تلك الضلالات التي أفرزتها أهواء العادات والأعراف؛ لنتمسك بمنهج سلف هذه الأمة؛ إذ المشروع ما سلكوه دون ما تركوه, فالحق رائد المؤمن, وقوة الدليل من الكتاب والسنة هي الفيصل بين الحق والباطل, نسأل المولى جل وعلا أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

---

[6] (6) سيأتي وشيكا تفصيل القول في حكم الاحتفال بالمولد النبوي ومواليد الأولياء في الفصل الخامس.

الفصل الثالث
التبرك

المبحث الأول
بيان التبرك المشروع وأنواعه

تعريف التبرك:

قال ابن فارس[1]: "برك: الباء والراء والكاف أصل واحد, وهو ثبات الشيء, ثم يتفرع فروعا يقارب بعضها بعضا, يقال: برك البعير يبرك بروكا. قال الخليل: البرك يقع على ما برك من الجمال والنوق على الماء أو بالفلاة, من حر الشمس أو الشبع, الواحد بارك, والأنثى باركة"[2].

وفي المفردات: "برك: أصل البرك صدر البعير, وإن استعمل في غيره, ويقال له بركة, وبرك البعير ألقى ركبه, واعتبر منه معنى الملزوم فقيل: ابتركوا في الحرب أي: ثبتوا ولازموا موضع الحرب ... وسمي محبس الماء بركة"[3].

وقال أيضا: "والبركة ثبـوت الخـير الإلهي في الشـيء, قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الأعراف:96), وسمي بذلك لثبوت الخير فيـه ثبـوت المـاء في البركة, والمبارك: ما فيه ذلك الخير ... ولما كان الخـير الإلهي يصـدر من حيث لا يحس وعلى وجـه لا يحصـى ولا

---

1 (1) هو أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب القزويني أبو الحسين, الإمام العلامة المعروف بالرازي المالكي, محدث, لغوي, نزيل همذان, كان رأسا في الأدب, بصيرا بفقه مالك, من مصنفاته: المجمل, معجم مقاييس اللغة, توفي سنة 395هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 17/103, العبر في خبر من غبر 3/60, الوافي بالوفيات 7/181.

2 (2) معجم مقاييس اللغة ص108.

3 (3) المفردات ص54.

يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة"[1].

وفي المصباح المنير: "والبركة: الزيادة والنماء. وبارك الله تعالى فيه, فهو مبارك, والأصل مبارك فيه"[2].

فمن خلال ما سبق نقله من كلام أئمة اللغة علم أن أصل البركة الثبوت واللزوم, وتطلق أيضا على النماء والزيادة, والبركة إذن هي: ثبوت الخير ونماؤه.

والتبرك مصدر تبرك يتبرك تبركا, وهو طلب البركة, والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته. والخير كله في يدي الله سبحانه وتعالى دون سائر خلقه, فهو القادر على كل شيء, قال تعالى: [illegible] (آل عمران:26).

قال الإمام الطبري في تفسير الآية الكريمة: "[illegible] أي: كل ذلك بيدك وإليك, لا يقدر على ذلك أحد؛ لأنك على كل شيء قدير دون سائر خلقك, ودون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والأميين من العرب إلها وربا يعبدونه من دونك كالمسيح والأنداد التي اتخذها الأميون ربا"[3].

فالبركة كلها لله تعالى ومنه, وهو المبارِك جل وعلا, وقد وصف نفسه بـ (تبارك) وهذا وصف مختص به لا يصلح إلا له جل وعلا, فهو سبحانه المتبارك[4].

ففي تحية الإسلام أضيفت الرحمة والبركة إلى الله تعالى بينما جرد السلام عن هذه الإضافة, وفي ذلك حكمة أوضحها الإمام ابن القيم حيث قال: "وأما الرحمة والبركة فلا يضافان إلا إلى الله تعالى وحده؛ ولهذا لا يقال: رحمتي وبركتي عليكم, ويقال: سلام مني عليكم وسلام من فلان على فلان, وسر ذلك أن لفظ السلام اسم للجملة القولية بخلاف الرحمة والبركة فإنهما اسمان لمعناهما دون لفظهما, فتأمله فإنه بديع.

---

1 (4) المرجع السابق ص54-55.

2 (1) المصباح المنير ص48.

3 (2) تفسير الطبري 3/220.

4 (3) انظر: بدائع الفوائد 2/412.

وجواب ثالث وهو أن الرحمة والبركة أتم من مجرد السلامة, فإن السلامة تبعيد عن الشر, وأما الرحمة والبركة فتحصيل للخير وإدامة له وتثبيت وتنمية, وهذا أكمل؛ فإنه هو المقصود لذاته, والأول وسيلة إليه"[1].

ولم يرد لفظ (بركات) في القرآن الكريم إلا مسندا لله عز وجل, وكذا لفظ (باركنا) ولفظ (بارك)[2].

ومن السنة ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا, كنا مع رسول- الله صلى الله عليه وسلم- في سفر فقل الماء فقال: (اطلبوا فضلة من ماء). فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: (حي على الطهور المبارك, والبركة من الله). فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[3].

وبما أن حقيقة البركة ثبوت الخير ودوامه, وكثرة الخير وزيادته, وأن الخير كله الديني والدنيوي في يدي الله سبحانه وتعالى, فلا تطلب البركة إلا منه تبارك وتعالى, أو مما أودع فيه البركة, وعلى الوجه المشروع[4].

وعلى هذا فيمكن أن نقول بأن أي نوع من أنواع التبرك المشروع لا بد أن يتحقق فيه أمران[5]:

الأول: ثبوت البركة في ذلك المتبرك به.

الثاني: أن يكون الطريق في التبرك بذلك الشيء مشروعا أو مباحا.

فيخرج بالأول التبرك بما ليس فيه بركة, كالتبرك بالتعاويذ السحرية وأعمال الشعوذة ونحو ذلك, ويخرج بالثاني الطرق البدعية في التبرك, كالتبرك بآثار الصالحين

---

1 (4) المرجع السابق 2/407.

2 (1) التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع ص18, ط/الخامسة 1421هـ- 2000م, مكتبة الرشد- الرياض.

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المناقب- باب علامات النبوة في الإسلام- ص291 برقم (3579) عن عبد الله بن مسعود.

4 (3) التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع ص203.

5 (4) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص840.

وقبورهم, والتبرك بالليالي والأيام والأماكن التي لم يقم دليل على التبرك بها, ونحو ذلك.

هناك أمور كثيرة ثبت بالنصوص الشرعية أن الله تعالى أودع فيها البركة, وهي متعددة إلا أنه يمكن تقسيمها إلى خمسة, وهي:

1- الأشخاص.
2- الأقوال والأفعال.
3- الأماكن.
4- الأزمنة.
5- المطعومات.

وعلى الرغم من كثرة هذه الأشياء التي قد أجازت شريعتنا الغراء طلب البركة بواسطتها وبطريقة شرعية, فإنه يوجد من المسلمين أناس قد ضاق بهم الواسع فأخذوا يطلبون البركة من غير الله تعالى, ويتبركون بأمور لم تكن فيها بركة أصلا, أو بأشياء فيها البركة لكن الطريقة التي سلكوها لطلب تلك البركة ليست مشروعة.

وسأبين المشروع من التبرك بكل من تلك الأمور الخمسة المذكورة آنفا؛ إذ كان الذي يعنيني في هذا المبحث أصلا هو بيان التبرك المشروع وأنواعه.

"النوع الأول: المشروع من التبرك بالأشخاص:

والكلام هنا على جانبين:

الجانب الأول: التبرك بالنبي- صلى الله عليه وسلم.

الجانب الثاني: التبرك بسائر الصالحين.

أولا: التبرك بالنبي- صلى الله عليه وسلم

والتبرك به- صلى الله عليه وسلم- يكون بأمرين:

الأمر الأول: طاعته واتباعه؛ إذ إن ذلك هو سبب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة"[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبى- صلى الله عليه وسلم- في بركته لما آمنوا به وأطاعوه, فببركة ذلك حصل لهم

---

1 (1) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص 841.

سعادة الدنيا والآخرة, بل كل مؤمن آمن بالرسـول وأطاعه حصل له من بركة الرسول بسـبب إيمانه وطاعته من خـير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله"[1].

فالتبرك الأسمى والأعلى بالرسـول- صـلى اللـه عليـه وسلم- هو اتباع ما أثر عنه من قول أو فعـل, والاقتـداء بـه, والسـير على منهاجـه ظـاهرا وباطنـا, وإن في هـذا الخـير كله"[2].

الأمر الثاني: التبرك بذاته الشريفة وآثـاره- صـلوات الله وسلامه عليه.

فقد وردت نصوص كثيرة تدل على مشـروعية التـبرك بأعضاء جسده- صلى الله عليه وسـلم- وبمـا انفصـل منـه, وبما لبسه أو لمسه أو فضل منه, وكـل هـذا من خصائصـه- صلى الله عليه وسلم, ليست لغـيره, ولا يقـاس عليـه فيهـا غيره.

ومن تلك النصوص:

1- ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضـي الله عنه قال: (كان رسول الله- صلى الله عليه وسـلم- إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء, فمـا يـؤتى بإنـاء إلا غمس يـده فيها, فربمـا جاءوه في الغـداة البـاردة, فيغمس يده فيها)[3].

2- ما ثبت في صحيح البخـاري عن أبي جحيفـة رضـي الله عنه, وفيه: وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم[4].

3- ما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالـك رضـي الله عنه أن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم أتى مـنى, فـأتى الجمـرة فرماها, ثم أتى منزلـه بمـنى ونحر, ثم قـال

---

1 (2) مجموع الفتاوى 11/113.

2 (1) التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع ص 260.

3 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الفضائل- باب قربه صلى الله عليه وسلم من الناس, وتبركهم به وتواضعه لهم- ص1088 برقم (2324) عن أنس بن مالك.

4 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المناقب- باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم- ص289 برقم (3553) عن أبي جحيفة.

للحلاق: (خذ) وأشار إلى جانبـه الأيمن, ثم الأيسر, ثم جعـل يعطيه الناس.

وفي روايــة فبــدأ بالشــق الأيمن, فوزعــه الشــعرة والشعرتين بين الناس, ثم قال بالأيسر فصنع به مثــل ذلك, ثم قال: (ههنا أبو طلحة) فدفعه إلى أبي طلحة [1].

ثانيا: التبرك بسائر الصالحين:

يتم التــبرك بالصــالحين- أهــل الإيمــان والتقــوى- بمجالســتهم, يحصــل من خلال تلــك المجالســة الانتفــاع بعلمهم والاسـتفادة من دعـائهم, سـواء كـان ذلـك الـدعاء بالخير والصلاح الذي لا تخلو منه مجالسهم أو الذي يفوز به الشخص بطلبه من أحدهم, فقد طلب نبي الهـدى- صـلوات الله وسلامه عليه- من عمر بن الخطاب رضي الله عنــه أن لا ينساه من دعائه حينما أراد العمرة, وهـذا واحـد من أدلـة مشروعية التبرك بدعاء الرجل الصالح[2].

ومن أوجــه التــبرك بالصــالحين أيضــا الاســتماع إلى وعظهم ونصـائحهم, "فمن صـحب الصـالحين وخـالطهم أو جـاورهم سـينتفع بنصـائحهم في الـترغيب في طاعـة اللـه تعالى وطاعة رسوله- صلى الله عليه وسـلم, والتحـذير من الوقــوع في المعاصــي والأضــرار, والإرشــاد إلى الآداب الحسنة ومكارم الأخلاق, والإعانة على فعل الخير, والتذكير بما أعده الله تعـالى في الجنـة لأوليائـه, ومـا توعـد بـه في النار لأعدائه"[3], بهذه الأمور تحصـل البركـة ويسـعد المـرء بمجالسته للصالحين, فبركات أولياء الله الصـالحين باعتبـار نفعهم للخلـق بـدعائهم إلى طاعـة اللـه ورسـوله, وامتثـال

---

[1] (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق, والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق- ص894 برقم (1305) عن أنس بن مالك.

[2] (1) أخرجه أبو داود في سننه برقم (1498), وابن ماجه برقم (2894), والإمام أحمد 1/29 عن ابن عمر, وذكره الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (322).

[3] (2) التبرك أنواعه وأحكامه ص271.

أوامـره واجتنـاب نواهيـه, والأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعـالى: "وأمـا قول القائـل نحن في بركـة فلان أو من وقت حلولـه عنـدنا حلت البركة, فهذا الكلام صحيح باعتبار باطل باعتبـار, فأمـا الصحيح فأن يـراد بـه أنـه هـدانا وعلمنـا وأمرنـا بـالمعروف ونهانا عن المنكر فببركة اتباعه وطاعته حصل لنا من الخير ما حصل, فهذا كلام صحيح"[1].

أما التبرك بذوات الأولياء والصالحين وآثارهم فلم يـرد دليل صحيح يدل على مشروعيته, ولا يقاس ذلك على فعله مع النبي- صلى الله عليه وسلم؛ لأن التبرك بذاته الشـريفة وآثاره كان مستنده "فعل الصـحابة رضـي اللـه عنهم معـه- صلى الله عليه وسلم- وإقراره إياهم على ذلك, بـل أمـره- صلى الله عليه وسلم- إيـاهم بـذلك في بعض الأحيـان, ولم يؤثر عنه- صلى الله عليه وسلم- أنه أمر بالتبرك بغـيره من الصـحابة رضـي اللـه عنهم أو غـيرهم, سـواء بـذواتهم أو بآثارهم, أو أرشد إلى شيء من ذلك"[2].

النوع الثاني: المشـروع من التـبرك بـالأقوال والأفعال:

من الأشياء التي أودع الله فيها البركة ويشـرع التـبرك بهـا بعض الأقـوال والأفعـال, فمن الأقـوال القـرآن الكـريم الذي هو كلام الله, وكذلك الذكر من تهليل وتسبيح وتحميد, وتسـمية اسـمه تعـالى عنـد بدايـة كـل أمـر, والصـلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم.

فالتبرك بالقرآن الكريم يحصل بتلاوتـه واتبـاع أحكامـه والتزام منهجه, يقول الرب جـل وعلا في بيـان فضـل تلاوة القـرآن المجيـد: [illegible] (فاطر:29).

وقال جل وعلا في بركة العمل به: [illegible] (طه:123), "فلا شك أن القرآن الكريم

---

1 (3) مجموع الفتاوى 11/113.

2 (1) التبرك أنواعه وأحكامه ص261.

بركاتـه في العمـل بـه وفي تلاوتـه, لا في تعليقـه وعملـه حجاب يحتمي به من الشرور, وبركات القـرآن والعمـل بـه تعم الدنيا والآخرة"[1].

ومن التـبرك بـالقرآن الكـريم الرقيـة ببعض سـوره وآياته, مثل الفاتحة, والمعوذتين, وآية الكرسي, وغير ذلك.

ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من أصـحاب النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- أتـوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم, فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقـالوا: إنكم لم تقرونا, ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا, فجعلـوا لهم قطيعـا من الشـاء, فجعـل يقـرأ بـأم القـرآن ويجمـع بزاقه ويتفل, فـبرأ, فـأتوا بالشـاء فقـالوا: لا نأخـذه حـتى نسـأل النبي- صلى الله عليه وسلم, فسألوه فضـحك وقـال: (ومـا أدراك أنها رقية خذوها واضربوا لي بسهم)[2].

ومن التبرك بالذكر غير القرآن الكريم الرقية به, ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صـلى اللـه عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقـول: (اللهم رب النـاس أذهب البـاس, اشـفه وأنت الشـافي, لا شفاء إلا شفاؤك, شفاء لا يغادر سقما)[3].

أما الأفعال التي يتبرك بها فكل ما شـرعه اللـه تعـالى وأمـر بـه من الصـلاة, والزكـاة, والصـيام, والحج, والجهـاد, وسائر الطاعات والقربات التي يحبهـا اللـه ويرضـاها, مثـل التقوى والإيمان بالله, وحسـن التوكـل عليـه, والصـدق في القـول, والكـرم في الإنفـاق, واتخـاذ المـال الحلال, والـبر وصـلة الأرحـام, وحسـن الخلـق في التعامـل مـع النـاس,

---

1 (2) البركة تأليف أبي حذيفة إبراهيم بن محمد ص19, ط/ الأولى 1408هـ, دار الصحابة للتراث- طنطا.

2 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب الرقى بفاتحة الكتاب- ص490 برقم (5736), ومسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار- ص1068 برقم (2201) عن أبي سعيد الخدري.

3 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب رقية النبي- ص 491 برقم (5743), ومسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب استحباب رقية المريض- ص1067 برقم (2191) عن عائشة.

والتيسـير على المعسـرين وإعانـة المسـلمين وقضـاء حوائجهم, ورحمة المخلوقين ونصرة المظلومين, وغير ذلك كثير[1].

فبفعل هـذه تتـنزل البركـات وتطيب الحيـاة في الـدنيا والآخرة, كما قال تعـالى: [illegible] (الأعراف:96).

النوع الثالث: المشروع من التبرك بالبقاع:

لقد اختص اللـه سـبحانه وتعـالى بعض الأمكنـة ببركـة عظيمة, ومن تلـك الأمكنـة مكـة المكرمـة, ومن بركتهـا أن إبـراهيم عليـه السـلام دعـا لهـا, كمـا ثبت في حـديث أبي هريرة عند مسلم (اللهم إن إبراهيم عبـدك وخليلـك ونبيك, وإني عبدك ونبيك, وإنه دعـاك لمكة, وإني أدعـوك للمدينـة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه)[2].

وهي أفضـل البقـاع وأحبهـا إلى اللـه تعـالى لقولـه- صلوات الله وسلامه عليه- عنها: (والله إنك لخير أرض الله, وأحب أرض اللـه إلى الله, ولـولا أني أخـرجت منـك مـا خرجت)[3].

ومن بركات مكة المكرمة- ذلك البلـد الأمين- أن اللـه جعل فيها أول بيت وضع للناس, قال تعالى: [illegible] (آل عمرا: 97), وحول هذا البيت المسجد الحـرام, أول مسـجد وضـع في الأرض, ففي الصـحيحين عن أبي ذر رضـي اللـه عنـه قال: قلت يا رسول الله أي مسـجد وضـع في الأرض أول؟ قال: (المسجد الحرام). قال: قلت: ثم أي؟ قال: (المسجد

---

1 (2) انظر: البركة ص90-91.

2 (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة...- ص906 برقم (1373) عن أبي هريرة.

3 (1) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب المناقب- باب فضل مكة- ص 2052 برقم (3925) وقال: حديث حسن غريب صحيح, وابن ماجه في سننه- كتاب المناسك- باب فضل مكة- ص2665 برقم (3108), وابن حبان في صحيحه 9/22 برقم (3708) عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري, وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (3082).

الأقصى). قلت: كم كان بينهما؟ قال: (أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه)[1].

وللمسجد الحرام مزايا كثيرة منها أنه أحد المساجد الثلاثة التي أجازت شريعتنا شد الرحال إليها, ومنها أن الصلاة فيه أفضل من مائة ألف صلاة في المساجد الأخرى, وكذلك مسجد الرسول- صلى الله عليه وسلم- والمسجد الأقصى لهما الأفضلية على سائر المساجد كما ورد في بعض الأحاديث[2].

ومنها أنه هو المكان الوحيد الذي شرع الطواف بالبيت الذي فيه, وفيه الحجر الأسود, والركن اليماني اللذان لم يشرع تقبيل أو استلام حجر أو ركن آخر غيرهما, قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كلامه عن فضائل مكة المكرمة: "ليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها, وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني"[3].

ومن البقاع التي اختصها الله بالبركة المدينة النبوية, فقد دعا لها النبي- صلى الله عليه وسلم- بالبركة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (اللهم اجعل بالمدينة ضِعفَي ما جعلت بمكة من البركة)[4], ومن ذلك أيضا ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان يؤتى بأول الثمر فيقول: (اللهم بارك لنا في مدينتنا,

---

1 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله تعالى: [illegible] - ص279 برقم (3425), ومسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب المساجد ومواضع الصلاة- ص758 برقم (520) عن أبي ذر.

2 (3) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب إقامة الصلاة- باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي- ص2561 برقم (1406), ومسند أحمد 3/343 عن جابر.

3 (1) زاد المعاد 1/47.

4 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب فضائل المدينة- باب- ص147 برقم (1885), ومسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب فضل المدينة ودعاء النبي فيها بالبركة-ص905 برقم (1369) عن أنس بن مالك.

وفي ثمارنا, وفي مدنا, وفي صاعنا, بركة مع بركة) ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان[1].

ومن بركات المدينة وجود مسجد الرسول- صلى الله عليه وسلم- فيه, ذلك المسجد الذي أنشأه نبي الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- وأصحابه رضي الله عنهم بعد مسجد قباء حين وصوله إلى المدينة مهاجرا من مكة, والمسجد النبوي بقعة أخرى مباركة جعل الله الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة في غيره كما في حديث أبي هريرة أن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)[2], وكذلك اختصه الشارع بجواز شد الرحال إليه مع المسجدين الآخرين.

وتشتمل المدينة على بركات أخرى عظيمة, فمن ذلك وجود مسجد قباء أول مسجد بني في المدينة على الإطلاق, ولزيارته والصلاة فيه فضل عظيم كما هو مذكور في الأحاديث, ومن ذلك أيضا وجود البركة في صاع أهل المدينة ومدهم وثمرهم لدعاء النبي- صلى الله عليه وسلم- لهم بذلك, وقد حماها الله من دخول الطاعون والدجال, كل ذلك ببركة دعائه- صلى الله عليه وسلم.

ومن البقاع المباركة المسجد الأقصى الذي أخبر الله جل وعلا أنه بارك حوله, قال تعالى: [illegible] (الإسراء:1), وهو ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام كما تقدم.

ومن بركاته أنه يستحب زيارته وشد الرحال إليه لما ثبت في حديث أبي هريرة عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد

---

[1] (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة- ص906 برقم (1373) عن أبي هريرة.

[2] (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة- ص92 برقم (1190), ومسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة- ص908 برقم (1394) عن أبي هريرة.

الحرام ومسجدي هذا, والمسجد الأقصى)[1], وهو المسجد الذي أسري إليه الرسول- صلى الله عليه وسلم- ثم عرج منه إلى السماء, والصلاة فيه مضاعفة.

ومن الأمكنة المباركة سائر المساجد, وهي بيوت الله في الأرض وأشرف البقاع وأفضلها, لقوله- صلى الله عليه وسلم: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله...)[2], وقوله- صلى الله عليه وسلم: (أحب البلاد إلى الله مساجدها, وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)[3].

وقد حظيت المساجد بهذه الفضائل العظيمة والبركات الجليلة لما يحصل فيها من أداء المسلمين صلواتهم المفروضة كل يوم, وكذلك العبادات البدنية والقلبية الأخرى.

ومن البقاع المباركة أرض الشام, فقد دلت عدة آيات قرآنية على بركتها, منها قوله تعالى: [illegible] (الأنبياء:71).

ومن البقاع المباركة أرض اليمن, قال- صلى الله عليه وسلم: (اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا...)[4].

ويكون التبرك بالأمكنة المباركة بسكناها والمجاورة بها, كما يتبرك بالمساجد الثلاثة: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى بشد الرحال إليها وزيارتها لأداء العبادات, ويختص المسجد الحرام بشرعية أداء مناسك الحج والعمرة فيه بما يحتويان عليه من طواف وسعي وصلاة خلف مقام إبراهيم وغير ذلك.

---

[1] (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة- ص92 برقم (1189), ومسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب فضل المساجد الثلاثة- ص909 برقم (1397) عن أبي هريرة.

[2] (2) سبق تخريجه ص242.

[3] (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- ص 782 برقم (671) عن أبي هريرة.

[4] (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الفتن- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الفتنة من قبل المشرق- ص592 برقم (7094) عن عبد الله بن عمر.

أما سائر المساجد فالتبرك بها يتم بأداء الصلوات المفروضة وعبادات أخرى بدنية وقلبية من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم ومدارسته, والاعتكاف فيها وملازمتها طلبا للثواب العظيم.

وليس من المشروع تلك الطرق التي يسلكها بعض المبتدعة في التبرك بهذه البقاع من التمسح بترابها أو نقل أحجارها, أو التبرك ببقاع لم يقم دليل على أنها مباركة أصلا, فكل هذا مجرد اتباع الهوى, وليس من التبرك المشروع في شيء.

النوع الرابع: المشروع من التبرك بالأزمنة:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى بركات عظيمة في بعض الأزمنة وفضلها على غيرها, فمن تلك الأزمنة شهر رمضان الذي قال الله فيه: [illegible] (البقرة: 185), وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي- صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)[1].

وفي هذا الشهر المبارك أفضل الليالي المسمى بليلة القدر, وقد شرفها الله على غيرها, فهي ليلة مباركة, كما قال تعالى: [illegible] (الدخان: 3), قال القرطبي رحمه الله: (وصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب)[2].

ومن الأزمنة المباركة عشر ذي الحجة, والمقصود بهذه الأيام هو العشر الأول من شهر ذي الحجة, وقد أقسم الله تعالى بها في قوله جل وعلا: [illegible] (الفجر:1-2), قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن

---

[1] (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصوم- باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية- ص148 برقم (1901), ومسلم في صحيحه- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح- ص797 برقم (760) عن أبي هريرة.

[2] (2) تفسير القرطبي 16/84.

عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف"[1].

فمن بركات هذه الأيام أن العمل الصالح فيها له الفضل على غيرها من أيام السنة لما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي- صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما العمل في أيام العشر أفضل منها في هذه). قالوا: ولا الجهاد؟ قال: (ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء)[2].

ومن الأزمنة المباركة يوم الجمعة ويوما الاثنين والخميس, فيوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع, وهو يوم مبارك, اختص الله تعالى به المسلمين من بين سائر الأمم كما ورد في الحديث, ومما يبين فضائل يوم الجمعة وبركاته ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة, فيه خلق آدم, وفيه أدخل الجنة, وفيه أخرج منها, ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة)[3].

ومن بركات هذا اليوم أن فيه ساعة الإجابة, لما رواه الشيخان رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذكر يوم الجمعة فقال: (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه) وأشار بيده يقللها[4].

أما يوما الاثنين والخميس فمن بركاتهما أن أبواب الجنة تفتح في هذين اليومين, فيغفر للمؤمنين ما عدا المتشاحنين منهم, كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي

---

[1] (1) تفسير ابن كثير 4/3030.

[2] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العيدين- باب فضل العمل في أيام التشريق- ص76 برقم (969) عن ابن عباس.

[3] (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجمعة- باب فضل يوم الجمعة- ص811 برقم (854) عن أبي هريرة.

[4] (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجمعة- باب الساعة التي في يوم الجمعة- ص73 برقم (935), ومسلم في صحيحه- كتاب الجمعة- باب الساعة التي في يوم الجمعة- ص811 برقم (852) عن أبي هريرة.

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم قال: (تفتح أبواب الجنة يـوم الاثـنين ويـوم الخميس فيغفـر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كـانت بينـه وبين أخيـه شحناء, فيقال أنظروا هذين حـتى يصـطلحا, أنظـروا هـذين حتى يصطلحا, أنظروا هذين حتى يصطلحا)[1].

ومن بركـات هـذين اليـومين أيضـا أن أعمـال النـاس تعرض فيهما على الله تبـارك وتعـالى, ففي صـحيح مسـلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللـه- صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: (تعـرض أعمـال النـاس في كـل جمعـة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس, فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدا بينه وبين أخيه شحناء, فيقـال: اتركـوا أو اركـوا هـذين حتى يفيئا)[2], ولذلك كـان النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- يتحرى الصوم فيهما كما علل ذلك بقوله: (تعـرض الأعمـال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم)[3].

ومن الأزمنة المباركة الثلث الأخير من الليل وهو وقت الـــنزول الإلهي, كمـــا ثبت في الصـــحيحين عن أبي هريـــرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسـلم قـال: (ينزل ربنا تبارك وتعـالى كـل ليلـة إلى السـماء الـدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له, من يسألني فأعطيه, من يستغفرني فأغفر له)[4].

وبركـــات وقت الـــنزول الإلهي ظـــاهرة في الحـــديث السابق فهو وقت استجابة لدعاء الـداعين, وإعطـاء حـوائج

---

1 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب- باب النهي عن الشحناء- ص1127 برقم (2565) عن أبي هريرة.

2 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- الكتاب والباب السابقان.

3 (3) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الصوم- باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس- ص1721 برقم (747) عن أبي هريرة, وله شاهد عند النسائي في سننه- كتاب الصيام- باب صوم النبي صلى الله عليه وسلم..-ص2239 برقم (2360) عن أسامة بن زيد, قال الترمذي: حديث حسن غريب, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (5270).

4 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: [illegible]- ص624 برقم (7494), ومسلم في صحيحه- كتاب صـلاة المسـافرين وقصـرها- بـاب الـترغيب في الـدعاء والـــذكر في آخر الليل والإجابة فيـــه- ص797 بـــرقم (758) عن أبي هريرة.

السائلين في أمور الدنيا والآخـرة, وهـو أيضـا وقت مغفـرة للمستغفرين.

والتبرك بهذه الأوقات الفاضلة والأزمنة المباركة يعـني اغتنامهـا بمـا يعـود على الإنسـان بـالنفع في الـدين والـدنيا بقيامه بما شرع الله فيهـا من الأعمـال الصـالحة من صـلاة وحج وقـراءة القـرآن وذكـر ودعـاء وغـير ذلـك ممـا ينيلـه مرضات ربه الرحيم الودود.

النــوع الخــامس: المشــروع من التــبرك بالمطعومات:

يوجد في المأكولات والمشروبات وما يتداوى به أشياء بارك الله فيها وفضـلها على غيرهـا من جنسـها, فمن هـذه الأشياء شجرة الزيتون, وهي شجرة مباركة يدل على ذلـك قول الله تعالى: إلى قوله تعـالى: (النور: 35).

وتكمن بركة هـذه الشـجرة في منافعهـا الكثـيرة حيث إنها تؤكل وهي من الفواكه, وزيتها يؤتدم به, وينتفع بـه في الدهن والاصطباغ, وزيتها أيضا يسرج به, فهو أضوأ وأصـفى الأدهان[1], يقول جل شأنه في سياق ذكر مـا امتن بـه على عبـاده من النعم: (المؤمنون:20).

ويدل على بركـة زيت الزيتـون مـا روي عن أبي أسـيد الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول اللـه- صـلى اللـه عليـه وسـلم: (كلـوا الـزيت وادهنـوا بـه فإنـه من شـجرة مباركة)[2].

ومن الأشياء المباركة من المطعومات اللبن, وقد قال فيه سبحانه وتعالى:

---

[1] (1) انظر: تفسير البغوي 1/45 وزاد المسير لابن الجوزي 6/42-43.

[2] (2) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الأطعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب ما جاء في أكل الزيت- ص1839 برقم (1852), وابن ماجه في سننه- كتاب الأطعمة- باب الزيت- ص2677 برقم (3319), والإمام أحمد 3/467, وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (379).

(النحل:66), قال القرطبي: أي لذيذا هينا, لا يغص بـه من شـربه"[1], وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: قـال رسـول اللـه- صـلى اللـه عليـه وسلم: (من أطعمه الله الطعام فليقل اللهم بـارك لنـا فيـه وأطعمنا خيرا منه, ومن سقاه اللـه لبنـا فليقـل اللهم بـارك لنـا فيـه وزدنـا منه؛ فإنه ليس شـيء يجـزئ مكـان الطعـام والشراب غير اللبن)[2].

يقــول ابن القيم رحمــه اللــه: "اللبن المطلــق أنفــع المشـروبات للبـدن الإنسـاني لمـا اجتمـع فيـه من التغذيـة والدمويــة, ولاعتيــاده حــال الطفولــة, وموافقتــه للفطــرة الأصلية"[3].

ومن الأعيان المباركة النخل, تظهر بركتها فيما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند النبي- صلى الله عليه وسلم- جلوس إذ أتي بجمار نخلة فقال النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم: (إن من الشـجر لمـا بركتـه كبركـة المسـلم) فظننت أنـه يعـني النخلة, فـأردت أن أقــول: هي النخلــة يــا رســول الله, ثم التفت فـإذا أنـا عاشـر عشـرة أنـا أحـدثهم فسـكتُ, فقـال النبي- صلى الله عليه وسلم: (هي النخلة)[4].

ومما ورد في منفعة تمـر النخـل وبركتـه قولـه- صـلى الله عليه وسلم: (إذا أفطر أحدكم فليفطـر على تمـر فإنـه بركة)[5].

---

1 (3) تفسير القرطبي 10/84.

2 (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأشربة- باب ما يقول إذا شرب اللبن- ص1499 برقم (3730), والترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب ما يقول إذا أكل طعاما- ص2007 برقم (3455) عن ابن عباس, وقال: هذا حديث حسن, وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (2749).

3 (2) الطب النبوي للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ص285, تحقيق ودراسة وتعليق الدكتور السيد الجميلي ط/الثالثة 1417هـ- 1996م دار الكتاب العربي- بيروت.

4 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأطعمة- باب أكل الجمار- ص 469 برقم (5444) عن عبد الله بن عمر.

5 (4) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الزكاة- باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة- ص1711 برقم (658), وابن ماجه في سننه- كتاب

ومنها ماء زمزم, وهو الماء الذي فيه شفاء من كل سقم, وفيه شبع من كل جوع,
وفيه ري من كل ظمأ, وإنه لخير ماء على وجه الأرض وأنفعه[1].

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال أبو ذر في حديث طويل, ثم ذكر سؤال النبي- صلى الله عليه وسلم- له: (متى كنت ههنا؟) قال: قلت: قد كنت ههنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم, قال: (فمن كان يطعمك؟) قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت علي بطني, وما أجد على كبدي سخفة جوع, قال: (إنها مباركة, إنها طعام طعم)[2].

ومنها العسل, كما قال تعالى عن النحل: [illegible] (النحل: 69).

وغير ذلك من الأعيان المباركة التي جاء في الشرع بيان البركة فيها بأكلها أو بشربها أو بالادهان والاستشفاء بها ونحو ذلك, وكل ذلك يتبرك به العبد بالطريق الذي لا يخالف أمر الله تعالى ولا أمر رسوله- صلى اله عليه وسلم, معتقدا أنها أسباب لا تنفع ولا تضر بنفسها, وإنما الله تعالى هو الذي يخلق البركة فيها, فإن لم يبارك الله تعالى بها فلن يجني منها العبد ما تنعم به نفسه[3][4].

الصيام- باب ما جاء على ما يستحب الفطر- ص2578 برقم (1699) عن سلمان بن عامر الضبي, وقال الترمذي: حديث حسن, وذكره الألباني في ضعيف الترمذي برقم (101).

1 (5) انظر: البركة ص38.

2 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه- ص1111 برقم (2473) عن عبادة بن الصامت.

3 (2) شبهات المبتدعة ص852.

4 (3) استفدت من البحث بعنوان: "شبهات المبتدعة في توحيد العبادة" في كتابة ما قررته في ص340- 349.

المبحث الثاني

التبرك الممنوع حكمه وصوره

صور التبرك الممنوع لدى مسلمي نيجيريا:

ولعل كل من يفقه دينه ويغار عليه من مسلمي نيجيريا يوافقني على أن مصدر الشر في التبرك الممنوع بصوره المختلفة في المجتمع النيجيري هم الجهال من المنتسبين للدراسات الإسلامية, كيف لا, وقد أكّدوا للناس بطرقهم وأساليبهم المريضة أن البركة لن تنال إلا منهم أو بواسطتهم؛ ولذلك تجدهم في عقيقة المولود يطلبون من والدي المولود وأقربائه أن يدفعوا مبلغا خاصا لشراء البركة لهذا الضيف الجديد, ويفعلون ذلك أيضا في جلسة عقد النكاح بين الرجل والمرأة, كما يلحّون على استلام هذا المبلغ في كل أمر ذي شأن أراد صاحبه أن يكون له فيه حظ سعيد. هذا مع تصريحهم في تلك الحالات كلها أن الإخفاق في دفع هذا المبلغ يؤدي إلى نزع البركة من تلك الأمور كلها ولا يحالف أصحابها التوفيق, فكأن لهم متاجر مليئة بالبركات يبيعونها بالعوض لكل من تقدم للشراء منها, وهذا أمر عجيب جدا, لا ريب أن فيه من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره وإحصائه.

ولهذا السبب تجد الغالبية الساحقة من مسلمي نيجيريا وخاصة العوام قد اقتنعوا بأقوال هؤلاء الطفيليين, فراحوا يتبركون بذواتهم وآثارهم, وبأماكن عباداتهم, وبقبورهم بعد مماتهم.

وبخلاصة فإن التبرك الممنوع لدى مسلمي نيجيريا له صورتان:

الصورة الأولى: التبرك بالأشخاص مثل العلماء والأمراء والمشايخ والأولياء والصالحين, ولهذا خمس طرق:

الطريقة الأولى: التبرك بذواتهم وذلك بتقبيل أيديهم, والتمسح بثيابهم ومصافحتهم, ويلحق بهذا تبركهم بصور هؤلاء الناس بتقبيلها, والتمسح بها, وتعليقها على الجدران في البيوت والمحلات والسيارات, والجلوس أمامها عند الدعاء وغير ذلك.

ذكر شيء مما يشهد لوجود هذه الطريقة:

يقول المؤلف مدثر عبد الرؤوف[1] في كتيّب له بعنوان "كرامات الشيخ إبراهيم انياس" تحت عنوان "صورة الشيخ": "هذه الكرامات تنقسم إلى قسمين: خاصة وعامة, أما العامة فهي صوره المشهورة والمنتشرة في كل مكان, وكثير من محبي الشيخ يعتقدون أن تلك الصور بمثابة حصن وأمان لمن يحملها, كما تحصل بسببها بركات عظيمة؛ ولذلك تجد معظم الناس يحبون أن تكون معهم دائما, يجعلونها في ساعة يدوية أو سوار أو قرط, كما تُجعل في البطاقات وتعلق على جدران المنازل وعلى السيارات وغير ذلك"[2].

الطريقة الثانية: التبرك بآثارهم باستخدام ما انفصل منهم مثل الشعر والملابس القديمة, أو التمسح بريقهم وبلغمهم, أو بشرب الماء الذي توضأوا به أو الأكل من بقايا طعامهم ونحو ذلك.

ذكر شيء مما يشهد لوجود هذه الطريقة:

---

[1] (1) هو مدثر عبد الرؤوف إكيري, المرشد العام للفيضة التجانية الإبراهيمية النيجيرية ومؤسس مدرسة بنت رسول الله للدراسات العربية والإسلامية, أوريلي أغيغي- لاغوس. انظر: مقدمة كتيبه (ISE IYANU SHEIKH IBROHIM NIASS).

[2] (2) (ISE IYANU SHEIKH IBROHIM NIASS (RTA) للمؤلف مدثر عبد الرؤوف ص7 دون بيانات أخرى.

يقول الشيخ مشهود رمضان جبريل[1] في كلامه عن شخصية الشيخ آدم الألوري رحمه الله: "قد حكى الألوري لنا يوما أن والده كان يحبه حبا شديدا, ولوالده هذا الاعتقاد الجازم أن الدعاء له تأثير في القدر والقضاء ولا سيما استجابة دعاء الصالحين, فدفعه هذا الاعتقاد ذات يوم إلى أن يأمر ابنه الشيخ الألوري ليشرب ماء اليد المغسولة للشيخ وزير بدى بعد فراغه من تناول الغداء, ومج ماء فمه في الإناء لتنظيف فمه من بقايا الأكل. فاستغرب الشيخ وزير بدى سائلا والد الشيخ الألوري: ما الذي دفعك إلى هذه الصنيعة؟ فأجاب قائلا: أتمنى لولدي أن يكون عالما مباركا, من هنا دعا الوزير بدى للشيخ آدم عبد الله الألوري استجابة لرغبة والده فيه قائلا: بارك الله في ولدك هذا, وأفاد الله بعلمه العديد من الناس"[2].

وتجدر الإشارة إلى أن التبرك بهذه الطريقة والتي قبلها يكثر وقوعه عند أتباع مشايخ الصوفية ومريديهم التجانيين منهم والقادريين في جميع المناطق النيجيرية.

الطريقة الثالثة: التبرك بالأماكن التي نزل بها بعض هؤلاء العلماء حين دخوله في بلد معين, أو بالشجرة التي استظل بها, أو صلى تحتها, أو غرسها.

الطريقة الرابعة: التبرك بالتواضع الجاهلي المذموم لهؤلاء العلماء والمشايخ؛ وذلك بالمشي حافيا أمامهم أو أمام منازلهم, أو بالانحناء الذي تجاوز حد الركوع

---

[1] (3) هو الشيخ مشهود رمضان بن الأمير إدريس بن جبريل بن آصف بن عبد الله الأميري الكيتوي, ولد بمدينة "كيتو" إحدى المدن اليورباوية الأصيلة قبل أن تضمها فرنسا إلى إحدى مستعمراتها في غرب إفريقيا والتي تعرف حاليا "بجمهورية بنين", كان من أكثر من لازم الشيخ آدم عبد الله الألوري حيث تتلمذ على يديه لمدة 33 سنة, له محاضرات مسجلة في الأشرطة ومؤلفات منها: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته, أسس حديثا مركز السلام للتعليم العربي الإسلامي باجومو أوجوكورو بولاية لاغوس نيجيريا, ويعمل حاليا مديرا له وخطيبا لمسجده.
انظر: المؤلف في السطور خلف كتابه: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته.

[2] (1) الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته للمؤلف مشهود رمضان جبريل ص25.

عند تحيتهم, أو بتقديم الأموال لهم, كل ذلك رغبة في حصول البركة.

وهذا النوع من التبرك أمر متعارف عليه بين المنتسبين للدراسات الإسلامية من طلبة العلم ومشايخهم؛ إذ قد أكد هؤلاء المشايخ لتلامذتهم ألا بركة لهم إلا باحترام مشايخهم, وهم بدورهم لا يرون الاحترام إلا في هذا التواضع الجاهلي بكل أشكاله وصوره.

الطريقة الخامسة: التبرك بقبورهم باتخاذها مساجد, والصلاة عندها, والدعاء عندها, وطلب الدعاء من أصحابها, والتمسح بها, وتقبيل جدرانها, والدهن بالماء الذي يكون عليها, ورفع التراب منها للاستشفاء به أو إهدائه للآخرين وغير ذلك, وهذا أقبح الطرق في تبركهم بهؤلاء الأشخاص, وقد فشت هذه الظاهرة منذ زمن الشيخ عثمان بن فودي فجاهد في القضاء عليها, ثم جاء المتصوفة كعادتهم فأحيوها مرة أخرى بسبب الغلو في مشايخهم, وقد صدق فيهم قول العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حيث قال: "فالغلو في الصالحين قديم, ولا يزال مستمرا وهو سنة جاهلية من قديم الزمان, من عهد قوم نوح, ولا تزال"[(1)].

ذكر شيء مما يشهد لوجود هذه الطريقة:

يقول الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في معرض كلامه عن البدع المنتشرة بين المسلمين في وقته: "ومنها: أي الأمور التي عمت البلوى بها في هذه البلاد التبرك بالصلاة على القبر وبناء المسجد عليه إذ لا يصلَّى على المقابر, ولا يبنى عليها مسجد للتبرك, ولا يتمسح بالقبر أيضا؛ لأن ذلك من فعل النصارى, ولا يدهن بالماء الذي يكون عليه, ولا يرفع منه تراب"[(2)].

ويقول في موضع آخر عند ذكره للمحدثات التي اتخذها كثير من المسلمين في مجتمعه عبادة مثل التمسح

---

1 (2) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد 2/157.

2 (1) نور الألباب ص16.

بجدار الكعبة وجدار المسجد الحرام إذا سافروا للحج أو العمرة: "وكذلك فعلهم ذلك مع مشايخهم ومع كبرائهم وعند المقابر التي يحترمونها ويعظمون أهلها ويزعمون أن ذلك من باب الأدب"[1].

قلت: ومع كل أسف فإن الشيخ عثمان بن فودي الذي كان ينكر هذه الانحرافات ويحاربها في أيامه هو نفسه الذي لم يدع القادريون شيئا من تلك الانحرافات إلا وفعلوها عند قبره بعد وفاته. يقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي عند حكايته لما شاهده حول قبر الشيخ عثمان بن فودي أثناء رحلته إلى نيجيريا: "ورغم ضيق الغرفة فإنه كان فيها أناس جالسون يدعون, ونساء أيضا خارج القبر وهن ينظرن إليه ويدعون ... وهذه الأمور أكثرها بدعي لا يجوز فعله في الشرع, ومنها البناء على القبر ورفعه عن الأرض أكثر من الشبر, والتوجه بالدعاء إلى القبر متجها إلى غير القبلة"[2].

والتبرك المشروع بالأولياء والصالحين يكون بمجالستهم-كما سبق أن قلت- يتم من خلال ذلك الانتفاع بعلمهم, والاستماع إلى وعظهم ونصائحهم, والانتفاع بدعائهم, كما يمكن التبرك بهم بعد وفاتهم عن طريق الانتفاع بما ورّثوه من العلم النافع ونحوه, واتباع ما دعوا إليه في حياتهم[3], وليس من المشروع تلك الأوجه المذكورة التي يتبرك بها هؤلاء القوم من تقبيل أيدي العلماء والمشايخ أو استخدام ما انفصل منهم أو قصد أماكنهم وقبورهم بالعبادات طلبا للبركة.

فالذي وردت أدلة كثيرة تدل على مشروعيته هو التبرك بجسد النبي- صلى الله عليه وسلم- وآثاره كشعره وعرقه وثيابه وغير ذلك, أما غير النبي من الأولياء والصالحين فلم يرد دليل صحيح يدل على مشروعية التبرك بأجسادهم ولا بآثارهم؛ ولذلك لم يرد عن أحد من أصحاب

---

[1] (2) بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية ص22-23.

[2] (3) قصة سفر في نيجيريا 2/100.

[3] (4) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه ص269, 381.

النبي- صلى الله عليه وسلم, ولا عن أحد من التابعين أنهم تبركوا بجسد أو آثار أحد من الصالحين, فلم يتبركوا بأفضل هذه الأمة بعد نبيها, وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولا بغيره من العشرة المبشرين بالجنة, ولا بأحد من أهل البيت ولا غيرهم, ولو كان خيرا لسبقونا إليه, لحرصهم الشديد على فعل جميع أنواع البر والخير, فإجماعهم على ترك التبرك بجسد وآثار غيره- صلى الله عليه وسلم- من الصالحين[1] دليل صريح على عدم مشروعيته[2].

وسبب إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك هذا التبرك مع بعضهم- والله أعلم- هو اعتقاد اختصاص الرسول- صلى الله عليه وسلم- به دون سواه ما عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[3].

وعلى هذا, فلا يجوز قياس سائر أولياء الله والصالحين على النبي- صلى الله عليه وسلم- في التبرك بجسده وآثاره الشريفة, ولما في ذلك من سد الذرائع المفضية إلى الشرك.

قال الشاطبي في بيان العلة في ترك صحابة رسول الله التبرك ببعضهم: "لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد بل تتجاوز فيه الحدود, وتبالغ بجهلها في التماس البركة حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد, فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه"[4].

وللعلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب كلام جميل في الرد على المجيزين للتبرك بأجساد الصالحين وآثارهم قياسا على النبي- صلى الله عليه وسلم- يحسن بي أن أنقله في هذا الصدد لأهميته واشتماله على براهين قاطعة تدل على بطلان ما ذهب إليه المجيزون للتبرك بهذا الوجه, قال: "تنبيه: ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم, والتمسح

---

1 (1) حكى إجماعهم على ذلك الإمام الشاطبي في الاعتصام ص311, وسليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد, وعبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد كلاهما في باب من تبرك بشجرة أو حجر.

2 (2) تسهيل العقيدة الإسلامية ص291.

3 (3) التبرك أنواعه وأحكامه ص263.

4 (4) الاعتصام للشاطبي ص311.

بهم أو بثيابهم, وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين, والتبرك بعرقهم ونحو ذلك, وقد أكثر من ذلك أبو زكريا النووي في شرح مسلم في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئا من ذلك مع النبي- صلى الله عليه وسلم, وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي- صلى الله عليه وسلم, وهذا خطأ صريح لوجوه: منها عدم المقاربة فضلا عن المساواة للنبي- صلى الله عليه وسلم- في الفضل والبركة, ومنها عدم تحقق الصلاح, فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب, وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص, كالصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله, أو أئمة التابعين, أو من شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك, أما غيرهم فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم, ومنها أنا لو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء, والأعمال بالخواتيم, فلا يكون أهلا للتبرك بآثاره. ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته, ولا بعد موته, ولو كان خيرا لسبقونا إليه, فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي- صلى الله عليه وسلم- بالجنة, وكذلك التابعون هلا فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأويس القرني والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم, فدل أن ذلك مخصوص بالنبي- صلى الله عليه وسلم, ومنها أن فعل هذا مع غيره- صلى الله عليه وسلم- لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه فيورثه العجب والكبر والرياء فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم"[1].

أما التبرك بقبور الأولياء والصالحين باتخاذها أماكن للعبادة وأن ذلك سبب لقبول هذه العبادة, وكذلك تقبيلها والتمسح بها وأخذ ترابها للاستشفاء أو الإهداء للغير, فكل هذا منهي عنه؛ لأنه طريق نافذ جدا إلى الوقوع في الشرك الأكبر الذي هو أعظم الذنوب الذي عصي الله به, فكل ما

---

[1] (1) تيسير العزيز الحميد ص150-151.

عدا الزيارة الشرعية لقبور الصالحين أو غيرهم فهو ممنوع من قبل الشرع مثل تلك الأوجه المذكورة للتبرك بالقبور.

ومن أدلة عدم شرعية التبرك بقبور الأولياء والصالحين[1]:

1- أنه ليس في الكتاب العزيز ولا في السنة المطهرة ما يدل على مشروعية التبرك بالقبور على أي صورة من صور التبرك المبتدع, أو مظهر من مظاهره.

2- بل قد تواترت النصوص عن النبي- صلى الله عليه وسلم- بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقا, واتخاذها مساجد, وبناء المساجد عليها, وإيقاد السرج عليها, ونحو ذلك.

فمن تلك النصوص ما ثبت في صحيح مسلم عن جندب رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي- صلى الله عليه وسلم- قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل, فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا, ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا, ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد, ألا فلا تتخذوا القبور مساجد, إني أنهاكم عن ذلك)[2].

ومنها ما روي عن أبي مرثد الغنوي قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم:
(لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)[3], وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا النهي.

3- أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم لم يفعلوا ذلك التبرك بالقبور, وإنما المأثور عنهم تجنب ذلك وتنبيه بعضهم لبعض على خطر هذا الفعل الشنيع, ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

1 (1) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه ص401.

2 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب النهي عن بناء المسجد على القبور, واتخاذ الصور فيها, والنهي عن اتخاذ القبور مساجد- ص760 برقم (532) عن جندب.

3 (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه- ص830 برقم (972) عن أبي مرثد الغنوي.

رأى أنس بن مالك رضي الله عنه يصلي عند قبر فقال: (القبر, القبر)[1].

وقد علق الإمام ابن القيم رحمه الله على هذا الأثر قائلا: "وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة رضي الله عنهم ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور" ثم قال: "وفعل أنس رضي الله عنه لا يدل على اعتقاده جوازه, فإنه لعله لم يره, أو لم يعلم أنه قبر, أو ذهل عنه, فلما نبهه عمر رضي الله تعالى عنه تنبه"[2].

وكل هذه الأدلة حجج قاطعة تثبت لنا أن لا مزية لأداء أية عبادة عند القبور, وأن التبرك بها لم يشرع؛ ولذلك لم يعمله أحد من سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين, وإنما تمسكوا في ذلك بما أرشدهم إليه نبيهم, والحق مع من معه السنة.

أما التبرك بالأماكن التي نزل بها بعض العلماء حين دخوله بلدا معينا, أو الشجرة التي استظل بها أو صلى تحتها أو غرسها, كل هذا لا يجوز؛ إذ قد قررتُ سابقا عند بيان المشروع من التبرك بالبقاع ما تجيزه شريعتنا الغراء التبرك به فلم يدخل في ذلك تلك البقاع التي فعل فيها النبي- صلى الله عليه وسلم- بعض العبادات دون قصده البقعة بذاتها.

"وبناء على ذلك فإن المواضع التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة- ما عدا مسجده صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء- أو على طرقها, أو بمكة- ماعدا المسجد الحرام- ونحو ذلك مما لم يقصده بذاته, كبعض المساجد بمكة أو المدينة وما حولهما, المبنية على آثار صلاة الرسول- صلى الله عليه وسلم- في حضره أو سفره أو غزواته- إن صح ذلك- لا تشرع الصلاة فيها على سبيل القصد والقربة والتبرك, وكذلك المواضع والجبال التي

---

1. (4) أورده البخاري في صحيحه تعليقا- كتاب المساجد- باب هل تنبش قبور المشركين ويتخذ مكانها مساجد, وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى 2/435.
2. (1) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان تأليف محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي 1/186, تحقيق محمد حامد الفقي, ط/الثانية 1395هـ-1975م, دار المعرفة – بيروت.

جلس أو أقام فيها الرسول- صلى الله عليه وسلم- ما عدا المشاعر لا تقصد العبادة فيها التماسا للبركة"[1].

والأدلة على عدم شرعية التبرك بهذه المواضع كالتالي[2]:

1- عدم وجود دليل من النصوص الشرعية يفيد جواز ذلك الفعل أو استحبابه, ولا شك أن الجلوس في تلك المواضع للصلاة أو الدعاء أو الذكر ونحو ذلك قربة وتبركا من أنواع العبادة, والعبادة مبناها على الاتباع لا على الابتداع.

2- أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل عن أحد منهم أنه تبرك بشيء من المواضع التي جلس فيها رسول الله- صلى الله عليه وسلم, أو البقع التي صلى عليها- عليه الصلاة والسلام اتفاقا, مع أنهم أحرص الأمة على التبرك بالرسول- صلى الله عليه وسلم, ومع علمهم بتلك المواضع, وشدة محبتهم للرسول- صلى الله عليه وسلم- وتعظيمهم له, واتباعهم بسنته.

3- نهي السلف الصالح عن هذا التبرك قولا وفعلا.

وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى ينكرون التبرك بهذا الوجه, وكان على رأس هؤلاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الراشد الذي قال عنه النبي- صلى الله عليه وسلم: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)[3], فقد (رأى الناس وهو راجع من الحج ينزلون فيصلون في مسجد, فسأل عنهم, فقالوا: مسجد صلى فيه النبي- صلى الله عليه وسلم, فقال: إنما هلك من كان قبلكم أنهم

---

1 (2) التبرك أنواعه وأحكامه ص343.

2 (3) المرجع السابق ص343 وما بعدها.

3 (1) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب[إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه]- ص 2031 برقم (3682), وأحمد في مسنده 2/53, وابن حبان في صحيحه 15/318 برقم (6895) عن ابن عمر, وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه, وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (2908).

اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا, من مر بشيء من هذه المساجد فحضرت الصلاة فليصل, وإلا فليمض)[1].

4- أن منع هذا التبرك من باب سد لذريعة الشرك الذي قد ينتج عن تعظيم هذه الأماكن والصلاة عندها, وقد حرمت النصوص الشرعية اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد وأثبتت أن ذلك من فعل أهل الكتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيانه لهذه المسألة: "وأما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام كالمسجد الذي تحت الصفا وما في سفح أبي قبيس و نحو ذلك من المساجد التى بنيت على آثار النبي- صلى الله عليه و سلم- وأصحابه كمسجد المولد وغيره, فليس قصد شيء من ذلك من السنة, ولا استحبه أحد من الأئمة, و إنما المشروع إتيان المسجد الحرام خاصة, والمشاعر: عرفة ومزدلفة والصفا والمروة, وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر: عرفة ومزدلفة ومنى, مثل جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال أنه كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك, فإنه ليس من سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- زيارة شيء من ذلك, بل هو بدعة, وكذلك ما يوجد في الطرقات من المساجد المبنية على الآثار والبقاع التي يقال إنها من الآثار, لم يشرع النبي- صلى الله عليه وسلم- زيارة شيء من ذلك بخصوصه, ولا زيارة شيء من ذلك"[2].

فالتبرك بآثار الرسول- صلى الله عليه وسلم- المكانية كمواضع صلاته ودعائه, أو جلوسه, أو نومه, ونحو ذلك مما فعل فيه العبادات دون قصده المكان بذاته, فهذا مما لا يشرع قصده أو تحريه بالعبادات؛ لأنه- صلوات الله وسلامه عليه- تعبد لله في هذه الأماكن اتفاقا من غير قصد لها لذاتها, وإنما لأنه- عليه الصلاة والسلام- كان موجودا فيها

---

1 (2) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه 2/118, وابن أبي شيبة في مصنفه 2/151 عن المعرور بن سويد, وصححه الألباني في تعليقه على إصلاح المساجد. إصلاح المساجد من البدع والعوائد تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي ص204, خرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, ط/الخامسة 1403هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.

2 (1) مجموع الفتاوى 26/144

وقت تعبده لله تعالى بهذه العبادة, ولم يرد دليل شرعي يدل على فضلها.

وما من شك أن هذا إذا لم يشرع في حق المصطفى- صلى الله عليه وسلم- فإن ما عداه من الصالحين وغيرهم ليس مشروعا في حقهم من باب أولى[1].

ولذا, فإن الأمر المعتاد عند بعض المسلمين في المجتمع النيجيري من التبرك بالأماكن التي نزل بها بعض العلماء حين دخوله في بلد معين أو الشجرة التي استظل بها أو صلى تحتها أو غرسها, كل ذلك منهي عنه, فلا يجوز للمسلم أن يقصد هذه الأماكن للتعبد لله عندها, كما لا يجوز له مسح شيء منها طلبا للبركة.

وفيما يخص التبرك بالتواضع الجاهلي فإن الإنسان العاقل يتأمل ويسأل نفسه: أية بركة يمكن أن تحصّل من خلال مشي التلميذ حافيا أمام شيخه أو أمام منزله, أو انحنائه له؟ ولقد سبق أن بينتُ الطرق المشروعة للتبرك بالنبي الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- وسائر الأولياء والصالحين, وهذا التواضع الجاهلي ليس من تلك الطرق في شيء.

وقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: (لم يكن شخص أحب إليهم من النبي- صلى الله عليه وسلم- وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك..)[2], وإذا كان النبي- صلى الله عليه وسلم- لا يُحترم بالقيام له ناهيك عن الانحناء, مع أنه أفضل الخلق, وسيد ولد آدم, فكيف يتبرك بهذا النوع من الاحترام لمن يبعد عنه- صلى الله عليه وسلم- في الدرجة ولم يدانيه في المنزلة إطلاقا.

الصورة الثانية: التبرك بالأزمنة والأماكن والأعيان التي لم يرد في الشرع ما يدل على مشروعية التبرك بها, مثل التبرك بليلة نصف شعبان, وآخر جمعة من رمضان,

---

1 (2) التبرك أنواعه وأحكامه ص341, 384, تسهيل العقيدة ص296.

2 (3) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الأدب- باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل- ص1929 برقم (2754), وأحمد في المسند 3/132, عن أنس بن مالك, قال الترمذي: حديث حسن صحيح, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (4698)..

ويوم عاشوراء بتخصيص هذه الأزمنة بعبادات معينة لم يرد دليل شرعي يدل على تخصيصها بها, ومثل التبرك بالنهر أو الجبل بسبب شفاء شخص ما من مرضه حينما شرب من ماء ذلك النهر أو قام بزيارة ذلك الجبل.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال في عون العلماء الصالحين تحت عنوان "دعاء يوم عاشوراء": "يستحب في يوم عاشوراء أن يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة: حسبي الله ونعم الوكيل, نعم المولى ونعم النصير"[1].

وقال في موضع آخر تحت عنوان "دعاء يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر": "فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة كلها, يستحب أن يصلى في ذلك اليوم أربع ركعات, يقرأ في كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة إنا أعطيناك الكوثر- سبعة عشر مرة, والإخلاص- خمس مرات, والمعوذتين مرة مرة. ويقرأ بعد السلام بهذا الدعاء, فإذا فعل ذلك حفظه الله من جميع البلايا"[2], ثم ذكر الدعاء.

وفي موضع آخر تحت عنوان "دعاء ليلة المبعث أي 27 رجب" قال: "وهي من الليالي الشريفة, ويستحب فيها قراءة هذا الدعاء بعد الاغتسال"[3], ثم ذكر الدعاء.

وقال عن ليلة نصف شعبان: "أدعية شعبان- ليلة نصف شعبان من الليالي المباركة, يستحب فيها قراءة دعاء كُمَيل كما تقدم"[4], ثم ذكر الدعاء.

فكل هذه العبادات التي يخصصها هؤلاء الناس بأماكن وأزمنة على حسب هواهم ويتبركون بأدائها لله فهي من البدع الشنيعة؛ إذ لا بد أن يكون الشيء الذي يتبرك به مما يدل الشرع على أن فيه بركة, وأن يكون الطريق الذي يتبرك به مشروعا أو مباحا, وإذا فقد هذين الشرطين أو أحدهما فيما يتبرك به فإن ذلك النوع من التبرك ممنوع.

---

1 (1) عون العلماء الصالحين ص46.

2 (2) المرجع السابق ص46.

3 (3) المرجع السابق ص47.

4 (4) المرجع السابق ص50.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن الدين أصله متابعة النبي- صلى الله عليه وسلم- وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا, ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها, بخلاف ما كان من خصائصه, فأما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا, ولا أمرنا به, ولا فعله فعلا سن لنا أن نتأسى به فيه, فهذا ليس من العبادات والقرب, فاتخاذ هذا قربة مخالفة له- صلى الله عليه وسلم"[1].

وكذلك لا يقصد نهر من الأنهار أو جبل من الجبال للتبرك إلا إذا دل دليل شرعي على ذلك, فالآبار التي شرب منها النبي- صلى الله عليه وسلم- أو اغتسل منها, لا تقصد تبركا واستشفاء إلا بئر زمزم, فإنها هي التي دلت النصوص على التبرك والاستشفاء بشرب مائها, وكذا المواضع والبقاع والجبال التي جلس أو أقام فيها الرسول- صلى الله عليه وسلم, لا تقصد العبادة فيها التماسا للبركة إلا المشاعر[2].

ومما يدل على عدم شرعية قصد هذه المواضع والجبال للتبرك إنكار بصرة بن أبي بصرة الغفاري على أبي هريرة عند خروجه إلى الطور, ففيه: (فخرجت فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال: من أين جئت؟ قلت: من الطور, قال: لو لقيتك من قبل أن تأتيه لم تأته, قلت له: ولم؟ قال: إني سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام, ومسجدي, ومسجد بيت المقدس)[3].

فكل ما ذكرناه في هذه الصورة من التبرك بالمواضع والأزمنة والجبال والعيون بأي نوع من أنواع التبرك من مسح, أو تقبيل, أو اغتسال, أو غير ذلك فهو محرم, ولا

---

[1] (1) مجموع الفتاوى 27/504.

[2] (2) التبرك أنواعه وأحكامه ص343.

[3] (3) أخرجه النسائي في سننه- كتاب الجمعة- باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة- ص2181 برقم (1431), والإمام مالك في الموطأ- كتاب الجمعة- باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة 1/108 برقم (241), والإمام أحمد 6/7, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (13328).

يفعله إلا الجهال؛ لأنه إحداث عبادات ليس لها أصل في الشرع, ولأنه من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر, وذلك أن الغلو في تعظيم هذه الأشياء قد يؤدي إلى عبادتها, واعتقاد أنها تنفع وتضر بذاتها, وهذا هو الشرك بعينه.

حكم هذه الصور:

إن التبرك الممنوع بجميع صوره المذكورة فحكمه إما أن يكون شركا أكبر أو شركا أصغر, وتفصيل ذلك كالتالي:

إذا اعتقد المتبرِّك أن المتبرَّك به- وهو المخلوق- يهب البركة بنفسه, فيبارك في الأشياء بذاته استقلالا, أو طلب منه الخير والنماء فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهذا شرك أكبر؛ لأن الله تعالى وحده موجد البركة وواهبها كما ثبت في صحيح البخاري عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (البركة من الله)[1], فطلبها من غيره, أو اعتقاد أن غيره يهبها بذاته شرك أكبر[2].

أما إذا تبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به, معتقدا أن الله جعل فيه بركة, أو تبرك بشيء ورد التبرك به لكن بوجه غير الذي ورد التبرك به في الشرع فهذا من الشرك الأصغر؛ لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها من كتاب أو سنة, ولأنه جعل ما ليس بسبب سببا, وهو طريق سريع للوقوع في الشرك الأكبر[3].

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى في جوابه عن حكم التبرك بالقبور: "وأما التبرك بها فإن كان يعتقد أنها تنفع من دون الله عز وجل, فهذا شرك في الربوبية مخرج عن الملة, وإن كان يعتقد أنها سبب وليست تنفع من دون الله فهو ضال غير مصيب, وما اعتقده فإنه من الشرك الأصغر"[4].

---

1 (1) سبق تخريجه ص335.

2 (2) تسهيل العقيدة الإسلامية ص289.

3 (3) المرجع السابق ص289-290.

4 (4) فتاوى مهمة ص88.

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في شرحه لحديث أبي واقد الليثي[1]: "فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بها كما تبرك المشركون بها, وأولئك طلبوا إلها كما لهم آلهة, فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك, واتخاذه إلها شرك واضح"[2].

وفي شرحه للحديث المذكور قال سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: "فالحاصل, أن التبرك بالأشجار والأحجار هو من سنة المشركين, ومن سنة الجاهلية, ومن فعله فهو متشبه بالكفار, وهو كافر مثلهم, لا فرق بين من يعبد القبر ومن يعبد اللات والعزّى, أو الذي يطلب البركة من الشجرة والذي يطلبها من الصنم, لا فرق بينهما" ثم قال: "ففي هذا بطلان التبرك بالأشجار والأحجار, وأنه شرك؛ لأن موسى عليه السلام قال: [illegible] (الأعراف:140), فدل على أن من تبرك بشجر أو حجر فقد اتخذه إلها, وهذا هو الشرك"[3].

إن تلك الصور المذكورة للتبرك الممنوع التي قد انخدع بها كثير من مسلمي نيجيريا واعتادوها حتى أصبحت جزءا من عقائدهم فسببها الجهل واتباع الهوى, ولا شك أن الجهل يضل ولا يهدي, واتباع الهوى لا يؤدي بصاحبه إلا إلى الضلالة. والله تعالى أسأل أن ينير الطريق لمن ابتلوا بهذه المصيبة من مسلمي قومي ليهتدوا إلى ما أرشدهم إليه

---

[1] (5) سبق تخريجه ص254.

[2] (1) القول المفيد على كتاب التوحيد 1/205.

[3] (2) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد 1/161-162.

الشرع المطهر؛ فالشرع أتى ليعيد الناس إلى صوابهم, ويطارد الانحراف بشتى الوسائل. والله الهادي إلى سواء السبيل.

شبه وردود

الشبهة الأولى:

استدلالهم بتبرك الصحابة رضي الله عنهم بالنبي- صلى الله عليه وسلم- في حياته, فجوزوا بذلك التبرك بقبره- عليه الصلاة والسلام- بعد وفاته, وكذلك قبور غيره من الأولياء والصالحين.

والرد على ذلك من وجوه:

1- أنه إذا كانوا يستدلون بفعل الصحابة الكرام عليهم رضوان الله, فينبغي أن لا يكون بفعلهم في حال دون حال أو في فترة من الزمن دون فترات أخرى, بل يجب الاستدلال بفعلهم وهم الذين صاحبوا النبي- صلى الله عليه وسلم, وشاهدوا التنزيل, وتتلمذوا ثم تخرجوا في مدرسة النبوة, وعاشوا في خير القرون.

ولو استدلوا بفعل الصحابة الكرام بعد وفاة النبي- عليه الصلاة والسلام- كما استدلوا بفعلهم في حياته لأدركوا تمام الإدراك بأنهم عليهم رضوان الله لم يكونوا يتبركون بقبره أو يتقصدون أي نوع من أنواع العبادة عنده.

2- بل إن المستقر عندهم هو النهي عن فعل أي نوع من أنواع العبادة لله تعالى عند القبر أو التبرك به, ومما يدل على ذلك من سيرهم العطرة:

إخفاؤهم قبر دنيال لئلا يفتتن الناس به, فقد روى محمد بن إسحاق عن أبي خالد بن دينار عن أبي العالية قال: لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف, فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعبا فنسخه بالعربية, فأنا أول رجل من العرب قرأه, قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا, فقلت لأبي العالية ما كان فيه؟ قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد, قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة,

فلمـا كـان بالليـل دفنـاه وسـوينا القبـور كلهـا لنعميـه على النـاس فلا ينبشـونه, قلت: فمـا يرجـون منه؟ قـال: كـانت السماء إذا حبسـت عنهم بـرزوا بسـريره فيمطـرون, قلت: مَنْ كنتم تظنون الرجل : قال: رجل يقال له دانيال[1].

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه: "ففي هـذه القصة مـا فعلـه المهـاجرون والأنصـار من تعميـة قـبره لئلا يفتتن به الناس, وهو إنكار منهم لذلك"[2].

ومنـه مـا روي عن أنس قـال: قمت يومـا أصلي وبين يدي قبر لا أشعر به, فنادانى عمر: القبر القبر, فظننت أنــه يعـني القمر, فقـال لي بعض من يليـني: إنمـا يعـني القـبر, فتنحيت عنه[3].

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه: "لـو كـان للأعمال عنـد القـبر فضـيلة لفتح للمسـلمين بـاب الحجـرة, فلمــا منعــوا من الوصــول إلى القــبر وأمــروا بالعبــادة في المسجد علم أن فضيلة العمل فيه لكونه في مسجده"[4].

3- أنـه قـد وردت عـدة أحـاديث في نهيـه- صـلى اللـه عليه وسلم- عن اتخاذ القبور مسـاجد, وتحـذيره عن اتخـاذ قبره عيدا, ومن ذلك:

ما رواه عائشة وعبد الله بن عبـاس رضـي اللـه عنهم قالا: لما نزل برسول الله- صـلى اللـه عليـه وسـلم- طفـق يطــرح خميصــة على وجهه, فــإذا اغتم كشــفها عن وجهــه فقال وهو كذلك: (لعنة اللـه على اليهـود والنصـارى اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد)ـ يحذر ما صنعوا[5].

ومـا رواه عبـد الله بن مسـعود رضـي اللـه عنه قـال: سمعت رسول- الله صلى الله عليه وسلم- يقــول: (إن من

---

[1] (1) أوردها ابن كثير في البداية والنهاية 2/40, وقال: وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية. البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء, مكتبة المعارف- بيروت, وانظر: مجموع الفتاوى 27/171, دقائق التفسير 2/151.

[2] (2) اقتضاء الصراط المستقيم ص339.

[3] (3) سبق تخريجه ص356.

[4] (4) مجموع الفتاوى 27/236-237.

[5] (5) سبق تخريجه ص115.

شـرار النـاس من تدركـه السـاعة وهم أحيـاء, ومن يتخـذ القبور مساجد)[1].

وما رواه أبو هريرة رضي اللـه عنه قـال: قـال رسـول الله- صلى الله عليـه وسـلم: (لا تجعلـوا بيـوتكم قبـورا, ولا تجعلوا قبري عيدا, وصـلوا علي فـإن صـلاتكم تبلغـني حيث كنتم)[2].

4- أن النبي- صلى اللـه عليـه وسـلم- لم يرشـد أمتـه إلى هذا النوع من التبرك, وقد أرسل رحمة للعالمين, وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيمـا, لم يـدع شـيئا يقـربهم من اللـه إلا دلهم عليه, ولا شيئا يبعدهم عن الله إلا حذرهم منه.

ومما دل عليه أمته أو فعلوه في حضرته وأقرهم عليه التبرك بذاته وبمـا انفصـل من جسـده الشـريف, يـدل على ذلك:

ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي جحيفة رضي اللـه عنه أنه قـال: خـرج رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وسـلم- بالهـاجرة إلى البطحـاء فتوضـأ ثم صـلى الظهـر ركعـتين والعصر ركعتين, وفيه: وقام النـاس, فجعلـوا يأخـذون يديـه فيمسحون بهما وجوههم, قال: فأخذت بيده فوضـعتها على وجهي, فـإذا هي أبـرد من الثلج, وأطيب رائحـة من المسك[3].

وما جاء في صحيح البخاري في حديث صـلح الحديبيـة أن عـروة بن مسـعود الثقفي رضـي اللـه عنـه قـال عن أصـحاب النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم: فواللـه مـا تنخم

---

[1] (6) أخرجه أحمد في مسنده 1/405, وابن خزيمة في صحيحه 2/6, وابن حبان في صحيحه 6/94, والطبراني في المعجم الكبير 10/188, وابن أبي شيبة في مصنفه 3/30 عن عبد الله بن مسعود, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 2/143: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

[2] (1) أخرجه أبو داود في سننه برقم (2042), وأحمد في مسنده 2/367, والبيهقي في شعب الإيمان 3/491, عن أبي هريرة, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (13182).

[3] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المناقب- باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم- ص289 برقم (3553) عن أبي جحيفة.

رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كــف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده[1].

وما جـاء في صـحيح مسـلم عن أنس بن مالـك رضـي الله عنه قال: كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يدخل بيت أم سليم فينام على فراشـها وليسـت فيه, قـال فجـاء ذات يوم فنام على فراشها, فأُتيت فقيل لها: هـذا النـبي- صـلى الله عليه وسلم- نام في بيتـك على فراشك, قـال: فجـاءت وقد عرق, واستنقع عرقـه على قطعـة أديم على الفـراش, ففتحت عتيـدتها, فجعلت تنشـف ذلـك العـرق فتعصـره في قواريرها, ففزع النبي- صلى الله عليـه وسـلم- فقـال: (مـا تصنعين يا أم سليم؟) فقالت: يـا رسـول اللـه نرجـو بركتـه لصبياننا, قال: (أصبت)[2].

ومــا جــاء في صــحيح مســلم من حــديث أبي أيــوب الأنصاري رضي الله عنه, وفيـه (فكـان يصـنع للنـبي- صـلى الله عليه وسلم- طعاما, فإذا جيء به إليه سأل عن موضــع أصابعه, فيتتبع موضع أصابعه)[3].

وما ثبت في الصحيحين عن سهل بن سـعد السـاعدي رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليـه وسـلم- أتي بشراب, فشرب منه, وعن يمينه غلام, وعن يساره أشـياخ, فقال للغلام: (أتأذن لي أن أعطي هـؤلاء؟) فقـال الغلام: لا والله, لا أوثر بنصـيبي منـك أحـدا, قـال: فتلّـه رسـول الله- صلى الله عليه وسلم- في يده[4].

---

1 (3) جزء من حديث صلح الحديبية الطويل أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الشروط- باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط- ص217-218 برقم (2731,2732) عن عروة بن الزبير.

2 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الفضائل- باب طيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك به- ص1089 برقم (2331) عن أنس بن مالك.

3 (2) جزء من حديث أبي أيوب الأنصاري أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الأشربة- باب إباحة أكل الثوم- ص1044 برقم (2053) عن أبي أيوب الأنصاري.

4 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأشربة- باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر؟- ص482 برقم (5620), ومسلم في صحيحه- كتاب الأشربة- باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما على يمين المبتدئ ص1040 برقم (2030) عن سهل

ولو كان التبرك بقبره- عليه الصلاة والسلام- مما ينفع الأمة لدلّهم عليه, وأرشدهم إليه, ولما لم يفعل ذلك علم أن هذا الأمر من المحدثات التي كلها ضلالة.

5- أن العلماء المعتبرين وأئمة الدين المصلحين قد اتفقوا على أن التمسح بالقبر وتقبيله مما ينهى عنه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين والصحابة وأهل البيت وغيرهم أنه لا يتمسح به ولا يقبله, بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود, وأما التمسح بقبر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وتقبيله فكل الأئمة الأربعة كرهوا ذلك ونهوا عنه؛ وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- من حسم مادة الشرك, وتحقيق التوحيد, وإخلاص الدين لله رب العالمين"[1].

6- أن مبدأ الشرك في البشرية كان من جهة القبور والتبرك بها.

ففي شرح قصيدة ابن القيم: "لم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء, واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا يقبله, وهذا كله محافظة على التوحيد, فإن من أصول الشرك بالله سبحانه اتخاذ القبور مساجد كما قالت طائفة من السلف في قوله تعالى: [illegible] (نوح:23) قالوا: هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح, فلما ماتوا عكفوا على قبورهم, ثم صوروا على صورهم تماثيل, ثم طال عليهم الأمد فعبدوها. وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس, وذكره محمد بن جرير الطبري وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف"[2].

بن سعد الساعدي.

[1] (4) مجموع الفتاوى 27/79-80.

[2] (1) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى 2/360, تحقيق زهير الشاويش, ط/الثالثة 1406هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.

7- أن التبرك بالقبور بتقبيلها والتمسح بها مما يفضي إلى أعمال أهل الجاهلية من الشرك بدعاء الأموات والاستغاثة بهم, واعتقاد الخير فيهم والاستعاذة بهم من الشر.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد إيراده لأحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد: "فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- مقاصده, جزم جزما لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي بصيغتيه: صيغة لا تفعلوا, وصيغة إني أنهاكم, ليس لأجل النجاسة, بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه, وارتكب ما عنه نهاه, واتبع هواه, ولم يخش ربه ومولاه, وقل نصيبه أو عدم في تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله, فإن هذا وأمثاله من النبي- صلى الله عليه وسلم- صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه, وتجريد له, وغضب لربه أن يعدل به سواه, فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكابا لنهيه, وغرهم الشيطان فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين, وكلما كنتم أشد لها تعظيما وأشد فيهم غلوا كنتم بقربهم أسعد ومن أعدائهم أبعد. ولعمر الله, من هذا الباب بعينه دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر, ومنه دخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة, فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم, وهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم, وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم"[1].

وإذا كان التبرك بقبره- عليه الصلاة والسلام- لم يشرع ولم يدل عليه أي دليل, فمن باب أولى استبعاد شرعية التبرك بقبور غيره من الأولياء والصالحين.

الشبهة الثانية:

قياسهم سائر الأولياء والصالحين بالنبي- صلى الله عليه وسلم- في التبرك بذاته وآثاره لتجويز التبرك بذوات هؤلاء الصالحين وآثارهم.

والرد على ذلك من وجوه:

---

1 (1) إغاثة اللهفان 1/189.

1- أن قياس سائر الصالحين بالنبي- صلى الله عليه وسلم- في التبرك بذاته وآثاره قياس مع الفارق؛ ذلك أن الأدلة قد وردت في التبرك بذات النبي- عليه الصلاة والسلام- وآثاره تدل على شرعيته, أما التبرك بذوات غيره من الصالحين وآثارهم فلم يرد دليل واحد في ذلك, لا من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم.

2- أن التبرك بذات النبي- صلى الله عليه وسلم- وآثاره أمر مشهور بين الصحابة, فقد كانوا يتسابقون إليه لمعرفتهم ما لهم فيه من منفعة؛ بدليل جواب أم سليم لما سألها النبي- عليه الصلاة والسلام- عن سبب جمعها لعرقه وإقرارها عليه: (ما تصنعين يا أم سليم؟) فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا, قال: (أصبت)[1].

ومع هذا كله لم يكونوا يتبركون بغيره من كبار الصحابة مثل أبي بكر وعمر, لا في حياة النبي- عليه الصلاة والسلام- ولا بعد وفاته, فعلم من ذلك يقينا بأن هذا النوع من التبرك من خصوصيته- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم, فلا غرابة فقد جاء في الشرع اختصاصه بأشياء دون غيره, وهذا أمر لا يشك فيه مؤمن.

3- أن التبرك بذوات الأولياء والصالحين وآثارهم سبب للغلو فيهم, بل قد يوصل إلى الإشراك بالله, كدعائهم والاستغاثة بهم, وطلب الشفاء منهم صراحة, والشريعة قد جاءت بسد كل باب مفض إلى مفسدة, وخاصة إذا كانت تلك المفسدة متعلقة بأصل الرسالة, وهو توحيد الله عز وجل[2].

الشبهة الثالثة:

الاستدلال بتحنيك النبي- صلى الله عليه وسلم- للطفل, وأن ذلك يفيد مشروعية التبرك بالصالحين.

ففي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها هاجرت على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهي حبلى بعبد الله بن الزبير. قالت: فأتيت المدينة

---

1 (2) سبق تخريجه ص367.

2 (1) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص885.

فنزلت بقباء, فولدته بقباء, ثم أتيت رسول الله- صلى اللــه عليه وسلم- فوضعه في حجره, ثم دعا بتمرة فمضــغها, ثم تفل في فيه, فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسـول الله- صلى الله عليه وسلم, ثم حنكه بالتمرة[1].

ويوردون هنا ما يـذكره بعض أهـل العلم من أن ذلـك دال على استحباب التبرك بأهل الفضل والصلاح, ومن ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح عنـد شـرحه لحـديث أم قيس في نضـح النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- على بـول الطفل, حيث قال: "وفي هـذا الحـديث من الفوائد: النـدب إلى حسن المعاشـرة والتواضع, والرفـق بالصـغار, وتحنيـك المولود, والتبرك بأهل الفضل, وحمـل الأطفـال إليهم حـال الولادة وبعدها"[2].

والرد على ذلك كما يلي:

أن هـذا متعقب بـأن الصـحابة رضـوان اللـه عليهم لم يكونوا يفعلون ذلك إلا مـع النـبي- صـلى اللـه عليـه وسـلم, فيكون ذلـك داخلا في عمـوم تـبركهم بـأثره- عليـه الصـلاة والسلام, وقد تقدم تقرير خصوصـية النـبي في ذلـك وعـدم جواز قياس غيره من الصالحين عليه.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعـالى معقبـا على كلام الحافــظ ابن حجــر الســابق: "في هــذا نظــر, والصواب أن ذلك خاص بالنبي- صلى الله عليـه وسـلم, ولا يقاس عليه غيره؛ لما جعل الله فيـه من البركـة وخصـه بـه دون غيره؛ ولأن الصحابة رضـي اللـه عنهم لم يفعلـوا ذلـك مع غيره- عليه الصلاة والسلام- وهم أعلم النـاس بالشـرع, فوجب التأسي بهم؛ ولأن جواز مثل هذا لغـيره- صـلى اللـه عليه وسلم- قد يفضي إلى الشرك, فتنبه"[3].

---

1 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العقيقة- باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه- ص471 برقم (5469), ومسلم في صحيحه- كتاب الآداب- باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته- ص1060-1061 برقم (2146) عن أسماء بنت أبي بكر.

2 (3) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 1/327.

3 (1) انظر: فتح الباري لابن حجر وعليه تعليقات مهمة للشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد الرحمن البراك 3/684 الهامش رقم (4), 3/709 الهامش رقم (3), 4/367 الهامش رقم (1).

الشبهة الرابعة:

الاستدلال بفعل ابن عمر رضي الله عنهما في تتبعه لآثار النبي- صلى الله عليه وسلم- لجواز التبرك ببعض البقاع التي لم يرد عليه دليل.

والرد على ذلك من وجوه:

1- أن هناك أماكن كان للنبي- صلى الله عليه وسلم- فيها شأن كغار حراء, وغار ثور, ومكان مولده, والموضع الذي أسري به منه, وموضع بيعة العقبة ونحو ذلك من البقاع, ومع ذلك لم يكن- عليه الصلاة والسلام- يخص تلك الأماكن بشيء, ولم يشرع لأمته زيارتها ولا الصلاة عندها ولا غير ذلك[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ثم إنه- أي النبي صلى الله عليه وسلم- اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع, وحج معه جماهير المسلمين لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله, وهو في ذلك كله لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء ولا يزوره, ولا شيئا من البقاع التي حول مكة, ولم يكن هناك إلا بالمسجد الحرام, وبين الصفا والمروة وبمنى ومزدلفة وعرفات, وصلى الظهر والعصر ببطن عرنة, وضربت له القبة يوم عرفة بنمرة المجاورة لعرفة. ثم بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم من السابقين الأولين لم يكونوا يسيرون إلى حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء.

ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعا مستحبا يثيب الله عليه لكان النبي- صلى الله عليه وسلم- أعلم الناس بذلك وأسرعهم إليه, ولكان علّم أصحابه ذلك, وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم, فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة, فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم, وشرع في الدين مالم يأذن به الله"[2].

---

1 (2) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص 898.

2 (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص425-426.

2- أن ذلـك لم يكن من هـدي الصـحابة رضـي اللـه عنهم, بل المنقول عنهم هو النهي عن تتبع البقـاع الـتي لم يقم الدليل على تقصد العبادة عندها, ومن أدلة ذلك:

ما روي عن المعرور بن سويد قـال: خرجنـا مـع عمـر في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر (ألم تر كيـف فعـل ربـك بأصحاب الفيل) و (لإيلاف قريش), فلما قضى حجـه ورجـع والناس يبتدرون, فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسـجد صـلى فيـه رسول الله- صلى الله عليه وسلم, فقال: هكـذا هلـك أهـل الكتاب, اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا, من عرضـت لـه منكم فيـه الصـلاة فليصل, ومن لم تعـرض لـه منكم فيـه الصـلاة فلا يصل[1].

وما جاء في قطع عمر للشجرة التي تمت عندها بيعـة الرضوان, لما رأى الناس يـأتون إليهـا. فقـد روى ابن سـعد في الطبقات الكبرى قال: "أخبرنـا عبـد الوهـاب بن عطـاء أخبرنا عبد الله بن عون عن نـافع قـال: كـان النـاس يـأتون الشجرة التي يقال لهـا شـجرة الرضـوان فيصـلون عنـدها, قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطـاب فأوعـدهم فيها, وأمـر بها, فقطعت"[2].

وما ثبت أن بعض الصـحابة والتـابعين قـد قـام بزيـارة بيت المقدس وصلى فيـه, فلم يقصـد أحـدهم الصـخرة, ولا صــلى عنــدها, ولا خصــها بشــيء من العبــادات, لا هي ولا غيرها من المواضع هناك مما لم يقم دليل على تخصيصه.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه: "ولم يصـل عمــر ولا المســلمون عنــد الصــخرة, ولا تمســحوا بها, ولا قبلوهـا بـل يقـال إن عمـر صـلى عنـد محـراب داود عليـه السلام الخارج, وقد ثبت أن عبد الله بن عمـر كـان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه وصلى فيه, ولا يقـرب الصـخرة ولا يأتيها, ولا يقرب شيئا من تلك البقاع, وكذلك نقـل عن غـير

---

1 (2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 2/151 عن المعرور بن سويد. وقال الألباني في الثمر المستطاب 1/417: هذا إسناد صحيح على شرط الستة, الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب تأليف محمد ناصر الدين الألباني, ط/ الأولى غراس للنشر والتوزيع.

2 (3) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري 2/100, دار صادر- بيروت.

واحد من السلف المعتبرين كعمر بن عبد العزيز والأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم؛ وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مزية لبعضها عن بعض إلا ما بنى عمر رضي الله عنه لمصلى المسلمين"[1].

3- أن ما عليه بقية صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يخالف فعل ابن عمر هذا, وعلى رأس من خالفه أبوه عمر بن الخطاب حيث كان ينهى عن تتبع الآثار التي كان يمر بها النبي- صلى الله عليه وسلم- اتفاقا, وما من شك أن قول عمر مقدم على رأي ابنه عبد الله, وقد قال النبي- عليه الصلاة والسلام: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)[2], فهذا الفعل مما انفرد به عبد الله بن عمر, لم يوافقه عليه بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولأن ما فعله ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة, فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا عن غيرهم من المهاجرين والأنصار أن أحدا منهم كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي- صلى الله عليه وسلم, والصواب مع جمهور الصحابة؛ لأن متابعة النبي- صلى الله عليه وسلم- تكون بطاعة أمره وتكون في فعله بأن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعله, فإذا قصد النبي- صلى الله عليه وسلم- العبادة في مكان كان قصد العبادة فيه متابعة له, كقصد المشاعر والمساجد, وأما إذا نزل في مكان بحكم الاتفاق لكونه صادف وقت النزول أو غير ذلك مما يعلم أنه لم يتحر ذلك المكان, فإنا إذا تحرينا ذلك المكان لم نكن متبعين له, فإن الأعمال بالنيات"[3].

4- أنه لم ينقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يفعل ذلك تبركا بتلك البقاع, وإنما يحمل ذلك على ما كان عليه رضي الله عنه من شدة الاتباع للنبي- صلى الله عليه

---

1 (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص434-435.

2 (2) سبق تخريجه ص358.

3 (3) اقتضاء الصراط المستقيم ص387.

وسلم, وهذا اجتهاد منه رضي الله عنه في المبالغة في الاتباع, لا سيما وأنه لم يوافق على ذلك[1].

ثم إنه لم يكن يتقصد تلك البقاع بالسفر وشد الرحل إليها, وإنما كان يتقصدها ما دامت في طريق سفره[2]. والله تعالى أعلم.

الشبهة الخامسة:

الاستدلال بطلب بعض الصحابة من النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يصلي لهم في بيوتهم ليتخذوا من ذلك المكان مصلى.

ففي الصحيحين من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه أنه أتى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إني أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم لأصلي لهم, فوددت يا رسول الله أنك تأتي فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى, فقال: (سأفعل إن شاء الله). قال عتبان: فغدا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر حين ارتفع النهار, فاستأذن النبي- صلى الله عليه وسلم- فأذنت له, فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال لي: (أين تحب أن أصلي من بيتك) فأشرت إلى ناحية من البيت, فقام النبي- صلى الله عليه وسلم- فكبر فصففنا, فصلى ركعتين ثم سلم[3].

والرد على ذلك كما يلي:

أن هذا ليس من تقصد ما صلى فيه النبي- صلى الله عليه وسلم- اتفاقا, بل قد تقصد النبي- صلى الله عليه وسلم- الصلاة فيه ليكون مصلى لعتبان رضي الله عنه؛ ولذلك بادره النبي- عليه الصلاة والسلام- بالسؤال: (أين تحب أن أصلي من بيتك؟). ففي هذا إقرار من النبي- صلى الله عليه وسلم- لعتبان على ذلك.

---

1 (4) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع للدكتور علي بن نفيع العلياني ص70, ط/الأولى 1411هـ, دار الوطن للنشر- الرياض, التبرك للجديع ص350.

2 (1) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع للعلياني ص70.

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التطوع- باب صلاة النوافل جماعة, ومسلم في صحيحه برقم (33) عن عتبان بن مالك.

ولذلك فإن هذا لا يعارض نهي عمر عن تتبع المواضع التي صلى بها النبي- صلى الله عليه وسلم- اتفاقا؛ إذ إن الواقع في هذه المسألة هو تقصد مكان قد أقر النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يتخذ مصلى[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان المعنى في هذا الحديث: "ففي هذا الحديث دلالة على أن من قصد أن يبنى مسجده في موضع صلاة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فلا بأس به, وكذلك قصد الصلاة في موضع صلاته, ولكن هذا كان أصل قصده بناء مسجد, فأحب أن يكون موضعا يصلي له فيه النبي- صلى الله عليه وسلم- ليكون النبي- صلى الله عليه وسلم- هو الذي يرسم المسجد, بخلاف مكان صلى فيه النبي- صلى الله عليه وسلم- اتفاقا فاتخذ مسجدا, لا لحاجة إلى المسجد, لكن لا لأجل صلاته فيه.

فأما الأمكنة التي كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يقصد الصلاة والدعاء عندها فقصد الصلاة أو الدعاء فيها سنة اقتداء برسول الله- صلى الله عليه وسلم- واتباعا له, كما إذا تحرى الصلاة أو الدعاء في وقت من الأوقات, فإن قصد الصلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عباداته, وسائر الأفعال التي فعلها على وجه التقرب"[2].

الشبهة السادسة:

الاستدلال باتخاذ مقام إبراهيم مصلى على جواز التبرك ببعض البقاع التي لم يرد عليه دليل.

والرد على ذلك كما يلي:

أن مرد اتخاذ المقام مصلى هو الدليل الشرعي وليس لكونه أثرا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام, بحيث لو لم يرد في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه- صلى الله عليه وسلم- لما كان أن يتخذ مصلى, ولعُدّ ذلك من المحدثات. فاتخاذ مقام إبراهيم مصلى أمر تعبدي, دل عليه الدليل الشرعي.

---

1 (3) شبهات المبتدعة ص903.

2 (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص388.

وهـذا هـو فيصـل مـا بين التـبرك المشـروع والتـبرك المبتدع, وكل الكلام إنما مرجعـه إليـه؛ ليكـون الصـدور في الأقوال والأعمال في هذا الباب عن دليل شرعي[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه اللـه تعـالى: "فـإن قيل: قد أمر الله أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى فيقـاس عليه غيره. قيل له: هذا الحكم خاص بمقـام إبـراهيم الـذي بمكة, سواء أريد به المقام عند الكعبة موضع قيام إبراهيم, أو أريد بـه المشـاعر عرفـة ومزدلفـة ومـنى, فلا نـزاع بين المسلمين أن المشاعر خصت من العبادات بما لم يشـركها فيه سائر البقاع, كما خص البيت بالطواف, فمـا خصـت بـه تلك البقاع لا يقاس عليها غيرها, وما لم يشرع فيهـا فـأولى أن لا يشـــرع في غيرها... وأمـــا تقبيـــل شـــيء من ذلـــك والتمسح به فالأمر فيه أظهر؛ إذ قد علم العلماء بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعة رسول الله- صلى الله عليه وسلم"[2].

الشبهة السابعة:

الاحتجــاج بعــدم ورود دليــل يمنــع من التــبرك ببعض الأزمنة لجواز التبرك بها, ومن ذلـك صـيام بعضـهم شـهري رجب وشعبان بالكامـل, وتخصـيص ليلـة النصـف من شـهر شعبان بالقيام وغير ذلك.

والرد على ذلك من وجوه:

1- أن الأصـل في العبـادات الحظـر والمنـع حـتى يـرد دليل يدل على مشروعيته, فلما لم يوجد دليل لا من كتــاب الله تعـالى ولا من سـنة رسـوله- صـلى اللـه عليـه وسـلم- يثبت مشروعية هذه الأفعال وتخصيصـها بهـذه الأزمنـة علم حينئذ أنه لا يمكننا التعبد بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة رحمـه اللـه: "الأصـل في العبادات التوقيف, فلا يشرع منها إلا ما شـرعه اللـه تعـالى وإلا دخلنا في معنى قوله: (الشورى:21)"[3].

---

[1] (2) شبهات المبتدعة ص891, 905.

[2] (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص428-429.

[3] (2) الفتاوى الكبرى 4/5.

2- أن المطالبة بـدليل يمنـع من التعبـد بـأي شـيء لم يشـرع أمـر يـؤدي إلى قلب القاعـدة السـابقة رأسـا على عقب, وهي أن الأصـل في العبـادات الحظـر والمنـع, وهي قاعدة بنى عليها كثير من علماء الأمة مذاهبهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة رحمـه اللـه: "ولهـذا كـان الأصـل الـذي بـنى الإمـام أحمـد وغـيره من الأئمـة عليـه مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى عبادات يتخذونها دينـا ينتفعون بها في الآخرة أو في الـدنيا والآخـرة, وإلى عـادات ينتفعـون بهـا في معايشـهم, فالأصـل في العبـادات أن لا يشرع منهـا إلا مـا شـرعه الله, والأصـل في العـادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله"[1].

3- أن التبرك بهذه الأزمنـة بهـذه الصـورة لم يكن من فعل صحابة رسول الله- صلى الله عليـه وسـلم- وهم أعلم الناس بما شرع لهذه الأمة.

وقد سئل شيخ الإسلام رحمه الله عما ورد في ثواب صيام الأشهر الثلاثة: رجب وشعبان ورمضان, فأجاب: "أما تخصيص رجب وشعبان جميعا بالصوم أو الاعتكاف فلم يرد فيه عن النبي شيء, ولا عن أصحابه, ولا أئمة المسلمين, بل قد ثبت في الصحيح أن رسول الله كان يصوم إلى شعبان ولم يكن يصوم من السنة أكثر مما يصوم من شعبان من أجل شهر رمضان, وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة, بل موضوعة, لا يعتمد أهل العلم على شيء منها, وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل, بل عامتها من الموضوعات المكذوبات,... لكن صح أن عمر بن الخطاب كان يضرب أيدي الناس ليضعوا أيديهم في الطعام في رجب ويقول: لا تشبهوه برمضان, ودخل أبو بكر فرأى أهله قد اشتروا كيزانا للماء واستعدوا للصوم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجب, فقال: أتريدون أن تشبهوه برمضان؟ وكسر تلك الكيزان. فمتى أفطر بعضا لم يكره صوم البعض"[2].

---

1 (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص269.

2 (2) مجموع الفتاوى 25/290-291.

4- أن في ذلك تشبها بأهل الكتاب؛ لأنهم هم الذين يجعلون من الحوادث التي تمر بهم مواسم للعبادة لم ينزل الله بها من سلطان.

5- ما تؤول إليه تلك الأعمال المبتدعة من ضعف القلوب عن السنن, واشتغالها بالمبتدعات, وكذلك ما تشتمل عليه من مخالفات شرعية ظاهرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان ما في تلك المواسم المبتدعة من مخالفات: "وأما ما فيها من المنفعة فيعارضه ما فيها من مفاسد البدع الراجحة, منها مع ما تقدم من المفسدة الاعتقادية والحالية أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن حتى تجد كثيرا من العامة يحافظ عليها ما لا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس.

ومنها: أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن, وتفتر رغبتهم فيها, ومنها: ما في ذلك من مصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وما يترتب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين وانتشار زرع الجاهلية"[1].

---

1 (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص291-292.

الفصل الرابع
رقية المريض وعلاجه

المبحث الأول
الهدي النبوي في الرقية وعلاج المريض بالأدوية المباحة

أولا: هديه- صلى الله عليه وسلم- في الرقية:

تعريف الرقية:

الرُّقْيَة هي: العُوذة التي يُرْقى بها صاحب الآفة كالحُمَّى والصَّرع وغير ذلك من الآفات[1].

وكانت الرقى معروفة عند الناس قبل الإسلام, يدل على ذلك ما يلي:

ما رواه مسلم عن ابن عباس: أن ضمادا[2] قدم مكة كان من أزد شنوءة وكان يرقي من هذه الريح, فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدا مجنون فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي, قال: فلقيه, فقال: يا محمد! إني أرقي من هذه الريح, وإن الله يشفي على يدي من يشاء, فهل لك؟ ... الحديث[3].

وما رواه مسلم أيضا في صحيحه عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله صلى الله عليه

---

1 (1) النهاية لابن الأثير 2/621.

2 (2) ضماد: اسم رجل من أزد شنوءة, وفي غريب الحديث للخطابي 1/134: "وهذا كقول ضماد الأزدي حين عرض عليه رسول الله الإسلام, قال: فسمعت كلاما لم أسمع قولا قط أسمع منه, يريد أبلغ منه ولا أنجع في القلب.

3 (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجمعة- باب تخفيف الصلاة والخطبة- ص813, برقم (868) عن عبد الله بن عباس.

وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا رسول الله, إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى, قال: فعرضوها عليه فقال: (ما أرى بأسا, من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه)[1].

وفي مسلم أيضا عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله, كيف ترى في ذلك؟ فقال: (اعرضوا علي رقاكم, لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)[2].

والرقى كانت معروفة قبل الإسلام عند أهل الكتاب وعند العرب في جاهليتهم, فلما عرض ما عرض منها على النبي- صلى الله عليه وسلم- رخص لهم فيما لم ير فيه بأسا, وكان خاليا من الشرك وأقرهم عليه, أما ما كان فيه شرك من دعاء غير الله أو الاستغاثة بغيره تعالى فقد نهى عنه وحذر منه حماية لجناب التوحيد, وعلى مثل ذلك يدل قوله- عليه الصلاة والسلام: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)[3].

والرقى الخالية من الشرك مشروعة, وقد ثبتت مشروعيتها بالسنة والإجماع[4] إذا توفرت فيها تلك الشروط التي وضعها العلماء, فقد رقى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- نفسه وأقر غيره على فعل الرقية.

الأدلة على جواز الرقية:

إن الأدلة التي تؤيد جواز الرقية الخالية من الشرك كثيرة جدا, منها:

1- ما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان إذا أوى إلى

---

[1] (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة- ص1068, برقم (2199) عن جابر بن عبد الله.

[2] (1) سبق تخريجه ص46.

[3] (2) سبق تخريجه ص89.

[4] (3) حكى الإجماع ابن حجر في الفتح, سليمان بن عبد الله في تيسير ص138 وعبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد ص148 كلاهما عن السيوطي.

فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما (قل هو الله أحد) و(قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس), ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده, يفعل ذلك ثلاث مرات[1].

2- وفي صحيح البخاري أيضا عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول- الله صلى الله عليه وسلم- كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات, ومسح عنه بيده, فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث, وأمسح بيد النبي- صلى الله عليه وسلم عنه[2].

3- ما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أيضا قالت: كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات, فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه, لأنها كانت أعظم بركة من يدي[3].

ففي هذه الأحاديث دلالة على أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان ينفث بالمعوذات على نفسه إذا أوى إلى فراشه كل ليلة, ويفعل ذلك لنفسه ولغيره عند المرض.

فالرقية جائزة في الشريعة الإسلامية إلا أن ذلك ليس على إطلاقه, بل هو مقيد بشروط لا بد من توافرها في كل رقية, وهذه الشروط هي:

1- أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

2- أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه.

3- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى.

ولا منافاة بين استخدام الرقى والتوكل على الله تعالى الذي هو من صميم العبادة إذا خلت من الأمور

---

1 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب فضائل القرآن- باب فضل المعوذات- ص435 برقم (5016) عن عائشة.

2 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المغازي- باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته- ص364 برقم (4439) عن عائشة.

3 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب رقية المريض بالمعوذات والنفث ص1067 برقم (2192) عن عائشة.

الشركية المنافية لأصل التوحيد أو كماله, ولم يعتمد عليها اعتمادا كليا يؤدي إلي الاعتقاد بأنها مؤثرة بذاتها, بل لا بد من الاعتقاد الجازم بأن الشافي هو الله سبحانه وتعالى, وإنما الرقى مجرد الأخذ بالأسباب التي لا تؤثر إلا بقدرة الله ومشيئته.

ثانيا: هديه- صلى الله عليه وسلم- في علاج المريض بالأدوية المباحة:

"ومن تأمل هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به, فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب, والملبس والمسكن والهواء, والنوم واليقظة, والحركة والسكون, والمنكح, والاستفراغ والاحتباس, فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة كان أقرب إلى دوام الصحة والعافية أو غلبتها إلى انقضاء الأجل.

ولما كانت الصحة من أجلّ نعم الله على عبده, وأجزل عطاياه, وأوفر منحه- بل العافية المطلقة أجلّ النعم على الإطلاق- فحقيق لمن رزق حظا من التوفيق مراعاتها وحفظها, وحمايتها عما يضادها.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)[1].

وفي الترمذي وغيره من حديث عبد الله بن محصن الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أصبح معافى في جسده, آمنا في سربه, عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)"[2].

[1] (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق- باب الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة- ص539 برقم (6412) عن عبد الله بن عباس.

[2] (2) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الزهد- باب في الوصف من حيزت له الدنيا- ص1887 برقم (2346), وابن ماجه في سننه- كتاب الزهد- باب القناعة- ص2729 برقم (4141) والبيهقي في شعب الإيمان 7/294 عن عبيد الله بن محصن, وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

فإذا كانت الصحة في هذه الدرجة العالية من بين نعم الله الكثيرة التي أنعم بها على عباده فحفظها من الزوال من أهم وأفضل ما يهتم به المرء المسلم, وقد كان هدي النبي الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- أكمل الهدي على الإطلاق ينال به المرء حفظ صحة عقله وقلبه وبدنه؛ إذ كان يرى- عليه الصلاة والسلام- أن درهم وقاية خير من قنطار علاج.

فكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- في حفظ صحة الأبدان ما نصح به أمته من مراقبة الطعام حيث يرى ألا يأخذ الإنسان منه إلا ما تمس إليه الحاجة, ومن أحاديثه البالغة الحكمة في ذلك قوله- صلى الله عليه وسلم: (المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء)[1], وفيما رواه الترمذي والنسائي أن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه, بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه, فإن كان لا محالة فثلث لطعامه, وثلث لشرابه, وثلث للنفس)[2].

وتلي مراقبة الطعام في حفظ صحة الأبدان النظافة, فقد كان- صلى الله عليه وسلم- شديد العناية بنظافة جسده وثيابه وبيته, ومما روي عنه في شأن النظافة قوله- عليه والصلاة والسلام: (الطهور شطر الإيمان)[3].

تلك هي إشارات يسيرة إلى شأن رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- في حفظ صحة الأبدان واهتمامه بها, فكما كان له منهج وضعه لأمته في حفظ تلك النعمة العظيمة نعمة الصحة وكذلك كانت له طرق وأساليب يتبعها للعلاج متى ما تعرضت تلك النعمة لنقيضها

---

1 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأطعمة- باب المؤمن يأكل في معى واحد- ص466 برقم (5397), ومسلم في صحيحه- كتاب الأشربة- باب المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء- ص1046 برقم (2062) عن أبي هريرة.

2 (1) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الزهد- باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل- ص1890 برقم (2380), وأحد في مسنده 4/132, والحاكم في المستدرك 4/367, وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

3 (2) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الطهارة- باب فضل الوضوء- ص718 برقم (223) عن أبي مالك الأشعري.

الذي هو المرض, وكان يستخدم الأدوية المباحة ويرشد من أصيب بالمرض من أصحابه إلى استخدامه, وقد كان- صلى الله عليه وسلم- يدعو الأطباء لعلاجه وتطبيبه حينما طعن في السن وتتابعت عليه الأوجاع وكثرت أسقامه.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كثرت أسقامه وكان يقدم عليه أطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجه, وقال هشام لخالته عائشة: أعجب من بصرك بالطب! قالت: إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لما طعن في السن وفدت الوفود فتنعته فمن ثم عرفته)[1].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "فكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- فعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه"[2].

فمن القرآن الكريم وسنته الشريفة وضع محمد بن عبد الله- صلوات الله وسلامه عليه- قواعد وضوابط لمنهجه في علاج المريض بكل ما يحفظ له عقله وقلبه وجسمه؛ وذلك لإسعاد هذا الفرد وتنسيق المجتمع حيث قرر بأن التداوي مطلوب لدفع بلاء المرض ومعاناته ومكابدة ويلاته وثوائبه, ولكن لا يسمح للتداوي بالمحرمات ولا بالنجاسات, فلا ينبغي اتباع طبيب يعالج بالخمر مثلا أو الأخذ بقوله؛ لأن ذلك يخالف شريعتنا الغراء.

أما الأدوية المباحة فكلها من الطيبـات الـتي أحلها الله كما قال تعالى: [illegible] (المائدة:4), فالأدوية المباحة تكون مما أحله الله وليس مما حــرم, ومن تــداوى بحلال الله كــان له فيه شفاء بإذن الله.

ومن الأدوية النافعة المباحة الــتي يعــالج بها النــبي- صــلى الله عليه وســلم- ويــأمر بها اســتخدام العســل, فقد أرشد النبي أمته إلى العلاج بالعسل في قولــه- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: (عليكم بالشفاءين: العسل والقــرآن)

---

1 (3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 23/182 عن عائشة.

2 (4) زاد المعاد في هدي خير العباد 4/9.

[1], قــال ابن القيم تعليقا على هــذا الحــديث: "فجمع بين الطب البشــري والإلهي, وبين طب الأبــدان وطب الأرواح, وبين الدواء الأرضي والدواء السمائي"[2].

ومنها: زيت الزيتون, فعن أبي هريرة رضـي اللـه عنـه عن النبي- صلى الله عليـه وسـلم- أنـه قـال: (كلـوا الـزيت وادهنوا به, فإنه من شجرة مباركة)[3].

ومنها الحبة السوداء, "وتسمى (حبـة البركـة) و(الحبـة السـوداء) و(شـونيز) و(شـينيز) وهمـا من اللغـة الفارسـية, و(البشــمة)"[4], وفي الطب النبــوي لابن القيم: "(الحبـــة السـوداء)
هي:الشــونيز, في لغـــة الفــرس. وهي الكمُّون الأســود, وتسمى الكمون الهندي"[5].

وثبت في الصــحيحين من حــديث أبي ســلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
اللـه- صـلى اللـه عليـه وسـلم- قـال: (عليكم بهـذه الحبـة السوداء, فإن فيها شفاء من كل داء, إلا السام)[6]. والسام: الموت.

---

1 (1) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب الطب- باب العسل- ص2685 برقم (3452), و الحاكم في المستدرك 4/222 وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه, وقد أوقفه وكيع بن الجراح عن سفيان, ووافقه الذهبي, كما رواه البيهقي في السنن الكبرى 9/344 وقال: رفعه غير معروف والصحيح موقوف, ورواه وكيع عن سفيان موقوفا.

2 (2) زاد المعاد في هدي خير العباد 4/30.

3 (3) سبق تخريجه ص347.

4 (4) التداوي بالأعشاب والنباتات قديما وحديثا جمع وتنسيق أحمد شمس الدين ص126, ط/الثانية دار الكتب العلمية- بيروت, دون بيانات أخرى.

5 (5) الطب النبوي ص228.

6 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب الحبة السوداء- ص 487 برقم (5688), ومسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب التداوي بالحبة السوداء- ص1070 برقم (2215), والترمذي في سننه- كتاب الطب- باب ما جاء في الحبة السوداء- ص1856 برقم (2041) عن أبي هريرة, واللفظ للترمذي.

"ولقد أكثر الأطبـاء العـرب القـدامى من الحـديث عن حبة البركة وفوائـدها الطبيـة واسـتعمالاتها لشـفاء أمـراض متعددة ومختلفة, ولعل اهتمامهم بها يرجع إلى مـا ثبت في حديث أبي هريرة المذكور آنفا"[1].

وكما اهتم القدامى بهذا النبات المبارك وكذلك يكـثر اسـتخدامه في الطب الحـديث, وقـد ذكـر الإمـام ابن القيم رحمه الله تعـالى أنواعـا مختلفـة من الأمـراض الـتي يمكن علاجها بالحبة السوداء مع بيـان شـاف لكيفيـة اسـتخدامها, يقول في مستهل كلامـه: "وهي نافعـة من جميـع الأمـراض البـاردة, وتـدخل في الأمـراض الحـارة اليابسـة بـالعَرَض, فتوصل قوى الأدوية الباردة الرطبة إليهـا بسـرعة تنفيـذها, إذا أخذ يسيرها"[2].

ومن الأدوية أيضا الحجامة, ففي الصحيحين من حديث طاووس عن ابن عباس أن النـبي- صـلى الله عليه وسـلم- احتجم وأعطى الحجام أجره[3].

وفي الصـــحيحين أيضا عن حميد الطويل عن أنس أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حجمه أبو طيبة فأمر له بصـاعين من طعـام, وكلم مواليه فخففـوا عنه من ضـريبته وقال: (خير ما تداويتم به الحجامة)[4].

هذا هو القدر اليسير من الأدوية المباحة التي استخدمها النبي- صلى الله عليه وسلم- وأمر بها لعلاج المرضى أذكرها في هذا الصدد "وليس طبه- صلى الله عليه وسلم- كطب الأطباء, فإن طب النبي- صلى الله عليه وسلم- متيقن قطعي إلهي صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل, وطب غيره أكثره حدس وظنون وتجارب, ولا يُنكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة, فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء

---

1 (2) التداوي بالأعشاب والنباتات قديما وحديثا ص127.

2 (3) الطب النبوي ص228.

3 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- باب خراج الحجام- ص177 برقم (2278) عن عبد الله بن عباس.

4 (5) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب الحجامة من الداء- ص487 برقم (5696), ومسلم في صحيحه- كتاب المساقاة- باب حل حجرة الحجامة- ص951-952 برقم (1577) عن أنس بن مالك.

به وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان, فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور- إن لم يُتلقَّ هذا التلقي- لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها, بل لا يزيد المنافقين إلا رجسا إلى رجسهم ومرضا إلى مرضهم, وأين يقع طب الأبدان منه! فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة, كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية, فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن طب الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع, وليس ذلك لقصور في الدواء, ولكن لخبث الطبيعة وفساد المحل وعدم قبوله. والله الموفق"[1].

هذا الذي ذكرته هو هدي النبي الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- في التداوي بالرقى الشرعية والأدوية المباحة وهل بعد الحق إلا الضلال؟ فالعجب كل العجب فيمن غفل عن الانتفاع بهديه- عليه الصلاة والسلام- أو تركه متعمدا ولم يجد غنيته فيه, وراح يطلب جلب النفع أو دفع الضر من شياطين الإنس والجن الذين لا يزيدونه إلا رهقا!!!.

فخلاصة القول أن التداوي بالرقية الشرعية مجمع عليه بين العلماء عند توفر الشروط التي وضعت لجوازها, وكذلك الأدوية المباحة دون المحرمات والنجاسات.

أما استخدام التمائم للوقاية أو العلاج فللعلماء فيه أقوال بناء على تقسيمها إلى ما كان من القرآن وما لم يكن فيه قرآن, وقبل ذكر أقوال العلماء في هذين القسمين يحسن بي أن أبين معنى التمائم.

معنى التمائم:

التمائم هي: العوذ التي تعلق على الإنسان وغيره لدفع الآفات عنه من أي شيء كان[2].

ويمكن تقسيم التمائم على قسمين باعتبار اتفاق علماء الأمة على تحريمها واختلافهم.

---

1 (1) الطب النبوي ص56.

2 (2) انظر: تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي 4/1526, ط/الأولى 1419هـ-1999م, دار إحياء التراث العربي- بيروت, لسان العرب 12/69, التمهيد 17/162, تيسير العزيز الحميد ص138.

القسم الأول: ما اتفق على تحريم تعليقه من التمائم, وهو ما كان من غير القرآن والأذكار المشروعة, من الحروز والخيوط وجلود الحيوانات وغير ذلك مما يعلق على الأطفال أو الكبار أو البهائم أو بعض السلع أو أبواب البيوت, والتي يزعمون أنها تدفع العين أو المرض أو الجن أو أنها سبب للشفاء من الأمراض, فكلها محرمة, ومن الشرك؛ لأنهم يعتقدون أنها سبب لحفظهم من الموت, ويظنون أن لغير الله تأثيرا في الشفاء, وطلبوا دفع الأذى من غيره تعالى مع أنه لا يدفعه أحد سواه جل وعلا[1].

ولا خلاف بين العلماء في تحريم تعليق هذا القسم من التمائم لما ورد فيه من النصوص الصحيحة الصريحة, منها:

ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)[2].

وما روي عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا. قال: (إن عليه تميمة), فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: (من علق تميمة فقد أشرك)[3].

وما روي عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له, ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)[4].

وما روي عن رويفع بن ثابت قال: قال لي رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (يا رويفع لعل الحياة ستطول

---

1 (1) انظر: التمهيد 17/163, النهاية في غريب الأثر 1/536 (مادة تمم).

2 (2) سبق تخريجه ص89.

3 (3) أخرجه أحمد في المسند 4/156, قال الهيثمي في مجمع الزوائد 5/175: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.

4 (4) أخرجه أحمد في المسند 4/154, وابن حبان في صحيحه 13/450 برقم (6086), والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر الجهني, وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 5/175: رجالهم ثقات.

بك بعدي, فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا بريء منه)[1].

القسم الثاني: ما اختلف في تعليقه من التمائم, وهو ما كان مشتملا على آيات من القرآن, أو شيء من أسماء الله وصفاته أو بعض الأدعية الشرعية, وقد اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: عدم جواز تعليق هذا النوع من التمائم مطلقا, وذهب إلى هذا القول: عبد الله بن مسعود, وابن عباس, وهو ظاهر قول حذيفة, وعقبة بن عامر, وعمران بن حصين, وإليه ذهب جماعة من التابعين, منهم سعيد بن جبير, وإبراهيم النخعي, وابن عكيم, وهو أحد قولي الإمام أحمد, واختاره كثير من أصحابه[2].

وحجة أصحاب هذا القول عموم النصوص الواردة في النهي عن تعليق التمائم وليس فيها تفريق بين ما إذا كان المعلق من القرآن, أو من غيره, وبين ما إن كان قبل نزول البلاء أو بعده[3].

القول الثاني: جواز تعليق هذا النوع من التمائم مطلقا, وهو القول المروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص, وسعيد بن المسيب, وعطاء, وأبي جعفر الباقر, ومالك, ورواية عن أحمد, والبيهقي, والقرطبي, وظاهر قول ابن تيمية وتلميذه ابن القيم, وابن حجر العسقلاني.

وقد حمل أصحاب هذا القول النصوص المانعة من تعليق التمائم على التمائم الشركية, أما التي فيها القرآن, وأسماء الله وصفاته, فهي كالرقية بذلك[4].

---

1 (5) أخرجه أبو داود في سننه برقم (36), والنسائي في سننه برقم (5067), وأحمد في المسند 4/108 عن رويفع بن ثابت, وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (27).

2 (1) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري 6/200, دار الكتب العلمية- بيروت, تيسير العزيز الحميد ص138.

3 (2) انظر: تيسير العزيز الحميد ص138.

4 (3) انظر: السنن الكبرى للبيهقي 9/350-351, شرح السنة 12/158, حاشية السندي على النسائي 7/112, تحفة الأحوذي 6/200, تيسير العزيز الحميد 138.

القول الثالث: جواز تعليق هذا النوع من التمائم بشرط أن يكون التعليق بعد نزول البلاء لرفعه, لا قبله لدفعه, وهذا القول مروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت: ليست التميمة ما تعلق به بعد البلاء, إنما التميمة ما تعلق به قبل البلاء[1].

وذهب إلى هذا أبو جعفر الطحاوي, فقد قال: فكان ذلك- يعني النهي عن تعليق التمائم- عندنا والله أعلم ما علق قبل نزول البلاء ليدفع, وذلك ما لا يستطيعه غير الله عز وجل, فنهي عن ذلك لأنه شرك, فأما ما كان بعد نزول البلاء فلا بأس لأنه علاج[2].

وهو قول ابن عبد البر حيث قال- بعد أن ذكر أن نصوص النهي محمولة على التعليق قبل نزول البلاء-: "وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من أسماء الله وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله عز وجل, فهو كالرقى المباحة التي وردت السنة بإباحتها من العين وغيرها"[3].

والراجح من الأقوال الثلاثة- والله تعالى أعلم- هو القول الأول الذي ينص على عدم جواز تعليق هذه التمائم, لما في ذلك من حماية جناب التوحيد من أي شائبة تشوبه, ولقوة أدلة أصحاب هذا القول, ولأمور أخرى تظهر فيما يأتي[4]:

1- عموم النهي الوارد في تحريم التمائم ولم يرد لذلك مخصص, بخلاف الرقى, فإن
النبي- صلى الله عليه وسلم- لما قال: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)[5], خصص هذا العموم بقوله وفعله وتقريره, وقال: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا)[6], أما التمائم فلم

1 (4) أخرجه الحاكم في المستدرك 4/242 برقم (7507), وصححه الذهبي في التلخيص, وانظر: شرح معاني الآثار للطحاوي 4/325.

2 (1) شرح معاني الآثار تأليف أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبي جعفر الطحاوي 4/325, تحقيق محمد زهري النجار, ط/الأولى 1399هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.

3 (2) التمهيد 17/161.

4 (3) انظر: تيسير العزيز الحميد ص138, فتح المجيد ص149, مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم 1/96-97.

5 (4) سبق تخريجه ص89.

6 (5) سبق تخريجه ص380.

يأت منه- عليه الصلاة والسلام- ما يخصص عموم النهي عن تعليقها, فبقيت على الأصل وهو التحريم.

2- أن في تعليقها تعريضا للقرآن وكلام الله تعالى وعموم الأذكار الشرعية للإهانة؛ إذ قد يدخل بالتميمة أماكن الخلاء, وقد ينام عليها الأطفال, وقد تصيبها بعض النجاسات, وفي منع تعليقها صيانة للقرآن ولذكر الله تعالى عن الإهانة.

3- سد الذريعة, لأن تعليق هذه التمائم يؤدي إلى تعلق القلوب بها من دون الله, ويؤدي إلى تعليق ما ليس من القرآن من التمائم الشركية.

المبحث الثاني

الانحراف في الرقى وعلاج المريض بالأدوية المباحة حكمه وصوره

صور الانحراف في الرقى وعلاج المريض بالأدوية المباحة لدى مسلمي نيجيريا:

لقد منّ الله على كثير من الدعاة الأوائل من مسلمي نيجيريا بالتمسك بالمنهج النبوي السليم في اتخاذ الوقاية ضد الإصابة بالأمراض والأضرار التي تسببها الأرواح الشريرة, ووفّقوا كذلك باتباع هذا المنهج القويم في البحث عن العلاج لتلك الأمراض والأضرار إذا أصابتهم.

ففي كلتا الحالتين: حالة الوقاية وحالة البحث عن العلاج- كانوا يسلكون منهج السلف لدفع هذه الأضرار عن أنفسهم كالدعاة إلى دين الله وعن غيرهم من المدعوين؛ ليسلموا من قبضة الكهنة والسحرة الوثنيين الذين قد مددوا سيطرتهم على الوضع قبل دخول الإسلام وحاولوا إدخال الرعب في قلوب المساكين؛ لإقناعهم بألا وجود لقوة غير قوتهم الشيطانية حتى أصبح الناس رؤساء ومرؤوسين, وملوكا ورعايا لا يلجأون إلا إليهم عند الشدائد.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري عند تقريره لهذه الحقيقة: "وحاصل الأمر أن السحر والكهانة البابلية لما انتقلت من مصر إلى غرب إفريقيا فيما قبل النصرانية والإسلام وكان السحرة والكهنة يسيطرون على سائر طبقات الناس من ملوك وصعاليك. ولما جاء الإسلام لم

يجد الدعاة الأولون في هذه البلاد بدا من اللجوء إلى القرآن كلام الله تعالى؛ لقمع طغيان السحر والكهانة, ولا سيما أنهم وجدوا من الأحاديث ما أجاز لهم اتخاذ الفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي ويس للرقية من السم والسحر والحسد. ولما جربوا القرآن لذلك وصحّ, وتغلبوا به على السحرة, استكثروا من قراءته لهذه الأغراض, ولازموه ولم يتركوه؛ فكان سببا في انتصارهم على الكفرة والسحرة والكهنة"[1].

ويقول في موضع آخر: "ولقد سجل التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا أن الدعاة الأولين فيها إنما نجحوا في نشر الدعوة الإسلامية بغلبهم على سحرة إفريقيا الذين كان العوام يعتقدون أن لهم أسرارا ملكوتية يسيطرون بها على الأشخاص والأشياء. فلما خبت نارهم وانكسرت شوكتهم بروحانية الدعاة المخلصين الذين أيدهم الله بالكرامات على قدر ما استقاموا على طريقة الحق, وعلم الناس أن القوة لله جميعا دخلوا في دين الله أفواجا ملوكا ورعايا. **وإنما تم ذلك على يد علمائنا الأولين باستقامتهم وثقتهم بربهم**"[2].

وفي موضع ثالث تحت عنوان: (دواعي طلب العلماء بديلا عما عند الكهنة والسحرة), يقول: "إن العلماء لما علموا أن القوم لهم اعتقاد بقوة السحر وتأثير الكهانة مما جعل الملوك والعوام يستشيرونه في حركاتهم وسكناتهم. رأوا أن ليس من الحكمة أن يقولوا للمدعوين إلى الإسلام: لا تعتقدوا بتأثير السحر فإنه باطل, دون أن يأتوهم ببديل من الحق الذي يزهق الباطل ... لذلك لجأ العلماء إلى استعمال بعض آيات القرآن لقمع طغيان السحرة والكهنة, فعارضوا السحر والكهانة فنجحوا في ذلك, فرجع إليهم الملوك واستعانوا بالعلماء الذين أكثروا من استعمال سور القرآن وآياته لقضاء مآربهم.

سألت أحد العلماء الكبار- وكان ممن يستعمل القــرآن لهذه الأمور- هل له دليل صحيح؟ فقال لي: اقرأ معي قوله

---

[1] (1) توجيه الدعوة والداعية في نيجيريا وغرب إفريقيا ص107-108.

[2] (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص100.

تعالى: (الرعد:31), ثم قال: فما جـزاء الشـرط (لـو)؟ قلت: لست أدري, فقـال: الجـواب: لكان هذا القرآن, ثم أكمل الآية وقال: (الرعـد:31), ... ثم قـال لي: هل قـرأت في كتب الحـديث أن عشرة من أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وســلم- وعلى رأسـهم أبو سـعيد الخـدري الـذي قـرأ فاتحة الكتـاب على لديغ الحية فكانت الفاتحة ترياقا؟ قلت: نعم, قـال: إن ذلك من الــرقى, **ولا يصح إلا من الأبــرار, أصــحاب الإيمان واليقين**"[1].

وهكـذا- كما قـرر الشـيخ آدم الألـوري- تحقق لعلمـاء غرب إفريقيا الأوائل قـول البـاري جل وعلا: (الإسراء: 82), فأصبحوا يتعوذون بما تعوذ به نبيهم من سـور القـرآن وآياتــه, يتحصــنون بهــا من شــرور الشــياطين وأعــوانهم فيســتجاب لهم, كمــا يعــالجون المرضــى من المــدعوين بأسماء الله وصفاته وأذكار نبوية فيشـفون بـإذن اللـه, كـل ذلــك بفضــل إيمــانهم باللــه وثقتهم بــه واســتقامتهم على المنهج الربـاني القـويم, فأيـدهم اللـه بنصـره وأجـرى على أيـدي الكثـير منهم كرامـات تصـدق حقيقـة اتبـاعهم للـدين الإسلامي الحنيف.

فخلــف من بعـدهم خلــف ضـلوا الطريــق المســتقيم فأخذوا يبحثون عن الكرامات دون أن يستقيموا ولم يعلموا أن الاستقامة هي خـير الكرامـة. فلمـالم يلقـوا مـا يريـدون لعدم وجود الـزاد الصـحيح الـذي يعينهم على نيلـه أساسـا, بحثوا عنه بكل وسـيلة فتمسـكوا بالرذائـل فصـاروا أفـاكين دجــالين يتلاعبــون بعقــول الســذج من النــاس ويعبثــون بعقائــدهم, كــل هــذا تحت ســتار الرقيــة الشــرعية وعلاج المرضى بالأدعية المباحة, وقد كذبوا فـإنهم لا سـنة النـبي- صلى الله عليه وسلم- اتبعوا ولا سبيل سلف الأمـة سـلكوا وإنما تمسكوا بضلالات شـياطين الإنس والجن, وتفننـوا في أعمال السحرة والمشعوذين.

---

[1] (2) نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا ص121-122.

لكن الـذي يحـزن المسـلم الغيـور على دينـه في هـذا الأمـر كلـه أن هـؤلاء النـاس ينتمي أكـثرهم إلى الدراسـات الإسلامية من الطلبة والعلمـاء الـذين يتوقـع أن يكونـوا هم المصلحين في المجتمع. والله المستعان!!.

وعلى كـل, يمكن القـول بـأن الانحـراف في الـرقى وعلاج المرضى بالأدوية المباحـة لـدى مسـلمي نيجيريـا لـه ثلاث صور:

الصورة الأولى:

الرقية بآيات قرآنيـة بطـرق وأسـاليب غـير مشـروعة, ولهم في ذلك طرق, منها:

1- قراءة بعض سور القرآن وآياته من آخرها إلى أولها للرقية ظنا منهم أنها لا تنفـع ولا تفيـد إذا قـرئت بغـير تلـك الطريقة.

2- قـراءة بعض السـور وإدخـال ألفـاظ أخـرى أثنـاء القـراءة بقصـد الرقيـة, مثـال ذلـك قـراءتهم لسـورة يس لأغراض معينة مـع إضـافة أسـماء الملائكـة أو أسـماء الجن بعد كل كلمة (مبين).

3- اشـتراطهم بـأن تقـرأ الآيـات أو الأذكـار بأعـداد مخصصة لم ترد في السنة أو أن تفعل الرقيـة في حالـة أو هيئة معينـة مثـل أن يكـون الـراقي أو المـرقي جنبـا أو في مقـبرة أو في حمـام أو أن تفعـل وهـو عريـان ليس عليـه شيء, أو في مكان مظلم حيث لا يراه أحد.

فاشتراط هذه الحالات عنـد القيـام بـالرقى شـبيه بمـا يعمله السحرة والمشـعوذون والـدجالون حسـب مـا تمليـه عليهم شـياطينهم؛ إذ قـد أخـذ شـياطين الجن العهـد من شياطين الإنس أن يتبعـوهم في كـل مـا طلبـوا لكي ينـالوا بغيتهم وهم لا يطلبـون إلا مـا يوقـع أتبـاعهم الأناسـي في الشرك.

وعلى هذا, فالهيئات التي يشـترطونها أن يكـون عليهـا الراقي أو المرقي مخالفـة كـل المخالفـة للهيئـات المباحـة الـتي ثبتت عن نـبي الهـدى- صـلوات اللـه وسـلامه عليـه- كالنفث في اليدين والمسح بهما ما استطاع من جسده.

الصورة الثانية:

الرقية بكلمـات أجنبيـة ذات معـان شـركية, أو كلمـات عربيـة لا تعقـل ولا يفهم معناهـا, مثـال ذلـك بعض الألفـاظ التي يرقى بها عند قبيلة يوربـا وهي أنـواع, منهـا: (ogede أوغيـدي), (ayajo أيـاجو), (ohun أوون), (ofo أوفـو), فألفــاظ من هــذه الأنــواع لا يجــوز الرقية بها لأن معانيها شركية, وكذلك لو كـانت معانيها مفهومة ومعقولة ولم تكن شـركية لكن أصـولها وثنية فلا تجـوز الرقية بهـا, فـالوثنيون من قبيلة يوربا هم الــذين كــانوا يتعــوذون بهــذه الكلمــات ويعالجون بها مرضاهم, وكثيرا ما يصطحبها تقـديم القربـان للأرواح الشريرة من شياطين الإنس والجن.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله عند كلامه عن العلاج للمصــروع: "وأما الاســتعانة عليهم بما يقــال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشـرع, لا سـيما إن كـان فيه شـرك فـإن ذلك محـرم, وعامة ما يقوله أهل العـزائم فيه شـرك, وقد يقرأون مع ذلك شـيئا من القـرآن ويظهرونه ويكتمـون ما يقولونه من الشــرك, وفى الاستشــفاء بما شــرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله"[1].

وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكره للشروط الــتي أجمع العلماء على توفرها لجواز الرقى: " ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال: كنا نـرقى في الجاهلية فقلنا: يا رســول الله كيف تــرى في ذلك؟ فقــال: (اعرضــوا علي رقـاكم, لا بـأس بـالرقى ما لم يكن فيه شـرك)[2], وله من حديث جابر, نهى رسـول الله- صـلى الله عليه وسـلم- عن الرقى فجاء آل عمـرو بن حـزم فقـالوا: يا رسـول الله, إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب قـال: فعرضـوا عليه فقال: (ما أرى بأسا, من استطاع أن ينفع أخـاه فلينفعه)[3], وقد تمسك قــوم بهــذا العمــوم فأجــازوا كل رقية جــربت منفعتها ولو لم يعقل معناها, لكن دل حديث عوف أنه مهما

---

[1] (1) مجموع الفتاوى 19/61.

[2] (1) سبق تخريجه ص380.

[3] (2) سبق تخريجه ص379.

كان من الرقى يؤدي إلى الشــرك يمنع, وما لا يعقل معنــاه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطا"[1].

وقــال العلامة حافظ بن أحمد الحكمي[2] رحمه اللــه: "أما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني, ولا مشـهورة ولا مـأثورة في الشـرع البتة, فليست من الله في شيء, ولا من الكتاب والسنة في ظل ولا فيء, بل هي وسواس من الشيطان أوحاها إلى أوليائه, كما قال تعالى: [illegible] (الأنعام:121).

وعليه يحمل قول النبي- صـلى الله عليه وسـلم- في حديث ابن مسعود: (إن الـرقى والتمـائم والتولة شـرك)[3], وذلك لأن المتكلم به لا يدري أهو من أسـماء الله تعـالى أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشـياطين, ولا يـدري هل فيه كفر أو إيمـان, وهل هو حق أو باطل, أو فيه نفع أو ضر أو رقية أو سحر"[4].

وعلى هذا, فلا يجوز استخدام الـرقى الـتي أصـلها من الوثنيين أو تنسب إلى الوثنية؛ لأن استخدام مثل هذا النــوع من الـــرقى فيه مشـــابهة لحـــال أهل الجاهليـــة, وقد نهانا الشرع عن ذلك, فمَثل الذي يفعل هذا كمَثل الذي ينـذر لله في مكــان فيه صــنم لأهل الجاهلية ينــذرون لــه, فهو نــذر معصية؛ إذ شابهت صورته صورة نذر أهل الجاهلية, لما جاء عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- أن ينحر إبلا ببوانة فأتى النـبي- صـلى الله عليه وســلم- فقــال: إني نــذرت أن أنحر إبلا ببوانة, فقــال النبي- صلى الله عليه وسلم: (هل كان فيها وثن من أوثــان

---

[1] (3) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 10/240.

[2] (4) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي, فقيه أديب من علماء "جيزان" بين الحجاز واليمن, من مؤلفاته: الجوهرة الفريدة في العقيدة, سلم الوصول إلى علم الأصول أرجوزة وشرحها معارج القبول, توفي سنة 1377هـ.
انظر: الأعلام 2/159.

[3] (5) سبق تخريجه ص89.

[4] (6) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي 2/634-635, تحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق ط/الأولى 1420هـ- 1999م, دار ابن الجوزي- الدمام.

الجاهلية يعبــد؟), قــالوا: لا, قــال: (هل كــان فيها عيد من أعيـادهم؟) قـالوا: لا, قـال النـبي- صـلى الله عليه وسـلم: (أوف بنذرك فإنه لا وفـاء لنـذر في معصـية الله, ولا فيما لا يملك ابن آدم)[1].

فالشريعة تحذر من هذا العمل لئلا يشتبه عمل الموحّد مع عمل المشرك, ولئلا يلتبس الحق بالباطل[2].

وكما لا يجـوز الرقية بكلمـات أصـلها من أهل الشـرك ولو كـــانت مفهومة ومعقولة المعـــاني وكـــذلك يمنع تلقي الرقية من المعروفين بالسـحر والكهانة والتنجيم ولو كـانت عنــدهم رقية صـحيحة لم تكن عن طريق السـحر والكهانة والتنجيم, وذلك لأمور منها[3]:

أ- خشـــية من أن يخلط هـــذه الرقية بكهانته وعرافته وتنجيمه.

ب- لكــون طلب ذلك منهم يشــبه حــال أهل الجاهلية الذين كانوا يذهبون إلى الكهان والعرافين.

ج- أن هـؤلاء الكهنة والعـرافين والمشـعوذين من أبعد الناس عن الــدين وأكــذبهم, لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله- صلى الله عليه وسـلم- نـاس عنالكهان فقال: (ليس بشيء), فقالوا: يا رسول الله, إنهم يحدثوننا أحيانا بشيء فيكون حقا فقـال رسـول الله- صـلى الله عليه وســـلم: (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجــــني فيقرها في أذن

وليه فيخلطـــون معها مائة كذبـــة)[4], وعلى هـــؤلاء الكذبة الفسقة وأمثالهم تتنزل الشياطين كما قـال جل وعلا:

---

(1) سبق تخريجه ص325.

(2) انظر: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة وحكم التفرغ لها واتخاذها حرفة تأليف د. علي بن نفيع العلياني ص69 ط/الأولى 1411هـ, دار الوطن للنشر.

(3) انظر: أحكام الرقى والتمائم تأليف د. فهد بن ضويان بن عوض السحيمي ص181-183, ط/ الأولى 1419هـ- 1998م مكتبة أضواء السلف- الرياض, الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ص68.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب الكهانة- ص492 برقم (5762), ومسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان- ص1074 برقم (2228) عن عائشة.

(الشعراء:221، 222), فالشياطين تتعاون مع الكهان والمشعوذين لأجل إضلال النـاس واسـتدراجهم إلى الشرك, فلا يليق بالمسلم أن يطلب العلاج ممن هذا حاله.

الصورة الثالثة:

العلاج بالأدويـــة المصـــنوعة من المـــواد النجســة والمحرمـة مثـل الخمـر بشـتى أنواعهـا والـدم المسـفوح, والأصل أن أهل الجاهلية هم الـذين عرفـوا بهـذا النـوع من الأدويـة, لكن لمـا دخـل الإسـلام في نيجيريـا وأسـلم بعض النـاس دون أن يـتركوا العـادات والتقاليـد المخالفـة للـدين الجديـد ظـل هـؤلاء يسـتخدمون الأدويـة المحرمـة وهم مسلمون.

يقول الشـيخ آدم عبـد اللـه الألـوري رحمـه اللـه تحت عنوان: (التداوي بالحرام جاهلية) في كتابه الحاوي لعـادات قبائـل غـرب إفريقيـا في الجاهليـة: "كـان أهـل الجاهليـة يتداوون ببعض الأدوية النجسة كالخمر والدم والبول القـذر, أو بالحيوانـات الميتـة النجسـة كالهدهـد والضـفدع وعظـام الميتة ونحو ذلك, ولما جاء الإسلام حـرم كـل ذلـك وسـماه (الدواء الخبيث)", ثم قال: "هذا, ولا يزال بعض المسـلمين في نيجيريا وما حولهـا يتعـاطون الـدواء الخـبيث إلى يومنـا هـذا, إمـا لشـفاء الأمـراض البدنيـة أو للـدفاع عن سـحر السحرة" [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللـه: "ونهى النـبي- صلى الله عليه وسلم- عن التداوي بالخمر وقال: (إنهـا داء, وليست بدواء)[2], ونهى عن الدواء الخبيث[3], ونهى عن

---

[1] (2) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص122-123.

[2] (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الأشربة- باب تحريم التداوي بالخمر وبيان أنها ليست بدواء- ص1032 برقم (1984) عن طارق بن سويد الجعفي.

[3] (4) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الطب- باب في الأدوية المكروهة- ص1508 برقم (3870), والترمذي في سننه- كتاب الطب- باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره- ص1856 برقم (2045), وابن ماجه في سننه- كتاب الطب- باب النهي عن الدواء الخبيث- ص2685 برقم (3459), وأحمد في مسنده 2/305, والحاكم في المستدرك 4/455 عن أبي هريرة, وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط

قتل الضفدع لأجل التداوي بها وقـال: (إن نقنقتهـا تسـبيح)[1][2].

حكم هذه الصور:

كل صورة من صـور الرقيـة الـتي لم تتـوفر فيهـا تلـك الشروط التي وضعها العلمـاء لجـواز التـداوي بـالرقى فهي محرمة؛ وذلك لما يأتي:

1- أن الصحابة رقى بعضهم بعضـا ولم تكن رقـاهم إلا من كلام الله تعالى وأسمائه وصفاته أو مما يرقي به النبي- صلى الله عليه وسلم- نفسـه أو غـيره, أو رقـاه بـه جبريـل عليه السلام وأثـر عنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, يـدل على ذلك:

ما روته أم سلمة رضي الله عنها أن النبي- صلى الله عليه وسلم- رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة[3] فقال: (استرقوا لها فإن بها النظرة)[4].

وما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان إذا أتي مريضا أو أتي به قال: (أذهب الباس, رب الناس, اشف وأنت الشافي, لا شفاء إلا شفاؤك, شفاء لا يغادر سقما)[5].

وما ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد! اشتكيت؟ قال: (نعم), قال: باسم الله

الشيخين ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في التلخيص.

1 (1) أخرجه أبو داود في سننه برقم (3871), والطبراني في المعجم الأوسط 4/104, والحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه, وأقره الذهبي.

2 (2) مجموع الفتاوى 21/82.

3 (3) السَّفعَة: علامة من الشيطان وقيل ضربة واحدة منه, والمعنى أن الشيطان أصابها أو أدركتها السفعة من قبل النظرة, فاطلبوا لها الرقية. انظر: النهاية في غريب الأثر 2/944, لسان العرب8/156, غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي أبي عبيد 3/189, تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان, ط/الأولى 1396هـ, دار الكتاب العربي- بيروت.

4 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب رقية العين- ص 490 برقم (5739), ومسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب استحباب الرقية من العين- ص1068 برقم (2197) عن أم سلمة.

5 (5) سبق تخريجه ص340.

أرقيك, من كل شيء يؤذيك, من شر كل نفس أو عين حاسد, الله يشفيك, باسم الله أرقيك[1].

وما ثبت في صحيح مسلم أيضا عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وجعا يجده في جسده منذ أسلم, فقال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (ضع يدك على الذي يألم من جسدك, وقل: باسم الله, ثلاثا, وقل, سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[2].

وما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه, أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي- صلى الله عليه وسلم- بإصبعه هكذا- ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها-: (باسم الله, تربة أرضنا, بريقه بعضنا, يشفى به سقيمنا, بإذن ربنا)[3].

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في بعض أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الذين نزلوا بحي من أحياء العرب, فلدغ سيد ذلك الحي, فرقاه بعضهم بقراءة فاتحة الكتاب, فكأنما نشط من عقال, فانطلق يمشي وما به قلبة[4].

2- أن رقية النبي- صلى الله عليه وسلم- لنفسه ولغيره من صحابته الكرام كلها كانت باللسان العربي ومعانيها كانت مفهومة, أما ما لم تكن معانيها مفهومة فيخشى أن تكون من الشرك.

3- أنه يوجد في الإسلام في باب الوقاية من الأمراض قبل وقوعها وعلاجها بعد وقوعها ما يغني عن التطلع إلى

---

1 (6) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب الطب والمرض والرقى- ص1066 برقم (2186) عن أبي سعيد الخدري.

2 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء- ص1069 برقم (2202) عن عثمان بن أبي العاص الثقفي.

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم- ص491 برقم (5746), ومسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب رقية المريض بالمعوذات والنفث- ص1068 برقم (2194) عن عائشة, واللفظ لمسلم.

4 (3) سبق تخريجه ص339.

ما لدى الأمم الأخرى من أهل الشرك, فالمنفعة في الرقية الشرعية عامة تفيد في دفع البلاء قبل وقوعه كما تفيد في رفعه بعد وقوعه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان عظمة شأن آية الكرسي في الاحتراز من الشياطين ودفع أذاهم وشرورهم: "فقد جرب المجربون- الذين لا يحصون كثرة- أن لها من

التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم مالا ينضبط من كثرته وقوته"[1].

ويقول الإمام ابن القيم مبينا منافع الرقى الشرعية وتميزها عن الأدوية الأخرى: "اعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله, وتمنع من وقوعه, وإن وقع لم يقع وقوعا مضرا وإن كان مؤذيا, والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء, فالتعوذات والأذكار: إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب, وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها, بحسب كمال المتعوذ وقوته وضعفه, فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة, ولإزالة المرض"[2].

4- أن المرء الذي يستخدم ما جاءت به السنة من الرقية الشرعية يجد في رقيته ثلاث فوائد:

الأولى: التعبد لله سبحانه وتعالى إذا قرأ مثلا آية أو سورة من سور القرآن الكريم؛ لأن القرآن يتعبد بتلاوته بأي وجه كان, يضاف إلى ذلك عبادة أخرى وهي التوكل على الباري جل وعلا لما يصاحب رقيته من الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الشافي.

الثانية: الاقتداء بسنة النبي- صلى الله عليه وسلم, فيؤجر على اتباعه للسنة.

الثالثة: وقوع ما يرجوه من استخدام هذه الرقية إما الوقاية من البلاء قبل وقوعه أو دفعه بعد وقوعه, وذلك على حسب يقينه وتوكله على ربه سبحانه وتعالى.

---

[1] (1) مجموع الفتاوى 19/55.

[2] (2) زاد المعاد 4/165.

5- أن الاعتماد على الرقى مع الاعتقاد أنهـا سـبب من الأسباب ذريعـة من الـذرائع المفضـية إلى الشـرك, أمـا إذا اعتمد عليها الراقي أو المرقي اعتمادا كليا حتى اعتقد أنهـا تنفع من دون الله فهي شرك أكبر مخرج من الملة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وإنما كان ذلـك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله"[1].

وبنـاء على مـا سـبق فكـل رقيـة أخلت بشـرط من الشروط الثلاثة التي وضعها العلمـاء للرقيـة الشـرعية فهي محرمة لا ينبغي للمسلم أن يسـتخدمها أو يرجـو الاسـتفادة بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه اللـه تعـالى: "فـإن كانت الرقى والتعاويـذ ممـا يعـرف معناهـا وممـا يجـوز في دين الإسـلام أن يتكلم بهـا الرجـل داعيـا للـه ذاكـرا لـه ومخاطبا لخلقه ونحو ذلك فإنه يجوز أن يرقى بها المصروع ويعوذ؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي- صلى الله عليـه وسـلم- (أنـه أذن في الـرقى مـا لم تكن شـركا)[2], وقـال: (من استطاع منكم أن ينفع أخـاه فليفعل)[3]. وإن كـان في ذلـك كلمـات محرمـة مثـل أن يكـون فيهـا شـرك أو كـانت مجهولة المعنى يحتمل أن يكون فيهـا كفـر فليس لأحـد أن يرقى بها, ولا يعزم ولا يقسم, وإن كان الجني قـد ينصـرف عن المصروع بها فإنما حرمه الله ورسوله, ضرره أكثر من نفعه"[4].

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: "وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته, وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره, وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى"[5].

---

1 (3) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 10/241.

2 (1) وذلك في قوله- عليه الصلاة والسلام: (لا بأس بالرقى ما لم تك شركا) وقد سبق تخريجه في ص380.

3 (2) سبق تخريجه ص379.

4 (3) مجموع الفتاوى 24/278.

5 (4) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 10/240.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[1]: "إن الرقى الموصوفة بكونها شركا هي التي يستعان فيها بغير الله, وأما إذا لم يذكر فيها إلا أسماء الله وصفاته وآياته والمأثور عن النبي- صلى الله عليه وسلم- فهذا حسن: جائز أو مستحب"[2].

وكذلك التداوي بالمحرمات الذي هو الصورة الثالثة فإنه محرم وذلك لما يأتي:

1- ما ورد من عموم الأدلة الناهية عن أكل ما حرمه الله على هذه الأمة, وما حرم أكله حرمت الاستفادة منه بأية طريقة ومنها التداوي.

يقول الإمام ابن القيم في كلامه عن هدي نبي الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- في المنع من التداوي بالمحرمات: "... وأيضا فإن تحريمه- أي كل ما حرمه الله- يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق, وفي اتخاذه دواء حضٌّ على الترغيب فيه وملابسته, وهذا ضد مقصود الشارع, وأيضا فإنه داء كما نص عليه صاحب الشريعة فلا يجوز أن يتخذ دواء"[3].

ومما حرم الشرع أكله أو التداوي به الميتة والدم ولحم الخنزير, نزل تحريمها في الكتاب العزيز في قوله تعالى: [illegible] (المائدة:3), إلا أن السنة قد نسخت نوعين من الميتة والدم هما: السمك والجراد, والكبد والطحال, وبقي الباقي من الميتة والدم محرما, أما لحم الخنزير فإنه محرم بتاتا لأن الخنزير يعيش على الأوساخ والنجاسات والقاذورات ولحمه رديئ يؤذي البدن.

---

[1] (5) هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب, حفيد العلامة محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة المعروفة باسمه, فقيه حنبلي من علماء نجد, من مؤلفاته: الإيمان والرد على أهل البدع, فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد, توفي سنة 1285هـ.
انظر: الأعلام 3/304, معجم المؤلفين 5/135, مشاهير علماء نجد وغيرهم ص58, علماء الدعوة ص40.

[2] (6) فتح المجيد ص147, وانظر: تيسير العزيز الحميد ص137.

[3] (1) الطب النبوي ص137-138.

ويحـرم كـذلك أكل كل ذي نـاب من السـباع, وكل ذي مخلب من الطـــــير, كما روى الشــــيخان عن أبي ثعلبة الخشـني رضي الله عنه أنه قـال: نهى رسـول اللـه- صـلى الله عليه وسلم- عن أكل كل ذي ناب من السـباع[1], وروي عن ابن عبــاس رضي الله عنه أن النــبي- صــلى الله عليه وســلم- نهى عن أكل كل ذي نـــاب من الســباع, وكل ذي مخلب من الطير[2].

وعلى هـــذا, فكل حيـــوان مفـــترس بنابه مثل الأسد والذئب والنمر, وكل ذي مخلب يفترس به من الطيـور مثل الحدأة والصقر يحرم علاج المرضى بلحمه كما يحرم أكله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن التداوي بالمحرمات النجسة محرم والدليل عليه من وجوه:

أحدها: أن الأدلة الدالة على التحريم مثل قوله تعـالى: ﴿... [illegible] ﴾ (المائدة:3), وقوله جل وعلا: ﴿... [illegible] ﴾ (المائـدة:90), ونهيـه- صـلى الله عليه وسـلم عن أكل كل ذي ناب من السباع, عامة في حال التداوي وغـير التـداوي, فمن فـــرق بينهما فقد فـــرق بين ما جمع الله بينه, وخص العموم, وذلك غير جائز"[3].

2- ما ورد من الأدلة الصـــريحة الخاصة بـــالنهي عن التعالج والتداوي بالمحرمات, ومنها:

قوله- صلى الله عليه وسـلم: (كل مسـكر خمـر, وكل خمر حرام)[4].

---

1 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الذبائح والصيد- باب أكل كل ذي ناب من السباع- ص476 برقم (5530), ومسلم في صحيحه- كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان- باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير- ص1023 برقم (1932) عن أبي ثعلبة الخشني.

2 (3) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان- باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير- ص1023 برقم (1934) عن عبد الله بن عباس.

3 (1) مجموع الفتاوى 21/562.

4 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الأشربة- باب بيان أن كل مسكر خمر, وأن كل خمر حرام- ص1036 برقم (2003) عن عبد الله بن عمر.

وسئل عن الخمر وقال- عليه الصلاة والسلام: (إنها داء وليست بدواء)[1].

وقد نهى- عليه الصلاة والسلام- عن الدواء الخبيث[2].

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: من تداوى بالخمر فلا شفاه الله[3].

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)[4].

فلا يجوز التداوي بالمحرمات مثل الخمر؛ إذ يخطئ البعض حينما يتناول شيئا من الخمر ويوهم نفسه أنه إنما يتداوى بها.

"فالخمر تسبي العقل وتسيطر على الفكر وتطلق العنان لأهواء النفس, والإسلام حريص أشد الحرص على عقل وقلب ويد ولسان المؤمن فهو يحب أن يكون المؤمن قويـا نظيفا حسن الهيئة متزنا, بشوش الوجه طلق المحيا مستبشرا, ولا جرم ولا شك أن الخمر تغير

من ملامح التجسيم البشري المنسق بيد العناية وتفقد المرء صوابه"[5].

3- أن كل شيء جاءت الأدلة بتحريمه في الشريعة المحمدية قد حرم لخبثه؛ لأنه لا توجد أية فائدة في تناوله, بل إذا استخدم للعلاج فإنه يأتي بمضرة أكبر من الداء المراد علاجه به, وأما الطيبات فكلها حلال وفيها منفعة عظيمة لجسم الإنسان.

---

1 (3) سبق تخريجه ص396.

2 (4) سبق تخريجه ص396.

3 (5) المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي 5/38, تحقيق كمال يوسف الحوت ط/ الأولى 1409هـ مكتبة الرشد- الرياض.

4 (6) رواه البخاري في صحيحه معلقا- كتاب الأشربة- باب شراب الحلواء والعسل ص481, ووصله الطبراني في المعجم الكبير 23/326 بإسناد رجاله رجال الصحيح.

5 (1) إعجاز الطب النبوي في عالم اليوم للدكتور السيد الجميلي ص21, تقديم الدكتور حسين مؤنس, مكتبة الثقافة الدينية 14 ميدان العتبة (دون بيانات أخرى).

قال الإمام ابن القيم في كلامه عن هدي نـبي الهـدى- صــــلوات الله وســــلامه عليــــه- في المنع من التـــــداوي بالمحرمات: "المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلا وشـرعا, أما الشــرع فما ذكرنا من هــذه الأحــاديث وغيرها, وأما العقل فهو أن الله ســبحانه إنما حرمه لخبثه, فإنه لم يحــرم على هــذه الأمة طيبا عقوبة لها كما حرمه على بــني إســرائيل بقوله: (النساء:160), وإنما حرم على هذه الأمة ما حــرم لخبثه, وتحريمه له حمية لهم وصــيانة عن تناوله, فلا يناسب أن يطلب به الشـفاء من الأسـقام والعلل؛ فإنه وإن أثر في إزالتها لكنه يُعقب ســـــــقما أعظم منه في القلب, بقـوة الخبث الـذي فيه, فيكـون المـداوي به قد سـعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب"[1].

وقال أيضا رحمه الله: "فـإن في هـذا الـدواء المحـرم من الأدواء ما يزيد على ما يظن فيه من الشـفاء, ولنفـرض الكلام في أم الخبائث التي ما جعل الله لنا فيها شفاء قط, فإنها شديدة المضرة بالـدماغ الـذي هـو مركـز العقـل عنـد الأطباء وكثير من الفقهاء والمتكلمين, قال أبقراط في أثناء كلامه في الأمراض الحـادة: ضـرر الخمـرة بـالرأس شـديد؛ لأنه يسرع الارتفاع إليه, ويرتفع بارتفاعه الأخلاط التي تعلـو في البدن وهو كذلك يضر بالذهن, وقال صاحب الكامل: إن خاصية الشراب الإضرار بالدماغ والعصب"[2].

وقال الشيخ سـليمان بن عبـد اللـه بن محمـد بن عبـد الوهاب رحمـه اللـه: "وكـذلك كل أمر نهى عنه فإنه لا ينفع غالبا أصلا, وإن نفع بعضه فضره أكبر من نفعه"[3].

4- أن ما ورد ذكــــــره في القــــــرآن والســــــنة من المطعومات التي أباح الشـرع التعـالج والتـداوي بها فيها ما يغني عن التداوي بالمحرمات والخبائث.

5- أن استخدام هـذه المحرمـات للتـداوي فيه مخالفة لأوامر الله تعـالى؛ إذ قد نهي المسـلم عن الاسـتفادة منها

---

1 (2) الطب النبوي ص137-138.

2 (3) المرجع السابق ص138.

3 (4) تيسير العزيز الحميد ص131.

بــأي وجه من الوجــوه, والنهي يقتضي التحــريم. فيقــترف المــرء هــذه المعصــية بمخالفة أوامر ربه جل وعلا مع أن النفع غير محقق في استخدام تلك المحرمات للتداوي.

تلك هي الأدلة على تحريم التداوي بكل ما حرمه الله, فإنه لا يرجى حصول العلاج به؛ لأن الشارع لم يجعله سـببا, أما ما ينفع النــاس من الأدوية المباحة فكلها من الطيبــات التي أحلها الله وجعلها من أسباب حصول العلاج.

ومن الطيبات التي تستخدم كأدوية مباحة العسل.

يقول جلت قدرته عن النحل: [illegible] (النحل: 68-69).

وفي الصـــحيحين: من حـــديث أبي المتوكل عن أبي سـعيد الخـدري أن رجلا أتى النـبي- صـلى الله عليه وسـلم فقـال: إن أخي يشـتكي بطنه, وفي روايـة: اسـتطلق بطنه فقال: (اسقه عسلا), فذهب ثم رجع فقـال: قد سـقيته فلم يغن عنه شيئا, وفي لفظ: فلم يزده إلا اسـتطلاقا مـرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول له: (اسقه عسلا) فقـال له في الثالثة أو الرابعــة: (صــدق الله وكــذب بطن أخيك)[1]. وفي صــحيح مسـلم في لفظ لـه: إن أخي عـرب بطنه, أي فسد هضـمه واعتلت معدته.

يقــول الإمــام ابن القيم في معــرض المنفعة العظيمة التي جعلها الله سبحانه وتعـالى في العســل: "والعسل فيه منافع عظيمة, فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها, محلل للرطوبـــات أكلا وطلاء, نـــافع للمشـــايخ وأصحاب البلغم ومن كان مزاجه باردا رطبا, وهو مغذ ملين للطبيعة, حافظ لقوى المعـاجين ولما اسـتودع فيه, مـذهب لكيفيـات الأدوية الكريهة, منق للكبد والصـدر, مـدر للبـول, موافق للسعال الكائن عن البلغم,... وكان النبي- صلى الله

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب دواء المبطون- ص 489 برقم (5716), ومسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب التداوي بسقي العسل- ص1071 برقم (2217) عن أبي سعيد الخدري.

عليه وسلم- يشربه بالمــاء على الريق, وفي ذلك سر بــديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل"[1].

ومنها زيت الزيتون, يقــول جل وعلا في سـياق ذكر ما امتن به على عبــاده من النعم: [illegible] (المؤمنون:20).

قال القرطبي رحمه الله في تفسـير الآيـة: "يريـد بهـا شجرة الزيتـون, وأفردهـا بالـذكر لعظيم منافعهـا في أرض الشام والحجـاز وغيرهمـا من البلاد وقلـة تعاهـدها بالسـقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار"[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان منفعة زيت الزيتون: "ينفع من السموم, ويطلق البطن, ويخـرج الـدود, والعتيق منه أشد تسخينا وتحليلا, ومـا اسـتخرج منـه بالمـاء فهو أقل حرارة وألطـف, وأبلـغ في النفـع, وجميـع أصـنافه ملينة للبشرة, وتبطئ الشـيب. ومـاء الزيتـون المـالح يمنـع من تنفط حرق النار, ويشد اللثة, وورقـه ينفـع من الحمـرة والنملة والقروح الوسخة والشرى, ويمنع العرق"[3].

ومنها الحبة السوداء, وكذلك الحجامة, يقول ابن القيم رحمه الله تعــالى في بيــان فوائد الحجامة والتفاضل بينها وبين الفصد[4]: "فالحجامة أنفع من الفصد بكثــير في البلاد الحارة والأزمنة الحارة والأمزجة الحـارة الـتي دم أصـحابها في غاية النضج, فإن الـدم ينضج ويـرق ويخـرج إلى سـطح الجسد الداخل فتخرج الحجامة ما لا يخرجه الفصد؛ ولــذلك كـــانت أنفع للصـــبيان من الفصد, ولمن لا يقـــوى على الفصد"[5].

مسألة: هل يجوز أخذ الأجرة على الرقية؟

يجوز أخذ الأجرة على الرقيــة, ودليل ذلك ما روي عن أبي ســعيد الخــدري رضي الله عنه قــال: انطلق نفر من أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- في سفرة ســافروها

---

1 (1) زاد المعاد 4/30.

2 (2) تفسير القرطبي 12/77.

3 (3) الطب النبوي ص240.

4 (4) الفصد: قطع العرق لإزالة الدم, انظر: لسان العرب 3/336, مختار الصحاح 1/517.

5 (5) الطب النبوي ص69 مع تصرف يسير.

حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم, فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء, فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء, فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط, إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي, ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا, فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ (الحمد لله رب العالمين). فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه, فقال بعضهم: اقسموا, فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي- صلى الله عليه وسلم- فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا, فقدموا على رسول الله فذكروا له فقال: (وما يدريك أنها رقية). ثم قال: (قد أصبتم, اقسموا واضربوا لي معكم سهما). فضحك رسول الله- صلى الله عليه وسلم[1].

وما روي عن خارجة بن الصلت عن عمه قال: أقبلنا من عند النبي- صلى الله عليه وسلم- فأتينا على حي من العرب فقالوا أنبئنا أنكم جئتم من عند هذا الرجل بخير, فهل عندكم دواء أو رقية, فإن عندنا معتوها في القيود, قال: فقلنا: نعم, قال: فجاؤوا بالمعتوه في القيود, قال: فقرأت بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما ختمتها أجمع بزاقي ثم أتفل, قال: فكأنما نشط من عقال, قال: فأعطوني جعلا, فقلت: لا حتى أسأل النبي- صلى الله عليه وسلم, فسألته فقال: (كل لعمري من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق)[2].

---

[1] (1) سبق تخريجه ص339.

[2] (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الطب- باب كيف الرقى- ص 1509-1510 برقم (3901), وأحمد في مسنده 5/211, وابن حبان في صحيحه 13/474, والحاكم في المستدرك 1/747, والطبراني في المعجم الكبير 17/190, والبيهقي في شعب الإيمان 2/449, والنسائي في السنن الكبرى 4/365, عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه, وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه, وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (2918).

ففي هذين الحديثين دليل على إقرار النبي- صلى الله عليه وسلم- للرجلين كليهما على أخذ الأجرة مقابل الرقية.

المبحث الثالث

العلاج بالسحر والشعوذة

تعريف السحر:

قبل الشروع في ذكر صور العلاج بالسحر لدى بعض مسلمي نيجيريا الذي هو مدار هذا المبحث يحسن بي أن أبين معنى السحر وحكمه عند أهل السنة والجماعة, فأقول مستعينا بالله:

السحر لغة: كل شيء خفي سببه ولطف ودق, وكذلك ما فيه خداع, يقال: سحره إذا خدعه[1].

أما تعريفه اصـطلاحا, فيتعـــدد ذلك بتعـــدد أنواعه فمنها ما هو حقيقة ومنها ما هو خيـال ومنها ما هو من بـاب الدجل والشعوذة ويكـون الاعتمـاد فيه على خفة اليد وغـير ذلك, يقول الراغب الأصفهاني رحمه اللـه: "والسـحر يقـال على معـــان: الأول الخـــداع وتخــييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشـــعبذ بصـــرف الأبصـــار عما يفعله لخفة يد ...., وعلى ذلك قوله تعالى: [illegible] (الأعـراف:116),... والثـاني اسـتجلاب معاونة الشـيطان بضرب من التقرب إليه كقوله تعالى: [illegible] (الشـعراء:221ـ 222), وعلى ذلك قوله تعـالى: [illegible] (البقـرة:102)"[2].

والســـحر مع تعـــدد أنواعه إلا أن كل هـــذه الأنـــواع محرمـــة, أما الـــذي يهمـــني في هـــذا البحث هو **الســحر الحقيقي** وقد عرفه ابن قدامة المقدسي بأنه:

---

[1] (1) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني231-232, ومختار الصحاح ص326, ولسان العرب 4/348, والقاموس المحيط ص518 (مادة سحر).

[2] (2) المفردات للراغب الأصفهاني ص231-232, وانظر: فتح الباري لابن حجر 10/272-273.

هو عــزائم ورقى وعقد تــؤثر في الأبــدان والقلــوب فيمـــرض ويقتل, ويفـــرق بين المـــرء وزوجه, ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه[1].

وهـذا النـوع من السـحر هو الـذي يقع بين النـاس في الغالب, ومنه تكثر شـكواهم, وبسـببه أكل السـحرة أمـوال الناس بالباطل, وهو الذي يكفر صاحبه[2].

وقد قــرر العلمــاء بــأن السـحر الحقيقي الــذي يقتل ويمـرض ويفـرق بين المـرء وزوجه أو الـذي فيه تعـاون مع الجن وتقـرب إليه حــرام, وأن من فعله أو رضي به كــافر؛ وذلك لأنه لا يتأتى إلا بالشرك.

أما الســـحر المجـــازي وإن لم يبلغ مبلغ الكفر إلا أنه حرام أيضا لما فيه من إفساد عقائد العامة, فإن العامي إذا شاهد ما يفعله الساحر من أمور غريبة لا يعرف سببها ربما اعتقد في الساحر شيئا من صفات الربوبية, فيهلك بذلك[3].

ويقول ابن حجـر: "قـال النـووي: عمل السـحر حـرام, وهو من الكبائر بالإجماع, وقد عـده النـبي- صـلى الله عليه وسلم- من السبع الموبقات, ومنه ما يكــون كفــرا, ومنه ما لا يكون كفرا بل معصية كبيرة, فإن كــان فيه قــول أو فعل

---

1. (3) الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل للعلامة عبد الله بن قدامة المقدسي أبي محمد 4/164, المكتب الاسلامي- بيروت.
2. (1) أحكام الرقى والتمائم تأليف د. فهد بن ضويان بن عوض السحيمي ص138.
3. (2) عالم السحر والشعوذة للدكتور عمر سليمان الأشقر ص217, ط/الأولى 1410هـ- 1989م, مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع- الكويت ودار النفائس للنشر والتوزيع- الكويت. يقول ابن خلدون: "أما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا, لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا, وما لا يهمنا في شيء منهما فإن كان فيه ضرر أو نوع ضرر كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع و يلحق به الطلسمات لأن أثرهما واحد, وكالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله, فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبته في الضرر, و إن لم يكن مهما علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قربة إلى الله, فإن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه, فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيها من الضرر وخصّته بالحظر والتحريم". تاريخ ابن خلدون 1/655.

يقتضي الكفر فهو كفر, وإلا فلا, وأما تعلمه وتعليمه فحرام"[1].

وقد وقع الخلاف بين أهل العلم في الســاحر هل يكفر أو لا؟ وعلى الـــرغم من ذلك الخلاف إلا أنه عند التحقيق لا يظهر إلا القول الـذي ذكرته آنفا بـأن السـحر حـرام وكفـر, وصاحبه كذلك كافر, ولقد ساق هذا الخلاف الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله ثم حقق في المســــألة فقـــــال: "واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا, فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر, وبه قــــال مالك وأبو حنيفة وأحمد, قــــال أصحابه: إلا أن يكون سـحره بأدوية وتـدخين وسـقي شـيء يضر فلا يكفر, وقيل: لا يكفر إلا أن يكون في سحره شـرك فيكفر, وهذا قول الشافعي وجماعته, قال الشــافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سـحرك, فـإن وصف ما يوجب الكفر, مثل ما اعتقـده أهل بابل من التقـرب إلى الكواكب السبعة, وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر, وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر"[2].

ثم قــال: "وعند التحقيق ليس بين القــولين اختلاف, فإن من لم يكفّر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كـذلك بل لا يـأتي السـحر الـذي من قبل الشـياطين إلا بالشـرك وعبـادة الشـيطان والكـواكب؛ ولهـذا سـماه الله كفـرا في قوله: [illegible] (البقرة:102), وقوله: [illegible] (البقـرة: 102)"[3].

ومما يدل على أن السحر حرام وكفر مناف للإيمان:

1- قوله تعالى: [illegible] (البقرة:102), قال الحافظ ابن حجـر: "وقد اســتدل بهــذه الآية على أن الســحر كفر ومتعلمه كـــــــافر, وهو واضح في بعض أنواعه وهو التعبد للشياطين أو للكواكب"[4].

---

[1] (3) فتح الباري لابن حجر 10/275.

[2] (1) تيسير العزيز الحميد ص289-290.

[3] (2) المرجع السابق ص290.

[4] (3) فتح الباري لابن حجر 10/275.

2- قوله سبحانه وتعالى: [illegible]

إلى قوله: [illegible] (البقرة:102),

والاستدلال بهذا الجزء من الآية على أن السحر كفر من وجهين[1]:

الأول: التصريح بأن تعلمه كفر[illegible].

الثـــاني: التنصـــيص على أن من [illegible] والخلاق النصيب, والذي لا نصـيب له في الآخرة هو الكافر.

3- ما أخرجه البخـاري ومسـلم عن أبي هريـرة رضي الله عنه أن رسـول اللـه- صـلى الله عليه وسـلم- قـال: (اجتنبوا السـبع الموبقـات). قـالوا: يا رسـول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله, والسحر...)[2], ووجه الدلالة أن السحر من السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

وعلاج السحر بالسحر الـذي هو موضـوع هـذا المبحث داخل فيما يسمى بالنشرة.

والنشـرة في اللغة؛ بضم النـون من النشـر, وهو التفريق[3].

وفي الاصطلاح: حل السحر عن المسحور.

والنشـرة ضـرب من الرقية والعلاج يعـالج به من كـان يظن أن به مسا من الجن, سميت نشرة لأنه ينشّر بها عنه ما خامره من الداء, أي يُكشف ويُزال[4], وهي نوعان[5]:

---

1 (4) انظر: عالم السحر والشعوذة للدكتور عمر سليمان الأشقر ص 216.

2 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الوصايا- باب قول الله تعالى: [illegible] (النساء:10)- ص222-223 برقم (2766), ومسـلم في صحيحه- كتاب الإيمان- بـاب الكبـائر وأكبرهـا- ص693 بـرقم (89) عن أبي هريرة.

3 (2) انظر: تاج العروس 1/3534.

4 (3) لسان العرب 5/206, وتاج العرب 1/3535, والمفردات ص495 مادة (نشر).

5 (4) إعلام الموقعين عن رب العالمين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي 4/396, تحقيق طه عبد الرءوف سعد دار الجيل- بيروت 1973م.

النوع الأول: حل السحر بسحر مثله, وهو الـذي من عمل الشـيطان؛ لأن الـذي يَعمل هـذا النـوع من النشـرة والمـريض الـذي يُعمل له كلاهما يتقـرب إلى الشـيطان بما يحبه, فيخضعان له, فيطيعانه فيما يريده منهما من الشـرك والكفر بالله عز وجل, وفعل المحرمـات, فيبطل الشـيطان عمله عن المســحور, ولا يعمل ذلك إلا بعد ما أفسد دينهم وعقيدتهم[1].

وهذا النوع من النشرة محرم؛ لأن حل السـحر بسـحر مثله هو في حقيقة الأمر تعاط للسـحر, وقد تقـدمت الأدلة على النهي عن ذلك دون تفريق حالة عن حالــة, فلم يوجد أدنى دليل يبيح للمسلم العلاج باستعمال السحر ﴿ [illegible] ﴾ (آل عمران:80).

والنشرة بهذا المعنى هي التي سئل عنها النبي- صـلى اله عليه وسـلم- فقـال: (هي من عمل الشـيطان), وعليها يحمل قـول الحسن البصـري في قولـه: لا يحل السـحر إلا ساحر.

النـوع الثـاني: النشـرة بالرقية والتعـوذات والأدوية والدعوات المباحـة, وهـذا جـائز ومفيد إذا وجد عند الـراقي والمــريض حسن الظن بالله والاعتقــاد بــأن الشــفاء منه سـبحانه وتعـالى؛ لأن أحسن التـداوي ما كـان بكتـاب الله تعالى وذكره ودعائه, "فمن تعلـق بالله وأنـزل حوائجه بـه, والتجأ إليه وفوض أمره كله إليه كفــاه, وقرّب إليه كل بعيد ويسر له كل عسـير. ومن تعلق بغـيره, أو سـكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه, واعتمد على حوله وقوته وكله الله إلى ذلك وخذله"[2].

قـال الإمـام ابن القيم رحمه الله تعـالى: "ومن جـرب هـذه الـدعوات والتعـوذات عـرف مقـدار منفعتها وشـدة الحاجة إليها, وهي تمنع وصــــول أثر العـــــائن, وترفعه بعد وصوله, بحسب قوة إيمان قائلها, وقـوة نفسه واسـتعداده, وقوة توكله وثبات قلبه, فإنها سلاح, والسلاح بضاربه"[3].

---

[1] (5) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد 1/379.

[2] (1) فتح المجيد ص150.

[3] (2) زاد المعاد 4/154.

وقد أجــاز طائفة من أهل العلم النشــرة بالســحر لما فيها من المنفعة التي تعـود إلى المسـحور حيث يـزول عنه ما به من الســـحر, وهـــذا ينفع ولا يضـــر, أما ما يضر فهو المنهي عنه.

ودليل أصـحاب هـذا القـول الأثر المـروي عن التـابعي الجليل سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى.

ففي صـحيح البخـاري: قــال قتـادة: قلت لسـعيد بن المســــيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشـر؟ قـال: لا بـأس به, إنما يريـدون به الإصـلاح, فأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه[1].

وليس لهؤلاء دليل في كلام سـعيد بن المسـيب؛ إذ لم تكن هناك إشارة واضحة على ما ذهبوا إليه في كلامه.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله عند شرحه لقــول ابن القيم في بيــان نــوعي النشـــرة (... والثــاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة, فهذا جـائز), قـال: "هـذا الثـاني هو الــذي يحمل عليه كلام ابن المسـيب, أو على نـوع لا يـدرى هل هو من السـحر أم لا؟ وكـذلك ما روي عن الإمـام أحمد من إجـازة النشـرة, فإنه محمــــول على ذلك, وغلط من ظن أنه أجــــاز النشــــرة السحرية, وليس في كلامه ما يـدل على ذلك, بل لما سـئل عن الرجل يحل السـحر قـال: قد رخص فيه بعض النـاس. قيل: إنه يجعل في الطنجــير مــاء ويغيب فيه فنفض يـــده وقال: لا أدري ما هـذا, قيل له: أفـترى أن يـؤتى مثل هـذا؟ قـال لا أدري ما هـذا. وهـذا صـريح في النهي عن النشـرة على الوجه المكروه. وكيف يجيزه؟ وهو الذي روى الحديث أنها من عمل الشيطان, لكن لما كان لفظ النشرة مشتركا بين الجــائزة والــتي من عمل الشـــيطان ورأوه قد أجــاز النشرة ظنوا أنه قد أجاز التي من عمل الشيطان, وحاشاه من ذلك"[2].

---

1 (3) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا- كتاب الطب- باب هل يستخرج السحر؟.

2 (1) تيسير العزيز الحميد ص316.

تقـــول اللجنة الدائمـــة: "كل ما ورد عن الســـلف في إجازة النشـرة, فإنما يـراد به النشـرة المشـروعة, وهي ما كان بالقرآن والأدعية المشروعة, والأدوية المباحة"[1].

على كل حال, حتى ولو كـان ابن المسـيب ومن فـوق ابن المسيب ممن ليس قوله حجة يرى أنه جـائز, فلا يلـزم من ذلك أن يكـون جـائزا في حكم الله حـتى يعـرض على الكتاب والسنة[2], والعبرة والحجة في التحليل والتحريم هو كتـاب الله تعـالى وسـنة نبيـه- صـلى الله عليه وسـلم- فما فيهما من حلال حلّلناه, وما فيهما من حرام حرمنـاه, وليس قول أحد من الناس حجة عليهما[3].

وقد سـبق أن ذكـرت الأدلة الصـريحة من المصـدرين تحرم تعلم السـحر وتعليمه وتصف متعاطيه بـالكفر, وما ذا بعد الحق إلا الضلال؟

يضاف إلى ذلك:

أ- أن في تجويز النشرة بالسـحر إقـرارا للسـاحر على ما هو عليه, وفيه تعاون على الإثم والعدوان, وسـيؤدي ذلك إلى كـــثرة الســـحرة بحجة العلاج, بل ســـيكون ذلك دافعا للسحرة أن يتسلطوا على عباد الله بسـحرهم, ثم يأخـذون أموالهم ليطببوهم عما سعوا مع شياطينهم بإيذائهم به[4].

ب- أن الذهاب للسـحرة للعلاج هو من جنس الـذهاب للكهنة والعرافين وقد جاء الوعيد الشـديد لمن فعل ذلك[5], كما في قولـه- صـلى الله عليه وسـلم: (من أتى كاهنـــا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)[6], وقوله- عليه الصلاة والسـلام: (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[7].

---

[1] (2) مجلة البحوث الإسلامية العدد (78) ص380.

[2] (3) القول المفيد على كتاب التوحيد 1/557.

[3] (4) شبهات المبتدعة حول توحيد العبادة ص543.

[4] (1) شبهات المبتدعة ص538.

[5] (2) المرجع السابق ص539.

[6] (3) أخرجه أحمد في مسنده 2/429, والطبراني في المعجم الأوسط 2/122, والحاكم في المستدرك 1/49 عن أبي هريرة وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه.

[7] (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب تحريم الكهانة

ج- أن النشـرة بالسـحر لا تكـون محل ضـرورة؛ إذ إن البـــدائل عنها موجـــودة, وحصـــول المطلـــوب بها ليس محققا[1].

"فلا يصح القـول بجـواز حل السـحر بسـحر مثله بنـاء على قاعدة الضـرورات تـبيح المحظـورات؛ لأن من شـرط هـذه القاعـدة أن يكـون المحظـور أقل من الضـرورة كما قرره علماء الأصول[2], وحيث إن السحر كفر وشــرك, فهو أعظم ضررا بدلالة قول النـبي- صـلى الله عليه وسـلم: (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شـرك), والسـحر يمكن علاجه بالأســباب المشـــروعة, فلا اضـــطرار لعلاجه بما هو كفر وشرك"[3].

وإذا كـــان النـــبي قد نهى عن التـــداوي بما هو دون السـحر لأجل حرمتـه, وعلل ذلك بـأن الله لم يجعل شـفاء أمته فيما حـــرم عليهم, فكيف بالســـحر الـــذي يصل إلى الشرك بالله تبارك وتعالى.

وعلى المرء المسـلم أن لا يغـتر بتلك المنفعة العاجلة الـتي لم يكن وقوعها محققا باسـتعمال الـدواء الـذي يمس بعقيدته ويضـيع عليه دينـه, فالسـبب قد يحصل به مطلـوب من المطالب, ولكن لا بد من النظر إلى شرعيته أو إباحته, كيلا يؤدي إلى نقصان للمرء في دينه.

والشـعوذة: ضـرب من السـحر, وهي خفة في اليد وأخذ كالسـحر, يـرى الشـيء بغـير ما عليه أصـله في رأي العين[4].

وإتيان الكهان- ص1074 برقم (2230) عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

1 (5) شبهات المبتدعة ص540.

2 (6) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي 1/84, شرح الكوكب المنير 3/37.

3 (7) مجلة البحوث الإسلامية العدد (78) ص380, من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

4 (1) انظر: القاموس المحبط ص427, ولسان العرب 3/495 مادة (شعذ).

ومن الشعوذة استعمال أسماء مجهولة وألفاظ لا يفهم معناها قراءة أو كتابة للوصول إلى غرض معين من جلب النفع أو دفع الضر[5].

صور العلاج بالسحر والشعوذة لدى مسلمي نيجيريا:

وبعد هذا كله, وعلى الرغم من كثرة الأدلة التي لا تقبل أي تأويل ووضوحها ودلالتها على منع التداوي بالسحر وكفر من أقدم عليه, نجد طائفة من مسلمي نيجيريا ما زالوا يحاكون أهل الجاهلية في استعمال هذه الأدوية الشركية تاركين جنبهم ذلك الكنز العظيم ذا منفعة جليلة من الأدوية المباحة والرقى والدعوات المشروعة. وما الذي دفع هؤلاء إلى صنيعهم هذا؟ إنه الجهل بروح المنهج الإسلامي الذي ألجأهم إلى الاعتصام بالسلوك الجاهلي الممقوت فلبّس على كثير منهم حتى أظهر لهم الباطل في صورة الحق, وما من شك أن من سلك طريق الضلال بعد ما تبين له الحق سيجد نفسه من الخائبين الخاسرين في نهاية المطاف, فلن تتم له فرحة ولن تطول له هناءة, [illegible] (النساء:115).

والعلاج بالسحر والشعوذة لدى مسلمي نيجيريا له أربع صور:

الصورة الأولى:

العلاج بالسحر والشعوذة التي فيها شيء من القرآن الكريم وذلك بكتابة آيات قرآنية بطريقة غير التي أنزلت عليها, ولهم في ذلك عدة طرق, منها:

1- ما يفعله بعضهم من كتابة بعض سور القرآن الكريم من آخرها إلى أولها, أو تكرار سورة أو آية معينة عدة مرات.

2- كتابة بعض السور مع إدخال كلمات أخرى بين آياتها مثل أسماء الملائكة أو الجن أو أسماء غير مفهومة.

---

5 (2) انظر: التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر بن عاشور 1/3451, الدار التونسية للنشر 1972م.

3- كتابة بعض الآيـات مع تكبـير بعض الحـروف فيهـا, يكتب داخل الحـــروف المكـــبرة الغـــرض من عمل تلك التميمة.
4- كتابة بعض السـور والآيـات بـالحروف المقطعة مع الاعتقـاد أن هـذه الهيئة لها خصوصـية لا يتحقق الغـرض إلا بكتابتها كذلك.
ومن المؤسف أن ســـور القـــرآن وآياتها تكتب عند بعضـهم بمـواد نجسة وغـير نجسة مما لا يعقل أن يكتب به كلام الله كـدم الضـفدع, ودم الفـأرة, ودم الحيض, وحليب المـرأة, وغـير ذلـك, وإن هـذا العمل لغاية في الوسـاخة لا ينبغي أن يقوم به صاحب العقل السليم ناهيك عن المسـلم المتعلم.
وهـذه الأشـياء الـتي يكتبونها تكتب أحيانا على اللوحة السوداء المخصصة لذلك ثم تمحى بالماء ويقـدم للمـريض, وفي بعض الأحيـــان تكتب في الأوراق ثم تربط وتحـــاط بالجلد لتكون في أشـكال يمكن تعليقها على عنق المـريض أو عضده, أو توضع تحت الوسادة, أو في الجيـوب, أو تعلق على جـدران المنـازل والمحلات التجاريـة, كل ذلك للتغلب على الأعداء من الأرواح الشريرة, أو اتقـاء الإصـابة بـالعين وغير ذلك من الأضرار, أو لجلب الرزق, أو طلب الرفعة.

ذكر بعض الأمثلة الـتي تشـهد لوجـود هـذه الصورة:

ففي دعـاء الغاية المقصـودة الكـبرى: "إذا كـثر بكـاء الطفل حـتى لا ينـام بالليل فتكتب هـذه الآيـات في ورقة وتعلق على الطفل الـذي يكـثر البكـاء والصـياح, فإنه يقل بكاؤه وصياحه
وينام أول ليلة آمنا بإذن الله تعـالى وهي مجربـة, ولا بـأس بمسحه بالجسد وشربه. بسم الله الرحمن الـرحيم (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا...)"[1].
وفي كتــاب عــون العلمــاء الصــالحين: "فوائد تتعلق بطلب الرزق وفتح التجارة والمحبة: يكتب ويشرب ويمسح بالجسد منها فيرزقه الله بلا تعب ولا مشـــقة, ويكتب في

---

[1] (1) دعاء الغاية المقصودة ص107.

الورق وتعلق على باب دكان التـاجر وهي: (ما يفتح للنـاس من رحمة فلا ممسك لهـــا...), **يفتح ميم أو ميمـــان وأدخل فيها مراده**"[1].

الصورة الثانية:

العلاج بكتابة الطلاسم والخطـــوط وكلمـــات لا يفهم معناها ولا يعقل, وكثـيرا ما تنسب تلك الطلاسم والخطـوط والخواتم إلى نبي من أنبياء اللـه, شـأن الـذين وضـعوا لهم هذه الأشياء في كتبهم المعروفة لكي تجد القبول لــدى من يســتعملها من أمثــال هــؤلاء الــذين لا يمــيزون بين الحق والباطل بل كل كتــاب أتى من بلاد العــرب وباللغة العربية فهو من كتب الإسلام يجوز العمل به ويمكن الاستفادة منه, هـذا بالإضـافة إلى ما يكتبونه في نهاية كل جـزء من هـذه التمائم بعد بيان كيفية استعمالها: فهو مجرب.

ذكر بعض الأمثلة الــتي تشــهد لوجــود هــذه الصورة:

ففي دعا الغاية المقصـودة الكـبرى: "فائـدة لمن بـال في النـوم: بسم الله الـرحمن الـرحيم, تكتب ويعلق عليـه: هف هف هد هد هف هف هف هـــــات لنا له كف كف كف هف هفف هفف معهم مســعر لم قل هو الله أحد الغـــالب من حيث يستحسر العدو إبليس شيخ لبني آدم كما الـذي سـجد لآدم الملائكة بـــــإذن أنه كريمة بنت كريمة وولد فلان ابن فلان لالالالالالا شددت شددت بسـورة صـفة صـفة ختمت بخـــاتم ســليمان بن داود لله رب العلمين. وهي مجربـــة, وبالله التوفيق"[2].

ولقد ذكرت هـذا على سـبيل المثـال لا الحصـر, ولـولا كآبة صـــور الطلاسم والخطـــوط وشـــناعتها لأتيت بها ههنا لنرى ذلك الواقع المرير الذي يعيشه المسـلمون اليـوم في بعض البلدان الإسلامية من البعد عن طريق الله المسـتقيم واللجوء إلى الخطوط والطلاسم وكلمات غير مفهومـة, كل ذلك بدعوى جلب الخير والتهرب من الشر, ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره.

---

[1] (2) عون العلماء الصالحين ص25-26.

[2] (3) دعاء الغاية المقصودة ص98-99.

الصورة الثالثة:

العلاج بالاستعانة بالأرواح الشيطانية والقوى الشـريرة شـياطين الإنس والجن, فالـذين يتعـاطون السـحر بهـذه الصـورة لهم أدعية مخصصة لهـذا الغـرض مع الاعتقـاد أن هناك مجموعة من الروحانيـات تعمل مع هـذه الأدعيـة, كما يسـتخدمون أنواعا من البخـور لتحقيق أغراضـهم الخبيثـة. ومما يعـرف مع هـذه الفئة من السـحرة والمشـعوذين أن شياطينهم تشترط عليهم القيام بهـذه الأدعية وهم في هيئة معينة مثل أن يكون واحد منهم نجسا أو على غـير طهـارة, أو يكـون عريانا أو يفعل هـذه الأفاعيل في مكـان مظلم حيث لا يراه أحد, شأنهم شأن الكهنة الوثنيين الـذين ورثـوا عنهم بعض هذه الأشياء.

ومن أسـاليبهم الملتوية التعـاون مع الجن الـذي يتعاملون معه ليدخل في الشـخص أو يمسه بـأذى حـتى إذا مرض يقوم هذا الساحر بالسعي لإخراج الجن منه وعلاجـه؛ يفعل ذلك لِيُـري النـاس أنه راق حقيقي وأن لديه المقـدرة على علاج من مسه الجن بشـيء أو دخل في جسـمه؛ ولذلك ترى الكثير من العـوام يـذهبون إلى هـؤلاء السـحرة والمشعوذين بمجـرد شـعورهم بـأدنى شـيء من الأمـراض مثل الصـداع, والحمى, وغـير ذلك بـدلا من عيـادة الطـبيب المتخصص.

ومما شـهد له الواقع من خلال كلام أهل العلم قـديما وحـديثا أن الـذي يتعامل مع الجن لا بد أن يشـرك بالله ويكفـر؛ إذ لن ترضى شـياطين الجن أن يخـدموا أصـحابهم من الإنس إلا بعد ما أشـركوا باللـه, فنجد هـؤلاء الـدجالين في المجتمع النيجـيري في الحقيقة يـدعون غـير الله ويستغيثون بغيره فيما لا يقدر عليه إلا الله تعـالى وهـذا هو الشرك بعينه؛ لأن الاستغاثة عبادة والعبادة لا ينبغي صـرفها بوجه من الوجـوه لغـير الله تعـالى, يقـول جل شـأنه: [illegible] (يونس:106-107).

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللـه: "... لأنه كلما كان الرجل أضل وأكفر كان الشيطان إليه أقرب, لكن لا بد في جميع مكاشـفة هـؤلاء من الكـذب والبهتـان, ولا بد في أعمالهم من فجور وطغيان كما يكون لإخوانهم من السحرة والكهـان قـال الله تعـالى: [illegible] (الشعراء:221, 222), فكل من تـنزلت عليه الشـياطين لابد أن يكـون فيه كذب"[1].

الصورة الرابعة:

العلاج باستخدام الحيوانـات الميتة مما يؤكل لحمه وما لا يؤكل, واستخدام بعض أعضاء البشر مثل العينين, وثـديي المرأة, والأنثيين.

ذكر بعض الأمثلة الـتي تشـهد لوجـود هـذه الصورة:

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري: "كـان أهـل الجاهليـة يتداوون ببعض الأدوية النجسة كالخمر والدم والبـول القـذر أو بالحيوانـات الميتـة النجسـة كالهدهـد والضـفدع وعظـام الميتة ونحو ذلك, ولما جاء الإسلام حـرم كـل ذلـك وسـماه (الدواء الخبيث)", ثم قال: "هـذا ولا يـزال بعض المسـلمين في نيجيريا وما حولهـا يتعـاطون الـدواء الخـبيث إلى يومنـا هـذا, إمـا لشـفاء الأمـراض البدنيـة أو للـدفاع عن سـحر السحرة" [2].

فلعل مما يصدق قولي في هـذا الصـدد أيضا مشـاهدة الشـيخ محمد محمـود الصـواف لهـذه الحقيقة أثنـاء زيارته لـدولتنا نيجيريا حيث قـال: "الخرافة والسـحر يعششـان ويبيضان ويفرخان في البلاد الإفريقية, والسـبب في نظـري يعود إلى أن الكثير من القبائل والمـدن دخلت في الإسـلام حـديثا ودخلت معها عقائـدها وخرافاتها وعاداتها الموروثـة, فأثرت حـتى على المسـلمين الأصـليين, ونقلت إليهم هـذه العقائد الباطلة والخرافات والأوهام ..." [3].

---

1 (1) مجموع الفتاوى 10/445.

2 (2) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص122-123.

3 (3) رحلتي إلى الديار الإسلامية القسم الأول: إفريقيا المسلمة تأليف

ثم قــال: "وهنا رأيت عجبا في هــذه المدينة الكــبرى (إبــادن) عاصــمة الولاية الغربية في نيجيريــا, رأيت ســوقا كـاملا للســحر, من يصــدق هـذا ونحن في هـذا العصــر؟! والغريب في الأمر أن أصحاب دكاكين هذه السوق أكـثرهم مسلمون, فقد مررنا قبل الصلاة, وإذا بهم وحـتى أطفـالهم يتوضأون ويستعدون للصلاة, والمسـجد قـريب منهم بل هم يصلون في الطرق وفي دكاكينهم الـتي يـبيعون بها السـحر الحرام..." [1].

ثم مضى في كلامه يقول: "وقد يسألني السائل ومـاذا يباع في هذه السوق؟ وما هي بضاعتهم؟ فأقول: بضـاعتهم الأولى بـالطبع الكـذب والنفث والنسخ وكتابة ما لا يقـرأ ولا يفهم, ومخاطبة الشياطين قرنائهم الأشرار, والضـحك على البســطاء وســلب أمــوالهم بادعــائهم علم الغيب وكشف الأســرار والمخبــآت, أما بضــاعتهم الــتي شــهدناها في الـدكاكين فهي: الجمـاجم المختلفـة, جمـاجم القـردة وقد سلخوا منها الجلد, وجماجم حيوانات أخرى لم أعرفها, حتى رأيت جماجم الحمير, ثم أرجل بجلدها وشعرها, كل عشـرة أرجل مشــدودة كحزمــة: أرجل المــاعز, وأرجل القــردة, وأرجل الظباء, وربما جماجم بشرية في وسط ما رأيت من هذه الجماجم المكدسة" [2].

وهـــذه الجمـــاجم والجلـــود والأرجل يحرقها هـــؤلاء المشــعوذون ويضــيفون إليها أشــياء أخــرى من النباتــات وغيرها يعملون بها أدوية وعقاقير, يسحرون بها من يريدون إيذاءه من الناس, يؤثرون بها على بدن المسـحور, وعقلـه, وإرادته, وميله, ويعملـون بها ما يسـمى بـالعطف فيجعلـون الإنسـان ينعطف على زوجته أو امـرأة أخـرى حـتى يكـون كالبهيمة تقــوده كما تشــاء, أو يعملــون بها الصــرف وهو عكس العطف فيفرقون بها بين المرء وزوجه, وكل هـذا قد نص عليه في الحديث أنه من التولة وهي شرك.

محمد محمود الصواف ص292, ط/ الأولى 1395هـ- 1975م, دار القرآن الكريم والدار السعودية للنشر والتوزيع.

[1] (1) رحلتي إلى الديار الإسلامية ص292.

[2] (2) المرجع السابق ص292- 293.

كما يصنعون من بضائعهم هذه التمائم بشـتى أنواعهـا, فقرن الكبش, ورأس الظبي, ومنقار النسر, وغير ذلك كلها تعلق لأغراض يعرفونها.

فهنــاك أســواق تبــاع فيها تلك الحيوانــات الميتة المجففة يرتادها هؤلاء المشعوذون. والأصل أن العلاج بهذه الطريقة للكهنة الوثنــيين, لكن لما رأى الــذين قل نصــيبهم من الإيمــان والتقــوى من المنتســبين للعلم الشــرعي أن قضية علاج المرضى سوقا رابحة لأكل أموال الناس نصــبوا أنفسـهم كأطبـاء روحـانيين فأخـذوا شـيئا من سـحر الكهنة الوثنيين وشعوذتهم فخلطوه بما أملته عليهم شياطين الجن من التمـائم يتلاعبـون من خلال ذلك كله بعواطف المرضى وأوليائهم, فتظاهروا في صورة العلمـاء الربـانيين, وهم في حقيقة الأمر يخلطون الحق بالباطل ويلبسـون على السـذج من الناس.

ومما يعجب منه المرء المسلم أن الذين يتورطون في هـــذه الأعمـــال الخبيثة هم من المنتســـبين للدراســـات الإسـلامية كما أسـلفت, ولو كـانوا مسـلمين عـاديين لهـان الأمر, إن هذا لهو المصيبة بعينها؛ ولـذلك تجد الصـعوبة عند تحديد العلماء الربانيين في المجتمع النيجيري؛ إذ قد اختلط الحابل بالنابـل, فلا تكـاد تمـيز بين الصـالحين والطـالحين, فكلٌّ يدعي العلم والإيمان والتقوى, ويلبس لبـاس العلمـاء, ويتظاهر في هيئة الأتقياء.

حكم هذه الصور:

إن العلاج بكل ما ســبق ذكــره من صــور الســحر والشــعوذة محــرم, فمن كــان ســحره باســتخدام الجن والأرواح الشيطانية فلا شك في كفره وكفر ما صنعته يداه, وكذلك من كان سـحره بأسـماء مجهولـة, وكلمـات لا يفهم معناهــا, والطلاسم والخطــوط فعمله محــرم, وقد يكــون كفرا؛ وذلك أن هذه الطلاسم تستخدم في الغـالب لإحضـار الجن, والتعامل مع الجن والاســـــــتعانة بهم لا يخلو من الشــــرك, وإن لم يكن كــــذلك فتلك الأســــماء المجهولة والكلمـات غـير المفهومة الـتي يتلفظ بها يخشى أن تكـون كلمات شركية, فيحتمل من كل وجه أن يكون عمله شركا.

وتعاطي السحر بكتابة آيات قرآنية بطرق غير التي أنزلت بها فلا شك أن من يفعل ذلك عاص لله سبحانه وتعالى؛ لما فيه من تبديل لكلام الله, هذا إذا كانت الكتابة بشيء نظيف فكيف وقد كانت بمادة نجسة من دم الضفدع ودم الفأرة وغيرهما مما تعف نفس المسلم عن ذكره, قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والدم أيضا نجس فلا يجوز أن يكتب به اسم الله تعالى"[1].

كما يعاب على هؤلاء كونهم لا يعرفون لكتاب الله قيمة سوى الاستشفاء به؛ ولذلك تجدهم يكتبون سوره وآياته بهذه الطريقة غير المشروعة, ولو فهموا أحكامه وعملوا بما فيه ما فعلوا ذلك, "فيجب تنبيههم على أن القرآن ما نزل ليكون دواء لأمراض الناس البدنية فقط, لكن نزل لأمر عظيم وخطب جليل؛ ليكون نذيرا للعالمين وهاديا إلى صراط الله المستقيم, وحاكما بينهم فيما يختلفون فيه, ومحذرا من طريق الكفر والكافرين, وهو مع هذا ينفع الله تعالى به عباده المؤمنين من أسقامهم الدينية والبدنية كما قال تعالى: [illegible] ﴿ ﴾ (فصلت:44), وقال تعالى: [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ (الإسراء:82)"[2], لكن كل ذلك بشرط أن يستعمل بطريقة شرعية, وأن يقرأ ويكتب على الوجه الذي أنزل به.

وأما من كان سحره بالأدوية والعقاقير المصنوعة من تلك الحيوانات الميتة وغير ذلك فإن لم يكفر فإنه يعتبر عاصيا لما يقترفه من ظلم وعدوان على الخلق, هذا بالإضافة إلى ما يصاحب تلك الجريمة من الذنوب العظام ابتداء من الخلوة بالأجنبيات وانتهاء إلى الوقوع في الزنا, فإنه لا مهرب لهؤلاء المشعوذين من ذلك الذنب؛ لأن أكثر زبائنهم من النساء صاحبات النفوس المريضة واللاتي عندهن كمال الاستعداد ليضحين بأنفسهن في سبيل الوصول إلى مقاصدهن الخبيثة, والخلوة بالنساء الأجنبيات خطيرة حتى ولو كان الذي يخلو بهن من أولياء الله

[1] (1) مجموع الفتاوى 35/110-111.

[2] (1) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء 1/76-77, ط/ الأولى 1426هـ- 2005م.

المتقين, فكيف والــذي يخلو بهن جلســاؤه وشــركاؤه من الشياطين, فوقوع كبيرة الزنا في هذه الحالة آكد وأسرع.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللـه: "ومن عمل أهل النار السحر"[1], وقـال في موضع آخـر: "فـإن الكهـان والسـحرة يـأمرون بالشـرك وعبـادة الأوثـان وما فيه طاعة للشيطان"[2].

وقال رحمه الله فيما يتعلق بأسماء مجهولة وألفـاظ لا يفهم معناهـا: "قد ثبت في الصـحيح عن النبي- صـلى الله عليه وسلم- أنه أذن في الرقى ما لم تكن شـركا[3], وقـال: (من استطاع منكم أن ينفع أخـاه فليفعل)[4], وإن كـان في ذلك كلمــات محرمة مثل أن يكــون فيها شــرك أو كــانت مجهولة المعــنى يحتمل أن يكــون فيها كفر فليس لأحد أن يرقى بها, ولا يعزم ولا يقسم, وإن كـان الجني قد ينصـرف عن المصـروع بها, فإنما حرمه الله ورسـوله, ضـرره أكـثر من نفعه"[5].

وقال في موضع آخر: "والإنسـان إذا فسـدت نفسه أو مزاجه يشـــتهي ما يضـــره ويلتذ به بل يعشق ذلك عشـــقا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله, والشـيطان هو نفسه خـــبيث, فـــإذا تقـــرب صـــاحب العـــزائم والأقســـام وكتب الروحانيـــات الســـحرية وأمثـــال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم, فيقضون بعض أغراضه, كمن يعطى غـــيره مـــالا ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة, أو ينال معه فاحشة.

ولهــذا كثــير من هــذه الأمــور يكتبــون فيها كلام الله بالنجاسة, وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل إما حروف الفاتحة وإما حـــروف قل هو الله أحد وإما غيرهما, إما دم وإما غيره, وإما بغير نجاسة أو يكتبون غير ذلك مما يرضـاه

---

1 (2) مجموع الفتاوى 10/424.

2 (3) النبوات لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ص153, المطبعة السلفية- القاهرة 1386هـ دون بيانات أخرى.

3 (4) سبق تخريجه ص380.

4 (1) سبق تخريجه ص379.

5 (2) مجموع الفتاوى 24/278.

الشيطان أو يتكلمـون بـذلك فـإذا قـالوا أو كتبـوا ما ترضـاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم"[1].

وبناء على ما سبق من الحكم فإنه يحـرم من كل وجه التداوي والتعالج بالسحر, سواء لحل سـحر مثله أو داء آخر من الأدواء الـتي يعـاني منها بنو الإنسـان, فلا ينبغي ادعـاء المقاصد الحسنة في هـذه الحالـة؛ "إذ المقاصد الحسـنة لا تبرر الغايات السيئة والمنكرة, ولا تغير من الحكم الشرعي شيئا"[2].

ولا ينبغي كـذلك الادعـاء "بـأن النشـرة بالسـحر محل ضرورة؛ إذ إن البدائل موجودة, وحصول المطلوب بها ليس محققـا, ولكن الشـيطان يصـورها لكثـير من النـاس أنها السبب الوحيد المتاح, وأنه لا سـبيل إلى حل السـحر أو داء آخر إلا بهذه الطريـق, شـأنه في تضـييق المشـروع المبـاح على الناس, وفتحه أبوابا مشرعة إلى كل ما هو سبيل كفر وعصيان"[3].

ولا شك أن الإسلام ديننا الحنيف لن يقر تلك الضلالات الـتي يعتقد فيها النفع والضر من دون اللـه؛ ولـذلك أوجد سبلا ووسائل لعلاج جميع الأمـراض الـتي يمكن أن يتعـرض لها الإنسـان, فأجـاز الرقية بشـتى أنواعها ما لم يكن فيها شرك, كما أجاز الأدوية المباحة ما لم تصنع من المحرمـات والنجاسات, فاحفظ هذا ولا يلبّسنّ عليك الذين لا يعلمون.

فعن أبي هريرة رضي الله عنـه عن النـبي- صـلى الله عليه وسلم- قال: (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)[4].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: (ما أنـزل الله عز وجل داء إلا أنـزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله)[5].

---

1 (3) المرجع السابق 19/34-35.

2 (4) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد 1/162.

3 (5) شبهات المبتدعة ص540.

4 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء- ص486 برقم (5678) عن أبي هريرة.

5 (2) أخرجه أحمد في المسند 1/413, والطبراني في المعجم الأوسط 7/121, وابن حبان في صحيحه 13/427, والحاكم في المستدرك 4/441 عن عبد الله بن مسعود, وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم

وعن عبد الله رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله- صـــلى الله عليه و ســـلم: (عليكم بالشـــفاءين: العسل والقرآن)[1].

وأحسن التـداوي ما كـان بكتـاب الله تعـالى وذكـره ودعائه لعموم قوله تعالى: [illegible] (الإسراء:82).

قـــال الإمـــام ابن القيم رحمه الله تعـــالى: "اعلم أن الأدوية الطبيعية الإلهية تنفع من الـــداء بعد حصـــوله, وتمنع من وقوعه, وإن وقع لم يقع وقوعا مضـرا وإن كـان مؤذيا, والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصـول الـداء, فـالتعوذات والأذكـار إما أن تمنع وقـوع هـذه الأسـباب, وإما أن تحـول بينها وبين كمـــال تأثيرها, بحسب كمـــال التعـــوذ وقوته وضـعفه, فـالرقى والعـوذ تسـتعمل لحفظ الصـحة, ولإزالة المرض"[2].

هـذا, وقد جمع العلمـاء من الأذكـار والـدعوات الـتي يقوله العبد إذا أصبح وإذا أمسى, وإذا نام, وإذا خاف شـيئا, وأمثال ذلك من الأسباب ما فيه بلاغ, فمن سـلك مثل هـذه السبيل فقد سلك سـبيل أوليـاء الله الـذين لا خـوف عليهم ولا هم يحزنـــــون, ومن دخل في ســـــبيل أهل الجبت والطـاغوت الداخلة في الشـرك والسـحر فقد خسر الـدنيا والآخرة[3].

فعلى من ابتلـوا بالتضـلع من السـحر والشـعوذة من مسلمي نيجيريا أن يـدَعوا هـذا العمل الخـبيث ويتوبـوا إلى الله قبل فوات الأوان, فإن السحر كفر والتساهل في أمره خطير, فـالواجب على المسـلم الانقيـاد للحق وعـدم اتبـاع هواه فيما يخالف شرع الله.

مسألة: حكم التفرغ للرقية واتخاذها حرفة

التفرغ للقراءة على النـاس واتخاذها حرفة والاشـتهار بها لا يجوز لما يأتي[4]:

يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص.

1 (3) سبق تخريجه ص384.

2 (4) الطب النبوي ص 155.

3 (1) مجموع الفتاوى 24/281.

4 (2) انظر: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة وحكم التفرغ

1- أنه ليس من عمل الســلف الصــالح, أي إذا نظرنا في العصـور الماضـية منذ عصر الرسـول- صـلى الله عليه وســلم- وعصر صــحابته الكــرام وعصر علمــاء الإســلام الموثوق بعلمهم وفضـلهم, لم نر أحـدا تفـرغ لعمـلٍ اسـمه الرقية الشرعية وقصر نفسه على معالجة المرضى بالرقى واتخــذها حرفـــة, وكـــذلك لم يثبت عن أحد من خلفـــاء المســلمين أنه نصّـب قارئا يقـرأ على المرضى كما ينصب القضاة والمفتين.

ولا شك أنه لا يوجد زمان سلم فيه الناس من التعرض للأمــراض والأدواء, وعلى الـرغم من جـواز القــراءة على المريض طلبا للعلاج وجـواز أخذ الأجـرة عليها كما أسـلفت القول في ذلك إلا أن عملها بهذه الكيفية التي لا يعـرف لها مثيل في العصــور المتقدمة يجعلها ممنوعــة؛ فالمشــروع بأصـله قد يمنع إذا صـاحبته كيفية مسـتحدثة. فمنهج سـلف الأمة في هذا الأمر أن العلماء وأهل الصلاح والتقـوى كـانوا يرقون بالرقية الشرعية من عـرض له عـارض وطلب منهم ذلــك, أو يتـولى المـريض القـراءة على نفسه بشــيء من كتاب الله تعـالى والأذكـار المـأثورة عن نبيـه- صـلوات الله وسلامه عليه.

فالرقية الشــــرعية ليست محصـــــورة على أنـــــاس مخصوصـين, ولو كـان الانقطـاع لمعالجة المرضى بـالرقى واتخاذها حرفة والاشــتهار بها خــيرا لســبقنا إليه ســـلفنا الصالح؛ لأنهم كـانوا أفضل هـذه الأمة, أبرها قلوبا, وأعمقها علما, وأقلها تكلفا.

2- أن ما يشـــاهد عند الشـــخص الـــذي جعل نفسه متخصصا في القــــراءة على النـــاس واتخـــذها حرفة من ازدحام النـاس على بابه والهتـاف بـأن فلانا يشـفى النـاس بسبب رقيته, أن كل هـذه الأمـور قد تغـره فيصـيبه العجب ويتوهم أنه قد صـار من الأوليـاء الأبـرار, وقد كـان السـلف الصالح رضوان الله عليهم يخشون من هـذا الأمر ويسـدون مداخله, والأدلة على هذا كثيرة موفورة.

لها واتخاذها حرفة ص 75-79, أحكام الرقى والتمائم د. فهد بن ضويان بن عوض السحيمي ص81-82.

3- أن الذين يتفرغون للقـراءة على النـاس ويتخـذونها حرفة لهم يظنـون أن ذلك من المسـتحبات, "والاسـتحباب حكم شــرعي, لا يتلقى إلا من الشــارع, فما لم يشــرعه لا يكون مستحبا, بل يكون قد شـرعوا من الـدين ما لم يـأذن به اللــه"[1]. فيقعــون في البدعة من هــذا البــاب؛ لأن من استحب شيئا لم يفعله رسول الله- صلى الله عليه وســلم- ولم يفعله خلفــاؤه الراشــدون مع وجــود المقتضي له في عصرهم قد أتى بابا من البـدع. والرسـول- صـلى الله عليه وسلم- وخلفاؤه الراشدون وإن قرأوا على المرضى وأخذوا الأجرة على ذلك كما تقدم إلا أنهم لم يتفرغـوا لهـذا الأمـر, ولم يتخذوها حرفا اشتهروا بها.

4- لقد اشتهر بعض الصـحابة بإجابة الـدعاء كسـعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- أحد العشرة المبشرين بالجنـة, ومن الـذين دعا لهم رسـول الله باسـتجابة الـدعاء, وبعض التابعين كأويس القرني رحمه اللـه, ومع هـذا لم يـؤثر أنهم نصبوا أنفسهم للقراءة على المرضى على الرغم من ثبوت الأدلة على أن دعـــوتهم مســـتجابة, ولم يـــؤثر كـــذلك أن المســلمين في زمــانهم تزاحمــوا على أبــوابهم أفواجا إثر أفواج لطلب الدعاء مع حاجة المسـلمين إلى إجابة دعـائهم في صلاح دينهم ودنياهم.

وبهذه التعليلات الـتي لم يبق معها أدنى شك اتضح أن التفـرغ للرقية الشـرعية واتخاذها حرفة لا يجـوز بحـال من الأحوال, فـالواجب على من قد حـاد عن منهج السـلف في هذا الأمر أن يراجع نفسه, ويتـدبر المقـام, ويـدور مع الحق حيث دار, فإن اتباع الهوى بعد سـماع الحق فتنة أيما فتنـة, نسأل الله السلامة.

وإذا كان قد حكمت شريعتنا الغراء بعدم جواز التفــرغ للقــراءة على المرضى وبدعيته مع أن أصل القــراءة سـنة قبل أن يصـطحبها اتخاذها حرفـة, فمـاذا يكـون حكمها في التفرغ للعمل بالسحر والشـعوذة والتكهن تحت سـتار علاج المرضى بالرقية الشـــرعية والأدوية المباحـــة؟ هـــذا ما سأتناوله فيما يلي:

---

[1] (1) مجموع الفتاوى 22/475.

قال الشيخ آدم عبد الله الألـوري رحمه الله عند كلامه عن مسألة (قراءة القرآن لقضاء الحـوائج) وطريقة علمـاء غـــرب إفريقيا فيهـــا: "فلا يلام علمـــاء غـــرب إفريقيا إذا اسـتعانوا بالصـلاة والـدعاء والصـيام على قضـاء حـوائجهم والله يقول: (البقرة:153), إنما يلام الذين يتخذون هذا صناعة ويكتسبون لقضاء حـوائج النـاس, كالذين يكتبون الحجب والتمائم ليحملها الناس لجلب الخـير ودفع الضر, أو الذين يقرأون العـزائم على الجن ويتلـون ما لا يفهمـون معنـاه من الكلمـات الأعجميـة, فـذلك الـذي لم يفعله نبي ولا ولي ولا صحابي ولا تـابعي؛ لأن الله لم يــنزل به سلطانا... فلا ينبغي أن يتخذ الدعاء وتلاوة القرآن تجـارة يتاجر بها الناس..." [1].

إن كلام الشـــيخ آدم الألـــوري المتقـــدم يحكي في الحقيقة الواقع الـــذي عليه ذلكم العلمـــاء الطـــالحون وتلامــذتهم الطفيليــون في نيجيريــا, وإني لأخجل في هــذا المقام أن أصرّح بأن المعنيين بهذا الأمر هم من المنتسبين للدراســات الإســلامية من أســاتذة المــدارس العربية وتلامذتها, ولو تحدثت حديث المحلّل المعلّل لا أكاد أسـتثني من المدارس العربية النيجيرية كلها إلا قليلا.

فرأس المشـكلة يكمن في أن بعض الآبـاء المسـلمين في المجتمع النيجـيري لا يرسـلون أبنـاءهم إلى المــدارس العربية للنيل من العلـــوم الشـــرعية إلا إذا عجز عن دعم أبنائه للتعليم في المـــدارس الحكوميـــة, أو من فشل في مواصلة الدراسة الغربية من الأبنـاء, فليس بكثـير من يوجه ابنه إلى المـدارس العربية لتحصـيل العلم الشـرعي بالرضا والقناعة؛ ولذلك تجد هـؤلاء الأولاد يفقـدون العناية من قبل الآبـــاء أثنـــاء دراســـتهم مما يـــؤثر عليهم ســـلبا وقتئذ وفي مستقبل حياتهم.

فهـؤلاء الطلاب الـذين لم يلقـوا العناية المناسـبة من آبـائهم, هم الـذين يتخـذون الـدعاء وتلاوة القـرآن تجـارة يكتسبون بهما بين الناس, فقلما تجد أمثـالهم في المدرسة

---

1 (1) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا ص109-110.

يـــومي الســـبت والأحد لأنهما يوما العطلة الأســـبوعية, وسـيمرون على بيـوت زبـائنهم واحـدا تلو الآخـر, أدواتهم المصحف الصغير و(دعاء الغاية المقصودة الكبرى) و(عـون العلماء الصالحين) و (دعاء الفوز العظيم).

وما أن يتخـرج مثل هـذا الطـالب الـذي أمضى حياته المدرسية بهذا الشكل حتى يجد نفسه أمام تحديات الحياة, فيريد أن يتزوج ويستأجر شـقة يـأوي إليها ويؤسس نفسـه, وحين لا يســتطيع أن يحقق لنفسه هــذه الأمــاني لكــون شـهادته الثانوية لم تكن معترفة بها لـدى حكومة بلـده يلجأ حينئذ إلى عمل السـحر والشـعوذة والتكهن كي يقـارب ما وصل إليه أقرانه وإن لم يصل تمامــا, فتجــده ينصب نفسه زعيما روحيا لبعض الأثرياء, لا يقطعون بـأمر دون أن يـروه ويستشيروه, وإذا نزلت بهم نائبة الدهر من قلة في الـرزق أو مـوت في الأهل فسـرعان ما يتوجهـون إليـه, ويقـوم هو بدوره بإلحـاق التهمة لقـريب لهم ليكـون مـبررا في تقـديم شـيء من التمـائم أو أدوية مصـنوعة من المحرمـات لهم, كما يسـلكون في سـبيل تحقيق أغراضـهم الخبيثة أسـلوب ادعــاء علم الغيب بضــرب الخط في الرمل وقــراءة الكف وغير ذلك, وقد حـاولوا إقنـاع العديد من عـوام النـاس بـأن مجـرد التوكل على البـاري جل وعلا بالـدعاء وتلاوة القـرآن وقراءة الأذكار المأثورة لا يكفي المرء لجلب الخير له ودفع الشر عنه, بل لا بد من عمل شـيء من السـحر والشـعوذة يقـدم للمـريض أو من نـزلت به نازلة إعانة له على التغلب على مشاكله.

أما طريقة جمع أعمــال الســحر والشــعوذة وتعلمهما فإنها تكون من جهات شـتى, فمن مسـلم وثـني تـارة ومن وثــني خــالص تــارات, كما تكــون من قبل بعض أســاتذتهم المنحــرفين, وقد حكي أن بعض المدرســين في عــدد من هذه المدارس يملي على تلامذته في القاعة الدراسية هـذه التمائم ويعلمهم طرق استخدامها.

وبالفعل, إن هذه الفئة لهم نفوس مريضة تملأ جنبــات الحياة وتنفث سـمومها الناقعـات, وإليهم المنتهى في الشر وإفساد المجتمع, فهم الذين يتعمـدون تسـبب إيـذاء المـرء

وإيصال المضرة إليه دون معصية تذكر, فيجعلون الإنسان مجنونا, أو يسببون له مرضا مزمنا يتعب في علاجه مدة طويلة ولا يبرأ منه.

والجدير بالذكر أن هذا الانحراف لم يقتصر على منطقة دون أخرى, فأينما يممت في أي مكان في نيجيريا تجد هؤلاء الدجالين المشعوذين يتظاهرون في صورة العلماء الربانيين ويتلاعبون بعواطف المرضى بدعوى علاجهم بالأدوية المباحة, وفي حقيقة الأمر قد تفرغوا للسحر والشعوذة واتخذوها حرفا.

ولو سألت هؤلاء الفئة: ما ذا تريدون؟ ما أجابوك إلا بكلمة واحدة: إنها الغنى وكسب العيش, وليتهم يعلمون أن الغنى أمل براق وهدف محبوب, وكلنا نرومه ونسعى إليه فمخطئ ومصيب, وموفق وخائب, ومدرك ومحروم, ولن يحصل المرء منه إلا على ما كتب الله له في دنياه. يقول جل وعلا:

(الإسراء:18).

هذا هو الواقع الذي عليه بعض المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا اليوم حتى أصبح نفعها مشكوكا فيه في تثقيف أبناء الإسلام وتربيتهم تربية إسلامية حسنة, ولإنقاذ هذا الموقف فإننا محتاجون في الوقت الراهن إلى شباب كريم مخلص صادق الإيمان, مقبل على العلم والعمل معا, ويساعدنا على هذا الغرض المنشود النظر في المناهج الدراسية في المدارس العربية النيجيرية وطرق تدريسها.

فعلاج المرضى بالسحر كفر محض ومن عمل الشيطان, كما أن التفرغ له ظلمات بعضها فوق بعض, أما التسبب في إيذاء الغير وإيصال المضرة إليه فهو عمل محرم, ومن فعل ذلك فعليه من الإثم بقدر ما اكتسب لقوله تعالى:

(الأحزاب:58).

فعلى من أبتلي بهذا الداء العضال من مسلمي نيجيريا أن يراجعوا أنفسهم ويجتهدوا على طي صفحات الماضي

والعـودة إلى منهج سـلفهم الصـالح في جلب الخـير ودفع الشر, فنبيهم أكرم من عرفته الإنسانية من الرجـال, وهديه في نظام الحياة أكمل هدي, ولم هذه الضلالات الـتي يعتقد فيها النفع والضر من دون اللـــــــــه, وقد أراد الله لأمتنا السعادة, وكتب لها الخروج من الظلمات إلى النور؟ أسـأل الله القدير أن يعيد هؤلاء إلى الصواب, ويريهم رشدهم في أقرب وقت, إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الخامس
الأعياد

المبحث الأول
الأعياد المشروعة وأدلتها

معنى العيد لغة:

العيد في اللغة أصله من عاد, يعود, عودة وعودا أي رجع. فهو عود بالواو, فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها[1].

والعود: تثنية الأمر عودا بعد بدء, تقول: بدأ ثم عاد, والعودة المرة الواحدة, وقولهم: عاد فلان بمعروفه, وذلك إذا أحسن ثم زاد, ومنه العيادة: أن تعود مريضا, ولآل فلان معادة أي أمر يغشاهم الناس له, والمعاد: كل شيء إليه المصير[2].

والعيـدُ: واحد الأعيـاد، وإنما جمع باليـاء وأصـله الـواو للزومها في الواحـــد، وقيل للفـــرق بينه وبين أعـــواد الخشب[3].

والعيد كلُّ يومٍ فيه جمعٌ, أو كل يوم يجتمع النـاس فيه كأنهم عادوا إليه[4].

---

1 (1) الصحاح للجوهري مادة (عود).

2 (2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص692 مادة (عود).

3 (3) الصحاح في اللغة, وانظر: المصباح المنير ص356 مادة (عود).

4 (4) القاموس المحيط ص386, ومعجم مقاييس اللغة ص693 مادة (عود).

وقال في القاموس المحيط: "والعِيدُ بالكسر: ما اعْتادَكَ من هَمٍّ أو مَرَضٍ أو حُزْنٍ ونحوِه وكلُّ يومٍ فيه جمعٌ"[1].

معنى العيد اصطلاحا:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك"[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله: "العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من مكان وزمان"[3].

وفي القاموس القويم: "العيد اسم للموسم المعهود يحتفل به الناس سنويا فيتزاورون ويتهادون ويتذاكرون فيه حادثا سعيدا"[4].

ومن خلال ما سبق ذكره من تعاريف العلماء لمصطلح "العيد" يمكننا الخروج بتعريف شامل فنقول:

العيد هو كل زمان أو مكان يعتاد مجيئه والاجتماع فيه أو إقامة أعمال معينة فيه, سواء كان اعتيادا سنويا أو شهريا أو أسبوعيا أو موسميا[5].

فالعيد إذن يشمل ثلاثة أمور:

الأول: الزمان, فلو خص زمان معين بالاجتماع فيه كان ذلك عيدا.

الثاني: المكان, فلو خص مكان معين بالاجتماع فيه مع اعتياد ذلك كان عيدا.

الثالث: الأعمال, فلو خص زمن أو مكان بالقيام بأعمال فيه على وجه الاعتياد كان ذلك عيدا[6].

---

1 (5) القاموس المحيط ص386.

2 (6) اقتضاء الصراط المستقيم ص189.

3 (7) إغاثة اللهفان 1/190.

4 (1) القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ص41, 1404هـ- 1983م.

5 (2) الأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد, إعداد حافظ بن موسى محمد الحكمي 1/40, إشراف الدكتور رشيد بن حسن محمد الألمعي 1420/1421هـ.

6 (3) الأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة ص40.

وفي اشتمال مصطلح العيد لهـذه الأمـور الثلاثة يقـول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه: "العيد اسم جنس يـدخل فيه كل يـوم أو مكـان لهم فيه اجتمـاع, وكل عمل يحدثونه في هذه الأمكنة والأزمنة"[1].

ويقول في موضع آخـر: [العيد يجمع أمـورا, منها: يـوم عائد كيــوم الفطر ويــوم الجمعة, ومنها اجتمــاع فيه, ومنها أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات, وقد يختص العيد بمكـان بعينه, وقد يكـون مطلقا, وكل من هـذه الأمــور قد يسمى عيدا, فالزمان كقوله- صـلى الله عليه وسـلم- ليـوم الجمعة: (إن هــــذا يــــوم عيد جعله الله للمســــلمين)[2], والاجتمـاع والأعمـال كقـول ابن عبـاس: "شـهدت العيد مع رســول الله- صــلى الله عليه وســلم"[3], والمكــان كقوله- صلى الله عليه وسلم: (لا تتخذوا قبري عيدا)[4]][5].

ضابط العيد المشروع والعيد الممنوع:

أولا: العيد المشروع:

تعريفه:

العيد المشروع هـو: كل زمـان أو مكـان خصه الشـرع باجتماع وأعمال تقام فيه.

فيتضح من هذا أن العيد المشروع يشترط فيه:

1- أن يكـــــون زمانا أو مكانا مخصصا للاجتمـــــاع, أو الإتيان إليه, أو القيام بأعمال معينة فيه.

2- أن يكون هذا الزمان والمكـان والأعمـال عليها نص شرعي.

فالأزمنة الشــرعية مثل العيــدين (الفطر والأضــحى), ويوم الجمعة.

---

1 (4) اقتضاء الصراط المستقيم ص223.

2 (5) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها- باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة- ص2541 برقم (1098), والطبراني في المعجم الأوسط 7/230 برقم (7355) عن ابن عباس, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (4021).

3 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العيدين- باب الخطبة بعد العيد- ص75 برقم (962) عن ابن عباس.

4 (2) سبق تخريجه ص366.

5 (3) اقتضاء الصراط المستقيم ص189-190.

والأمكنة الشـرعية مثل المشـاعر (عرفـات ومزدلفة ومنى والمسجد الحرام....).

ثانيا: العيد الممنوع:

تعريفه:

العيد الممنـوع هـو: كل زمـان يعتـاد مجيئـه, أو مكـان يتقصد الإتيـان إليه من أجل اجتمـاع وأعمـال لم يـأذن بها الشارع.

فيتـبين من هـذا أن العيد لا يكـون ممنوعا إلا إذا جمع أمورا, وهي:

1- أن يكون زمانا أو مكانا يعتاد لم ينص الشـارع على عوده والإتيان إليه.

2- أن يكون القصد من هـذا الاجتمـاع أو العيـادة لهـذا المكان أحد هذه الأمور:

- قصد تخصيص هذا المكان أو الزمان بالإتيـان إليه مع عدم ورود ذلك في الشرع.
- قصد التعظيم لهذا الزمان أو المكـان مع عـدم ورود ذلك في الشرع.

- التشبه بالكفار في اعتبار هذا المكان أو الزمان[1].

وعلى هذا فإن اتخـاذ موسم معين أو مكـان معين في زمن معين لم يرد عن الشرع تخصيصـه, أو فعل شـيء في ذلك الزمان أو المكان يتشبه بالكفار فيهما كله يعتـبر عيـدا ممنوعا.

ولكن يحسن التنبيه هنا على أنه ليس كل مناسـبة أو احتفال يعتبر ممنوعا, بل الضابط في ذلك أنه إذا لم يتقصد زمنها أو يتحـرى مكانها فلا حـرج في ذلـك, إلا إذا كـان في تلك المناسبات مشابهة للكفار, فهذا فيه محذور المشابهة.

---

[1] (1) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم 1/121-122, فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث 3/60, 61, عيد اليوبيل بدعة في الإسلام (نشأته وحكمه) للعلامة بكر بن عبد الله أبي زيد ص11-12, 27, ط/الأولى 1422هـ- 2001م, دار الحرمين للطباعة- القاهرة.

يقـول الشـيخ محمد بن صـالح العـثيمين رحمه اللـه: "مسألة الحفلات التي تقام عند تخرُّج الطلبـة، أو عند حفظ القرآن لا تدخل في اتخاذها عيداً لأمرين:
الأول: أنها لا تتكرر بالنسبة لهؤلاء الذين احتفل بهم.
الثاني: أن لها مناسبة حاضرة، وليست أمراً ماضياً"[1].

مكانة العيد في الإسلام:

تظهر مكانة العيد في الإسلام وتعظيم الشـرع له من خلال الأمور التالية:

الأمر الأول: أن العيد من أعظم الشـــعائر التعبدية في الإســلام, قــال تعــالى: [illegible]
(الحج:34), ومما ورد عن المفســرين في معــاني المنسك أنه العيد[2], فيكــون العيد من أعظم الشــعائر التعبدية عند الله وأزكاها.

الأمر الثـــاني: أن يــــوم العيد يــــوم يجتمع فيه المســلمون, فتظهر في هــذا الاجتمــاع شــوكة المســلمين وقـــوة تـــرابطهم, وأن الـــذي يجمعهم إنما هو دين واحد وعقيدة واحدة.

وكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- في هـذا اليـوم الخـروج فيـه, وأمر النـاس بـالخروج, حـتى إنه أمر ذوات الخدور والحيض بالخروج إلى المصلى, وذلك تعظيما لـذلك اليوم ورجاء بركته للجميع وإظهارا لشعائر الإسلام.

الأمر الثـالث: أن فيه تميـيزا لهـذه الأمة عن غيرها من الأمم, رغم اتفــاق المســمى إلا أن لكل أمة ما يميزها فيه عن غيرها, وهـذه الأمة لها في أعيادها ما تتمـيز به عن سائر الأمم من حيث الخصائص والأحكام؛ ولذلك شـرع الله لها أعيادا ميزها بها عن أعياد الجاهلية, كما في قوله- صلى الله عليه وسلم: (إن الله أبـدلكم خـيرا منهمـا: يـوم الفطر ويوم الأضحى)[3].

---

1 (2) الشرح الممتع على زاد المستقنع للعلامة محمد بن صالح العثيمين 5/114.

2 (3) فتح القدير 3/561.

3 (1) سيأتي تخريجه ص435.

وميز الله هذه الأمة بيـوم الجمعة فاختـاره لها من بين الأمم, كما مـيزهم في أمكنة العبـادة الـتي يجتمعـون فيها كأماكن الحج والمسجد الأقصى لتكون خاصة بهم يتمـيزون بها عن غيرهم, فلا يعتادون أصناما ولا أضرحة.

الأمر الرابع: ومما تظهر به مكانة العيد في الإسـلام أن الشـرع أمر فيه بـالخروج في أحسن هيئة لتظهر عظمة هذا الدين وأهله.

فعن الحسن بن علي رضي الله عنه قـــــــال: أمرنا رسول الله- صلى الله عليه و سـلم- في العيـدين أن نلبس أجود ما نجد, وأن نتطيب بأجود ما نجد, وأن نضحي بأسمن ما نجد: البقرة عن سبعة, والجـزور عن عشـرة, وأن نظهر التكبير, وعلينا السكينة والوقار[1].

وورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كــــان يلبس أحسن ثيابه في العيدين[2].

الأمر الخـامس: أن من حكمة الله وعظيم نعمته أن شرع العيد ليكون عنوانا للتكافل الاجتماعي بين المسلمين.

ومن صور التكافل الاجتماعي في العيد:

1- صدقة الفطر التي شـرعت يـوم عيد الفطـر, فهي طهـرة للصـائم وطعمة للمسـاكين, ومن حكمتها الإحسـان إلى الفقـراء وكفهم عن السـؤال في أيـام العيد ليشـاركوا الأغنياء في فرحهم وسـرورهم ويكـون عيـدا للجميـع, وفيها أيضا الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة للمسلمين.

2- مشـــروعية الأضـــحية في عيد الأضـــحى, فيشـــرع للمسلم أن يتصدق بثلثها ويهدي ثلثها ويأكل ثلثهـا, فـالثلثين يتصــدق بها ويهــدي منها من أجل أن يكــون عنــوان الألفة والتكافل بين المســلمين ومواســاة لفقــيرهم الــذي لا يجد أضحية, وإهداء لجارهم لتزيد في القلوب المحبة.

---

[1] (2) أخرجه الحاكم في المستدرك 4/254, والطبراني في المعجم الكبير 3/90, والبيهقي في شعب الإيمان 3/342 عن الحسن بن علي, وقال الحاكم: لولا جهالة إسحاق لحكمت للحديث بالصحة, ووافقه الذهبي في التلخيص.

[2] (3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى 3/281 عن نافع مولى ابن عمر.

3- ومن صور التكافل صلة الـرحم في ذلك اليـوم بين الناس, والصـلة بين الجـيران, وهـذا من أسـمى أخلاق هـذا الدين, ومن أعظم ما شرع له العيد في الإسلام.

4- ما يحدث في العيد من صفاء القلوب والمـودة بين النـاس فيتسـامحون ويتعـانقون ويتصـافون في ذلك اليـوم الأغر.

5- ما يحـدث في العيد من إذابة الفـوارق الاجتماعية بين النـاس من فـارق اللـون أو الجنس أو الفقر والغـنى أو غيرها, حيث يجتمعـون في صـعيد واحد ليعبـدوا إلها واحـدا, وليقدموا قرابين متماثلة لله وحده.

الأمر الســادس: أن العيد في الإســلام يجمع بين الجـوانب المادية والجـوانب الروحيـة, فيجتمع فيه أفضل العبـادات وأفضل العـادات, فالعيد الإسـلامي ليس متعة للجسد فحسـب, بل إنه ليجمع بين متعة الجسد والـروح, فمن سـنن العيد الصـلاة والتكبـير وكـثرة الـذكر والـدعاء وإظهار شعائر الدين, فهذا في الجانب الروحي.

وأما الجانب المادي والجسـدي فشـرع في العيد لبس أحسن الثياب, وشرع وسن الأكل والشرب في أيـام العيـد, كما قـال- صـلى الله عليه وسـلم: (أيـام أكل وشـرب وذكر للـه)[1], وفي العيد أيضا الـترخيص في اللعب بالـدراق والحراب, وفي الغناء المباح الذي ليس فيه مجون.

وهـذا يجمع للمسـلم غاية الفـرح: فـرح الـروح وفـرح الجسد.

أما أعياد الأمم الأخرى فهي أعياد ماديـة, تهتم بالجسد ومتعته فقط, ولا تهتم بالروح.

فالعيد من المظـاهر الممـيزة للأمـة, وهو من شـرائع الإسلام, ومن شـعائره التعبديـة, وإذا كـان العيد يحتل هـذه المكانة العظيمة في الدين الحـنيف فيجب أن يكـون الأصل فيه الاتباع لا الابتـداع, فيكـون مصـدره من الـوحي المتلقى

---

1 (1) أخرجه أبو داود, كتاب الضحايا, باب في حبس لحوم الأضاحي, ص 1433 رقم (2813) عن نبيشة, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (4048).

عن الله وعن رسـوله- صـلى الله عليه وسـلم, فنسـتخلص من هذا:

1- أن الأعياد في الإسلام ليست محتاجة إلى من يزيد فيها أو ينظم لها أعيادا أخرى.

2- أنه لا يسع أحدا أن يحدث عيدا في الإسلام ويـدعي أن مقصـوده في ذلك مجـرد عـادة وليس عبـادة؛ ذلك أن الأعياد في الإسلام مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعبادة لا غير.

3- أن الاحتفـال بالأعيـاد المشـروعة له طريقة خاصة بها ثابتة ومنضبطة بضوابط شـرعية محـددة لا دخل لأهـواء البشر فيها, فلا يحتفل بأعياد الإسلام كما يحتفل أهل الملل الأخرى بأعيادهم من نشر الفساد في الأرض, والإفراط في اللهو واللعب المحرم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قـال: قـدم رسـول الله- صـلى الله عليه وسـلم- المدينة ولهم يومـان يلعبـون فيهما فقال: (ما هذان اليومان؟) قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر)[1].

"يفيد هذا الحديث ثلاثة أمور:

الأول: عدم إقرار النبي- صلى الله عليه وســلم- لهم على الاحتفال باليومين اللذين كـانوا يحتفلـون بهما لكونهما من أعياد غير المسلمين, إذ كانت العادة الاحتفـال بهما في الجاهلية.

الثـاني: أن الأعيـاد من شـرائع الإسـلام, ولا تثبت إلا بنص شرعي من آية قرآنية أو حديث نبوي شريف.

الثـالث: أن الأعيـاد عند المسـلمين ثلاثة فقـط, ثبت اثنان في هذا الحديث, والثالث في حـديث آخـر, وأما سـائر ما يحتفل به من الأعيــاد ســواء كــان مما ابتدعه بعض من ينتسب إلى الإســلام أو كــانت من أعيــاد أهل الكتــاب أو

---

[1] (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الصلاة- باب صلاة العيدين- ص 1307 برقم (1134), والنسائي في سننه- كتاب صلاة العيدين- ص 2191 برقم (1556), وأحمد في المسند 3/103, والبيهقي في السنن الكبرى 3/277, والحاكم في المستدرك 1/434 عن أنس بن مالك, وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي, وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (1004).

المجوس, فليس عليها دليل من الشـرع الحـنيف, ولا يجـوز الاحتفال بها"[1].

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله بعد اسـتدلاله بالحـديث السـابق على النهي عن التشـبه بالكفـار: "وجه الدلالة أن اليومين الجاهليين لم يقرهما رسـول الله- صـلى الله عليه وسلم- ولا تـركهم يلعبـون فيهما على العـادة, بل قال: (إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخـرين), والإبـدال من الشـيء يقتضي تـرك المبـدل منه؛ إذ لا يجمع بين البـدل والمبدل منه؛ ولهـذا لا تسـتعمل هـذه العبـارة إلا فيما تـرك اجتماعهما,...., وأيضا فقوله لهم: (إن الله قد أبـدلكم) لما سـألهم عن اليـومين فأجـابوه: إنهما يومـان كـانوا يلعبـون فيهما في الجاهلية, دليل على أنه نهـاهم عنهما اعتياضا بيـومي الإسـلام؛ إذ لو لم يقصد النهي لم يكن ذكر هـذا الإبدال مناسبا؛ إذ أصل شرع اليومين الواجـبين الإسـلاميين كانوا يعملونه, ولم يكونوا ليتركوه لأجل يومي الجاهلية"[2].

أقسام الأعياد المشروعة وأدلتها:

الأعياد المشـروعة قسـمان: الأعيـاد الزمانية والأعيـاد المكانية.

القسم الأول: الأعياد الزمانية:

والمقصـود بالأعيـاد الزمانية هي: عيد الأضـحى, وعيد الفطر, ويوم الجمعة.

ويـدل على مشـروعية العيـدين الأولين للمسـلمين ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قـال: قـدم رسـول الله- صلى الله عليه وسلم- المدينة, ولهم يومـان يلعبـون فيهما, فقـال: (ما هـذان اليومـان؟) قـالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر)[3].

وعيد الأضـحى: هو اليـوم العاشر من شـهر ذي الحجـة, ويسـمى يـوم النحـر, ويـوم الحج الأكـبر, ويـوم

---

[1] (1) سلسلة أعياد ومناسبات أبدلنا الله خيرا منها [2]: شم النسيم بقلم عمر وعبد المنعم ص15-16, مراجعة قسم التحقيق بالدار ط/الأولى 1413هـ- 1992م, دار الصحابة للتراث- طنطا.

[2] (2) اقتضاء الصراط ص184- 185.

[3] (3) سبق تخريجه ص435.

الأضحى, فمناسبته اختتـام عشر ذي الحجة الـتي قـال عنها رسـول الله- صـلى الله عليه وسـلم: "ما من أيـام العمل الصالح فيهنّ أحب إلى الله من هذه الأيام العـشر،

قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سـبيل الله, إلا رجل خـــــــــرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء"[1].

وعيد الفطر: هو أول يـوم بعد شـهر رمضـان, يقـام في مناسبة انقضاء المسلمين من صوم رمضان.

وسـمي عيد الفطـر؛ لأن النـاس يفطـرون فيه بعد صومهم شهر رمضان.

وعيد الجمعة: هو العيد الأسبوعي للمسلمين, يكـون يوم الجمعة بعد إتمام الصلوات, ويتكرر في كل أسبوع[2].

أما يـوم الجمعة فيـدل على كونه عيـدا ما أخرجه ابن ماجه وغـيره عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال: قـال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (إن هـذا يـوم عيد جعله الله للمسـلمين, فمن جـاء إلى الجمعة فليغتسل, وإن كـان طيب فليمس منه, وعليكم بالسواك)[3].

وعيد الأضحى أفضل أعياد أهل الإسلام على الإطلاق.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية بعد ذكـره قوله تعـالى: (المائدة:3): "ولهذا أنزل الله هـذه

---

1 (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الصيام- باب في صوم العشر- ص 1404 برقم (2438), والترمذي في سننه- كتاب الصوم- باب ما جاء في العمل في أيام العشر- ص1722 برقم (757), وابن ماجه في سننه- كتاب الصيام- باب صيام العشر- ص2580 برقم (1727), وأحمد في مسنده 1/224, 338, والدارمي في سننه 2/41 برقم (1773), وابن حبان في صحيحه 2/30 برقم (324), والطبراني في المعجم الكبير 12/13 عن عبد الله بن عباس, وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (1460).

2 (2) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف تأليف الإمام الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي, ط/الثانية 1417هـ- 1996م, دار ابن حزم- بيروت, مؤسسة الريان- بيروت ص299, والشرح الممتع على زاد المستقنع 5/111.

3 (3) سبق تخريجه ص430.

الآية في أعظم أعيـاد الأمة الحنيفية؛ فإنه لا عيد في النـوع أعظم من العيد الذي يجتمع فيه المكـان والزمـان وهو عيد النحر, ولا عين من أعيان هذا النوع أعظم من يوم كـان قد أقامه رســـول الله- صـــلى الله عليه وســـلم- بعامة المسلمين"[1].

القسم الثاني: الأعياد المكانية:

تعريف الأعياد المكانية:

الأعيـاد المكانية هي الأمكنة الـتي يقصد الاجتمـاع فيها وانتيابها, سواء للعبادة عندها أو لغير العبادة[2].

فالعيد يطلق على المكـــان كما يطلق على الزمـــان, يدل على ذلك:

1- أن العيد كما ســبق تعريفه أصـــله من المعـــاودة للزمان أو المكان, فإذا حصل العود إلى المكـان والاجتمـاع فيه سمي عيدا.

2- ما روي عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: قـال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم قبورا, ولا تجعلـوا قـبري عيـدا, وصـلوا علي فـإن صـلاتكم تبلغـني حيث كنتم)[3].

قال ابن القيم رحمه الله في معنى الحـديث: "... نهي لهم أن يجعلـوه بمنزلة القبـور الـتي لا يصـلى فيها, وكـذلك نهيه لهم أن يتخذوا قبره عيـدا, نهي لهم أن يجعلـوه مجمعا كالأعياد التي يقصد الناس الاجتماع إليها للصلاة"[4].

هل يوجد أعياد مكانية شرعية؟

كان لأهل الجاهلية أعياد مكانية يجتمعون فيها للعبـادة وغيرها, ويؤدون شعائرهم فيها, فلما جاء الإسـلام عوضـهم عن تلك الأمـاكن بأمـاكن شـرعية, يجتمع فيها المسـلمون

---

1 (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص217.

2 (2) انظر: المرجع السابق ص325.

3 (3) سبق تخريجه ص366.

4 (4) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية 6/23, ط/الثانية 1415هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.

ويعاودونها فكانت لهم أعيـادا مكانية عوضا عن تلك الأعيـاد الجاهلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العيد إذا جعل اسما للمكان فهو المكان الـذي يقصد الاجتمـاع فيه, وإتيانه للعبادة عنده أو لغير العبادة, كما أن المسجد الحرام ومـنى ومزدلفة وعرفة جعلها الله عيدا مثابة للناس يجتمعون فيها وينتابونها للـدعاء والـذكر والنسك, وكـان للمشـركين أمكنة ينتابونها للاجتمـاع عنـدها, فلما جـاء الإسـلام محا الله ذلك كله"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: "العيد مأخوذ من المعاودة والاعتياد, فإذا كان اسـما للمكـان فهو المكـان الـذي يقصد الاجتمـــاع فيه وانتيابه للعبـــادة أو لغيرها, كما أن المســـجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشـاعر جعلها الله تعـالى عيدا للحنفـاء ومثابة كما جعل أيـام التعبد فيها عيـدا, وكـان للمشــركين أعيـــاد زمانية ومكانية, فلما جـاء الله بالإســلام أبطلها وعـــوض الحنفـــاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيـــام مـنى, كما عوضـهم عن أعيـاد المشـركين المكانية بالكعبة والبيت الحرام وعرفة ومنى والمشاعر"[2].

فيتبين من خلال ما سبق أن هناك أماكن شرعية تعتاد ويتم الاجتمـــاع فيها حسب أمر الشـــارع, ويمكن تســـميتها أعيادا مكانية.

وهذه الأمكنة يمكن حصرها كالتالي:

أولا: المسجد الحرام.

ثانيا: المسجد النبوي.

ثالثا: المسجد الأقصى.

رابعا: عرفات.

خامسا: مزدلفة.

سادسا: منى.

وجه التخصيص لهذه الأماكن:

خصصت هذه الأماكن لتكون أعيـادا مكانية للمسـلمين للأسباب التالية:

1- أن هـذه الأمـاكن هي الـتي أمر الشـارع بالاجتمـاع فيها ومعاودتها.

---

[1] (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص325.

[2] (2) إغاثة اللهفان 1/190.

2- أن هذه الأماكن هي التي يجب أو يستحب أن تشد إليها الرحال دون غيرها, والدليل على ذلك ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا, والمسجد الحرام, والمسجد الأقصى)[1].

3- أنه قد ورد في النصوص الشرعية إطلاق لفظ العيد على هذه الأماكن, فعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام, وهي أيام أكل وشرب)[2].

ما وافق به مسلمو نيجيريا منهج أهل السنة والجماعة في الأعياد

كان مسلمو نيجيريا يستشعرون ببالغ أهمية إقامة أعياد أهل الإسلام الثلاثة: عيد الأضحى وعيد الفطر وعيد الجمعة, فقد أدركوا مكانة هذه الأعياد وأنها من أعظم الشعائر التعبدية في الإسلام, فأخذوا يهتمون بها ويعظمونها عملا بقول الباري جل وعلا: [illegible] (الحج:32).

فعند الاحتفال بالأعياد الثلاثة يطبّق مسلمو نيجيريا ما أمر به الدين الحنيف من الخروج بأحسن هيئة والتجمل بما لديهم من الزينة في حدود ما أباحته الشريعة الإسلامية, وقد جرت العادة وخاصة عند الأطفال أنه لا بد من شراء الثوب الجديد بمناسبة الاحتفال بعيد الأضحى وعيد الفطر, وكذلك كانوا يوسعون على عيالهم بأنواع المأكولات

---

1 (1) سبق تخريجه ص343.

2 (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الصيام- باب صيام أيام التشريق- ص1402 برقم (2419), والترمذي في سننه- كتاب الصوم- باب ما جاء في كراهية صوم أيام التشريق- ص1723 برقم (773), والنسائي في سننه- كتاب المناسك- باب النهي عن صوم يوم عرفة- ص2281 برقم (3007), وأحمد في المسند 4/152, والدارمي في سننه 2/37 برقم (1763), وابن خزيمة في صحيحه 3/292 برقم (2100), وابن حبان في صحيحه 8/368 برقم (3603), والحاكم في المستدرك 1/600 برقم (1586) عن عقبة بن عامر. قال الترمذي: حسن صحيح, وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه, وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (2114).

والمشروبات المباحة, وكل ذلك جائز في شريعتنا الغراء ما لم يكن فيه التعدي لحدود الله بالإسراف ونحوه؛ لأنه من إظهار السرور والفرح بالعيد. وهكذا كانوا يحتفلون بالعيد ليظهروا عظمة هذا الدين ووسطية أهله.

ولأن حياة الناس في ذلك المجتمع تتصف بالبساطة والبعد عن التكلف أصبحت صور التكافل الاجتماعي تظهر في العيد بشكل ملحوظ, فقد كان المسلمون متصفين بخلق الكرم وحب المواساة لإخوتهم قبل العيد بسبب التعايش الطيّب الذي نتج عن البساطة والتواضع في المعيشة, وعندما تُقبِل أيام العيد يتفضل الغني القادر ويحسن إلى جيرانه الفقراء بصدقة الفطر أو بشيء من أضحيته ليشارك الفقراءُ الأغنياءَ في فرحهم وسرورهم ويكون العيد للجميع.

ومن صور أخرى للتكافل الاجتماعي التي تتجلى أيام العيد لدى مسلمي نيجيريا هي تلك الزيارات المتبادلة التي تزداد بها المحبة بين الأقارب والجيران, فبداية من يوم العيد إلى أربعة أيام بعده تجد المسلمين لا يزالون يتزاورون, وكل ذلك من الأخلاق الفاضلة التي أمر بها الدين الحنيف.

وللمسلمين في نيجيريا الاهتمام الكبير بأمر الأضحية ومشروعيتها, ولا يكاد يوجد رب أسرة إلا ويعتبر نفسه مكلّفا بذبح الأضحية في عيد الأضحى, وقد بالغوا في استشعار عظمة هذه الشعيرة حتى اعتقدوا أن من ذبح الأضحية مرة يلزمه الاستمرار في ذبحها كل سنة؛ ولذلك تجد أمثال هؤلاء يجاهدون أنفسهم لمواصلة الذبح في كل عيد مهما كلفهم ذلك, وإن أدى بهم إلى أن يستدينوا لشراء الأضحية, وما من شك أن هذا الاعتقاد غير صحيح؛ إذ لا دليل عليه لا من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله الكريم.

والصحيح من أقوال أهل العلم أن الأضحية سنة مؤكدة, يثاب من أتى بها ولا يأثم من تركها, وإلى هذا القول ذهب جمهور العلماء[1].

---

[1] (1) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد تأليف محمد بن أحمد بن

وكذلك يوم الجمعة الذي هو عيد الأسبوع كان مسلمو نيجيريا يعرفون أنه يوم عيد لهم, فكانوا يعظمونه بما عظمه الله به من الخروج لصلاة الجمعة فيه أفرادا وجماعات في أحسن هيئات بعد الاغتسال لها.

وعلى الرغم من أن يوم الجمعة ليس من أيام العطل[1] في نيجيريا, إلا أن المسلمين يعرفون واجباتهم تجاه دينهم ويضحون للقيام بها, فلم يكن العمل يشغلهم عن أداء صلاة الجمعة التي هي فريضة على كل مسلم.

ومع ذلك فقد بذلت جهود جبارة من قبل بعض المسلمين الغيورين على دينهم لتجعل حكومة نيجيريا يوم الجمعة من أيام العطلة الأسبوعية الرسمية إلا أنه لم تأت نتيجتها إلى الآن. والله تعالى أسأل أن يزيد في تمكين الإسلام والمسلمين في ذلك البلد.

محمد بن رشد القرطبي 1/314, دار الفكر- بيروت, التلقين في الفقه المالكي تأليف أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي 1/262, تحقيق محمد ثالث سعيد الغاني, ط/الأولى 1415هـ, المكتبة التجارية- مكة المكرمة, المغني لابن قدامة المقدسي 11/95.

[1] (1) الحاجة إلى جعل يوم الجمعة من أيام العطلة الأسبوعية قائمة؛ إذ إن العمل في ذلك اليوم يفوّت على كثير من مسلمي نيجيريا أداء هذه العبادة العظيمة التي خصصها الله لأفضل أيام الأسبوع وخير يوم طلعت عليه الشمس في وقتها, فقد كان من أنظمة الجامعات النيجيرية وضع المحاضرات في وقت أداء صلاة الجمعة فلا ينتهي المحاضر حتى تنقضي الصلاة, فعل ذلك دون اعتبار أبناء المسلمين الذين يوجب عليهم دينهم أداء هذه الصلاة وغيرها من الصلوات المفروضة في أوقاتها.

المبحث الثاني
الأعياد الممنوعة صورها وأحكامها

صور الأعياد الممنوعة لدى مسلمي نيجيريا:

يوجد عدد من الأعياد لا دليل على مشروعيتها من الكتاب والسنة ومع ذلك يعظمها بعض المسلمين في نيجيريا ويحتفلون بها, ويمكن تقسيم هذه الأعياد غير المشروعة إلى قسمين رئيسين:

الأول: الأعياد المبتدعة في هذه الأمة.

الثاني: الأعياد التي تشبه المسلمون فيها بغيرهم.

أما القسم الأول: الأعياد المبتدعة في هذه الأمة فهي نوعان:

النوع الأول: الأعياد الزمانية المبتدعة في هذه الأمة, ولها صورتان:

الصورة الأولى:

أيام وليال يتخذونها أعيادا بإشعار بعضهم بعضا بأهميتها وما يرمز لها دون الاحتفال بها, وغالب ما يقومون به هو تخصيص هذه الأيام بدعاء خاص أو الليالي بقيام خاص, علما بأنه يوجد من هذه الأيام والليالي ما لم تعظمه الشريعة أصلا, مثل بداية السنة الهجرية ونهايتها, وليلة النصف من شهر شعبان, ومنها ما ادعوا فيه وقوع حادثة معينة ولم تثبت ومع ذلك ابتدعوا فيه شيئا للذكرى, مثل يوم السابع والعشرين من شهر رجب الذي قيل إنه هو يوم الإسراء والمعراج, ومنها ما هو معظّم في الشريعة لكنهم زادوا فيه على الحد المشروع مثل يوم عاشوراء.

ومع أن هؤلاء الجهال لم يكونوا يعملون في أعيادهم المبتدعة كل ما تميزت به الأعياد المشروعة من إظهار

الفرح والسرور, والتوسعة على العيال في المأكل والمشرب, والتهنئة بالعيد, لكن مع ذلك فبمجرد اعتقاد تميز تلك الأيام والليالي عن غيرها بمميزات لم تحددها الشريعة يجعلها أعيادا مبتدعة.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ومن الأمثلة على هذه الصورة ما ذكره صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى حيث قال: "دعاء أول السنة- بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت القديم الأول, وعلى فضلك العظيم وكرم جودك المعوّل, وهذا عام جديد قد أقبل, أسألك العصمة فيه من الشيطان وأوليائه, والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء, والاشتغال بما يقربني إليك زلفى, يا ذا الجلال والإكرام. تقرأ ثلاث مرات في أول يوم من محرم"[1].

وقال صاحب عون العلماء الصالحين: "دعاء أول السنة- يقرأ ثلاثا فإن الشيطان يقول: استأمن على نفسه فيما بقي من عمره..." ثم أورد الدعاء السابق[2].

وقال صاحب دعاء الغاية المقصودة في دعاء آخر السنة: "دعاء آخر السنة- بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ما عملته في هذه السنة مما نهيتني عنه ولم أنته, وحلمت فيها عني بفضلك بعد قدرتك على عقوبتي, ودعتني إلى التوبة جراءتي على معصيتك فإني أستغفرك فاغفر لي, وما علمت فيها مما ترضاه ووعدتني عليه الثواب, فأسألك أن تتقبله مني ولا تقطع رجائي منك يا كريم (3) مرات"[3].

وفي نفس الدعاء قال صاحب عون العلماء الصالحين: "دعاء آخر السنة- يقرأ ثلاث, فإن الشيطان يقول: تعبنا معه طول السنة فأفسد تعبنا في ساعة واحدة..." ثم أورد الدعاء السابق[4].

---

1 (1) دعاء الغاية المقصودة ص85.

2 (2) عون العلماء الصالحين ص45.

3 (3) دعاء الغاية المقصودة الكبرى ص85.

4 (4) عون العلماء الصالحين ص44-45.

وفي دعاء ليلة النصف من شهر شعبان قال صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "دعاء نصف شعبان- تقرأ أولا بعد صلاة المغرب سورة يس ثلاثا, الأولى بنية طول العمر, والثانية بنية دفع البلاء, والثالثة بنية الاستغناء عن الناس, وكلما تقرأ السورة مرة تقرأ بعدها الدعاء مرة" ثم أورد الدعاء وفيه: "... اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقتّرًا عليّ في الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي, وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على نبيك المرسل: [illegible] (الرعد:39), إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم, أن تكشف عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم, وما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم"[1].

وفي دعاء ما يسمى بليلة المبعث وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب, قال صاحب عون العلماء الصالحين: "دعاء ليلة المبعث أي 27 رجب- وهي من الليالي الشريفة, ويستحب فيها قراءة هذا الدعاء بعد الاغتسال" ثم ساق الدعاء وفيه: "اللهم بارك لنا في ليلتنا هذه التي بشرف الرسالة فضلتها, وبكرامتك أجللتها, وبالمحل الشريف أحللتها, اللهم إنا نسألك بالمبعث الشريف والسيد اللطيف والعنصر العفيف أن تصلي على محمد ..." [2].

وليوم عاشوراء كذلك دعاء خصّصوه به, ومن ذلك قول صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "هذا دعاء يوم عاشوراء- بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يا قابل توبة آدم يوم عاشوراء, ويا رافع إدريس إلى السماء يوم عاشوراء, ويا مسكن سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء, ويا غياث إبراهيم من النار يوم عاشوراء, ويا جامع شمل

---

1 (1) دعاء الغاية المقصودة ص84, وانظر: عون العلماء الصالحين ص 50.

2 (2) عون العلماء الصالحين ص47-48.

يعقوب يوم عاشوراء, ويا كاشف ضر أيوب يـوم عاشـوراء, ويا فـارج كربة ذي النـون يـوم عاشـوراء, ويا سـامع دعـوة موسى وهارون يوم عاشـوراء, ويا ناصر محمـد- صـلى الله عليه وسـلم- يـوم عاشـوراء, ويا خـالق الجنة والنـار يـوم عاشـوراء, ويا خـالق جبريل وميكائيل وإسـرافيل وعزرائيل يوم عاشـوراء, ويا خـالق العـرش والكرسي واللـوح والقلم والسـماوات والأرض يـوم عاشـوراء, اقض حـاجتي وادفع عني السيئات والبليات يا حي يا قيوم, يا ذا الجلال والإكرام ... تمت هنا. ثم تقرأ هـذا الـدعاء سـبعين مـرة, وهـو: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ارزقني كمال الحسنى, وسـعادة العقبى, وخير الآخرة والأولى, اللهم آمين"[1].

وقال صاحب عون العلمـاء الصـالحين في شـأن دعـاء يـوم عاشـوراء: "دعـاء يـوم عاشـوراء- يسـتحب في يـوم عاشوراء أن يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة: حسبي الله ونعم الوكيل, نعم المولى ونعم النصير. ويقـرأ هـذا سـبع مـرات: سـبحان الله ملء المـيزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش, لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه, سبحان الله عدد الشـفع والـوتر, وعـدد كلمـات الله التامـات كلهـا, أسـألك السـلامة برحمتك يا أرحم الـراحمين, ولا حـول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم ..." [2].

الصورة الثانية:

أيام وليال يتخذونها أعيادا ويحتفلون بها بكل ما يعنيه لفظ الاحتفال؛ لاعتقادهم عظمة ما جرى فيها من الأحداث, أو لما عرفوا من تعظيم الشريعة لها, فابتدعوا أشياء للذكرى فيما اعتقدوا أنه جرت فيها أحداث عظيمة, وزادوا على الحد المشروع فيما قد عظمته الشريعة, فمثال الأول الاحتفال بالمولد النبوي في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول, ومثال الثاني الاحتفال بليلة القدر من شهر رمضان المبارك, ويلحق بهذه الصورة الاحتفال بمواليد المشايخ.

---

1 (3) دعاء الغاية المقصودة الكبرى ص104.

2 (1) عون العلماء الصالحين ص46.

وإن مما يجعل المسلم الفقيه في دينه يُحس بأسًى وتأثرٍ شديدين ما أدخله بعض جهلة المسلمين في الدين الحنيف مما يسمى بالمولد النبوي, وقد اعتقد هؤلاء الجهال شرعية هذا الاحتفال إلى الدرجة أنهم يُتعبون أنفسهم كل التعب كلما دخل عليهم شهر ربيع الأول في السنة, ولا يقر لهم قرار إلا بعد إقامته.

وغالب من يقيمون هذا الاحتفال هم المتصوفة بطريقتيهم في نيجيريا: التجانية والقادرية, ورؤساء الجمعيات الإسلامية الذين لا يفرقون بين البدعة والسنة, وكذلك بعض أدعياء العلم الذين يديرون المدارس العربية والإسلامية المحلية, ولا هدف لهذه الفئات كلها وراء قيامها بهذا الاحتفال إلا جمع الأموال من أربابها؛ ولذلك تجدهم يوزّعون الظروف بعد أن كتبوا عليها تاريخ الاحتفال بالمولد, ومكان إقامته, يرسلونها إلى من يساعدونهم في تمويل هذا المشروع.

وهو في حقيقة الأمر مشروع استثماري ضخم للكثير منهم؛ إذ ربما ينفقون جزءا يسيرا مما جمعوه في ترتيب الحفل ويرجع ما تبقى منه إلى جيوبهم؛ ولذلك تجد أن ولادة النبي- صلى الله عليه وسلم- عندهم تبدأ من شهر ربيع الأول وتمتد إلى شهر شعبان في غالب الأحيان؛ لأنك لا تزال تشاهد من يستعد للاحتفال بالمولد النبوي طوال هذه الفترة.

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة وتأييد بعض العلماء لها:

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله: "أما إقامة ذكرى المولد النبوي فقد تكلم فيها العلماء, منهم المنكرون لها ومنهم المبيحون, وأنا لا أرى بأسا في إباحتها ما لم يكن فيها إثم يرتكب, وذكرى المولد النبوي كذكرى الهجرة النبوية, وهما أجدر بالتعظيم والإحياء"[(1)][(2)].

---

[1] (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص145 الهامش رقم (1).

[2] (2) مع احترامي وتقديري لجهود الشيخ آدم الألوري في البحث والكتابة وخاصة في مجال التاريخ والدعوة إلا أنه قد جانب الصواب في

قلت: ما من شك أن المسلم الذي عنده أدنى قدر من الفقه في الدين يستغرب صدور هذا الكلام من عالم يقتدى به, وهذا مما زاد الطين بلة, أعني وجود من يؤيد أو يدعو إلى هذه البدع ممن لهم صوت مسموع في المجتمع النيجيري, وهذا مكمن الخطر ومنشأ المشكلة.

"مع أن المتتبع للتاريخ الإسلامي يجد أن مثل هذه الاحتفالات لم تكن موجودة عند المسلمين الأوائل, بل ولا في القرون المفضلة, حتى جاءت الدولة الفاطمية والتي انتسبت إلى فاطمة رضي الله عنها ظلما وعدوانا. بل إن المحققين من المؤرخين يرون أنهم ينحدرون من أصل يهودي, يقال لهم العبيديون وهم أبناء عبيد الله بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح, قيل إنه يهودي وقيل إنه مجوسي[1]. وقد استمرت دولتهم في مصر من 357-567هـ. وقد أحدث العبيديون (المتسمون بالفاطميين) احتفالات بأيام كثيرة على رأسها أربعة موالد: مولد النبي- صلى الله عليه وسلم, وعلي بن أبي طالب, وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا"[2].

أما ليلة القدر التي ورد في النص أنها خير من ألف شهر, فإنه مما يؤسف له أن نجد من المسلمين من بلغ بهم وجود فراغ روحي وبدني معا إلى حد الانشغال

هذه المسألة, وهذا مما يؤخذ عليه, وسبب ذلك في رأيي هو الخلل في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال, فإن العالم الذي يأخذ من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة ثم ينتهج منهجهم في الاستدلال لا يمكن أن يخفى عليه أبدا بدعية ذكرى المولد النبوي والهجرة النبوية لعدم ورود ما يدل على إحيائهما أو الأمر بهما لا من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل السلف.

1 (3) البداية والنهاية للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء 11/161, مكتبة المعارف- بيروت, والمواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار تأليف تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي, حققها وكتب مقدمتها ووضع فهارسها الدكتور أيمن فؤاد سيد, مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن, 1416هـ- 1995م.

2 (1) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار ص 228-229, وانظر: أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام للشيخ محمد بن بخيت المطيعي ص57, ط/الأولى 1408هـ- 1988م, مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت, والإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص251.

بسفاسف الأمور, والتعلق بالقشور والماديات في هذا الوقت المبارك, وكأنهم يجهلون ما وعد الله به من الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن وفّق للعمل الصالح في هذه الليلة من عباده.

وبدلا من أن ينتهز هؤلاء الجهال تلك الفرصة الثمينة فينشغلوا بما أمر الله به من النوافل, وقراءة القرآن, والاستغفار ليكونوا ممن سيتحقق فيهم قول النبي- صلى الله عليه وسلم: (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)[(1)], بدلا من ذلك كله فإنهم يشغلون أنفسهم بما يسمى بالغناء الإسلامي, والأذكار الجماعية, والإسراف في المأكولات والمشروبات بدعوى إحياء ليلة القدر, وأفضل ما يقومون به إن وجد أحيانا هو إلقاء المحاضرات التي قد تكون مما لا يمت بصلة بذكر شيء من فضائل ليلة القدر.

وأما الاحتفال بمواليد المشايخ واتخاذها أعيادا فحدّث ولا حرج, فإنه مما يفرح به مشايخ الصوفية ويتفاخرون به, ولمعرفة ذلك اسمع ما يقوله صاحب كتاب المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية, وذلك بعد ذكره للإنجازات المزعومة التي حققها مشايخ الصوفية في مجال التعليم الإسلامي, يقول: "ويضاف إلى ما تقدم نشاطات الطرق الصوفية بمناسبة موالد المشايخ, كالمهرجان القادري المنعقد بـ (كانوا) في شهر ربيع الثاني حيث يتكتظ جماهير المسلمين المتطرقين وغيرهم من شتى ولايات نيجيريا شمالا وجنوبا, وكثير من مشايخ الطرق من البلاد الإسلامية والعربية, حتى إن بعض رؤساء الدول العربية يوفدون ممثليهم لمشاركة ذلك المظهر العظيم الذي يظهر فيه روح التضامن الإسلامي والوحدة الإسلامية والوئام التام, وقد قامت لجنة إحصاء الوافدين للمهرجان في عام 1421هـ/2000م بإصدار قرار

---

[1] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصوم- باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية- ص148 برقم (1901), ومسلم في صحيحه- كتاب صلاة المسافرين وقصرها-باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح- ص797 برقم (760) عن أبي هريرة.

ينص بأن عدد الحاضرين يربو على خمسة ملايين نسمة في ذلك العام"[1].

النوع الثاني: الأعياد المكانية المبتدعة في هذه الأمة:

الصورة الوحيدة التي يمكن ذكرها تحت هذا النوع هي اتخاذ القبور أعيادا, وقد تناولت هذه المسألة بما يغني عن تكرارها في مسألتي التبرك وأحكام الميت والقبور[2].

وأما القسم الثاني: الأعياد التي تشبه المسلمون فيها بغيرهم فهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأعياد الدينية, ولها ثلاث صور:

الصورة الأولى:

المشاركة في الأعياد الوثنية واعتبارها من العادات والتقاليد:

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله: "ومن الأمور التي عمت البلوى بها في هذه البلاد تعظيم أعياد الكفار مثل الحاجوز والعنصرة[3] وأول خميس من مايه"[4].

وقال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله في كلامه عن ديانات أهل نيجيريا قبل الإسلام: "ومن قبيل الطوتمية عبادتهم لأرواح الأسلاف, وكانوا يقيمون في ذلك عيدا كبيرا يدعونه عيد الغول, يتنكرون فيه بالملابس المبرقشة أو جلود السباع يحيون به ذكرى أسلافهم وعظمائهم"[5].

وقال رحمه الله في موضع آخر: "ولا تزال أعياد الغول تقام حتى اليوم في كثير من البلدان التي لا يحكمها

---

1 (1) المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية ص98-99.

2 (2) انظر ص352 وما بعدها من هذا البحث.

3 (3) شرحَ المعلّق على الكتاب هذين الكلمتين بأن المقصود بهما عيد يقع فيما بين ليلتي تاسوعاء وعاشوراء من شهر محرم حيث يهاجم شباب حارة أو قرية شباب حارة أو قرية أخرى بضرب بالأشواك والسكاكين والعظام وما أشبه ذلك.

4 (4) نور الألباب ص15.

5 (5) موجز تاريخ نيجيريا ص115.

أمراء مسلمون في سواحل غرب إفريقيا, بما فيها نيجيريا وما يجاورها, منها الغول الطويل للنوباويين[1] والقصير لليورباويين"[2].

وقال في موضع ثالث: "فالغول اليورباوي لا يتجاوز ستة أقدام بقدر طول قامة الرجل, أما غول أهل (لاغوس) فيمتاز بالملبوس الأبيض الفضفاض ويسمونه (أييو) بمعنى عيد الفرح حيث يحيّي بعضهم بعضا بكلمة (افرح لي أفرح لك). وللنوفاويين غول طويل يبلغ ارتفاعه اثني عشر قدما ..." إلى أن قال: "ولا يزال اليورباويون يقيمون هذا العيد في كل عاصمة من عواصمهم, ويزعمون أنه لم يبق عيدا وثنيا بل صار عيدا وطنيا لمجرد التسلي أو لهدف التنكر للانتقام من الخصم, كما يتنكر الأوروبيون والأمريكان للسرقة والاغتيال حسبما يشاهد في أفلام السينما والتلفزيون.

يقام هذا العيد غالبا في فترة سبعة أيام متتالية, ويحمل كل غول بيده سوطا يضرب به معارفه إذا لقيه على سبيل التلاعب, وإذا اغتاظ هذا وأراد المخاصمة كشف الغول عن وجهه لغريمه فيسكن الغيظ فيفترقان على الضحك"[3].

فالمنقول من كلام الشيخ آدم في الموضع الثالث يؤكد أن تلك الأعياد الوثنية لا تزال تقام في المجتمع النيجيري في الوقت الحاضر, كما لا يخفى على أي نيجيري ملمّ بما يجري حوله أن بعض المسلمين يشاركون هؤلاء الكفرة في أعيادهم, وقد ذكر ما يحتجّون به لتلك المشاركة وهو أن هذه الأعياد لم تعد تقدم قبلها تلك الطقوس الوثنية والقرابين الشركية كما في الماضي, وإنما أصبحت أعيادا وطنية, القصد وراء الاحتفال بها التسلية وإظهار الفرح والسرور, وينبغي أن يشارك فيها الجميع.

---

1 (1) إضافة إلى قبائل (نوبي) في ولاية (نيجر) شمال نيجيريا.

2 (2) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص117-118.

3 (3) نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا للشيخ آدم عبد الله الألوري ص33.

ومما يجب ذكره هنا أن مشاركة بعض مسلمي نيجيريا الكفرة من الوثنيين وغيرهم في أعيادهم ليست مقصورة على منطقة دون أخرى, وإنما هي موجودة في أغلب المناطق النيجيرية بنسب متفاوتة, ففي ولاية (لاغوس) وغيرها من ولايات جنوب غرب البلاد, وولاية (كوغي) في الوسط, وولاية (نيجر) في الشمال, وطائفة (يامبوري) في بعض ولايات شمال البلاد, كلها تقام فيها هذه الأعياد الوثنية باختلاف أنواعها ويشارك فيها بعض جهال المسلمين مع الأسف الشديد.

الصورة الثانية:

مشاركة النصارى في الاحتفال بعيد ميلاد المسيح (الكريسماس):

إن المسلم ليعجب من تلك الطريقة الملتوية التي يسلكها النصارى الخَوَنَة بمكرهم وخداعهم لإشراك البسطاء من المسلمين في أعيادهم الدينية, وذلك أنهم لا يدعونهم للمشاركة بطريقة مباشرة وإنما يطلبون من جيرانهم المسلمين السماحة لهم باستصحاب أبنائهم معهم لمشاهدة ما يسمى (بابا الكريسماس)[1], وهذا الأسلوب عملية مدبرة بين هؤلاء النصارى الخبثاء؛ لأن نسبة أبناء المسلمين الذين يذهبون لتلك الزيارة ليست هينة في كل عام, يُكتشف ذلك من خلال سؤال (بابا الكريسماس) كل طفل عن اسمه واسم أبيه ومكان دراسته, وربما يطلب منه أنشودة من أناشيد نصرانية, ويلاحظ الفرح والسرور

[1] (1) هو رجل من النصارى يتنكر بلباس ذي ألوان مختلفة يستر جميع بدنه, ويجعل شكله يخالف شكل الإنسان العادي حتى يكون غريبا وجميلا في نفس الوقت, ويقول إنه جاء من أرض (روما) بمناسبة عيد ميلاد المسيح, فيذهب النصارى بأطفالهم لزيارته فيباركهم ويدعو لهم ثم يعطيهم هدايا قيمة. وإقامة (بابا الكريسماس) من خصائص عيد ميلاد المسيح عند النصارى, ينظم هذا المشروع غالبا محطات الإذاعة والتلفزيون وبعض الكنائس, وهي من طرق جمع الأموال من الناس؛ إذ يجب على كل طفل أن يدفع مبلغا معينا مقابل التذكرة من أجل الدخول على (بابا الكريسماس). ومجيئه المزعوم من (روما) في حدود شهر قبل يوم الاحتفال بعيد ميلاد المسيح, يزوره ويشاهده أبناء النصارى وأبناء بعض جهال المسلمين المغلوبين على أمورهم.

في أحاسيس (بابا الكريسماس) إذا دخل عليه طفل مسلم.

ومن أشكال مشاركة بعض المسلمين النصارى في أعيادهم الدينية وخاصة عيد ميلاد المسيح هو تخصيص يوم عيدهم بأنواع من المأكولات والمشروبات في الصباح الباكر, ثم الذهاب مع النصارى إلى الحدائق وأماكن الألعاب العامة, يبقون فيها إلى الليل وهم يأكلون ويشربون, ثم يختمون تلك الطلعة في الليل وهم يلعبون بالألعاب النارية, يظهرون بهذه التصرفات كلها الفرح والسرور بمناسبة عيد ميلاد المسيح.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن هذه الصورة من صور الأعياد الممنوعة تحدث في جنوب نيجيريا عند قبائل (يوربا) وشرقها عند قبائل (إيبو), ويعود السبب في ذلك كله إلى الاحتكاك والاختلاط والتداخل الحاصل بين أهل الأديان الثلاثة: الإسلام, والنصرانية, والوثنية, في هذه المناطق, مما يجرهم إلى تشبه بعضهم ببعض, وينتج في النهاية زوال ذلك التميز الذي يجب أن يوجد بين المهتدين والضالين.

أما شمال البلاد عند قبائل (الهوسا) فإن الأمر يختلف اختلافا جوهريا حيث لم توجد مثل هذه الصورة من الأعياد الممنوعة؛ لأن نسبة تسعين في المائة من سكان المنطقة هم من المسلمين, فالتأثر بغير المسلمين قليل في هذا الجانب.

الصورة الثالثة:

الاحتفال برأس السنة الميلادية واعتباره عيدا للجميع:

لم تختلف هذه الصورة كثيرا عن التي قبلها من صور الأعياد الممنوعة لدى مسلمي نيجيريا من حيث ما يشارك به المسلمون جيرانهم النصارى في أعيادهم الدينية, يضاف إلى ذلك تلك الرغبة الشديدة في عقد جلسات الدعاء لطلب الخير في مستهل العام الجديد حسب زعمهم, والاستعاذة بالله من كل شر في أيامه القادمة, وقد بلغ الجهل بهؤلاء المساكين إلى حد الاهتمام بعقد هذه الجلسات بشكل جماعي حتى في المساجد بمناسبة بداية

عام ميلادي جديد. كما يجد علماء السوء ذلك اليوم فرصة ذهبية وموسما تجاريا مهما لكسب الأموال من الناس حيث يذهبون إلى بيوتهم للدعاء لهم, لا يفرقون في ذلك بين المسلمين والنصارى والوثنيين.

ومهما يكن من شيء فإن المسلم الذي يعيش في ذلك المجتمع لا بد أن يُحس بأن هناك عيدا يقام في ذلك اليوم؛ إذ العادة أن الحكومة تعلن ذاك اليوم ويومين بعده أيام عطلة لجميع الشعب, فالأعمال معطلة والمحلات مغلقة, فلا يبقى خيار لهذا المسلم سوى لزوم بيته. ولله در تلك الفئات من شباب المسلمين الذين انتبهوا لهذا الوضع المؤلم فاقترحوا وضع برامج

إسلامية[1] لشباب المسلمين مثل المخيمات والدورات خلال هذه الفترة, تهدف إلى إشغال أبناء المسلمين بما يعود إليهم بمنافع دينية ودنيوية, ويقيهم من المشاركة في أباطيل النصارى الحاسدين أو مشاهدتها.

وهذه الصورة مثل التي سبقتها لا تحدث إلا في جنوب البلاد وشرقها.

النوع الثاني: الأعياد الاجتماعية:

الصورة الوحيدة التي يمكن ذكرها ههنا هي عيد الميلاد الشخصي الذي يحتفل به الكبار, وعيد ميلاد الأطفال الذي يقيمه الآباء احتفالا بميلاد أطفالهم الصغار, وكلاهما من الأفكار التي تسربت إلى أوساط أهل الإسلام جراء تأثرهم بالنصارى وتشبههم بهم.

---

1 (1) هي برامج مخططة ومدروسة تبدأ قبل يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر يوم الاحتفال بعيد ميلاد المسيح وتمتد إلى اليوم الثاني من شهر يناير, فيكون الشاب المسلم الذي شارك فيها لم يشهد إطلاقا عيدي النصارى الذَين احتُفل بهما خلال تلك الفترة, تنفذ تلك البرامج غالبا في المدارس الحكومية الكبيرة التي في أطراف المدينة وتحتوي على السكن للمشاركين. والجمعيات التي تهتم بهذه البرامج هي: جمعية الطلبة المسلمين في نيجيريا, واجتماع المسلمين (T.M.C), وجماعة التضامن المسلمين, وكلها جمعيات نشطة منشأها جنوب البلاد, وهي على منهج السلف الصالح.

ولا فرق بين منطقة وأخرى من المناطق النيجيرية في وجود هذه الصورة من الأعياد الممنوعة, وخاصة بين الطبقة المثقفة الثقافة الغربية, والذين أنعم الله عليهم بالثراء من المسلمين.

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله في حديثه عن أعياد الجاهلية: "ومما يلحق اليوم بالأعياد الجاهلية ما استورده المسلمون من الغرب من إقامة عيد ميلاد الأولاد كل سنة, بحيث يقيمون للصبي الصغير حفلة فاخرة يدعون إليه زملاءه في المدرسة وجيرانهم وينفقون فيها أموالا طائلة, كما يتقبل هذا الصبي من أولئك الأصدقاء هدايا كثيرة بهذه المناسبة, فإن إقامة أعياد الميلاد من شعائر النصارى واليهود كما في كتبهم"[1].

ومن أبرز وقائع الاحتفال بأعياد الميلاد سواء أقيم للكبير أو الصغير عملية قطع الكعك, وهو من أهم ما ينفق عليه صاحب الحفلة, كما تصنع وتوفّر في الحفلة نوعية خاصة من المأكولات والمشروبات, ويلبس صاحب الحفلة ثوبا جديدا, ولربما يعقد جلسة الدعاء بخصوص هذا العيد يجمع فيها بعض المنتسبين للعلم ليدعوا له بطول العمر, وذلك إذا كان كبيرا.

هكذا يتكرر هذا الاحتفال كل سنة عند هؤلاء المستغربين من المسلمين, يظهرون فيه الفرح والسرور, وينفقون عليه ما ينبغي أن يتصدقوا به على إخوانهم الفقراء, وكل ذلك أبواب الإسراف فتحها لهم النصارى الحاقدون ليكونوا من المبذرين إخوان الشياطين, كما هو وسائل لصرفهم عن سلوك الجادة.

النوع الثالث: الأعياد القومية:

تعددت الأمثلة لهذا النوع من الأعياد الممنوعة, ولا حاجة إلى تقسيمها إلى الصور؛ إذ إنها كلها على صورة واحدة من حيث المنشأ وطريقة الاحتفال بها, ولقد كان منشأ هذه الأعياد التأثر بتلك الجاهلية الأولى التي كان

---

[1] (2) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص144 الهامش رقم (1).

عليها الأجداد قبل الإسلام, وكذلك العادات والتقاليد التي ينبغي أن يكون قد ترفّع عنها أهل الإسلام.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ومن أمثلة الأعياد القومية في بعض مناطق نيجيريا (odun omo-lumesi أودن أومو- لوميسي) في مدينة (أبيوكوتا) ولاية (أوغن) جنوب غرب نيجيريا, و (odun owu أودن أووُو) في المدينة نفسها, و (lagelu day لاغيلو دي) في مدينة (إبادن) ولاية (أويو) جنوب غرب نيجيريا.

وأبرز ما يقوم به المهتمون بهذه الأعياد عند الاحتفال بها إحياء أيامها بالتجمعات التي يحدث فيها ذكر ما تتميز بها تلك الأيام عندهم من خلال المحاضرات والندوات, ثم إظهار الفرح والسرور, والتوسعة على أنفسهم بأنواع من المأكولات والمشروبات.

والأمر الذي يثير الانتباه في هذا النوع من الأعياد الممنوعة ما يحصل عند الاحتفال بها من دعوة المشاركين فيها إلى أن يكون ولاؤهم لهذه القوميات مما يطعن في عقيدة المؤمن؛ إذ الواجب عليه أن يكون ولاؤه أولا وآخرا لله ولرسوله ولإخوته المؤمنين.

أحكام هذه الصور:

حكم الأعياد المحدثة في هذه الأمة:

كل ما سبق ذكره من صور الأعياد التي أحدثها بعض مسلمي نيجيريا في الدين الإسلامي لا شك أنها من البدع, وذلك لما يأتي:

1- أن الأعياد من جملة الشرائع والمناهج والعبادات, والعبادات لا يجوز أن تؤخذ إلا عن الله وعن رسوله- صلى الله عليه وسلم, فمن أحدث عيدا أو موسما أو مكانا يجتمع الناس فيه ويتخذونه عيدا غير الأعياد المشروعة, فلا بد أن يأتي بدليل على شرعية ذلك العيد, وإلا لم يقبل منه(1).

---

1 (1) الأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة ص486.

2- اتفاق العلماء من السلف الصالح رحمهم الله أن هذه الأعياد والمواسم غير الشرعية أمر محدث مبتدع في الدين, ولم يؤثر ذلك عن النبي- صلى الله عليه وسلم, ولا عن أصحابه الكرام, ولا عن التابعين وتابعيهم, ولا علماء الأمة المشهورين؛ كالأئمة الأربعة وغيرهم[1].

3- أن النصوص القطعية المحذرة من الابتداع في الدين كافية للاعتماد عليها في إنكار هذه الأعياد والمواسم؛ لأنه لا أساس لها لا في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح.

4- أن المولد النبوي الذي يجد أكبر الاهتمام بين هذه الأعياد لدى المحتفلين بها قد تقرر أن أول من أحدث الاحتفال به المتسمون بالفاطميين, وهم معروفون بالزندقة والإلحاد, وبفساد العقيدة والإفساد.

5- أن دعوى محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- التي لأجلها يبذل المبتدعة كل غال ورخيص في سبيل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف هي مجرد دعوى؛ إذ ليست لديهم أدلة على تحقق المراد من محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم. وإنما يحقق محبتَه اتباعُه- صلوات الله وسلامه عليه- وطاعتُه.

6- ما يرتكب في كثير من هذه الأعياد من المنكرات مثل اختلاط الرجال بالنساء, والرقص وتغني الفتيات في مجامع الرجال, واستخدام المزامير بمختلف أنواعها. وما يقترف من الكبائر والموبقات مثل دعاء الأولياء والاستغاثة بهم, والاستشفاع بهم وطلب المدد منهم كما يحدث في الأعياد المكانية.

7- أن هذه الأعياد ما أُحدثَت إلا لضرب الإسلام, وتحطيمه والقضاء عليه؛ وذلك أن أعداء الإسلام يميزون بين الإسلام الحق والإسلام المزيّف الذي يدين به المبتدعة؛ فتجدهم يناصرون أهل البدعة ويقفون معهم ويؤيدونهم

---

[1] (2) التحذير من البدع للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص3, من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1396هـ, والبدع الحولية ص195.

على إقامة بدعهم[1] لعلمهم أنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الإسلامية, وإفساد حال المسلمين. ولو كان فيها ما يوقظ الروح الإسلامي, أو يحرك ضمائر المسلمين لما وجدت من أعداء الإسلام إلا محاربتها والقضاء عليها[2].

8- ما تشتمل عليه هذه الأعياد من الفساد في الدين, ومن هذه المفاسد ما يلي:

المفسدة الأولى: أن من أحدث عملا في يوم كعمل المولد, أو صوم أول خميس من رجب وغيرها من هذه المواسم فلا بد أن يتبع هذا العمل اعتقاد في القلب بحسنه وفضله؛ وذلك لأنه لا بد أن يعتقد أن هذا اليوم أفضل من أمثاله, وأن الصوم فيه أو الاجتماع فيه مستحب استحبابا زائدا على غيره من الأيام الأخرى التي قبله وبعده, أو أن هذه الليلة أفضل من غيرها في قيامها والاحتفال بها, ولولا هذا الاعتقاد في قلبه أو في قلب متبوعه لما انبعث القلب لتخصيص هذا اليوم والليلة, والترجيح من غير مرجح ممتنع.

فوجود هذا الاعتقاد في القلب بغير نص صحيح يعتبر زيادة باعتقاده على أمر الشرع[3].

المفسدة الثانية: تخصيص يوم لم يخصصه الشارع بعبادة معينة, مع أن الشارع قد نص في نصوص أخرى على النهي عن تخصيص أوقات بالعبادة, فمن ذلك نهيه عن

---

1 (1) ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري أن فرنسا أيام احتلالها للمغرب بأقاليمه الثلاثة, كانت تساعد حتى بتخفيض تذكرة الإركاب في القطار لمن يسافر للمشاركة في الاحتفال بالمولد النبوي, وأن الحكومات المصرية أيضا تفعل ذلك. انظر: الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف ضمن رسائل الجزائري الثالثة: ست عشرة رسالة في مواضع دينية وإصلاحية مختلفة تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري ص 249, عنى بنشرها وتصحيحها مكتبة الكليات الأزهرية, دون بيانات أخرى.

2 (2) انظر: الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف ضمن رسائل الجزائري الثالثة: ست عشرة رسالة في مواضع دينية وإصلاحية مختلفة ص249.

3 (3) اقتضاء الصراط المستقيم ص283 بتصرف.

تخصيص صيام يوم الجمعة وقيام ليله, ونهيه عن تخصيص صيام آخر شهر شعبان للاحتياط من أجل رمضان.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فظهر أن المفسدة تنشأ من تخصيص ما لا خصيصة له,... فلفظ النهي عن تخصيص وقت بصوم أو صلاة يقتضي أن الفساد ناشئ من جهة الاختصاص, فإذا كان يوم الجمعة يوما فاضلا يستحب فيه من الصلاة والدعاء والذكر والقراءة والطهارة والطيب والزينة ما لا يستحب في غيره كان ذلك في مظنة أن يتوهم أن صومه أفضل من غيره, ويعتقد أن قيام ليلته كالصيام في نهاره لها فضيلة على قيام غيرها من الليالي, فنهى النبي- صلى الله عليه وسلم- عن التخصيص دفعا لهذه المفسدة التي لا تنشأ إلا من التخصيص, وكذلك تلقي رمضان قد يتوهم أن فيه فضلا لما فيه من الاحتياط للصوم, ولا فضل فيه في الشرع, فنهى النبي- صلى الله عليه وسلم- عن تلقيه لذلك"[1].

وهذا المعنى موجود هنا؛ فإن الناس قد يخصون هذه المواسم لاعتقادهم فيها فضيلة, ومتى كان تخصيص هذا الوقت بصوم أو بصلاة قد يقترن باعتقاد فضل ذلك ولا فضل فيه نهي عن التخصيص؛ إذ لا ينبعث التخصيص إلا عن اعتقاد الاختصاص[2].

ومن المفاسد الأخرى التي تجرها هذه الأعياد والاحتفالات:

أ- أن القلوب تستعذب هذه البدع وتستغني بها عن كثير من السنن, حتى إنك تجد هذه البدع يُحافَظ عليها أكثر من السنن.

ب- أنه يصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا[3]. وغير ذلك من المفاسد.

حكم مشاركة المسلمين في الأعياد التي تشبهوا فيها بغيرهم:

---

1 (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص287.

2 (2) المرجع السابق ص287.

3 (3) المرجع السابق ص292 بتصرف.

تحرم مشاركة المسلمين الكفار في أعيادهم بإقامتها أو الاحتفال بها, وذلك لما يلي:

1- أن الأعيـاد من جملة الشـرع والمنـاهج والمناسك التي قال الله عنها: [illegible] (المائدة:48), وقال: [illegible] (الحج:67), كالقبلة والصـــلاة والصـــيام, فلا فــــرق بين مشـاركتهم في العيد وبين مشـاركتهم في سـائر المنـاهج, فإن التدين بهذه الأعيـاد ومـوافقتهم فيها بحسب اعتقـادهم كفر, والموافقة في بعض فروعها, موافقة في بعض شـعب الكفر, بل الأعيـاد هي من أخص ما تتمـيز به بين الشـرائع, ومن أظهر ما لها من الشــعائر, فالموافقة فيها موافقة في أخص شـرائع الكفر, وأظهر شـعائره, ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة[1].

2- أنه قد وردت نصوص شرعية يستفاد منها النهي عن مشاركة غير المسلمين في إقامة أعيادهم والاحتفال بها, من هذه النصوص:

قوله تعالى: [illegible] (الفرقان: 72).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى (الزور): " قال أبو العالية, وطاوس, وابن سيرين, والضحاك, والربيع بن أنس, وغيرهم: هي أعياد المشركين"[2].

ومنها ما رواه أبو داود والنسائي وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- المدينة, ولهم يومان يلعبون فيهما, فقال: (ما هذان اليومان؟), قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى, ويوم الفطر)[3].

---

[1] (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص207-208.

[2] (2) تفسير ابن كثير 3/2045-2046.

[3] (3) سبق تخريجه ص433.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "استنبط منه كراهة الفرح في أعياد المشركين والتشبه بهم"[4].

3- أن مشاركة الكفار في أعيادهم فيها تشبه بهم, والتشبه بالكفار محرم في الدين الإسلامي, وردت في تحريمه أدلة كثيرة, منها:

ما رواه أحمد عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى حنين, قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط, قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة, فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (قلتم- والذي نفسي بيده- كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون, إنها لسنن, لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة)[2].

وما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم, ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية, ومُطَّلِب دم امرئ بغير حق لِيُهَرِيقَ دمَه)[3].

وحديث ابن عمر: (من تشبه بقوم فهو منهم)[4].

بل هناك نصوص أخرى وردت بالأمر بمخالفة الكفار وخاصة اليهود والنصارى حتى في المسائل الفرعية, مما يؤكد على أن مخالفتهم أصل من أصول ديننا الحنيف, ومن تلك النصوص:

قوله- صلى الله عليه وسلم- للمسلمين في جواز تغيير الشيب: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم)[5].

---

4 (4) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 2/562.

2 (1) سبق تخريجه ص254.

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الديات- باب من طلب دم امرئ بغير حق- ص574 برقم (6882) عن ابن عباس.

4 (3) سبق تخريجه ص297.

5 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب أحاديث الأنبياء- باب ما ذكر عن بني إسرائيل- ص282 برقم (3462), ومسلم في صحيحه- كتاب اللباس والزينة- باب في مخالفة اليهود في الصبغ- ص1054 برقم (

وقوله- صلى الله عليه وسلم: (غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقا على هذا الحديث: "وهذا اللفظ أدل على الأمر بمخالفتهم, والنهي عن مشابهتهم, فإنه إذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بياض الشيب الذي ليس من فعلنا فلأن ينهى عن إحداث التشبه بهم أولى"[2].

وقوله- صلى الله عليه وسلم- في الأمر بإعفاء اللحية وجز الشارب: (خالفوا المشركين, وفروا اللحى وأحفوا الشوارب)[3].

وقوله- صلى الله عليه وسلم- في جواز الصلاة في النعال للمسلمين: (خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم)[4].

فهذه الأحاديث وغيرها من أمثالها تدل دلالة واضحة على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود, بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم حتى قالوا: ما يريد أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه[5], وكما شرع الله لنبيه مخالفة اليهود وكذلك شرع له مخالفة غيره من عموم الكفار.

2103) عن أبي هريرة.

1 (5) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب اللباس- باب ما جاء في الخضاب- ص1830 برقم (1752), وأبو يعلى في مسنده 10/413, عن أبي هريرة, وقال الترمذي: حديث حسن صحيح, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (7616).

2 (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص58.

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب اللباس- باب تقليم الأظفار- ص 501 برقم (5892), ومسلم في صحيحه- كتاب الطهارة- باب خصال الفطرة- ص723 برقم (259), عن ابن عمر.

4 (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الصلاة- باب الصلاة في النعل- ص 1271 برقم (652), وابن حبان في صحيحه 5/561 برقم (2186), والبيهقي في السنن الكبرى 2/432, والحاكم في المستدرك 1/391, عن شداد بن أوس عن أبيه, وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في التلخيص, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (765).

5 (4) اقتضاء الصراط المستقيم ص62.

4- أن مشاركتهم في إقامة أعيادهم والاحتفال بها, فيها إقرار لهم على استقامة دينهم وشريعتهم[1]؛ فيوجب ذلك سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل[2], بينما الصحيح أن الأمر خلاف ذلك؛ إذ كل ما يفعلونه في أعيادهم معصية لله؛ لأنه إما محدث مبتدع, وإما منسوخ[3].

قال ابن الحاج[4] رحمه الله: "وقد جمع هؤلاء- أي من يحتفل من المسلمين بأعياد أهل الكتاب- بين التشبه بهم فيما ذكر والإعانة لهم على كفرهم, فيزدادون به طغيانا؛ إذ إنهم إذا رأوا المسلمين يوافقونهم أو يساعدونهم أو هما معا كان ذلك سببا لغبطتهم بدينهم, ويظنون أنهم على حق"[5].

5- أن في الاحتفال بأعيادهم- على تقدير عدم ورود أمر شرعي بمخالفتهم أو نهي عن الاحتفال بأعيادهم- من باب الابتداع في الدين؛ إذ الأعياد- كما سبق بيانه- من شرائع الدين, يجب فيه الاتباع, ولا يجوز فيه الابتداع[6]. وما من شك أن بدعة أعياد الكفار من الكبائر؛ لأنها تجمع التشبه بالكفار, والابتداع في الدين فكانت أعظم من غيرها[7].

---

1 (5) شم النسيم ضمن سلسلة أعياد ومواسم ومناسبات أبدلنا الله خيرا منها [2] ص17.

2 (6) اقتضاء الصراط المستقيم ص219.

3 (7) المرجع السابق ص208.

4 (1) هو محمد بن محمد بن محمد أبو عبد الله العبدري الفاسي المصري المالكي المعروف بابن الحاج, من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين, كان فقيها عارفا بمذهب مالك, مشهورا بالزهد والخير والصلاح, صنف كتابا كبير في البدع والحوادث سماه المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة, وهو كتاب حافل بفوائد, جمع فيه علما غزيرا, توفي سنة 737هـ.
انظر: الوافي بالوفيات 1/187, الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب 1/327.

5 (2) المدخل تأليف الشيخ محمد بن محمد بن محمد أبي عبد الله العبدري الفاسي المالكي المعروف بابن الحاج 2/48, دار الفكر 1401هـ- 1981م.

6 (3) شم النسيم ص17, والأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة ص492.

7 (4) الأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة ص492.

6- أن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن, كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر, وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة حتى في الأمور الدنيوية مثل تشابه الرجلين في الثياب أو العمامة أو الشعر, وهو شيء يحصل بموجب الطباع ومقتضاها إلا أن يمنع عن ذلك دين أو غرض خاص.

فـإذا كـانت المشـابهة في أمـور دنيوية تـورث المحبة والمـوالاة فكيف بالمشـابهة في أمـور دينية, فـإن إفضـاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد, والمحبة والمـوالاة للكفـار تنافي الإيمان كما ورد في النصوص, مثل قوله تعـالى: [illegible]

[illegible] (المجادلة:22).

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرا, فمن واد الكفار فليس بمؤمن, فالمشابهة الظاهرة مظنة المودة فتكون محرمة[1].

7- أن مشاركة الكفار في أعيادهم فيها تشجيع أمور الجاهلية وبسط آثارها, وإماتة الشرائع الإسلامية في قلوب الناس, وخير دليل على ذلك ما ذكرته في الصورة الأولى من صور الأعياد التي تشبه المسلمون فيها بغيرهم حيث إن هؤلاء الناس كانوا يشاركون الوثنيين في أعيادهم وقصدهم في ذلك الرغبة في إحياء ما عليه أجدادهم من العادات والتقاليد السائدة في العصر الجاهلي.

فيتبين لنا من خلال ما سبق أنه لا يجوز للمسلمين مشاركة أهل الكتاب, بل وسائر المشركين في أعيادهم, سواء كانت هذه المشاركة بالاحتفال بها أو بإظهار الفرح والسرور بقدومها, أو بتهنئة أهل هذه الأعياد بحلولها, أو بإهدائهم الهدايا فيها, أو بأداء بعض الشعائر التي يؤدونها فيها, أو بإعانتهم عليها بأي وجه من الوجوه, فكل هذا حرام.

وكيف يسيغ للمسلم أن يشارك أهل الكتاب في أعيادهم وهي إما أعياد ابتدعوها, أو تكون أصولها من أديانهم المحرفة, وفي كلتا الحالتين شر, بل كيف يشاركهم

---

[1] (1) اقتضاء الصراط لمستقيم ص221-222 بتصرف.

المسلم في أعيادهم وقد أبدلنا الله خيرا منها بأعياد شرعية يستحب لنا الاحتفال بها, بإظهار الفرح والسرور, والتوسعة على الأهل والأولاد, والتزين والتطيب, ولبس أجمل الثياب, وأكل أطيب الطعام.

فواجب المسلم تجاه هـذه الشـعيرة العظيمة التمسك بما جـاء عن الله تعـالى وأرشد إليه رسـوله الكـريم- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- والحذر من بـدع أهل الإشـراك وضلالاتهم, [illegible] (آل عمران:101).

شبه وردود

الشبهة الأولى:

قولهم بأن ما يقومون به في هذه الأعياد كله من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله, قد دعت إليها الشريعة وأمر به الإسلام.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

1- إن تخصيص أيـام وليـال بعبـادة معينة لم يخصصـها بها الشـرع المطهر يعتـبر من تشـريع ما لم يـأذن به اللـه؛ وذلك أن القيام بهـذا التخصـيص لم يحصل إلا بعد أن تقـرر في القلب بأن تلك الأيام والليالي أفضل من غيرها, ووجـود مثل هذا الاعتقـاد ثم العمل به في الواقع يحتـاج إلى دليـل, ولما لم يمكنهم الإتيان بأي دليل فيدخل عملهم هذا في من ذمهم الله في قوله تعالى: [illegible] (الشورى:21).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كل ما يختص به ذلك اليوم من عبادة وعادة فإنما سببه هو كونه يوما مخصوصا, وإلا فلو كان كسائر الأيام لم يختص بشيء, وتخصيصه ليس من دين الإسلام في شيء بل هو كفر به"[1].

2- إن كل عمل يراد به التقرب إلى الله تعالى ينبغي أن يكون أولا مما شرع الله تعالى في كتابه أو على لسان

---

1 (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص208.

رسوله- صلى الله عليه وسلم, وأن يكون ثانيا مؤدى على نحو ما أداه عليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مراعى فيه كميته أي عدده بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص منه, وكيفيته بحيث لا يقدم فيه بعض أجزائه ولا يؤخر, وزمانه بحيث لا يفعله في غير الوقت المحدد له, ومكانه فلا يؤديه في غير المكان الذي عينه الشارع له, وسببه بحيث لا يكون عمله مقرونا بسبب ليس شرعيا, وجنسه بحيث لا يكون عمله مما لم يشرع جنسه, وأن يريد به فاعله وجه الله وطلب مرضاته[1]. وما من شك أن الذين يقيمون الأعياد غير المشروعة ويحتفلون بها وإن كان بعض ما يقومون به في هذه الأعياد من الأعمال الصالحة المشروعة ويقصدون بها التقرب إلى الله تعالى لكن لما قرنوا عباداتهم هذه بأسباب لم تثبت شرعا صارت من البدع الإضافية.

3- إن الأصل الذي يبنون عليه أعمالهم في هذه الأعياد هو تعظيم أيام وليال لم يعظمها الشرع, أو تعظيم أيام وليال معظمة في الشرع لكن بوجه غير ما عظمها به, وهو أصل باطل؛ لأنه لا دليل لهم في هذا التعظيم, "وإذا بطل الأصل بطل الفرع المبني عليه"[2].

الشبهة الثانية:

دعوى النوايا الحسنة في تعظيم تلك الأيام والليالي وجعلها أعيادا يحتفل بها.

إن الذين يدّعون بأن نواياهم حسنة في تخصيص أيام وليال بعبادات معينة لم يخصصها بها الشرع, ويجعلون هذه الأزمنة والأمكنة أعيادا ومواسم لا دليل عليها من الدين, إن هؤلاء الناس كانوا يستدلون على باطلهم بالحديث الشريف: (إنما الأعمال بالنيات)[3] ظلما وجهلا.

---

1 (2) الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف (ضمن رسائل الجزائري الثالثة ص234-235).

2 (1) المهذب في فقه الإمام الشافعي تأليف إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبي إسحاق 2/338, دار الفكر- بيروت, مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج محمد الخطيب الشربيني 1/95, دار الفكر- بيروت.

3 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب بدء الوحي- باب كيف كان بدء

ويمكن الرد على هذه الشبهة من وجوه:

1- أنه لا يجوز الاستدلال بهذا الحديث على تسويغ باطل العمل ومحدثه بمجرد أن نية صاحبه حسنة؛ لأن قوله- صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات) جاء لبيان أحد الأصلين اللذين تقوم عليهما العبادة, وهو الإخلاص في العمل, والصدق في الباطن, حتى لا يكون لغير الله شائبة فيه.

والأصل الثاني: موافقة هذا العمل للسنة, الذي يدل عليه حديث: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[1][2].

فأي عمل يقوم به العبد مهما حسنت فيه نيته فإنه لن يكون مقبولا ولن ينفع صاحبه إلا إذا توفر فيه هذان الشرطان: الإخلاص والمتابعة.

"فمن أخلص أعماله لله, متبعا في ذلك رسول الله- صلى الله عليه وسلم؛ فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الأمرين أو أحدهما؛ فعمله مردود، داخل في قول الله تعالى: ﴿ ... ﴾ (الفرقان:23)" [3].

2- ثم ليعلم بأن حسن نية العامل لا يحسن العمل القبيح, فالعمل الذي يبتغى به وجه الله تعالى لا بد أن يكون مشروعا؛ لأن الله تعالى طيب, لا يقبل إلا طيبا.

قال الإمام النووي رحمه الله في معنى حديث (إنما الأعمال بالنيات...): "معنى الحديث: لا تصح الأعمال الشرعية إلا بالنية"[4].

الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم...- ص1 برقم (1) عن عمر بن الخطاب.

1. (3) سبق تخريجه ص43.
2. (4) انظر: علم أصول البدع: دراسة تكميلية مهمة في علم أصول الفقه تأليف علي بن حسين بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ص 60, ط/الثانية 1417هـ, دار الراية للنشر والتوزيع- الرياض.
3. (1) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص10, تحقيق هشام بن محمد سعيد آل برغش, ط/الأولى 1421هـ- 2000م, دار الوطن للنشر- الرياض..
4. (2) بستان العارفين للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي ص26, اعتنى به وعلق عليه محمد الحجار, ط/الرابعة 1416هـ- 1996م, دار

3- وفي حالة افتراض وجود بعض الخير في هذه الأعياد والاحتفالات- ولا خير يذكر في البدعة بعد التصريح من الشارع بأن كلها ضلالة- فإنه لا يعد مبررا لإقامتها بعد معرفة ذلك البحر الخضم من الشر الذي ينتج عنها, والقاعدة الأصولية تقول: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[1], وهذا في حالة التعادل بين المصالح والمفاسد, فكيف إذا كانت المفاسد أكبر بكثير من المصالح, بل ربما لا توجد أية مصلحة. فدعوى النوايا الحسنة غير مقبولة في عمل لا ترجى منه أية منفعة دنيوية أو أخروية.

ومن المفاسد التي تحدث أثناء هذه الأعياد والاحتفالات وخاصة المولد النبوي ومواليد المشايخ:

(أ) اختلاط الرجال بالنساء والتصاق أجسادهم بعضها ببعض, ورقص الفتيات مع الشباب الأجانب.

(ب) الإسراف في التوسعة على أنفسهم في المأكولات والمشروبات وصنع الزينات, وتباهي الناس في ذلك, ومفاخرة بعضهم بعضا.

(ج) إلقاء القصائد الشعرية في مدح النبي- صلى الله عليه وسلم- أو من يحتفل بمولده, تشتمل غالبا على عبارات الغلو والإفراط في تعظيم المحتفل بمولده.

(د) دعوات تحمل ألفاظ التوسلات غير المشروعة مثل التوسل بجاه الأولياء والمشايخ وحقهم, وأدعية تتضمن كلمات شركية مثل الاستغاثة بالأموات, وسؤالهم الرزق والعافية, وقضاء الديون, وتفريج الكربات, وغير ذلك من أنواع الطلبات. فلا غرابة فيما يقوم به هؤلاء فإن أكثرهم من عوام الناس وغلاة المتصوفة.

البشائر الإسلامية- بيروت.

[1] (3) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل تأليف عبد القادر بن بدران الدمشقي ص298, تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي, ط/الثانية 1401هـ, مؤسسة الرسالة-بيروت, وأصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل تأليف محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص424, تحقيق القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل, ط/الأولى 1986م, مؤسسة الرسالة- بيروت.

(هـ) الرقص والتمايل, وضرب الدفوف وقرع الطبول, والإلحاد في أسماء الله وصفاته أثناء ما يسمى بالذكر, وكل هذا لا بد منه أثناء الاحتفال بالمولد عند التجانية والقادرية. وغير ذلك من المنكرات التي تفوق الوصف.

4- إن بعض هذه الأعياد منشـؤها من غـير المسـلمين, ففيها التشـبه بأعـداء اللـه, وقد نهيت الأمة الإسـلامية عن ذلك. فكيف تكون للمسلم نية حسنة في القيام بما يخـالف أمر رسـول الهـدى- صـلوات الله وسـلامه عليـه, وقد قـال الباري جل وعلا: [illegible] (النور:63).

الشبهة الثالثة:

قولهم بأن محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- من الإيمان وأن الاحتفال بالمولد النبوي أقوى دليل وأوضح علامة على إظهار محبته وإحياء ذكره.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

1- لا خلاف في كون محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- من الإيمان, فإن ذلك أمر مسلَّم ومفروغ منه, فمحبة الرسول- عليه الصلاة والسلام- من الإيمان كما أن بغضه كفر, قال- صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم, حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[1]. فلا خلاف في هذا الأمر, وإنما الخلاف في علامات إظهار تلك المحبة وطرق تحقيقها.

2- أن محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- عبادة, "والأصل في العبادات التوقيف, فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى ورسوله"[2], فلا يمكننا أن نعرف كيف نحب الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلا عن طريق ما أمر

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الإيمان- باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان- ص3 برقم (15) ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين...- ص688 برقم (44) عن أنس بن مالك.

2 (2) الفتاوى الكبرى 4/5, وإعلام الموقعين 1/344, وأحكام أهل الذمة 2/715.

به الله جل وعلا وأرشد إليه رسوله- عليه الصلاة والسلام. والاحتفال بالمولد النبوي لم يأمر الله به ولم يؤثر عن النبي- صلى الله عليه وسلم, ولا عن صحابته, ولا التابعين وتابعيهم, ولا علماء الأمة المشهورين؛ كالأئمة الأربعة ونحوهم, "ولو كان خيرا محضا أو راجحا لكان هؤلاء السلف رضي الله عنهم أحق به منا, فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وتعظيما له منا, وهم على الخير أحرص"[1].

3- أن حب الرسول- صلى الله عليه وسلم- مقيد بضوابط تحكمه, ومحدد بعلامات تؤكد صدقه, وآثار تظهر على من اتصف به, وهذه العلامات والمظاهر كثيرة, منها:

(أ) الاقتداء بـه- صـلى الله عليه وسـلم, واتبـاع أقواله وأفعالـه, وامتثـال أوامـره, واجتنـاب نواهيـه. وقد جعل الله اتباع نبيـه- صـلى الله عليه وسـلم- دليلا على حبه سـبحانه, فهو من بــاب أولى دليل على حب النــبي- صــلى الله عليه وسلم, قـال تعـالى: (آل عمران:31).

(ب) تعظيمه- صلى الله عليه وسلم- وتوقيره, والتأدب بآدابه. وتعظيم النبي- صلى الله عليه وسلم- هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير, وهو من أعظم مظاهر حبه, ومن آكد حقوقه- صلى الله عليه وسلم- على أمته, كما أنه من أعظم واجبات الدين.

(ج) كثرة تذكره- صلى الله عليه وسـلم؛ لأن من أحب شـيئا أكـثر من ذكـره, قـال تعـالى: (الأحزاب:56).

(د) محبة من أحب النبي- صـلى الله عليه وسـلم- من أهل بيته وصـحابته من المهـاجرين والأنصـار, وعـداوة من عـــاداهم, وبغض من أبغضـــهم, فمن أحب شـــيئا أحب من يحبه. قـال- عليه الصـلاة والسـلام: (الله الله في أصـحابي,

---

[1] (3) اقتضاء الصراط المستقيم ص295.

الله الله في أصــحابي, لا تتخــذوهم غرضا[1] بعــدي, فمن أحبهم فبحبي أحبهم, ومن أبغضـهم فببغضي أبغضـهم, ومن آذاهم فقد آذاني, ومن آذاني فقد آذى الله, ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه)[2].

(هـ) ومن علامات محبتـه- صـلى الله عليه وسـلم- أن يحب المرء القرآن الذي أنزل عليه ويحب سـنته ويقف عند حدودها, ويحب الداعين إلى سنته[3].

وإذا استعرضنا هذه العلامات, وجدنا أن الذين ابتــدعوا الاحتفال بالمولد النبوي لم تظهر عليهم أية علامة من هــذه العلامــات, ولم يتصــفوا بشــيء منهــا, بل كـانوا يتصــفون بضدها. فلم يقتدوا بـه- صـلى الله عليه وسـلم- في القـول والعمل, ولم يمتثلوا أمره بلزوم السنة, ونهيه عن الإحــداث في الدين, بل اطرحوا سنته جانبا, وقدموا ما تهوى أنفسهم وما يشتهونه على ما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله- صلى الله عليه وسلم, واشتغلوا بالمعاصي والملـذات عن ذكـره- صلى الله عليه وسلم[4].

4- أما كون الاحتفال بالمولد النبـوي من بـاب الـذكرى للرسول- عليه الصـلاة والسـلام. فإنا نقـول: إن المسـلمين قد فـرض على أعيـانهم أن يـذكروا نـبيهم- صـلى الله عليه

---

1 (1) الغرض: شدة النزاع نحو الشيء, أو الهدف, أي: لا تتخذوا أصحابي هدفا ترموهم بقبيح الكلام كما يرمى الهدف بالسهم.
يراجع: النهاية في غريب الحديث والأثر 3/664 مادة (غرض), وتحفة الأحوذي 10/247, وفيض القدير 2/98.

2 (2) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب المناقب- باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة- ص2047 برقم (3862), وأحمد في مسنده 5/54,57, والبيهقي في شعب الإيمان 2/191, وأبو نعيم في حلية الأولياء 8/287, عن عبد الله بن مغفل, وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه, وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (2901).

3 (3) محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع تأليف عبد الرؤوف محمد عثمان ص65 وما بعدها, طبع تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية, الرياض 1414هـ, والبدع الحولية إعداد عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري ص192-193, ط/الأولى 1421هـ- 2000م, دار الفضيلة- الرياض.

4 (1) البدع الحولية ص194.

وسلم- في اليوم والليلة خمس مرات على الأقـل، وفـرض على الكفاية أن يــذكروه أيضــاً خمس مــرات في اليــوم والليلة على الأقل، فالأذان يقول المسلمون فيه: أشـهد أن محمداً رسول الله، وفي الصلاة في التشهد يقولون: أشـهد أن محمــداً عبــده ورســوله، بل إن كل عبــادة يتعبد بها الإنسـان فهي ذكـرى للرسـول عليه الصـلاة والسـلام؛ لأن المتعبد يجب عليه أن يلاحظ في عبادته شيئين:

الأول: الإخلاص لله عز وجل، وأنه فعل العبادة تقربـاً إليه، وامتثالاً لأمره.

الثاني: المتابعة للرسول- عليه الصلاة والسـلام، وأنه فعل العبادة اتباعاً للرسول- صـلى الله عليه وسـلم، وكـأن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمامه فيها لتتم هـذه العبـادة، حتى لو تسوك الإنسان اتباعاً للسنة فهذه ذكرى، ولو قــدم رجله اليمنى عند دخول المسجد اتباعاً للسنّة فهذه ذكـرى، ولو قدم إدخـال يـده اليمـنى في الكم قبل اليسـرى اتباعـاً للسنّة فهذه ذكرى.

فالمسلمون في كل أحوالهم يذكرون النبي- صلى الله عليه وسلم، أما الـذكرى بهـذه الطقـوس المبتدعة الـتي ما أنـزل الله بها من سـلطان فإنها تـدمر أكـثر مما تعمـر؛ لأن القلب يجد فراغـاً واسـعاً عنـدما تنتهي هـذه المناسـبة، أو الاحتفـال بهـذه المناسـبة، ولهـذا فإنه من حكمة الله أنه ما من بدعة تقام إلا وينهدم من السنّة مثلها أو أكثر[1].

الشبهة الرابعة:

قولهم بأن تخصيص هذه الأيام والليالي بالاحتفالات يفعل على سبيل العادة, فالمولد النبوي والهجرة النبوية يحتفل بهما إحياء لذكريات عزيزة؛ ليكون سببا للخير وموجبا للشكر, ولم يقصد بهذه الاحتفالات التدين, ولم يرد إحداث شيء في الدين.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

---

[1] (2) الشرح الممتع على زاد المستقنع 5/113.

1- إن مسألة الأعياد من المسائل الشـرعية التعبديـة؛ لأنها من جملة الشـرع والمنـاهج والمناسك الـتي قـال الله فيها: [illegible] (الحج:68), وقال: [illegible] (المائدة:48)[1], فدعوى عدم إرادة التـدين بإقامة الأعيـاد والاحتفـال بها غـير مقبولـة, وإذا ثبت ذلك فلا يجـوز الابتـداع في مسـألة الأعياد كغيرها من مسائل الدين, لا بالزيادة ولا بالنقص, ولا يجوز إحداث أعياد غير ما شرعه الله تعالى ورسوله- صـلى الله عليه وسلم.

2- قولهم بأن هذه الأعياد والاحتفالات تقام على سبيل العـادة لا على سـبيل التـدين مجـرد كـذب ومحاولة منهم للتغطية على حقيقة ما يقومـــون بـــه, بل الصـــحيح أنهم يقيمون تلك الأعيـاد والاحتفـالات على سـبيل التـدين, ومما يدل على ذلك:

(أ) أن تلك الأعيـاد تقـام باسم الـدين وإظهـار عظمة الإسلام وأهله, كما قال صاحب كتـاب المـرآة الصـافية وهو يصف مـوكب الشـيخ محمد ناصر الكـبرى أثنـاء الاحتفـال بمولده: "... حـتى إن بعض رؤسـاء الـدول العربية يوفـدون ممثليهم لمشـــاركة ذلك المظهر العظيم الـــذي يظهر فيه روح التضـــامن الإســـلامي والوحـــدة الإســـلامية والوئـــام التام"[2].

(ب) وجود أيام وليـال جعلوها أعيـادا ومواسم وأهم ما يفعلون فيها هو تخصيصها بأنواع من العبـادات مثل النوافل والصيام والدعاء, كما أنهم يتقربون إلى الله بعبادات أخـرى على وجه غـير مشـروع مثل الـذكر الجمـاعي, والخلط بين قراءة القرآن الكـريم وقـراءة الأشـعار بألحـان مختلفة عند الاحتفال بالمولد النبـوي وعند زيـارة قبـور المشـايخ, أليس في هذه كلها قصد التعبد والتقرب إلى الله؟.

(ج) وأظهر ما يفند مقـــــولتهم تلك ما يتكـــــرر بينهم ويقوله بعضـــــهم لبعض بعد الانتهـــاء من هـــذه الأعيـــاد

---

1 (1) اقتضاء الصراط ص207.

2 (2) المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية ص98-99.

والاحتفالات, وهو قولهم: تقبل الله منا ومنكم, وهـذا أقـوى دليل وأوضح حجة على أنها تفعل على ســـبيل العبـــادة, فتحتاج إلى دليل ولا دليل لهم.

3- ولو سلمنا جدلا بأن هـذه الأعيـاد تفعل على سـبيل العـادة لا على سـبيل التـدين, إلا أن "العـادات الأصل فيها العفو والإباحـــة, فلا يحظر منها إلا ما حرمه اللـــه"[1], ولما وجد نص صحيح صريح يمنع من اتخاذ أيام وليال أعيادا غـير ما ورد في الشرع سواء على سـبيل العـادة أو على سـبيل العبادة علمنا إذن بأن دعوى الاحتفال بهذه الأعيـاد وإقامتها على سبيل العادة غير مقبولة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله- صـلى الله عليه وسـلم- المدينة, ولهم يومـان يلعبـون فيهما, فقـال: (ما هـذان اليومـان؟) قـالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى ويـوم الفطر) [2].

فمما يفيده الحديث عدم إقرار النبي- صــلى الله عليه وسلم- لأهل المدينة على الاحتفـال بـاليومين اللـذين كـانوا يحتفلون بهما لكونهما من أعيـاد غـير المسـلمين؛ إذ كـانت العادة الاحتفال بهما في الجاهلية[3].

الفصل السادس
أحكام الميت والقبور

---

[1] (1) القتاوى الكبرى 4/5.

[2] (2) سبق تخريجه ص433.

[3] (3) شم النسيم ص15.

المبحث الأول
الهدي النبوي في أحكام الميت والقبور

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى[1]: كان هديه- صلى الله عليه وسلم- في الجنائز أكمل الهدي مخالفا لهدي سائر الأمم, مشتملا على الإحسان إلى الميت, ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده, وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه, وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعامل به الميت, وكان من هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال والإحسان إلى الميت وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها, ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفا يحمدون الله ويستغفرون له ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه, ثم المشي بين يديه إلى أن يودعوه حفرته, ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه.

فأول ذلك: تعاهده في مرضه وتذكيره الآخرة وأمره بالوصية والتوبة وأمر من حضره بتلقينه شهادة أن لا إله إلا الله[2] لتكون آخر كلامه, ثم النهي عن عادة الأمم التي لا

---

[1] (1) زاد المعاد 1/479-508 بتصرف.

[2] (2) لقوله صلى الله عليه وسلم: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله, فإنه من كان آخر كلمته لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوما من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه) رواه ابن حبان في صحيحه 7/272 عن أبي هريرة, وصححه الألباني في تلخيص أحكام الجنائز برقم (13), وتلقين المحتضر كلمة التوحيد هو أمره أن يقولها, والدليل على ذلك حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من الأنصار فقال: (يا خال! قل لا إله إلا الله), فقال: أخال أم عم؟ فقال: (لا بل خال), قال: فخير لي أن أقول لا إله إلا الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم), أخرجه أحمد في مسنده 3/154 بإسناد صحيح على شرط مسلم, انظر: أحكام الجنائز وبدعها تأليف محمد ناصر الدين الألباني ص20.

تؤمن بالبعث والنشور من لطم الخدود وشق الثياب[1] وحلق الرؤوس ورفع الصوت بالندب والنياحة[2].

وكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- تعزية أهل الميت, ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء[3] ويقرأ له القرآن لا عند قبره ولا غيره, وكل هذا بدعة حادثة مكروهة, وكان من هديه: السكون والرضى بقضاء الله والحمد لله والاسترجاع[4], ويبرأ ممن خرق لأجل المصيبة ثيابه أو رفع صوته بالندب والنياحة أو حلق لها شعره[5], وكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- أن أهل الميت لا يتكلفون الطعام للناس بل أمر أن يصنع الناس لهم طعاما يرسلونه إليهم[6], وهذا من أعظم مكارم الأخلاق والشيم

---

[1] (1) ومما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية), أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز- باب ليس منا من شق الجيوب- ص101 برقم (1294).

[2] (2) والنياحة من أمر الجاهلية ومن كبائر الذنوب لما رواه أبو مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب, والطعن في الأنساب, والاستسقاء بالنجوم, والنياحة, وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب). أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب التشديد في النياحة- ص824 برقم (934).

[3] (3) الاجتماع للعزاء ليس من هدي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وصحابته الكرام؛ لأن المقصود بالتعزية ليست التهنئة وإنما المقصود بها تقوية الإنسان على الصبر.

[4] (4) لقوله تعالى: [illegible] (البقرة:155-157).

[5] (5) روي في براءة النبي صلى الله عليه وسلم ممن يفعل هذه الأمور حديث أبي بردة بن أبي موسى قال: (وجع أبو موسى وجعا فغشي عليه, ورأسه في حجر امرأة من أهله, فصاحت امرأة من أهله, فلم يستطع أن يرد عليها شيئا, فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة), أخرجه البخاري برقم (1296), ومسلم برقم (104).

[6] (6) كون أهل الميت يتكلفون صنعة الطعام لضيافة الواردين للعزاء بدعة نتج عن بدعة أخرى ألا وهي جلوس أهل الميت واجتماعهم لقبول التعزية من الناس, ولو صبروا وحمدوا الله وشكروه على ما قدر

والحمل عن أهل الميت؛ فإنهم في شغل بمصابهم عن إطعام الناس, وكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- ترك نعي الميت بل كان ينهى عنه[1] و يقول: (هو من عمل الجاهلية), وقد كره حذيفة رضي الله عنه أن يعلم به أهله الناس إذا مات وقال: أخاف أن يكون من النعي.

وسن الخشوع للميت والبكاء الذي لا صوت معه وحزن القلب, وكان يفعل ذلك ويقول: (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب)[2], وسن لأمته الحمد والاسترجاع والرضى عن الله, ولم يكن ذلك منافيا لدمع العين وحزن القلب؛ ولذلك كان أرضى الخلق عن الله في

وسألوه الإعانة على تحمل المصيبة ثم انصرفوا في قضاء حوائجهم ما وجدوا من يجتمع عندهم حتى يضطروا إلى تجهيز الطعام لضيافتهم, ولما تركوا ما عليه السلف من عدم انتظار من يأتي لتعزية المصاب تحول الأمر إلى ما نراه اليوم, والذي ينبغي لأهل الميت الانصراف إلى حوائجه ويعزيه من يقابله من إخوته أو جيرانه سواء في الطريق أو في المسجد أو في السوق, ولا يصنع الطعام لمعزيه؛ لأن ذلك بدعة ومنكر ومن أمر الجاهلية وإنما "السنة أن يصنع أقرباء الميت وجيرانه لأهل الميت طعاما يشبعهم, لحديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا لأهل جعفر طعاما, فقد أتاهم أمر يشغلهم) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه" أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص211.

[1] (1) ثبت عن حذيفة بن اليمان أنه كان إذا مات له الميت قال: لا تؤذنوا به أحدا, إني أخاف أن يكون نعيا, إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي, أخرجه الترمذي وحسنه, وابن ماجه وأحمد. قال الحافظ ابن حجر في الفتح عند حديثه عن نعي الميت: "قال ابن العربي: يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات, الأولى: إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح, فهذا السنة. الثانية: دعوة الحفل للمفاخرة, فهذه تكره. الثالثة: الإعلام بنوع آخر كالنياحة ونحو ذلك, فهذا يحرم". وهذه الحالة الثالثة هي المقصودة بالنعي المنهي عنه عند العلماء وهو نعي الجاهلية الذي إذا توفي الرجل ركب رجل دابة ثم صاح في الناس على أبواب البيوت والأسواق أنعى فلانا, أما إعلان الوفاة إذا لم يقترن به ما يشبه نعي الجاهلية فهذا جائز, بل قد يجب إذا لم يكن عند الميت من يقوم بحقه من الغسل والتكفين والصلاة عليه ونحو ذلك؛ فقد ثبت عن أبي هريرة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه, خرج إلى المصلى, فصف بهم وكبر أربعا), والحديث أخرجه الشيخان وغيرهما. انظر: فتح الباري 3/151, أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص44-45.

[2] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا بك لمحزنون, ومسلم برقم (2315) عن أنس بن مالك.

قضائه وأعظمهم له حمدا, وبكى مع ذلك يوم موت ابنه إبراهيم رأفة منه, ورحمة للولد, ورقة عليه, والقلب ممتلئ بالرضى عن الله عز وجل وشكره, واللسان مشتغل بذكره وحمده.

وكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- الإسراع بتجهيز الميت إلى الله وتطهيره وتنظيفه وتطييبه وتكفينه في الثياب البيض ثم يؤتى به إليه فيصلي عليه, وكان من هـديه-
صلى الله عليه وسلم- تسجية الميت إذا مات وتغميض عينيه وتغطية وجهه وبدنه[1], وكان ربما يقبل الميت كما قبل عثمان بن مظعون وبكى, وكذلك الصديق أكب عليه فقبله بعد موته- صلى الله عليه وسلم.

وكان يأمر بغسل الميت ثلاثا أو خمسا أو أكثر بحسب ما يراه الغاسل ويأمر بالكافور في الغسلة الأخيرة, وكان لا يغسل الشهداء قتلى المعركة, وذكر الإمام أحمد أنه نهى عن تغسيلهم, وكان ينزع عنهم الجلود والحديد ويدفنهم في ثيابهم ولم يصل عليهم, وكان إذا مات المحرم أمر أن يغسل بماء وسدر ويكفن في ثوبيه وهما ثوبا إحرامه: إزاره ورداؤه, وينهى عن تطييبه وتغطية رأسه, وكان يأمر من ولي الميت أن يحسن كفنه ويكفنه في البياض وينهى عن المغالاة في الكفن, وكان إذا قصر الكفن عن ستر جميع البدن غطى رأسه وجعل على رجليه من العشب.

وكان إذا قدم إليه ميت يصلي عليه سأل: (هل عليه دين أم لا؟), فإن لم يكن عليه دين صلى عليه, وإن كان عليه دين لم يصل عليه وأذن لأصحابه أن يصلوا عليه؛ فإن صلاته شفاعة, وشفاعته موجبة, والعبد مرتهن بدينه ولا يدخل الجنة حتى يقضى عنه, فلما فتح الله عليه كان يصلي على المدين ويتحمل دينه ويدع ماله لورثته[2], ومقصود

---

[1] (1) هذه كلها من حقوق الميت على الحاضرين بعد وفاته, نص على ذلك الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في أحكام الجنائز وبدعها ص 22.

[2] (2) مما يدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين فيسأل: (هل ترك لدينه من قضاء؟) فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه, وإلا قال: (صلوا

الصلاة على الجنازة: هو الدعاء للميت؛ لذلك حفظ عن النبي- صلى الله عليه وسلم- ونقل عنه ما لم ينقل من قراءة الفاتحة والصلاة عليه- صلى الله عليه وسلم.

وكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- إذا فاتته الصلاة على الجنازة صلى على القبر, فصلى مرة على قبر بعد ليلة, ومرة بعد ثلاث, ومرة بعد شهر, ولم يوقت في ذلك وقتا, ومنع منها مالك وأبو حنيفة رحمهما الله إلا للولي إذا كان غائبا, وكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقوم عند رأس الرجل ووسط المرأة.

وكان- صلى الله عليه وسلم- إذا صلى على ميت تبعه إلى المقابر ماشيا أمامه, وهذه كانت سنة خلفائه الراشدين من بعده, وسن لمن تبعها إن كان راكبا أن يكون وراءها, وإن كان ماشيا أن يكون قريبا منها إما خلفها أو أمامها أو عن يمينها أو عن شمالها, وكان يأمر بالإسراع بها حتى إن كانوا ليرملون بها رملا, وأما دبيب الناس اليوم خطوة خطوة فبدعة مكروهة مخالفة للسنة ومتضمنة للتشبه بأهل الكتاب واليهود, وكان أبو بكرة يرفع السوط على من يفعل ذلك ويقول: لقد رأيتنا ونحن مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- نرمل رملا, وكان يمشي إذا تبع الجنازة ويقول: (لم أكن لأركب والملائكة يمشون)[1], فإذا انصرف عنها فربما مشى وربما ركب.

ولم يكن من هديه وسنته- صلى الله عليه وسلم- الصلاة على كل ميت غائب, فقد مات خلق كثير من المسلمين وهم غيب فلم يصل عليهم, وصح عنه أنه صلى على النجاشي صلاته على الميت, فاختلف الناس في ذلك على ثلاثة طرق, وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصواب أن الغائب إن مات ببلد لم يصل عليه فيه صلي عليه صلاة

على صاحبكم), فلما فتح الله عليه الفتوح قال: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم, فمن توفى وعليه دين فعليّ قضاؤه, ومن ترك مالا فهو لورثته) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (1619).

[1] (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الجنائز- باب الركوب في الجنازة- ص1462 برقم (3177), والحاكم في المستدرك 1/507, والبيهقي في السنن الكبرى عن ثوبان, وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

الغائب كما صلى النبي- صلى الله عليه وسلم- على النجاشي؛ لأنه مات بين الكفار ولم يصل عليه, وإن صلي عليه حيث مات لم يصل عليه صلاة الغائب؛ لأن الفرض قد سقط بصلاة المسلمين عليه, والنبي- صلى الله عليه وسلم- صلى على الغائب وتركه, وفعله وتركه سنة, وهذا له موضع, وهذا له موضع, والله أعلم.

وكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- ألا يدفن الميت عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا حين يقوم قائم الظهيرة, وكان من هديه اللحد وتعميق القبر وتوسيعه من عند رأس الميت ورجليه, ويذكر عنه أنه كان إذا وضع الميت في القبر قال: (بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله)[1] وفي رواية: (بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله), ويذكر عنه أيضا أنه كان يحثوا التراب على قبر الميت إذا دفن من قبل رأسه ثلاثا, وكان إذا فرغ من دفن الميت قام على قبره هو وأصحابه وسأل له التثبيت وأمرهم أن يسألوا له التثبيت[2], ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر ولا يلقن الميت[3] كما يفعله الناس اليوم.

---

1 (2) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الجنائز- باب ما جاء ما يقول إذا أدخل الميت القبر- ص1752 برقم (1046), وابن ماجه في سننه- كتاب الجنائز- باب ما جاء في إدخال الميت القبر- ص2569 برقم (1550), وأحمد في مسنده 2/27, وابن حبان في صحيحه 7/375, والطبراني في المعجم الأوسط 7/228 عن ابن عمر, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (8927).

2 (1) ثبت عن عثمان بن عفان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: (استغفروا لأخيكم, وسلوا له التثبيت, فإنه الآن يسأل) أخرجه أبو داود في سننه برقم (3221), والحاكم في المستدرك 1/526, والبيهقي في السنن الكبرى 4/56, وقال الحاكم: صحيح الإسناد, ووافقه الذهبي.

3 (2) لم يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ القرآن على روح الأموات, ولم يكن يلقن الميت كما عرف عند الناس اليوم؛ لأن الحديث الوارد في ذلك لم يصح, ويجوز الجلوس عند القبر أثناء الدفن بقصد تذكير الحاضرين بالموت وما بعده لحديث البراء بن عازب الطويل, انظر: الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات للألوسي ص91, تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, ط/الرابعة, المكتب الإسلامي- بيروت, وأحكام الجنائز وبدعها ص197-198.

ولم يكن من هديه- صلى الله عليه وسلم- تعلية القبور ولا بناؤها بآجر ولا بحجر ولبن ولا تطيينها ولا بناء القباب عليها[1], فكل هذا بدعة مكروهة مخالفة لهديه- صلى الله عليه وسلم, وقد بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن ألا يدع تمثالا إلا طمسه ولا قبرا مشرفا إلا سواه, فسنته- صلى الله عليه وسلم- تسوية هذه القبور المشرفة كلها, ونهى أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه[2], وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ولا لاطئة, وهكذا كان قبره الكريم وقبر صاحبيه, فقبره- صلى الله عليه وسلم- مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين, وهكذا كان قبر صاحبيه, وكان يعلم قبر من يريد تعرف قبره بصخرة.

ونهى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها, واشتد نهيه في ذلك حتى لعن فاعله[3], ونهى عن الصلاة إلى القبور, ونهى أمته

---

1. (3) لا يجوز البناء على القبور لأنه بدعة, وهو أيضا من باب الغلو في تعظيم من دفن في ذلك القبر؛ فيكون من الوسائل المؤدية إلى الشرك, قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما بناء المساجد على القبور وتسمى مشاهد فهذا غير سائغ بل جميع الأمة ينهون عن ذلك" مجموع الفتاوى 24/318, ويستحب رفع القبر عن الأرض قدر شبر أو قريبا منه لما رواه جابر بن عبد الله (أن النبي صلى الله عليه وسلم ألحد ونصب عليه اللبن نصبا ورفع قبره من الأرض نحوا من شبر) أخرجه ابن حبان والبيهقي.

2. (4) على الرغم من اختلاف العلماء في هذه المسألة على قولين إلا أن الراجح هو تحريم الكتابة على القبر؛ لأن هذا هو الذي دل عليه الدليل مثل حديث جابر بن عبد الله قال: (نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور, وأن يكتب عليها, وأن توطأ) وفي رواية: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شيء) أخرجه والترمذي برقم (1052) وقال: حسن صحيح, وابن ماجه برقم (1563) عن جابر. وانظر: أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية ص173-179.

3. (1) اتخاذ القبور مساجد حرام, وردت فيه أحاديث صحيحة صريحة, منها قوله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد..) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (4441), ومسلم في صحيحه برقم (529) عن عائشة, وقوله عليه الصلاة والسلام: (أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور, أولئك شرار الخلق عند الله) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (1341), ومسلم في صحيحه برقم (528) عن عائشة.

أن يتخذوا قبره عيدا, ولعن زوارات القبور, وكان هديه ألا تهان القبور وتوطأ, وألا يجلس عليها ويتكأ عليها ولا تعظم بحيث تتخذ مساجد فيصلى عندها وإليها وتتخذ أعيادا وأوثانا.

أما هديه- صلى الله عليه وسلم- في زيارة القبور فهو أنه كان إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم, وهذه هي الزيارة التي سنها لأمته وشرعها لهم, وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين, وإنا إن شاء الله بكم لاحقون, نسأل الله لنا ولكم العافية)[1].

وكان هديه أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار, فأبى المشركون إلا دعاء الميت, والإشراك به, والإقسام على الله به, وسؤاله الحوائج, والاستعانة به, والتوجه إليه, بعكس هديه- صلى الله عليه وسلم- فإنه هدي توحيد وإحسان إلى الميت, وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت, وهم ثلاثة أقسام: إما أن يدعوا الميت أو يدعوا به أو عنده, ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد, ومن تأمل هدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين.

وكان في أول الإسلام قد نهى عن زيارة القبور صيانة لجانب التوحيد وقطعا للتعلق بالأموات وسدا لذريعة الشرك التي أصلها تعظيم القبور وعبادتها كما قال ابن عباس, فلما تمكن التوحيد من قلوبهم, واضمحل الشرك, واستقر الدين, أذن في زيارة يحصل بها مزيد الإيمان وتذكير ما خلق العبد له من دار البقاء, فأذن حينئذ فيها, فكان نهيه عنها للمصلحة وإذنه فيها للمصلحة.

وأما النساء فإن هذه المصلحة وإن كانت مطلوبة منهن لكن ما يقارن زيارتهن من المفاسد التي يعلمها الخاص والعام من فتنة الأحياء وإيذاء الأموات, والفساد الذي لا سبيل إلى دفعه إلا بمنعهن منها أعظم مفسدة من

---

[1] (2) سبق تخريجه ص135.

مصلحة يسيرة تحصل لهن بالزيارة, والشريعة مبناها على تحريم الفعل إذا كانت مفسدته أرجح من مصلحته, ورجحان هذه المفسدة لا خفاء به, فمنعهن من الزيارة من محاسن الشريعة[1].

وقد روى البيهقي وغيره من حديث محمد بن الحنفية عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في جنازة فرأى نسوة جلوسا فقال: ما يجلسكن؟ فقلن: الجنازة, فقال: (أتحملن فيمن يحمل؟) قلن: لا, قال: (فتدلين فيمن يدلي؟), قلن: لا, قال: (فتغسلن فيمن يغسل؟), قلن: لا, قال: (فارجعن مأزورات غير مأجورات)[2], وفي رواية: (فتحثين فيمن يحثو)[3] ولم يذكر الغسل.

فهذا يدل على أن اتباعهن الجنازة وزر لا أجر لهن فيه؛ إذ لا مصلحة لهن ولا للميت في اتباعهن لها, بل فيه مفسدة للحي والميت.

المبحث الثاني

---

1 (1) زيارة القبور للنساء محرمة تحريما مطلقا للأحاديث الواردة في لعن زوّارات القبور, فقد جاء في ذلك ثلاثة أحاديث, الأول: حديث أبي هريرة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور) أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان, الثاني: حديث ابن عباس رضي الله علنه قال: (لعن رسول الله صلي الله عليه وسلم زائرات القبور, والمتخذين عليها المساجد والسرج) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان, الثالث: حديث حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور) أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقي والإمام أحمد.

2 (2) رواه البيهقي في سننه 4/77 عن علي بن أبي طالب, وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد 3/129 برقم (4124).

3 (3) هذه الرواية عند البيهقي في السنن الكبرى 4/77, ومصنف عبد الرزاق 3/456.

الانحراف في أحكام الميت والقبور حكمه وصوره

صور الانحراف في أحكام الميت والقبور لدى مسلمي نيجيريا:

إن مما يدعو إلى الأسى والأسف معا ما يقوم به أهل الميت في نيجيريا بعد وفاة صاحبهم من إحداث البدع واقتراف المنكرات بشتى أنواعها مما يلحق الضرر بالميت بدلا من نفعه, وكأن هؤلاء الناس في شأن البدع التي يخترعونها عموا عن الهدي النبوي الذي هو أكمل هدي وخير ما يتبعه المرء المسلم في حياته وعند وفاته.

فقد كان أصل بعض هذه البدع من العادات والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد, بينما كان بعضها من أفعال أدعياء العلم ليشبعوا رغباتهم ويلبوا حاجاتهم؛ فوضعوا للمسلمين من البدع ما أماتوا به السنن.

هكذا بدلت السنن بالبدع حتى عند الموت الذي هو النهاية الحتمية لكل مخلوق, فأخذ الناس يتبعون ما اشتهر بينهم بأنه هو الطريق الصحيح مع أنه لا يخفى على كل ذي لب خلو هذه الأمور المتّبعة من فوائد دنيوية أو أخروية. وليتهم اتبعوا هدي المصطفى الكريم الحافل بالإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده, والمشتمل على إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعامل به الميت, وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه.

وإني لأقول في هذا الصدد: إنه من بين المسائل التي تناولتها سابقا في هذا البحث ليست هناك مسألة أحدث مسلمو نيجيريا فيها البدع مثل ما أحدثوا في أمور الميت والقبور, والسبب في ذلك خاف على كثير من الناس ولعل الأقرب هو اتباع العادات والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد؛ إذ قد تقرر أن بعض القبائل النيجيرية قبل دخولها في الإسلام لها طقوس جاهلية تعملها إذا توفي لها ملك أو شخصية كبيرة في المجتمع, ولعل بعض هذه الطقوس هي التي أدخلت في الدين الحنيف جهلا منهم, وقد يكون منشأ هذه البدع هي تقليد بعض المسلمين من يختلطون بهم من

النصارى والوثنيين في مجتمعهم, وكلا السببين وارد حسب علمي.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري تحت عنوان: (الجنازة كالوليمة في بلاد يوربا): "وهي من رواسب الجاهلية الأولى التي تسربت إلى الأوساط الإسلامية من جراء احتكاكهم واختلاطهم بالوثنيين والنصارى؛ لأن أهل الأديان الثلاثة كانوا يتداخلون فيما بينهم في الأسرة الواحدة, ويختلطون في السوق والعمل والبلد والشارع, وحاصله أن تشييع المسافر عادة متأصلة في نفوس أهل بلاد يوربا كاستقباله بموكب عظيم حسب مكانته الاجتماعية. وكان موتى ملوك يوربا القدماء يشيعون إلى مقابرهم في مواكب وحفلات, كما يقام لهم ذلك في حياتهم ومراسم توليتهم مثل ما في تقاليد الفراعنة المصريين, وإذا مات ملك من الملوك هيأ خلفه أو ابنه له عددا من ضحايا الأبقار والأغنام لتكون له زادا إلى العالم الثاني. وذلك أيضا يشبه ما كانت العرب تفعله في الجاهلية من العقر حيث إنهم كانوا ينحرون على قبور الموتى ويقولون إنه كان يعقرها للأضياف في حياته..."[1].

ومهما يكن فالانحراف في أحكام الميت والقبور يمكن تقسيمه إلى قسمين, وتحت كل قسم من هذين القسمين صور متعددة, أسردها في هذا المبحث سردا مع بيان أحكامها ثم أفصل القول فيما عظمت خطورتها في محو ما يقابلها من سنن المصطفى لدى كثير من مسلمي نيجيريا.

القسم الأول: انحرافات تحدث من وقت وفاة الميت إلى دفنه, وهي صور وأشكال شتى, منها:

1- الذكر عند غسل الميت حيث إن الغاسل إذا بدأ في غسل الميت يذكر لكل عضو يغسله ذكرا من الأذكار, وهذا من البدع المحدثة لعدم وروده فيما نقل عن السلف الصالح من هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- فيما يتعلق بالميت.

2- إصدار الصيحة العظيمة عند إخراج الميت إلى المقبرة, يسمونها وداعا للميت وقياما بحقه, وهي أيضا من

[1] (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص70.

البدع المنكرة؛ لأنها تعد من النياحة على الميت, والنياحة كما سبق ذكرها من كبائر الذنوب لقوله- صلى الله عليه وسلم: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة, وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)[1].

يضاف إلى ذلك ما يحدث أثناء هذا الصياح في الغالب من اختلاط الرجال بالنساء, ولا شك أن هذا منكر عظيم ومخالفة للسنة المطهرة.

3- الذكر حالة حمل الجنازة بالتهليل والتكبير والتسبيح وقراءة القرآن وغير ذلك, وهو أيضا من البدع المحدثة لعدم وروده عن السلف.

4- تعليق الصحيفة على الميت يكتب فيها آيات قرآنية أو أسماء الله تعالى أو أسماء الأنبياء أو أسماء الأولياء أو غير ذلك, تسمى بصحيفة العهد, تجعل على صدر الميت في القبر.

5- دفن الأموات في البيوت ونحوها دون المقابر, وهو مكروه؛ لأنه خلاف السنة, وقد كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يدفن أصحابه في البقيع[2], وكان الناس منذ عهده- صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا يدفنون الموتى في المقابر, يضاف إلى ذلك ما يفوز به المدفون في المقابر من الأموات من الدعاء والترحم عليهم من قبل من يزورهم أو يمر عليهم فيحصل لهم خير وبركة بسبب ذلك.

قال ابن عبد البر: "قد أجمع المسلمون كافة بعد كافة على جواز نقل موتاهم من دورهم إلى قبورهم, فمن ذلك

---

1 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب التشديد في النياحة- ص824 برقم (934) عن أبي مالك الأشعري.

2 (1) قال النووي في المجموع 5/243: "وحديث الدفن في البقيع صحيح متواتر معروف".

البقيع مقبرة المدينة, ولكل مدينة جبانة[1] يتدافن فيها أهلها"[2].

أما دفنه- صلى الله عليه وسلم- في بيته في حجرة عائشة رضي الله عنها فإن ذلك من خصوصياته- عليه الصلاة والسلام, يدل على ذلك حديث عائشة قالت: لما قبض رسول الله- صلى الله عليه وسلم- اختلفوا في دفنه, فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- شيئا ما نسيته قال: (ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه), ادفنوه في موضع فراشه[3].

قال ابن عبد البر: "والحديث المأثور (ما دفن نبي إلا حيث قبض) دليل ووجه على تخصيص الأنبياء بذلك"[4].

ولا تفوتني الإشارة إلى أن هذه الصورة تكثر عند مسلمي جنوب نيجيريا وشرقها دون شمالها.

القسم الثاني: انحرافات تحدث من بعد الدفن, ومنها:

1- غسل الأطراف من أثر الميت حين الرجوع من الدفن قبل دخول البيت, وهو بدعة لعدم وجود ما يدل على فعله عن السلف الصالح.

2- اجتماع أهل الميت في بيت واحد من أجل قبول العزاء:

---

1 (2) الجَبَّانَة: الصحراء, وتسمى بها المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء تسمية للشيء بموضعه. انظر: النهاية في غريب الأثر 1/673, المصباح المنير ص84 (مادة ج ب ن).

2 (3) الاستذكار للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري 3/58, تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض, ط/الأولى 1421هـ- 2000م, دار الكتب العلمية- بيروت.

3 (4) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الجنائز- باب [أين تدفن الأنبياء]- ص1748 برقم (1018) عن عائشة, وقال: هذا حديث غريب, وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه, وصححه الألباني في تلخيص أحكام الجنائز ص57. تلخيص أحكام الجنائز للشيخ محمد ناصر الدين الألباني, ط/الثالثة 1410هـ, مكتبة المعارف- الرياض. وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا.

4 (1) الاستذكار 3/58.

من الصور التي تندرج تحت هذا القسم ما اعتاده بعض مسلمي نيجيريا من اجتماع أهل الميت في بيت واحد من أجل قبول العزاء حيث إنهم يُعدون العدة, ويصفون الكراسي, ويشعلون الأضواء, وتكون حالتهم كأنهم في ليلة الزفاف.

3- صنع أهل الميت الطعام للوافدين لتعزيتهم, يبدأ ذلك من يوم وفاة الميت إلى اليوم الثالث أو السابع على التوالي على حسب رغبات خَلف الميت من أبنائه وأقربائه, وتنتج هذه الصورة بناء على وجود الصورة التي قبلها.

4- جلسة الدعاء للميت:

ويقترن بالصورتين السابقتين ما يسمى بالفداء وهو جمع عدد كبير من الناس يعملون التهليلات للميت, وهو يعتبر جلسة الدعاء للميت, يشارك فيها العلماء ويقدم لهم مبالغ مالية يقسمونها فيما بينهم في نهاية الجلسة. والعادة أن هذه الجلسة تعقد في اليوم الثالث بعد وفاة الميت, وقد تؤجل إلى اليوم السابع.

5- إقامة الحفلات كالتشريف النهائي للميت:

تقام الحفلات الكبيرة بعد الدفن كالتشريف النهائي للميت, وهي المسمى بذكرى الأربعين أو الذكرى السنوية؛ ذلك أنه يحدد لها اليوم الأربعون أو السنة بعد وفاة الميت.

وكل هذه الصور التي ذكرتها يشهد الواقع بشيوعها وانتشارها قديما وحديثا بين مسلمي نيجيريا, بل هي فتنة من الفتن التي عمت وأعمت ولا يزال يعاني من نتائجها السيئة[1] أبناء المسلمين في نيجيريا إلى يومنا هذا.

وقد وفق الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله أيما توفيق إذ أصاب وصف هذه الصورة من الانحرافات إصابة شافية مستوفاة حيث قال: "اجتماع الدعاء للميت يوم سابع الوفاة: ذلك أن المسلم إذا مات عن بنين كانوا يحضرون شهودا ويحضر الإمام وجماعته لتجهيزه والصلاة

---

[1] (1) المقصود بهذه المعاناة أنه لما تفاقم الأمر وأصبحت إقامة ذكرى الأربعين والذكرى السنوية منتشرة بين جميع الناس باختلاف طبقاتهم, أخذ من قدر عليه رزقه من الآباء المسلمين يفضلون إنفاق كل ما لديهم لإقامة هذه الحفلات لموتاهم, بدل صرف هذه الأموال في شؤون حياتهم وما هو أنفع لهم في دنياهم وأخراهم.

عليه ودفنه, ثم يجلسون للتعزية وللوعظ والتذكير بأن هذا سيكون حتما عاقبة كل أحد...؛ ثم يقولون: استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل وسلوا له التثبيت وتصدقوا عليه, ومن هنا يقوم أفراد العائلة والأسرة والمعارف والأصدقاء بتقديم ما يتيسر لكل واحد إلى الإمام وجماعته, فيأمر الإمام الجماعة بقراءة يس, أو تبارك أو شيء من القرآن أو القرآن كله أو الذكر بعدد من كلمة الشهادة ويهبون ثوابها وثواب الصدقات إلى الميت, فيوزع هذه الصدقات على الفقراء في المجلس[1], هكذا بدأ الأمر بالتدريج.

ثم يصنع أقارب الميت الطعام كل يوم يرسلون به إلى الفقراء في المساجد والزوايا والمدارس حتى اليوم السابع, فيعود الإمام وجماعته للدعاء للميت.

هذه هي الحالة الشائعة في بلاد يوربا وما يجاورها من بلاد غرب إفريقيا, ثم انقلب الأمر من سيئ إلى أسوأ حيث تسربت إليه الجاهلية الأولى المنتشرة بين الكفار قبل انتشار الإسلام"[2].

ثم مضى في وصف تلك الحفلات المسماة بذكرى الأربعين أو الذكرى السنوية والغرض من وراء إقامتها فقال: "فيجب أن يبذل كل غال ونفيس لإقامة الحفلات له (أي للملك المتوفى) إلى أقصى حد؛ لأن ذلك هو التشريف النهائي له, وكانت هذه الحفلات أولا مقتصرة على الملوك والأثرياء والعظماء, ثم امتدت إلى أفراد الناس في كل قبيلة وأسرة لكسب السمعة والشرف لها.

وكل من مات وخلف ابنا أو أخا فعلى هذا الخلف أن يقيم لجنازته حفلات التشريف النهائي, وكل من مات عنه والداه ولم يسبقهما بالموت فله أن يخرج على قومه ويباهيهم بالفرح والزينة, ويطعم الطعام ويسقي الشراب.

---

[1] (2) تلك هي الحالة في بداية الأمر, أما الآن فإنهم لا يوزعون شيئا منه على أي مسكين؛ لأن هذه الجلسات أصبحت مصدرا مهما لهم للتكسب؛ إذ قد يجدون في جلسة واحدة ما يزيد على عشرة آلاف ريال سعودي وخاصة إذا كان خلف الميت من أبنائه وأقربائه من الأثرياء.

[2] (3) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص69-70.

وكان الأمر متوقفا على قدر ثراء الخلف ثم تجاوز ذلك إلى حد المباراة والمنافسة والمغالاة حيث ينفق كل ذي سعة من سعته, أو من تركة الميت الراحل, ومن كان ذا عسرة فعليه أن يستدين ويرهن للدين كل ما يملك من ديار وعقار حتى يستطيع أن يغسل عن نفسه وأسرته عار العجز عن إقامة التشريف النهائي لميته الراحل, وعار عجزه عن الشكر على أنه خلف والديه, وإذا استطاع ذلك شمخ بأنفه بين أقرانه واختال في مشيته وطرب ورقص, وتغنى بمدحته المغنون, وذبح الذبائح, ووزع الأطعمة والأشربة على المدعوين"[1].

هذا هو الواقع المرير الذي يعيشه بعض مسلمي نيجيريا, فمثل هؤلاء مثل الذي يجرح نفسه بالسكين ويضحك, ألم يكن يشعر بالألم؟ ويا عجبا لكثير من المسلمين لم يأخذوا من العادات إلا زبالتها ونتنها وتقليد سفلة أهلها!!.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصورة من الانحرافات- أعني الاجتماع للدعاء وإقامة الحفلات- لم تقتصر على منطقة دون أخرى من المناطق النيجيرية, إلا أن أشكالها والأغراض وراء فعلها قد تختلف من قبيلة إلى أخرى.

ومما يؤكد ذلك كلام الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله حيث قال: "وشر ما في البدعة أنها تنتشر بسرعة حتى إنه بدأت مثل هذه العادة تجتاز حدود بلاد يوربا[2] إلى بلاد هوسا, حيث قرأت أخيرا للدكتور علي أبي

---

[1] (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص71-72.

[2] (2) رأي الشيخ آدم أن هذه الظاهرة منشأها بلاد يوربا بسبب اختلاطهم بالكفار من النصارى والوثنيين, أو بسبب نقل المسلمين تلك العادات الجاهلية إلى الإسلام, لكنني في شك كبير في صحة ما ذهب إليه فضيلته؛ ذلك لأن الشيخ عثمان بن فودي الفلاني قائد الدعوة الصكتية التي عاصمتها مدينة صوكوتو في شمال نيجيريا حاليا قد عد هذه الظاهرة ضمن البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أمر الجنائز والمقابر, انظر: إحياء السنة وإخماد البدعة ص125. والحق أن الاجتماع لقبول التعزية وجلسة الدعاء للميت وصنع أهل الميت الطعام للحاضرين ظاهرة منتشرة في المجتمع النيجيري ككل, إلا أنه قد يختلف وقت القيام بتلك الأمور والغرض من فعلها من قبيلة لأخرى. والله تعالى أعلم.

بكر في كتابه (الثقافة العربية في نيجيريا) أنه جرت مناظرات ومناقشات وردود بين علماء مدينة (كانو) حول الموضوع"[1].

ومع انتشار هذه الصورة من الانحرافات المتعلقة بالميت والقبور وشيوعها وكثرة الواقعين فيها إلا أنه وجد في المقابل من يتصدى لها بالرد والمحاربة من العلماء المصلحين, أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ آدم عبد الله الألوري الذي عد هذه الظاهرة من العادات والتقاليد الجاهلية, والشيخ عبد الباقي محمد[2], والشيخ مرتضى عبد السلام[3], وكلهم من علماء جنوب نيجيريا, وكذلك الشيخ عثمان بن فودي الفلاني, والشيخ محمد

---

1 (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص72.

2 (2) هو الشيخ عبد الباقي محمد ولد في مدينة (إيوو) إحدى مدن جنوب نيجيريا, بدأ مشوار حياته بنشاط دعوي اجتماعي في مطلع الخمسينات من القرن الماضي من خلال جمعية "الإصلاح الديني" والتي رأسها وشغل منصب المرشد والزعيم الروحي لها, جاهد في مقاومة البدع والخرافات، من خلال محاربة الدجالين وأصحاب الأفكار المنحرفة ممن يسترزقون بالدين، فحارب بعض السلوكيات مثل تعليق الحجب والتمائم بادعاء أهميتها في الحفظ والوقاية، ونهى عن قراءة الكف والخط في الرمل، وكذلك الاحتفال بالمآتم: الأربعين والذكرى السنوية للأموات واتخاذ قراءة القرآن في منازل الأغنياء والأمراء للتكسب، وحرم فرض ذبائح بمواصفات معينة على قراءة أجزاء من القرآن التي أصبحت عادة منتشرة, يعكف الآن على عتبة العقد الثامن من عمره, يقول عنه الداعية النيجيري محي الدين بللو: "لا يمكن أن ينسى أبدا أو يغفل عنه عند الحديث عن رجال أثروا في نيجيريا أو في بلاد اليوربا". .

3 (3) هو الشيخ مرتضى عبد السلام بن زبير بن هارون مؤسس ومدير المعهد العربي النيجيري في مدينة إبادن أشهر المدارس العربية في جنوب البلاد, من علماء السنة المحاربين للبدع والعادات الجاهلية المنتشرة في نيجيريا, كان جل كتاباته قصائد شعرية, توفي سنة 1428هـ, انظر: مرآة الناظرين في تعريف الآصال من العلماء في بلد إبادن تأليف مرتضى أبوبكر المعروف بابن المعلم ص96, ط/الأولى 1414هـ-1993م, دار الطباعة المحمدية- الأزهر, القاهرة.

الثاني بن الحسن الكافنغي[1], وهما من علماء شمال نيجيريا.

والغريب أن ممن يحارب هذه البدع في المجتمع النيجيري مشايخ الطائفة التجانية, على الرغم من أنهم معروفون باشتغالهم بأعمال قليلها مشروع وكثيرها مبتدع, كما أن عندهم من الانحرافات العقدية ما لا يعلمه إلا خالقهم جل وعلا, إلا أنهم في هذه المسألة تمسكوا بجانب الصواب ويحاربون تلك البدعة محاربة شرسة, ويهجمون من يقفون وراءها هجوما سافرا, فلا غرابة فإن الرب جل وعلا لم يخلق شرا محضا.

والحق الذي أيدته الأدلة أن اجتماع أهل الميت لقبول العزاء وعقدهم جلسة الدعاء بعد الدفن أو قبله وصنعهم الطعام للمعزِّين سواء من يوم وفاة صاحبهم إلى اليوم السابع أو بإقامة الحفلة في اليوم الأربعين أو بعد السنة كلها ليست من عمل السلف الصالح, وليست مشروعة, بل هي من البدع الشنيعة التي ينبغي للمرء أن يتجنبها.

فالتعزية ليس المقصود بها التهنئة, وإنما المقصود بها تقوية الإنسان على الصبر؛ ولذلك لا ينبغي للمصابين أن يجلسوا وينتظروا من يقدم عليهم للعزاء؛ لأن ذلك ليس من هدي المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه- وهدي صحابته الكرام عليهم رضوان الله, وإنما المشروع أن ينصرفوا لأداء مهمتهم من عمل أو دراسة أو تجارة, والذي رآهم أو قابلهم يعزيهم أثناء اللقاء سواء في المساجد أو في الطرقات, "ويعزيهم بما يظن أنه يسليهم, ويكف من حزنهم, ويحملهم على الرضا والصبر, مما يثبت عنه- صلى الله عليه وسلم- إن كان يعلمه ويستحضره, وإلا فبما تيسر له من الكلام الحسن الذي يحقق الغرض ولا يخالف

---

[1] (4) هو الشيخ محمد الثاني بن الحسن الكافنغي من مدينة كانو, كان تجاني الطريقة ومن أشهر المدافعين بالكتابة عن الطريقة التجانية, له مؤلفات منها: "المنح الحميدة في الرد على فاسد العقيدة", كتبه ردا على كتاب العالم السني الشيخ أبي بكر محمود غومي "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة".

الشرع"[1], وقد ذكر العلماء[2] أن خير ما يعزى به المصاب ما أمر به النبي- صلى الله عليه وسلم- رسول ابنته الذي أرسلته بخبر ابن لها كان في سياق الموت حيث قال- صلى الله عليه وسلم: (إن لله ما أخذ, وله ما أعطى, وكل شيء عنده إلى أجل مسمى فلتصبر, ولتحتسب)[3].

وكذلك الجلسة التي تعقد للدعاء للميت بعد الدفن حيث يستأجر القراء لقراءة القرآن على روحه فإنه من الأمور التي قد لبست على كثير من مسلمي نيجيريا حتى أظهرت لهم الباطل في صورة الحق[4]؛ ولذلك لا بد من بسط القول في المسألة لتوضيح ما فيها من حقيقة البدعة تعليما وتحذيرا, فأقول: الذي ورد عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقف على قبر الميت قليلا إذا فرغ من دفنه للدعاء له بالمغفرة والثبات, وكان يقول: (استغفروا لأخيكم, واسألوا له التثبيت, فإنه الآن يسأل)[5], كما ثبت عنه- عليه الصلاة والسلام- أنه كان يزور القبور ويدعو لأهلها, ويعلم أصحابه دعاء زيارة القبور, كما يعلمهم السورة من القرآن, ولم يثبت عنه- صلى الله عليه وسلم- أنه كان يجلس للدعاء بعد صلاة الجنازة, يقرأ في تلك الجلسة القرآن الكريم بعضه أو كله أو الأذكار أو غير ذلك, لا في يوم وفاة الميت ولا اليوم الثالث ولا السابع, ولم يكن ذلك كله من سننه, ولا سنة أصحابه, ولو حصل ذلك منه أو

---

1 (1) أحكام الجنائز وبدعها للشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني ص206.

2 (2) منهم الإمام النووي في كتابه المجموع 5/269 حيث قال بعد ذكره هذا الحديث: "وهذا الحديث أحسن ما يعزى به".

3 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه)...- ص100 برقم (1284), ومسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب البكاء على الميت- ص822 برقم (923) عن أسامة بن زيد.

4 (1) ذلك أن بعض الجماعات التي تنتمي إلى أهل السنة والجماعة قد جانبوا الصواب في هذه المسألة فكانوا يجلسون في اليوم الثالث بعد وفاة الميت للدعاء له ظنا منهم أن ذلك من السنة, وليس لهم مستند فيما ذهبوا إليه.

5 (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الجنائز- باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف- ص1465 برقم (3221) عن عثمان بن عفان, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (947).

منهم لنقل إلينا كما نقل الدعاء للميت عند الصلاة عليه, وبعد دفنه, وعند زيارة قبره.

"فقراءة القرآن بالإيجار لا ثواب فيها؛ لأن هؤلاء القراء لم يقرؤوه تعبدا لله تعالى وإنما قرأوا من أجل الأجرة. والعبادات إذا فعلت من أجل الأجرة لا يكون فيها الثواب؛ إذ إرادة الإنسان بعمله الدنيا مما يبطله, وإنما تنفع قراءة القرآن إذا كان القصد منها التقرب إلى الله تعالى, وكانت القراءة على الصفة المشروعة.

فالواجب على المسلم أن يترك مثل هذا العمل, وإذا أراد أن ينفع الأموات فإنه ينفعهم بما وردت به الأدلة من الترحم عليهم والاستغفار لهم والدعاء لهم والتصدق عنهم والحج أو العمرة عنهم, هذه هي الأمور التي وردت الأدلة بأنها تنفع المسلمين أحياء وأمواتا, أما فعل شيء لم يكن عليه دليل من الشرع فهذا يعتبر من البدع المخالفة"[1].

وصنع أهل الميت الطعام للمعزين وإقامة الحفلات لهم ولمن حضر من الأقارب أمر "لا أصل له, بل هو بدعة ومنكر ومن عادات الجاهلية, هذا بالإضافة إلى أن بذل الأموال فيما لا يقرب إلى الله أو لا ينتفع به المرء في دنياه من الأمور التي تعتبر سفها, ويعتبر بذل المال فيها إضاعة له, وقد نهى النبي- صلى الله عليه وسلم- عن إضاعة المال[2]"[3].

قال الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي: (كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام بعد الدفن من النياحة)[4], والنياحة من كبائر الذنوب؛ لأن النبي- صلى الله

1 (3) البدع والمحدثات وما لا أصل له جمع وإعداد حمود بن عبد الله المطر 311-312, ط/الأولى 1419هـ- 1998م, دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع- الرياض.

2 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاستقراض والديون- باب ما ينهى عن إضاعة المال- ص188 برقم (2408) عن المغيرة بن شعبة, ومسلم في صحيحه- كتاب الأقضية- باب النهي عن كثرة المسائل...- ص982 برقم (1715) عن أبي هريرة.

3 (2) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين 17/411-412, جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان دار ابن الهيثم- القاهرة.

4 (3) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب الجنائز- باب ما جاء في النهي

عليه وسلم- لعن النائحة في قوله- عليه الصلاة والسلام: (أربع في أمتي من الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب, والطعن في الأنساب, والاستسقاء بالنجوم, والنياحة), وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ودرع من جرب)[1].

وقال النووي في المجموع: "وأما الجلوس للتعزية, فنص الشافعي والمصنف [أي الشيرازي] وسائر الأصحاب على كراهته, قالوا: يعني بالجلوس لها أن يجتمع أهل الميت في بيت فيقصدهم من أراد التعزية, قالوا: بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم فمن صادفهم عزاهم, ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها"[2].

وبناء على ذلك فإنه يحرم[3] الجلوس للتعزية وصنع أهل الميت الطعام للناس؛ لأنهما مخالفان للسنة, والمشروع أن ينصرف أهل الميت إلى مهمتهم وأن يصنع جيرانهم وأقرباؤهم طعاما يشبعهم يبعثون به إليهم لأنهم مشغولون بالمصيبة؛ لحديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا لآل جعفر طعاما, فقد أتاهم أمر يشغلهم, أو أتاهم ما يشغلهم)[4].

عن الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام- ص2573 برقم (1612), وأحمد في مسنده 2/204, والطبراني في المعجم الكبير 2/307 عن جرير بن عبد الله البجلي, وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

1 (4) سبق تخريجه ص481.

2 (5) المجموع شرح المهذب تأليف أبي زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي 5/270- 271, دار الفكر- بيروت 1997م.

3 (1) أنسب حكم لهذه الأمور أن يكون محرما لأنها بدعة ويقترن بها محدثات أخرى مثل لطم الخدود وشق الجيوب وحزن وتسخط على قدر الله وتذكر الميت حتى تبقى المصيبة في قلوب أهله لمدة طويلة وكلها من البدع, وكل بدعة ضلالة. انظر: الأذكار للنووي 1/352, كتاب الكبائر للذهبي ص183.

4 (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الجنائز- باب صنعة الطعام لأهل الميت- ص1459 برقم (3132), والترمذي في سننه- كتاب الجنائز- باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت- ص1746 برقم (998) وقال: هذا حديث حسن صحيح وقد كان بعض أهل العلم يستحب أن يوجه إلى أهل الميت شيء لشغلهم بالمصيبة وهو قول الشافعي, وابن ماجه في سننه- كتاب الجنائز- باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما صنعة الطعام لأهل الميت فمستحبة كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم)"[1].

6- البناء على القبور وتجصيصها وتظليلها:

لم يكن المسلمون في جنوب نيجيريا يبنون على القبور ولا يظللونها على الرغم من كثرة دفن موتاهم في البيوت لكنهم كانوا يحيطون القبر بجدار من الجص لا يزيد ارتفاعه على شبر, بينما كان البعض منهم يجصصونه ويتركون موضع ثلاثة أقدام على ظاهره, وكذلك الشأن في شمال نيجيريا فإنهم لم يكونوا يبنون على القبور ولا يجصصونها ولا يظللونها؛ إذ المتبع عندهم أساسا هو سنة الدفن في المقبرة إلا ما وجد عند الطائفة القادرية فإنهم يبنون على قبور مشايخهم ويظللونها ويضعون الستار عليها.

يقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي واصفا ما شهده عند زيارته لدولة نيجيريا ومروره بقبر الشيخ عثمان بن فودي للتسليم عليه والدعاء له: "قصد بنا الدليل مكانا آخر هو قبر الشيخ, وهو داخل غرفة ليست بالكبيرة, مرفوع بمقدار قامة الرجل, وعليه ستارة من القماش الأزرق كتب عليه بالعربية: (هذا مقام القطب الرباني المجدد الشيخ عثمان بن فودي رضي الله عنه)"[2].

ذلك هو قبر الشيخ عثمان بن فودي, وعلى نفس النمط دفن الشيخ محمد بن ناصر الكبرَى في مدينة "كانو" والشيخ آدم عبد الله الألوري في مدينة "لاغوس" وقد مررت بالمكانين أثناء جولتي في ربوع البلاد لجمع المواد العلمية لهذا البحث.

الميت- ص2573 برقم (1610), وأحمد في مسنده 1/205 عن عبد الله بن جعفر, وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير 2/138 بعد ذكره لرواته عن عبد الله بن جعفر: وصححه ابن السكن, ورواه أحمد والطبراني وابن ماجه من حديث أسماء بنت عميس وهي والدة عبد الله بن جعفر.

[1] (3) مجموع الفتاوى 24/381.

[2] (1) قصة سفر في نيجيريا 2/99-100.

وكل هذه الأمور التي تفعل عند القبور من تجصيص وتظليل ووضع الستور والزينات والقباب, والبناء عليها لا تجوز؛ لأنها من باب الغلو في تعظيم من دفنوا في تلك القبور, فتكون من وسائل الشرك, وقد حذر النبي- صلى الله عليه وسلم- الأمة من هذه الأمور كلها في غير ما حديث, منها:

أ- حديث جابر قال: نهى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه[1].

ب- حديث عائشة, قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله)[2].

ج- حديث أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته[3].

قال الشوكاني في شرح هذا الحديث: "ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القبب والمشاهد المعمورة على القبور وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- فاعل ذلك كما سيأتي, وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام, منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام, وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب, وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم, وشدوا إليها الرحال, وتمسحوا بها واستغاثوا,

---

[1] (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه- ص830 برقم (970) عن جابر.

[2] (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصلاة- باب الصلاة في البيعة- ص37 برقم (434), ومسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب النهي عن بناء المسجد على القبور...- ص760 برقم (528) عن عائشة.

[3] (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب الأمر بتسوية القبور- ص830 برقم (969) عن أبي الهياج الأسدي.

وبالجملة إنهم لم يدَعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه, فإنا لله وإنا إليه راجعون"[1].

وعلى هذا, فالبناء على القبور محرم سواء كان المبني مسجدا أو بيتا أو قبة لعموم أحاديث النهي عن البناء على القبور.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عنه متابعة للأحاديث[2].

7- أداء بعض العبادات عند القبور مثل الصلاة والدعاء وقراءة القرآن والأذكار وغير ذلك, مثل ما يفعله الطائفة القادرية عند قبور مشايخهم.

قال عبد الجبار بن محمد الناصر المختار كبر: "إن أحدا منا لا يقوم بعبادة مثله من الخلق حيا كان أو ميتا, لكننا نكِنُّ احتراما وتقديرا لكل من شهد الواقع له بالصلاح, في حياته وبعد مماته فهما عندنا سواء, والذي نقوم به تجاه الصالحين الأموات هو الزيارة, وغايتها القصوى الدعاء لهم, وطلب الدعاء منهم, والاعتبار بهم, وليس العبادة كما يفتري أتباع السلفية"[3].

وما أغرب هذا الكلام!! وهل هناك صرف عبادة لغير الله أعظم من طلب الدعاء من الموتى والاستغاثة بهم؟ ويا عجبا لهم! إنه ارتياد للتيه فرارا من آفاق اليقين والنور, وهكذا شأن الكثير منهم لا يطيب لهم عيش, ولا يهنأ لهم بال إلا إذا افتروا على السلفيين وكذبوا عليهم,كذبا مكشوفا حينا ومغطى حينا آخر والله المستعان.

وزيارة القبور لأداء بعض العبادات عندها من الزيارات غير المشروعة, فإذا كانت العبادات التي فعلت عند القبور قصد بها الموتى كدعائهم والاستغاثة بهم أو الذبح والنذر

---

1 (1) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني 4/91, ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ط/الأولى 1415هـ- 1995م, دار الكتب العلمية بيروت.

2 (2) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص329.

3 (3) عصا موسى بين حبال السحرة: كتاب يرد على مجسمة هذا العصر (المتمسلفة) تأليف عبد الجبار بن محمد الناصر المختار كبر القادري ص13.

لهم فهذا منكر عظيم وشرك أكبر, أما إذا كانت العبادات موجهة إلى الباري جل وعلا لكنها فعلت عند القبور فتلك بدعة ومن وسائل الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد اتفق أئمة المسلمين على أن الصلاة في المشاهد ليس مأمورا بها, لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب, ولا في الصلاة في المشاهد التي على القبور ونحوها فضيلة على سائر البقاع, فضلا عن المساجد, باتفاق أئمة المسلمين, فمن اعتقد أن الصلاة عندها فيها فضل على الصلاة على غيرها أو أنها أفضل من الصلاة في بعض المساجد فقد فارق جماعة المسلمين, ومرق من الدين"[1].

ولقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن اتخاذ القبور أماكن للعبادة وخاصة الصلاة, فمن ذلك:

أ- حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها)[2].

ب- حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام)[3], ومثله حديث أنس قال: نهى رسول الله- صلى الله عليه

وسلم- عن الصلاة بين القبور[4].

---

1 (1) مجموع الفتاوى 24/318.

2 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه- ص830 برقم (972), والنسائي في سننه- كتاب القبلة- باب النهي عن الصلاة إلى القبر- ص2136 برقم (760), وأحمد في مسنده 4/135 عن أبي مرثد الغنوي.

3 (3) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الصلاة- باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام- ص1671 برقم (317), وابن ماجه في سننه- كتاب المساجد والجماعات- باب المواضع التي تكره فيها الصلاة- ص2521 برقم (745), وابن حبان في صحيحه 6/92 برقم (2321), والحاكم في المستدرك 1/380 عن أبي سعيد الخدري, وقال الحاكم: هذه الأسانيد (يعني إسناد هذا الحديث والذي قبله) كلها صحيحة على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في التلخيص.

4 (1) أخرجه ابن حبان في صحيحه 6/89 برقم (2318), وأبو يعلى في

وأداء العبادات مثل الصلاة وغيرها في المقابر يترتب عليه مفاسد عظيمة, منها التشبه بالأمم الضالة من اليهود والنصارى والمشركين ممن يعظمون القبور[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ووجه الدلالة أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدا, فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان, ثم قرن ذلك بقوله- صلى الله عليه وسلم: (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا)[2] أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور, فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور, وهذا عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم"[3].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب: أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس, وهؤلاء من جنس عباد الأصنام"[4].

وقال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال: القبر القبر[5], وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة ما نهاهم عنه نبيهم- صلى الله عليه وسلم- من الصلاة عند القبور"[6].

وقال العلامة حافظ الحكمي: "وأما عبادة الله عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشد وأغلظ؛ لأنه ذريعة مفضية إلى عبادة المقبور نفسه"[7].

مسنده 5/174, وقال الهيثمي في نجمع الزوائد 2/143: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

[1] (2) أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور عبد الله بن عمر بن محمد السحيباني ص339, ط/الأولى 1426هـ- 2005م دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- الدمام.

[2] (3) سبق تخريجه ص366.

[3] (4) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص323.

[4] (5) إغاثة اللهفان 1/217.

[5] (6) سبق تخريجه ص356.

[6] (7) تيسير العزيز الحميد ص249.

[7] (1) معارج القبول 2/656.

فبهذه الأدلة الكثيرة والصريحة في النهي عن فعل أية عبادة عند المقابر وخاصة الصلاة تبين أن هذا الفعل محرم ولا يجوز.

أما الزيارة المشروعة فهي التي يقصد بها الدعاء للأموات والترحم عليهم وتذكر الموت والإعداد للآخرة, لقوله- صلى الله عليه وسلم: (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة)[1], وقد سن ذلك بفعله أيضا حيث كان يزور القبور, وهكذا صحابته الكرام رضوان الله عليهم, إلا أن زيارتهم للأغراض المذكورة سابقا.

قال الصنعاني في سبل السلام بعد أن ذكر أحاديث الإذن بزيارة القبور: "والكل دال على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها وأنها للاعتبار, فإنه في لفظ حديث ابن مسعود (فإنها عبرة وذكرى للآخرة والتزهيد في الدنيا)[2], فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً"[3].

ومما يدعى به عند زيارة القبور أو المرور عليها قوله- صلى الله عليه وسلم- في حديث عائشة: (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين, ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين, وإنا إن شاء الله بكم للاحقون)[4].

---

1 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه- ص831 برقم (976), وأبو داود في سننه- كتاب الجنائز- باب في زيارة القبور- ص1466 برقم (3234), والنسائي في سننه- كتاب الجنائز- باب زيارة قبر المشرك- ص2220 برقم (2036), وابن ماجه في سننه- كتاب الجنائز- باب ما جاء في زيارة القبور- ص2570 برقم (1569) عن أبي هريرة, وهذا اللفظ لابن ماجه.

2 (3) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب الجنائز- باب ما جاء في زيارة القبور- ص2570 برقم (1571), والبيهقي في شعب الإيمان 7/15, والحاكم في المستدرك 1/531 عن ابن مسعود, ولم أجده بهذا اللفظ وإنما ورد بلفظ: (كنت نيهتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة).

3 (4) سبل السلام 1/73.

4 (5) سبق تخريجه ص135.

وزيارة النساء للقبور مسألة اختلف فيها العلماء, فمنهم من كرهها[1], ومنهم من أباحها إذا لم تشتمل على محذور[2], ومنهم من حرمها[3], والراجح الذي تقتضيه الأدلة من أقوال أهل العلم أن زيارة النساء للقبور حرام؛ لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج[4], فهذا دليل على أنها من كبائر الذنوب لأنه ترتبت عليها اللعنة, والذنب إذا رتبت عليه اللعنة صار من كبائر الذنوب, "فاللعن على الفعل من أدل الدلائل على تحريمه"[5], "وأيضا فإن الصلاة على الجنائز أوكد من زيارة القبور ومع هذا فقد ثبت في الصحيح أن النبي- صلى الله عليه وسلم- نهى النساء عن اتباع الجنائز[6] وفي ذلك تفويت صلاتهن على الميت, فإذا لم يستحب لهن اتباعها لما فيها من الصلاة والثواب فكيف بالزيارة؟"[7].

---

1 (1) وهو رواية عن الإمام أحمد, انظر: المغني في فقه الإمام أحمد الشيباني لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبي محمد 2/430, وحاشية ابن القيم على سنن أبي داود للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية 9/42, ط/الثانية1415هـ دار الكتب العلمية بيروت.

2 (2) ذهب إلى القول بالجواز الإمام أحمد في رواية عنه انظر: المغني لابن قدامة 2/430, والشوكاني في نيل الأوطار 4/165, والحافظ ابن حجر في فتح الباري, والشيخ محمد ناصر الدين الألباني في أحكام الجنائز وبدعها 229-237.

3 (3) منهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 24/343-356, وابن القيم الجوزية في حاشيته 9/43-45.

4 (4) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الجنائز- باب في زيارة النساء القبور- ص1466 برقم (3236), والترمذي في سننه- كتاب الصلاة- باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا- ص1671 برقم (320) وقال: حديث ابن عباس حديث حسن, والنسائي في سننه- كتاب الجنائز- باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور- ص2221 برقم (2045) عن عبد الله بن عباس.

5 (5) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية 9/43, ط/الثانية 1415هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.

6 (6) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز- باب اتباع النساء الجنازة- ص99 برقم (1278), ومسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب نهي النساء عن اتباع الجنائز- ص825 برقم (938) عن أم عطية.

7 (7) مجموع الفتاوى 24/345.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذا كان النساء منهيات عما جنسه فرض على الكفاية ومصلحته أعظم إذا قام به الرجال فما ليس بفرض على أحد أولى"[1].

حكم هذه الصور:

فهذه الصور المذكورة للانحرافات المتعلقة بالميت قد أشار إليها الشيخ عثمان بن فودي الفلاني رحمه الله في معرض ذكره للبدع التي أحدثها الناس في أمر الجنائز والمقابر وحكم عليها جميعا بأنها من البدع, وهي في حقيقة الأمر من البدع الشنيعة لعدم ورود تلك الأفعال في هدي النبي الكريم في التعامل مع الميت, وقد قال- صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2], وفي رواية: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[3].

وعلى الرغم من أن الصور المذكورة كلها من البدع إلا أن أحكام بعضها تختلف عن بعض, فمن تلك البدع ما هي شركية تخرج صاحبها من الملة كأداء بعض العبادات عند القبر يقصد بها صاحب القبر, ومنها ما هي محرمة وليست من الشرك, ومنها ما هي مكروهة, ومع هذا كله فالجدير بالمرء المسلم اجتناب هذه الأعمال التي حكم عليها بالبدع لكونها تخالف السنة التي هي الدين وقد قال رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه: (... وإياكم ومحدثات الأمور, فإن شر الأمور محدثاتها, وكل محدثة بدعة, وكل بدعة ضلالة)[4].

فالبدع كلها مردودة ليس منها شيء مقبولا, وكلها قبيحة ليس فيها حسن, وكلها ضلال ليس فيها هدى, وكلها أوزار ليس فيها أجر, وكلها باطل ليس فيها حق[5].

ولذلك فأي فعل من الأفعال المذكورة فيما يتعلق بالميت والقبور لا يجوز للمسلـم

---

1 (8) المرجع السابق 24/347.

2 (1) سبق تخريجه ص43.

3 (2) سبق تخريجه ص43.

4 (3) سبق تخريجه ص75.

5 (4) معارج القبول 3/1419.

فعله بنية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى إلا أن يتحرى فيه شريعة الله؛ لأن الأصل في العبادات المنع والحظر[6] إلا ما قام الدليل على مشروعيته.

وإذا كان أصل ذلك العمل من العادات والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد فإنه يعرض على الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة فإن وافقها فهو مقبول لا لأنه عادة ولكن لأنه وافق هذه الأصول, وإن خالفها فيجب أن يرفض.

وبنـاء على هـذا فجميع صـور الانحرافـات الـتي ذكرتها في هذا المبحث فيما يتعلق بـالميت والقبـور تعد من البـدع الــتي ما أنــزل الله بها من ســلطان ولم ينقل عن النــبي- صلى الله عليه وسـلم- ولا صـحابته الكـرام عليهم رضـوان اللــه, فيجب تجنبها واتبــاع هــدي النــبي- صــلى الله عليه وسلم- وهدي صـحابته الكـرام رضي الله عنهم في التعامل مع الميت والقبــور؛ لأن الخــير كله في اتبــاعهم وســلوك سـبيلهم كما قـال الله جل وعلا: [illegible] (التوبة:100), فالاعتصام بالكتاب والسنة وما عليه سلف هـذه الأمة نجـاة كل نجاة.

ولما كــانت أصــول هــذه الانحرافــات كلها هي اتبــاع العادات والتقاليد فلا ينبغي إذن للمنتسـبين للعلم الشـرعي من العلمــــاء وطلبة العلم في نيجيريا أن يخضــــعوا لتلك العـادات وأن يقولـوا: كيف ننكر على آبائنا وأمهاتنا وإخواننا أمورا قد تعـودوا عليهـا, بل يفهّمـونهم خطـورة هـذا التقليد مساهمة منهم في إصلاح أوضـاع المسـلمين وتطهيرها مما يخـالف الشـرع المطهـر؛ لأنهم إذا تسـاهلوا في الإنكـار أو تغافلوا ما صلح شيء, وإنما تبقى الأمــور على ما هي عليها

---

[6] (5) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم الجوزية 1/344, أحكام أهل الذمة للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية 2/715, تحقيق يوسف أحمد البكري, شاكر توفيق العاروري, ط/الأولى 1418هـ- 1997م, دار ابن حزم- الدمام رمادي للنشر- بيروت.

أو تزداد فسادا حتى تتأصل تلك البـدع في النفـوس وتصـبح جزءا من عقيدة كثير من أهل الجهل, وكأن قد.

الفصل السابع
الولاء والبراء

المبحث الأول
تعريف الولاء والبراء لغة واصطلاحا, ومنزلتهما من الشرع, وعلاقتهما بتوحيد الألوهية

أولا: تعريف الولاء والبراء لغة واصطلاحا:

الولاء في اللغة: المحبة, والنصرة, والقرب أو الدنوّ, والولي: المحب, والصديق, والنصير, وهو ضد العدو, والموالاة والوَلاية: ضد المعاداة[1].

والولاء في الاصطلاح هو: محبة المؤمنين, ونصرتهم, والنصح لهم, وإعانتهم, والرحمة بهم, وما يلحق بذلك من حقوق المؤمنين[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الواجب على كل مسلم أن يكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته تابعا لأمر الله ورسوله؛ فيحب ما أحبه الله ورسوله, ويبغض ما أبغضه

---

[1] (1) انظر: القاموس المحيط ص1732, ولسان العرب 15/405, ومختار الصحاح ص740, ومعجم مقاييس اللغة ص1064- 1065, والمصباح المنير ص552, والنهاية في غريب الأثر 5/510.

[2] (2) تسهيل العقيدة الإسلامية ص543, وانظر: تيسير العزيز الحميد ص359, والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص51-52, تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى ط/الأولى 1420هـ- 1999م, دار الفضيلة للنشر والتوزيع- الرياض, ودار ابن حزم- بيروت.

الله ورسوله, ويوالي من يوالي الله ورسوله, ويعادي من يعادي الله ورسوله"[1].

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: [[illegible] (التوبة: 71): أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبك بين أصابعه[2], وفي الصحيح أيضا (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[3]][4].

البراء في اللغة: التباعد عن الشيء ومفارقته, والتخلص منه, يقال: تبرأت من كذا, فأنا منه براء, وبريء منه, وفي لسان العرب: "قال ابنُ الأَعرابي بَرِئَ إِذا تخَلَّصَ, وبَرِئَ إِذا تَنَزَّهَ وتباعَدَ, وبَرِئَ إِذا أَعْذَرَ وأَنذَرَ, ومنه قولهُ تعالى: [illegible] (التوبة:1) أي: إِعْذارٌ وإِنذارٌ"[5].

والبراء في الاصطلاح هو: بغض أعداء الله من المنافقين وعموم الكفار, وعداوتهم, والبعد عنهم, وجهاد الحربيين منهم بحسب القدرة[6].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: [illegible]

---

1 (3) مجموع الفتاوى 35/94.

2 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المظالم- باب نصر لمظلوم- ص192 برقم (2446), ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والأدب- باب تراحم المؤمنين وتعطفهم وتعاضدهم- ص1130 برقم (2585) عن أبي موسى.

3 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب رحمة الناس والبهائم- ص509 برقم (6011), ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والأدب- باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم- ص1130 برقم (2586) عن النعمان بن بشير.

4 (2) تفسير ابن كثير 2/1315.

5 (3) لسان العرب 1/31, وانظر: معجم مقاييس اللغة ص111, والمفردات ص51 مادة (برأ).

6 (4) تسهيل العقيدة ص552, وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص818 تفسير الآية (4) من سورة الممتحنة, والفتاوى السعدية للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص22, ط/الأولى 1415هـ- 1995م, عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.

(الممتحنة:4), قال: "يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم.. ... " إلى أن قال: "وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم"[1].

ثانيا: منزلة عقيدة الولاء والبراء من الشرع:

إنه بعد محبة الله ورسوله تجب محبة أولياء الله ومعاداة أعدائه, وهذا هو المقصود بالولاء والبراء اللذان هما أصل من أصول العقيدة الإسلامية, فيجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها, فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم, ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم[2].

ولعقيدة الولاء والبراء منزلة عظيمة في الشرع المطهر, يتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

أ- أن هذه العقيدة أصل عظيم من أصول الإيمان, يكفينا حجة على ذلك قول الصادق المصدوق- صلوات الله وسلامه عليه- في الحديث الشريف: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "كان رأس الإيمان الحب في الله والبغض في الله, وكان من

---

[1] (5) تفسير ابن كثير 4/2824.

[2] (1) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ص307, ط/الأولى 1424هـ دون بيانات أخرى, وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة للدكتور صالح بن فوزان الفوزان 1/221, تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض, ط/الأولى 1422هـ.

[3] (2) مصنف ابن أبي شيبة 7/80, مسند الطيالسي تأليف سليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي 1/101, دار المعرفة- بيروت, دون بيانات أخرى, أخرجاه عن البراء بن عازب, وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (3030).

أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان"[1].

ب- كثرة ما ورد فيها من الأدلة والبراهين:

ففي كتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم- عليه الصلاة والسلام- أدلة كثيرة توجب على المسلم موالاة عباد الله المؤمنين, وتوجب عليه البراء من أعدائه بجميع أصنافهم, وتحرم عليه موالاتهم, وهذه الأدلة كثيرة موفورة في المصدرين المذكورين حتى قال بعض أهل العلم: "أما معاداة الكفار والمشركين, فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك وأكد إيجابه, وحرم موالاتهم وشدد فيها, حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم, بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده"[2].

فمن الأدلة على وجوب موالاة المؤمنين قوله تعالى: [illegible] (التوبة: 71).

وقوله تعالى: [illegible] (المائدة:55-56).

ومن الأدلة على وجوب البراء من الكافرين وتحريم موالاتهم قوله تعالى: [illegible] (الممتحنة:4).

وقوله تعالى: [illegible] (الممتحنة:1).

ج- ما ذكره بعض أهل العلم بأن هذه العقيدة من مقتضيات كلمة التوحيد:

---

1 (3) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ص9, تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة.

2 (1) سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك تأليف الشيخ حمد بن علي بن عتيق ص26, طبعة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ط/السابعة 1423هـ- 2002م.

وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي أفضل الكلمة, وأفضل الذكر, وهي كلمة الإخلاص؛ "وذلك لما اشتملت عليه من توحيد الله الذي هو أفضل الأعمال وأساس الملة, فمن قالها بإخلاص ويقين, وعمل بمقتضاها ولوازمها, واستقام على ذلك فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[1].

فمن والى عباد الله المؤمنين وعادى أعداءه من المنافقين والمشركين والكافرين فإنه قد أتى بشيء مما يقتضيه معنى كلمة التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه, ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه, وهذا حقيقة لا إله إلا الله, وهى ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين, وكان النبي- صلى الله عليه وسلم- يقول لأصحابه: (قولوا: أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين)[2]"[3].

د- أن الإخلال ببعض صورها مما يخرج المرء من الدين ويدخله في دائرة الكفر, فهناك بعض صور موالاة الكفار هي من نواقض الإسلام وأسباب الردة مثل مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين بغضا لدين الإسلام[4], وكذلك مودتهم لأجل دينهم وسلوكهم, والرضا بأعمالهم, وتمني انتصارهم على المسلمين[5], ويدل على

---

1 (2) تيسير العزيز الحميد ص85.

2 (1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى 6/4 برقم (9831), والدارمي في سننه 2/378 برقم (2688), وأحمد في مسنده 3/406, عن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2989).

3 (2) مجموع الفتاوى 28/32.

4 (3) عدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الناقض الثامن من نواقض الإسلام, انظر: دروس في شرح نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب ألقاها الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ص158, أخرجها محمد بن فهد الحصين ط/الثانية 1425هـ- 2004م مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض.

5 (4) انظر: مجموعة التوحيد المعروف بـ (مجموعة التوحيد النجدية) ص

ذلك قوله تعالى: [illegible] (المائدة:51).

ثالثا: علاقة هذه العقيدة بتوحيد الألوهية:

إن العبادة التي تُوجَّه إلى الله تعالى لا بد أن تتضمن المحبة وإلا لا تكون عبادة؛ إذ "مناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل, ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر"[1], وعقيدة الولاء والبراء بمعناها الاصطلاحي هي محبة المؤمنين ونصرتهم من أجل إيمانهم وبغض أعداء الله من المنافقين وعموم الكفار وعدم نصرتهم. إذن, فإن هذه العقيدة بركنيها: الحب والنصرة, جمعَ بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح, وأي عمل يتعبد الله به لا يقبل من العبد إلا إذا أفرد به وجه الله تعالى, وإذا كان الأمر كذلك فالولاء والبراء من الأعمال التي يجب على المسلم إخلاصها بكل ما تعنيه لله سبحانه وتعالى, وهذا هو توحيد الألوهية.

إن ولاء المسلم لله تعالى يستلزم ولاءه لرسول الله؛ إذ "هو المبلغ عن الله, وأمينه على وحيه, والمرسَل من قبل ربه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور, ومن الشرك إلى التوحيد, ومن الكفر إلى الإيمان, ومن الجهل إلى العلم, فكان واجبا على المسلم أن يوالي هذا الرسول الهادي إلى صراط الله المستقيم"[2].

وكما يستلزم ولاء المسلم لله تعالى ولاءه لرسول الله كذلك يستلزم ولاءه لعباد الله المؤمنين؛ لأنه لما "أحب الله وأحب رسوله حري به أن يحب كل من أحب الله وأحب رسوله من المؤمنين"[3].

240, طبعة الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة 1419هـ- 1999م, والولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف تأليف محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ص232.

1 (1) معارج القبول 2/541.

2 (2) حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة تأليف سيد سعيد عبد الغني ص41, تقديم الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام والشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع والشيخ سعيد بن مسفر القحطاني ط/الأولى 1419هـ- 1998م دار ابن حزم- الرياض.

3 (3) حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة ص45.

ومحبة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ومحبة عباد الله المؤمنين كلتاهما تابعة لمحبة الله تعالى؛ لأنه لا أحد يحَب لذاته إلا الله جل وعلا, قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "لهذا فرق الله ورسوله بين من أحب مخلوقا لله وبين من أحب مخلوقا مع الله, فالأول يكون الله هو محبوبه ومعبوده الذي هو منتهى حبه وعبادته لا يحب معه غيره لكنه لما علم أن الله يحب أنبياءه وعباده الصالحين أحبهم لأجله, وكذلك لما علم أن الله يحب فعل المأمور وترك المحظور أحب ذلك فكان حبه لما يحبه تابعا لمحبة الله وفرعا عليه وداخلا فيه"[1].

وقال في موضع آخر: "فالنبي- صلى الله عليه و سلم- محبته تابعة لمحبة الله وأبو بكر أحبهم إلى الله تعالى فهو أحبهم إلى رسوله"[2].

وإذا كانت محبة رسول الله ومحبة عباد الله المؤمنين كلتاهما تابعة لمحبة الله عز وجل, فهاتان المحبتان من العبادات القلبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذا كان كذلك فجميع تلك المحبات والإرادات والأفعال والحركات هي عبادة لله رب الأرض والسموات", ثم قال: "وإذا كان كذلك فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها وخلق خلقه لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له؛ إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل"[3].

وقال الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله: "العبادة التي خلق الله لها الخلق, وأخذ بها عليهم الميثاق, وأرسل بها رسله وأنزل كتبه, ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة, والجنة والنار, هي اسم جامع لكل ما يحب ويرضى... من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة, فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين, وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة..., والباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

---

1 (4) مجموع الفتاوى 10/265.

2 (1) منهاج السنة النبوية تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني 7/376.

3 (2) قاعدة في المحبة ص10.

واليوم الآخر والقدر خيره وشره, وخشية الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرغبة والرهبة إليه, والاستعانة به, والحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة فيه, وغير ذلك"[1].

فمن خلال ما سبق اتضح جليا أن المحبة من العبادات القلبية التي يجب إفراد الله تعالى بها إذا أراد العبد بعبادته وجه الله والدار الآخرة, ومن محبة الله تعالى محبة عباده المؤمنين لأن الأولى متضمنة للثانية, وهذه الثانية- محبة المؤمنين- هي مفهوم عقيدة الولاء والبراء, ومن أحب لله وأبغض لله ووالى لله وعادى لله فقد أفرد الله بهذه العبادات, وإفراد الله بفعل العبد هو حقيقة مفهوم توحيد الألوهية؛ فبهذا ظهرت العلاقة بين هذه العقيدة وتوحيد الألوهية. والله تعالى أعلم.

أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء:

الـولاء والـبراء أصل عظيم من أصـول الإيمـان, فيجب على المسـلم أن يحـرم على نفسه ما حرمه الله عليه من مـوالاة الكفـار أعـداء العقيـدة الإسـلامية, كما يجب عليه موالاة المؤمــنين ومحبتهم والرحمة بهم طبقا لمقتضى أمر ربه في مثل قوله تعـالى: [illegible] (المائدة:55, 56).

فـالمؤمنون يحبـون بعضـهم بعضا ويسـتغفر بعضـهم لبعض وإن اختلفت أنسـابهم وتباعـدت أوطـانهم وتغـايرت أزمـانهم لأنهم إخـوة في الـدين والعقيـدة[2], قـال تعـالى: [illegible] (الحشر:10).

لكن هذا الحب لا يكون على درجة واحدة حيال من يُحَب؛ وذلك لوجود التفاوت بين الخلائق في امتثال أوامر

---

1 (3) معارج القبول 2/541.

2 (1) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص222.

الله تعالى واجتناب نواهيه, "فلا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين, والحب والبغض, والموالاة والمعاداة"[1].

فلهذا صار الناس عند أهل السنة والجماعة- وهم الوسط بين الفرق- في نظرتهم العادلة بحسب الحب والبغض, والولاء والبراء, ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يحب محبة خالصة لا معاداة معها:

وهم الذين آمنوا بالله ورسوله, وقاموا بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علما وعملا واعتقادا, وأخلصوا أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم لله, وانقادوا لأوامره وانتهوا عما نهى عنه ورسوله, وأحبوا في الله, ووالوا في الله وأبغضوا في الله, وعادوا في الله, وقدموا قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على قول كل أحد كائنا من كان[2].

الصـــنف الثـــاني: من يبغض ويعـــادى بغضا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما:

وهم الذين كفـروا بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليـوم الآخر, ولم يؤمنوا بالقدر خـيره وشـره وأنه كله بقضـاء الله وقدره, وأنكروا البعث بعد المـوت, أو من تـرك أحد أركـان الإسلام الخمسة, أو أشرك بالله في عبادته أحدا من الأنبياء والأوليـاء والصـالحين, وصـرف لهم نوعا من أنـواع العبـادة كالحب والدعاء, والخوف والرجاء, والتعظيم والتوكـل..., أو ألحد في أسـماء الله وصـفاته واتبع غـير سـبيل المؤمـنين, وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة, وكذلك كل من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدها[3].

الصنف الثـالث: من يحب من وجه ويبغض من وجه:

---

1 (2) مجموع الفتاوى 28/229.

2 (3) إرشاد الطالب إلى أهم المطالب ومنهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع للشيخ سليمان بن سحمان ص13-14, مطبعة المنار بمصر 1340هـ دون بيانات أخرى.

3 (1) إرشاد الطالب لابن سحمان ص19.

وهم المسلمون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا, فيحبون ويوالون على قدر ما معهم من الخير, ويبغضون ويعادون على قدر ما معهم من الشر[1], "فتجتمع فيهم المحبة والعداوة, وهم عصاة المؤمنين, يحبون لما فيهم من الإيمان ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك.

ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم, فلا يجوز السكوت على معاصيهم, بل ينكر عليهم ويؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر, وتقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم, ولكن لا يبغضون بغضا خالصا ويتبرأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك, ولا يحَبّون ويوالون حبا وموالاة
خالصين كما تقوله المرجئة, بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا, كما هو مذهب أهل السنة والجماعة"[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر, وفجور وطاعة ومعصية, وسنة وبدعة, استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشر, فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة, هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم"[3].

وقال في موضع آخر: "ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه, ومن البغض بحسب فجوره, ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي كما يقوله الخوارج والمعتزلة, ولا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين, والحب والبغض, والموالاة والمعاداة"[4].

---

1 (2) إرشاد الطالب ص14.
2 (3) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ص 318-319, ومحاضرات في العقيدة والدعوة 1237-238.
3 (1) مجموع الفتاوى 28/208-209.
4 (2) المرجع السابق 28/228-229.

المبحث الثاني

الانحراف في باب الولاء والبراء حكمه وصوره

صور الانحراف في الولاء والبراء لدى مسلمي نيجيريا:

يجدر بي- وأنا أشرع في استعراض صور الانحراف في باب الولاء والبراء لدى مسلمي نيجيريا- أن أحدد المناطق النيجيرية التي يقع مسلموها في هذا الانحراف, وأبين أسباب ذلك.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله في معرض كلامه عن الوليمة التي تقام تشريفا للميت بعد دفنه: "... هي من رواسب الجاهلية الأولى التي تسربت إلى الأوساط الإسلامية من جراء احتكاكهم واختلاطهم بالوثنيين والنصارى؛ لأن أهل الأديان الثلاثة كانوا يتداخلون فيما بينهم في الأسرة الواحدة, ويختلطون في السوق والعمل والبلد والشارع"[(1)].

هذا هو الواقع الذي يعيشه المسلمون في منطقة جنوب غرب نيجيريا التي تقطنها قبيلة "يوربا" ومنطقة

---

[1] (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص70.

جنوب شرق البلاد وهي مقر قبيلة "إيبو", وبسبب احتكاك هؤلاء المسلمين بالكفار من النصارى والوثنيين- كما ظهر في كلام الشيخ الألوري- تحدث تلك الانحرافات التي سأذكر صورها وشيكا نتيجة تأثرهم بأولئك القوم.

أما شمال البلاد موطن قبيلة "الهوسا" فلا يكاد يحدث هذا الانحراف عند المسلمين هناك وذلك لقلة عدد الكفار الذي لا يشكل نسبة واحد في المائة من سكان المنطقة؛ كل ذلك بفضل الله جل وعلا ثم بجهود الشيخ عثمان بن فودي[1] رحمه الله وأنصاره وأحفاده من بعده.

وعلى الرغم من كثرة صور الانحراف في باب الولاء والبراء ببعض المناطق النيجيرية وقلتها في البعض الآخر إلا أنها تستحق العناية والدراسة لأوضّح خطورتها للمسلمين تعليما وتحذيرا, فأقول:

الصورة الأولى:

تولي الكفار واتخاذهم أعوانا, والتقــرب إليهم من أجل حظوظ الدنيا على حساب الدين, وذلك باللجوء إلى الكفــار من النصــــارى والوثنــــيين عند الشــــدائد حيث إن بعض المسلمين يتجه إلى قساوسة النصارى إذا أصابه المرض أو أصاب أحد أقاربه بحثا عن العلاج, وكذلك عندما نـزلت بأحد منهم نازلة من نوازل الدهر مثل كساد التجارة وغـير ذلـك, وقد يقتضي ذلك منهم دخول الكنـائس مع الكفـار, ولا يعلم إلا الله ذلك العـدد الهائل الـذي قد اعتنق الـدين النصـراني من المسـلمين بهـذه الطريقـة؛ لأن المعـروف لـدى هـؤلاء القساوسة أنهم يعلنــون عــبر وســائل إعلامية مختلفة أن إلههم المســيح عيسى بن مـريم عليه السـلام تجـري على يديه المعجـزات في كل لحظـة؛ فيغـتر بهـذه الـدعاوى تلك الفئة التي لا نصيب لها من الإسلام إلا اسمه ولا تعـرف من القرآن حتى رسمه, (الرعد:17).

---

[1] (2) الشيخ عثمان بن فودي تقدم الكلام عنه وعن جهوده مفصلا في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه في الباب الأول من هذا البحث.

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة:

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري: "... من هنا أخذ علماؤنا الأفارقة جواز كتابة آيات القرآن وتعليقه حتى للكافر المتنجس الجنب, فتغالوا فيه وجاوزوا الحد الذي لم ينزل الله به سلطانا, فأبطلوا تلك المنفعة إذ لم يراعوا حقها, فيجب على الدعاة أن ينبهوا عليها, فلا يجوز حمل القرآن أو كتابة شيء منه للكافر الذي لم يؤمن بالله"[(1)].

الصورة الثانية:

محبة الكافر من قبيلة الشخص أكثر من محبته للمسلم من غير قبيلته, وهذه الصورة في الحقيقة تعود إلى سوء أحوال كثير من مسلمي نيجيريا وفساد قلوبهم وأخلاقهم بسبب بعدهم عن التربية الإسلامية التي هي قوام حياة المسلمين وسبب سعادتهم ورقيّهم, حيث قد تأصلت في نفوس الكثير منهم النعرات القبلية؛ فأعمت قلوبهم عن معرفة معاني الأخوة الإسلامية الصادقة وتطبيقها في واقع حياتهم.

ولا أكون مبالغا إذا قلت بأن هذه الصورة لم يسلم منها أية منطقة من المناطق التي وجد فيها المسلمون في أنحاء نيجيريا, ولعل أكثر تلك المناطق تضررا بالعصبية القبيلة عبر التاريخ شمال البلاد وجنوبها, حيث قد أدت هذه المشكلة إلى حدوث الاقتتال بين مسلمي قبيلة يوربا ومسلمي قبيلة الهوسا مرات عديدة.

ولهذه الصورة انعكاسات سلبية خطيرة على أوضاع المسلمين السياسية والاجتماعية, وذلك أنها تؤدي ببعض المسلمين إلى التصويت لصالح النصارى من قبيلتهم ويفضلونهم على المسلمين من قبائل أخرى أثناء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية وغيرهما, كما هي تهدد في نفس الوقت وحدة الكلمة وتوحيد الصف بين مسلمي يوربا والهوسا.

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة:

---

[1] (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص120.

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله: "ومن آثار الجاهلية التي لا تزال قوية في نيجيريا المسلمة هي التفرقة العنصرية بين القبائل المسلمة, فترى البرناويين يرون أنفسهم أحسن قبائل نيجيريا, ثم يأتي الفلاتيون يعتقدون أنهم سادة أهل البلاد, فيجب أن يعضوا عليها بالنواجذ مهما غلا الثمن, ثم ترى قبائل هوسا أنهم أحسن من قبائل يوربا, ولم تستطع الروح الإسلامية حتى الآن أن تنزع من قلوبهم هذه العصبيات حتى في المجال الديني"[1].

الصورة الثالثة:

مشاركة الكفار في أعيادهم:

يوجد من مسلمي نيجيريا من قبيلة يوربا وقبيلة إيبو الذين يشتركون مع الوثنيين في إقامة أعيادهم ويعتبرون تلك المشاركة من العادات والتقاليد التي لا تتعارض مع الدين الحنيف الذي ينتمون إليه, كما يوجد فيهم من يشاركون النصارى في إقامة عيد ميلاد المسيح وعيد رأس السنة الميلادية وغير ذلك من أعيادهم.

وإني في حقيقة الأمر لا أرى هؤلاء الذين يشاركون الكفار في أعيادهم تلك إلا أناسا بلغ بهم الجهل في الدين إلى الدرجة أنهم لا يميزون بين أبي ذر وأبي لهب, ومع ذلك يدّعون صحة انتسابهم إلى الدين الإسلامي, وما انتسابهم إلا مجرد دعاوى لا حقيقة لها؛ فالإسلام بريء من أعمالهم كل البراءة.

الصورة الرابعة:

تفضيل الكفار على المسلمين عند الترشيح لبعض الوظائف الحكومية اعتقادا بأنهم أحسن وأتقن عملا من المسلمين, وإيثارهم على المسلمين كذلك عند تأجير الشقق والمحلات التجارية بدعوى أن هؤلاء الكفار يدفعون مبالغ أكثر مما يدفعه المسلمون.

حكم هذه الصور:

---

[1] (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص49, الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص 100-103.

الصورة الأولى:

تولي الكفار واتخاذهم أعوانا والتقرب إليهم من أجل حظوظ الدنيا على حساب الدين, وهي محرمة وذلك لما يأتي:

1- أن الله سبحانه وتعالى قد نهى المسلمين في عدة مواضع في كتابه العزيز عن اتخــاذ أعــداءه وأعــداء الــدين أعوانا وأنصــارا, كما ذكر أن من فعل ذلك قد بــرئ من الله وبرئ الله منه, قال تعالى: (آل عمران:28), وقال تعـالى: (المائدة:51).

2- أن الطريقة الأولى التي ذكرتها من طريقـتي تـولي المســلمين للكفــار هي في الحقيقة مما يــؤدي إلى إعانة الكفــــار على دينهم الباطل والتعـــــاون معهم في تكثـــــير سوادهم؛ وذلك أن هؤلاء ضـعاف الإيمـان من أدعيـاء العلم من المســلمين كــانوا يعملــون التمــائم من القــرآن وغــير القرآن لأعـوانهم النصـارى لتكثـير عـدد أتبـاعهم المرتـادين لكنائســهم, وهــذا عين التعـاون على الإثم الــذي نهينا عنــه, ونصر الكفر وأهلــه, وقد قــال تعــالى: (المائدة:2).

3- أن القلـــــوب مجبولة على حب من أحسن إليهـــــا, فإحسان النصارى إلى هؤلاء ضعاف الإيمــان الــذين يــدعون لهم بتقــديم مبــالغ مالية لهم يزيل شـيئا فشـيئا ذلك البغض الذي يجب أن يدين به المسلم ربه حيــال أعــداء الــدين من الكفــرة والمنــافقين, فيمحو في نفـــوس المســـلمين تلك العقيدة التي هي أوثق عرى الإيمان.

4- ما ذكرته في الطريقة الثانية من طريقـــتي تـــولي المسلمين للكفار, فإنها تؤدي إلى خروج المسلم من الدين الحــنيف بطريقة غــير مباشــرة, فيــدخل في ديانة الكفــرة الضالين وقد حذر الله جل شأنه عبــاده المؤمــنين من اتبــاع

سبيل الكفار بقوله: [illegible] (البقرة:120), فلا حجة للمسلم الذي يلجأ إلى الكفار عند الشدائد؛ لأن ذلك نابع من عدم اقتناعه بصحة الدين الإسلامي؛ ولذلك راح يطلب الإعانة ممن لا دين لهم أصلا, كما أن المجالات التي أجاز لنا الشرع الاستعانة بالكفار فيها هي الأمور الدنيوية مثل الطب والتجارة وليست مجال الدين[1].

الصورة الثانية:

محبة الكافر من قبيلة الشخص أكثر من محبته للمسلم من غير قبيلته, وهي أيضا محرمة لما يأتي:

1- من مفهوم عقيدة الولاء والبراء أنه يجب على المسلم أن يبغض أهل الإشراك ويعاديهم, فأعداء الله من الكفار والمشركين والملحدين والمرتدين كلهم من الفئة التي يجب أن تبغض وتعادى بغضا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما, قال تعالى: [illegible] (المجادلة:22), وقال تعالى: [illegible] (المائدة:80, 81).

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: "قد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أنه يجب على المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين, ويحذروا مودتهم واتخاذهم أولياء"[2].

وقال الشيخ محمد حسنين مخلوف[3] رحمه الله: "اتفق السلف على عدم جواز إظهار التودد والمحبة

---

[1] (1) انظر: مجموع الفتاوى 4/114.

[2] (1) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز 3/1028.

[3] (2) هو محمد حسنين بن محمد مخلوف العدوي المصري المالكي الأزهري, فقيه عارف بالتفسير والأدب, أول من بدأ في إنشاء مكتبة الأزهر وتنظيمها, تخرج في الأزهر ودرّس فيه, فأنشأ مكتبته ونظمها, من مؤلفاته: المدخل المنير في مقدمة علم التفسير, القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين, توفي سنة 1355هـ. انظر: الأعلام 6/96, معجم المؤلفين 9/231.

للظلمة والفسقة, وكل من عصى الله تعالى من المسلمين بمعصية متعدية كالقتل والسـرقة والغضـب, فما بالك بغـير المسلم"[1].

وقال الشيخ محمد بن صـالح العـثيمين رحمه الله عند جوابه عن السـؤال: ما حكم مـودة الكفـار وتفضـيلهم على المسـلمين؟ قـال: "لا شك أن الـذي يـواد الكفـار أكـثر من المســـلمين قد فعل محرما عظيمـــا, فإنه يجب أن يحب المسلمين, وأن يحب لهم ما يحب لنفسه, أما أن يود أعداء الله أكثر من المسلمين فهذا خطر عظيم, وحرام عليه, بل لا يجـوز أن يـودهم ولو أقل من المسـلمين"[2], ثم اسـتدل بآية المجادلة السابقة.

وعلى هـــذا فيجب على المســـلم بغض جميع الكفـــار والبعد عنهم؛ وذلك لأن الكفار يحادون الله تعـالى ويبارزونه بأعظم المعاصي بجعل شريك معه في عبادته أو بادعاء أن له صاحبة أو ولد أو بغير ذلك مما فيه تنقص لله تعالى[3].

2- لا يجوز بسبب من الأسباب أن يكره المسـلم أخـاه المسلم, فلا ينبغي أن يتعصب امـرؤ مسـلم لقبيلته فيـؤدي به إلى كراهية أخيه في الــــدين أو معاداتـــه؛ لأن الأخــــوة الإسلامية فوق كل أخوة, والمؤمنون كلهم إخـوة, وبعضـهم أوليـاء بعض, قـال تعـالى: (الحجرات:10), وقـال تعـالى: (التوبة:71).

وقد أكد الصـــادق المصـــدوق- صـــلوات الله وســـلامه عليـه- هـذه الأخـوة وذكر بعض ما يحـرم على المسـلم أن يســيء به إلى أخيه المســلم في قولــه: (لا تحاســدوا ولا تناجشـوا ولا تباغضـوا ولا تـدابروا, ولا يبع بعضـكم على بيع بعض وكونـــوا عبـــاد الله إخوانا, المســـلم أخو المســـلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره, التقوى ههنا) ويشير إلى صدره

---

1 (3) القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين تأليف الشيخ أبي الفتوح محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي الأزهري ص 48, ط/الأولى 1395هـ- 1975م, شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده- مصر.

2 (4) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين 3/14.

3 (5) تسهيل العقيدة الإسلامية ص 567-568.

ثلاث مـــرات (بحسب امـــرئ من الشر أن يحقر أخـــاه المســلم, كل المســلم على المســلم حــرام دمه وماله وعرضه)[1].

كما توعد بالنار كل مسلم قتل أخاه أو حـاول قتله في قوله- عليه الصلاة والسلام: (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)[2].

فيتضح من خلال تلك النصوص أنه يحرم على المسـلم أن يكـره أخـاه المسـلم أو يعاديه إلا إذا كـان من العصـاة فيبغض بقــدر ما يرتكبه من الــذنوب, فلا مجــال للعصــبية القبلية في قلوب من يفهمون معاني الأخوة الإســلامية وقد قال رسول الهدى- عليه الصلاة والسلام عنها: (دعوها فإنها منتنة)[3].

الصورة الثالثة:

مشــاركة الكفــار في أعيــادهم, هي أيضا من مظــاهر موالاة الكفار وهي محرمة:

1- لما ذكــره بعض المفســرين أن كلمة "الــزور" في قوله تعالى: (الفرقـان:72) معناها أعياد المشركين, أي: من صفات عباد الــرحمن أنهم لا يحضرون أعياد المشركين[4].

2- أن تلك المشـــاركة فيها إقـــرار لهم على دينهم الباطل ورضا به وإعانة عليه, وقد قال الله تبارك وتعالى: (المائدة:2).

---

[1] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والأدب- باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره...- ص1127 برقم (2564) عن أبي هريرة.

[2] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الديات- باب قوله تعالى: (المائـدة:32)- ص573 بـرقم (6875), ومسلم في صحيحه- كتاب الفتن وأشراط السـاعة- ص1178 برقم (2888) عن أبي بكرة.

[3] (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتـاب التفسـير- بـاب (المنـــافقون:8)- ص421 بـــرقم 4907, ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والأدب- باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما- ص1130 برقم (2584) عن جابر بن عبد الله.

[4] (1) انظر: تفسير القرطبي, وتفسير البغوي للآية.

3- أن مشاركتهم في أعيادهم دينية كـانت أو دنيوية أو جعل تلك الأيـام الـتي يتعيّـدون فيها أيـام عيد لنا من أوضح دليل على طـاعتهم والتشـبه بهم, وقد نهينا عن ذلك كلــه, قال تعالى: [illegible] [illegible] (الأحزاب:1), قال الحافظ ابن كثير رحمه اللـه: "هـذا تنبيه بـالأعلى على الأدنى, فإنه تعـالى إذا كـان يأمر عبده ورسوله بهـذا فلأن يـأتمر من دونه بـذلك بطريق الأولى والأحرى"[1], وقال- عليه الصلاة والسلام: (من تشبه بقوم فهو منهم)[2].

وقــال شــيخ الإســلام ابن تيمية رحمه اللـــه: "إن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظـاهر حـتى يرتفع التميــيز ظــاهرا بين المهــديين المرضــيين وبين المغضوب عليهم والضالين"[3].

فحرام على المسلم أن يشـارك النصـارى أو الوثنـيين في أعيادهم, ولا يخالطهم فيهـا, ولا يهـنئهم بمناسـبتها؛ لأن ذلك كله من الأحــداث المشــين والمعــرض لأمة الإســلام للمحو والزوال, وآثار ذلك في الوقت الحاضر ظـاهرة جلية لا تحتاج إلى تدليل ولا تبيين.

الصورة الرابعة:

تفضيل الكفار على المسلمين لا يجوز؛ لأنه من الإثم:

1- قـال الشـيخ محمد بن صـالح العـثيمين رحمه الله عند جوابه عن السـؤال: ما حكم مـودة الكفـار وتفضـيلهم على المسلمين؟ فأجـاب قـائلا: "... وكـذلك أيضا من أثـنى عليهم ومدحهم وفضّلهم على المسلمين في العمل وغيره, فإنه قد فعل إثما, وأساء الظن بإخوانه المسلمين, وأحسن بمن ليسوا أهلا لإحسـان الظن, والـواجب على المـؤمن أن يقــدم المســلمين على غــيرهم في جميع الشــؤون, في الأعمــال وفي غيرهــا, وإذا حصل من المســلمين تقصــير

---

1 (2) تفسير ابن كثير 3/2222.

2 (3) سبق تخريجه ص297.

3 (4) اقتضاء الصراط المستقيم 1/12.

فـــالواجب عليه أن ينصـــحهم ويحـــذرهم ويـــبين لهم مغبة الظلم, لعل الله أن يهديهم على يده"[1].

2- كـــون الكـــافر يقـــدم مبلغا ماليا يفـــوق ما يقدمه المســـلم لا يعتـــبر مـــبررا لتفضـــيل الكـــافر الضـــال على المســـلم الموحّد لمن كـــان مؤمنا صـــادق الإيمـــان وعارفا بأصول العقيدة الإسلامية؛ فمهما عظم ما قدمه هذا الكـافر من عرض الـدنيا "فإنما هو نـزر قليل من الخـير في جـانب كثير من الشر الذي يـأتي من قبلـه, ولو لم يكن هنـاك شر آخر من الكافر سوى إنكار حق الله تعـالى الـذي هو أعظم الحقوق لكفى, فقد أشرك الكـافر بالله وكفر نعمـه, ومهما عمل من الخير فإن ذلك نزر قليل مغمور في جانب سيئاته وكفره وظلمه, فلا خير فيه أصلا إلا أن يؤمن بالله"[2].

3- يضـاف إلى ذلك البلاء العظيم الـذي يجلبه الكـافر إذا استأجر شقة للسكن أو محلا للتجارة عند المسلم, فكم سـمعنا شـكاوى من أربـاب الـبيوت الـذين أجّـروا بيـوتهم للنصـــارى, حيث حـــوّل هـــؤلاء النصـــارى تلك الشـــقق إلى كنـــائس لهم يـــؤدون فيها طقـــوس ديـــانتهم, كما أنهم لا يتورعـون عن التجـارة بـالخمور وغيرها من المحرمـات في المحلات الــتي يســتأجرونها, وكــون المســلم يتســاهل مع الكفار بهذه الطريقة يعتبر من الكفر بنعم الله عليه ويدخله فيمن يعين على الإثم الذي نهى الله عنه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مسألة إجارة دار المسلم لأهل الذمة: "أما إجارة داره لأهل الذمة فقال الخلال: باب الرجل يؤاجر داره للذمي أو يبيعها منه ثم ذكر عن المروذي أن أبا عبد الله سئل عن رجل باع داره من ذمي وفيها محاريب؟ فاستعظم ذلك وقال: نصراني؟ لا تباع, يضرب فيها الناقوس وينصب فيها الصلبان. وقال: لا تباع من الكافر وشدد في ذلك.

وعن أبي الحارث أن أبا عبد الله سئل عن الرجل يبيع داره وقد جاءه نصراني فأرغبه وزاده في ثمن الدار, ترى أن يبيع منه وهو نصراني أو يهودي أو مجوسي؟ قال: لا

---

[1] (1) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين 3/15.

[2] (2) المرجع السابق 3/23-24 بتصرف يسير.

أرى له ذلك يبيع داره من كافر يكفر فيها؟ يبيعها من مسلم أحب إلي, فهذا نص على المنع"[1].

إن هذه الصور المذكورة لموالاة الكفار لـدى مسـلمي نيجيريا هي "مما يفسد على المســلم اعتقــاده ويذبــذب توحيـده, ويعــرض إسـلامه للخطر وإيمانه للـزوال, فإنه لا يجتمع لمســلم واحد في قلبه ولاء لله وولاء للشـيطان, ولا ولاء للقرآن وولاء لأحكام الجاهلية, ولا ولاء للرسول- صـلى الله عليه وســـلم- وولاء للجبت والطـــاغوت, ولا ولاء للمؤمنين وولاء للكفار والمشركين والملحدين.

فلا يجتمع نقيضان للمسلم في قلبه, فإما قلب مسلم, كله ولاء لله ولدينه ولكتابه ولرســوله- صـــلى الله عليه وســـلم- ولعبـــاده المؤمـــنين, وإما قلب كـــافر كله ولاء للشـيطان والكفـرة والمشـركين والمنـافقين الطـواغيت, فــوجب على المســلم أن يحــذر من أن تــنزلق قدمه في إحــدى هــذه المهالك ســواء المخــرج منها من الملة أو ما ينقص الإيمان أو يخدش التوحيد أو يذبذب العقيدة.

فبعد أن بين الله تعـالى المـوالاة الـتي يجب أن يكـون عليها المسلم بيانا لا غمـوض معه بأنها تكـون لله ولرسـوله وللمؤمـنين وذلك في قوله جل شـأنه: (المائدة:55), فمن صرف هذه الموالاة لغير المؤمنين من الكفـار والمشـركين والملحـدين وغـيرهم ممن عـادى الله ورسـوله وعبـاده المؤمـنين فقد خرج على أمر اللـه, وعـرض نفسه للهلاك وسـوء المصـير. فكيف يوالي المسلم من عادى الله؟ وكيف يناصر المســلم من حارب دين الله؟ وكيف يحب المسلم من أبغض رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وكفر به؟!!.

بل لا بد من المعاداة والبراء وعدم المــوالاة, وإلا فهي الخيانة لله ولدينه, ولرسوله, وللمؤمنين"[2].

مظاهر موالاة المؤمنين ومظاهر موالاة الكفار:

---

[1] (1) أحكام أهل الذمة 1/577.

[2] (1) حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة ص286-287.

ولكي يكـون المسـلم على علم ودراية بعقيـدة الـولاء والـبراء, ويتعبد الله بها على الوجه الصـحيح ينبغي عليه أن يعـرف مظـاهر مـوالاة المؤمـنين فيمتثلها ويلم بمظـاهر موالاة الكفار أعداء الدين فيجتنبها.

فـإن ولاء المـؤمن لأخيه المـؤمن أمر أوجبه الله جل وعلا على عبـاده المؤمـنين, وهو أصل من أصـول العقيـدة الإسـلامية, فيجب على المـؤمن أن يحب إخوته المؤمـنين أهل التوحيد والإخلاص ويـواليهم, لا لإحسـانهم إليه ولكن لأمر الله سـبحانه وتعـالى بـذلك لأنهم إخـوة, (الحجـرات:10), ومن مقتضى تلك الأخـوة إذا كـانت صـادقة هـذه المحبة بكل ما تعنيه من معنى.

فبموالاة المؤمن لأخيه "المؤمن يكتمل الصف, ويجمع الشمل, ويوحد الهدف, وتتجمع القوى, ويظهر الدين, وترفع الراية, ويقهر العدو, فلا بد من هذه الموالاة بين المسـلمين لينشر الدين, وتعلو راية التوحيد, ويحمى حماه"[(1)].

وإذا امتنع المؤمن عن مـوالاة إخوته المؤمـنين لسـبب من الأسباب, بل والى أعداء الله وأعداء الـدين من الكفـار بمختلف أصـنافهم, فـإن النتيجة الحتمية سـتكون خلاف ما ذكرنا دون أدنى شك.

ومظـاهر مـوالاة المؤمـنين قد بينها كتـاب الله وسـنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- أشد بيان وأوضحه, ومنها[(2)]:

1- محبة جميع المؤمـنين في جميع الأمـاكن والأزمـان ومن أي جنسية كانوا من أجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالى.

2- مناصـرة المسـلمين ومعـاونتهم بـالنفس والمـال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم.

3- التألم لألمهم والسرور بسرورهم.

4- النصح لهم ومحبة الخـير لهم وعـدم غشـهم وخديعتهم.

5- احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وعيبهم.

---

[1] (2) المرجع السابق ص242.

[2] (3) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص313-315, ومحاضرات في العقيدة والدعوة 1/230-234, وتسهيل العقيدة الإسلامية ص555-559.

6- أن يكــون معهم في حــال العسر واليسر والشــدة والرخاء, بخلاف أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء, ويتخلون عنهم في حال الشدة.

7- الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين.

8- زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم.

9- احــترام حقــوقهم, فلا يــبيع على بيعهم, ولا يســوم على ســـومهم, ولا يخطب على خطبتهم, ولا يتعـــرض لما سبقوا إليه من المباحات.

10- الرفق بضعفائهم.

11- الدعاء لهم والاستغفار لهم.

أما مظاهر موالاة الكفار فمنها[1]:

1- الرضى بكفر الكافرين, وعــدم تكفــيرهم, أو الشك في كفرهم, أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة.

2- التولي العــام واتخــاذهم أعوانا وأنصــارا وأوليــاء, أو الدخول في دينهم.

3- الإيمــان ببعض ما هم عليه من الكفــر, أو التحــاكم إليهم دون كتاب الله.

4- مودتهم ومحبتهم.

5- الركون إليهم, قال تعالى: [illegible] (هود:113).

6- مــداهنتهم ومــداراتهم ومجــاملتهم على حســاب الدين, قال تعالى: [illegible] (القلم:9).

7- اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

8- طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به, قال تعالى: [illegible] (الكهف:28).

9- مجالستهم, والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيــات الله.

10- مظـــاهرة الكفـــار على المســـلمين وإعـــانتهم ومناصرتهم عليهم والذب عنهم, وهــذا من نــواقض الإســلام

---

[1] (1) مجموعة التوحيد المعروف بـ (مجموعة التوحيد النجدية) ص240-241, والولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف ص232-242.

وأسباب الردة[1], لقوله تعالى: [illegible] (المائدة:51).

11- السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم, وعدم الانتقال منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

12- التشبه بهم فيما هو من خصائصهم.

13- مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها[2].

14- مـــــدحهم والإشــــــادة بما هم عليه من المدنية والحضـارة, والإعجـاب بـأخلاقهم ومهـاراتهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد[3].

ما يجـوز أو يجب التعامل به مع الكفـار مما لا يدخل في موالاتهم:

إن الوسطية من خصـائص ديننا الإسـلامي, فلا إفـراط فيه ولا تفريـط, لا في العبـادات الـتي هي شـأن العبد بينه وبين خالقه ولا في المعــــاملات الــــتي هي من الأمــــور المشــتركة بين المســلم وبين غــيره من بــني الإنســان, فالإسلام يحكم بالعدل والإنصاف في تلك الأمور كلهــا, فقد بين في شرائعه الحدود التي ينبغي أن يقف عندها المســلم في تعامله مع غـير المسـلم كيلا يجر على نفسه شـرا ربما يؤدي إلى هلاك دينه ودنياه, كما بين في الجـانب الآخر ذلك الحد الـذي يمكنه التعامل فيه مع غـير المســلم كيلا يفـوّت على نفسه تلك الفوائد التي يكتســبها من خلال تعامله معه مما لا ضرر فيه على نفسه ودينه, فالإنسان كائن اجتماعي, (والمسلم يألف, ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)[4].

---

1 (1) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص310, محاضرات في العقيدة والدعوة 1/224.

2 (2) المرجعان السابقان الأول ص311-312, والثاني 1/227.

3 (3) المرجعان السابقان الأول ص312, والثاني 1/227.

4 (1) أخرجه أحمد في مسنده 2/400, والبيهقي في شعب الإيمان 6/270, والحاكم في المستدرك 1/73, والبيهقي في السنن الكبرى 10/236 عن أبي هريرة, وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/165: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح.

وبناء على هذا, فإنه بعد ذكر صور موالاة الكفار وبيـان وجوب اجتناب المسلم عنها, وصور موالاة المؤمـنين وبيـان وجـــــوب تمسك المســـــلم بها يحسن بي أن أوضح تلك الجوانب التي يجوز أو يجب فيها تعامل المسـلم مع الكفـار مما لا يــدخل في مــوالاتهم؛ وذلك لإبــراز وســطية الــدين الحـــــنيف من جهة حيث إنه لم ينه عن معاملة الكفـــــار بالحسـنى مع أنهم أعـداء الله وأعـداء الملـة, وكشف كيد المغـترين بالأفكـار الغربية من جهة أخـرى الـذين يظهـرون الباطل في صورة الحق فيجيزون اتخاذ الكفار أوليـاء باسم سماحة الإسلام مع أهل الكتاب.

والأصل في المعاملة بالحسنى مع الكفار قوله تعـالى: [illegible] (الممتحنة:8).

وقد اختلف المفسـرون في تفسـير هـذه الآيـة, وقـال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عـني بـذلك لا ينهـاكم الله عن الــذين لم يقـــاتلوكم في الــدين من جميع أصــناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقســطوا إليهم؛ لأن الله عز وجل عم بقولـه: [illegible] جميع من كـان ذلك صــفته, فلم يخصص به بعضا دون بعض, ولا معنى لقـول من قـال: ذلك منسـوخ؛ لأن بر المـؤمن أحـدا من أهل الحـرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غـــير محــــرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحـرب على عـورة لأهل الإسـلام, أو تقوية لهم بكـراع أو سلاح"[1].

والأمور التي يتعامل بها المسلم مع الكفـار منها ما هو واجب, ومنها ما هو مستحب, أو مباح.

فـالأمور الـتي يجب على المسـلم أن يتعامل بها مع الكفار هي[2]:

---

1 (2) تفسبر الطبري 12/62.

2 (1) تسهيل العقيدة الإسلامية ص595-604.

1- حماية الذميين[1] والمستأمنين[2] ما داموا في بلاد الإسلام, وحماية المستأمن إذا خرج من بلاد المسلمين حتى يصل إلى بلد يأمن فيه.

2- العدل عند الحكم فيهم, وعند الحكم بينهم وبين المسلمين, وبين بعضهم بعضا عند وجودهم تحت حكم المسلمين.

3- دعوتهم إلى الإسلام, فإن دعوة الكفار فرض كفاية على المسلمين؛ وذلك لإخراجهم من الظلمات إلى النور, فقد عاد النبي- صلى الله عليه وسلم- غلاما يهوديا في مرضه ودعاه إلى الدخول في الإسلام فأسلم[3].

4- يحرم إكراه اليهود والنصارى والمجوس على تغيير أديانهم, قال تعالى: [illegible] (البقرة:256).

5- يحرم على المسلم أن يعتدي على أحد من الكفار غير الحربيين في بدنه بضرب أو قتل أو غيرهما لما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة, وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما)[4], وللحديث: (من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة)[5].

6- يحرم على المسلم أن يغش أحدا من الكفار غير الحربيين في البيع أو الشراء, أو أن يأخذ شيئا من أموالهم بغير حق.

---

1 (2) الذمي: هو المعاهد من الكفار إذا أومن على ماله ودمه بالجزية. انظر: أنيس الفقهاء 1/182.

2 (3) المستأمن: هو الذي يدخل دار الإسلام بأمان لتجارة ونحوها بنية العودة إلى بلاده. انظر: الفقه على المذاهب الأربعة 4/400, المطلع على أبواب الفقه ص221.

3 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز- باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟- ص106 برقم (1356) عن أنس بن مالك.

4 (5) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجزية والموادعة- باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم- ص256 برقم (3166) عن عبد الله بن عمرو.

5 (6) أخرجه النسائي في سننه- كتاب القسامة والقود والديات- باب تعظيم قتل المعاهد- ص2395 برقم (4753), وأحمد في مسنده 4/237 عن رجل من أصحاب النبي, وصححه الألباني في غاية المرام برقم (450).

7- يحرم على المسلم أن يسـيء إلى أحد من الكفـار غير الحربـيين بـالقول, ويحـرم الكـذب عليهم, لعمـوم قوله تعالى: ﴿ ﴾ (البقرة:83).

8- يجب إحسان الجـوار لمن كـان له جـار من الكفـار غـير الحربـيين بكف الأذى عنـه, ويسـتحب أن يحسن إليه بالصدقة عليه إن كان فقـيرا[1], وأن يهـدي إليـه, وأن ينصح له فيما ينفعه لعموم قوله- صلى الله عليه وسـلم: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[2].

9- يجب على المسلم أن يـرد السـلام على الكـافر[3], إذا سـلم الكـافر على المسـلم سـلاما بينا واضـحا لقوله تعـالى: ﴿ ﴾ (النسـاء:86). أما إذا لم يكن بينا واضـحا فـإن المسـلم يقـول: "وعليـك". وكـذلك لو كـان سـلامه واضـحا يقـول فيـه: "السـام عليكم" يعـني المـوت, فإنه يجـاب بـ "وعليـك" لقولـه- صـلى الله عليه وسـلم: (إذا سـلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم)[4][5], قال الإمام ابن القيم:

"العـدل في التحية يقتضي أن يـرد عليه نظـير سـلامه"[6], لكن لا يجوز أن يبدأ الكافر بالسلام عليه لقولـه- صـلى الله عليه وسلم: (لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام)[7].

---

1 (1) من المشروع أن يتصدق المسلم على جاره الكافر وغيره من الكفار غير المحاربين من غير الزكاة, انظر: فتاوى الشيخ ابن باز 3/1040.

2 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب الوصاءة بالجار- ص 509 برقم (6015), ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والأدب- باب الوصية بالجار والإحسان إليه- ص1136 برقم (2625) عن ابن عمر.

3 (3) انظر: فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز 3/1041.

4 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاستئذان- باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام؟- ص527 برقم (6258), ومسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب النهي عن ابتداء أهل لكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم- ص1063 برقم (2163) عن أنس بن مالك.

5 (5) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين 3/37.

6 (1) أحكام أهل الذمة 1/426.

7 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم- ص1064 برقم (2167) عن

أما الأمور الـتي يبـاح أو يسـتحب للمسـلم أن يتعامل بها مع الكفار, فمنها[1]:

1- يجـوز اسـتعمالهم واسـتئجارهم في الأعمـال الـتي ليس فيها ولاية على مسـلم, وليس فيها نـوع اسـتعلاء من الكـافر على المسـلم, فقد اسـتأجر النـبي- صـلى الله عليه وسـلم- عبد الله بن أريقط في الهجـرة[2], واسـتعمل يهـود خيبر في أرضـها ليزرعوها ولهم نصف ما يخـرج منها[3], أما الأعمال التي فيها ولاية على المسـلمين أو فيها اطلاع على أخبارهم فلا يجوز توليتهم إياها.

2- يستحب للمسلم الإحسان إلى المحتاج من الكفار, كالصـدقة على الفقـير المعـوز منهم, وكإسـعاف مريضـهم لعموم قوله تعالى: [illegible] (البقرة:195), ولعموم حديث: (في كل كبد رطبة أجر)[4].

3- تسـتحب صـلة القـريب الكـافر كالوالـدين والأخ بالهدية والزيـارة ونحوهمـا, لكن لا يتخـذه المسـلم جليسا وبالأخص إذا خشيت فتنته وتـأثيره على دين المسـلم, قـال تعالى: [illegible] (الإسراء:26), وقال تعالى في حق الوالدين: [illegible] (لقمان:15).

4- يجوز بـرهم بالهدية ونحوها لـترغيبهم في الإسـلام, أو في حـال دعـوتهم, أو لكف شـرهم عن المسـلمين, أو مكافـأة لهم على مسـالمتهم للمسـلمين وعـدم اعتـدائهم

أبي هريرة.

1 (3) تسهيل العقيدة الإسلامية ص604- 616.

2 (4) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الإجارة- باب استئجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام- ص175 برقم (2263) عن عائشة.

3 (5) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الإجارة- باب إذا استأجر أرضا فمات أحدهما- ص177 برقم (2285), ومسلم في صحيحه- كتاب المساقاة والمزارعة- باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع- ص947 برقم (1551) عن ابن عمر.

4 (6) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المساقاة- باب فضل سقي الماء- ص185 برقم (2363), ومسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها-1076 برقم (2244) عن أبي هريرة.

عليهم, ليستمروا على ذلك, أو لما يشبه هذه الأمور من المصالح الشرعية.

5- يستحب إكرام الكافر عند نزوله ضيفا على المسلم لعموم قوله- صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[1], كما يجوز أن ينزل المسلم ضيفا على الكافر لحديث أبي سعيد الخدري في الرقى[2], لكن لا يجوز إجابة المسلم لدعوته لما في ذلك من الموادة له.

6- يجوز الأكل العارض معهم من غير أن يتخذ المسلم الكافر صاحبا وجليسا وأكيلا, فيجوز أن يأكل مع الكافر في وليمة عامة أو وليمة عارضة, وأن يأكل مع خادمه الكافر[3], أو في حال كون الكافر ضيفا عند المسلم, أو إذا نزل المسلم ضيفا عند الكافر, من غير قصد التحبب إليه بذلك, ومن غير قصد للاستئناس به, أما إن جالسه بقصد التحبب إليه من غير تحقيق مصلحة شرعية أو جالسه للاستئناس به فذلك محرم وكبيرة من كبائر الذنوب.

7- يجوز التعامل معهم في الأمور الدنيوية التي هي مباحة في دين الإسلام, فقد عامل النبي- صلى الله عليه وسلم- اليهود, وبايعهم, واشترى منهم.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-
اشترى من يهودي طعاما إلى أجل, ورهنه درعا له من حديد[4].

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره- ص509 برقم (6018), ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان- ص688 برقم (47) عن أبي هريرة.

2 (2) سبق تخريجه ص339.

3 (3) انظر: مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز 3/1054.

4 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب البيوع- باب شراء النبي صلى

8- يجوز للمسلم أن يـتزوج بالكـافرة الكتابية فقط إذا كــانت عفيفة عند الأمن من ضــررها على الــدين والنفس والأولاد, قال تعالى: [illegible] (المائدة:5), والمحصنات هن العفيفات عن الزنا[1], وإن كان الأولى للمسـلم أن لا يـتزوج بكـافرة؛ لأن ذلك أسلم له ولذريته, لأنه ربما مـال إليها قلبه ففتنتْـه, وربما كان بينهما ولد فيميل إليها[2].

9- يجــوز للمســلمين أن يســتعينوا بالكفــار في صد عدوان على المسلمين, وهـذا هو الصـحيح في المسـألة[3], وذلك بشرطين:

1- الاضـطرار إلى إعـانتهم بـأن يكـون في المسـلمين قلة, وتدعو الحاجة إلى إعانتهم.

2- الأمن من مكرهم وضررهم, بأن يكونــوا ممن يوثق بهم في أمر المسلمين.

قــال الإمــام ابن القيم رحمه الله في ذكر فوائد صــلح الحديبية: "منها: أن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة"[4].

وقال الشيخ محمد حسنين مخلـوف: "ذكر بعضـهم أنه يجـوز الاسـتعانة بغـير المسـلم في الجهـاد بشـرط الحاجة والوثوق به, أما بدونهما فلا يجوز"[5].

10- يجــوز للمســلم أن يــذهب إلى الطــبيب الكــافر للعلاج إذا وثق به, قال شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللــه: "جـاز أن يسـتطب المسـلم الكـافر إذا كـان ثقة, نص على

الله عليه وسلم بالنسيئة- ص161-162 برقم (2068), ومسلم في صحيحه- كتاب المساقاة والمزارعة- باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر- ص957 برقم (1603) عن عائشة, وينظر: القول المبين ص 44-47, وفتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز 3/1039-1040.

1 (2) انظر: تفسير ابن كثير للآية.

2 (3) الشرح الكبير 7/507.

3 (4) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة 1/230.

4 (5) زاد المعاد 3/267.

5 (6) القول المبين ص51, وينظر: مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز 3/1060, محاضرات في العقيدة والدعوة 1/230.

ذلك الأئمة كأحمد وغــيره؛ إذ ذلك من قبــول خــبرهم فيما يعلمونه من أمر الدنيا وائتمان لهم على ذلك, وهو جـائز إذا لم يكن فيه مفســـدة راجحة مثل ولايته على المســـلمين وعلوه عليهم ونحو ذلك"[1].

11- يجوز دفع الزكاة إلى المؤلفة قلوبهم من الكفـار, قـال تعـالى: (التوبة:60)[2].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في كلامه عن معاملة المسـلم لغـير المسـلم: "أما الزكـاة فلا مـانع من دفعها للمؤلفة قلوبهم من الكفار"[3], ثم ذكر الآية السابقة.

12- يجوز للمسلم أن يشارك الكافر في التجـارة, لما روي عن عبد الــرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قــال: كنا مع النبي- صلى الله عليه وسـلم- ثم جـاء رجل مشـرك مشعانٌّ[4] طويل بغنم يسوقها, فقال النبي- صـلى الله عليه وسـلم: (أبيعا أم عطيـة؟) أو قـال: (أم هبة؟). قـال: لا, بل بيع, فاشترى منه شاة[5].

لكن تلك المشــاركة يشـــترط فيها أن يلي المســـلم أمرها أو يشــرف عليهـــا؛ لئلا يقع في تعامل محــــرم عند إشراف غير المسلم على هذه التجارة وتصريفه لها.

قـال الإمـام ابن القيم رحمه اللــه: "قـال إسـحاق بن إبــراهيم: ســمعت أبا عبد الله وســئل عن الرجل يشــارك اليهـودي والنصـراني, قـال: يشـاركهم ولكن يلي هو الــبيع والشراء؛ وذلك أنهم يأكلون الربا ويستحلون الأموال"[6].

---

1 (1) مجموع الفتاوى 4/114.

2 (2) انظر: تفسير هذه الآية في تفسير الطبري, وتفسير القرطبي, وتفسير ابن كثير.

3 (3) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز 3/1041.

4 (4) هو المنتفش الشعر الثائر الرأس, يقال: شَعَر مُشعانٌّ, ورجل مُشعانٌّ, ومُشعانٌّ الرأس, تقول العرب: رأيت فلانا مشعان الرأس إذا رأيته شَعِثاً مُنتَفِشَ الرأس مُغبَرّا أشعَث. انظر: النهاية في غريب الأثر 2/1172, لسان العرب 13/239 (مادة شعن).

5 (5) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب البيوع- باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب- ص172 برقم (2216), ومسلم في صحيحه برقم (2056) عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

6 (1) أحكام أهل الذمة 1/552.

13- يجــوز قبــول الهدية من الكــافر إذا لم يكن فيها إذلال للمسلم ولا موالاة منه للكـافر. ففي صـحيح البخـاري عن أبي حميد الســاعدي قـال: غزونا مع النـبي- صـلى الله عليه وسلم- تبوك وأهـدى ملك أيلة للنـبي- صـلى الله عليه وسلم- بغلة بيضاء, وكساه بـردا, وكتب له ببحـرهم[1]. وفي الصحيحين عن أنس أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي- صــلى الله عليه وسلم[2].

قــال الشــيخ محمد حســنين مخلــوف رحمه اللــه: "الاستعانة بغير المسلمين فيما فيه مصـلحة دينية أو دنيوية للمســلمين إن كـانت بـأموالهم ولم تشــبها شـائبة الإذلال والولاية منهم المنهي عنهما شــرعا فلا خلاف في جوازهــا, وقد قبل الرسـول- صـلى الله عليه وسـلم- هـدايا من غـير المسلمين, واستشفع في أموالهم"[3].

الفصل الثامن
العبادات القلبية

تمهيد
في معنى العبادة والمقصود بالعبادات القلبية

معنى العبادة لغة:

---

1 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجزية والموادعة- باب إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم؟- ص255 برقم (3161) عن أبي حميد الساعدي.

2 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها- باب قبول الهدية من المشركين- ص206 برقم (2616), ومسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل سعد بن معاذ- ص 1111 برقم (2469) عن أنس بن مالك.

3 (4) القول المبين ص44.

العبادة: مصدر عبد, يعبد, عبادة أي أطاع.
قال الجوهري[1]: "أصل العُبودِيَّةِ الخضوعُ والذلُّ. والتعبيدُ: التذليلُ, يقال: طريقٌ مُعَبَّدٌ. والعِبادة: الطاعةُ. والتَعَبُّدُ: التَنَسُّكُ"[2].
فالعبادة في اللغة هي: الطاعة, والخضوع, والتذلل.

معنى العبادة شرعا:

تطلق العبادة في الشرع على شيئين:
الأول: التعبد: بمعنى التذلل لله عز وجل, بفعل أوامره واجتناب نواهيه, محبة وتعظيما.
ويمكن أن تعرّف بأنها: امتثال أوامر الله, واجتناب نواهيه. فهي أداء الواجبات التي أوجبها الله قولا أو فعلا, باطنا أو ظاهرا, وترك المحرمات التي حرمها الله قولا أو فعلا, ظاهرا أو باطنا[3].
الثاني: المتعبّد به أو القربة. وهو الذي قال فيه شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله بأنه: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[4].
مثال ذلك: الصلاة فعلها عبادة, وهو التعبد, وهي في نفسها عبادة, وهي المتعبد به.
والعبادة هي الحكمة العظيمة والغاية الحميدة التي خلق الله الجن والإنس لأجلها[5], قال تعالى: [illegible] (الذاريات:56)؛ ولذلك كان

---

1 (1) هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي أبو نصر, كان إماما في اللغة والأدب وخطه يضرب به المثل في الجودة, أصله من بلاد الترك من "فاراب", من مصنفاته: تاج اللغة وصحاح العربية, كتاب المقدمة في النحو, توفي سنة 393هـ, وقيل: 400هـ.
انظر: معجم المؤلفين 2/267, معجم الأدباء 2/205.

2 (2) الصحاح للجوهري, وانظر: القاموس المحيط ص378, ومعجم مقاييس اللغة ص701-702, والمفردات في غريب القرآن ص322, ولسان العرب 3/273.

3 (3) أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم, إعداد د. سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي ص167, ط/الأولى 1426هـ- 2005م, طبعة عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

4 (1) مجموع الفتاوى 10/149, 15/282.

5 (2) انظر: المرجع السابق 10/19.

أول أمر في القرآن هو الأمر بعبادته وحده لا شريك له, والنهي عن الشرك وهو قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (البقرة:21).

ويشترط لأي عمل يقوم به العبد لكي يكون عبادة مقبولة لدى الرب جل وعلا شرطان:

الأول: الإخلاص

الثاني: المتابعة[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: "لا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذلك المتابعة, كما قال الفضيل بن عياض[2] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الملك:2), قال: أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا علي! ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل, وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل, حتى يكون خالصا صوابا, فالخالص ما كان لله, والصواب ما كان على السنة"[3].

وعلى هذا, فكل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة, فإذا صرف العبد من تلك العبادة شيئا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث به رسوله من قوله: ﴿ [illegible] ﴾ (الزمر:14)[4].

ولتحقيق الشرط الثاني الذي هو المتابعة فلا بد أن تكون العبادة مبناها على التوفيق والاتباع لا على الهوى والابتداع[5], فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله, وما سوى ذلك فضلال عن سبيله؛ ولهذا قال- صلى

---

[1] (3) انظر: تجريد التوحيد المفيد للعلامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي ص78, اعتنى به علي بن محمد العمران ط/الثانية 1424هـ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- مكة المكرمة.

[2] (4) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي المروزي أبو علي, الإمام الزاهد, كان ثقة نبيلا فاضلا عابدا ورعا كثير الحديث, توفي سنة 187هـ.
انظر: العبر في خبر من غبر 1/298, طبقات الحفاظ 1/110, سير أعلام النبلاء 8/421.

[3] (5) فتح المجيد ص435, وانظر: معارج القبول 2/543, 546.

[4] (1) فتح المجيد ص195.

[5] (2) مجموع الفتاوى 1/141.

الله عليه وسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[(1)(2)], ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع[(3)].

المقصود بالعبادات القلبية:

العبادات القلبية يقصد بها أعمال القلوب, وهي الأعمال التي يتعلق أداؤها بالقلب دون سائر الجوارح[(4)].

وقد فضّلتُ استخدام هذا المصطلح (العبادات القلبية) بدلا من (الأعمال القلبية) رغبة في إيجاد التناسب بين محاور البحث الثلاثة: العبادات القولية وهي أعمال اللسان, والعبادات العملية وهي أعمال الجوارح, والعبادات القلبية وهي أعمال القلوب.

والعبادات القلبية كلها من الإيمان[(5)], سواء ما كان منها شروطا للشهادتين مثل اليقين, والإخلاص, والانقياد, والقبول, أو ما كان أركانا للعبادة وهي المحبة, والخوف, والرجاء.

وعمل القلب أبلغ من قول اللسان وعمل الجوارح؛ لأنه هو الأساس, قال العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله: "اعلم أنه لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب"[(6)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال, وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها"[(7)].

---

[1] (3) سبق تخريجه ص43.

[2] (4) مجموع الفتاوى 1/4.

[3] (5) المرجع السابق 1/160.

[4] (6) أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم ص154.

[5] (7) انظر: مجموع الفتاوى 7/537.

[6] (1) معارج القبول 2/541.

[7] (2) التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ص308, تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بن محمد بن عبد الله الهنيدي ط/الأولى 1421هـ- 2000م مكتبة الرشد- الرياض.

وقال أيضا: "الدين القائم بالقلب من الإيمان علما وحالا هو الأصل, والأعمال الظاهرة هي الفروع, وهي كمال الإيمان"[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "إن لله على العبد عبوديتين: عبودية باطنة وعبودية ظاهرة, فله على قلبه عبودية, وعلى لسانه وجوارحه عبودية,... فعمل القلب هو روح العبودية ولبها, فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح"[2].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "عمل القلب هو المقصود الأعظم"[3].

المبحث الأول
معاني العبادات القلبية ووجوب إفراد الله تعالى بها

أولا: المحبة

معنى المحبة لغة:

المحبة هي الاسم من الحب, وكلاهما مأخوذ من مادة (ح ب ب) التي تدور في اللغة على خمسة معان:

الأول: الصفاء والبياض. ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبَبُ الأسنان.

الثاني: العلوّ والظهور. ومنه: حبب الماء وحُبابه. وهو ما يعلوه عند المطر الشديد.

---

1 (3) مجموع الفتاوى 10/355.

2 (4) بدائع الفوائد 3/710.

3 (5) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) 6/25, ط/الثانية 1423هـ- 2003م (دون بيانات أخرى).

الثالث: اللزوم والثبات. ومنه حَبَّ البعير وأحب, إذا برك ولم يقم.

الرابع: اللب. ومنه: حبة القلب, لِلُبِّه وداخله. ومنه: الحبُّ جمع حبة. فإن الحب أصل الشجر ومادة ثباته.

الخامس: الحفظ والإمساك. ومنه: حِبُّ الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه.

وهذه المعاني الخمسة هي من لوازم المحبة: فإنها صفاء المودة, وهيجان إرادات القلب للمحبوب, وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد, وثبوت إرادات القلب للمحبوب, ولزومها لزوما لا تفارقه, ولإعطاء المحب محبوبه لبَّه, وأشرف ما عنده, وهو قلبه, ولاجتماع عزماته وإرداته وهمومه على محبوبه.

فاجتمعت فيها المعاني الخمسة[1].

معنى المحبة شرعا:

قال ابن القيم رحمه الله: "لا تحد المحبة بحد أوضح منها, فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء, فحدها وجودها, ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة.

وإنما يتكلم الناس في أسبابها, وموجباتها, وعلاماتها, وشواهدها, وثمراتها, وأحكامها, فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة, وتنوعت بهم العبارات, وكثرت الإشـارات, بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله, وملكه للعبارة"[2].

أقسام المحبة:

تنقسم المحبة إلى قسمين رئيسين[3]:

القسم الأول: محبة مشتركة, وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: محبة طبيعية مشتركة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء, وغير ذلك, وهذه لا تستلزم التعظيم.

---

[1] (1) مدارج السالكين 3/9- 10, وانظر: معجم مقاييس اللغة ص231, ولسان العرب 1/289- 290, والقاموس المحيط ص90.

[2] (1) مدارج السالكين 3/9.

[3] (2) طريق الهجرتين وباب السعادتين للعلامة محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله 1/441-442, تحقيق عمر بن محمود أبو عمر ط/الثانية 1414هـ- 1994م دار ابن القيم- الدمام.

النوع الثاني: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده ونحوها, وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم.

النوع الثالث: محبة إجلال, كمحبة الولد لوالده غير المشرك والكافر, فالولد يحب والده محبة إجلال وتكريم واحترام؛ لأنه والده المحسن إليه والمربي له[1].

النوع الرابع: محبة أنس وإلف, وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر, وكمحبة الإخوة بعضهم بعضا.

وهذه الأنواع الثلاثة هي المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض, ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله سبحانه؛ ولهذا كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يحب أصحابه وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنهم أجمعين.

القسم الثاني: المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده, فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره, فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا, ومتى أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله, وهي التي سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها.

ثانيا: الخوف

معنى الخوف لغة:

قال ابن فارس: "الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع. يقال: خفت الشيء خوفا وخيفة"[2].

وقال الجوهري: "خَافَ الرجل يَخافُ خَوْفاً وخيفَةً ومَخافَةً، فهو خائِفٌ ... والأمر منه خَفْ, بفتح الخاء"[3].

فالخوف لغة معناه: الذعر والفزع.

---

1 (3) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد 2/37.

2 (1) معجم مقاييس اللغة ص317, وانظر: القاموس المحيط ص1045 مادة (خوف).

3 (2) الصحاح في اللغة للجوهري مادة (خوف).

معنى الخوف شرعا:

الخوف هو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل[1].

وقيل: هو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة[2].

وقيل: الخوف هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى[3].

والخوف هو أن يخاف العبد أن يعاقبه الله تعالى إما في الدنيا أو في الآخرة بسبب ترك مأمور أو فعل محظور, ويكون محمودا إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله, أما إذا أدّى بالعبد إلى اليأس والقنوط من رحمة الله, فهو إذن مذموم.

قال ابن القيم رحمه الله: [الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل, فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. قال أبو عثمان: "صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا". وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله"][4].

ألفاظ تقارب الخوف في المعنى:

---

1 (3) مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ص385, خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط, ط/الثالثة 1403هـ- 1983م, مكتبة دار البيان- دمشق, مكتبة المؤيد- الطائف.

2 (4) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (خوف) ص 166, وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي 2/576, تحقيق الأستاذ محمد علي النجار, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة 1385هـ, والفروق اللغوية تأليف أبي هلال العسكري ص238, ط/الثانية 1977م, دار الآفاق الجديدة- بيروت.

3 (5) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص56, إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان إشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ط/الثانية 1426هـ- 2005م دار الثريا للنشر والتوزيع- الرياض.

4 (1) مدارج السالكين 1/514.

للخوف ألفاظ متقاربة له في المعنى, لكنها ليست مترادفة, وهذه الألفاظ هي: الخشية, والرهبة, والوجل, والهيبة, والإشفاق(1).

أما الخشية فهي خوف مقرون بمعرفة, فإن لم تكن معرفة فهو خوف مجرد, فهي إذن أخص من الخوف؛ ولذا كان العلماء أخشى الناس لله, كما قال تعالى: [illegible] (فاطر:28), وكما قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية)(2). فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية.

وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه, وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه, قال تعالى: [illegible] (الأنبياء:90).

وأما الوجل فهو الخوف مع رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته, أو لرؤيته. قال تعالى: [illegible] (المؤمنون:60).

وأما الهيبة فهو خوف مقارن للتعظيم والإجلال, وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة.

وأما الإشفاق فهو رقة الخوف, وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه, فنسبته إلى الخوف كنسبة الرأفة إلى الرحمة فإنها ألطف الرحمة وأرقها(3), قال تعالى: [illegible] (الأنبياء:49).

أقسام الخوف:

ينقسم الخوف إلى ثلاثة أقسام:

---

1 (2) مدارج السالكين 1/512 -513.

2 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب من لم يواجه الناس بالعتاب- ص515 برقم (6101), ومسلم في صحيحه- كتاب الفضائل- باب علمه صل الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته- ص1091 برقم (2356) عن عائشة.

3 (1) مدارج السالكين 1/518.

القسم الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم, وهو ما يسمى بخوف السر, وهذا لا يصلح إلا لله عز وجل, فمن أشرك فيه مع الله غيره فهو مشرك شركا أكبر يخرج من الملة. مثل أن يخاف الإنسان من غير الله من الأصنام أو الأموات, أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم, أو يخاف الشياطين والجن, يخاف من كل هذه الأشياء لئلا تضره أو ليسلم من شرورها[(1)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله بعد ذكر هذا القسم: "وهذا الخوف لا يكون العبد مسلما إلا بإخلاصه لله تعالى, وإفراده بذلك دون من سواه"[(2)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: "اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة, وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته, فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه, وكان يدعو إلى طاعة باطنة, وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه, كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة- التي هي من أعظم واجبات القلب- غير الله مع الله"[(3)].

القسم الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر خوفا من الناس. فهذا القسم من الخوف محرم ومذموم, وهو نوع من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد[(4)].

فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (لا يحقر أحدكم نفسه) قالوا: يا رسول الله, كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: (يرى أمرا لله عليه فيه مقال, ثم لا يقول فيه, فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك

---

[1] (2) فتح المجيد ص395, وتيسير العزيز الحميد ص363, والقول المفيد 2/68, وإعانة المستفيد 2/49.

[2] (3) تيسير العزيز الحميد ص363.

[3] (4) القول السديد في مقاصد التوحيد ضمن مجموعة من رسائل الشيخ السعدي ص47-48.

[4] (1) فتح المجيد ص396, وتيسير العزيز الحميد ص363.

أن تقول فيّ كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول الله: فإياي كنت أحق أن تخشى)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "السعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم لله, فترجو الله فيهم, ولا ترجوهم في الله, وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله, وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم, وتكفّ عن ظلمهم خوفا من الله لا منهم"[2].

القسم الثالث: الخوف الطبيعي والجِبِلِّي, وهو الخوف فيما أسبابه ظاهرة, كالخوف من عدو أو سبع, أو حية, أو هدم, أو غرق, ونحو ذلك.

وهذا الخوف ليس بعبادة, ولا ينافي الإيمان, ولا يُذمّ عليه صاحبه, وهو الذي ذكره الله عن موسى- عليه الصلاة والسلام- في قوله تعالى: □ □ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □ (القصص:21).

وهذا الخوف ليس عبادة وليس تركا لواجب, فلا يلام عليه الإنسان, ولا يؤاخذ إذا انعقدت أسبابه, أما إذا كان وهميا أو له سبب ضعيف فهو مذموم؛ لأن صاحبه جبان.

ثالثا: الرجاء:

معنى الرجاء لغة:

الرجاء بالمد مصدر قولهم: رَجوتُ فلانا أَرْجوهُ.

وهو مأخوذ من مادة (رج و) التي تدل على الأَمَلِ الذي هو نَقِيضُ اليَأْسِ. يقال: رَجوت فلانا رَجْواً, ورَجاءً, ورَجاوَةً, ومَرْجاةً, ورَجاةً. ويقال: ما أَتَيْتُكَ إِلا رَجَاوَةَ الخَيْرِ. و تَرَجَّاهُ وارتَجَاهُ ورَجَّاهُ تَرْجِيَةً كله بمعنى[3].

ويأتي الرجاء بمعان غير الأمل الذي هو نقيض اليأس, قال الفيروزآبادي: "وقد ورد الرجاء في القرآن على ستة أوجه:

---

1 (2) أخرجه ابن ماجه- كتاب الفتن- باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- 2718 برقم (4008), والإمام أحمد 3/30, 47 عن أبي سعيد الخدري, وذكره الألباني في ضعيف ابن ماجه.

2 (3) مجموع الفتاوى 1/51.

3 (1) انظر: مختار الصحاح ص267, ولسان العرب 14/309, والصحاح في اللغة مادة (رج و).

أولهــا: بمعــنى الخــوف [illegible] (نوح:13).

ومنه: [illegible] (النبأ:27).

الثاني: بمعـنى الطمع [illegible] (الإسـراء: 57).

الثالث: بمعنى توقع الثـواب [illegible] (فاطر:29).

الرابــع: الرجا المقصـور؛ بمعـنى الطـرف [illegible] (الحاقة:17).

الخـــامس: الرجأ المهمـــوز [illegible] (الأعراف:111), أي: احبسه.

السـادس: بمعـنى الـترك والتـأخير [illegible] (الأحزاب:51), أي: تؤخر"[1].

معنى الرجاء شرعا:

قال ابن القيم رحمه الله: "الرجاء حـاد يحـدو القلـوب إلى بلاد المحبوب, وهو الله والدار الآخـرة, ويطيب لها السير.

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى, والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى"[2].

والرجاء المتضمن للـذل والخضـوع لا يكـون إلا لله عز وجل, وصرفه لغير الله تعالى شرك, إما أصـغر, وإما أكـبر, بحسب ما يقوم بقلب الراجي, قال تعالى: [illegible] (الكهف:110)[3].

أنواع الرجاء:

الرجاء ثلاثة أنواع: نوعـان محمـودان, ونـوع غـرور مذموم.

يقول ابن القيم رحمه الله: "الرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان ونوع غرور مذموم.

---

1 (2) بصائر ذوي التمييز 3/50.

2 (3) مدارج السالكين 2/35.

3 (1) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص58.

فــالأولان: رجــاء رجل عمل بطاعة الله على نــور من الله فهو راج لثوابه. ورجل أذنب ذنوبا ثم تـــــــاب منها, فهو راج لمغفــرة الله تعــالى وعفــوه وإحســانه وجــوده وحلمه وكرمه.

والثــــــالث: رجل متمـــــاد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل, فهــذا هو الغــرور والتمــني, والرجــاء الكاذب"[1].

فيعلم من هــذا أن الرجــاء المحمــود لا يكــون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابهــا, أو تــاب من معصــيته ورجا قبول توبته, فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم[2].

قــال تعـالى: [illegible] (البقرة: 218).

وقد علق ابن أبي العز الحنفي رحمه الله على هــــــذه الآية فقــال: "فتأمل كيف جعل رجــاءهم مع إيمــانهم بهــذه الطاعــات! فالرجــاء إنما يكــون مع الإتيــان بالأســباب الــتي اقتضــتها حكمة الله تعــالى شــرعه وقدرته, وثوابه وكرامته. ولو أن رجلا له أرض يؤمل أن يعـــــــــود عليه من مغلها ما ينفعه, فأهملها ولم يحرثها ولم يبــذرها, ورجا أنه يــأتي من مغلها مثل ما يــأتي من حــرث وزرع وتعاهد الأرض؛ لعــده النــاس من أســفه الســفهاء! وكــذا لو رجا وحسن ظنه أن يجيئه ولد من غير جماع! أو يصير أعلم أهل زمانه من غــير طلب العلم وحــرص تــام! وأمثــال ذلك, فكــذلك من حسن ظنه وقـــوي رجـــاؤه في الفـــوز بالـــدرجات العلى والنعيم المقيم من غــير طاعة, ولا تقــرب إلى الله تعــالى بامتثــال أوامره واجتناب نواهيه"[3].

ولــذلك فــرق ابن القيم بين الرجــاء والتمــني وقــال: "الفرق بينه وبين التمني, أن التمــني يكــون مع الكسل, ولا

---

1 (2) مدارج السالكين 2/36.

2 (3) شرح ثلاثة الأصول ص58.

3 (1) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص325, ط/الرابعة 1391هـ المكتب الإسلامي- بيروت, وانظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ص 24, دار الكتب العلمية- بيروت, دون بيانات أخرى.

يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد, والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل"[1].

وقــال الحافظ ابن حجر رحمه اللــه: "المقصــود من الرجــاء أن من وقع منه تقصــير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه, وكـــذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها, وأما من انهمك على المعصـية راجيا عـدم المؤاخـذة بغـير ندم ولا إقلاع, فهذا في غرور"[2].

وعلى هذا, فلا يصح الرجاء إلا مع العمل. وعلامة صحة الرجــاء حسن الطاعــة. والرجــاء هو حسن الظن بالله عز وجـــل, وحسن الظن إن حمل على العمـــل, وحث عليـــه, وساق إليه؛ فهو صحيح, وإن دعا إلى ترك العمل والانهمـاك في المعاصي؛ فهو غرور. فمن كان رجاؤه هاد إلى الطاعة, وزاجر له عن المعصية فهو رجاء صحيح[3].

التلازم بين المحبة والخوف والرجاء:

المحبة والخـوف والرجـاء هي أعمـال القلـوب الثلاثة التي ترتكز عليها العبادة, وكل واحد منها مستلزم للآخر.

فعلى حسب المحبة وقوتها يكـون الرجـاء, فكل محب راج خـائف. فهو أرجا ما يكـون لحبيبه أحب ما يكـون إليـه, وكذلك خوفه أشد الخوف.

والخوف والرجاء أيضا متلازمان ـ فكل خائف راج, وكل راج خـائف. فـالخوف بلا رجـاء يـأس وقنـوط, والرجـاء بلا خـوف أمن من مكر اللــه, وكلاهما من كبـائر الـذنوب؛ لأن القنـوط من رحمة الله سـوء ظن باللـه. ومن أمن من مكر الله ساءت تصرفاته[4].

قال تعالى: [illegible] (الأعراف:99).

وقال تعالى: [illegible] (الحجر:56).

---

1 (2) مدارج السالكين 2/35.

2 (3) فتح الباري لابن حجر 11/364.

3 (4) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص24.

4 (1) أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم ص235.

فلا يجوز لمن خاف أن يقنط من رحمة الله, بل يكـون خائفا راجيا, يعمل بطاعة الله ويخاف عقابـه, ويرجو رحمته وثوابه.

والرجــاء يســتلزم الخــوف, ولــولا ذلك لكــان أمنــا, والخـوف يسـتلزم الرجـاء, ولـولا ذلك لكـان قنوطا ويأسـا. وليس الخـــوف ضد الرجـــاء, بل هو رفيق له ملازم لـــه. فالرجاء قائد, والخوف سائق. والرجاء والخـوف يسـتلزمان المحبة ويرجعان إليها[(1)].

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللـه: "وإذا كـانت المحبة أصل كل عمل ديـــني, فـــالخوف والرجـــاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع إليها, فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضـه, والخـائف يفر من الخـوف لينـال المحبوب"[(2)].

وقد مـــدح الله في كتابه من جمعـــوا بين الخـــوف والرجاء, فقال سبحانه: [illegible] (الزمر:9).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والخشية أبـدا متضـمنة للرجـاء, ولـولا ذلك لكـانت قنوطا, كما أن الرجـاء يسـتلزم الخـوف, ولـولا ذلك لكـان أمنا, فأهل الخـوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله"[(3)].

ووصف الله أنبيـاءه والصـالحين من عبـاده أنهم كـانوا يجمعون بين الخوف والرجاء, فيدعونه رغبا ورهبا, ويرجون رحمته ويخافون عذابه. قال تعالى: [illegible] (الأنبياء:90). والرغب هو جانب الرجاء. والـرهب هو جـانب الخوف.

وقال تعالى: [illegible] (الإسراء:57).

---

[1] (2) المرجع السابق ص236.

[2] (3) التحفة العراقية ص399.

[3] (4) الإيمان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ص 21, علق عليه جماعة من العلماء المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة, دون بيانات أخرى.

فعلم بهـــذه الأدلة وغيرها أنه يجب على المســـلم أن يكون دائما في جميع أحواله خائفا راجيا, يخاف عــذاب الله ويرجو ثوابه. يخـاف على المسـيئين من أمة محمـد- صـلى الله عليه وسـلم- ويرجو للمحسـنين. ولا خـوف نـافع بـدون رجاء, ولا رجاء بدون خوف.

رابعا: التوكل

معنى التوكل لغة:

التوكل على الشيء الاعتماد عليه.

وأصل التوكل من مادة (و ك ل), يقال: وَكِلَ بالله, وتوَكَّل عليه, واتَّكَل: استَسْلم إِليه. ويقال: وَكَلْتُ أَمري إِلى فلان أَي: أَلجَأْتُه إِليه واعتمدت فيه عليه. ووَكَّل فلانٌ فلاناً إِذا استَكْفاه أَمرَه ثِقةً بكِفايتِه أَو عَجْزاً عن القِيام بأَمر نفسه. والتَّوَكُّل:إظْهارُ العَجْزِ والاعتمادُ على الغيرِ[1].

معنى التوكل شرعا:

التوكل هو الاعتماد الصادق بالقلب على الله تعالى والثقة به في تحصيل ما ينفع العبد ودفع ما يضره في دينه ودنياه مع قيامه بالأسباب المأمور بها.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح, ودفع المضار, من أمور الدنيا والآخرة كلها, وكلة الأمور كلها إليه, وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع, ولا يضر ولا ينفع سواه"[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: "حقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار, ويثق غاية الوثوق بربه في

---

[1] (1) انظر: لسان العرب 11/734, والقاموس المحيط ص1381, ومختار الصحاح ص740, والصحاح في اللغة, ومعجم مقاييس اللغة ص1063, مادة (وكل).

[2] (1) جامع العلوم والحكم 2/497.

حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم, وهذا الاعتماد والثقة, فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له, ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله، وتعلق به، وكل إليه وخاب أمله"[1].

منزلة التوكل من الدين والإيمان:

التوكل على الله من أجمع أنواع العبادة وأعظمهـا؛ لما ينشأ عنه من الأعمــال الصــالحة, فإنه إذا اعتمد العبد على الله في جميع أموره الدينية والدنيويـة, دون كل من سـواه, صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى. وهو من أعظم منازل [illegible] (الفاتحـــــــــة:5), فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله[2].

وهو أيضا أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان, ولجميع أعمال الإسلام, وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس؛ فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن, فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل[3].

وتظهر منزلة التوكل من الدين والإيمان في كون الرب سبحانه وتعالى جعله شرطا للإيمان ولازما من لوازمه ومقتضياته, وجعله أيضا دليلا على صحة الإسلام, كما أمر به في آيات كثيرة في كتابه العزيز, حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات, كما أن الإخلاص لله واجب, وحب الله ورسوله واجب, وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة, ونهى عن التوكل على غير الله"[4].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه اللــه: "التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعــالى؛ لأنه من أفضل العبــادات,

---

1 (2) القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن مجموعة رسائل الشيخ عبد الرحمن السعدي ص49).

2 (3) فتح المجيد ص407.

3 (4) طريق الهجرتين ص389.

4 (1) الإيمان ص17.

وأعلى مقامات التوحيد, بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خــواص المؤمــنين... ولــذلك أمر الله به في غــير آية من القـــرآن أعظم مما أمر بالوضـــوء والغسل من الجنابة, بل جعله شــرطا في الإيمــان والإســلام, ومفهــوم ذلك انتفــاء الإيمان والإسلام عند انتفائه"[1].

أقسام التوكل:

يحسن بي وأنا أشرع في الكلام عن أقسام التوكل أن أذكر بعض التعريفات الأخرى للتوكل عند العلماء.

قال ابن جرير الطـبري رحمه اللـه: "الصـواب في حد التوكل الثقة بالله تعــالى والاعتمــاد في الأمــور عليــه، وتفويض كل ذلك إليه بعد اسـتفراغ الوسع في السعي فيما بالعبد الحاجة إليه من أمر دينه ودنيــــاه على ما أمر به من السعي فيه"[2].

وقـــال ابن القيم رحمه اللـــه: "التوكل عمل القلب وعبوديته اعتمـــادا على الله وثقة به والتجـــاء إليه وتفويضا إليه, ورضا بما يقضـــيه له لعلمه بكفايته ســـبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه, مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها"[3].

وقـــال أيضا رحمه اللـــه: "وحقيقة التوكل القيــــام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبِّب"[4].

وقـال عبد العزيز البخـاري[5] رحمه اللـه: "هو تفـويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه مع رعاية الأسباب"[6].

---

1 (2) تيسير العزيز الحميد ص370-371.

2 (3) شرح صحيح البخاري لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك 9/408, ضبط نصه وعبق عليه أبو تميم ياسر بن إبراهيم, ط/الأولى 1420هـ- 2000م, مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض.

3 (4) الروح ص254.

4 (1) مدارج السالكين 3/499.

5 (2) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري الحنفي علاء الدين, فقيه أصولي, من مصنفاته: كشف الأسرار في شرح أصول البزدوي, توفي سنة 730هـ.
انظر: معجم المؤلفين 5/242.

6 (3) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدري تأليف علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري 1/33, تحقيق عبد الله محمود محمد

إذا تأملنا فيما سبق ذكره من تعريفات العلمـاء للتوكل نـرى أن هنـاك شـيئا مشـتركا في تلك التعريفـات كلها وهو التعبير بـ (اعتماد القلب على الله), وفي هـذا دليل على أن التوكل بمعناه الشرعي هو الاعتماد بالقلب على الــرب جل وعلا مع الأخذ بالأسباب, وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي إذن تقســيم التوكل إلى: التوكل على اللــه, والتوكل على غــير الله, بل التوكل بمعناه الشرعي هو التوكل على الله وحده, وهو عبادة قلبية محضة, يجب إفراد الله تعـالى بهـا, أما إذا صرف لغـير الله فله حـالات تختلف حكمها بـاختلاف ما في قلب الإنسان المتوكِّل تجاه ما توكل عليه.

"ذلك أن حقيقة التوكل لا يصلح إلا لله جل وعلا؛ لأنه تفويض الأمر إلى من بيده الأمر, والمخلوق ليس بيده الأمر، فالتجاء القلب ورَغَب القلب وطمع القلب في تحصيل المطلوب إنما يكون ذلك ممن يملكه وهو الله جل وعلا، أما المخلوق فلا يقدر على شيء استقلالا وإنما هو سبب، فإذا كان سببا فإنه لا يجوز التوكل عليه؛ لأن التوكل عمل القلب وإنما يجعله سببا بأن يجعله شفيعا، أو واسطة، ونحو ذلك، فهذا لا يعني أنه متوكل عليه، فيجعل المخلوق سببا فيما أقدره الله عليه ولكن يفوض أمر النفع بهذا السبب إلى الله جل وعلا، فيتوكل على الله ويأتي بالسبب الذي هو الانتفاع من هذا المخلوق بما جعل الله جل وعلا له من الانتفاع أو من القدرة ونحو ذلك"[1].

فالتوكل على الله عبادة قلبية محضة, وهو الاعتماد المطلق على الله تعالى, بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضر؛ فيعتمد عليه اعتمادا كاملا, مع شعوره بافتقاره إليه.

وإفراد الله جل وعلا بالتوكل واجب, وإذا صرف لغير الله فله ثلاث حالات:

عمر, دار الكتب العلمية- بيروت, 1418هـ- 1997م.

[1] (4) التمهيد لشرح كتاب التوحيد دروس ألقاها الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ص376, ط/الأولى 1423هـ- 2002م, دار التوحيد- الرياض.

الحالة الأولى: أن يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب منفعة أو دفع مضرة, كأن يتوكل على المخلوق في مغفرة الذنوب، وتحصيل الخيرات الأخروية، أو يتوكل على المخلوق في تحصيل ولد أو تحصيل الوظيفة، فيتوكل عليه بقلبه، وهو لا يقدر على ذلك الشيء, فهذه عبادة صرفت لغير الله وهو شرك أكبر به جل وعلا مناف لأصل التوحيد[1].

الحالة الثانية: أن يتوكل على المخلوق الحي الحاضر فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى، وهذا شرك خفي، وشرك أصغر؛ لقوة تعلق القلب بهذا المخلوق واعتماده عليه, مثال ذلك اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه, فتجد واحدا من هؤلاء يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار, كما تلاحظ في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر, فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب, بل جعله فوق السبب.

ولهذا قال طائفة من أهل العلم: لا يجوز أن يقول الإنسان: توكلت على الله ثم عليك؛ لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل، فإن التوكل إنما هو تفويض الأمر والالتجاء بالقلب إلى من بيده الأمر وهو الله جل وعلا، والمخلوق لا يستحق شيئا من ذلك.

أما لو اعتقد أن هذا الإنسان سبب, وأن الله تعالى هو الذي أقدره على هذا الشيء وأجراه على يديه, فهذا لا بأس به, إذا كان لهذا الإنسان أثر صحيح في حصول المراد.

فالتوكل حقيقته في الشرع تجمع عبادة قلبية عظيمة، وهي تفويض الأمر إلى الله جل وعلا، والالتجاء إليه، والعلم بأنه لا أمر إلا أمره، ولا شيء إلا بما قدره وأذن به كونا, ثم فعل السبب الذي أوجب الله فعله أو أمر بفعله، فترك فعل الأسباب ينافي حقيقة التوكل الشرعية، كما أن الاعتماد على السبب وترك تفويض الأمر إلى الله ينافي حقيقة التوكل الشرعية، فالمتوكل في الشرع هو من عمل

---

[1] (1) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص375, وانظر: تيسير العزيز الحميد ص372.

السبب، وفوض الأمر إلى الله في الانتفاع بالسبب، وفي حدوث المسَّبب من ذلك السبب، وفي توفيق الله وإعانته, فإنه لا حول ولا قوة إلا به جل وعلا[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "اعلم أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد, ومحو الأسباب أن تكون أسبابا تغيير في وجه العقل, والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع"[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: "التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب, ويندفع بها المكروه, فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل, ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب, وقطع علاقة القلب بها, فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها, وحال بدنه قيامه بها"[3].

وقال أيضا: "إنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده, بل حقيقة التوكل توحيد القلب, فما دامت فيه علائق الشرك, فتوكله معلول مدخول, وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل, فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه, فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة, ومن ههنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب, وهذا حق, لكن رفضها عن القلب, لا عن الجوارح, فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب, وتعلق الجوارح بها, فيكون منقطعا منها متصلا بها"[4].

الحالة الثالثة: الاعتماد على الغير في فعل ما يقــدر عليه نيابة عنه, فهذا جـائز, وهو الـذي سـمي بالوكالـة, وقد دل على جوازها الكتاب والسنة والإجماع, قال يعقوب عليه

---

1 (1) انظر: القول المفيد 2/89, والتمهيد لشرح كتاب التوحيد ص374-376, وأعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم ص400.

2 (2) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية 3/231, ومنهاج السنة النبوية 8/80, وبغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ص262, تحقيق الدكتور موسى سليمان الدويش, ط/الأولى 1408هـ, مكتبة العلوم والحكم.

3 (3) مدارج السالكين 2/120.

4 (4) المرجع السابق 2/120.

السلام: (يوسف:87), ووكل النبي- صلى الله عليه وسلم- علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن ينحر ما بقي من المائة بعد أن نحر- صلى الله عليه وسلم- بيده الشريفة ثلاثا وستين[1].

لكن لا يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه, بل يتوكل على الله سبحانه وتعالى في تيسير أمره الذي يطلبه, إما بنفسه أو بنائبه, ولهذا لا يقال: توكلت على فلان, وإنما يقال: وكلت فلانا[2].

خامسا: الاستعانة

معنى الاستعانة لغة:

الاستعانة هي: طلب العون, قال تعالى: (البقرة: 153)[3].

والعون: الظهير على الأمر, والجمع الأعوان. ويقال: استعنته واستعنت به فأعانني وعاونني. وفي الدعاء: (ربّ أعني ولا تعن عليّ)[4]. وتعاون القوم إذا أعان بعضهم بعضا[5].

معنى الاستعانة اصطلاحا:

---

1 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم- ص880 برقم (1218) عن جابر بن عبد الله.

2 (2) انظر: رسالة في تحقيق التوكل لابن تيمية, مطبوعة ضمن جامع الرسائل 1/89, تحقيق محمد رشاد سالم, دون بيانات أخرى, وتيسير العزيز الحميد ص372, وشرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص59.

3 (3) المفردات ص356 (مادة عون).

4 (4) من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الوتر- باب ما يقول الرجل إذا سلم- ص1334 برقم (1510), والترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب [رب أعني ولا تعن علي...]- ص2017 برقم (3551), وابن ماجه في سننه- كتاب الدعاء- باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم- ص2705 برقم (3830), وابن حبان في صحيحه 3/227 برقم (947), وابن أبي شيبة في المصنف 6/50 عن ابن عباس, قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح, وذكره الألباني في صحيح أبي داود برقم (1337).

5 (5) انظر: الصحاح, ولسان العرب 13/298, والمصباح المنير ص357 (مادة عون).

الاستعانة هي: طلب ما يتمكن به العبد من الفعل ويوجب السير عليه[1]. وهي أقسام:

القسم الأول: الاستعانة بالله عز وجل, وهي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع, ودفع المضار, مع الثقة به في تحصيل ذلك[2].

وهذه الاستعانة تجمع أصلين كما اتضح في تعريفها, هما: الثقة بالله والاعتماد عليه[3].

وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه, وتفويض أمره إليه, واعتقاد كفايته. وهذه لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى؛ لأنها عبادة, ودليلها قوله جل وعلا: (الفاتحة:5).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والاستعانة منها ما لا يصح إلا لله وهي المشار إليها بقوله: (الفاتحة:5), فإنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله, وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه كما قال تعالى: (المائدة:2)"[4].

القسم الثاني: الاستعانة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه, فهذه على حسب المستعان عليه, فإن كانت الاستعانة على بِر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين, لقوله تعالى: (المائدة:2), وقال تعالى عن ذي القرنين: (الكهف:95).

وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين, لقوله تعالى: (المائدة:2).

أما إن كانت الاستعانة على أمر مباح فهي جائزة للمستعين والمعين أيضا, ويثاب المعين على ذلك ثواب

---

[1] (6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي أبي الفضل 1/87, دار إحياء التراث العربي- بيروت.

[2] (1) تفسير السعدي ص25.

[3] (2) مدارج السالكين 1/75.

[4] (3) تلخيص كتاب الاستغاثة 1/422.

الإحسان إلى الغير, ومن ثم تكون في حقه مشروعة, لقوله تعالى: [illegible] (البقرة:195).

القسم الثالث: الاستعانة بالمخلوق الحي الغائب فيما يقدر عليه لو كان حاضرا, كأن ينادي الغريق رجلا غائبا عنه يستعين به لمباشرة إنقاذه من الغرق. والاستعانة بالأموات مطلقا فيما هم قادرون عليه لو كانوا أحياء, كأن ينادي امرؤٌ يحترق بيتُه الأموات يستعين بهم ليساعدوه على إطفاء الحريق. والاستعانة بالمخلوق أيا كان فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى, كأن يطلب إنسان من مخلوق مثله أن يوسّع له في رزقه أو يشفي مريضه أو ينزل المطر.

هذا القسم من الاستعانة شرك أكبر يخرج من الملة؛ وذلك أن المستعين في الحالات الثلاث يعتقد أن المخلوق المستعان به يعلم الغيب, وله قدرة غيبية يتصرف بها في الكون, وأن للأموات تصرف بعد موتهم, فهو في تلك الحالات كلها قد أشرك مع الله غيره في ربوبيته التي هي حق خالص له سبحانه وتعالى.

القسم الرابع: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى, وهذه مشروعة بأمر الله في قوله جل وعلا: [illegible] (البقرة: 45)[1].

سادسا: الخضوع:

معنى الخضوع لغة:

الخضوع من (خضع), يقال: خَضَعَ, يَخضَعُ, خضعا, وخضوعا, أي: تطامن, وتواضع, وتذلل, وسكن[2].

إذن فالخضوع في اللغة معناه: التطامن, والتواضع, والتذلل, والسكون.

---

1 (1) انظر: معجم ألفاظ العقيدة تأليف أبي عبد الله عامر عبد الله فالح ص24-26.

2 (2) انظر: مختار الصحاح ص196, ولسان العرب 8/72, وتاج العروس ص5188 مادة (خضع).

والخضوع والخشوع بمعنى واحد, قال الفيومي: "خشع, خشوعا: إذا خضع"[1]. وقال الراغب الأصفهاني في شرح معنى الخضوع: "الخضوع هو الخشوع"[2].

وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي: "ومن أنواع العبادة الخضوع, وهو والخشوع والتذلل بمعنى"[3].

وقيل: الخشُوعُ بمعنى الخُضُوعِ, إلاَّ أنَّ الخُضُوعَ في البَدَنِ وهو الإقْرَارُ بالاستِخدامِ, والخُشُوعُ في البَدَن والصَّوْتِ والبَصَر[4].

قال في تحفة الأحوذي: [التخشع السكون والتذلل, وقيل: الخشوع قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن, والخشوع في البصر والبدن والصوت, وقيل: الخضوع في الظاهر والخشوع في الباطن, والأظهر أنهما بمعنى, لقوله- عليه الصلاة والسلام: (لو خشع قلبه لخشعت جوارحه)[5]][6].

قلت: الذي يظهر لي أن الخشوع والخضوع بمعنى واحد كما دل عليه كلام العلماء من اللغويين وغيرهم, وعلى ذلك سأبين التعريف الاصطلاحي.

معنى الخضوع شرعا:

الخضوع هو الخشوع, وهو الذل والتطامن لعظمة الله تعالى بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي[7].

---

1 (1) المصباح المنير ص145.

2 (2) المفردات في غريب القرآن ص156, وانظر: تاج العروس ص 5186,

3 (3) معارج القبول 2/560.

4 (4) كتاب العين تأليف أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي 1/112, تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال دون بيانات أخرى.

5 (5) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه 2/86, موقوفا على سعيد بن المسيب, وضعفه الألباني في تخريج أحاديث كتاب الإيمان لابن تيمية, ص27.

6 (6) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا 2/327.

7 (7) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص59.

وقيل: هو الخضوع لله تعالى والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح[8].

والخضوع نوع من أنواع العبادة يجب إخلاصه لله سبحانه وتعالى, فلا خضوع ولا تذلل بأي وجه من الوجوه لشيء آخر غيره مهما عظم ذلك الشيء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أما الخضوع والقنوت بالقلوب, والاعتراف بالربوبية والعبودية, فهذا لا يكون على الإطلاق إلا لله سبحانه وتعالى وحده[2].

ذلك أن العبادة معناها الذل والخضوع, يقال: طريق معبد, أي: مذلل, بل الدين كله يتضمن معنى الخضوع والذل, يقال: دنته فدان, أي: ذلّلته فذلّ, ويقال: يدين الله ويدين لله, أي: يعبد الله ويطيعه ويخضع له, فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له[3].

قال القرطبى: "أصل العبادة الخضوع والتذلل"[4], "وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى"[5].

وقال المناوي: "وما شرعت العبادة إلا للخضوع للباري والافتقار إليه"[6].

وبالخضوع الكامل لرب العزة جل وعلا تتحقق الرفعة وعلو المنزلة للعبد في الدارين؛
لأن "العبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارا إليه وخضوعا له, كان أقرب إليه وأعز له وأعظم لقدره, فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله"[7].

ولعظيم منزلة الخضوع من الدين كان أقرب ما يكون العبد من ربه حينما يحقق كمال الخضوع له جل وعلا وغاية

---

8 (8) مجموع الفتاوى 28/31.

2 (1) مجموع الفتاوى 4/360.

3 (2) انظر: المرجع السابق 10/152.

4 (3) تفسير القرطبي 1/157.

5 (4) فتح المجيد ص41.

6 (5) فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبد الرؤوف المناوي 3/540.

7 (6) مجموع الفتاوى 1/39.

ذلك في سجوده حيث يضع أعز وأكرم ما في جسمه على الأرض لله تعـالى في أقـصى خضـوعه وتذلله, قال تعـالى:

(العلق:19), وقال النبي- صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد, فأكثروا الدعاء)[1][2].

قال المناوي[3] في شرحه لحديث وصية الرسول- صلى الله عليه وسلم- لثوبان رضي الله عنه: "(عليك بكثرة السجود)[4]: أي: الزمها بأن تطيل السجود أكثر من بقية أركان الصلاة؛ لما فيه من إظهار الافتقار والتزام الخضوع والذلة بين يدي ملك الملوك, (فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة) أي: منزلة عالية في الآخرة, فلا يزال العبد يترقى بالمداومة على السجود درجة فدرجة حتى يفوز بالقدح المعلى من القرب الإلهي"[5].

وحصول المسلم على هذه الثمار الطيبة لم يقتصر على إظهار الخضوع للرب في حالة السجود فحسب بل كل حالة أظهر فيها العبد خضوعه وتذلله وتضرعه له تعالى كان فيها أقرب إليه وأدعى لأن تستجاب دعوته.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: (وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء, فقمن أن يستجاب لكم)[6].

وقال النووي في كلامه في الركوع, باب الندب إلى وضع الأيدي على الركـب في

---

1 (7) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الصلاة- باب ما يقال في الركوع والسجود- ص754 برقم (482) عن أبي هريرة.

2 (8) انظر: مجموع الفتاوى 21/284.

3 (1) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري زين الدين, من كبار العلماء بالدين والفنون, له عدة مصنفات منها: فيض القديرو شرح الشمائل للترمذي, توفي سنة 1031هـ.
انظر: الأعلام 6/204, معجم المؤلفين 10/166.

4 (2) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الصلاة- باب فضل السجود والحث عليه- ص754 برقم (488) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

5 (3) فيض القدير 4/334.

6 (4) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الصلاة- باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود- ص753 برقم (479) عن ابن عباس.

الركوع: "أصل الركوع في اللغة: الخضوع والذلة, وسمي الركوع الشرعي ركوعا؛ لما فيه من صورة الذلة والخضوع والاستسلام"[1].

وفي حالة رفع اليدين أثناء الدعاء, [قال المهلب: "رفع اليدين في الاستسقاء وغيره مستحب؛ لأنه خضوع وتذلل، وتضرع إلى الله تعالى، وروي عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إن الله تعالى حيي كريم, يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين)[2]][3].

فالمقصود من خلال ما سبق عرضه من الدلائل أن غاية ما يتمناه العبد هو رضوان الله؛ إذ به تجتمع له سعادة الدنيا والآخرة, لكن تلك السعادة لن تتحقق له إلا بكمال خضوعه وخشوعه وتذلله لرب الأرباب.

فيجب صرف أي شكل من أشكال هذا الخضوع لله وحده لا شريك له, سواء كان بالقلب أو بالجوارح, فمن صرف شيئا مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك ولو نطق بالشهادتين؛ إذ لم يعمل بما تقتضيانه من التوحيد والإخلاص.

---

1 (5) شرح النووي على صحيح مسلم 5/21.

2 (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الوتر- باب الدعاء- ص1333 برقم (1488), والترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب [(إن الله حيي كريم..)]- ص2018 برقم (3556), وابن ماجه في سننه- كتاب الدعاء- باب رفع اليدين في الدعاء- ص2707 برقم (3865), وابن حبان 3/160 برقم (876) عن سلمان الفارسي, قال الترمذي: حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (2638).

3 (2) شرح صحيح البخاري لابن بطال 3/21.

المبحث الثاني
الانحراف في العبادات القلبية حكمه وصوره

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه التحفة العراقية: "فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب... وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين, مثل محبة الله ورسوله, والتوكل على الله, وإخلاص الدين له, والشكر له, والصبر على حكمه, والخوف منه, والرجاء له, وما يتبع ذلك"[1].

ويقول في موضع آخر: "جماع الأمر أن كل قول وعمل فلا بد له من ظاهر وباطن, فظاهر القول لفظ اللسان وباطنه ما يقوم من حقائقه ومعانيه بالجنان, وظاهر العمل حركات الأبدان, وباطنه ما يقوم بالقلب من حقائقه ومقاصد الإنسان"[2].

فبمثل هذه وغيرها من أقوال العلماء تعرف منزلة أعمال القلوب, وهي أعمال تتعلق بالقلب, ويؤديها العبد عن طريقه.

والقلب أعظم ما يمتلكه المرء؛ إذ إنه مَلك الجوارح وسيدها المطاع, وهو موجِّه الأوامر؛ ولذا فإن من أخطر أنواع الاستعباد أن يستعبد قلب المرء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن؛ فإن من استُعبد بدنُه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا, بل يمكنه الاحتيال في الخلاص. وأما إذا كان القلب الذي هو الملك رقيقا مستعبدا متيما لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبَد القلب"[3].

وإنه لحجة دامغة وبرهان قاطع على أن القلب قد أسر واستعبد لغير الله إذا أخذ المرء يصرف تلك الأعمال

---

1 (1) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص289.

2 (2) مجموع الفتاوى 13/262.

3 (3) المرجع السابق 10/186.

المتعلقة بالقلب, التي حقها أن يخلص لله تعالى, إذا أخذ يصرفها لغير الله. فتكون النتيجة أن العبودية التي هي أشرف مقام العبد وأعظم ما يصرف لله سبحانه وتعالى أن يجعل لغيره ظلما.

ومن أعظم ما ابتلي به مسلمو نيجيريا أن هذه الأعمال القلبية التي سبق بيان منزلتها الجليلة من الدين والإيمان قد أخفق الكثير منهم في أدائها لمستحقها الذي هو الباري جل جلاله.

وتجب الإشارة في هذا الصدد- وأنا أشرع في ذكر صور تلك الانحرافات- إلى ذلك التأثير القوي الذي حققته الأجهزة الإعلامية: المسموع منها والمرئي في توجيه مسلمي نيجيريا إلى صرف العبادات القلبية لغير الله, حيث توجد برامج عديدة منظّمة, من محاضرات وأفلام, يسعى من خلالها إلى إعادة تلك العادات والتقاليد الجاهلية الأولى التي كان عليها الأجداد قبل الإسلام.

وقد كان هذا النشاط في أول الأمر قليلا ثم كثر... ضيقا ثم اتسع... عفويا ثم طفق يأخذ صفة الكيد والتدبير والدس المتعمد, والهدف في ذلك كله إعادة المسلمين إلى تقاليد أجدادهم الوثنية, وإقناعهم بأنها مجرد عادات ولا تمت للدين بالصلة, وإبعادهم عن العقيدة الإسلامية السليمة التي لا توجد بينها وبين تلك العادات أدنى توافق.

صور الانحراف في العبادات القلبية:

فالانحراف في العبادات القلبية لدى مسلمي نيجيريا له صورة واحدة, وهي صرف هذه العبادات لغير الله تعالى, إلا أن ما يصرف له هذه العبادات من المخلوق أنواع, وهي:

أ- شياطين الإنس والجن:

فإنه يوجد بين مسلمي نيجيريا أناس يستعينون بشياطين الإنس والجن, ويخضعون لهم ويتوكلون عليهم, ويحبونهم ويرجون منهم جلب المنافع مثل الغنى والرفعة والجاه والمكانة, كما يخافونهم لئلا يضروهم أو ليدفعوا عنهم الضر بشتى أنواعه مثل المرض والفقر والموت وغير ذلك.

والمقصود بشياطين الإنس هم أناس من شتى فئات المجتمع, فيهم الرجال والنساء ولربما النساء أكثر, ينتمون إلى جمعيات سرية وثنية, شغلهم الشاغل الإضرار بالناس وإحداث الكدر في حياتهم, حتى لا يطيب لهم عيش ولا يهنأ لهم قرار.

ودأب هؤلاء الشياطين أنهم يتحركون في ظلمة الليل, ويجتمعون في الغابات أو الأماكن الخفية حيث لا يراهم أحد, ويستخدمون في أعمالهم الخبيثة قوى وثنية خفية لا تميز حتى بين أقرب الناس إليهم في الإضرار.

والذي ينتمي إلى هذه الفئة يسمى بـ (oso أوسو) أو (aje أجي) في لغة اليوربا, ويسمى بـ (bori بوري) أو (gori غوري) في لغة الهوسا, كما يسمى بـ (ozo أوزو) في لغة إيبو.

وعلى الرغم من كون هذه الجمعيات وثنية محضة وأغراضها خبيثة ولا يسعى المنتمون إليها لتحقيق أدنى خير على أيديهم إلا أنه وُجِدَ عدد من مسلمي نيجيريا ينتمون إلى هذه الجمعيات بالإضافة إلى الذين يتوجهون إلى أعضائها بشتى أنواع العبادات القلبية وغير القلبية دون أن ينتموا إليهم.

أما صرف هذه العبادات لشياطين الجن, فإن أغلب الذين يقعون في هذا الانحراف هم المنتسبون إلى الدراسات الإسلامية من خلال تلك الأدعية المبتدعة التي يتناقلونها فيما بينهم, ولها أمثلة كثيرة.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال في (عون العلماء الصالحين) في دعاءٍ للشفاء من الأمراض, وفيه: "يا فطغطيائل يا زرزيائل يا دمدميائل يا ملكيائل يا تابيائل يا تبيائل يا عجبيائل, أجب يا روقيائل- صم بكم عمي فهم لا يرجعون..."[1].

ويلاحظ في هذا الدعاء الاستعانة بالجن بمناداة أسمائهم.

---

[1] (1) عون العلماء الصالحين ص15.

وقال في موضع آخر في دعاء يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر: "يكون ذلك اليوم من أصعب أيام السنة كلها, فيستحب أن يصلى في ذلك اليوم أربع ركعات, ويقرأ في كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة..."[1].

ففي هذا المثال تطير واضح بأيام السنة, وهو نوع من الانحراف في التوكل.

وقال صاحب (دعاء الغاية المقصودة الكبرى) في الاستعانة بما يسمى خدّام السورة والروحانية: "أقسمت عليكم معاشر الأرواح الروحانية الطاهرة الزكية, خدام هذه السورة الشريفة العظيمة, بحقها عليكم, وطاعتها لديكم, وبما تلوته فيها من الآيات والذكر الحكيم, أن تطيعوا أمري وتقوموا بقضاء حوائجي, من تسخير القلوب وإذهالها في محبتي, وجلب الأرزاق من سائر الجهات والأطباق, وإنفاذ كلمتي وإعلائها"[2].

وقال الشيخ أبو بكر محمود غومي رحمه الله في ذكر أنواع السحر التي يتعاطاها من أسماهم بعلماء السوء في نيجيريا, حيث قال: "الثاني: الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن, وطلب الاتصال بها, ومن الأساليب التي يستعملونها الرقى والدخن والبخور والتجريد, ويسمى هذا النوع من السحر بالعزائم. وكذلك عمل التسخير وهو كثير عند الناس اليوم"[3].

ب- السحرة والمشعوذون والكهنة:

لقد شهد الواقع أن السحرة والمشـعوذين والكهنة من أخطر النــاس على المجتمع النيجــيري؛ ذلك بســبب كــثرة افتتــانهم للنــاس بــالقوى الخبيثة الــتي أورثهم إياها سـيدهم إبليس عليه لعنة اللـــه. وقد صـــار من ديـــدن هـــؤلاء أنهم يلحقــون الضــرر بــالكثير دون أخطــاء تــذكر ممن يلحقــون الضرر بهم؛ لكي يتعب هؤلاء المتضررون ولا يجــدون حلــولا لمشـــاكلهم إلا بـــالفرار إلى أولئك المشـــعوذين, وكل ذلك

---

1 (2) المرجع السابق ص46.

2 (1) دعاء الغاية المقصودة ص30, وانظر: ص47, 56, 62, 65.

3 (2) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص31-32.

بإذن الله. قال تعالى: [illegible] (البقرة:102).

فمن هذا المنطلق صار الكثير من ضعاف الإيمان واليقين من مسلمي نيجيريا يؤمنون إيمانا عميقا بتلك القوى الشيطانية ويستسلمون لها. فتجد واحدا من هؤلاء المغلوبين على أمورهم يثق بقوى السحر والشعوذة إلى الدرجة أنه يثني عليها ويطمئن لها. وقد حدثني غير واحد ممن أجريت الحوار معه من علماء السنة في نيجيريا أن بعض هؤلاء الذين يتوكلون على السحر والشعوذة ويستعينون بهما إذا خرج من بيته بنية السفر ونسي ما أعطاه المشعوذ من التمائم مما يزعم أنه يحفظه من الشر ثم تذكر, فإنه يعود ليأخذ تلك التميمة معه؛ لما في اعتقاده أنه ما دام أن تلك التميمة معه فإنه لا تصيبه أية مصيبة من حادثة سيارة أو غيرها.

وقد تطرق إلى هذه النقطة واسترسل فيها الداعية النيجيري الموفّق الشيخ عيسى أكنديلي[1] في شريط له بعنوان "السحر وعلاجه" الإصدار الأول والثاني. ذكر في هذا الشريط المفيد أنواع السحر المنتشرة في الأوساط النيجيرية, ثم أعقبها بأنواع من العلاج الشرعي بشكل مفصل؛ ليستفيد منها المسلمون وليوقنوا بأن العلاج الشافي موجود في كتاب الله الذي بين أيديهم وسنة رسوله الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- لمن آمن بهما.

ولا يفوتني في هذا الصدد أن أذكر تلك المساهمة البالغة التي تُعد للأجهزة الإعلامية حيث تنظم برامج عديدة تعرض من خلالها قوى عملاء الشيطان من السحرة والمشعوذين, كل ذلك باسم العلاج بالأدوية الشعبية. كما

---

[1] (1) هو الشيخ الحاج عيسى أكنديلي صلاح الدين, من مواليد مدينة "إبادن" إحدى مدن جنوب نيجيريا, وهو من حملة لواء الدعوة السلفية في جنوب نيجيريا, وينتسب إلى جماعة التضامن المسلمين, الجمعية الإسلامية الوحيدة التي تضم أكبر عدد من خريجي جامعات المملكة العربية السعودية في جنوب- غرب البلاد, وقد احتل منصب أمير الجماعة مدة من الزمن, وهو في العقد الخامس من عمره حفظه الله, من كتاباته فيما يخص علاج السحر كتيّب بعنوان: الوقاية والشفاء بالكتاب والسنة, وكان يساعد المصابين بأضرار السحرة والمشعوذين والجن بقراءة الرقية الشرعية عليهم دون مقابل.

وجد برامج أخرى هي عبارة عن محاضرات وأفلام فيها حكايات عن أناس أصيبوا بأضرار شتى من مرض أو فقر أو غيرهما ولم يستطيعوا التخلص منها إلا بعد اتصالهم بهؤلاء السحرة والمشعوذين.

وكانت النتيجة في هذا الأمر كله الانجراف وراء الانحراف, حيث بدأ بعض المسلمين يصادقون عدو الله إبليس سرا ويعادونه علانية, فتجد واحدا منهم يصلي ويزكي ويصوم ويحج, لكن إذا أصيب بشيء تكرهه نفسه سرعان ما يتوجه إلى ساحر أو مشعوذ يستعين به, ويتوكل عليه, ويخاف منه, ويرجوه, ويخضع له.

ومما يلحق بهذه الصورة من الانحراف أن الناس بعد مشاهدتهم لتلك الأفلام الهادفة تأثروا بها؛ فتجد شخصا منهم إذا أصيب هو أو أحد أقاربه بمرض عادي مثل الصداع والحمى سرعان ما يتّهم جاره أو زميله في العمل بأنه هو الذي سحره أو أصابه بالعين؛ فأصبح الكثير يتوجهون إلى السحرة والمشعوذين والكهنة لعلاج أمراض عادية ينبغي أن تعالج بطريقة طبية. والله المستعان.

وللأثرياء والوجهاء باع طويل في صرف العبادات للسحرة والمشعوذين؛ ذلك أن الكثير منهم ليس لديه معرفة حقيقية بمفهوم عقيدة الإسلام وشريعته, فمنهم من لا يعرف شيئا عن أذكار الصباح والمساء ناهيك عن التزامه بها, وغالب ما يعرف أن يتخذ لنفسه زعيما روحيا من طلبة الدراسات الإسلامية الذي يقرأ بعض سور القرآن في بيته مرة في الأسبوع, وإذا أصابته نائبة من نوائب الدهر فسرعان ما تجده يلجأ إلى الساحر أو المشعوذ, فتوكله عليه, واستعانته به, وخوفه ورجاؤه له, وخضوعه وشكره له كذلك.

كما يوجد من أولئك الأثرياء والوجهاء من يتخذ لنفسه وقاية من الفتن والمصائب حفاظا على شرفه ومكانته وماله, فينفذ ما أملاه عليه شيطانه الساحر أو المشعوذ من النذر والذبح وتقريب القرابين لغير الله.

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال الشيخ أبو بكر محمود غومي رحمه الله بعد ذكر أنواع السحر المنتشرة في المجتمع النيجيري: "فهذه الأنواع كلها من السحر للطافة في مداركها, وقد استغلها علماء السوء وخدعوا بها الناس؛ فأكلوا أموالهم بالباطل باسم الدين فضلوا وأضلوا وخسروا الناس مرتين, فسلبوا الدين والدنيا. أعاذنا الله من اتباع الشياطين والهوى, ووفقنا باتباع الكتاب والسنة"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصورة من الانحراف في العبادات القلبية موجودة بشكل واضح في جنوب نيجيريا وشرقها, أما شمالها فإنها أخف فيه قليلا من المناطق الأخرى؛ وذلك بفضل الله أولا ثم بجهود العلماء الذين لا يحصون عددا في نشر الوعي الديني بين مسلمي شمال البلاد.

ج- أنبياء الله وغيرهم من الأولياء والصالحين, الأحياء منهم والأموات:

فإنه يوجد بين مسلمي نيجيريا الذين بلغ بهم توقير أولياء الله والصالحين وتعظيمهم إلى حد صرف بعض أنواع العبادة لهم, والذين يُقدِمون على هذا الفعل الشنيع هم الجهال. ولربما يحصل ذلك دون رضا من هؤلاء الصالحين ودون تصرف يوحي بأنهم وضعوا أنفسهم في تلك المكانة, وهذا هو الواجب من طرفهم إذا كانوا فعلا من أولياء الرحمن, قال تعالى: (آل عمران:79).

لكن المتحمسين من جهال المسلمين هم الذين يقدمون على تعظيم هؤلاء الصالحين فوق مكانتهم بغرض الاستفادة من علاقتهم بالله سبحانه وتعالى على حسب زعم المشركين الأوائل: (الزمر:3)؛ فينتهي بهم هذا الزعم الخبيث إلى أن يحبوا هؤلاء الصالحين مثل محبتهم لله, ويستعينوا بهم ويتوكلوا عليهم ويخضعوا لهم.

---

[1] (1) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص34.

أما المتصـوفة فما أكـثر ما سـاهموا به في هـذا الأمر شـــيوخهم ومريـــدوهم بـــدافع من أهـــوائهم المعوجـــة, ومصـالحهم الذاتيـة, وأغراضـهم الخبيثـة. فكم من تائه عن اللـه, وكم من جاهل يبحث عن الهداية والصـراط السـوي فوقع في أيدي هؤلاء فأضـلوه, وكم من عابد بغـير ما أنـزل الله.

فالمتصـــوفة يصـــرفون العبـــادات القلبية لمشـــايخهم الأحيـــاء والأمـــوات, حيث إنهم يحبـــونهم مثل حبهم للــه, ويخافونهم مثل خوفهم لله أو أشد, ودليل ذلك أنه لو طلب من أحدهم أن يحلف بالله فإنه يحلف به ولو كان كاذبا, وإذا طلب منه الحلف بشـيخه الميت لا يسـتطيع أن يقـدم على ذلك لما علم من سويداء قلبه أنه كاذب, وأنه إذا حلف بهذا الشيخ فسيلحق به الضر من جراء ذلك.

وكذلك يستعينون بمشايخهم أحيـاء وأمواتـا, ويتوكلـون عليهم, ويخضعون لهم, ويرجونهم.

والسـبب الـرئيس في جـرأة القـوم على صـرف هـذه العبادات التي هي حق خالص لله تعالى لغـير مسـتحقها هو تلك المنزلة المرموقة التي وضع فيها المتصوفة مشايخهم, فوقّروهم وعظّموهم وغلوا في تعظيمهم.

وهنـاك فئة أخـرى من فئـات المسـلمين في المجتمع النيجـــيري يصـــرفون هـــذه العبـــادات للأنبيـــاء والأوليـــاء والصالحين, وهم المنتسـبون إلى الدراسـات الإسـلامية من الطلبة وأساتذتهم أدعياء العلم, وكانوا يشاركون في صرف هذه العبادات لغـير الله من خلال الأدعية الـتي يسـألون بها قضـاء الحـوائج, وكـذلك الأبيـات الشـعرية الـتي يحفظونها ويرددونها دون أدنى محاولة للتميـــــيز بين الـــــتي تحمل المعاني الصحيحة والتي مضـامينها هي عين الإشـراك بالله سبحانه وتعـالى بصـرف الحقـوق الخاصة به لما سـواه من المخلوقين, والـذي يغلب على الظن أن هـؤلاء قد أتـوا من قبل الخلل في مصـــــادر التلقي ومنهج الاســـتدلال؛ إذ إن أساتذتهم الذين يتلقون عنهم العلوم الإسـلامية أكـثرهم من المتصـوفة أو المتـأثرين بهم, ومهما يكن فما دام أن الأصل مريض فسيكون الفرع الذي نشأ منه أيضا مريضا.

ذكر بعض الأقوال والأمثلة التي تشهد لوجــود هذه الصورة:

يقــول الشــيخ أبو بكر محمــود غــومي رحمه الله في كلامه عن شــطحات المتصــوفة النيجــيريين: "ومن البــدع المذمومة الـــتي تـــؤدي إلى الكفر تزكية النفس, وتعـــيين أشــخاص على مــراتب دينية بقــولهم: القطب, أو الغــوث, يقصـــدون به الشـــخص المعين عنـــدهم, وينســـبون إليه التصـرفات الكونيـة, ويحـذّرون عن مخالفته ولو خـالف هو الشريعة الغـراء المطهـرة, ويقولـون إنه يعلم علم البـاطن ويعمل به, ويسلب إيمان من يشـاء ويثبت إيمـان من أحب, ويعلم الغيب", ثم قال: "فهذه الدعاوى كلها باطلة وكاذبــة, من عمل الدجالين في الدين الإسلامي, ودخيلة فيه وصـلت إليه من رهبان النصارى وأحبار اليهود"[1].

وفي كتاب المـرآة الصـافية في بيـان حقيقة التصـوف وبعض رجاله ذوي المقامـات العالية لمؤلفه قــريب الله بن محمد الناصر الكبري الكنـوي[2], قـال في ذكر آداب المريد مع شيخه وإخوته: "أما الآداب الباطنة فمنها:

1- التسليم لشـيخه والطاعة في كل النصـائح والأوامر كتســـليم المـــريض لطبيبه ومراعـــاة أقواله في معالجته وتوصياته.

2- أن لا يعترض على شيخه؛ لأنه في ذلك البـاب عليم ومتخصص ومجتهـد, ومخالفته تقطع الروابط الروحية الـتي بينهما, وقال بعض العارفين: من قـال لشـيخه لم؟ لم يفلح أبدا إلا إن كان ذلك في نطاق العلم فإنه لا بأس بالمناقشة لتحصل الفائدة"[3].

---

[1] (1) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص44.

[2] (2) هو قريب الله بن الشيخ محمد الناصر الكبرى الكنوي القادري, نجل الشيخ محمد الناصر الكبرى زعيم الطريقة القادرية في نيجيريا, له نشاط قوي في نشر الطريقة القادرية من خلال كتاباته, وهو خليفة والده حاليا في دار القادرية بمدينة (كانو) شمال نيجيريا, من مؤلفاته: المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية, الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة صوكوتو العاصمة العلية, وهو في العقد السادس من عمره.

[3] (1) المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية تأليف قريب الله بن محمد الناصر الكبرى الكنوي ص

هكـــذا يقولـــون لكن الأمر يختلف في الواقع العملي, فإن شيخ الطريقة عند المتصـوفة الغلاة إله أصـغر لمريديه وأتباعــه, إذا تكلم بإصــدار أمر يســرعون في تنفيذ أمــره فكأنه نــزل الــوحي من الســماء؛ ولــذلك تجــدهم يبنــون الأضرحة والمقامات لمشايخهم إذا ماتوا ولا يكتفون بدفنهم مثل غـيرهم في مقـابر المسـلمين, ويصـرف لغـير الله من العبادات عند تلك المقامات والأضرحة ما الله به عليم.

وقال صاحب كتيّب (عون العلماء الصالحين) في دعـاء الخوف: "اللهم إني أخافك وأخاف من يخافك ولا أخاف من لا يخافـك, اكفـني شر من لا يخافك بحق من يخافـك, يا ذا الجلال والإكرام"[(1)].

فالتصريح بالخوف من غير الله واضح في هـذا الـدعاء المتكلّف, ومقصوده بقوله: "وأخاف من يخافك": أنه يخاف الأولياء والصالحين.

وفي بردة المديح المباركة للبوصيري, يقول وهو يمدح النبي الكريم- عليه الصلاة والسلام:

إن لـم يكن في معادي آخذا بيـدي فضلا وإلا فقل يا زلة القـدم.

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العـمم[(2)].

وفي (دعــاء الفــوز العظيم): "... وصل صــلاة كاملة وسلم سـلاما تاما على سـيدنا محمد الـذي تنحل به العقـد, وتنفرج به الكـرب, وتقضى به الحـوائج, وتنـال به الرغبـات وحسن الخـواتم, ويستسـقى الغمـام بوجهه الكـريم, وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك"[(3)].

وفي (عـون العلمـاء الـراتب): "من ضـاقت به السـبل فليقم في الثلث الأخــير من ليلة الجمعة إلى جمعة أخــرى وهو يقول ألف مـرة في خشـوع وخضـوع وبكـاء, ثم لينظر

59, دون أية بيانات.

[1] (2) عون العلماء الصالحين ص42.

[2] (3) بردة المديح المباركة للبوصيري ص34-35, وكان بعض المنتسبين للدراسات الإسلامية يخصصون هذه الأبيات وأمثالها مما يحمل معاني الاستغاثة والتذلل والتوكل, يخصصونها للدعاء وطلب قضاء الحوائج.

[3] (1) دعاء الفوز العظيم ص30.

الأمر, يقول: الصلاة والسلام عليك يا رسـول اللـه, ضـاقت حيلتي أدركني أغثني"[1].

ويقول قريب الله الكبرى الكنـوي القـادري: "ولنـا- أي معاشر القادريـــة- كيفية في التوسل بالشـــيخ عبد القـــادر الجيلاني رضي الله عنه,... يا الشيخ عبد القـادر الجيلاني أنا في حماك وتحت نظرك ورعايتك, فوجه عنايتك إلى حاجتي هذه, واشفع لي في قضـائها عند الله تعـالى, وارفع قصـتي إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم, فـأنت وسـيلتنا إلى الله ودخيلنا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم"[2].

ويلاحظ في هـذه الأمثلة صـرف العبـادات القلبية مثل الرجـــاء والتوكل والتـــذلل والخضـــوع للأنبيـــاء والأوليـــاء والصالحين. وأمثلة هذه الصورة كثيرة جدا في كتب مشايخ التجانية والقادرية في نيجيريــــا, وكـــذلك كتيّبـــات الأدعية المتكلفة الـــــتي ألفها بعض أدعيـــــاء العلم ظنا منهم أنهم يحسـنون صـنعا بوضع ما ينفع المسـلمين في دعــاء ربهم على حسب زعمهم.

حكم هذه الصور:

كل ما سبق ذكره من مظاهر صـرف العبـادات القلبية لغير الله لـدى بعض مسـلمي نيجيريا فهو شـرك؛ وذلك لما يأتي:

1- ما ورد من الأدلة على أن هذه العبادات من حقـوق الله الخاصة, وأنه يجب على العبد إفراد الله بها وأن صرف شيء منها لغير الله شـرك, فلكل واحد من هـذه العبـادات دلائل عدة على هذه الحقيقة.

ففي المحبة:

قوله تعالى: [illegible]
(البقرة:165).

---

1 (2) عون الإمام الراتب ص12.

2 (3) المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقام العالية ص141-142.

"وقوله تعالى: [illegible] أي: يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم, ولهذا يقولون لأندادهم وهم في النار: [illegible] (الشعراء:97, 98)"[1].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في تعليقه على الآية بعد ذكرها: "دلت الآية على أن من أحب شيئا كحب الله فقد اتخذه ندا لله وذلك هو الشرك الأكبر, كما دلت على وجوب إفراد الله بالمحبة الخاصة التي هي توحيد الإلهية"[2].

وما روي في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[3].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله وهو يذكر فوائد هذا الحديث: "إذا كان هذا شأن محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- فما الظن بمحبة الله؟"[4].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في ذكر مناسبة الحديث للباب: "إذا كان لا يكمل الإيمان حتى يكون الرسول- صلى الله عليه وسلم- أحب إلى الإنسان من نفسه والناس أجمعين؛ فمحبة الله أولى وأعظم"[5].

وفي الخوف:

قوله تعالى: [illegible] (البقرة:40), وقوله تعالى: [illegible] (البقرة:150), وقوله تعالى: [illegible] (المائدة:44).

---

1 (1) تيسير العزيز الحميد ص351.

2 (2) المرجع السابق ص351.

3 (3) سبق تخريجه ص467.

4 (4) تيسير العزيز الحميد ص355.

5 (5) القول المفيد على كتاب التوحيد 2/53.

ومنها أن إخلاص الخوف لله هو طريقة المقرّبين من عباده, من الأنبياء والملائكة والأولياء والصالحين؛ ولذلك مدحهم وأثنى عليهم به, فقال تعالى عن أنبيائه: (الأنبياء:90).

وقال تعالى عن الملائكة: (النحل:50), وقال أيضا: (الأنبياء:28).

وقال سبحانه عن عباده المؤمنين: (الرعد:21).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "الخوف عبودية القلب, فلا تصلح إلا لله"[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: (آل عمران:175), قال: "هذا نهيٌ من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره, وأمرٌ لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى, فلا يخافون إلا إياه. وهذا هو الإخلاص الذي أمر به عباده, ورضيه منهم, فإذا أخلصوا له الخوف, وجميع العبادة؛ أعطاهم ما يرجون, وأمنهم من مخاوف الدنيا والآخرة"[2].

وفي التوكل:

قوله تعالى: (هود:123).

وقوله تعـالى: (النمل:79).

وقوله جل شأنه: (الفرقان:58).

وقوله تعالى: (آل عمران: 159).

---

1 (1) طريق الهجرتين ص437.

2 (1) فتح المجيد ص396.

ومنها أن إفــراد الله تعــالى بالتوكل من أهم صــفات خواص عباده من الأنبياء والأولياء والصالحين, قال تعالى عن عباده المؤمنين: [illegible] (المائدة:23). قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في شـرحه للبـاب الـذي عقد بهـذه الآيـة: "أراد المصـنف رحمه الله بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعـالى, فـإن تقـديم المعمـول يفيد الحصر أي: وعلى الله فتوكلوا لا على غيره"[1].

وفي الاستعانة:

قوله تعالى: [illegible] (الفاتحة: 5), قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: "قال قتادة: [illegible] أي: يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قوله: [illegible] (الفاتحة:5), فإن هذه الاستعانة التي يختص بها الله تبارك و تعالى لم يثبتها لغيره أبدا كما أن العبادة له لم يثبتها لغيره أبدا"[3].

وفي سنن الترمذي, من وصايا النبي- صلى الله عليه وسلم- لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما, وفيه: (إذا سألت فاسأل الله, وإذا استعنت فاستعن بالله)[4].

"وهو خطاب شامل لجميع الأمة, وفي مضمون ذلك الأمر الواقع في جواب الشرط نهيٌ لنا عن الاستعانة بغير الله عز وجل؛ لأنه لا خالق للعباد وأفعالهم غيره تعالى, فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدره الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تُطلبَ الإعانةُ منه على فعل غيره, والعاقل يفهم ذلك بادئ بَدء"[5].

---

[1] (2) المرجع السابق ص407.

[2] (3) تفسير ابن كثير 1/52.

[3] (1) تلخيص كتاب الاستغاثة 1/438.

[4] (2) سبق تخريجه ص113.

[5] (3) معارج القبول 1/75-76.

ومنها أن الاستعانة بالله وحده هي طريقة عباده الأنبياء والمرسلين, قال تعالى عن موسى- عليه السلام: ﴿ [illegible] ﴾ (الأعراف: 128).

وكان صلى الله عليه وسلم يطلب الإعانة من الله وحده على طاعته وعبادته, وقد أوصى بذلك الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه قائلا: (أوصيك يا معاذ, لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[1].

وفي الخضوع والتذلل:

قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الإسراء:109).

وفي صحيح مسلم من حديث أذكار النبي- صلى الله عليه وسلم- في الركوع, وفيه: (خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي)[2].

ففي هذه النصوص وغيرها من نصوص الكتاب والسنة دلالة على أن الخضوع والتذلل لله تعالى من سنن خواص عباده, وقد أثنى عليهم بهما.

وبالخضوع والتذلل والتضرع يسألونه ويطلبون منه حاجاتهم, مثال ذلك أن عيسى- عليه السلام- كان إذا أراد أن يفعل شيئا من المعجزات التي يجريها الله على يديه من إحياء الموتى, وإبراء الأكمه والأبرص, وخلق الطير من

---

[1] (4) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الوتر- باب في الاستغفار- ص 1335 برقم (1522), والنسائي في سننه- كتاب السهو- باب نوع آخر من الدعاء- ص2172 برقم (1303), والحاكم في المستدرك 1/407 عن معاذ بن جبل, وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (1596).

[2] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل- ص800 برقم (771) عن علي بن أبي طالب.

الطين, تضرع إلى الله ورغب إليه بخضوع وتذلل حتى يقضي الله حاجته[1].

وإذا أجرى الله على أيدي أنبيائه شيئا من المعجزات, أو أعان أولياءه بشيء من الكرامات فإن ذلك كله يزيدهم خضوعا وتذللا وخشوعا له جل وعلا.

قال الكلاباذي[2]: "أما الأولياء فإنهم إذا ظهر لهم من كرامات الله شيء ازدادوا لله تذللا وخضوعا وخشية واستكانة وإزراء بنفوسهم وإيجابا لحق الله عليهم؛ فيكون ذلك زيادة لهم في أمورهم, وقوة على مجاهداتهم, وشكرا لله تعالى على ما أعطاهم"[3].

2- أن الله تعـالى قد جعل عـددا من هـذه الأعمـال القلبية من شـروط الإيمـان ولوازمـه, وفي ذلك دليل على انتفاء الإيمان بانتفائها, قـال تعـالى: (المائدة: 5).

فقد جعل الخوف منه شرطا في تحقيق الإيمان, ولازما من لوازمه, ودليلا على صحته, في مثل قوله تعالى: (آل عمران:175), وقد بوب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لهذه الآية بابا في كتاب التوحيد, وذكر في مسائله أن إخلاص الخوف لله من الفرائض[4].

---

1 (2) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام تأليف محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ص134, تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا, دار التراث العربي 1398هـ.

2 (3) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري أبو بكر, محدث, مشارك في بعض العلوم, من آثاره: التعرف لمذهب التصوف, بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار, توفي سنة 380هـ.
انظر: الأعلام 5/295, معجم المؤلفين 8/212.

3 (4) التعرف لمذهب التصوف تأليف محمد الكلاباذي أبو بكر ص73, دار الكتب العلمية- بيروت 1400هـ.

4 (1) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) 6/65.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في شرحه لهذه الآية: "فأمر تعالى بإخلاص هذا الخوف له, وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان, فمن لم يأت به لم يأت بالإيمان الواجب, ففيه أن إخلاص الخوف لله من الفرائض"[1].

كما جعل التوكل عليه شـــــرطا للإيمـــــان ولازما من لوازمه ومقتضياته, فقال جل وعلا: [illegible] (المائدة:23). وهذا شرط وجوب لا شـرط كمال. ففقدان التوكل ينافي أصل الإيمان, فلا إيمان لمن لا توكل له.

قال ابن القيم رحمه الله: "فجعل التوكل شرطا في الإيمان, فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل"[2].

وجعله أيضا دليلا على صـحة الإسـلام, فقـال تعـالى: [illegible] (يونس:84), ومفهـوم ذلك انتفـاء الإسـلام عند انتفاء التوكل, بل أكد ذلك بتكرير الشرط[3]

وكذلك المحبة فإن الله سبحانه جعل محبته هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه, فبكمالها يكمل, وبنقصها ينقص توحيد الإنسان.

3- أن مما قد فرغ منه أن لا خير يحصل ولا شر يــدفع من خلال توجه المرء بهذه العبادات إلى هؤلاء المخلــوقين, فكيف يحب ويخاف ويرجى ويتـذلل له ويسـتعان به ويتوكل على من لا قدرة له ليجلب الخير لنفسه أو يدفع الشر عنها ناهيك عن غيره؟ [illegible] (الحج:73).

وإذا ثبت أن لم يكن في الوجــود من يعطي, أو يمنــع, أو يضــر, أو ينفــع, أو يُســعد, أو يُشــقي, إلا الله ســبحانه وتعالى كان من غير المعقول ولا المقبـول أن يطلب المـرء هذا الخير من غير الله تعالى محبا وخائفا ومتـوكلا وخاضـعا

---

[1] (2) تيسير العزيز الحميد ص364.

[2] (3) طريق الهجرتين ص386, ومدارج السالكين 2/129.

[3] (4) انظر: طريق الهجرتين ص386.

لذلك الغير. فمن أحب غير الله تعالى, وخافه, ورجـاه, وذل له كما يحب الله ويخافه ويرجـــوه, فهو مشـــرك, وما أشد غباوته إذن, وما أظهر سفاهته!!

أما الموحدون الذين يخلصون هذه العبادات للـرب جل وعلا فإنه قد وعــدهم بــالأجر العظيم والثــواب الجزيل في هــذه الــدنيا وفي الــدار الآخــرة كل ذلك من ثمــرات هــذا الانقياد له والخلوص من الشرك وأهله.

فالرجاء له فوائد وثمرات, من أهمها:

أ- إظهــار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجــوه من ربه.

ب- أن الرجــاء يجلب محبة العبد للــه, فإنه كلما اشـتد رجـــاؤه, وحصل له ما يرجـــوه ازداد حبا لله تعـــالى, وشكرا له ورضا به وعنه.

ج- أنه يـــــوجب له المزيد من معرفة الله وأســـــمائه ومعانيها, والتعلق بها؛ فإن الراجي متعلق بأســماء الله الحسنى, متعبد بها, داع بها[1].

وكذلك التوكل على الله له فوائده وثمراته, منها:

أ- كفاية الله للعبد, لقوله تعالى: [illegible] (الطلاق:3).

وعن أبي ذر رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله- صلى الله عليه وسلم: [(إنـي

لأعـرف كلمة (وقـال عثمـان: آيـة) لو أخذ النـاس كلهم بها لكفتهم) قالوا: يا رسول الله أية آية؟ قـال: [illegible] (الطلاق:2)][2].

---

[1] (1) انظر: مدارج السالكين 2/50-52.

[2] (1) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب الزهد- باب الورع والتقوى- ص 2733 برقم (4220), والدارمي في سننه 2/392 برقم (2725), وأحمد في المسند 5/178, وابن حبان في صحيحه 15/53 برقم (6669), والحاكم في المستدرك 2/534 برقم (3819) عن أبي ذر, وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه, وذكره الألباني في ضعيف ابن ماجه.

قال ابن القيم رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: (الطلاق: 3): "أي: كافيه, ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه...، قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من نفسه, وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته, فقال: ولم يقل: فله كذا وكذا من الأجر, كما قال في الأعمال, بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه, وحسبه, وواقيه, فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله, وكادته السموات والأرض ومن فيهن, لجعل له مخرجا, وكفاه, ونصره"[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله, توكلت على الله, ولا حول ولا قوة إلا بالله, يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت, فتتنحى له الشياطين, فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟)[2].

ب- أن التوكل على الله من أعظم الأسباب في جلب الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة.

وعلى رأس الخيرات التي تجلب بالتوكل على الله تعالى دخول الجنة, فإن من فضائل التوكل أنه من الأسباب التي تدخل العبد الجنة بلا حساب ولا عذاب, كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب), قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: (هم الذين لا يكتوون, ولا يسترقون, ولا يتطيرون, وعلى ربهم يتوكلون)[3].

---

1 (2) التفسير القيم للإمام ابن القيم (تفسير سورة الفلق) ص587, جمعه محمد أويس الندوي, حققه محمد حامد الفقي, ط/الأولى 1408هـ- 1988م, دار الرائد العربي- بيروت, وبدائع الفوائد 2/464-465.

2 (3) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب- باب ما يقول إذا خرج من بيته- ص1596 برقم (5095), وابن حبان في صحيحه 3/104 برقم (822) عن أنس بن مالك, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (500).

3 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب من اكتوى أو كوى غيره, وفضل من لم يكتو- ص488 برقم (5705), ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين

ومن تلك الخيرات أيضا تيسير الرزق, قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم تـوكّلتم على الله حق توكله, لرزقكم كما يرزق الطير, تغدو خماصا, وتروح بطانا)[1].

ومن أكبر المضار الذي يدفعه التوكل ويبعده عن العبد الشرك بالله, ففي السنن وغيرها: (الطيرة شرك, الطيرة شرك). قال ابن مسعود: وما منَّا إلاَّ[2] ولكن الله يُذهبه بالتوكل[3].

ج- أن التوكل يورث محبة الله سبحانه وتعالى للعبد, يقول جل شأنه: ﴿ [illegible] ﴾ (آل عمران: 159).

د- الرضا بقضاء الله وقدره, والرضا بقضاء الله من أعظم فوائد التوكل على الله؛ وذلك أن العبد إذا توكل على الله حق توكله رضي بما يفعله وكيله الـذي هو الله جل وعلا,

---

الجنة بغير حساب ولا عذاب- ص717 برقم (218) عن عمران بن حصين.

1 (2) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الزهد- باب في التوكل على الله- ص1887 برقم (2344), وابن ماجه في سننه- كتاب الزهد- باب التوكل واليقين- ص2730 برقم (4164), وأحمد في المسند 1/30, وابن حبان في صحيحه 2/509, والحاكم في المستدرك 4/354, كلهم عن عمر بن الخطاب. وقال الترمذي: حديث صحيح, وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

2 (3) قال ابن الأثير: أي إلاَّ وقَد يَعْتَرِيه التَّطيُّر, وتَسْبق إلى قَلْبه الكَراهَةُ. فحُذف اخْتِصاراً واعْتِماداً على فَهْم السَّامع. النهاية في غريب الأثر 3/334.

3 (4) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الكهانة والتطير- باب في الطيرة- ص1510 برقم (3910), وابن ماجه في سننه- كتاب الطب- باب من كان يعجبه الفال ويكره الطيرة- ص2689 برقم (3538), وأحمد في مسنده 1/389, وابن حبان في صحيحه 13/491 برقم (6122) عن عبد الله بن مسعود, وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (3098).

وهـذا معـنى قـول النـبي- صـلى الله عليه وسـلم- في آخر دعاء الاستخارة: (واقدر لي الخير حيث كان, ثم رضِّني بــه) .[(1)(2)]

قــال الحافظ ابن رجب رحمه اللــه: "اعلم أن ثمــرة التوكل الرضا بالقضــاء, فمن وكل أمــوره إلى الله, ورضي بما يقضــيه له, ويختــاره, فقد حقق التوكل؛ ولــذلك كــان الحسن والفضـــيل وغيرهما يفســـرون التوكل على الله بالرضا"[(3)].

هـ- أن التوكل على الله به يتخلص المرء من الشدائد, ويتغلب على ضروب المحن, وينتصر على الأعداء, كما قـال تعـالى في شــأن نبيه موسى عليه الســلام وقومــه: [illegible] (المائدة:23).

4- أن الشــرك في العبــادة وهو صــرف أمثــال هــذه العبادات لغير الله هو الـذي كفر الله به المشـركين, وأبـاح به دمــاءهم وأمــوالهم ونســاءهم, وأبعد عنهم غفرانه لهم لأجله, كما توعدهم عليه بالنار في الآخرة, وذلك في غير ما آية في كتابه العزيز, مثل قوله تعالى: [illegible] (النساء:48), وقوله تعالى: [illegible] (المائدة: 72).

فكل ما شــرع الله تعـالى لعبـاده من العبـادات القلبية وغـير القلبية ليعبـدوه بها تقربا إليه وتزلفا من دعـاء ومحبة وخوف وإنابة وتوكل وخضوع, كل هذه العبادات وغيرها مما شرعه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله- صـلى الله عليه وسلم- فعله لغير الله وابتغاء مرضـاة به غـير مرضـاة الله شرك في عبادة الله تعالى يتنـافى مع عقيـدة المـؤمن

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الدعوات- باب الدعاء عند الاستخارة- ص536 برقم (6382) عن جابر بن عبد الله.

2 (2) انظر: مدارج السالكين 2/122.

3 (3) جامع العلوم والحكم 2/508.

القائمة على أسـاس التوحيـد, الدالة عليه كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله[1].

فالتوجه بعبادة الخـوف أو الرجـاء أو المحبة أو التوكل أو الخضـــــوع أو الإنابة إلى شـــــياطين الإنس والجن, أو السحرة والمشعوذين, أو الأولياء والصـالحين أحيـاء وأمواتا شـرك في الألوهية لا يغفر الله لمن أقـدم عليـه؛ لأن هـذه العبادات من حقوق الله الخاصـة, فيجب على العبد إفـراده بها, كما يحرم عليه صرفها لغيره.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا في محبته, ولا في خوفه, ولا في رجائه, ولا في التوكل عليه... ولا في الخضـوع له, ولا في التـذلل والتعظيم والسـجود والتقـرب, أعظم من حاجة الجسد إلى روحه, والعين إلى نورها, بل ليس لهذه الحاجة نظـير تقـاس به, فـإن حقيقة العبد روحه وقلبه, ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو"[2].

وقال الشيخ إسـماعيل بن عبد الغـني الـدهلوي رحمه الله: "إن الله سبحانه وتعالى خصص بعض أعمـال التعظيم لنفسه وهي الــتي تســمى عبــادة, كالســجود والركــوع والوقـوف بخشـوع وتواضع ...كل هـذه الأعمـال علّمها رب العالمين عبادَه وأفردها لنفسه, فمن أتى بها لشيخ طريقة, أو نــبي, أو جــني, أو لقــبر محقق أو مــزور, أو لنصب, أو لمكان عبادة عكف فيها أحد الصالحين على العبادة والــذكر والرياضة... إلى غــير ذلك من الأعمــال والالتزامــات, فقد تحقق عليه الشـرك, ويسـمى إشـراكا في العبـادة, سـواء اعتقد أن هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها, وأنها جديرة بـذلك, أو اعتقد أن رضا الله في تعظيم هـذه الأشـياء, وأن الله يفرج الكرب ببركة هذا التعظيم"[3].

---

[1] (1) انظر: عقيدة المؤمن تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري ص75-76, ط/الأولى 1420هـ- 1999م, مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة.

[2] (2) طريق الهجرتين ص99.

[3] (3) رسالة التوحيد للدهلوي ص37-40.

وقد وجه إلى اللجنة الدائمة للبحـوث العلمية والإفتـاء بالمملكة العربية السعودية سؤال له علاقة بهذا الموضــوع, وهذا نصه:

"**الســـؤال:** ما حكم المنـــــاذير وهو دعـــــاء الجن والشـياطين على شـخص ما ليعملا به عملاً مكروهًـا، كـأن يقال: خذوه اذهبوا بـه، انفـروا به بقصد أو بغـير قصـد، وما حكم من دعا بهـذا القـول، حيث سـمعت قـول أحـدهم: أنه من دعا الجن لم تقبل له صلاة ولا صيام ولا يقبر في مقابر المسلمين ولا تتبع جنازته ولا يصلى عليه إذا مات؟

الجواب: الاسـتعانة بـالجن واللجـوء إليهم في قضـاء الحاجات من الإضرار بأحد أو نفعه - شرك في العبادة؛ لأنه نوع من الاسـتمتاع بـالجني بإجابته سـؤاله وقضـائه حوائجه في نظــير اســتمتاع الجــني بتعظيم الإنسي له ولجوئه إليه واسـتعانته به في تحقيق رغبتـه، قـال الله تعـالى: [illegible] (الأنعام:128ـ 129), وقال تعالى: [illegible] (الجن:6), فاستعانة الإنسي بالجني في إنزال ضـرر بغـيره واسـتعاذته به في حفظه من شر من يخاف شره كله شرك.

ومن كــان هــذا شــأنه فلا صــلاة له ولا صــيام؛ لقوله تعــالى: [illegible] (الزمــر:65), ومن عــرف عنه ذلك لا يصــلى عليه إذا مـــات، ولا تتبع جنازتـــه، ولا يـــدفن في مقـــابر المسلمين"[1].

وأمر الشرك خطير وضرره جسيم, يؤدي بصـاحبه إلى نـار جهنم خالـدا فيها إن لم يتب منه قبل موتـه, وقد وردت في النهي عنه والتحذير منه أدلة كثيرة في الكتاب والسنة, منها قوله تعالى: [illegible] (المائدة: 72).

---

[1] (1) فتاوى اللجنة الدائمة 1/162-163 فتوى رقم (433).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قـال: سـألت النبي- صـلى الله عليه وسـلم: أي الـذنب أعظم عند اللـه؟ قال: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك)[1].

وإذا اتضح هذا, فكل من لم يطمس الله بصـيرته يعلم أن الحق الـذي لا شك فيه هو اتبـاع النـبي- صـلى الله عليه وسلم- وأصحابه. ففي اتباع الكتاب والسنة وما عليه سـلف هذه الأمة نجاة كل نجاة.

أما تلك الانحرافـات المنتشـرة في المجتمع النيجـيري مما جرى عليه الناس, وقلد فيه صغيرهم كبيرهم, وآخــرهم أولهم, حتى عدوها من الدين المنزل فلا حجة لهم في اتباع ذلك من شيء, إن هي إلا جهالة عميـاء, وضـلالة خرقـاء, لا يرتاب أحد من أهل العلم والإيمـان في أنها من المحرمـات التي حذر منها الإسلام.

وبعد هذا التفريق بين سبيل الهـدى والسـبل الموصـلة إلى الغواية [فمن استهواه الشيطان فصرفه عن دعـاء الله إلى دعــاء غــيره من الأنبيــاء وســائر الصــالحين أو الجن والشــياطين لحفظه من شرٍ يخشـــاه على نفسه أو على خواصه وأقربائه, فقد أشـــــرك مع الله إلها آخر يرجو نفعه ويخشى بأسه ويـــــــركن إليه في تحقيق رغباته وحاجاته, ومــأواه جهنم وبئس المصــير، ومع ذلك لا يسـتطيعون أن يدفعوا عنه ضرًا أو يقضوا له حاجة أو يحققوا له غاية، قــال سبحانه: (الإسراء:56), وقال عز وجل: (النمل:62)][2].

وإذا كـــان المتوجه بعبادته إلى غــــير الله يرجع بخفي حــنين دائما فلمــاذا صــرف العبــادات من بعض مســلمي نيجيريا إلى هؤلاء المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب قتل الولد خشية أن يأكل معه- 508 برقم (6001), ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده- ص693 برقم (86) عن عبد الله بن مسعود.

2 (2) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء 1/166-167.

ولا ضـرا؟ والله يريد إكـرام النفس المسـلمة وتحريرها من عبودية المخلوق وإخراجها من الظلمات إلى النور.

وإذا كنا نريد الهداية والسـعادة الحقيقيـتين فلا مطمع فيهما من غير طريق شرع الله الدال على أنهما لا تحصّلان إلا بإخلاص العبودية للمولى جل وعلا.

الباب الرابع
أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا وعلاجه

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا
الفصل الثاني : وسائل علاج الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا وأساليبه

الفصل الأول
أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

المبحث الأول
الجهل

تعريف الجهل في اللغة والإصطلاح:

الجهل في اللغة: نقيض العِلْم. يقال: جَهل فلان جَهْلاً, وجَهَالة, وجهِلَ عليه. وتَجَاهل: أي أظهر الجَهْل. واسْتَجْهَله: عَدَّه جاهِلاً. والتجهيل: أن تنسبه إِلى الجَهْل, وجَهِل فلان

حَقَّ فلان, وجَهِلَ فلان عَلَيَّ, وجَهِلَ بهذا الأَمر, والجَهَالة أَن تفعل فعلاً بغير العِلْم. ورجل جاهِلٌ, والجمع: جُهْلٌ, وجُهُلٌ, وجُهَّل, وجُهَّال, وجُهَلاء[1].

وفي الاصطلاح, عرف الجهل بعدة تعريفات, منها:

1- أن الجهل خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل.

2- أنه اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

3- أنه فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل, سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا[2].

أنواع الجهل:

الجهل نوعان:

النوع الأول: الجهل البسيط: وهو عدم العلم عما من شأنه أن يعلم.

النوع الثاني: الجهل المركّب: وهو اعتقاد جازم غير مطابق للواقع, أو إدراك الشيء على خلاف هيئته في الواقع؛ لأنه مركب من عدم العلم بالشيء ومن الاعتقاد الذي هو غير مطابق لما في الخارج[3].

فمن سئل: هل تجوز الصلاة بالتيمم عند عدم الماء؟ فقال: لا, كان ذلك جهلا مركبا من عدم العلم بالحكم, ومن الفتيا بالحكم الباطل, وإن قال: لا أعلم, كان ذلك جهلا بسيطا[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلا بسيطا, فإن اعتقد خلافه فهو

---

[1] (1) انظر: لسان العرب 11/129, والقاموس المحيط ص1267, ومختار الصحاح ص119, مادة (جهل).

[2] (2) المفردات ص109.

[3] (3) كتاب التعريفات ص80, وشرح الكوكب المنير 1/77, وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع تأليف حسن العطار 1/211, ط/الأولى 1420هـ- 1999م, دار الكتب العلمية- بيروت.

[4] (1) شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير أو المختصر المبتكر في أصول الفقه تأليف العلامة محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار 1/77, تحقيق الدكتور محمد الزحيلي, والدكتور نزيه حماد, دار الفكر- دمشق 1400هـ- 1980م,.

جاهل جهلا مركبا, فإن قال خلاف الحق عالما بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضا"[1].

خطورة الجهل بالدين وآثاره السيئة:

تكمن خطورة الجهل بالدين وآثاره السيئة في النقاط التالية:

1- أن الجهل بالدين وبأحكامه آفة خطيرة, وداء عظيم, يحجب عن معرفة الحق, ويبعد عن سنن الهدى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "أما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم؛ فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها, ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها. وفى الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالما علما نافعا بأن فعل هذا يضره ضررا راجحا لم يفعله؛ فإن هذا خاصية العاقل؛ ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضررا راجحا كالسقوط من مكان عال أو في نهر يغرقه أو المرور بجنب حائط مائل أو دخول نار متأججة أو رمي ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله؛ لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه, ومن لم يعلم أن هذا يضره كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد يفعل ذلك. ومن أقدم على ما يضره مع علمه بما فيه من الضرر عليه فلظنه أن منفعته راجحة"[2].

2- أنه يؤدي إلى الضلال, ويوقع في البدع المتعددة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ما أحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهو من البدع المحدثة في الإسلام من فعل من لم يعرف شريعة الإسلام وما بعث الله بها محمدا من كمال التوحيد وإخلاص الدين لله وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم؛ ولهذا تجد من كان أبعد عن التوحيد وإخلاص الدين لله ومعرفة دين الإسلام هم أكثر تعظيما لمواضع الشرك أما العارفون بسنة رسول الله وحديثه فهم أولى بالتوحيد

---

[1] (2) اقتضاء الصراط المستقيم ص77.

[2] (3) مجموع الفتاوى 14/287-288.

وإخلاص الدين لله, وأهل الجهل بذلك أقرب إلى الشرك والبدع"[1].

3- أنه عامل أساس من عوامل الانحرافات التي يقع فيها المسلمون عامة وهو سبب لكثير من مصائب الناس في دينهم, يسرعون به إلى أنواع من الضلالة.

وهو الذي جعل أصحاب موسى بعد إذ نجاهم الله تعالى يطلبون من موسى أن يجعل لهم إلها كما للمشركين آلهة.

وقد ذكر الله تعالى ذلك عنهم حيث قال: (الأعراف:138).

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية: "نظيره قول جهال الأعراب وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تسمى ذات أنواط يعظمونها في كل سنة يوما: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال- عليه الصلاة والسلام: (الله أكبر, قلتم- والذي نفسي بيده- كما قال قوم موسى , لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى إنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير الآية: من جهلهم وسفههم لنبيهم موسى بعد ما أراهم الله من الآيات ما أراهم: أي: اشرع لنا أن نتخذ أصناما آلهة, كما اتخذها هؤلاء.

فـ لهم موسى: , وأيّ جهل أعظم من جهل من جهل ربه وخالقه وأراد أن يسوي به غيره, ممن لا يملك نفعا ولا ضرا, ولا موتا, ولا حياة, ولا نشورا؟!" [3].

وقد تناول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حديث أبي واقد الليثي بالشرح فقال فيه: "وهذا دليل على آفة الجهل,

---

1 (1) مجموع الفتاوى 17/497.

2 (2) سبق تخريجه ص254.

3 (1) تفسير السعدي ص279.

وأن الإنسان قد يقع في الشرك بسبب الجهـل, وفيه الحث على تعلم العقيـــدة ومعرفتها والتبصر فيها خشـــية أن يقع الإنسان في مثل ما وقع فيه هؤلاء"[1].

4- أن الجهل إذا ســـاد في مجتمع من المجتمعـــات يصـــبح المعـــروف منكـــرا والمنكر معروفا والســـنة بدعة والبدعة سنة.

فالجهل داء خطير على الفرد والمجتمع, وإنه من أخطر الأمور أن يكون الإنسان جاهلا بدينه, تكمن المخاطر في أن الجاهل بدينه يسهل عليه التأثر بالشبهات؛ فيغدو عبئا ثقيلا على كاهل الأمة, بل يكون سببا من أسباب ضياعها.

ومما قد ثبتت بالتجربة وشهد له الواقع عبر العصور والأزمنة أن الشيطان اللعين لم يجد طريقا إلى قلوب العباد مثلما وجد الجهل طريقا ممهّدة وأبوابا مشرعة إليها, لا يتحصن منه شيء فيها.

ولما كـان الجهل من أشد الأضـرار على الأفـراد ومن أقـوى عوامل انحطـاط الأمم, ومن أعظم أسـباب الوقـوع في المحرمات بشتى أنواعها من كفرٍ وبـدعٍ ومعـاصٍ, كـان الوقـــوف في وجهه متعينا على دين ٍالإســـلام الـــذي يرشد أتباعه دائما إلى كل خير ويحذرهم من كل شر.

ولم يذم الجهلَ دينٌ وقلّل من شأن أهله, ومـدح العلم وأثنى على العلماء مثلما فعل الـدين الإسـلامي, وقد كـانت أولى الإيحاءات السماوية الموجهة إلى نبي الإسلام- صـــلى الله عليه وســـلم- فيها الـــدعوة إلى طلب العلم والـــترغيب فيه.

أهم الجـــوانب الـــتي يجهلها مســـلمو نيجيريا من الدين:

1- الجهل باللغة العربية وأساليبها:

---

[1] (2) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد 1/159.

إنه من الحقيقة غير القابلة للجدل أن الله عز وجل قد أنــزل القــرآن الكــريم عربيــا, وأجــراه في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب, وقد أخبر بذلك في غير ما آية, فقال تعالى: !$¯Î) çm»oØ9t«r& $ºRuäö% $wÎ/tã (يوسف:2), وقال تعالى: $ºR#uäö% $Î/ttã uöxî Ïî 8luÏã (الزمر:28), وقال تعالى: y7Î7ù=s% 4n?tã ßyr9$# ßÏF{$# Ïî/ ttt tã3tG9 zÏ tÍÉßø9$# A$|¡Î=/ <cÎ1ttã &Î7 ôs)9u ãn=÷èt (الشـعراء:193-195), وقــال عز وجــل: óßr& ã9à)t $y¯Î) çßIk=yèã Ot±o0 3 ß$|¡Ïj9 %©!$# ßÅù=ã Ïøs9Î) @Ïyfôãr& #x»yu î$|¡Ï9 ?Î1ttã êÎ7 (النحل: 103).

وإذا كــان القــرآن قد نــزل عربيا على رســول عــربي, فيفهم من ذلك أن الكتــاب والســنة اللــذين هما مصــادر التلقي لا يُفهمــان إلا إذا فهم اللســان العــربي, وكــذلك لا تفهم الشـريعة ولن تسـتخرج أصـولها وقواعـدها من هـذين الوحـــيين إلا بمعرفة اللغة العربية وإدراك ألفاظها ومعانيها وأساليبها, وإلى هذا يدل قوله تعالى: çm»oØ9t«r& y7Ï9ºxxu $¸Jõ3ãm $wÎ/{tã 4 (الرعد:37).

وبنـــاء على ما ســـبق بيانه فيجب على النـــاظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولا وفروعا أن لا يتكلم في شيء من ذلك حـتى يكـون عالما بلسـان العـرب, بالغا فيه مبلغا يصير فهمه عربيا في الجملة, وإن لم يبلغ ما بلغته العــرب, أو ما بلغه أئمة اللغة المتقدمون[1].

[وإذا أشــكل عليه في الكتــاب أو في الســنة لفظ أو معـنى فلا يقـدم على القـول فيه دون أن يسـتظهر بغـيره ممن له علم بالعربيـــة, فقد يكـــون إماما فيها ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات, فالأولى في حقه الاحتياط؛ إذ قد يذهب على العربي المحض بعض المعاني الخاصة حــتى يسـأل عنهـا, وقد نقل شــيء من هـذا عن الصـحابة- وهم العرب- فكيف بغيرهم.

وها هو حبر الأمة عبد الله بن عبــاس رضي الله عنهما يقـــول: "كنت لا أدري ما فــاطر الســموات حــتى أتــاني

---

1 (1) مثل الخليل بن أحمد, وسيبويه, والكسائي, والفرّاء.

أعرابيـان يختصـمان في بـئر, فقـال أحـدهما: أنا فطرتها أنا ابتدأتها[1]][2]

والشــرط الأول من شــروط الاجتهـاد هو معرفة اللغة العربيــة, فعلى المجتهد أن يعــرف اللغة العربية على وجه يتمكن به من فهم خطاب العرب, ومعاني مفـردات كلامهم وأساليبهم في التعبير, إما بالسليقة وإما بـالتعلم بـأن يتعلم علــوم اللغة العربية من نحو وصــرف وبلاغة وأدب ومعــان وبيان, وإنما كان تعلم اللغة العربية على هذا الوجه ضروريا للمجتهـد, لأن نصـوص الشـريعة وردت بلسـان العـرب فلا يمكن فهمها واســتفادة الأحكــام منها إلا بمعرفة اللســان العربي على نحو جيد, لا سيما وأن نصوص الكتـاب والسـنة وردت في غاية البلاغة والفصـاحة والبيـان, فلا يمكن فهمها حق الفهم وتــذوق معانيها وإدراك ما تــدل عليه إلا بمعرفة اللغة العربية والإحاطة بأســاليبها في التعبــير وأســـرارها البلاغية والبيانية, وما تومئ إليه كلماتها وعباراتهـا... وبقـدر تضلع المجتهد في معرفة اللسان العربي تكـون قدرته على فهم النصـــوص وإدراك معانيها القريبة والبعيـــدة.. ولكن لا يشـــــترط في المجتهد أن يعـــــرف اللغة معرفة أئمتها والمشـــهورين فيهـــا, وإنما يكفيه منها القـــدر اللازم لفهم النصـوص الشـرعية فهما سـليما, يمكنه من معرفة المـراد منها[3].

وكما اشتُرِط على الناظر في الشريعة والمتكلم فيها بصفة عامة أن يفهم اللغة العربية فهما دقيقا وكذلك ألزم من ينظر في جزئياتها أن يكون له إلمام بهذا الجانب, فإنه لا يسع العالم الذي يفسر كتاب الله مثلا أن يجهل اللغة العربية بأساليبها ومعانيها وألفاظها, أو يكون ضعيفا فيها. "وقد بين العلماء أنواع العلوم التي يجب توافرها في المفسر فقالوا: هي اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة ..."[4].

---

1 (1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 2/257.

2 (2) الاعتصام للشاطبي ص503-504.

3 (3) الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص400, ط/الأولى 1414هـ- 1993م, دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة.

4 (4) مناهل العرفان في علوم القرآن تأليف محمد عبد العظيم

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب, فإن فهم الكتاب والسنة فرض, ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية, وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[1].

ورغم تأكيد العلماء على أهمية فهم اللغة العربية فهما جيدا للمتكلم في الشريعة وعلومها إلا أنه يُستغرَب من طريقة بعض الفئات من المهتمين بالدعوة والفتيا ونشر العلم في المجتمع النيجيري حيث إنهم لا يعيرون طلب العلم الشرعي أي اهتمام ولا دراسة اللغة العربية أدنى عناية, بل يكتفون فيما يعينهم على القيام بالعمل الدعوي بالقراءة في كتب مترجمة إلى اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية, دون علمهم بأن العلوم الشرعية لا تؤخذ مجردة من الكتب وإن كانت من أمهات المصادر, وكيف بالكتب المترجمة إلى لغات أجنبية التي لا تروي غليلا ولا تشفي عليلا. ومع هذا كله فإن هؤلاء يضعون أنفسهم في مكان الصدارة والريادة عند القيام بالدعوة والفتيا, وإن هذا لشيء يدعو إلى العجب والاستغراب حقا.

تلك الفئة التي أتحدث عنها هم الطلبة المسلمون الذين يدرسون العلوم العصرية في الجامعات الوطنية, ومما تحمد عليه هذه الفئة مع ما هم فيه من الجهل محبتهم للدعوة إلى الله في محيطهم وبذل كل غال ونفيس في سبيل ذلك, يضاف إلى ذلك تلك الحماسة المفرطة التي لا تعرف التنازل عند مطالبتهم الحكومة بحقوق المسلمين.

وجهلهم باللغة العربية هو الذي يسبب لهم الجهل بالفقه وأصوله, والقرآن وعلومه, والسنة وعلومها, وبالتالي يجهلون مقاصد الشريعة؛ إذ كل هذه العلوم لا يمكن التبحر فيها ومعرفتها بالدقة إلا بفهم اللسان العربي, ولذلك تجد هذه الفئة تقتصر على قراءة تلك المختصرات المترجمة إلى اللغات الأجنبية.

الزرقاني 2/38, تحقيق مكتب البحوث والدراسات ط/الأولى 1996, دار الفكر- بيروت.

[1] (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص207.

ومن المفيد الإشارة إلى أن جهل هؤلاء الناس باللغة العربية وأساليبها خطأ تتولد عنه أخطاء أخرى جسيمة, وأنواع من المعاصي التي أولها قطر وآخرها طوفان. فتجد فيهم الجرءة على التبديع ثم التفسيق ثم التكفير. كل ذلك نتيجة تمسكهم ببعض النصوص التي يرونها صحيحة ويستندون إليها في الحكم على بعض المسائل, ويصنفون كل من خالفهم في وجهات النظر ذاك التصنيف. فلا تجد في الغالب ما يخرج من أفواههم إلا كلمات ذات معان صماء, ولا ما يصدر من أذهانهم إلا أفكار جامدة مجردة.

ولذلك حدث التنافر, وتأصلت الكراهية في النفوس بين هذه الفئة وبين المنتسبين للعلم الشرعي من الطلبة والعلماء, فإذا اتفق لواحد من المنتسبين للعلم الشرعي أن يلتقي بواحد من تلك الفئة في مجلس من المجالس, وأراد الثاني أن يتحدث في الشريعة بإصدار حكم أو تناول مسألة علمية بالشرح, فإن الأول يقول له: ليس هذا بعُشِّك فادرُجِي, فيحصل سوء التفاهم, ويرمي بعضهم بعضا بالكلام.

إن الدعوة الإسلامية تضار حين يقوم بها أولئك القاصرون الذين لا يعرفون من العلوم الشرعية شيئا, وجل ما يحفظونه مرويات تتضمن الغث والسمين, وتعرقل سير الدعوة. بل تلقي ظلمات على المجتمع الإسلامي كله.

فالواجب على المسلم الحريص على معرفة الحق والوصول إليه والعمل به أن يجتهد في طلب العلم, ويسلك الطريق الصحيح لتحصيله؛ لأن الدعوة عطاء وإنفاق, ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة كيف يعطي غيره, وفاقد الشيء لا يعطيه, ومن لا يملك نصاب الزكاة كيف يزكي؟

ولست أريد في هذا الصدد وضع مجموعة معينة تحت مجهر الفحص؛ فأصحّح هذا وأخطّئ ذاك, ولكن الذي يهمني هنا أن ندرك المخرج من هذه الورطة, والنجاة من هذا البلاء؛ فننصح المقصر في طلب العلم الشرعي بما فيه من أدوات فهمه أن يجتهد في طلبه ويخلص النية في تحصيله والعمل به, كما نرشد الذي قد اكتسب ما يكفيه من هذا العلم للقيام بالدعوة أن يسعى لامتلاك أدواتٍ

تعينه ليوصل هذه المعلومات إلى المحتاجين إليها. وإذا فعلنا هذا فستوحّد الجهود ونكون معا في سبيل الدعوة إلى دين الحق.

إن الذين تتفتح أذهانهم ليسمعوا مثل هذا الكلام سيستفيدون منه, ويدركون معناه, أما الذين قلوبهم صخرية يمر عليها الماء فينساب سريعا دون أن تتأثر به فإنهم لن يتأثروا بهذه المعاني الناطقة, والله تعالى أسأل أن يوفقني لقول الحق والعمل به.

2- الجهل بمقاصد الشريعة[1]:

إن معرفة مقاصد الشـريعة العامة أمر ضـروري لفهم النصوص الشرعية على الوجه الصحيح, ولاستنباط الأحكـام من أدلتها على وجه مقبـــول, فلا يكفي أن يعـــرف المجتهد وجوه دلالات الألفـاظ على المعـاني, بل لا بد له من معرفة أسرار التشريع والأغراض العامة الـتي قصـدها الشـارع من تشريعه الأحكام المختلفة حتى يسـتطيع أن يفهم النصـوص ويفسرها تفسيرا سليما, ويسـتنبط الأحكـام في ضـوء هـذه المقاصد العامة.

وقد ثبت بالاســـــتقراء وتتبع الأحكــــــام المختلفة في الشــريعة أن القصد الأصــلي لها هو تحقيق مصــالح العبــاد وحفظ هـــذه المصـــالح ودفع الضـــرر عنهم, إلا أن هـــذه المصـــالح ليست هي ما يـــراه الإنســـان مصــلحة له ونفعا حسب هواه, وإنما المصـلحة ما كـانت مصـلحة في مـيزان الشرع لا في ميزان الأهواء والشهوات.

ومقصد الشــريعة- كما ســبق ذكــره- تحقيق مصــالح العباد بالإيجاد لها أولا, ثم بحفظها ثانيا. وهذه المصالح هي- حسب الاســتقراء- ثلاثة أنــواع: الضــروريات, والحاجيــات, والتحسينات.

---

[1] (1) لمسألة مقاصد الشريعة ينظر: الموافقات في أصول الفقه تأليف إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي المالكي 2/8 وما بعدها, تحقيق عبد الله دراز, دار المعرفة- بيروت, الوجيز في أصول الفقه تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان ص375 وما بعدها.

النــوع الأول: الضــروريات: ويقصد بها المصــالح التي تتوقف عليها حياة النـاس وقيـام المجتمع واسـتقراره, بحيث إذا فاتت اختل نظام الحياة وعمت أمــورهم الفوضى والاضطراب ولحقهم الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وهــذه الضــروريات هي: الــدين, والنفس, والعقــل, والنسل, والمال. وهذه المصالح راعتها الشرائع جميعا, وإن اختلفت في طــرق رعايتها والمحافظة عليهــا, والشــريعة الإســلامية- وهي خاتمة الشــرائع- راعتها على أتم وجــوه الرعايـة, فشـرعت الأحكـام لإيجادها أولا, والمحافظة عليها ثانيا.

النوع الثاني: الحاجيات: وهي الأمـور الـتي يحتـاج إليها الناس لرفع الحرج والمشقة عنهم, وإذا فـاتت لا يختل نظام الحياة ولكن يلحق النـاس المشـقة والعنت والضـيق. والحاجيــات كلها ترجع إلى رفع الحــرج عن النــاس, وقد جاءت الشريعة بالأحكام المختلفة لتحقيق هذا الغرض.

وقد دل على مراعـــاة الشـــريعة للمصــــالح الحاجية النصـوص العامة مثل قولـه تعـالى: 9 ïuôfuèyƒ ª!$# ãNà6Î/ tô$ (المائدة:6), وقوله تعالى: ymtl8 iÏ ôæt=n øà6 ä (الحج:78), وقوله تعالى: 4 ymtl8 ÏôÎ #$9 dÏ È ûÎ æt=n ø3ä /ö (البقرة: $#9 øè ãô£ uÅ 6Î/ à ãNà6Î/ ãŠÌ ß ... uÅ (185).

النــوع الثـالث: التحســينيات: وهي الــتي تجعل أحــوال النــاس تجــري على مقتضى الآداب العالية والخلق القـويم, وإذا فـاتت لا يختل نظـام الحيـاة, ولا يلحق النـاس المشقة والحرج, ولكن تصير حياتهم على خلاف ما تقتضـيه المــروءة ومكــارم الأخلاق والفطر الســليمة, وقد راعت الشريعة هذه المصالح التحسينية في العبادات والمعـاملات والعادات والعقوبات.

والمصــالح بأنواعها الثلاثة ليست ســواء في الأهميــة, فأولاها بالرعاية: الضروريات, ثم الحاجيات, ثم التحسينات, وعلى هــذا فما شــرع من أحكــام للأولى أهم مما شـــرع للثانية, وما شرع للثانية أهم مما شرع للثالثة, ويترتب على هذا وجوب رعايتها بهذا الترتيب, بمعـنى أنه لا يجـوز العناية

بالحاجيات إذا كانت مراعاتها تخل بالضروريات, ولا يجوز مراعاة التحسينيات إذا كان في ذلك إخلال بالضروريات والحاجيات. وبناء على هذه الضوابط يباح كشف العورة, وإن كان سترها مطلوبا, إذا كان كشفها يستدعيه إجراء الفحص والعلاج؛ لأن ستر العورة تحسيني, والعلاج لحفظ النفس ضروري. ويباح تناول الخبائث كالميتة حفظا للنفس؛ لأن حفظها ضروري.

والجهل بمقاصد الشريعة يُضل ولا يَهدي, وقد يؤدي إلى القضاء على الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة لحفظها, وخير مثال لهذا الكلام ما رواه أبو داود وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي- صلى الله عليه وسلم- أخبر بذلك فقال: (قتلوه قتلهم الله, ألا سألوا إذ لم يعلموا, فإنما شفاء العي السؤال, إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب شك موسى على جرحه خرقة, ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده)[1].

ولو فهم هؤلاء مقاصد الشريعة وعرفوا أنه في العبادات شرعت الرخص دفعا للحرج لما أفتوا الرجل بمثل ما أفتوه به مما أدى إلى وفاته, فقد أباح الشارع التيمم عند فقد الماء, كما أباح الفطر للمريض والمسافر, وغير ذلك من الحاجيات التي يحتاجها الناس لرفع الحرج والمشقة عنهم.

وقد عد الإمام الشاطبي الجهل بمقاصد الشريعة سببا رئيسا لوقوع الخلاف الحاصل بين الفرق.

وكم سبّب الجهل بمقاصد الشريعة التفرق والتباغض والتدابر, بل التخاصم والتقاتل بين مسلمي نيجيريا, وهم

---

[1] (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الطهارة- باب المجدور يتيمم- ص 1248 برقم (336), والبيهقي في السنن الكبرى 1/227 عن جابر, قال الألباني في صحيح أبي داود (325): حسن, دون قوله: (إنما كان يكفيه..).

أبنـاء دولة واحـدة ووطن واحـد, وقبل ذلك كله يعبـدون ربا واحدا, وقبلتهم واحدة, ودينهم واحد.
وهذا المـرض الخطـير أعـني الجهل بمقاصد الشـريعة هو الذي يـؤدي بكثـير من الجماعـات الإسـلامية في نيجيريا إلى التفــرق والتنــافر حــتى أصــبحت عملية جمع الكلمة وتضافر الجهود غـير ممكنـة, هـذا على الـرغم من أن هـذه الجمعيات تسير على منهج واحد. ولو فهم المسـؤولون في جماعة إسـلامية معينة مقصد الشـارع الحكيم في السـعي إلى اجتماع كلمة المسلمين, والتأكيد على أهميته من خلال نصوص الكتاب والسـنة, لو فهمـوا هـذا الأمر كله ما تركـوا وابتعـدوا عن إخـوتهم في جماعة أخـرى بحجة أن أتبـاعهم من النسـاء ما كن يلبسن الجـوارب والقفـازين. ولو عـرف الأخ المســلم الـذي منّ الله عليه بـالالتزام حقيقة ما بعث الله به رسوله- صـلى الله عليه وسـلم- ما كفّر أخـاه الـذي يراه أقل منه التزاما بحجة أنه يحلق اللحية أو يسـبل ثوبـه, أو يلبس القميص والبنطلـون الـذَين اعتبرهما بعض الـدعاة من لباس غير المسلمين.

3- الجهل بالسنة, ويشمل:

(أ) الجهل بـــــالتمييز بين الأحـــــاديث المقبولة والمردودة:

ويعني ذلك الجهل بعلم مصطلح الحـديث الـذي يتم به معرفة الأحــاديث الصـحيحة والتفريق بينها وبين الأحــاديث الضعيفة والموضوعة. وما من شك بأن الجهل بهذه المــادة يشــكل خطــرا كبــيرا على مصــدر من مصــادر التشــريع الإسلامي الذي هو السنة حيث إن الذين يجهلون هـذا العلم يعتمــدون على الأحــاديث الضــعيفة بل الموضــوعة على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في الحكم على الأمــور المحدثة بأنها سنن.
وقد اعتمد الجهــال على هــذه الأحــاديث فــاخترعوا للناس بدعا وضلالات ورغبوهم في العمل بها, مثل ما فعلوا في إحداث أذكار وأدعية لبعض الشهور, وأنواع من النوافل التي ما أنزل الله بها من سـلطان, فعلـوا ذلك إرادة للخـير وبغية الأجور الوافرة, ونيل الـدرجات العاليـة. كما تمسـكوا

بأحاديث أخرى مكذوبة مختلقة, وضعها أشباه عباد الأصـنام مما يناقض دين الرسول- صـلى الله عليه وسـلم- وما جـاء به, كحـديث: إذا أعيتكم الأمـور فعليكم بأصـحاب القبـور[1], وحديث: لو أحسن أحـدكم ظنه بحجر نفعه[2], وأمثـال هـذه الأحـاديث الـتي هي مناقضة لـدين الإسـلام, شـجعوا عـوام الناس على العمل بها حتى ارتكبوا أمورا تقارب الشـرك أو هي شرك بعينه. وما أتي هؤلاء إلا من قبل جهلهم بالسنة.

وعلم مصــطلح الحــديث لم يكن مشــهورا بين طلبة الدراسـات الإسـلامية في نيجيريا حـتى بـدأت عملية إنشـاء المـدارس العربية والإسـلامية النظاميـة؛ ولـذلك تجد هـؤلاء في تلك العصور يأخـذون كل ما هب ودب ونسب إلى سـيد العجم والعــرب مما يقرؤونه في كتب المواعظ والرقــائق والكتب الفقهية والخطب المؤلفة من الأحــاديث الضــعيفة والموضـوعة. ولجهلهم بعلم مصـطلح الحـديث لم يكونـوا يرجعـــون إلى المصـــادر الأصـــيلة للتأكد من درجة تلك الأحـاديث؛ إذ لا يعرفـون أصلا أن هنـاك أحـاديث صـحيحة وحسنة وضعيفة وأن هنـاك أخـرى مختلقة مكذوبة بها على رسـول اللـه- صـلى الله عليه وسـلم, بل كل ما نسب إلى النـبي- صـلى الله عليه وسـلم- فهو عنـدهم حـديث بغض النظر عن مدى صحة تلك النسبة.

وقد أجمع العلمـــاء على عـــدم الأخذ بالأحـــاديث الموضوعة على رسول الله- صلى الله عليه وسـلم- وعـدم نسبتها إليه لأنها كـذب عليـه- صـلى الله عليه وسـلم, ومما ورد في هذا الشأن قوله- صلى الله عليه وسلم: (من كذب علي فليتبوأ مقعـده من النـار)[3], وفي الروايـة: (من كـذب

---

1 (1) قال شيخ الإسلام: هو كذب باتفاق أهل العلم, لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم أحد من علماء الحديث. انظر: مجموع الفتاوى 11/293, ومنهاج السنة النبوية 1/483, والرد على البكري 2/577..

2 (2) قال شيخ الإسلام: هو من كلام أهل الشرك والبهتان, لم يروه أحد من علماء المسلمين. انظر: مجموع الفتاوى 11/513, 19/146, 24/335.

3 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العلم- باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم- ص12 برقم (107) عن عبد الله بن الزبير.

علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[1], وقولـه- صـلى الله عليه وسلم: (لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار)[2].

وقد شـدد العلمـاء النكـير على ذلك فقـال الشـيخ أبو محمد الجويـني[3]: "يكفر من تعمد الكـذب على الرسـول- صلى الله عليه وسلم- ولو لم يسـتحله, والجمهـور على أنه لا يكفر بـــذلك, ولكنه يفسق وتـــرد رواياته كلهـــا, ويبطل الاحتجاج بجميعها"[4].

أما الحديث الضعيف فقد أجمعوا على عـدم الاحتجـاج والعمل به في الأحكـام, أما العمل به في فضـائل الأعمـال وفي الترغيب والترهيب فيجوز بثلاثة شروط:

الأول: أن يكون الضعف غير شديد؛ فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه.

الثاني: أن يندرج تحت أصل معمـول بـه, كالأحـاديث الضعيفة في فضـائل بعض الأذكـار؛ لأن الأذكـار في الجملة معمول به.

---

1 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العلم- باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم- ص12 برقم (110), ومسلم في صحيحه- في مقدمة الكتاب- باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم- ص674 برقم (3) عن أبي هريرة.

2 (3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العلم- باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم- ص12 برقم (106) عن علي بن أبي طالب.

3 (4) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد أبو المعالي الجويني إمام الحرمين, الفقيه الشافعي ضياء الدين, رئيس الشافعية وأحد الأئمة الأعلام, كان من أذكياء العالم وأحد أوعية العلم, جاور بمكة أربع سنين يدرس ويفتي ومن ثم قيل له إمام الحرمين, من مصنفاته: الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية, الشامل في أصول الدين, توفي سنة 478هـ.
انظر: العبر في خبر من غبر 3/293, الوافي بالوفيات 19/116, طبقات الشافعية 1/255.

4 (5) شرح النووي على صحيح مسلم, المقدمة- باب تغليظ الكذب على رسول الله 1/69.

الثـــــالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط[5].

(ب) الجهل بمكانة السنة من التشريع:

الجهل بمكانة السنة من التشريع بإنكار ما عدا القرآن جملة وتفصـيلا أو إنكـار أخبـار الآحـاد لم يكن يعـرف بين مسـلمي نيجيريا منذ دخـول الإسـلام فيهـا, وإنما جهل من جهل الســـنة من جهة عـــدم التميـــيز بين المقبولة منها والمردودة, وحب التمسك بكل ما نسب إلى رسول الهدى- صلى الله عليه وسلم- دون تمحيص.

تلك هي الحـال الـتي عـرف بها مسـلمو نيجيريا في موقفهم تجـاه السـنة إلا أنه ظهـرت في الآونة الأخـيرة فئة تسمي نفسها بالقرآنيين, وكلامهم لا اعتبار له؛ إذ إنهم ممن قلت بضـــاعتهم في العلم الشـــرعي من طلبة العلـــوم العصرية في الجامعات الوطنية, إلا أن أخطارهم تكمن في قيـامهم بالـدعوة والفتيا في محيطهم مما يجلب لهم أتبـاع مقتنعين بتلك الأفكار السخيفة.

لقد تسـربت هـذه الآراء السـاقطة إلى هـذه الفئة من خـــارج البلاد مثل الهند وباكســتان ومصر وليبيا عن طريق تلك المجلات والجرائد التي ترسل إلى هـؤلاء الطلاب, وهم في جانبهم لم يكن عندهم علم يبصـرهم بـالحق ويحصـنهم عن التأثر بالشبهات.

وما دام أن هذه الشرذمة المنكرة لحجية السنة أخذت الفكـرة عن أشـباهها ممن نتجت الفكـرة عنـدها فشـبهتهم هي نفس شبهات أولئك سواء بسواء. ومن شبهاتهم:

1- قـولهم بـأن في القـرآن بيانا لكل شـيء ولا حاجة معه إلى سواه مستدلين بقوله تعـالى: | $uøΘ¨tΡuρ øn=tã ... (النحل:89), وقوله تعالى: ... (الأنعام:38).

[5] (1) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي 1/298-299, تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف, مكتبة الرياض الحديثة- الرياض, دون بيانات أخرى. وتوجيه النظر إلى أصول الأثر تأليف طاهر الجزائري الدمشقي 2/653, تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ط/الأولى 1416هـ- 1995م مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.

2- استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ $¯ΡÎ) ßøtwΥ $uΖø9¨tΡ tø.Ïe%!$# $¯ΡÎ)uρ …çµs9 tβθÝàÏ≈ptm: ﴾ (الحجر:9), قالوا: ولو كانت السنة حجة لتكفل الله بحفظها, ولما حصر الحفظ في القرآن بتقديم الجار والمجرور دل ذلك على أنه وحده هو المحفوظ.

وقد ورد تحذير الرسول- صلى الله عليه وسلم- من هذه البدعة وتنفيره منها, فعن أبي رافع رضي الله عنه, عن رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أنه قال والناس حوله: (لا ألفينّ أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)[1].

أما شبهاتهم فيمكن الإجابة عنها كالتالي:

ما استدلوا به من الآيات على أن في القرآن بيانا لكل شيء فلا حاجة معه إلى سواه, فإنا نقول: إن تلك الآيات لا تفيد ما ادعوه؛ لأن بيان الكتاب لكل شيء إنما هو بحسب ما أشار إليه من أصول الأدلة, التي يمكن معها فهم ما أجمله القرآن, ومعرفة حكم ما لم يرد النص القرآني بحكمه صراحة. وأول هذه الأصول السنة النبوية الشريفة.

والمراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ $¨Β $uΖôÛ§sù ’Îû É=≈tGÅ3ø9$# ÏΒ &óx« 4 ﴾ (الأنعام:38) هو اللوح المحفوظ[2].

والحصر في قوله تعالى: ﴿ $¯ΡÎ) ßøtwΥ $uΖø9¨tΡ tø.Ïe%!$# $¯ΡÎ)uρ …çµs9 tβθÝàÏ≈ptm: ﴾ (الحجر:9), ليس حقيقيا؛ لأن الله حفظ أشياء غير القرآن, قال تعالى: ﴿ Ÿωuρ …çνßŠθä«tƒ $uΚßγÝàøÿÏm 4 ﴾ (البقرة: 255), وقال تعالى: ﴿ ª!$#uρ šßϑÅÁ÷ètƒ zÏΒ Ä¨$¨Ζ9$# 3 ﴾ (المائدة:67), أي يحفظك.

---

[1] (1) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب السنة- باب في لزوم السنة- ص 1561 برقم (4605), والترمذي في سننه- كتاب العلم- باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- ص1920 برقم (2663), وابن ماجه في سننه- كتاب السنة- باب تعظيم حديث رسول الله والتغليظ على من عارضه- ص2477 برقم (13), والحاكم في المستدرك 1/191, والطبراني في المعجم الكبير 1/316, عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقال الترمذي: حديث حسن صحيح, وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص.

[2] (2) تفسير القرطبي 6/270.

بل السـنة كـانت من الـذكر الـذي تكفل الله بحفظـه, يدل على ذلك قوله تعالى: (النجم: 3ـ 4), قال القرطبي عند تفسير الآيــة: "فيها دلالة على أن الســنة كــالوحي المــنزل في العمل"[1], وقــال- عليه الصــلاة والســلام: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"[2].

أسباب انتشار الجهل بالدين لدى مسلمي نيجيريا:

1- تصــدر علمــاء أهل البــدع, وتشــجعهم, ومحاولة السيطرة على ساحة الـدعوة: مما يسـاعد على انتشـار الجهل أن علمـاء أهل البـدع يسـعون جـادِّين لتكـون لهم الصـدارة في الفتيا ونشر العلم حسب منهجهم والـدعوة إلى بـدعهم, وعلى رأس هـؤلاء المتصـوفة الـذين يبذلون كل ما في وسعهم ليظهـروا للنـاس أنه لا يوجد حق إلا ما هم عليــه, وفي حقيقة الأمر فــإنهم يجــدون نتــائج جهودهم؛ إذ الباطل يقـوى وينتعش وإن كـان بـاطلا إذا وجد من يقف وراءه ويؤيده, كما أن الحق يضـعف وينكمش وإن كان حقا عند فقدان من يدعمه أو ينصره.

2- وجــود الجماعــات المتــأثرة بالمبــادئ الصوفية تظهر نفسها مظهر الجماعات السـلفية: فجماعة التبليغ والــدعوة جماعة متــأثرة بالصــوفية في منهجها ومبادئها[3] ومع ذلك فـإن أتباعها يظهـرون أنفسـهم بأنهم من أهل السنة الخلّص, وقد اغتر كثير من العوام بهذا التظاهر؛ ولذلك تجدهم يشاركون في البرامج الــتي تنظمها تلك الجماعة.

ومن مبــادئ جماعة التبليغ والــدعوة عــدم الاهتمــام بطلب العلم, فلا يرغّبــون أتبــاعهم في شــيء قط مثل

---

[1] (1) تفسير القرطبي 17/57.

[2] (2) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب السنة- باب في لزوم السنة- ص 1561 برقم (4604), وأحمد في مسنده 4/130 عن المقدام بن معد يكرب, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (163).

[3] (3) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة 1/322, إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع بن حماد الجهني, ط/الرابعة 1420هـ, دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض.

ترغيبهم في الخروج في سبيل الله, ومضمون هذا الخــروج عندهم هو انتقال مجموعة من الرجال من مكان إلى مكان في مهمة دعوة الناس إلى دين اللـه, يـبيتون أثنـاء ذلك في المســاجد, ويقتصــرون على تكــرار بعض الأحــاديث الــتي يحفظونها وأكثرها ضــعيفة أو موضــوعة, كما يســتخدمون القصص المختلقة لحث النـاس على الأعمـال الصـالحة؛ إذ دعوتهم فقط الـترغيب في فضـائل الأعمـال, أما علمـاؤهم فليسوا من المشهود لهم بالأهلية والكفاءة العلمية إطلاقــا, وقد جر أتباع هـذه الجماعة على الإسـلام من الـويلات ما لا يعلمه إلا الله, فالجاهل لا ينشر إلا الجهل.

وإنه أمر معلــوم عند كل من له أدنى إلمــام بالتــاريخ الإســلامي أن الصــوفية من أشد الجماعــات عــداوة للعلم الشرعي وأكثرها إنكـارا على الـذين يطلبونـه؛ فكل جماعة تـأثرت بها لا بد أن تأخذ بطبعهـا, فجماعة التبليغ والـدعوة, وجماعة نصر الله الفـــاتح, وجماعة فتح الله قـــريب, كلها جماعات إسلامية نيجيرية متـأثرة بالصـوفية وتـرغّب أتباعها عن طلب العلم الشرعي.

قـال الإمـام ابن الجـوزي[1] رحمه اللـه: "اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صـدهم عن العلم؛ لأن العلم نـور فــإذا أطفأ مصــابيحهم خبطهم في الظلم كيف شــاء, وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب: أحــدها أنه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف, فحسن عنــدهم الراحــة, فلبســوا المراقــع, وجلســوا على بساط البطالة"[2].

3- انتشـــار كتب ومؤلفـــات فيها انحرافـــات عقدية بشتى أنواعهـا: مما سـاعد على انتشـار الجهل

---

[1] (1) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي, جمال الدين أبو الفرج, الحافظ المفسر, الفقيه الواعظ, شيخ وقته وإمام عصره, له مصنفات كثيرة منها: زاد المسير, منهاج الوصول إلى علم الأصول, جامع المسانيد, المنفعة في المذاهب الأربعة, توفي سنة 597هـ.
انظر: الوافي بالوفيات 18/109, الأعلام 3/316, سير أعلام النبلاء 21/365.

[2] (2) تلبيس إبليس ص389.

بالـدين بين مسـلمي نيجيريا انتشـار كتب اللغة الـتي ألفها أناس لا قدر للدين عندهم, وقد كـان الكثـير من المنتسـبين للعلوم الدينية في نيجيريا من قديم الزمـان يتتلمـذون على هـذه الكتب الـتي لا علاقة لها بالعقيـدة والشـريعة, وأكثرها كتب اللغة والشعر في المدح

والرثاء والغزل وغير ذلك[1], وهي الـتي يحفظها طلبة العلم الـديني ويهتمـون بهـا, وغالبية هـذه الكتب وردت من دول المغرب العربي.

4- قلة الاهتمـام والعناية بـالتعلم الـديني في الصغر: لقد كـان للاسـتعمار السياسي البغيض أكـبر تـأثير في إعراض الطفل المسلم عن تعاليم دينه منذ الصـغر في نيجيريا؛ وذلك أن التنصير يتواجد مع الاسـتعمار حيثما وجـد, ولا يدخل واحد منهما في دولة من الدول إلا مقترنا بالثاني.

فقد سـعى المسـتعمرون بكل ما أعطـوا من القـوة والإمكانات فـور دخـولهم في نيجيريا إلى تنفـير النـاس عن الـدين الإسـلامي وتعاليمـه, وطـريقتهم في تحقيق ذلك الهـدف هو وضع خطـطٍ مبرمجة لإهانة كل ما هو إسـلامي, ثم المضي في تنفيذ تلك الخطـط. وقد تمثلت الخطط في توظيف كل من درس شيئا من العلـوم العصـرية مع تقـدير

---

[1] (1) من هذه الكتب: كتاب مقصورة ابن دريد في فنون الشعر والحكمة والوعظ والأدب والغزل تأليف أبي بكر بن الحسن بن دريد الأزدي, وكتاب نيل الأماني في شرح التهاني تأليف أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي, وهو شرح لقصيدته الدالية في مدح شيخه أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي. ومما غلا به في مدح شيخه قوله:

فهو الوحيدُ ومن يكن في دهره لم يلقه فكأنه لم يُوجـدِ
فردٌ وليس له نظيرٌ فانتــفَى جمـعٌ وتثنيةٌ لهذا المفـردِ

هذا غيض من فيض من تلك الكتب المليئة بالانحرافات العقدية, وما قصيدة البردة للبوصيري بغريب على كل مهتم بعلم العقيدة, وهذه هي الكتب التي يفرح طلبة العلم الديني في نيجيريا بتعلمها ويفاخرون بإتقان حفظها, وبقدر إكثار الطالب من قراءة أمثال هذه الكتب تعلو مكانته بين أقرانه, ولعل هذا السبب راجع إلى عدم انتشار كتب العقيدة الصحيحة, والله تعالى أعلم.

راتب مميز له, بينما كانوا يهمّشون أبنـاء المسـلمين الـذين يتوجهون إلى تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية, وقد وضـعوا قبل ذلك قيـودا تمنع أي طفل مسـلم من الالتحـاق بمدرسة حكومية إلا بعد تغيير اسمه إلى اسم نصراني, وإذا خاطر والده بإدخاله في المدرسة بعد تـوفر الشـروط فـإن الطفل يُمنع نهائيا من أخذ أية خـــــبرة عن الدراســـــات الإســلامية, وفي النهاية إما أن يتنصر هــذا الطفل أو يبقى على دينه ولا يكون له نصيب من الإسلام إلا الاسم.

فلما استشــعر الآبــاء ذلك الخطر المغــدق بهم كف البعض عن إرسـال أبنـائهم إلى المـدارس الحكوميـة, بينما خـاطر الكثـير وضـحوا بأبنـائهم للمنصـرين, فكـان ما كـان, وأصــبح الكثــير من المســلمين المتخصصــين في العلــوم العصــرية مثل الطب والهندسة وغيرهما لا نصــيب لهم من العلم الــديني الــذي يعصم الله به صـاحبه من الوقــوع في البـدع, ويمـيز به بين الحلال والحـرام. وما زال الوضع على هذا المنوال إلى يومنا هذا مع تحسن قليل.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألـوري واصـفا هـذه الحالة المؤســفة: "كـانت الحضــارة العربية قائمة في جميع البلاد الــتي قــامت فيها الحكومة الإســلامية (يعــني في غــرب إفريقيـا), ولما جـاء المسـتعمرون والمبشـرون غـاظهم كل الغيظ أن يلتقوا بالإسلام في غرب إفريقيا ليس دينا متمكنا في النفوس فحسب, ولكنه قـوة حاكمـة, ودولة قائمـة, ... فهـدموا بنيـان علمـاء الإسـلام بمعـاول قساوسة الصـليب, وبدلوا الشريعة بالقـانون, وطـاردوا الفقهـاء من الـدواوين, وأحلـــوا محلهم المحــــامين, وأغــــروا طلاب اللغة العربية بطلاب اللغة الإنكليزية والفرنسية, حيث تغلغلوا في القـرى والأريــاف, واقتنصــوا أبنــاء الفلاحين وأغــروهم بــالأموال والأعـراض, وأرسـلوا من آمن بالصـليب منهم إلى أوروبـا, ليكملوا بها علـومهم ولـيرجعوا إلى بلادهم زعمـاء معتـبرين لدى الخاص والعام, فاغتر طائفة من أبنـاء المسـلمين بتلك المظــاهر فتنصــروا, فأصــبحوا يركضــون في كل حلبة من حلبـات الجـد, فبقي المتمسـكون بـدينهم خـارج الحظـيرة ضعفاء مساكين مـتروكين في زوايا الإهمـال يعيشـون على

هـامش الحيـاة, ويـأكلون من فتـات الموائـد. فلا جـرم أن يحـارب الاسـتعمار التعليم العـربي بـالتعليم الافـرنجي بغية تحويل المســـلمين عن دينهم, أو تســـميم منـــاهج التعليم الافرنجي نفسه عليهم, حتى يصير المسلمون أنفسهم حربا على الإسلام وثقافتـه؛ لترسخ أقـدام المسـتعمرين في بلاد الإسلام, ولتشييد النصرانية على أنقاض الإسلام"[1].

وما سـبق ذكـره هو الوضع في جنـوب البلاد وشـرقها, أما في الشـمال فـإن الفرصة متاحة والأجـواء مهيـأة ليأخذ الطفل المسلم تعـاليم دينه منذ الصـغر, كما يقـدر المجتمع هناك المتخصص في العلوم الدينية ويحترمه.

5- ضعف قيام علمـاء أهل السـنة ببيـان الحق للناس, وإنكار البدع المحدثة والتحذير عنها: قــديما قيل: العبرة بالفارس لا بالفرس, هذا هو المثل الـذي ينبغي أن يقـال ويكـرر لعلمـاء أهل السـنة والجماعة في نيجيريـا, فقد منّ الله على الكثـــير منهم بـــالعلم الشـــرعي الغزير والمنهج السليم والعقيدة الصحيحة إلا أنه ينقصهم الأسلوب الأمثل للاسـتفادة من هـذه الإمكانيـات. وإن الاسـتمرار مع ضعف الإمكانيات أفضل من إمكانيات قوية غير مسـخرة أو غير مستغلة الاستغلال الأمثل.

يمكننا تقســـيم علمـــاء أهل الســـنة في نيجيريا إلى قسـمين: قسم من العلمـاء المحلـيين الـذين لم يكتب لهم السـفر خـارج البلاد ومع ذلك فقد منّ الله عليهم بالعقيـدة الصـافية, ونسـبتهم ضـئيلة جـدا مقارنة بـذلك الجم الغفـير ممن يطلق عليهم اسم العلمـــاء, أما القسم الثـــاني فهم خريجو جامعــات الــدول العربية وخاصة جامعــات المملكة العربية السـعودية الـذين تغربـوا عن أوطـانهم لنيل العلم الشـرعي من منبعه الصـافي, فعـدد هـؤلاء كبـير لكن ليس كلهم يعمل في حقل الدعوة وإرشاد الجهال.

فالقسم الأول من هؤلاء العلمـاء ينقصـهم في الغـالب معرفة الأولوية في بيـان أمـور العقيـدة, كما يلاحظ عليهم عـــدم معرفة المســـائل العقدية بدقة وإتقـــان, وبالتـــالي

---

[1] (1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص149-150.

يساهمون في انتشـار الجهل بالعقيـدة؛ حيث تجد أحيانا من ينكر بقوة أمورا هي من البدع غير المكفرة ولا يهتم بإنكــار ما هو شرك.

أما القسم الثاني وهم خريجو جامعات الدول العربيــة, فمشــكلتهم تكمن في عــدم التخطيط لمســتقبل الــدعوة, وقلة الاستعداد للتضحية في سـبيلها. أعـني بعـدم التخطيط لمستقبل الدعوة أنهم لا يسـعون لإجـادة اللغـات الرسـمية في بلـــدانهم وهي الـــتي تمكنهم من إيصـــال الـــدعوة والمعلومـات الـتي حصـلوها أثنـاء الدراسة إلى المشـتاقين لهــا, كما تمكنهم من الوصـول إلى السـلطة, وهم أحق بها من غـــيرهم, لأن أوضـــاع البلاد تـــدعو إلى تـــولي أمثـــالهم السلطة, فالدعوة الإسـلامية كتـاب يهـدي وسـيف ينصر[1]. وقصدي بقلة الاستعداد عندهم للتضـحية أن الكثـير منهم لا يعطي للـدعوة ما يكفي من أوقاته إلا إذا قـامت جهة معينة بكفالته, وإذا رجع إلى بلده بعد أن وفق في تعيينه كالداعية فإنه يفضل البقاء في العاصمة أو في إحدى المدن الكبـيرة حيث كثرت المغريات والملذات, بدلا من التوجه إلى القرى والأريـــاف والمـــدن الصـــغيرة حيث اشـــتدت الحاجة وقل الدعاة.

ولو أن هؤلاء حملوا أنفسهم على العمل الجاد وقــدّروا جســامة المهمة الملقــاة على عــاتقهم في مجــال الهداية والإرشاد لأعدوا للأمر عدته, وواجهوا المواقف بما يجب لها من استعداد. وليعلمـوا بـأن طريق النجـاح مليء بالأشـواك والعقبات, ولن يكتب لهم النجاح إلا بتوفيق من البــاري جل وعلا ثم التسلح للمعركة بما يناسـبها, ومن أراد النجـاح إذن فعليه طرق الأبواب بقوة وإصرار.

وليس ما نرجــوه مســتحيلا, فكل شـــيء ممكن, وقد ثبتت بالتجربة أن عملية إتقـــان اللغة الإنجليزية مثلا لا يأخذ من المـرء أكـثر من سـتة أشـهر إذا صـدقت الرغبة وقـوي العــــزم, فالعقل الــــذي تعلم العربية وأتقنها لن يعجز عن إجــادة لغة أخــرى أجنبية بــإذن اللــه. كما أناشد إخــوتي الدارســين في جامعــات الــدول العربية أن يهتمــوا بكل ما

---

1 (1) مجموع الفتاوى 20/393.

يعينهم على القيام بالـدعوة إلى الله على الوجه المطلـوب في المستقبل مثل المشاركة في دورات مختلفة في تنمية قـدرات الـدعاة: فـدورة في مهـارات الاتصـال, ودورة في الخطابة والإلقــاء, ودورة في التخطيط ورسم الأهــداف, ودورة في إدارة وتطوير الجمعيـات الخيريـة, كلها مطلـوب إجادتها للداعيــة. كما لا يغفل الداعية التخطيط لضــمان مصــدر الــرزق لنفسه بعد الاســتعانة بالله عز وجــل؛ لئلا يعيش على هـامش الحيـاة ويكـون عالة على المـدعوين, وذلك أدعى لقبـول دعوته وتـأثير كلمتـه. وإذا اسـتعننا بالله وبــذلنا الجهــود فســنجد بغيتنــا- إن شــاء اللــه, فبعد الليل الموحش صباح مشرق جميل. والله الموفق للصـواب وإليه المرجع والمآب.

أما إعــراض النــاس عن ســؤال أهل العلم في أمــور دينهم مما قد يتصـور البعض أنه من أسـباب انتشـار الجهل لدى مسلمي نيجيريا فليس ذلك بصحيح في نظري.

وقد سبق أن ذكرت حب النيجيريين للدين ســواء كـان حقا أو بــاطلا مما يــوحي بــأن هنــاك فرصا ذهبية ســانحة للدعاة إلى الدين الحق أن يسـتغلوها. والحق يقـال, فإنه لا يوجد داعية يخلص نيته لله تعالى فيما يقوم به مع التضـحية وســـلوك ســـبيل الحكمة فيه إلا وجد آذانا صــــاغية من المـدعوين, يجتمعـون حوله لسـماع دعوته والاسـتفادة منه بمئـات بل بـألوف وألـوف؛ ولـذلك تجد دعـاة الضـلالة من مبتدعة المسلمين والنصارى الضالين ينتهزون هذه الفــرص ولا يتركونها.

فمما يساعد على انتشار الجهل ضعف قيام علماء أهل السنة ببيان الحق للناس, فإنه بسكوت العلماء عن نشر الحق والتحذير من الباطل يرتفع صوت الباطل، ويضعف صوت الحق، ويظن كثير من الناس أن أصحاب الباطل نتيجة كثرتهم وفشوهم هم أصحاب الحق؛ بدليل ظهورهم وبروزهم.

أنواع الانحرافات التي يسببها الجهل لدى مسلمي نيجيريا:

ولعل المطلع على ما كتبته ســابقا في البــاب الثــاني والثالث عند دراسة المسائل التي تقع فيها الانحرافات لدى مســلمي نيجيريا يلاحظ أنــني لم أقم بإثــارة الشــبهات في كثير من تلك المسائل, وما ذاك إلا لأن أكثر ما يؤتى هــؤلاء المسلمون هو بسبب جهلهم بالدين, وفي حقيقة الأمر فإنه ليس هناك شبهات تذكر لديهم في كثير من المســائل وإنما الجهل هو الذي يسبب لهم الانحـراف عن الحـق, والإصـرار على الأخطاء, ويجعلهم يأخذون بالباطل محسوبا أنه الحق, فالإنسان دائما عدو ما جهل.

ومن الانحرافــات الــتي يســببها الجهل بالــدين عموما وبالمســائل العقدية خصوصــا: دعــاء غــير اللــه, والتوسل البدعي, والحلف بغير الله, والنذر والذبح لغير الله, والتبرك الممنوع, والعلاج بالسحر والشعوذة وبأشياء أخــرى محرمة شرعا, ومشاركة الكفار في أعيادهم وإحـداث أعيـاد أخـرى مبتدعة, وموالاة الكفار, ومخالفة المنهج الصحيح منهج أهل السـنة والجماعة في قـراءة القـرآن والـذكر والصـلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم, وصرف العبادات القلبية لغـير الله, وغير ذلك من أنواع الانحرافات في العقيدة.

فالجهل عامل رئيس من عوامل وقـــــــــوع بعض المســلمين في الانحرافــات العقديــة, وعلاج الجهل نشر العلم الشرعي, وهذا راجع إلى أنصار هذا الدين من العلماء الربانيين والدعاة المصلحين وطلبة العلم المخلصين فــإنهم هم الملزمـون بتبيـان ما يصـلح العقائد ويقـوّم الأفكـار فيما يختص بدين الإسلام.

المبحث الثاني

الغلو

معنى الغلو لغة:

أصل الغلاء الارتفـاع ومجـاوزة القـدر في كل شـيء. يقـال: غلا السـعر, يغلـو, غلاء: وذلك ارتفاعـه. وغلا الرجل في الأمر غلوا, وغلانية, وغلانيـا: إذا جـاوز فيه الحد وأفـرط فيه(1).

والغلو في الـدين: مجـاوزة الحد والتشـدد فيـه, وعلى هذا المعنى دلت الآية: [illegible] (المائدة:77), والحديث: (إياكم والغلو في الدين)(2), وكذلك الحديث: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)(3).

وقيل معناه: البحث عن بـواطن الأشـياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها, ومن ذلك الحديث: (حامل القرآن غير الغـالي فيه ولا الجـافي عنـه)(4), إنما قـال ذلك لأن من آدابه وأخلاقه التي أمر بها القصد في الأمـور, وخـير الأمـور أوساطها, وكلا طرفي قصد الأمور ذميم(5).

معنى الغلو شرعا:

الغلو في الشرع هو: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة(6).

---

[1] (1) انظر: لسان العرب 15/131 مادة (غلا), ومعجم مقاييس اللغة ص773 مادة (غلوى).

[2] (2) أخرجه النسائي في سننه- كتاب مناسك الحج- باب التقاط الحصى- ص2284 برقم (3059), وابن ماجه في سننه- كتاب المناسك- باب قدر حصى الرمي- ص2660 برقم (3029), وأحمد في مسنده 1/215, وابن حبان في صحيحه 9/183, والطبراني في المعجم الكبير 12/156, والبيهقي في السنن الكبرى 5/127, عن ابن عباس, وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي, وقال ابن تيمية: إسناده صحيح على شرط مسلم (اقتضاء الصراط المستقيم ص106), وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1283).

[3] (3) أخرجه أحمد في مسنده 3/198 عن أنس بن مالك, وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (4009).

[4] (4) سبق تخريجه ص226.

[5] (4) لسان العرب 15/131 مادة (غلا).

[6] (5) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص106, والاعتصام ص251, وتيسير العزيز الحميد ص234, والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة تأليف الشيخ عبد الرحمن بن محلا اللويحق, ط/الخامسة 1423هـ- 2002م, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.

ويزيد الشيخ سليمان بن عبد الله الأمر وضوحا فيحـدد ضـابط الغلو فيقـول: "وضـابطه تعـدي ما أمر الله به وهو الطغيـان الـذي نهى الله عنه في قولـه: Ïù ?#ötóôs? (u ¨Åsusùöä3øn=taæÉ<Ò¨ ((طه:81).

فـالحق واسـطة بين التفريط والإفـراط, ومن جـانب التفريط والإفراط فقد اهتدى[1].

ألفاظ تقارب الغلو في المعنى:

هنـــاك ألفـــاظ تقـــارب لفظ الغلو في معنـــاه, وهي: التطرف, والتنطع, والتشدد, والتكلـف, والتعمـق, والعنـف. وكل هـذه الألفـاظ تجتمع مع لفظ الغلو في كونها مجـاوزة الحد بالزيادة على المشروع, إلا أنه يلاحظ بأن هنـاك تقاربا بين لفظي الغلو والتطرف, فكل منها مرادف للآخر.

أما الألفـــاظ الباقيـــة: التنطـــع, والتشـــدد, والتكلـــف, والتعمق, والعنف, فهي بمثابة أوصاف ومظاهر للغلو:

- فالغالي يتسم في أخذه للدين بالشدة.
- ويتسم في معاملة الآخرين بالعنف.
- ويتسم بـــــالتنطع والتعمق والتكلف في أفعـــــال الدين[2].

أنواع الغلو:

يتنوع الغلو باختلاف متعلقه من أفعال العباد, فهو على نوعين: اعتقادي وعملي.

النوع الأول: الغلو الاعتقادي:

والمراد بالغلو الاعتقـادي ما كـان متعلقا ببـاب العقائد فهو محصور في الجانب الاعتقادي الذي يكون منتجا للعمل بالجوارح, ويتمثل في مجاوزة حـدود الاعتقـاد الصـحيح إلى غيره من ضروب الانحراف.

ومن الغلو في الاعتقـاد غلو النصـارى في عيسى عليه السلام حتى أخرجوه من حيز البشـرية إلى مرتبة الألوهيـة, ومنه غلو الرافضة في علي رضي الله عنــه, فطائفة ادعت أنه إله, وطوائف على أنه معصوم.

---

1 (1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي 1/255.

2 (2) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ص62.

ومنه غلو بعض المتصوفة في الرسول- صلى الله عليه وسلم- حيث ادعوا أنه مخلوق من نور وأن الكون خلق من نوره, وأنه يتصرف في الأكوان, إلى غير ذلك من العقائد الباطلة, ومنه الغلو في الصالحين ومشايخ الصوفية, بادعاء العصمة لهم, واتباعهم في كل ما يقولونه بلا دليل, والاستغاثة بهم وندائهم فيما لا يقدر عليه إلا الله, إلى غير ذلك من العقائد الشركية.

والغلو الاعتقادي أشد خطرا وأعظم ضررا من الغلو العملي؛ إذ الغلو الاعتقادي هو الذي يؤدي إلى الإنشقاقات وظهور الفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم.

النوع الثاني: الغلو العملي:

والمراد بالغلو العملي ما كان متعلقا بباب العمليات فهو محصور في جانب الفعل, سواء أكان قولا باللسان أم عملا بالجوارح.

ويقصد بهذا النوع ما كان واقعا في دائرة الأحكام الشرعية الخمسة وهي: الوجوب, والندب, والكراهة, والتحريم, والإباحة, فمن جعل المندوب بمنزلة الواجب, أو المكروه بمنزلة المحرم, أو جعل المباح مكروها أو محرما فقد غلا في الدين الغلو العملي وجانب الصراط المستقيم, فمن أوجب على نفسه قيام الليل كله مثلا فقد غلا؛ لأنه جعل المندوب بمنزلة الواجب, ولأنه جاوز حدود السنة في هذا الجانب. ومثل هذا من حرم ما أحل الله من النكاح وأكل الطيبات زهدا وتعبدا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات, وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات"[1].

خطورة الغلو:

يكمن خطر الغلو في الدين في النقاط التالية:

1- الغلو ينفر عامة الناس عن الاستمرار في العبادة؛ لأنه مجاوزة حد الاعتدال المطلوب من المسلم أن يلتزم

---

[1] (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص103.

به, فلا يطيقونه. وهذا الـذي أدركه رسـول الهـدى- صـلوات الله وسلامه عليه- فعـاتب معـاذا حين شـكا أحد النـاس أنه يطيل في الصلاة, فقال له وللمسلمين جميعـا: (يسـروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)[1].

2- أنه يضر بصـــــاحبه ويـــــؤدي به إلى الانقطـــــاع والاستحسار, لأنه أصعب من أن يستمر صاحبه عليه, فيفتر ويترك.

3- أن الغــالي في الــدين يخــرج عن كونه مطيعا لله بعبادته, كمن زاد في الصلاة ركعة, أو صـام الـدهر مع أيـام النهي, أو سـعى بين الصــفا والمــروة عشــرا, أو نحو ذلك عمدا.

4- الغلو يضر بــــالتوازن المطلـــــوب في شخصـــــية المسلم, ويعني ذلك أنه يضيع بعض الحقـوق, ولعل هـذا هو الذي جعل رسول الله- صـلى الله عليه وسـلم- يقـول لعبد الله بن عمـــرو حين بلغه أنه يصـــوم النهـــار ويقـــوم الليل باستمرار: (لا تفعـل، صم وأفطـر, وقم ونم، فـإن لجسـدك عليك حقــــــا, وإن لعينك عليك حقــــــا، وإن لزوجك عليك حقا...)[2].

5- أن الغلو يجعل صــــاحبه يتعصب لرأيه ويظل عليه جامدا, ولا يعـترف بـالرأي الآخـر, ويتسـرع في الحكم على الآخرين في عقائدهم, وخير مثـال على ذلك فرقة الخـوارج الــذين أدى بهم الغلو إلى تكفــير المســلمين واســتحلال دمائهم.

6- الغلو سبب الهلاك لقولـه- عليه أفضل الصـلاة وأتم التســليم- وهو يربط بين الغلو والهلاك: (إيــاكم والغلو في الـــدين فإنما أهلك من كـــان قبلكم الغلو في الـــدين)[3],

---

[1] (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العلم- باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا- ص8 برقم (69) عن أنس بن مالك.

[2] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصوم- باب حق الجسم في الصوم- ص154 برقم (1975) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

[3] (3) سبق تخريجه ص264.

وقولــه- عليه الصــلاة والســلام: (هلك المتنطعــون[1] قالها ثلاثا)[2].

7- أنه سبب للوقوع في الشــرك والخــروج من الــدين بالكليــة, فــالغلو في محبة الصــالحين يــؤدي بالنــاس إلى عبادتهم, قال الشــيخ محمد بن عبد الوهــاب رحمه الله في كتاب التوحيد: "باب ما جاء أن سبب كفر بــني آدم وتــركهم دينهم هو الغلو في الصالحين"[3].

8- أنه من نزغات الشـيطان, وقد أمرنا الله أن نتخــذه عدوا, قال الإمــام ابن القيم رحمه الله تعــالى: "ما أمر الله بــأمر إلا وللشــيطان فيه نزغتــان: إما إلى تفريط وإضــاعة, وإما إلى إفــراط وغلــو, ودين الله وسط بين الجــافي عنه والغــالي فيــه, كــالوادي بين جبلين, والهــدى بين ضــلالتين, والوسط بين طــرفين ذميمين. فكما أن الجــافي عن الأمر مضيع له, فالغالي فيه مضـيع لـه, هـذا بتقصـيره عن الحـد, وهذا بتجاوزه الحد"[4].

9- أنه زيــادة في الــدين, والله تعــالى قد أكمل دينه لعباده, كما قــال تعــالى: tö u ø9$# àMù=yør& öä3s9 öä3oÏ àMôJoøCr&u öä3øn=tæ ÉLyJ÷èÏR àMÅÊuu ãä3s9 zO»n=óM}$# $YÏ 4 (المائدة:3).

أسباب الغلو لدى مسلمي نيحيريا:

يمثل الغلو ظاهرة انحراف خطـيرة في تـاريخ الأديـان السـماوية؛ إذ يعد من أكـبر أسـباب الانحـراف بالـدين عن الصراط المستقيم. ويبدأ هذا الانحـراف يسـيرا ثم يتعـاظم على مر الأيام حتى يصبح كأنه الأصل.

وها هي النصرانية! كيف كانت على عهد المسـيح عليه السلام عقيدة خالصة من شـوائب الشـرك ودينا قويمـا, ثم أصابها الغلو فانحرف بها عن التوحيد الخـالص إلى الشــرك

---

[1] (4) المتنطعون: أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 16/437.

[2] (5) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب العلم- باب هلك المتنطعون- ص 1142 برقم (2670) عن عبد الله بن مسعود.

[3] (1) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) 6/39.

[4] (2) مدارج السالكين 2/496.

المحض, ومن دين سـماوي إلى دين وضـعي ممـزوج بالوثنيات وترهات اليونان وأباطيل اليهود.

وهذا الغلو لا ينشأ فجأة من فـراغ, ولكنه مرتبط بعـدة عوامل وأسباب تؤدي إليه وتظهره[1]. وهذه الأسباب كثـيرة ومتنوعة لكن الـذي يهمـني في هـذا المقـام هو ذكر تلك الأسباب التي يؤدي ببعض مسلمي نيجيريا إلى الوقـوع في الغلـو, ومن ثم الانحـراف عن صـراط الله المسـتقيم فيما يتعلق بمسائل توحيد الألوهية, وسأقتصر على أهمها, وهي:

1- الجهل بالدين: ويتمثل في جوانب متعددة منها:

القصـور في فهم مقاصد الشـريعة من التيسـير ورفع الحرج عن المكلفين, وهذا يظهر في صنيع المتشددين على أنفسـهم في العبـادات. فالجهل في هـذا الجـانب هو الـذي دفع بعض البسطاء من مسـلمي نيجيريا إلى صـيام الأشـهر الثلاثة: رجب, شعبان, رمضـان, دون انقطـاع. وما من شك أن من فعل هـذا قد صـام أيـام النهي مما يخرجه عن كونه مطيعا لله ورسوله في عبادته.

ومنها الجهل بحدود الشـريعة الـتي يجب على المكلف أن يقف عندها ولا يتعداها, كتحريم المباح أو تحليل الحـرام أو إيجاب ما ليس بواجب, فالجهل بالـدين في هـذا الجـانب يوقع بـالعوام في الغلو الشـيء الكثـير, فمسـألة الاجتمـاع للتعزية بعد دفن الميت مما يـؤدي إلى صـنع أهل الميت الطعـام للنـاس, والتوسل بحق نبينا محمـد- عليه الصـلاة والسلام, والتبرك بفضل الآباء والأمهات والمشايخ, كلها من البدع المنكـرة ومع ذلك فـإن عـوام المسـلمين في نيجيريا يعتبرونها مما ليس به بأس لجهلهم المركب.

وكذلك المتصـوفة الـذين يرفعـون مشـايخهم فـوق ما يسـتحقون من المكانة فيعتقـدون فيهم علم الغيب والتصـرف في الكـون, كما يتجـاوزون الحد المشـروع في مدح رسول الهدى وخير الأنام- صلوات الله وسـلامه عليـه- فيصفونه بأوصاف الربوبية والألوهيـة, كل ذلك نتيجة الجهل

---

[1] (3) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع تأليف عبد الرؤوف محمد عثمان ص147.

بحدود الشريعة التي يجب على المكلف أن يقف عنـدها ولا يتعداها.

ومن الجوانب الـتي يتمثل فيها الجهل بالـدين القصـور في فهم النصوص الشرعية, حيث إن بعض مسلمي نيجيريا ينظرون في النصوص الشـرعية النظـرة الجزئية القاصـرة. وينتج من هـذه الظـاهرة قصـور الفهم؛ لأن الحاصل في الأمر هو النظرة إلى أحد جانبي النصـوص وإهمـال الجـانب الآخر والإعراض عنه, ومحاولة التأويل المتعسف للنصـوص الشرعية لكي تنطبق مع هوى النفس.

وأظهر فئـات مسـلمي نيجيريا توجد فيها هـذه الصـفة هم الطلبة المسـلمون في الجامعـات النيجيرية أصـحاب التخصصات العصرية وكذلك الصـوفية بطريقتيهـا. فبقصـور الفهم الناتج من النظرة الجزئية في نصـوص الوعد والوعيد أعلنت مجموعة من هـؤلاء الطلبة الـبراءة من المجتمع النيجـيري بحجة أنه مجتمع عـاص وكفّـروا أفـراده ثم اعـتزلوهم, فقد أدى غلو هـذه المجموعة بهم إلى هلاكهم حيث حصـلت اشـتباكات بين الجنـاح العسـكري لهم وبين أفراد شرطة الحكومـة, فقتلـوا عـددا من أفـراد الشـرطة, فكانت النتيجة أن أرسـلت الحكومة فرقة من الجيش الـتي قتلتهم جميعا ودمر كل ما كانوا يملكون.

أما المتصوفة فإنهم ينظـرون في النصـوص الشـرعية النظـرة الجزئية مما يـؤدي بهم إلى تعظيم مشـايخهم إلى درجة إلحاقهم بما لا يسـتحقون, فـيزعم بعضـهم أنه لا ولي لله أعظم من شيخهم, وربما أغلقوا باب الولاية دون سـائر الأمة إلا شيخهم, ومنهم من يزعم أن شيخهم مساو للنـبي- صـلى الله عليه وسـلم- إلا أنه لا يأتيه الـوحي, وكل هـذا باطل محض وبدعة فاحشة, وأي مسلم قدر الله له المرور للسـلام على قـبر الشـيخ عثمـان بن فـودي في مدينة (سـوكوتو) وقـبر الشـيخ محمد الناصر الكـبرى في مدينة (كانو) يـرى عجب العجـاب ويشـهد على حقيقة هـذا الكلام الذي قلته.

ومثل ما يفعله الصـوفية في مشـايخهم يفعلونه في الرسـول- صـلى الله عليه وسـلم- حيث نظـروا إلى جـانب

التعظيم للرسـول- عليه الصـلاة والسـلام- فبـدأوا يمدحونه حتى دخل المدح حد الإطـراء, وأهملـوا جـانب التوحيد وسد الذريعة إلى الشرك. وخير شاهد على وقوع المتصـوفة في هذا النـوع من الانحـراف اعتيـادهم لقـراءة قصـيدة الـبردة للبوصـيري أثنـاء الاحتفـال بالمولد النبـوي, بل يكـاد يكـون قراءة هذه القصيدة أهم فقرات بـرامج المولد عند الكثـير, ولا يخفى على من رزقه الله سـلامة العقيـدة ما في هـذه القصيدة من عين الانحراف, مثل قوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمـم

فإن من جودك الدنيا وضرتهـا ومن علومك علم اللوح والقـلم[1]

إن الحق الذي يدعو إليه الدين الحـنيف أنه يجب محبة الأنبياء والأولياء والصـالحين وتوقـيرهم, ويحـرم النيل منهم والتنقص من قـدرهم, لكن في نفس الـوقت لا يجـوز الغلو فيهم برفعهم فوق منازلهم أو وصـفهم بأوصـاف الألوهية أو الربوبية, فلا غلو ولا إجحاف ولكن العدل والإنصاف.

2- اتباع الهوى:

اتباع الهوى من أكـبر أسـباب الغلو في الـدين, فهنـاك الكثـــير من مســـلمي نيجيريا يعرفـــون الحق لكن الهـــوى المتأصل في نفوسهم هو الـذي يصـدهم عن قبولـه, ولنأخذ مسـألة الاحتفـال بالمولد النبـوي على سـبيل المثـال فـإن أدعيـاء العلم وكثـيرا من المتصـوفة يعرفـون في سـويداء قلوبهم أنه لا دليل على جـوازه لا من كتـاب الله تعـالى ولا من سـنة رسـوله- صـلى الله عليه وسـلم ولا من أقـوال الســلف الصــالح وأفعــالهم, لكنهم مع ذلك يحتفلــون به ويرغبون الناس في ذلك, ويقررون الحكم بجوازه, سـبيلهم إلى تحقيق أغراضهم الخبيثة ليّ أعناق النصـوص والمجادلة بالباطل ليدحضوا به الحق.

---

1 (1) بردة المديح المباركة تأليف شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري ص35.

3- حب المال والشهرة:

لقد انحـرفت ببعض مسـلمي نيجيريا مغريـات المـال والجـاه فـأوقعتهم في مـرض الغلو في الـدين. ومن الأمثلة على ذلك ما يقوم به بعض مرتزقة الصوفية المنـافحين عن فكرهم الباطل لضمان أرزاقهم من المريـدين والـدراويش, ولقد سـمعت من أحد مشـايخهم- وهو يتكلم في شـريط سـجل لـه- قولـه: "أنا ولي, وزوجـاتي كلهن من الأوليـاء". فهكذا يظهرون أنفسهم أمام أتباعهم ومريديهم بالكرامـات المزيّفة؛ ليؤكدوا أن لهم مكانة مرموقة عند اللـه, فلا يبقى لهؤلاء الأتبـاع إلا تقديسـهم والغلو فيهم, والهـدف وراء ذلك كله حب الزعامة والمال.

فالمريد الذي يعتقد أن شيخه ولي من أوليـاء الله وأنه يتصرف في الكون لن يقطع لنفسه أمرا أبـدا إلا بعد إخبـار شيخه الذي يرشده ويعينه في نظره, وكل ذلك لا يكـون إلا بمقابل.

4- رواسب الجاهلية والديانات القديمة:

مما يوقع بعض مسـلمي نيجيريا في الغلو ما تـأثروا به من عـادات الجاهلية وما بقي فيهم من آثـار الـديانات القديمة, وقد قـررت سـابقا بـأن الوثنية بشـتى أنواعها هي الديانة الـتي كـان عليها جميع القبائل النيجيرية قبل الإسلام[1], ولكل واحـدة من هـذه القبائل طريقة خاصة بها في احـترام عظمائها وتوقـيرهم, إلا أن كلها فيها مجـاوزة الحد الشرعي في احترام العظماء والكبار, وفي ذلك يقول الشيخ آدم عبد الله الألـوري رحمه اللـه: "وكل ما تبقى في نيجيريا اليـوم من عـادات خلع النعـال للتحية أو الانبطـاح أو السـجود أمـام الأكـابر أو الملـوك إنما هي من رواسب الجاهلية الـتي ما أنـزل الله بها من سـلطان, بل هي من نزوات الشياطين وشهوات السلاطين الذين نصبوا أنفسـهم آلهة يعبدون من دون الله"[2].

فـالملوك عند قبيلة يوربا في زمن مضى كـانت لهم مكانة عالية في قلوب رعايـاهم, فلا يمكن أن يـدخل امـرؤٌ

---

1 (1) يراجع تمهيد هذا البحث.

2 (1) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص154.

على الملك في قصـــره إلا وهو منبطح على صـــدره بعد أن خلع طاقيته ونعليـه, وبلغ بهم الأمر في تلك الفـترة إلى أن أطلقـوا على ملك مملكة (أويـو) إحـدى مماليك قبائل يوربا لقب: (إكو بابا ييبي, ألاسي أكيجي أوريسا iku baba yeye, alase ekeji orisa), ومعنـاه: (الـذي يحـيي ويميت, الآمر نائب الإله).

أما أهل شـمال نيجيريا فقد نقل عنهم الشـيخ آدم عبد الله الألوري هذه الحكاية الغريبة قائلا: "ومما يضحك- وشر البلية ما يضـحك- أن أهل مدينة (ميـدغري) عاصـمة (برنـو) يقصرون التعمم على الشيخ الذي هو السـلطان, ولا يتعمم غيره, وإنما يسمح للإمام الخطيب في يوم الجمعة فقط أن يصـلي بالنـاس متعمـا, وبعد الانتهـاء من الصـلاة مباشـرة يتقـدم أحد أتباعه لانـتزاع العمامة عن رأسه قبل أن يتوجه إلى السلطان ليسلم عليه بدونها. إن هذا لشيء عجاب!!.

ومن قبيل ذلك تحـريم نشر المظلات على الـرؤوس أمام الأمير أو أمام داره في شدة الظهيرة ووقت الهجـيرة؛ ذلك لأن الأمـير وحـده هو الـذي يتمتع بهـذا الحـق, ويحتمى بهذه الواقية الـتي تقيه حر الشـمس ولهيبهـا. أما غـيره فلا جناح عليه أن يشوي جسمه بلفحات الشـمس أو أن يـذهب ضحية فيح جهنم.

وقد أخذ هـذا في التلاشي والـزوال شـيئا فشـيئا منذ زمن وخصوصا في الأوسـاط الراقيـة, وبقي منه الـنزر اليسـير في الأوسـاط الـدنيا, **وأكـثر من يحافظ عليها هم المسلمون, مع أن هـذا ليس من الإسـلام في شيء"**[1].

تلك هي عـادات القـوم في تعـاملهم مع كبـارهم وعظمائهم, وقد تأثروا بهذه العادات وسبّب لهم ذلك التـأثر الغلو في احترام العلمـاء والمشـايخ والأمـراء والسـلاطين, فيسلم بعض المسـلمين في الـوقت الحاضر على علمـائهم ومشـايخهم بمثل السـجود أو الركـوع أو ما يقاربهمـا, ويخضـعون ويتـذللون لهم, كما يقفـون على أرجلهم لمـدة طويلة احتراما وتوقـيرا للأمـير أو السـلطان وهو جـالس,

---

[1] (2) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص19.

خلافا لما أمر به النبي- صلى الله عليه وسلم- من عدم القيام للشخص بهذه الصورة.

الانحرافات التي يسببها الغلو لدى مسلمي نيجيريا:

الغلو في محبة الأولياء والصالحين, وتجاوز الحد المشروع في احترام الأشخاص سبب يؤدي بالكثير من مسلمي نيجيريا إلى الوقوع في انحرافات عدة, أذكر منها: دعاء الموتى والاستغاثة بهم, الركوع والسجود والتذلل لغير الله, اعتقاد تصرف الأنبياء والصالحين في الكون, اعتقاد علم الغيب في المخلوق, المدح والإطراء الموصل إلى وصف المخلوق بأوصاف لا يستحقها إلا الله تعالى, اعتقاد أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أول المخلوقات وأنه خلق من نور الله وأن الكائنات خلقت من نوره, دعوى رؤية النبي- صلى الله عليه وسلم- يقظة والاجتماع به وحضوره مجالسهم, البناء على القبور وتعظيم المشاهد, إحداث أعياد واحتفالات لمواليد الأشخاص, التبرك الممنوع, وغير ذلك من الانحرافات.

المبحث الثالث
التشبه بالكفار

تعريف التشبه:

التشبه لغة: من شبه, وهو أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا[1]. والتشبه: مصدر تَشَبّهَ, يقال: تشبه بغيره أي ماثله وجاراه في العمل, والتشبيه التمثيل.

التشبه اصطلاحا: عرفه بعض العلماء بأنه عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به, وعلى هيئته وحليته, ونعته, وصفته, وهو عبارة عن تكلف ذلك وتقصده وتعمله[2].

وقيل: هو تكلف الإنسان مشابهة غيره في كل ما يتصف به غيره أو بعضه[3].

دواعي التشبه بالكفار لدى مسلمي نيجيريا:

1- مجاورة الكفار ومخالطتهم:

إن الجليس يتأثر بجليسه وصاحبه ومن يخالط، سواءً أكان ذلك في الخير أو الشر، وذلك عن طريق المؤانسة والمشابهة، وعليه فإن من الأسباب المؤدية إلى تشبه بعض مسلمي نيجيريا بالكفار المجاورة والمخالطة لهؤلاء الكفار. فالجار يتأثر بجاره كما أن الجليس يتأثر بجليسه؛ ولذلك قال أبو قلابة: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم, فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون"[4]. وقد أصبح بعض مسلمي نيجيريا يتشبهون بالنصارى بسبب مجاورتهم ومخالطتهم فيما هو من خصائصهم, من عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم, كحلق اللحى, وإطالة الشوارب, وفي طريقة اللباس وغير ذلك. وأفضل مثال على حدوث التشبه بالمجاورة والمخالطة ما يقوم به بعض النصارى في

---

1 (1) انظر: معجم مقاييس اللغة ص526.

2 (2) التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي تأليف جميل بن حبيب اللويحق ص29, ط/الأولى 1419هـ- 1999م, دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع- جدة.

3 (3) حسن التنبه لما ورد في حسن التشبه تأليف نجم الدين أبي المكارم محمد بن محمد بن محمد الغزي دراسة وتحقيق, رسالة ماجستير إعداد ريمة بنت محمد بن فريح العبد المنعم, إشراف الشيخ ناصر بن عبد الرحمن الجديع ص19, العام الجامعي 1419هـ.

4 (4) سنن الدارمي 1/120, وشعب الإيمان 7/60, وحلية الأولياء 2/287.

أعيادهم حيث يطلبون من جيرانهم المسلمين السماح لهم باستصحاب أطفالهم معهم لمشاهدة أعيادهم ومشاركتهم فيها. ولربما يبدو هذا الأمر غريبا لدى القارئ الكريم لكنه يحدث بسبب المجاورة التي تقلل من شأن الدين في نفوس الذين يخالطون الكفار من المسلمين. وقد تقرر أن بني آدم يكتسبون بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة, بل إن الآدمي إذا عاشر نوعا من الحيوان اكتسب من بعض أخلاقه[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرا من غيرهم, كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام"[2].

2- الجهل بعظمة الدين الإسلامي وعزة أهله:

إن عدم معرفة حقيقة هذا الدين يسبب لبعض مسلمي نيجيريا الشعور بالنقص أمام الكفار ونظام الكفر مما يؤدي بهم في نهاية المطاف إلى تقليد هؤلاء الكفار والتشبه بهم. والفئة التي تصاب بهذه المشكلة من بين مسلمي نيجيريا هم الشباب وخاصة الذين يدرسون في الجامعات والمرحلة الثانوية, والذي يوقع هؤلاء الشباب في تلك المشكلة- في نظري- أنهم لا يأخذون إسلامهم عن قناعة داخلية, وقول القائل: أنا ولدت في الإسلام, وأبواي مسلمان لا محل له في هذه المسألة, بل لا بد لكل مسلم أن يأخذ إسلامه عن قناعة داخلية ويرضى بالإسلام دينا؛ لأن من رضي بشيء اقتنع به, وإذا اقتنع به لا يمكن أن يتزعزع عنه. ولما كان بعض شبابنا في الجامعات النيجيرية لم يأخذوا إسلامهم عن قناعة داخلية نجد منهم من لا يريد أن يُعرف بأنه مسلم, فيخفي اسمه الحقيقي ويغلب اللقب على الاسم الإسلامي, كما يتعمد ألا يظهر للناس أنه مسلم في طريقة اللباس. فالنتيجة في الغالب أن المنصرين دعاة الكفر والضلالة كانوا لهؤلاء بالمرصاد, وإذا عرض على مثل

---

1 (1) انظر: اقتضاء الصراط ص220.

2 (2) المرجع السابق ص220.

هذا المتذبذب ديانة النصرانية فسرعان ما يقبل لقوة المهاجم وضعف المقاوم.

3- التقليد الأعمى:

هذا الداء العضال سبب رئيس لتشبه المسلمين بالكفار. والتقليد الأعمى هو المحاكاة بلا بصيرة ولا نظر في شيء, ويشمل كل ما يسلكه المسلمون- من غير إدراك ولا وعي ولا تمحيص- من اتباع الكفار, والأخذ عنهم, والتشبه بهم في شتى أنواع الحياة, وأنماط السلوك, والأخلاق, وأشكال التبعية في الاعتقاد, والتصور, والفكر, والفلسفة, والسياسة, والاقتصاد, والأدب, والثقافة, والنظم, والتشريع, من غير اعتبار للعقيدة والشريعة الإسلامية ومن غير التزام للمنهج الإسلامي الأصيل[1].

ومما يعجب منه المسلم الغيور على دينه تشبه بعض مسلمي نيجيريا بالكفار في أمور لا يتوقع أبدا أنه يمكن تقليدهم فيها مما يتعلق بنظام الحياة وأنماط السلوك, بل بلغ بهم الأمر إلى تقليدهم في المعتقدات, ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز المرء عن حصره. وقد أصبح بعض المسلمين في نيجيريا يقلدون النصارى في نظام الزواج وتسمية المولود كما يقلدون المشركين في عمل الوليمة بعد موت صاحبهم.

4- ضعف تبيين التوحيد:

مما يلحق الضرر بالمسلمين في عقيدتهم الجهل, وأشد من ذلك ضررا إذا انضم إلى انتشار الجهل تقصير العلماء في بيان حقيقة الدين. فالعلماء والدعاة هم أنصار الدين وهم الملزمون بتبيان ما يُصلح العقائد ويقوّم الأفكار والسلوك, وإذا قصروا في أداء مهمتهم أو تركوها نهائيا فلا سعادة ترجى لا للدعاة ولا للمدعوين.

---

[1] (1) انظر: التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية وتقليدها لغيرها وبيان نتائج ذلك ومواقف الناس منه, إعداد الدكتور ناصر عبد الكريم العقل, إشراف الدكتور محمد عبد الله أبي الفتح البيانوني ص 56, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض 1393هـ.

والمتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية عبر العصور يرى الأمة تبدو قوية والسنة في محل ظهور وانتشار حين يوجد من يدعو إلى العقيدة الصحيحة ويقاوم البدع والخرافات, وفي المقابل يغلب الضعف على الأمة حين تكثر البدع دون وجود من يحاربها ويرد على أهلها.

وبناء على ما سبق بيانه فإن القصور في تبيين التوحيد للمسلمين في نيجيريا يعتبر من عوامل تشبه هؤلاء المسلمين بالكافرين في مجتمعهم, وإن مفهوم عقيدة الولاء والبراء لم يكن واضحا أمام بعض المنتسبين للعلم الشرعي في ذلك المجتمع فكيف بالعوام؛ فنتيجة ذلك أننا نرى الكثير من مسلمي نيجيريا ينصرون النصارى على إخوانهم المسلمين, ويتخذون النصارى بطانة ومستشارين, ويشاركونهم في أعيادهم, ويتخلقون بأخلاقهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد, كما يتشبهون بهم فيما هو من خصائصهم, يفعلون كل ذلك جهلا منهم, ولو أدركوا مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأن التشبه يورث المحبة والموالاة ما أقدموا على هذه الأمور التي يعتبرونها هينة وهي عند الله عظيمة. فخلاصة القول أن العلماء والدعاة- بتقصيرهم في بيان التوحيد- يسهمون في تشبه بعض مسمي نيجيريا بالكفار.

5- التأثر بالوارد من العلوم والأفكار المنحرفة:

مما يؤسف له أن الغرب النصراني قد خلطوا بين ما ينفعنا وما يضرنا من العلوم قبل السماح لوصولها إلينا نحن المسلمين, وقد فعلوا ذلك عمدا تنفيذا لنتائج الدراسات الطويلة التي أوصلتهم إلى أن المسلمين لن يقهروا أبدا ما لم يُبعدوا عن التمسك بمبادئ دينهم.

ولذلك قدموا العلوم إلى العالم الإسلامي بعد أن دسوا فيها السموم يريدون بذلك مسخ الهوية الإسلامية في نفوس شباب الإسلام وإبعادهم عن حقيقة دينهم وإن لم يخرجوهم منه. وقد أتت ثمار أعمالهم يانعة حيث بلغ الجهل بالدين وفساد الأخلاق بشباب الإسلام إلى أن راجت فيهم شبهة أعدائهم الذين وسوسوا إليهم أن سبب ما طرأ

عليهم من الضعف وزوال الملك إنما هو دينهم, فهكذا يهزمون لأنهم يجهلون التاريخ.

وهل يعقل أن يكون ديننا سبب تأخرنا وزوال ملكنا وهو الذي ساد به سلفنا, وعز به ملكهم, ونشأت بهدايته حضارتهم؟ كلا, لا يمكن أن يكون الدين هو السبب, فالعيب في المسلمين الذين ابتعدوا عن دينهم ومنهج سلفهم وليس في الإسلام في شيء.

والذي أقرره في هذا الصدد أن أكثر ما يرد إلى مجتمعنا النيجيري من السلوك الفاسد والأفكار المنحرفة كان عن طريق العلوم الغربية التي تدرس في المدارس الحكومية والجامعات؛ لأنها خليط بين النافع والضار. فمن خلال هذه العلوم يأخذ الشاب المسلم بعض المذاهب والنظريات الهدامة التي أتت من الغرب, ومن خلال تدريسها يزيّن له مثلا أهمية الحصول على عضوية جمعية الروتاري وغيرها من الجمعيات الصهيونية السرية التي تسعى لمحاربة الإسلام والقيم الفاضلة لكن تحت شعار الخدمات الإنسانية, ويحبب إليه هذه الجمعية حتى يكون عضوا فيها.

والجانب الآخر الذي تأتي منه هذه الأفكار المنحرفة هو وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة والمقروءة, وإني لأذكر أن هناك بعض الجرائد النيجيرية تخصص صفحتين كاملتين في كل يوم لكتابة كلمات الأغاني التي صدرت جديدة لبعض المغنين المشهورين في أمريكا وغيرها من الدول الأوروبية, كما تعرض بعض المجلات الأزياء الأوروبية والأمريكية بشتى أنواعها, وكذلك أصناف قصات الشعر, حيث تعرض كل هذه الأشياء بطريقة مشوقة لاصطياد الشباب؛ ولذلك تجد الشاب المسلم الذي لم يحصن نفسه بشيء من العلوم الدينية قبل التحاقه بالجامعة تجده يندفع وراء أي ناعق, مخدوعا بالشعارات البراقة, تستهويه الكثرة الكاثرة والجموع الغفيرة, فهو إمعة حين يسير, وجامد حين يقف, وتائه حين يريد الطريق, كل ذلك نتيجة ما يقابله من التيارات المختلفة والتحديات

الكبيرة والتوجهات المتنوعة التي لم يستطع فيها التمييز بين ما ينفعه وما يضره.

6- وسائل الإعلام:

لا يرتاب أحد في أهمية وسائل الإعلام في العصر الحاضر, وهي سلطة نافذة وآية هذا الزمان. ولقد أدرك أعداء الإسلام تأثير هذه الأداة في حياة الناس كافة فأسرعوا إلى السيطرة عليها من جميع الجوانب وصارت في أيديهم يتصرفون فيها كما يشاؤون.

والوسائل الإعلامية بأنواعها المختلفة: المرئية والمسموعة والمقروءة- لكونها في أيدي الكفار- قد أصبحت أداة تدمير وانحراف, تعني بأشياء مادية وترفيهية, ولا تهتم بما يقوّم الأخلاق. ولا أكون مبالغا إذا قلت بأن خمسة وتسعين في المائة من برامج الإذاعة والتلفاز في نيجيريا تُبث لنشر الثقافة الغربية وشيء من ضلالات النصارى؛ ولذلك تجد التشبه بالغرب في أزيائهم وعاداتهم قد جرى في أرجاء البلاد جريان الدم في العروق, فأبناء الدنيا يرون في ذلك شرفا ورفعة, والمنتصرون للدين يرونه ذنبا وبدعة.

إن أكثر محطات الإذاعة والتلفاز في نيجيريا تملكها الحكومة, فالبرامج الأساسية فيها غير الأخبار كلها تهتم بنشر الثقافة الغربية من الأغاني ونظام حياة الغرب وأنماط سلوكه, أما البرامج التي تعطى الفرص لشرائها, ورغم أن هذه الفرص سانحة للجميع بغض النظر عن الدين فإن أكثر من يجد التمويل لشرائها هم النصارى والصوفية المرتزقة, أما علماء أهل السنة والجماعة فإن نصيبهم قليل جدا, اللهم إلا في المنطقة الشمالية حيث يوجد تمكين أكثر للإسلام فهناك تُبث بعض البرامج في الإذاعة والتلفاز مثل المحاضرات والدروس يلقيها بعض علماء أهل السنة من المحليين وخريجي جامعات السعودية.

أوجه تشبه مسلمي نيجيريا بالكفار:

إن الحديث عن أوجه تشبه بعض مسلمي نيجيريا بأعداء الدين من النصارى والوثنيين حديث ذو شجون, ورغم أن الذي يعنيني في هذا المقام هو الحديث عن

الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا بسبب تقليد الكافرين والتشبه بهم إلا أنني سأتطرق- ولو بشيء من الإشارة- إلى جوانب أخرى مشهورة ومهمة في نفس الوقت, فأقول مستعينا بالله:

1- ادعاء المعجزات:

إن من الأمور التي تشبه فيها المسلمون بالكفار مما هو من صميم الدين أن بعضهم لما رأى ما ذاع وانتشر بين النصارى من ادعاء المعجزات أحدث مثل ذلك في الإسلام بحجة أنه سيكون مانعا لضعفاء الإيمان من المسلمين الذين يذهبون إلى قسيس النصارى ليعمل لهم المعجزة حتى تقضى حاجاتهم من شفاء المريض أو رفع الفاقة أو تحصيل الوظيفة أو غير ذلك. وقد صار من الطرق الملتوية التي يسلكها النصارى للدعوة إلى باطلهم أنهم يعلنون عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أن إلههم المسيح عيسى عليه السلام يعمل المعجزات, وعلى كل من عنده مشكلة أيا كانت أن يأتي ليقابل المسيح فستحل مشكلته. وهكذا أخذ السحرة والمشعوذون المسلمون يسلكون نفس الطريق مبررين مواقفهم بالسعي لإيجاد حلول للمشاكل التي يواجه المسلمين لكي لا يتجه الضعفاء منهم صوب الكنائس, وهم كذابون فيما يقولون, إنما هدفهم الحقيقي جمع المال من هؤلاء البسطاء بتقديم الحلقة والخيط وغيرهما لهم. والفئة التي تقوم بهذا العمل الشنيع هم أدعياء العلم من طلبة الدراسات الإسلامية, دعاهم إلى ذلك الخضوع لشهوات النفس والهوى والشيطان, كما يوجد معهم في هذا المجال بعض الوثنيين الذين دخلوا في الإسلام بألسنتهم ولم يصل إلى قلوبهم.

2- تحديد بعض الليالي في غير رمضان يجتمعون فيها لصلاة التهجد أو قيام الليل:

ومن الأمور التي تشبه فيها المسلمون بالكفار مما يتعلق بالعبادة ما أحدثه بعضهم من الاجتماع للتهجد أو قيام الليل, وهو أيضا نتيجة ما لاحظه هؤلاء المتشبهون من النصارى حيث إن النصارى كانوا يحددون يومين أو ثلاثة من

أيام الأسبوع يجتمعون في لياليها, تبدأ عباداتهم غالبا من غروب الشمس ويواصلون إلى قبيل طلوع الفجر, يغنون ويرقصون ويصدرون أصواتا مزعجة عند مناداة ربهم. فقلد هؤلاء الجهال النصارى فجعلوا صلاة الليل التي هي أفضل الصلاة بعد المفروضة مثل الأباطيل التي يزاولها النصارى الضالين في كنائسهم. والذين عرفوا بإحداث هذه البدع الشنيعة هم بعض الجمعيات الإسلامية المنبثقة عن الصوفية أو المتأثرة بها مثل جماعة نصر الله الفاتح, وجماعة فتح الله قريب ونحوهما, وقد كان الهدف الأساسي وراء إنشاء هذه الجمعيات وأمثالها الاجتماع للدعاء لحل مشكلات الأعضاء؛ ولذلك كانت حجتهم في إحداث صلاة الليل بصورة جماعية مرة أو أكثر في الشهر في مقر الجمعية يشارك فيها الأعضاء, كانت حجتهم في إحداثها أنها فرصة للتضرع إلى الله كي تقضى حوائج أعضاء الجمعية. ومما يلاحظ على هذه الجمعيات وأمثالها عدم وجود برنامج يهدف إلى تعليم العقيدة الصحيحة لأعضائها وتربيتهم على المنهج الإسلامي في الحياة.

3- إحداث ما يسمى بالغناء الإسلامي:

من آثار تشبه مسلمي نيجيريا بالكفار أيضا إحداث ما يسمى بالغناء الإسلامي, ولعله هو أقدم مظاهر التشبه الثلاثة المذكورة في هذا المبحث؛ إذ قد ظهر منذ الستينات الميلادية. وأما شبهات الذين ابتدعوه فهي نفس شبهات الذين أحدثوا المظاهر المتقدمة أنهم يحاولون منع أبناء المسلمين من اعتناق الديانة النصرانية, حيث يقدمون لهم في الإسلام ما يشتاقون إليه ويجذبهم إلى دين النصارى وهو الغناء, كما ذكر هؤلاء المتشبهون أنهم يستخدمون هذا الغناء الذي أحدثوه في الدفاع عن الإسلام ورفع رايته, وقد انتشر هذا المظهر انتشارا كبيرا بين الشباب أول بدايته حتى صار لكل جمعية إسلامية فريق الغناء الإسلامي الخاص بها وكانت لجمعية الطلبة المسلمين نصيب من هذا الشيء رغم قرب منهجها من منهج أهل السنة آنذاك. وقد حصل التغيير بفضل الله ثم بفضل جهود المملكة العربية السعودية في قبول أبناء المسلمين من أنحاء العالم لينهلوا

العلم الشرعي من منبعه الصافي ثم يعودوا إلى بلدانهم للدعوة إلى الله, حيث شرعت تلك الفئة التي رجعت من السعودية في تعليم الناس الخير وتبيين الأمور المبتدعة التي يعتبرها الناس من السنن. وهكذا بدأت الظاهرة تختفي ولم يبق عليها اليوم إلا أهل الأهواء الذين اتخذوه مصادر للرزق يسجلون أشرطة الغناء الإسلامي ويصدرونها من حين لآخر.

هذا شيء من صور تشبه بعض مسلمي نيجيريا بالكفار وقد ضربت صفحا عن ذكر الكثير منها خوفا من الإطالة, ولا شك أن الإسلام ديننا الحنيف لا يقر تلك الضلالات التي تصرف أتباعه عن النافع إلى الضار, وعن الجد إلى اللهو والهزل. والذي يقرره الإسلام أن الخير كل الخير في اتباع النبي- صلى الله عليه وسلم- والشر كل الشر في تشريع ما لم يشرعه, والتقول عليه بما لم يقله. فدعوى المعجزة لغير الأنبياء, واجتماع أناس كثيرين لصلاة الليل في غير شهر رمضان, وما يسمى بالغناء الإسلامي كلها أباطيل وضلالات لم تعرف عن سلف هذه الأمة, ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وتجدر الإشارة إلى أن ما سبق ذكره من صور تشبه بعض مسلمي نيجيريا بالكفار يحصل في جنوب البلاد وشرقها دون شمالها؛ إذ كانت نسبة الكفار ضئيلة من سكان المنطقة الشمالية.

أنواع الانحرافات التي يسببها التشبه بالكفار لدى مسلمي نيجيريا:

وأما أنواع الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية التي يسببها التشبه بالكفار لدى مسلمي نيجيريا فمنها: الغلو في الأنبياء والصالحين, وإحداث الأعياد والاحتفال بالموالد, وإقامة الأضرحة والتبرك بها, والتبرك بذوات الأشخاص وآثارهم, والتوسل بجاه النبي- صلى الله عليه وسلم- وغيره من الأنبياء, والحلف بغير الله, والتلفظ بأقوال شركية منتشرة في المجتمع, وغير ذلك.

المبحث الرابع
التأثر بالوثنية والجاهلية

المراد بالوثنية والجاهلية:

الوثنية: عبادة الأوثان, جمع وثن, والوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله, لا فرق في ذلك بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين[1].

وقيل: الوَثَن كلُّ ما لَه جُثَّة مَعْمولة من جَواهِر الأرض أو من الخَشَب والحِجارة كصُورة الآدَميّ تُعْمَل وتُنْصَب فتُعْبَد.

أما الصَّنَم فهو الصُّورة بِلا جُثَّة. ومنهم من لم يَفْرُق بين الوثن والصنم وأطلَقَهما على المَعْنَيين[2].

المراد بالجاهلية:

الجاهلية هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجَهْل بالله ورسله, وشرائع الدِّين, والمفاخَرة بالأنساب, والكِبْرِ والتجبر, وغير ذلك[3], نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم, أو عدم اتباع العلم.

وكل ما خالف الإسلام, وخرج عن حكمه فهي جاهلية, فهي ليست فترة زمنية مختصة بزمن معين محدود, بل هي ظاهرة اجتماعية يمكن أن توجد في كل زمان ومكان.

فإذا قيل: إن ما قبل مبعث الرسول- صلى الله عليه وسلم- يمثل عصر الجاهلية, فمعنى ذلك أنه كانت هناك ظاهرة اجتماعية تغلب على المجتمع البشري آنذاك هي: القبلية في علاقات المجتمع, والأنانية في علاقات الأفراد,

---

1 (1) القول السديد ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص40.

2 (2) النهاية في غريب الأثر 5/328, وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم تأليف الإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي؟؟, تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي, ط/السادسة 1420هـ, دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض.

3 (3) النهاية لابن الأثير 1/853.

وهذه الظاهرة تتكرر في كل زمان لاحق لبعثة النبي- صلى الله عليه وسلم- في كل مجتمع تتوافر فيه صفاتها[1].

أقسام الجاهلية:

الجاهلية نسبة إلى الجهل, وهو عدم العلم, تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الجاهلية العامة: وهي ما كان قبل مبعث الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم, وقد انتهت ببعثته.

القسم الثاني: الجاهلية الخاصة: وهي التي تخص بعض الدول, وبعض البلدان, وبعض الأشخاص, وهذه لا تزال باقية.

ففي بيان هذين القسمين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فالناس قبل مبعث الرسول- صلى الله عليه وسلم- كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل, فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال, إنما أحدثه لهم الجهل, وإنما يفعلونه جاهلية, وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون, من يهودية ونصرانية, فهو جاهلية, وتلك كانت الجاهلية العامة.

فأما بعد بعث الرسول- صلى الله عليه وسلم- فقد تكون في مصر دون مصر, كما هي في دار الكفار, وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه يكون في جاهلية, وإن كان في دار الإسلام, فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد- صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة, والجاهلية المقيدة قد توجد في بعض الأعمال, وفي كثير من الأشخاص المسلمين, كما قال- صلى الله

---

[1] (4) انظر: الجاهلية قديما وحديثا: دراسة في ضوء القرآن والسنة والفكر الإسلامي تأليف أحمد أمين عبد الغفار ص260, شركة الشعاع للنشر- الكويت.

عليه وسلم: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية...)[1], وقال لأبي ذر: (إنك امرؤ فيك جاهلية)[2], ونحو ذلك"[3].

وهذه الجاهلية تكون في العقيدة، والعبادة، وتكون في الأحوال الاجتماعية, وتكون في الأخلاق, وتكون في الآداب, كما وردت في النصوص, قال تعالى: (الأحزاب:33), وقال تعالى: (المائدة:50), وقال تعالى: (الفتح:26), وقوله جل وعلا: (آل عمران:153).

واستنادا إلى ما سبق من النصوص فالجاهلية تعني مجانبة الحق, والجهل بالله وشرائع دينه, واتباع الهوى, والزيغ والضلالة وفساد الرأي, والطيش والسفه, وهي حالة عامة تتنافى وحالة الإسلام روحا ومعنى, ونمط من أنماط السلوك التي تتجافى وسلوك الإسلام الذي جاء ليحارب الانحراف والفساد والإغراق في الماديات, والميل إلى الشهوات, وتعبد المال, وتفشي روح الثأر والعصبية القبلية, والتنافر والاقتتال.

فالجاهلية تعني: الجهل الديني وما يتنافى مع صفات ذي العلم الرشيد أو ما يجافي السلوك الحكيم, كما تعني كل ما كان عليه الجاهليون من مظاهر الشرك والابتعاد عن جادة الدين, وطريق الهدى والرشد[4]. فهي من جهة الزمان انقضت زمانها ببعثة محمد- صلى الله عليه وسلم.

وإنه من الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن الوثنية هي ديانة النيجيريين قبل دخول الإسلام ثم النصرانية, يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري عند كلامه عن الديانات في

---

1 (1) سبق تخريجه ص481.

2 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب ما ينهى من السباب واللعن- ص511 برقم (6050), ومسلم في صحيحه- كتاب الأيمان- باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس..- ص969 برقم (1661) عن أبي ذر.

3 (3) اقتضاء الصراط المستقيم ص78-79.

4 (1) الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام تأليف الدكتور يحيى شامي ص12, دار الفكر العربي- بيروت 1993م.

نيجيريا: "الوثنية بسـائر أنواعها هي الديانة الأولى المعروفة بهـذه البلاد, ورؤسـاء الوثنية هم الكهنـة"[1]. وقـال الـدكتور مصـطفى محمد مسـعد: "لقد كـانت هـذه الإمـارات (أي إمارات الهوسا) على الوثنية حتى القرن الثـامن الهجـري (14 م)، حين وفدت إليها تيـارات إسـلامية من الغـرب على أيــدي فقهــاء مــالي، ومن الشــمال على أيــدي فقهــاء المغرب"[2].

وإذا كــان الأمر كما ســبق أن قلت فــإن المتوقع أن توجد هنــاك بقايا من الوثنية والجاهلية في قلــوب هــؤلاء الناس بعد إسلامهم؛ لأن "المنتقل من الباطل الذي اعتـاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العـادة"[3], ولا تـزول تلك البقية إلا بعد مـدة[4], وهـذا الأمر ليس وليد هـذا العصر بل قد حدث مثله في زمن صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- للذين كانوا حدثاء عهد بكفر.

فعن أبي واقد الليـثي قــال : خرجنا مع رســول الله- صـلى الله عليه وسـلم إلى حـنين, ونحن حـدثاء عهد بكفر, وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطـون بها أسـلحتهم, يقال لها ذات أنواط, فمررنا بالسدرة فقلنـا: يا رسـول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر! إنها السنن! قلتم- والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل, لتركبن سنن من كـان قبلكم)[5]. قـال الشـيخ محمد بن صـالح العـثيمين في شرحه لمسائل الحديث: "قوله: (ونحن حـدثاء عهد بكفـر), فكأنه يقول: ما سألناه إلا لأن عنـدنا بقية من بقايا الجاهلية

---

1 (2) موجز تاريخ نيجيريا ص117.

2 (3) مذكرة بعنوان: انتشار الإسلام في إفريقيا كتبها الدكتور مصطفى محمد مسعد ص25, مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, 1405/1406هـ.

3 (1) تيسير العزيز الحميد ص152.

4 (2) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد 1/213.

5 (3) سبق تخريجه ص254.

... فالإنســان ينبغي أن يبتعد عن مــواطن الكفر والشــرك والفسوق؛ حتى لا يقع في قلبه شيء منها"[6].

فحديثو الإسلام من الصـحابة يحصل لهم هـذا مع أنهم صحابة رسول اللـه- عليه الصـلاة والسـلام- والـذي أدخلهم في الإسلام هو رسول الهـدى ونـبي الرحمـة- صـلوات الله وســلامه عليــه- وهم في زمن النبــوة, فكيف بالــذين بعد زمنهم عن عصر النبـوة كل البعد وليسـوا من الصـحابة, بل دخولهم في الإسـلام ليس بـدعوة الصـحابة ولا التـابعين ولا تابعي التابعين, فليس من ريب أن يتأثر أمثال هؤلاء بالوثنية والجاهلية الـتي كـان عليها آبـاؤهم قبل الإسـلام, وما زالـوا يشــــاهدون من بقي عليها ويزاولها في مجتمعـــــاتهم إلى الوقت الحاضر وخاصة في جنوب البلاد وشرقها.

أســباب تــأثر بعض مســلمي نيجيريا بالوثنية والجاهلية:

1- الجهل:

إن الجهل- كما سبق أن قررت- سبب لكثــير من مصائب الناس في دينيهم, وهو سبيل نافذ للشــيطان الرجيم يستدرج منه العبد حـتى يصل به إلى الغوايـة. فـالكثير من مسـلمي نيجيريا فيهم الجهل بالـدين مما يجعلهم لا يمـــــيزون بين الحق والباطل مما يــــأتون ويذرون, فيشارك بعضهم مثلا في الأعيــاد الوثنية ظنا منهم أنها من العادات والتقاليد التي لا تخـالف الـدين في شــيء, بل يفرحــون ويتفـاخرون بــذلك, كما تجد البعض الآخر ينضم إلى الجمعيــات الســرية الــتي لا يمكن الانضــمام لها إلا بتعهــدات لا تتوافق مع منهج الإســلام ومزاولة طقــوس شــركية مثل الحلف بآلهة المشــركين, يحصل ذلك منهم بحجة الســعي لتحقيق مصالح شخصية وأغراض دنيوية.

2- وسائل الإعلام:

---

[6] (4) القول المفيد على كتاب التوحيد 1/213.

للوسائل الإعلامية في نيجيريا جهود جبارة في إحياء الوثنية الموروثة والجاهلية الممقوتة, وتقديمهما للناس في ثوب جديد, وتشويقهم للعودة إلى ممارستهما. ولا يرتاب عاقل رشيد ممن يشاهدون الأفلام التي تعرض على تلفزيون نيجيريا أو التي تسجل على الأشرطة وتباع داخل البلاد وخارجها أنها عبارة عن برامج مخططة ومدروسة تهدف إلى إحياء الجاهلية الأولى بشكل جديد. ولربما يقدم برنامج معين يظهر في مطلعه كأنه يهدف إلى إيصال رسالة مهمة من تقويم أخلاق فاسدة أو تعديل أفكار معوجة, إلا أنه سرعان ما ينتهي ذلك البرنامج إلى تقرير شيء آخر.

والجدير بالذكر أن هذا الكيد المبرمج ليس وراءه إلا النصارى الضالون الذين يرون أنه مما يساعدهم على إدخال المسلم في باطلهم هو إبعاده عن حقيقة دينه أولا وجعله لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء, يستغلون الجهل الذي يرزح تحته كثير من القبائل النيجيرية لا سيما في جنوب البلاد وشرقها.

3- البيئة المنحرفة التي يعيش فيها المرء:

الإنسان ابن بيئته, فالبيئة لها تأثير قوي على المرء الذي يعيش فيها؛ ولذلك ينبغي للمربي الذي يريد النجاح في تربية ناشئته أن يتخير لهم البيئة الصالحة التي تعزز فيهم التزام أمر الله وتعين عليه، وتنفرهم من مخالفة أمره ولا تروج لباطل أهل الزيغ، لنتأمل معا الإشارة إلى هذا في قوله تعالى: [illegible] (إبراهيم:35)، وأي أمنٍ أعظم من أن يعلو صوت التوحيد فلا يسمع صوت سواه، ولا يضر بعد ذلك أن يكون المكان [illegible] طالما أن كلمة التوحيد ظاهرة وبيئة التربية صافية نقية لا صولة للشيطان فيها ولا جولة.

فالبيئة الصـافية الخالية من مظـاهر الشـرك ومعالمه مطلوبة للمرء المسـلم كي يحافظ على دينه وعقيدتـه, أما العيش في مجتمع متفش فيه معـــالم الزيغ والضـــلالة والفسق والكفر فإنه لن يَســلم من تلك الفتن إلا من أراد الله كرامته وارتضاه للثبات على دينه.

وإني لأذكر أن الوثنيين عباد أرواح الأسـلاف في مدينة (إبادن) تعطيهم حكومة الولاية الإجازة الرسمية لمـدة ثلاثة أيام للاحتفال بأعيادهم مما يجعلهم يثيرون ضجة كبـيرة في المدينة خلال تلك الفترة, فقلما يخرج مسلم من بيته وينجو من مقابلة هؤلاء المشركين في شوارع المدينة بـدون رغبة منه. وهكذا يشاهد المسلم في بيئته النيجيرية أمـورا أخـرى مما يتنافى مع حالة الإسلام عقيـدة وشـريعة, مثل صـاحب سحر تخييل يعرض سحره, أو مشعوذ يتلفظ بكلمات أجنبية ذات معان شركية ويدعو الناس للعلاج عنده, أو غير ذلك.

وما من شك أن المـرء الـذي يتعـرض لهـذه الوثنيـات والجاهليـات دون أن يكـون معه شـيء من العلم الـديني يحصن به نفسه فسرعان ما يستسلم لتلك الضلالات, حـتى يزين في قلبه صـحة كثـير من الأقـوال والأفعـال الشـركية, وهكذا دواليك إلى أن يرتكب أمـورا تقـارب الشـرك أو هي شرك بعينه. والعياذ بالله.

أنـواع الانحرافـات الـتي يسـببها التـأثر بالوثنية والجاهلية لدى مسلمي نيجيريا:

من هـذه الانحرافـات: دعـاء شـياطين الإنس والجن, ودعـاء الأمـوات, والتوسل بـالأموات والحلف بهم, والحلف ببعض آلهة الكفار ورموزها, والذبح لشـياطين الإنس والجن وتقـديم القربـان لهم, والرقية بكلمـات أجنبية ذات معـان شـركية, والعلاج باسـتخدام الحيوانـات الميتة ومحرمـات أخرى, والمشاركة في الأعياد الوثنية واعتبارها من العادات والتقاليد, وصرف العبادات القلبية لغير الله, وغير ذلك.

المبحث الخامس
اتباع الهوى

تعريف الهوى لغة واصطلاحا:

الهوى لغة: من هوي, قال ابن فارس: "الهاء والـواو والياء أصل صحيح يـدل على خلو وسـقوط. والهـوى: هـوى النفس, فمن المعنيين جميعا؛ لأنه خال من كل خير, ويهوي بصاحبه في ما لا ينبغي"[1].

وفي المصباح المنير: "الهوى: مقصور, مصـدر هَوَيتُـه: إذا أحببته وعلقت بـه, ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء, ثم استعمل في ميل مذموم فيقال: اتبع هواه, وهو من أهل الأهواء"[2].

---

[1] (1) انظر: معجم مقاييس اللغة ص1017- 1018 مادة (هوي).

[2] (2) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ص528 مادة (هوي).

واصـــطلاحا: هو ميلان النفس إلى ما تســـتلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[3].

واتباع الهوى هو الانحــراف عن الحق إلى الباطل لزيغ في القلب وفســـاد في العقـــل, وهو طريق كل حائد عن الصراط المستقيم من الضالين, كما أن اتباع الحق والهدى سبيل المؤمنين.

أسباب اتباع الهوى لدى مسلمي نيجيريا:

هناك أسباب عدة لاتبـاع الهـوى لـدى مسـلمي نيجيريا أذكر أهمها, وهي:

1- الجهل:

الجهل عامل قــوي يجعل الإنســان يتبع هــواه وكل ما تميل إليه نفســـه؛ ذلك أن الشـــيطان لم يجد طريقا إلى قلوب العباد مثل الجهل الذي وجده أبوابا مشـرعة إليهـا, لا يتحصن منه شيء فيها, فإذا وجد الشيطان العبد جاهلا فإنه يزين له البدع والخرافات ويحسنها حـتى تجـري في عروقه وتقر في ســويداء قلبــه, والعبد المســكين ليس عنــده علم يبصــره بــالحق وينــير له طريق الهــدى أو يجعله يفكر في العواقب.

ولا يزال اتبـاع الهـوى يحجب الحق عن عـدد كبـير من طوائف المسلمين في نيجيريا بسـبب جهلهم في دين اللــه, فإن الشيطان الـرجيم كـان من كيـده الاقـتراب من العـالم ليختــبر مــدى بصـيرته في دين اللــه, وإذا كـان هــذا يحصل للعــالم فــيرد كيد الشــيطان بــإذن ربه فبمــاذا يــرد الجاهل كيــده؟ وهــذا مما يــدل على أهمية الفقه في الــدين وخاصة للداعية, [illegible] (يوسف:108).

فالجهل هو العامل الــــرئيس الــــذي يجعل رؤســــاء جمعيات الصلاة على النبي- صـلى الله عليه وسـلم- بشـتى أنواعها يتبعون أهواءهم بغـير هـدى من اللــه, وكـذلك بعض الجماعــات الإســلامية الــتي اتخــذت ما يســمى بالغنــاء الإسلامي رمزا لها, فإن لرؤساء هذه الجماعـات والقـائمين عليها شهوات ومطامع تستلذها نفوسهم ويسـعون لتحقيقها

---

[3] (3) كتاب التعريفات ص257.

منهـا: جعل الإسـلام في بعض جـوانب نظامه دينا يـواكب العصـر, وربط الإنسـان بربه أكـثر ليكـون مجـاب الـدعوة- حسب زعمهم- بإحـداث أدعية مختلفة وقيـام الليل بصـورة جماعية, إيجاد فسحة في الـدين بالغنـاء والاحتفـال لتثـبيت ضعفاء الإيمان من المسلمين على الدين, يحدثون كل هـذه الأمور ظنا منهم أنهم يحسنون صنعا, ويقصدون الخير, فكم من مريد لخير لا يصيبه؟

هذا ما يريدون فلما أدرك إبليس أنهم على هـذا القـدر الكبـير من الجهل دخل عليهم منه فـزين لهم أعمـالهم ذاك وحسنها فاتبعوا أهواءهم.

إن الشـريعة قد حـدت من تحكيم الهـوى, وضـبطت الأمـور بالنصـوص الثابتـة, فحـرمت البـدع في الـدين؛ لأنها تقـول على الله ورسـوله- صـلى الله عليه وسـلم. فكل ما خالف شرع الله وحكمه ودينه فهو هـوى وليس بهـدى, وإن أدنى انحـراف عن الصـراط المسـتقيم يـؤدي بصـاحبه إلى الضلال.

2- ضعف الإيمان:

إنه ما من إنســان إلا ونفسه تميل إلى الشـهوات والملذات ويسـعى لتحقيق تلك الأغـراض لنفسـه؛ لأنها مما طبع عليه [illegible] (آل عمـران:14), أما الميل المفرط وهو الذي يزيد على جلب المصـالح له ودفع المضـــار عنه فهو المــذموم[1], وهو بمثابة فتنة إذا اتبعه الإنسـان في دينـه, إلا أن أهل الإيمـان يـدفعون هـذه الفتن عن أنفسـهم بقـوة الإيمـان واليقين. فالإيمـان القـوي يعين المرء على قبول الحق ويجنبه اتبـاع الهـوى, قـال تعـالى: [illegible] (النور:51), وقال جل وعلا: [illegible] (الأحزاب:36).

أما ضـعيف الإيمــان فسـرعان ما يتبع هــواه ويحقق رغباته ومطامع نفسه بلا قيود ولا حدود.

---

1 (1) انظر: ذم الهوى للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي ص12, تحقيق مصطفى عبد الواحد.

فتجد أن طلبة الدراسـات الإسـلامية الـذين يشـتغلون في السـحر والشـعوذة بعد معـرفتهم لحكمهما إنما يتبعـون أهــواءهم والــذي أوقعهم في اتبــاع الهــوى - إضــافة إلى أسباب أخرى- ضعف الإيمان, إذن فـإن الإيمـان بالله يجنب المـرء من اتبـاع الهـوى؛ لأن مبـنى العبودية والإيمـان بالله وكتبه ورسـله على التسـليم وعـدم الأسـئلة عن تفاصـيل الحكمة في الأوامر والنـــواهي والشـــرائع[1], فيجب على المــؤمن الحق اتبــاع شــريعة الله في أي أمر من الأمــور سواء وافق هواه أم خالفه.

3- حب الدنيا والرغبة في تحصيل الملذات:

إن الأمة عنـدما تصـبح الشـهوات فيها هي المتحكمـة، وتجعل هدفاً رئيسـاً لها تحقيق الرفـاه المـادي، بـأي شـكل تحقق هذا الرفاه؛ تكون قد دخلت طور الانهيار والاضمحلال من بابه الواسـع. قد تعيش سـنوات- تطـول أو تقصـر- في ظل هــذا العبث، وقد يزدهر اقتصــادها ويتضــخم إنتاجهــا، ويخـدعها كل ذلك عن النهاية المحتومة الـتي ستصـير إليها يوماً ما، ولكن ريحها ستذهب، ودولتها ستدول لا محالة، بل إن الأمة الـتي تفشو فيها مثل هـذه المفـاهيم تصـبح ألعوبة لفئة قليلة تميل بها ذات اليمين وذات الشمال.

ولقد رأيت مثـالا حيا لسـيطرة الشـهوات على عقـول الناس حتى أصـبحوا آلة في يد إبليس يلعب بهم كما يشـاء, وذلك في بعض فئــات المســلمين في نيجيريا وعلى رأس هذه الفئات الصوفية الـذين صـاروا يتمسـكون بعكس منهج سـابقيهم, فقد كـان سـبب ظهـور الصـوفية أول ظهورها التشــدد في العبــادة والزهد في الــدنيا, إلا أن المتــأخرين منهم في هــذا العصر أقــدموا بكل ما أعطــوا من القــوة والإمكانات على طلب الـدنيا وملـذاتها والتهـاون بالتكـاليف الشرعية, فتجد مشايخهم يؤكدون لأتباعهم ومريديهم بأنهم يملكــون النفع والضر من دون اللــه؛ ليضــمنوا لأنفســهم مصادر الرزق عند هؤلاء السذج, ولا يبقى للأتباع والمريدين إلا أن يتــبركوا بمشــايخهم ويتوســلوا بهم, بل ويخــافوهم

[1] (1) شرح العقيدة الطحاوية تأليف ابن أبي العز ص294.

ويرجوهم من دون الله, ويصرفون لهم غـير ذلك من أنــواع العبادة.

ومن الفئات التي يدفعها حب الـدنيا إلى اتبـاع الأهـواء والشهوات بعض طلبة الدراسات الإسلامية, ولعدم اعتراف حكومة البلد بشــهادات المــدارس العربية والإســلامية مما يمنع حامليها من الحصــول على الوظيفة لــدى الحكومــة, ونتيجة ذلك أن البعض منهم يســلك طريق الضـلال لتحقيق وجوده في المجتمـع, فيتخذ السـحر والشـعوذة سـبيلا ينـال منه دخله اليومي لرعاية شؤونه وشؤون عياله. ومعلــوم أن أمثال هؤلاء لم يقدموا على هـذه الضـلالة بجهل منهم وإنما دفعهم إليها حب الـدنيا والرغبة في تحقيق الملـذات, وخـير شاهد على ذلك أن البعض منهم يقول لزملائه الذين ليســوا معه في طريق الغي: إن الله قد أنشأ لكم ســـــوقا رائجة (يقصد بــذلك كــونهم درســوا العلــوم الدينيــة) وما لكم لا تكسبون منها؟

إن المجتمع ليشهد أن هـذه الفئـات وغيرها من أمثالها ممن دفعهم حب الــــدنيا إلى ما هم فيه ليقـــــترفون من المعاصي ما الله به عليم, بل يصل بعضـها إلى حد الشــرك باللـه, ولا غرابة فـإن طاعة الهـوى وسـيلة للشـرك الأكـبر؛ ولـذا قـال أحد السـلف: إنه ما من معصـية يعصي بها العبد ربه إلا وســببها طاعة الشــيطان أو طاعة الهــوى, فغــالب الكبــائر نابعة من حب الــدنيا: فالســرقة، والزنا والحســد، والكــذب، والكــبر، والريـــاء, وغيرها من أجل حب الـــدنيا والتكالب عليها.

والحاصل أن ما تقع فيه هـذه الفئـات من الانحرافـات كان بسبب اتباع الهوى الـذي جـرهم إليه حب الـدنيا وإيثـار الملـــذات, ورأس ذلك كله ضــعف الــوازع الــديني. فعلى المسلم أن يسـأل ربه السـلامة من الهـوى, وأن يهديه إلى الحق وإن خالف هواه.

4- اغترار أهل الأهواء بكثرة المـوافقين لهم على منهجهم الباطل:

بالإضـافة إلى أسـباب أخـرى توقع الإنسـان في اتبـاع الهوى فإن هذا السبب يعتبر من أقـوى العوامل المسـاعدة لصاحب هوى ليتمادى في اتباع هواه.

لقد تنوعت طوائف المبتدعة أهل الأهواء بين مسـلمي نيجيريا وكثر أتباعهم, بينما نرى أتبـاع المنهج الصـحيح منهج أهل السـنة والجماعة وكـأنهم غربـاء, مما يـذكّر المسـلم بحديث المصطفى الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- الذي قال فيـه: (يـأتي على النـاس زمـان الصـابر فيهم على دينه كالقـابض على الجمر)[1], وكـأن هـذا الزمـان قد أتى لما يشـاهد في مجتمعنا النيجـيري, فأهل الباطل يفرحـون بما هم عليه و ويمرحـون لكـثرة المـوافقين لهم على بـاطلهم, ولا يخـافون من إظهـاره مهما تمكنـوا إلى ذلك سـبيلا, أما أهل الحق فإنهم مع قلة عددهم فكأنهم أتوا بدين جديد, إذا حاولوا إظهار المنهج الرباني العظيم وتطبيق الهدي النبـوي القويم فسرعان ما يتهموا بأنهم متشددون, وأن ديننا يسـر. وهم يقولون هذا القول لكنه كلمة حق أريد بها الباطل.

إن العبرة في معرفة الحق في الـدين ليست بالقلة أو الكثرة, وإنما هي بما دل عليه الكتاب والسنة ومنهج سـلف الأمـة, فمـتى ما وافق المـرء ما دلت عليه تلك الأدلة فهو على الحـق, ولا يضـره عند ذلك قلة السـالكين وكـثرة المخالفين.

ولما صـارت الكـثرة في نظر كثـير من النـاس هي المحكم في الضلالة والهدى, والخطأ والصواب, صارت هي الفارق عندهم بين الأمرين, وصاروا يركنون في تأييد ما هم عليه من مخالفات بالكثرة التي هم عليها[2].

5- الخلل في مصادر التلقي:

وذلك حين يكـون صـدور المـرء عن غـير كتـاب الله تعالى ولا سنة نبيه- صـلى الله عليه وسـلم- فإنه لن يخـرج إلا بالآراء الفاسدة والأهواء المضلة.

---

1 (1) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الفتن- باب الصابر على دينه في الفتن كالقابض على الجمر- ص1879 برقم (2260) عن أنس بن مالك, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (13962).

2 (2) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص23.

وإن الأمــان من الضــلالة- بــإذن الله تعــالى- هو في التمسك الحق بالمصـــادر المتينة الـــتي لا يعتريها نقص ولا نسيان, وهي كتاب الله تعـالى وسـنة نبيـه- صـلى الله عليه وسلم, قال تعالى: [illegible] (طه:123-124), وقال النبي- صلى الله عليه وســـلم: (وقد تـــركت فيكم ما لن تضـــلوا بعـــده إن اعتصمتم به كتاب الله)[1].

ولما ظهر في الأمة طوائف ارتضت لأنفســها مصــادر في التلقي قدمتها على كتاب الله تعالى وسـنة نبيـه- صـلى الله عليه وسـلم- ظهر الافـتراق في الأمـة, وتنـوعت سـبل البدعة فيها واتسعت.

والخلل في مصـادر التلقي مـرض قـديم في أجسـام الكثـير من مسـلمي نيجيريا قـدم دخـول الإسـلام في البلاد مما يـؤدي بهم إلى اتبـاع الأهـواء؛ وذلك أن الإسـلام حينما انتشر إلى نيجيريا وما حولها لم ينتشر عن طريق علمـــــاء أهل السنة الخلص بل كـان ذلك الانتشـار عن طريق أنـاس قد تأثروا بمعتقـدات الصـوفية والأشـاعرة ممن وفـدوا إلى المنطقة من المغـرب العـربي ودولة مصر[2]. وما من شك أن تلكما الفرقـتين عنـدهما خلل في مصـادر التلقي ومنهج الاســـتدلال مما أدى بهم إلى اتبـــاع الهـــوى فكـــثر فيهم الانحراف عن الصـراط المسـتقيم, قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله: "وأصل ضـلال من ضل هو بتقـديم قياسه على النص المنزل من عند الله, واختياره الهوى على اتبـاع أمر الله"[3].

وعلى ذلك الأصل بـــنى الكثـــير من مســـلمي نيجيريا منهجهم, حتى الشـيخ عثمـان بن فـودي الـذي جاهد وأقـام

---

1 (1) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم- ص880 برقم (1218) عن جابر بن عبد الله.

2 (2) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص39-41, ومذكرة انتشار الإسلام في إفريقيا ص5.

3 (3) مجموع الفتاوى 10/169.

دولة إسـلامية حكمت الشـريعة الإسـلامية في المنطقة قد تقرر أنه كان قادري الطريقة في أصله[1].

فالخلل في مصـادر التلقي من العوامل المؤدية ببعض علمـاء نيجيريا إلى اتبـاع الهـوى, وخـير مثـال على ذلك ما ذكـره الشـيخ آدم عبد الله الألـوري رحمه الله بعد إيـراده لقصة أصحاب الغار في مسـألة التوسل حيث قـال: "... ثم إن في نفسي من قصة أصحاب الغار أشياء كثـيرة", فـذكر أمـــورا تنـــبئ عن اســـتغرابه لوقـــوع القصة كما ورد في الحـديث, كما تنـبئ عن اعتراضه على مشـروعية التوسل بالأعمال الصالحة[2].

فكيف يكون في نفس العبد المؤمن شـيء تجـاه خـبر ثبت في كتـاب تلقته الأمة جمعـاء بـالقبول؟ وكيف يعـترض المؤمن على مشروعية أمر لم يسق الدليل الذي سيق فيه إلا لإثباته؟ مع أن هنـاك أدلة أخـرى صـريحة في كتـاب الله على مشروعية هذا الأمر.

وإنه لأمر معلـوم لـدى كل ذي عقل سـليم أنه إذا صح الخبر عن الله أو عن رسوله- صلى الله عليه وسلم- فليس للعقل مجال للأخذ أو الرد, بل يجب الإذعان والتسليم حتى وإن لم تدرك العقول كنه تلك الأمور؛ لأن العقول أعجز من أن تحيط بكل شيء, فـرحم الله امـرء عـرف قـدر نفسـه, قال تعالى: [illegible] (النور:51), وقال تعالى: [illegible] (الأحزاب:36).

وهناك مسـائل أخـرى مثل الاسـتغاثة بالأوليـاء الأحيـاء والأمـوات, والأذكـار المبتدعة[3], وغـير ذلك من المسـائل الـتي ظهر فيها جليا تخبط الشـيخ, مما يـدل دلالة واضـحة على أن السبب في ذلك كله الخلل في مصـادر التلقي, ولا غرابة فقد ذكر الشـــيخ بعض من أخذ منهم العلم قـــائلا:

---

1 (4) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص99, 101.

2 (1) انظر: توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا ص95.

3 (2) انظر: المرجع السابق ص76-79, 101-103.

"وكنت لا أنــازع العلمــاء الأفارقة المــالكيين, والأشــاعرة, والصوفية القادريين والتجـانيين, الـذين أخـذت منهم التربية الإسلامية والعلوم العربية منذ البداية"[1].

الانحرافات التي يسببها اتباع الهوى لدى مسلمي نيجيريا:

إن إتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه ورد القــول والفعل الذي يبغضه بلا هــدى من الله[2], والهوى يصد عن معرفة الحق, وهو مرض في القلب يمنعه ما فطر عليه من صــحة الإدراك والحركة, فأصل الشر من تقديم الرأي على النص والهـوى على الشــرع[3], وقد ألحق هذا الداء العضال أضرارا كبيرة بأناس كثيرين من مســلمي نيجيريا حيث أوقعهم في انحرافـــات عـــدة, ومن هـــذه الانحرافات الـتي يسـببه اتبـاع الهـوى: التوسل بحق النـبي- صــلى الله عليه وســلم- وغـيره من الأنبيــاء عليهم الصــلاة والســلام, والتوسل بالأوليــاء والصــالحين, والــذبح وتقــديم القربان لشياطين الإنس والجن, والتبرك بــالقبور, والتــبرك بذوات الأوليــاء والصــالحين وآثــارهم, والرقية بآيــات قرآنية بطـرق غـير مشـروعة, والرقية بكلمـات أجنبية ذات معـان شركية, والعلاج بالسحر والشعوذة وأشـياء أخـرى محرمـة, والركــوع والســجود لغــير الله بــدعوى التحية والاحــترام, والاحتفال بالمولد النبوي ومواليد المشايخ, وغير ذلك كثير.

---

[1] (3) المرجع السابق ص6.

[2] (4) مجموع الفتاوى 4/189.

[3] (1) منهاج السنة النبوية 8/411.

المبحث السادس

تلبيس أهل الأهواء

معنى التلبيس لغة واصطلاحا:

التلبيس لغة: من الفعل لَبِسَ, ويدل في أصله على المخالطة والمداخلة, واللَّبس: اختلاط الأمر. واللِّباس من الملابسة أي الاختلاط والاجتماع, ولَبَسَ عليه الأمر: خَلَطَ, وبابه ضرب, ومنه قوله تعالى: [illegible] (الأنعام:9). واللُّبسَة: الشبهة, يقال: في حديثه لُبسة بالضم أي شُبهة, يعني ليس بواضح. والتلبيس: التخليط والتدليس[1].

واصطلاحا: هو إظهار الباطل في صورة الحق[2].

ومن التلبيس خلط الحق بالباطل قولا أو فعلا[3], كما قال تعالى: [illegible] (البقرة:42).

إن الصراع بين الحق والباطل قد بدأ من قديم الزمان وهو ماض إلى قيام الساعة, ولقد بدأ منذ أن خلق الله آدم وأسكنه الجنة, وأمر الملائكة بالسجود له وكان من ضمنهم إبليس عليه لعنة الله, فالكل سجد إلا إبليس استكبر وعاند فكان من الكافرين.

فلما أصبح إبليس مطرودا عن رحمة الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون له أتباع, فبدأ يحاول جاهدا أن يبعد بني آدم عن سبيل الهدى والصراط المستقيم, فتراه جاهدا

---

[1] (1) انظر: معجم مقاييس اللغة ص912, وتاج العروس ص4119-4120, ومختار الصحاح ص612, والمصباح المنير ص447 مادة (لبس).

[2] (2) تلبيس إبليس ص50.

[3] (3) انظر: تفسير الطبري, وتفسير القرطبي, وتفسير ابن كثير, وفتح القدير في تفسير الآية (42) من سورة البقرة.

كل الجهد في كل وقت وحين, وكل زمـان ومكـان, يحـاول أن يبعد عباد الله عن المنهج القويم.

وقد حذر الله الناس جميعا من اتباع هذا الملعـون لأنه لا يريد لهم إلا الذلة والمهانـة, قـال تعـالى: (فـاطر:6), وقـال تعـالى: (البقرة:168, 169).

ذلك هو التحذير من البـاري جل وعلا لعبـاده من اتبـاع الشـيطان, أما عبـاد الله المخلصـين فقد ائتمـروا أمر ربهم واجتنبوا سبيل الشـيطان وجنـوده, وأما الـذين سـبق عليهم القـول أنهم سيَضِـلُون فقد أعرضـوا عن أمر الله عز وجل وتـابعوا أمر الشـيطان وأصـبحوا من جنـوده يعملـون له ما يشاء.

ومن طرق الشيطان في دعـوة حزبه إلى سـبيل الغي والـردى إظهـار الباطل لهم في صـورة الحق فيتـدرج بهم حتى يجعلهم من حزبه, وهكذا يلبّس الشيطان الرجيم على عبـاد الله أمـور دينهم, فيلبس على العلمـاء علمهم, وعلى العباد, والزهاد, وعوام الناس[1].

وممن نجح الشـيطان اللعين في التلـبيس عليهم أهل الأهواء والبدع, ولو لم يكن الشـيطان قد نجح في التلـبيس عليهم ما تمسـكوا في كلامهم بمحض التقليـد, ومحض الهوى والتخـرص والظنـون, وما اختلفـوا وأعرضـوا وتركـوا كتاب الله تعالى وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم. وبعد أن استجاب هؤلاء لدعوة الشيطان في تلبيسه عليهم أخذوا يطبقون ذلك على غيرهم فيلبسـون على النـاس في أمـور دينهم.

وتلـبيس أهل الأهـواء أمر خطـير على دين المـرء؛ لأن صـاحب الهـوى يعميه هـواه ويصـمه, فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبـه, ولا يرضى لرضا الله ورسـوله ولا يغضب لغضب الله ورسـوله, بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهـواه ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهـواه, يقـول

---

[1] (1) تلبيس إبليس لابن الجوزي.

الزمخشـري في تفسـير قوله تعـالى: [illegible] (الفرقان:43): "من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي إلى برهان, فهو عابد هواه وجاعله آلهة"[1].

وكما أنه يتبع الهوى فيما يأتي ويذر وكـذلك يحـاول أن يجعل غيره يتبع ما تهواه نفسه, فمثله كمثل فرعـون حينما قال لقومه: [illegible] (غافر:29), يسمي الغي رشدا والضلال هدى, ولا تأثير لتلك التسمية فإن الأسماء لا تغير من الحقائق شيئا.

والحاصل أن صاحب الهوى كما أنه لا يقيم للسـنة وزنا ولا يرفع بها رأسا ولا يعبأ بها وكذلك حينما يلبس على غيره فإنه يجعله يسلك نفس الطريق, فيوقعه بذلك إلى أصـناف من المعاصي وضـروب من الـذنوب بل قد يصل في بعض الحالات إلى الوقوع في الشرك الأكبر.

طرق تلبيس أهل الأهواء في نيجيريا:

هـذا, والـذين يلبسـون على النـاس أمـور دينهم في نيجيريا قسمان:

القسم الأول: علماء السوء وأدعياء العلم

القسم الثاني: مشايخ الصوفية

وبنـاء على هـذا التقسـيم فتلـبيس أهل الأهـواء على الناس في نيجيريا يكون إذن بطريقتين:

الطريقة الأولى: تلبيس علماء السوء وأدعيـاء العلم على عامة الناس:

يدور هذا النوع من التلبيس حول ضـرورة وجـود زعيم روحي لكل من ليس له نصيب وافر من العلوم الدينية ومن باب أولى من ليس له أدنى نصيب, وقد أكد هؤلاء الكذّابون على هذا الأمر حتى يكاد يصبح جـزءا من عقائد المسـلمين بل هو جزء من معتقدات العوام, وقد أقدم هؤلاء على هـذا الفعل الشـنيع حرصا على ضـمان الأرزاق لأنفسـهم عند

---

[1] (2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي 3/287, تحقيق عبد الرزاق المهدي, دار إحياء التراث العربي- بيروت.

الجهــال البســطاء. وهــؤلاء الكــذابون هم في حقيقة الأمر علماء السوء لأنهم يتعمدون كتمان ما عنـدهم من العلم؛ إذ المصـــلحة لهم في عـــدم معرفة النـــاس حقيقة الـــدين الإسـلامي, بل كيف يجـدون من يجعلهم زعمـاء روحـانيين يســرع إليهم ليطلبــوا الخــير له من الله عند الحاجة ويلجأ إليهم ليدعو الله له عند تفـريج الكربـة. فما من شك أنه إذا أدرك كل فرد من أفراد المسلمين أنه لا وسـاطة بين العبد وربه في الـــدين الحـــنيف لا يبقى أحد يُهَـــروِل إلى هـــؤلاء ليساعدوه على قضاء حاجته.

تلك هي الحيلة الــتي فعلها هــؤلاء الكــذابون لإبقـــاء الجهـال على جهـالتهم من حين أنهم أظهـروا أنفسـهم في صـور العلمـاء الربـانيين الـذين إذا دعـوا الله اسـتجاب لهم دون تـوان, بل يتكلم أحـدهم أحيانا كـأن هنـاك ميثاقا بينه وبين الله على أن يجيبه كلما دعا أو له حق على الله أن يعطيه سؤله كلما طلب.

أما طـــــرقهم في تحقيق أغراضـــــهم الخبيثة ونيل مصـالحهم الذاتية فهي متعـددة: فمنهم من يعمل السـحر, ويأكل أموال الناس بالباطل, وقد يفتح لنفسه محلا يخصص فيه مكانا للمكتب ويتخذ فيه الســـكرتير يقطع التـــذاكر بالمقابل لكل من يريد مقابلة الـدجال الخـداع, ويقـول: إنه يعـالج النـاس, وكل من أتـاه يقـدم له الخيـوط والعقد أو يعطيه أنواعا من العقـــاقير المصـــنوعة غالبا من الأشـــياء المحرمــة, ويقــول: هــذا تــدهن بــه, وهــذا تشــربه, وهــذا تستنشقه, هكذا يدعي القيام بالعلاج رحمة بالنـاس وإنقـاذا لهم مما ألم بهم من الأمـــــراض لكنه في حقيقة الأمر هو ساحر كذاب.

ومنهم من يعمل الشعوذة باستخدام الحيوانــات الميتة أو تحضـــير الجن ويظهر طاعة الجن له على ســـبيل الجد والحقيقة, ويخدمه الجن بعد أن قد أجابهم إلا ما طلبوا منه, ولا يطلبون من بني آدم إلا الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

ومنهم من يتكلم بالأحوال الشـيطانية, ويتلفظ بألفـاظ لا يتلفظ بها إلا الوثنيون, ومع ذلك يدعي الخشوع ومخاطبة ما يسمى برجال الغيب, وأن له الخوارق التي تقتضي كونه

من أولياء الله الخلص, وفي هؤلاء من يساعد النصـارى في تكثير رواد الكنائس, بل يعينون المشركين على المسلمين, إلى أمثال ذلك من الأمور الـتي يضـلهم بها الشـيطان حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشـرع إما محـرم أو كفـر, وقد زين لهم الشيطان أن أعمـالهم هـذه من كرامـات الأوليـاء, وهي في الحقيقة من تلـبيس الشـيطان, وهم فعلا إخـوان الشياطين.

هذا الـذي ذكرته من الأعمـال الشـنيعة هو ما يقـوم به هؤلاء الدجالون النّصّـابون الخـدّاعون بـدعوى إما مسـاعدة النـاس على طلب الخـير مثل الحصـول على الوظيفة أو الزيـادة في الـرزق, أو الرفعة في المكانـة, وإما رفع البلاء عن الناس وتفـريج الكـرب عنهم مثل علاج المـريض, ورفع الفقر, والمعلوم لدى المسلم الـذي أنعم الله عليه بسـلامة العقيـدة أن هـذه الحاجـات لا يقـدر على قضـائها إلا الله سبحانه وتعالى, لكن هـؤلاء قد لبسـوا على البسـطاء حـتى اعتقـدوا أن قضـاءها بأيـديهم. ومما يؤسف له أن هـؤلاء الكـذابين النصـابين أكـثرهم من المنتسـبين للعلـوم الدينية الـذين لم تكن نوايـاهم خالصة لوجه الله في طلبهم للعلم بل طلبوه ليأكلوا به وباسم الـدين, فاستسـلموا إلى الراحة السـاكنة ولم يعملـوا. إن هـؤلاء يسـتحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس.

فينبغي علينا الاحـتراز عن الاغـترار بتلبيسـات علمـاء السوء، فإن شـرهم على الـدين أعظم من شر الشـياطين، إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انـتزاع الـدين من قلـوب الخلق. كما يجب علينا أن نكـون أكـثر حرصا على الاتبـاع وعدم الابتداع, وأن نعـرف خطر هـؤلاء قطّـاع الطريق إلى الله سبحانه وتعالى. والله الهادي إلى سواء السبيل.

الطريقة الثانية: تلبيس مشايخ الصـوفية على أتباعهم ومريديهم:

أما مشايخ الصـوفية فـإن مشـكلتهم تكمن في إظهـار أنفسـهم كآلهة صـغرى تعبد من دون الله أمـام أتبـاعهم ومريـديهم, وهـدفهم في ذلك ضـمان الهيبـة, والتقـدير بل والتقديس ثم ضمان الأرزاق لهم عند أتباعهم ومريديهم.

وقد كـان من أسـاليب الصـوفية في إخضـاع أتبـاعهم ومريـديهم لهم أنهم يجعلـون هـؤلاء الأتبـاع ينظـرون إليهم نظرة التقديس وأنهم في منـازل مرموقة لا يمكن أن يصل إليها المريد مهما اجتهد في العبـادة, وبالتـالي يـرى المريد شـيخه أنه هو كل شـيء. وهـذا يـذكرني برجل من هـؤلاء الطرقية المكـــارين ظهر في مدينة (لاغـــوس) في نهاية الثمانينات الميلادية اسمه عبد الجبار, وقد أظهر هذا الرجل ما عند الصــوفية من الخــزعبلات والأباطيل حيث قــال في إحدى جلساته أنه كان مرة من المرات في جلسة مع بعض الأنبياء إذ دخل نبي دون أن يؤذن له فطرده هو, وغــير ذلك كثير من الأباطيل الـتي تصـدر من الرجـل. والله جل شـأنه يمهل ولا يهمـــل, فقد انتقم لدينه وأنبيائه فأخذ الرجل أخذ عزيز مقتدر, وأخزاه وفضحه بعد ظهوره بفترة وجـيزة. [illegible]
[illegible]
[illegible] (الأنبياء:29). وما أكثر أمثال عبد الجبـــار في نيجيريا في الـــوقت الحاضر وخاصة في مدينة (لاغوس), أسأل الله أن يخزيهم في أقــرب وقت, ويجعلهم عبرة للمعتبرين.

والحاصل أن مشـايخ الصـوفية يظهـرون أنفسـهم في مقام التقديس مما يـؤدي بأتبـاعهم ومريـديهم إلى الوقـوع في الانحرافـات بشـتى أنواعها بسـبب تقـديس المشـايخ, ففي حيــاتهم يتوسل بهم أتبــاعهم ومريــدوهم, ويتــبركون بذواتهم وآثارهم, ويسـتعينون بهم فيما لا يقـدر عليه أحد إلا الله, ويستغيثون بهم, ويصرفون لهم عدة أنواع العبادة مثل الســجود والركــوع والخضــوع والتــذلل, وغــير ذلك من العبادات.

وبعد ممــاتهم يبنــون على قبــورهم ويقيمــون عليها أضرحة, وتُجعل قبورهم مثل أمـاكن مقدسة تـزار للعبـادة, فيــدعون الله ويذكرونه عند قبــورهم, ويقــرؤون القــرآن ويصلون عندها, كما يفعلون غير ذلك من أنواع العبادة التي لا ينبغي أن تفعل عند القبور لأنها وسائل إلا الشرك الأكبر.

وهنـاك أحـداث أخـرى في جـانب الأعـراض والأمـور الأخلاقية تقع بين هـؤلاء المشـايخ ومريـديهم تـترفع نفس

المؤمن عن ذكرها بل في ذكرها خرم لمروءة المتحدث بها كل ذلك نتيجة تلـــبيس هـــؤلاء المشـــايخ على أتبـــاعهم ومريديهم بالكذب والخـداع, وإظهـار أمـور عجيبة يطلقـون عليها اسم الكرامات مثل أداء الصلوات الخمس المفروضة مجتمعة في وقت العشاء بعد الانشـغال بملـذات الـدنيا في أوقاتها المعينـــــة, ومثل زواج أكـــــثر من أربع نســـــوة. والشــياطين تــنزل على من يعمل ما يحبه الشــيطان من الكذب والفجور حتى تخرجه عن العقل والـدين ويصـير من المتهوكين الذين يطيعون الشيطان ويعصون الرحمن.

أنواع الانحرافات التي يسببها تلبيس أهل الأهـواء لدى مسلمي نيجيريا:

أهل الأهواء يظهـرون الباطل في صـورة الحق فحصل نتيجة ذلك وقـــوع الكثـــير من مســـلمي نيجيريا في عـــدة انحرافـات, منهـا: دعـاء الأوليـاء والصـالحين والتوسل بهم, والتـبرك بأجسـاد الأوليـاء والصـالحين والمشـايخ وآثـارهم, والتــبرك بــالقبور والأضــرحة, والعلاج بالســحر والشــعوذة والرقى غير الشـرعية, وصـرف أنـواع من العبـادات القلبية لغير الله, واختراع الصيغ المبتدعة للصلاة على النبي- صلى الله عليه وسـلم- مع اعتقـاد أنها أفضل من الصـيغ الـواردة في السنة, وغير ذلك من الانحرافات.

المبحث السابع
الاستعمار السياسي

مما لا يرتـاب فيه أي مســلم واع أن الاســتعمار عــدو الإســلام والمســلمين, فقد كــان من ديــدن المســتعمرين السعي لمحاربة كل ما هو إسلامي في أي بلد دخلوا, ثم إذا قوبلــوا بالمواجهة والمحاربة ســرعان ما يخططــون لتولية الــذين يواصـلون في تنفيذ مخططـاتهم وتحقيق مصـالحهم

من أبناء تلك البلاد, وهكذا فعلوا في كثير من بلـدان العـالم الإسلامي.

فقد نجح المسـتعمرون في إسـقاط الدولة الإسـلامية الـتي طبقت الشـريعة الإسـلامية أقامها الشـيخ عثمـان بن فودي في السودان الغربي المسمى بـ (نيجيريـا) وما حولها ودامت لمدة حوالي مائة سنة, وبعد احتلال البلاد فـترة من الـزمن أراد الاسـتعمار البغيض أن لا تقـوم للإسـلام قائمة حـتى بعد رحيله فعمد إلى أن يصـطنع نفـراً من أبنـاء البلد على عينـه، فظهـرت في ديـار الإسـلام الاتجاهـات الفكرية الوافــدة الــتي دعت إلى القومية والعنصــرية والفئويــة، بتشـجيع من المسـتعمر المغتصب الـذي سـلم العهـدة بعد فــترة الاحتلال وبعد مقاومته إلى تلامذته ومريديـــه، وهو متأكد تمامـاً من مـدى حرصـهم على أداء دوره، وقيـامهم بتنفيذ رسالته بأعظم مما كان يقوم به.

يقــول الشــيخ آدم عبد الله الألــوري رحمه الله في حديثه عن خلف المســتعمرين وأذنــابهم في نيجيريــا: "ثم وجد المستعمرون من المبشرين أبناء البلاد خــير خلف لهم فيها, إذا ما انسـحبوا من ميـدان السياسة فلهم من يخلفهم في مجال التطبيب باسم الصـليب, ومن يخلفهم في مجـال التعليم باسم المدنيــة, ومن يخلفهم في مجـال الاسـتعمار باسم التبشــير المســيحي, وتلك مجــالات لا حجر فيها ولا حرج؛ لذلك كله هـان على الاسـتعمار تسـليم البلاد, وإيقـاع البعض بالبعض, ثم القيام بنصرة أحد الطرفين على الآخــر, ولو بالقوة المسلحة"[1].

وأما وجه كون الاستعمار سببا من أسباب وقــوع بعض المســلمين في الانحرافــات العقدية فقد تحــدث عن ذلك أيضا الشيخ آدم عبد الله الألـوري وذلك بعد ذكـره للعـادات والتقاليد عند بعض القبائل النيجيرية, قال: "وقد كادت هذه التقاليد تنمحي وتضـمحل بالتـدرج غـير أن الـذي زاد الطين بلة تــألب الاســتعمار والتبشــير على القضــاء على عين الإسـلام وأثـره في نيجيريا بإرجـاء كل شـيء إلى الجاهلية الأولى قبل الإسلام تحت عنوان: "إحيـاء التقاليد والثقافـات

---

[1] (1) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص157.

الوطنية", وكلها لا تسلم من آثار الكفر والوثنية, فعلوا هنا كما فعلوا في مصر بإحياء الفرعونية, والعراق بإحياء البابلية ... للبرهنة على أن ما قبل الإسلام فن وثقافة ومجد وحضارة, صاروا يبعثونها من مراقدها ويصرفون المليارات من الأموال في سبيل إحيائها في كل مكان"[1].

ومن هنا ظهرت الأعمال الشنيعة التي أقدم عليها المستعمرون, ولا غرابة فإنه لا يتوقع من أهل الشر إلا الشر, ولما كانت الديانة الأصلية للقبائل النيجيرية جمعاء هي الوثنية بشتى أنواعها, كما أن أغلب ثقافتها وتقاليدها وثنية الطبع فلا يتوقع أن تكون نتائج إحياء تلك العادات والتقاليد سوى التمسك بالكفر والوثنية والتعبد بهما.

فيتبين مما سبق من الكلام أن السبل التي سلكها الاستعمار لتسبب الانحراف العقدي بين الشعوب الإفريقية بشكل عام والشعب النيجيري بشكل خاص يمكن حصرها في نقطتين اثنتين:

الأولى: إحياء الوثنية دين الأجداد باسم العادات والتقاليد:

لقد شعر المستعمرون بخيبة أمل لما رأوا من قلة الثمار لتلك الجهود الجبارة التي بذلها أعوانهم المنصرون والممهدون لهم الطرق؛ ولذلك لم يبق أمامهم إلا البحث بجد عن طرق أخرى يمكنهم سلوكها لكي ينجحوا مما جاءوا لأجله؛ إذ الذي تقرر في أذهانهم أن عدوهم الوحيد هو الإسلام والمسلمون, ولما كان الإسلام قد انتشر بين القبائل فلا بد أن يعملوا لإخراج هؤلاء المسلمين من دينهم أو إبعادهم عن معرفة الدين الصحيح على أقل تقدير, فكانت الخطوة التي خطوها هي محاولة إحياء الوثنيات القديمة دين أجداد القبائل النيجيرية باسم التمسك بالعادات والتقاليد لكيلا تنسى الحضارات.

الثانية: الدعوة إلى التعصب القبلي بين الشعب:

إن من أكبر المشاكل التي استخدمها الاستعمار لتحقيق أغراضه ونيل نواياه ثم خلفها من ورائه بعد رحيله

---

[1] (1) نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا ص120-121.

ولم يزل يتمسك به أذناب الاستعمار إثارة النعرات القومية والعصـــبية القبلية بين الشـــعوب الإفريقية[1]؛ وذلك أنه قد وجد حين دخوله في تلك الــدول ما عليه القبائل المســلمة من الروابط الاجتماعية نتيجة ما أحـدثت لهم أواصر الأخـوة الإسلامية الصادقة, ولما أدرك الاسـتعمار خطـورة الموقف وألا سبيل له للتغلب على تلك القبائل واحدة تلو الأخرى إلا بتفريقها عمد إلى سلوك هذا الطريق الخبيث, فدعا إلى أن تحمس كل إنسان لنصرة بـني قبيلته مهما كـانت الظـروف وعدم الالتفات إلى أي دين معلنا بأن القبيلة هي أول شيء يجمع هؤلاء الناس.

ومع الأسف الشـــديد فقد أصـــغى النـــاس إلى تلك الأصوات واستجابوا لذلك النداء فراحوا يتعصـبون لقبـائلهم على حساب الدين فحدث ما لا يحمد عقبـاه من الاستنصـار بالكفار أعداء الله على المؤمنين أولياء الله, ولا تـزال تبقى آثار تلك الفتنة إلى يومنا هذا[2].

أنـــواع الانحرافـــات الـــتي يســـببها الاســـتعمار السياسي لدى مسلمي نيجيريا:

لقد أدى الاستعمار البغيض ببعض مسلمي نيجيريا إلى الوقوع في أنواع من الانحرافات من خلال خططه الخبيثـة, وعلى رأس هــذه الانحرافــات مــوالاة الكفــار ومعــاداة المؤمنين, كما سـبب أنواعا أخـرى من الانحرافـات العقدية مثل المشاركة في أعياد الكفار, وإحياء ذكـرى آلهة الكفـار, والركوع لغير الله, كل ذلك باسم إعادة الناس إلى التمسك بعـادات الأجـداد وتقاليـدهم, وفي حقيقة الأمر هو من بـاب إحياء الوثنية القديمة.

---

1 (1) انظر: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر للأستاذ الدكتور عبد الله عبد الرزاق إبراهيم والأستاذ الدكتور شوقي الجمل ص413, دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة 1997م.

2 (2) وقد ذكرت نتيجة هذه الفتنة أثناء كلامي عن أوجه موالاة المسلمين للكفار في نيجيريا وذلك في الفصل السابع من الباب الثالث لهذا البحث.

الفصل الثاني
وسائل علاج الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا وأساليبه

المبحث الأول
وسائل علاج الانحراف في توحيد الألوهية
أولا: نشر العلم الشرعي

المقصود بالعلم الشرعي وفضل تعلمه وتعليمه:

المقصود بالعلم الشرعي هو ما أخذ من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه- صلى الله عليه وسلم، يقول ابن القيم في نونيته:

العـلم قـال الله قال رســوله قال الصحابة هم أولو العرفـان
ما العلم نصـبك للخلاف سفاهة   بين الرسول وبـين رأي فـلان[1]

والعلم الشرعي مطلب مهم من المطالب التي ينبغي أن يسعى لها الداعية إلى دين الله؛ لأنه هو القضية الأساسية التي يقوم عليها العمل الدعوي؛ ولهذا قدم على العمل.

ولمكانة هـــذا العلم وعظيم منزلته وجليل قـــدره عند الله فقد حث نبيه محمــدا- صـــلى الله عليه وســـلم- على حسن الاستماع إلى هـذا العلم الـذي نـزل به جبريل عليـه، وأمـــره بأخـــذه بعناية تامـــة، وأن يطلب المزيد منـــه، ولم يطلب المولى عزَّ وجـلَّ الاسـتزادة من شـيء إلا من العلم الشرعي، قال الله تعالى: [illegible] (القيامة:16-

---

[1] (1) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى 2/279, تحقيق زهير الشاويش, ط/الثالثة 1406هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.

19), وقال تعالى: [illegible] (طه:114).

قال ابن حجر رحمه الله عند شرحه لما بوبه الإمام البخاري: باب فضل العلم: "المراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يُفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص"[1].

وبــالعلم يتم تحقيق أهم المهمــات وأوجب الواجبــات وهو التوحيد, وذلك بتحقيق كلمة لا إله إلا اللــه، ولـذلك أمر تعالى نبيه- صلى الله عليه وسـلم- أن يعتـني بـالعلم فقـال تعالى: [illegible] (محمد:19), وقال جل شأنه: [illegible] (إبراهيم:52), فقدم العلم على القــول والعمل والــدعوة؛ لأن تقــدم العلم على العمل ضروري للعامل حتى يعلم ما يريده، ويقصد العمل للوصول إليه، وتكون عبادته صحيحة مقبولة.

وامتثــالا لأمر الله له قد سن رســول اللــه- صــلى الله عليه وســلم- هــذه الســنة وأمر بها جميع أتباعــه، قــال الله تعالى: [illegible] (يوسف:108).

"والبصيرة هي: المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل"[2], وهي العلم الشرعي المؤصل المبني على الدليل من الوحي المنزل من عند الله تعالى، وعلى لسان رسوله- صلى الله عليه وسلم، والفهم لمراد الله تعالى فيما أنزله.

فالدعوة إلى الله على بصيرة أي: "على علم ويقين وبرهان شرعي وعقلي"[3] فيما يدعو إلى فعله، وفيما يدعو إلى تركه، وفي أسلوب الدعوة، وفي حال المدعوين، وسلوك الطريق الصحيح في ذلك. وأي دعوة تخلو من هذا

---

1 (1) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 1/188.

2 (2) انظر: فتح القدير 3/72, وتفسير البغوي 1/284, تفسير الآية (108) من سورة يوسف.

3 (3) انظر: تفسير ابن كثير 2/1475.

الشرط وهو: البصيرة فإنها دعوة مهلهلة أساسها غير متين، سرعان ما ينهار ويتقوض فيخر السقف من فوقه.

ولقد سـمى الله تعـالى العلم بصـيرة؛ لأنه يحصل به الصـواب، ويتـبين به الحـق، وتقـوم به الحجـة، ويـردع به الباطل؛ ولهـذا كـان أول ما نـبئ به النـبي- صـلى الله عليه وسلم- هو قوله تعالى:

(العلق:1-5), فكانت هذه الآيـات الكريمـات المباركـات أول اتصـال بين السـماء والأرض في الإسـلام، لتُـبين فضل العلم، وأنه لا نجـاح ولا فلاح إلا بالعلم، وهي رحمة رحم الله بها عبـاده، ونعمة أنعم الله بها عليهم. وفي هـذه الآيـات أيضـا: التنبيه على أن من عظيم كـرم الله تعـالى وكبـير منته على عبـاده: أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشـرَّفه وكرَّمه بهـذا العلم، وميَّزه عن باقي خلقه، قال الله تعالى مخاطبا نبيه محمـدا- صـلى الله عليه وسلم:

(النساء: 113), وقال الله تعالى:

(النحل:78), والمقصود: أن أول ما بدأ الله نبيه- صلى الله عليه وسـلم- بـالعلم قبل الـدعوة والعمل الصـالح المقـرب إليه، فجعل العلم أصلا والعمل تابعا له.

فالعلم الصحيح هو الذي ينير الطريق أمام الداعية، فلا يدعو الناس إلا بمقتضى الحجة والبرهان، وذلك يعينه في معرفة أدواء الناس ومشكلاتهم، ثم يستطيع بعد ذلك أن يرتب الأولويات التي يبدأ بها بناءاً على ذلك؛ ولذا فإن أكثر الدعاة تأثيرا في الناس هم أكثرهم تحصيلا للعلم الشرعي؛ لأن مقدار إصابة الداعية للحق يكون بقدر ما يحمله من العلم الشرعي, ذلك لأن العلم هو سبيل الخير والرشاد والسعادة في الدنيا والآخرة.

فإذا كنا نسعى إلى جمع الكلمة وتوحيد الصفوف وتضافر الجهود فتعليم الناس العلم الشرعي، وتربيتهم على عقيدة السلف، هو أول طريق جمع الكلمة ولم الشتات.

ومما يدل على فضل تحصيل العلم الشرعي وتعلمه:

1- أن الله يسـهل به طريق المسـلم إلى الجنـة, لما رواه مسـلم عن أبي هريـرة رضي الله عنـه, قـال: قـال رسـول اللـه- صـلى الله عليه وسـلم: (من سـلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة)[1].

2- أنه علامة إرادة الله الخـــير بالإنســـان, لما رواه البخـاري عن معاوية رضي الله عنه قـال: سـمعت رسـول اللـه- صـلى الله عليه وسـلم يقـول: (من يـرد الله به خـيرا يفقهه في الدين)[2].

3- أن الله قد عين أهل خشيته بأنهم هم العلماء به[3], وفي ذلك دليل على فضل العلم وعلو شـأن أهلـه, قـال تعـالى: $yJ¯Î) ÓyØs† ©!$# ô`ÏB ÍnÏŠ$t6Ïã (#às¯»yJn=ãèø9$# 3 (فاطر:28).

4- أن الله أمر نبيه- صـلى الله عليه وسـلم- بالازديـاد منه خاصة دون غـــيره, وفي ذلك دليل على نفاسة العلم وعلو مرتبته[4], قال تعالى: $Vù=Ïã ÎTÏŠÎ÷ ÎŒb>§ è%u (طه: 114).

5- أن الله وعد أهله بـالرفع في الـدرجات, وذلك في قوله جل شأنه: Æìsùötƒ ª!$# tûïÏ%©!$# (#qãZtB#u öNä3ZÏB tûïÏ%©!$#ur (#qè?ré& zOù=Ïèø9$# ;M»y_u‘yŠ 4 (المجادلة:11).

6- أن الله سـبحانه أظهر كمـال حكمته في خلقه آدم عليه السلام بأن أظهر علمـه, فلو كـان في الإمكـان شـيء أشرف من العلم لكان إظهار فضله بذلك الشيء"[5], قـال تعالى: zN¯=tæur tPyŠ#uä uä!$oÿôœF{$# $yg¯=ä. §NèO öNåkyÎztä n?tã ÏpsÍ3

---

[1] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن- ص1147 برقم (2699) عن أبي هريرة.

[2] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العلم- باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين- ص8 برقم (71), ومسلم في صحيحه- كتاب الزكاة- باب النهي عن المسألة- ص841 برقم (1037) عن معاوية بن أبي سفيان.

[3] (3) فتح القدير 4/435.

[4] (4) التفسير الكبير تأليف فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي 2/173, ط/الأولى 1421هـ- 2000م, دار الكتب العلمية- بيروت.

[5] (5) التفسير الكبير للرازي 2/164.

´¯»n=yø9$# t$s)ù ûÎä«6/r& Ïä!$yór'Î/ ÏÎIàà¯»y Î) öNçFä tÏ
%»|¹ (البقرة:31).

7- أن الله سـبحانه وتعـالى فـرق بين العـالم والجاهل في المنزلة والقـــــدر, وذلك دليل على فضل العلم, قـــــال تعـالى: ö@è% ôö@yd ÈqtGó¡o tûïÏ%©!$# tbqçHs>ôèt tûïÏ%©!$#uw tbqßJn=ôèt (الزمر:9).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم ويقتدي بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة التفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام وهو إمام العمل والعمل تابع له يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء"[1].

وقال الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة في رده على بعض العُبَّاد حينما كتب إليه يعظه ويحضه على الانفراد والعزلة عن الناس، ويحضه على العمل، فكتب إليه مالك: "إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فربّ رجل فُتحَ له في الصلاة ولم يُفتَحْ له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما

---

1 (1) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء 1/239, حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ط/الرابعة 1405هـ, دار الكتاب العربي- بيروت, وذكره ابن القيم الجوزية في مدارج السالكين 3/262-263.

فُتحَ لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر"[1].

والعلم الذي ندعو إلى تحصيله وبذل الجهد في سبيل طلبه هو ما يراعى فيه الإخلاص, فيطلبه لمولاه وللدعوة إلى دينه تعالى لا لحظه وهواه, فالغافلون عن الإخلاص يرون حسناتهم يوم القيامة سيئات. فالموفق من جعل العلم قائده إلى الجنة, فيطلبه لله, ويبذله لله, راجيا أن يزكي الله به باطنه وظاهره, يقول قتادة بن دعامة: "باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل"[2].

هذا هو العلم المقصود وليس ذلك الترف الذهني الذي يتخذه أصحابه وسيلة ليكسبوا به نفوذ الجاه, أو كثرة المال, أو مناصب الحياة, إنما هو الذي يبتغي به صاحبه "صلاح نفسه وصلاح الناس"[3].

فعلى الداعية أن يأخذ بالإخلاص في العلم والعمل, وليطبق قول ابن القيم إذ يقول: "العلماء ثلاثة, عالم استنار بنوره واستنار به الناس فهذا من خلفاء الرسل وورثة الأنبياء, وعالم استنار بنوره ولم يستنر به غيره فهذا إن لم يفرط كان نفعه قاصرا على نفسه فبينه وبين الأول ما بينهما, وعالم لم يستنر بنوره ولا استنار به غيره فهذا علمه وبال عليه وبسطته للناس فتنة لهم, وبسطة الأول رحمة لهم"[4], وليختار النوع الأول, ليكون من ورثة الأنبياء.

أمور يجب مراعاتها لكي تنفع هذه الوسيلة:

1- الاعتناء بنشر العلم الشرعي من مصادره الأصيلة، فإن العناية بكتاب الله الكريم، وما يتعلق به من المعاني والأحكام من أفضل أنواع العلم الشرعي وأجله، لشرف موضوعه؛ لأنه يتعلق بأشرف كلام، وأعظم كتاب، ثم يلي

---

1 (2) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد 7/185.

2 (1) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء 2/341, وابن الجوزي في صفوة الصفوة, صفوة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد 3/259, تحقيق محمود فاخوري- د. محمد رواس قلعه جي, ط/الثانية 1399هـ- 1979م, دار المعرفة- بيروت.

3 (2) من قول قتادة السابق.

4 (3) مدارج السالكين 3/302.

ذلك في الأفضلية سنة المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه- وعلومها وشروحها.

2- الحرص على تلقي العلم الشرعي بمناهجه وأساليبه الصحيحة من مصادره الأصيلة: كتب السلف المستمدة من الكتاب والسنة, فعلى طالب العلم أن يقتصر في كتب التفاسير مثلا على التفاسير التي اعتنت ببيان ألفاظه واقتصرت على القول الصحيح، مثل تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير البغوي، وابن كثير رحمهم الله .. هؤلاء من علماء أهل السنة، وكذلك من المتأخرين مثل تفسير ابن سعدي, وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ويبتعد عن التفاسير التي فيها ضلالات وتحريفات.

3- على الطلبة أخذ هذا العلم وتلقيه من أفواه أهله وهم العلماء أئمة الدين, والمشايخ الذين هم القدوة, وعدم الاتكال على الكتب والصحف, فذلك هو سبيل السلف في أخذ العلم وتلقيه، فسيرة الشيخ وسلوكه جزء من العلم الذي يأخذه عنه التلاميذ، فإذا سلك الشيخ في أخذه وأدائه وتعليمه منهج السلف في الأخذ والفهم والتعليم، وعلّم طلابه أدب الطلب قبل العلم، وأدب الاختلاف قبل الخلاف، وأسلوب الحوار قبل الجدال، والانتصار لله لا للنفس، وقبول الحق ولو كان على لسان الخصم وعدم أخذ الناس بالظن، أو البحث عن عثراتهم وعيوبهم، أو تجريحهم بما لا يجرح، وغرس في نفوسهم حب الله وحب رسوله - صلى الله عليه وسلم، واحترام السلف وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها، إلى غير ذلك مما أٍثر عن سلفنا الصالح، إذا فعل أهل العلم- طلاباً وشيوخاً- ذلك الأمر فسيتغير الحال، وتنجلي الغمة، وتتفق الكلمة وتقوى الأمة، ويعز الله جنده ويمكّن لهم في أرضه.

4- المبادرة إلى تعليم الناس العقيدة الصافية الصحيحة التي كان عليها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام، فإنها أحوج ما يحتاج إليه مسلمو نيجيريا والمقصود بالعقيدة: الأحكام الاعتقادية المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء

والصفات, فيجب على المسلمين عمومًا وعلى الدعاة إلى الله تعالى على وجه الخصوص الاعتناء بمعرفة الله تعالى، بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فإن هذه أصول الدين التي يجب العلم بها واعتقادها والعمل بمقتضاها، وهي أساس الأحكام العملية؛ فإنها تتوقف عليها ولا تصح إلا بها.

ولعظيم المنزلة التي يحتلها العقيدة في دين المرء كان تصحيحها والاهتمام بها هي القضية الأولى التي تصدى لها الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، فكان أهم المهمات، وأولى الواجبات التي قاموا بها هي الدعوة إلى تحقيق التوحيد، فيدعون الناس إلى أن يشهدوا ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويُعرّفون الناس بربهم الحق ومعبودهم الذي ليس لهم معبود سواه، وينزهونه عن ضد ذلك, قال الله تعالى: [illegible] (النحل:36).

وقد أمضى إمامهم نبينا محمد- عليهم وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- في مكة ثلاث عشرة سنة كلها في الدعوة إلى (لا إله إلا الله)، فكان يدعو إلى أن يعبد الله وحده، ويُترك الشرك به، وتُكسر الأوثان. فالتوحيد إذًا هو أصل الدين وقاعدته التي لا تصلح الحياة البشرية كلها في أصولها وفروعها إلا به، فإن الناس إذا عرفوا الله، وآمنوا به، ووحدوه، سهل عليهم الانقياد لفعل الأوامر واجتناب النواهي رغبة في الثواب، وخشية من العقاب والجزاء.

ومعرفة الله تعالى وتحقيق الإيمان به والإخلاص له هو الأصل الأصيل والركن الركين الذي يقوم عليه الدين، فهو كالقاعدة للبناء، وأي بناء لا يقوم على أصل راسخ وأساس محكم فإنه سرعان ما ينهار، فكل من فقد العقيدة الصحيحة الراسخة التي تجعله يخاف الله ويرجوه، ويرغب إليه، ويرهب منه، فيبادر إلى امتثال أوامره، والانكفاف عما نهى الله، ويعبد الله كأنه يراه، ويعتقد أن الله تعالى رقيب عليه، يسمع أقواله، ويرى أفعاله، ويعلم أحواله، وسره وعلانيته، وأنه تعالى سيجزيه على ذلك، فإنه لا يبالي بترك فرض أو واجب، ولا يكف عما يعرض له من معصية الله أو ظلم لعباده إذا قدر عليه وأمن من عقوبة السلطان.

5- التزام مذهب السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) في تأصيل العقيدة، والتوحيد، والعمل بها، والدعوة إليها، وذلك ببيان العقيدة الإسلامية الصحيحة، والاهتمام بمصادرها تأصيلا واستدلالا، وفهمًا على نصوص الوحيين، وأقوال الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ومن أهل العلم والدين السائرين على طريقة السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين.

6- ربط النـاس بالله سـبحانه وتعـالى أثنـاء الـدروس العلميــة؛ فــالمعلم النــاجح هو الــذي يســعى لفتح أذهــان الطلاب وربطهم بخالقهم عن طريق أي مناسـبة تعـرضُ له في شـرحه وتقريـره أيا كـانت مادتـه، وهـذا من أساسـيات التعليم وأهدافه كما أن هـــذا من بركة الرجل إن وفق إليه, قــــال ابن القيم رحمه الله: "... فــــإن بركة الرجل تعليمه للخـير حيث حـل، ونصـحه لكل من اجتمع بـه، قـال تعـالى إخبارا عن المسيح عليه السلام: [illegible] (مريم:31) أي: معلما للخير داعيا إلى الله مذكرا به، مرغبا في طاعته. فهـذا من بركة الرجل, ومن خلا من هـذا فقد خلا من البركة وسـحقت بركة لقائه والاجتمـاع به ..." [1].

7- حرص القائمين بنشر العلم الشرعي أن يكونوا قدوة؛ لأن العالم يرتفع ويعلو شأنه بعلمه وعمله وإخلاصه ونفعه حين يكون قدوة للذين يتلقون منه العلم.

8- الاهتمام بالتربية الإسلامية الخالصة، والعناية بالنشء, فلا يكتفى بالشباب أو العاملين في حقل الدعوة حاليا فقط؛ لأن أطفال اليوم رجال الغد, فإذا نشأ أطفالنا على عبادة الله بعد معرفتهم إياه فذلك خير كثير وإنجاز كبير.

9- حماية هذا العلم الذي ينشر وتحصينه وذلك بحماية طلابه وإبعادهم من المؤثرات الشيطانية المعاصرة التي

---

[1] (1) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ص5, تحقيق عبد الله بن محمد المديفر, ط/الأولى 1420هـ, فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض.

ظهر منها الفساد في البر والبحر مثل القنوات الفضائية التي تبث الفضائح وكذا شياطين الإنس الذين لا همّ لهم إلا السعي للتخريب والإفساد.

لا بد أن يقتنع كل من يسير على هذا الدرب أن الغرض الأساسي لطلب العلم الشرعي أولا وآخرا هو الدعوة إلى دين الله وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان, فمن كانت هذه نيته لا يسترزق بعلمه, أما إن قدر الله تعالى أن يكون هذا الطريق هو مصدر رزقه فلا بأس, لكن الأصل أن على كل أحد السعي بنفسه للحصول على قوت يومه بعرق جبينه وكد يمينه ولا يطمع في الاعتماد على المدعوين.

ثانيا: توضيح الدين للناس على الوجه الصحيح وبيان وسطيته

دعـوة الإسـلام إلى الوسـطية وبيـان موقفه من الغلو:

دين الله بين الغالي والجافي, وهو وسط بين الإفـراط والتفريـط. والوسـطية إحـدى الخصـائص العامة للإسـلام, وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمة محمــد- صـــلى الله عليه وســـلم- عن غيرها من الأمم, فهي أمة العـدل والاعتـدال الـتي تشـهد في الـدنيا والآخـرة على كل انحــراف يمينا وشــمالا عن خط الوسط المســتقيم, قــال تعالى: y7Ï9ºx‹x.ur öNä3»oYù=yèy_ Zp¨Bé& $VÜy™ur (#qçRqà6tGÏj9 uä!#y‰pkà
(البقرة: n?tã Ä$¨Z9$# tbqä3tƒur ãAqß™§9$# öNä3øn=tæ #Y‰ŠÎgx© 3
143).

وأما الغلو فهو مجـاوزة الحد بالزيـادة على المشـروع, وهو مـذموم كلـه, وأشـده ذما وإثما ما أوصل صـاحبه إلى أعظم الظلم, وأقبح القــول والعمــل, وهو الشــرك بالله تعالى.

فلما أدرك الإسـلام خطر الغلو في الـدين بكل مناحيه ومجالاته- وهو الــدين الحــريص على ســعادة أتباعه دنيا وأخـرى- حـذرهم عنه كل التحـذير لكيلا يسـبب لهم الهلاك كما سبب لمن قبلهم من الأمم, فقال رسول الإسلام- عليه

أفضل الصلاة وأتم التسليم: (إيـاكم والغلو في الـدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[1].

ولقد تضـافرت النصـوص الشـرعية على ذم الغلـو, وتنوعت دلالاتها في تقرير ذلك, أذكر منها:

1- النهي الصريح عن الغلو:

كما في قوله تعالى: Ÿw (#qè=øós? 's#Ï9$# tÅÉ=»tGÅ6ø9$# Èé÷ Ÿ ÷r'¯»tƒ

4 ¨,ysø9$# žwÎ) «!$# n?tã (#qä9qà)s? Ÿwur öNà6ÏZƒÏŠ (النساء:171).

وقوله تعالى: Ÿw (#qè=øós? 's#Ï9$# tÅÉ=»tGÅ6ø9$# Èé÷ Ÿ ÷r'¯»tƒ ö@è%

#¨,ysø9$# uŽöxî ÇÏ öNà6ÏZƒÏŠ (المائدة:77).

ومنه الحـديث الـذي رواه ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال: قـال لي رسـول اللـه- صـلى الله عليه وسـلم- غـداة العقبة وهو على راحلتـــه: (هـــات, القط لي) فلقطت له حصـيات هن حصى الخـذف, فلما وضـعتهن في يـده قـال: (بأمثال هؤلاء, وإياكم والغلو في الدين, فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[2].

2- ذم الغالين, والتحذير من طريقتهم:

كما في ذم أهل الكتـــــــاب وما هم فيه من الغلو في الأنبياء والصالحين, كما قال تعالى عنهم: ÏM s9$s%urߊqßguø9$#

íÆ÷ƒãtã ßø$# «!$# ÏM s9$s%ur ÜtÁ»|Á¨Z9$# ßxŠÅ¡yJø9$# ÚÆö/$# «!$# (y7Ï9ºs

Nßgä9öqs% óOÎgÏdºuqøùr'Î/ (šcqä«Îg»ŸÒム tAöqs% tûïÏ%©!$# (#rãxÿŸ2 `ÏB

ã@ö6s% 4 ÞOßgn=tG»s% ª!$# 4 4¯Tr& šcqä3sù÷sãƒ (التوبة:30).

وقـال تعـالى: (#ÿräsƒªB$# öNèduu$t6ômr& öNßguZ»t6÷dâuur

$\/$t/ör& `ÏiB Âcrߊ «!$# yx‹Å¡yJø9$#ur úüö/$# zOtƒötB !$tBur (#ÿrãÏBé& žwÎ)

(#ÿrßç6÷èu‹Ï9 $Yg»s9Î) #Y‰Ïmºur (Hw tm»s9Î) žwÎ) uqèd 4 ¼çmoY»ysö6ß $£Jtã

šcqà2Ìô±ç„ (التوبة:31).

3- وسطية هذه الأمة والثناء عليها بهـا, وفيه دليل على ذم الغلو والتقصير معا:

كما قال تعـالى: y7Ï9ºxx.ur öNä3»oYù=yèy_ Zp¨Bé& $VÜy™ur

(البقرة:143).

وفي الحـديث عن أبي موسى الأشـعري قـال: قـال رسـول اللـه- صـلى الله عليه وسـلم: (إن من إجلال الله

---

[1] (1) سبق تخريجه ص264.

[2] (2) الحديث السابق نفسه سبق تخريجه.

إكرام ذي الشيبة المسلم, وحامل القـرآن غـير الغـالي فيه ولا الجافي عنه, وإكرام ذي السلطان المقسط)[1].

4- نهي النــبي- صــلى الله عليه وســلم- عن بعض مظاهر الغلو التي قيلت أو فعلت له:

ومن ذلك السجود له, كما في حـديث عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرســول الله- صلى الله عليه وسلم, فقـال رسـول اللـه- صـلى الله عليه وسلم: (ما هـذا؟) قـال: يا رسـول الله قـدمت الشـام فرأيتهم يسجدون لبطـارقتهم وأسـاقفتهم فـأردت أن أفعل ذلك بك, قال: (فلا تفعـل, فـإني لو أمـرت شـيئا أن يسـجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها, والذي نفسي بيــده لا تـؤدي المــرأة حق ربها حــتى تـؤدي حق زوجها حــتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه)[2].

ومن ذلك تغليظه على من قــــال لــــه: ما شــــاء الله وشـــئت. فعن بن عبـــاس رضي الله عنهما أن رجلا قـــال للنبي- صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت. فقـال له النبي- صلى الله عليه وسلم: (أجعلتني مع الله عدلا؟ بل ما شاء الله وحده)[3].

ومن ذلك نهيــه- عليه الصـلاة والسـلام- عن الإطـراء, فعن عمر بن الخطــاب رضي الله عنه قــال: قــال رســول الله- صــــلى الله عليه وســــلم: (لا تطــــروني كما أطــــرت النصارى عيسى ابن مـريم, فإنما أنا عبد, فقولـوا: عبد الله ورسوله)[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قـــــال: يا محمد, يا ســـيدنا وابن ســـيدنا, وخيرنا وابن خيرنا, فقـــال رسول الله- صـلى الله عليه وسـلم: (يا أيها النـاس, عليكم بتقـواكم, ولا يسـتهوينكم الشـيطان, أنا محمد بن عبد الله,

---

[1] (1) سبق تخريجه ص226.

[2] (2) سبق تخريجه ص290.

[3] (1) سبق تخريجه ص266.

[4] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب أحـاديث الأنبيـاء- بـاب قـول الله: [illegible]- ص281 برقم (3445) عن عبد الله بن عباس.

عبد الله ورسوله, والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)[1].

5- ذكر نتائج الغلو السيئة, ووصف عاقبته بأنها وخيمة:

كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثا[2]. وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو قوله- صلى الله عليه وسلم: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[3].

6- بيان حقائق الأمور على ما هي عليه, كيلا يغالى بها عن حدها:

ومن ذلك ما أمر الله تعالى نبيه أن يبين للناس من أنه- صلى الله عليه وسلم- لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله, كما في قوله تعالى: (الأعراف:188).

وقوله تعالى: (الأنعام:50).

وقوله تعالى: (الجن:21-23).

ومن ذلك ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام وأمه, فقال سبحانه: (المائدة:75).

ومنه قوله تعالى: (آل عمران:79).

7- منع مظاهر الغلو وقطع كل سبب يؤدي إليه:

---

1 (3) سبق تخريجه ص251.

2 (4) سبق تخريجه ص607.

3 (5) سبق تخريجه ص264.

ومن ذلك التغليظ في النهي عن اتخاذ القبور مساجد, كما في حديث عائشة وعبد الله بن عباس- رضي الله عنهم- قالا: لما نزل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- طفق يطرح خميصة له على وجهه, فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يحذر ما صنعوا[1].

ومن ذلك دعاؤه- صلى الله عليه وسلم- أن لا يجعل قبره وثنا يعبد[2].

وأمره- صلى الله عليه وسلم- بالصلاة عليه دون أن يكون في ذلك شيء من الغلو, كما في قوله- عليه الصلاة والسلام: (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)[3].

ومن ذلك النهي عن البناء على القبور واتخاذ المساجد والسرج عليها, فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لعن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)[4].

8- فعل الصحابة معه- عليه الصلاة والسلام- ليس فيه شيء من الغلو:

فقد كانوا أشد الناس حبا له, وأكثرهم له احتراما وتوقيرا وانقيادا, ومع ذلك لم ينقل عنهم أنهم كانوا يفعلون شيئا من مظاهر الغلو تجاهه؛ وذلك لما يعلمون من سنته وما جاء به عن ربه تبارك وتعالى من كراهيته لذلك ونهيه عنه.

فقد كان يكره- صلى الله عليه وسلم- أن يتمثل له أصحابه قياما, أو يقوموا بين يديه وهو جالس كفعل الأعاجم, فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن

---

1 (1) سبق تخريجه ص115.

2 (2) أخرجه مالك في الموطأ 1/172 مرسلا عن عطاء بن يسار, موطأ الإمام مالك- رواية يحيى الليثي للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي- مصر, ووصله ابن عبد البر في التمهيد 5/42-43 عن عطاء عن أبي سعيد الخدري, وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (750).

3 (1) سبق تخريجه ص366.

4 (2) سبق تخريجه ص496.

شخص أحب إليهم من رسول الله- صلى الله عليه وســلم- وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك[1].

ثالثا: بيان استقلال الإسلام وعزة المسلم

إن التشبه بالكفار قد أصبح رمزا لأناس كثيرين من مسلمي نيجيريا إلى درجة يجد الناظر في حالاتهم صعوبات للتمييز بين المسلمين المهتدين والكافرين الضالين. ولو تساءل متسائل: ما الذي ألصق بهؤلاء هذا العار؟ يجد الإجابة أنه الجهل بروح المنهج الإسلامي وعدم إدراك عظمة هذا الدين وعزة أهله, الأمر الذي لبس عليهم وأظهر لهم الباطل في صورة الحق.

إن المسلم له شخصية مميزة في عقيدته وسلوكه ونظام حياته ومظهره, والله تعالى يريد إكرام النفس المسلمة؛ ولذلك جعل المسلمين متبوعين لا تابعين, وجعلهم خير أمة أخرجت للناس, فكيف تطيب نفس المسلم له أن يدع هذه العزة والكرامة ليقلد ويتبع من هو دونه بكثير من جميع الجوانب؟ إنه لشيء عجيب!

وليت أن هذا التشبه وقف عند حد لبس الزي الخاص بالكفار وما أشبه ذلك ولم يتعده إلى ما هو أخطر منه لهان الأمر, لكن التشبه تجاوز ذلك ودخل في صميم الدين والشؤون التعبدية. وليس من ريب أن مستند هؤلاء المتشبهين في هذه المسألة واه جدا من جميع المناحي؛ إذ كانت حجتهم أنهم يسعون لقطع سيل وفود أبناء المسلمين إلى اعتناق النصرانية ولذلك أحدثوا في دين الحق طقوسا تشبه ما في الدين الباطل, وأنهم يريدون أن يجعلوا الإسلام دينا يواكب العصر ولذلك قلدوا الكفار وتشبهوا بهم في العادات والسلوك وأنماط الحياة, فما أعجب هذا الفهم المعكوس!

هكذا أوحى الشيطان إلى أوليائه بهذه الفكرة الخبيثة التي وجدت الصدر الرحب لتطبيقها, فمهما تغيرت الأسماء والأشكال فإن الحقائق ثابتة ثبوت الجبال الرواسي؛ إذ الأسماء لا تغير من الحقائق شيئا.

---

1 (3) سبق تخريجه ص359.

إن أمر الله واضح وطريقه مستقيم يعرفه كل ذي لب, ولا مطمع في هداية أو سعادة أو كمال يأتي من غير طريق شرع الله بحال من الأحوال, والصواب الذي لا يتطرق إليه خطأ أبدا أن الدين كله بالقرآن والسنة وما عليه سلف هذه الأمة. أما ما يدعو إليه هؤلاء المنخدعون فإنه من الأحداث المشينة التي تعرض أمة الإسلام للمحو والزوال, وآثار ذلك ظاهرة في الأمة لا يحتاج إلى تدليل ولا تبيين.

دعوة الإسلام إلى اعتزاز المسلم بدينه ونهيه عن التشبه بالكفار:

الدين الإسلامي ليس حريصاَ على تميز المسلمين في المضمون فحسب وإنما حتى في المظهر العام للمسلم في نفسه وللمجتمع الإسلامي في عمومه؛ ولذلك كان النهي عن التشبه بالكفار أحد التكاليف الربانية لهذه العقيدة. وقد حفل الكتاب والسنة بأدلة كثيرة حول هذه القضية؛ لأن التشبه بالكفار في الظاهر يورث التشبه بهم في العقيدة أو مودتهم، ومسايرتهم وموافقتهم على هواهم مما يحدث التميع في حياة المسلم ويجعله إمعة يتبع كل ناعق، والله يريد له العزة والكرامة. وإذا تمعنا في طريقة التربية القرآنية وجدنا أن الإسلام ربى المسلمين على العقيدة الصحيحة فترة طويلة قبل نزول التكاليف، فلما رست جذور هذه الشجرة المباركة في النفوس جاءت التكاليف واحداً إثر الآخر مما جعل المسلمين يترقون في هذا السلم التربوي الإيماني إلى الذروة.

من هنا جاء النهي عن التشبه بالكفار في العهد المدني, وذلك بعد الجهاد من أجل صيانة وحماية المجتمع الإسلامي من كل دخيل، وحرصاً على بناء الشخصية الإسلامية الفريدة, فكما أن هذه العقيدة فريدة في مضمونها وجوهرها فهي أيضاً فريدة في شكلها ومظهرها؛ لذا وجب على صاحبها أن يكون متميزاً بعد أن أخرجه الله من الظلمات إلى النور.

وتجتاح كثيرا من العالم الإسلامي اليوم موجة من التبعية الجارفة في كل شيء، ومن ذلك التشبه بالغرب

الكافر من قبل ضعاف الإيمان الذين يرون أن ذلك الفعل هو سبيل التقدم والرقي![1].

والتشبه بالكفار له آثار سلبية على الأمة الإسلامية تتلخص في النقاط التالية:

1- أن المشابهة في الظاهر تـورث نـوع مـودة ومحبة ومـــوالاة في البـــاطن كما أن المحبة في البـــاطن تـــورث المشابهة في الظـاهر وهـذا أمر يشـهد به الحس والتجربة, فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة فكيف بالمشابهة في أمور دينية فإن إفضـاءها إلى نـوع من الموالاة أكثر وأشد, والمحبة والموالاة للكفار تنافي الإيمان كما قال الله تعالى: [illegible] (المائدة:51).

وقـال تعـالى: [illegible] (المائدة:80, 81).

فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولاية الكفار, فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.

وقال تعـالى: [illegible] (المجادلـة:22).

فأخبر سـبحانه وتعـالى أنه لا يوجد مـؤمن يـواد كـافرا فمن واد الكفار فليس بمؤمن, فالمشابهة الظاهرة مظنة المودة فتكون محرمة[2].

2- أن المشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشـاكلة في الأمـور الباطنة على وجه المسـارقة والتدريج الخفي, والمشاركة في الهدي الظاهر تـوجب أيضا مناسبة وائتلافا وإن بعد المكان والزمان.

---

[1] (1) من مفاهيم عقيدة السلف الصالح الولاء والبراء في الإسلام تأليف محمد بن سعيد القحطاني ص319.

[2] (1) اقتضاء الصراط ص221-222.

فمشابهة الكفار في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة بل في نفس الاعتقادات؛ وذلك أن الله تعالى جبل بني آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط[1].

3- أن التشبه بالكفار ينشأ عن شعور المسلم بالنقص وإعجابه بالأمم الكافرة مما قد يؤثر في عقيدته, وهذا أمر مشاهد فإن الذين يعشقون الحياة الغربية فأكثرهم يحمل أفكارا واعتقادات غريبة عن الإسلام, بل قد تكون هدامة تنافي العقيدة الإسلامية الصحيحة, مثل اعتقادهم أن القوانين الغربية متفوقة على الشريعة الإسلامية, واعتقادهم أن الإسلام دين عبادة فحسب, ولا صلة له بحياة الناس وعلاقاتهم.

4- أن التشبه بالكفار مما يوقع المسلم في معصية ربه إذا كان مما يتدين به؛ ذلك أن جميع ما يتدينون به إما محدث مبتدع وإما منسوخ, فالتشبه بهم فيه تشبه بمن لعنه الله, فكأن المسلم يشاركهم فيما يتميزون به من أسباب سخط الله وعقابه[2].

5- أن التشبه بالكفار مما يفضي إلى القضاء على شعائر الإسلام وإحياء شعائر الكفر؛ وذلك أنه إذا اشتهر التشبه دخل فيه عوام الناس وصار عادة وتناسوا الأصل[3].

النصوص الواردة في النهي عن التشبه بالكفار لبيان استقلال الإسلام:

ما ورد من الأدلة في نهي المسلمين عن التشبه بالكافرين كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم, فمن الكتاب:

1- قوله تعالى: [illegible] (آل عمران:28).

---

[1] (2) المرجع السابق ص219-220.

[2] (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص208 بتصرف.

[3] (2) المرجع السابق ص209 بتصرف.

2- قوله تعالى: [illegible] (المائدة:51).

3- قوله تعالى: [illegible] (المجادلة:22).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والموالاة والمودة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم, ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا إلى نوع من الموالاة والموادة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجبه الطبيعة وتدل عليه العادة[1].

ومن السنة:

4- ما رواه أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له, وجعل رزقي تحت ظل رمحي, وجعل الذل والصغار على من خالف أمري, ومن تشبه بقوم فهو منهم)[2].

5- عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى حنين, قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها, ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط, قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط, فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى [illegible] إنها لسنن, لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة)[3].

تلك هي أدلة عامة من السنة وهناك أدلة أخرى صريحة في النهي عن التشبه بهم في مسائل فرعية, منها:

---

1 (3) المرجع السابق ص 49-50.

2 (1) سبق تخريجه ص297.

3 (2) سبق تخريجه ص254.

6- ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (إن اليهود والنصـارى لا يصبغون فخالفوهم)[1]. وفي رواية أخرى عند الترمـذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صـلى الله عليه وسلم: (غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود)[2].

7- ما رواه الشـــيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قـال: قـال رسـول الله- صـلى الله عليه وسـلم: (خـالفوا المشركين, احفوا الشوارب وأوفوا اللحى)[3].

8- ما رواه أبو داود وغيره عن شداد بن أوس عن أبيه قـال: قـال رسـول الله- صـلى الله عليه وسـلم: (خـالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم)[4].

فالمقصود في إيراد هذه النصوص بيـان الأمر بمخالفة اليهود والنصارى والمشـركين وأنه أصل من أصـول الـدين؛ وذلك ليتبين استقلال الدين الإسلامي عن غيره من الأديـان الباطلـة؛ وليعلم المسـلم أن الله سـبحانه وتعـالى أعـزه وأكرمه فجعله في أمة هي خـير الأمم, وشـرع لأمته أفضل الشرائع, وبعث لهذه الأمة أفضل الكتب, وأرسل لها أفضل الرسل, فـأنى لمن خصه الله بهـذه المزايا أن يبتغي العـزة في غيره (المنافقون: 8).

رابعا: تحذير الناس من الوثنيات وبيان حكم الله فيها

محاربة الإسلام للوثنية:

من المعلوم من الـدين بالضـرورة أن رسـالة الإسـلام هو توحيد الله سبحانه وتعالى والخلوص من الشرك وأهلـه, ومن أجل هـذا الهـدف السـامي أرسـلت الرسل وأنـزلت الكتب, قال تعالى: (النحل:36) وقال جل

---

1 (3) سبق تخريجه ص459.
2 (4) سبق تخريجه ص459.
3 (5) سبق تخريجه ص460.
4 (1) سبق تخريجه ص460.

وعلا: [illegible] (الزمر:65).

ولما كانت الوثنية هي عبادة الآلهة الأخرى من دون الله بشتى أنواعها علم عدم وجود التوافق بين الإسلام والوثنية, فالإسلام يدعو بتعاليمه وشرائعه إلى عبادة الله وحده بينما تدعو الوثنية إلى عبادة غير الله.

فعلى أساس هذا التعارض تؤكد الحنيفية السمحة لأتباعها وكل من ينتمي إليها أن العلاقة بينها وبين الوثنية علاقة عداء ومحاربة وليست علاقة محبة وموالاة.

وكما ينهى الإسلام عن الوثنية بجميع أصنافها وكذلك ينهى عن الجاهلية وما كان عليه أهلها من الأخلاق والسلوك, وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تحذر المسلمين من الوثنية والاقتداء بأهلها في أي حال من الأحوال؛ وذلك أن عبادتهم شرك وأعمالهم رجس, كما هناك نصوص أخرى تنفرهم من اتباع كل ما خالف الإسلام مما عليه أهل الجاهلية من العادات والتقاليد وأساليب الحياة وأنماط السلوك.

ومن تلك النصوص قوله تعـالى: [illegible] (الحج:30).

وقوله تعالى: [illegible] (المائدة: 90).

وقوله جل شأنه متحدثا عن إبـراهيم عليه السـلام: [illegible] (الأنعام:74).

وقوله جل وعلا: [illegible] (العنكبوت:17).

فتـبين مما سـبق أن الوثنية يتعـارض مع ما يـدعو إليه الإسلام, فيتحتم عندئذ على أهل الإسلام الالـتزام بما يـدعو إليه دينهم عقيدة وعبادة وسلوكا وأخلاقا.

ومما ينبغي العناية به في هذا الصدد ذكر الأمـور الـتي يمكن أن تسـاعد المتـأثرين بالوثنية أو المتوقع تـأثرهم بها على تجنب هذا المرض, فمن تلك الأمور:

1- الاهتمـام بالمسـلمين الجـدد والمسـارعة بتعليمهم مبادئ الإسلام:

فينبغي أن يعتـني العلمـاء وطلبة العلم بمن يعتنق الإسـلام من غـــير المســلمين ســواء كــانت ديانته الســابقة هي النصـرانية أو الوثنيـة؛ وذلك أن كلا من هـاتين الـديانتين لها طقـــوس تعبدية يمارســها أهلهــا, ولو دخل نصـــراني في الإسلام ولم يجد من يسرع إلى تعليمه بـأن محمـدا- صـلى الله عليه وسـلم- ليس إلا رسـول الإسـلام, ولعله يفكر في دعائه مع الله تعالى كما كان يفعل مع المسيح عيسى عليه الســلام في نصـــرانيته؛ لأن جل من يعتنق الإســلام من النيجيريين الكفار لا يعرف الكثير عن الإسلام.

هــذا بالإضـافة إلى كــون الإنســان يصـعب عليه غالبا مغادرة ما تعوّد عليه لمدة طويلــة, فيحسن المسـارعة إلى تعليم هـؤلاء مبـادئ الـدين الجديد مع توضـيح ما يمكن أن يخـرجهم منه ويفقـدهم سـعادة الـدارين. فلو علم المسـلم الجديد أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان السـتة جملة وتفصـيلا لكفى ذلك قواعد له ترشـده في مسـيرته الحياتية في دائرة الدين الجديد.

2- إقامة فريضة الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الاهتمام بهذه الشـعيرة من شـعائر الـدين الحـنيف مما يرفع مكانة المســلمين ويطهر مجتمعهم؛ فـأي أثر من آثار الوثنية والجاهلية يمكن أن يتأثر به المسلم في مجتمعه لا شك أنه سيقل مع وجود الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

والأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر شــعيرة عظيمة من شــعائر الإســلام, يــدل على عظمتها أنها من أوصــاف الأمة الإسلامية التي اسـتحقت بها الخيرية على الأمم, قـال تعالى: [illegible] (آل عمران:110).

كما أن بني إسرائيل قد اسـتحقوا اللعن بـتركهم لهـذه الشعيرة, قال تعالى: [illegible]

(المائدة:78, 79).

فقد لوحظ بـأن ما يتـأثر به بعض مسـلمي نيجيريا من رواسب الوثنية الموروثة والجاهلية الممقوتة كان أكثره في الجــانب العقــدي مثل دعــاء غــير الله والــذبح لغــير الله وتقـديس الأشـخاص والتـبرك بهم والمشـاركة في الأعيـاد الجاهليـــة, فلو اهتم المســـلمون في المجتمـــع- كل على حسب اســـتطاعته- بتوجيه الجاهل إلي ما ينبغي عليه فعله من أمــور دينه والإنكـار على من أخطأ وتصـويبه لتحسـنت الحال.

خامسا: بيان بأن الدين اتباع المشروع

والمشروع ما شرعه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسـوله- صـلى الله عليه وسـلم؛ ولـذلك لا يمكن اتبـاع ما شرعه الله بوجه من الوجوه إلا بموافقة رسـول اللـه- عليه الصلاة والسلام- فيما يأتي ويذر.

وأما اتبـاع الهـوى وما تشـتهيه الأنفس فإنه من أعظم عوائق اتباع سبيل الهدى وأهم أسباب الانحراف عن الحق، بل إن جميع البــدع والمعاصي إنما تنشأ من تقــديم الهــوى على النص الصـحيح؛ وذلك لأن من طبيعة النفس البشــرية أنها تميل وترغب فيما تهـوى وتحب، ويصـعب على صـاحبها صــرفها عن ذلك وبخاصة إذا كــانت قد تعــودت عليه ما لم يقوَ إيمانه ويصلب يقينه، بل إن كل من لم يتــابع الرســول- صــلى الله عليه وســلم- ويســتجب له فيما جــاء به فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب واتبع الهوى.

والحقيقة أن اتباع الهوى مرض قلبي خطير به حــرفت الأديان وغيرت السنن وذهبت القيم, وتحـولت العـادات إلى عبادات, والخزعبلات إلى كرامات, والــديانات إلى طقــوس وضلالات؛ ولـذا فـإن الانحرافـات الناتجة عن متابعة الهـوى أشد جرما وإثما عند الله لأنه لا يـرجى من صـاحبه خـير ولا

يؤمل منه رجوع إلى الحق إلا من رحم ربـك, وقليل ما هم, وباتباع الهوى خرجت الخوارج ورفضت الروافض, وتشيعت الشيعة, ونبتت الجهمية وظهرت المعتزلة وألحدت المرجئة ونفت القدرية وضلت الجبرية, وتفرقت الأمة حـتى صـارت شـيعا وأحزابا كل حـزب بما لـديهم فرحـون. فكم حـرف الهـوى من شـرائع وبـدل من ديانـات, وأوقع الإنسـان في ضلال مبين[1].

ولما كان اتباع الهوى بهذه الخطورة نجد النصوص قد توافرت في ذمه والتحذير منه.

النصوص الواردة في التحذير من اتباع الهوى:

لقد ذم الله عز وجل اتباع الهـوى في آيـات كثـيرة من كتابه, كما حذر رسول الهدى- صـلى الله عليه وسـلم- أمته منه في أحاديثه الشريفة, فمن الكتاب:

قوله تعالى: [illegible] (الجاثية: 23).

وقوله تعالى: [illegible] (المؤمنون: 71).

وقوله تعالى: [illegible] (القصص:50).

وقوله تعالى: [illegible] (النجم:23).

وقوله تعـالى: [illegible] (الأعراف: 175, 176).

وقوله تعالى: [illegible] (النازعات: 40, 41).

ومن السنة:

---

[1] (1) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار ص 134.

ما رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه)[1].

وما رواه الترمذي عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت, والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله)[2].

وما رواه أبو داود عن المقداد بن معد يكرب عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه, لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه, وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)[3].

ومن الآثار الواردة عن السلف:

قول ابن عباس: "كل هوى ضلالة"[4].

وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء"[5].

---

1 (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب- ص702 برقم (144) عن حذيفة بن اليمان.

2 (2) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب صفة القيامة- باب حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت- 1899 برقم (2459), وابن ماجه في سننه- كتاب الزهد- باب ذكر الموت والاستعداد له- ص2735 برقم (4260), وأحمد في المسند 4/124, والحاكم في المستدرك 4/280 عن شداد بن أوس, قال الترمذي: حديث حسن, وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي في التلخيص.

3 (3) سبق تخريجه ص597.

4 (4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة تأليف هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي 1/146. ورواه عبد الرزاق في المصنف 11/126 برقم (20102).

5 (5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 1/147.

وقــال الشــعبي: "إنما ســـميت الأهـــواء لأنها تهـــوي بصاحبها في النار"[1].

وقــال طــاووس: "ما ذكر الله هـــوى في القـــرآن إلا عابه"[2].

وروي عن الحسن أنه كــان يقــول: "لا تجالســوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم"[3].

فلم يكن الإســلام يـــذم الهـــوى وأهله المتبعين له إلا لتعارضه مع شرعه المطهـر؛ ذلك أن الإسـلام ديننا الحـنيف مبني على أصــلين مهمين: أحـــدهما أن نعبد الله وحـــده لا شريك له, والثانى أن نعبده بما شرعه على لسان رســوله. فالتعبد لله بما شرعه على لسان رسوله هو الذي يعبر عنه بالاتبــاع, فيجب على المــرء المســلم تصــديق النــبي- عليه الصــلاة والســلام- وطاعتــه, واجتنــاب ما نهى عنه وعــدم مخالفته, كما يجب التحاكم إليه والرضى بقضـائه والتسـليم له.

فالمتبع دائما يسير وراء متبوعه حسا ومعـنى ويقتــدي به في أفعاله ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه, ويلتزم بطاعته في القـــول والعمـــل, ولا ينازعه برأيه وعقله[4]. وإذا كـــان الأمر كما قلنا فيجب على من كـانت غايته رضا الله والــدار الآخرة ألا يسلك طريقا إلا الذي سلكه نبي الهدى- صــلوات الله وســـلامه عليـــه- فلا ســـبيل يوصل إلى تلك الغاية المقصــودة إلا الــذي ســلكه؛ إذ "الطريق إلى الله عز وجل مسدود على خلق الله تعالى, إلا على المقتفين آثار رســول الله- صلى الله عليه وسلم- والتابعين لسنته"[5].

ومما ورد من الأدلة على وجــوب اتباعــه- صــلوات الله وسلامه عليه:

1- النصــوص الصــريحة الآمـرة بطاعته واتباعـه, ومنها قوله تعالى: [illegible]

---

1 (6) المرجع السابق 1/147.

2 (7) المرجع السابق 1/147.

3 (1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 1/150.

4 (2) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص36.

5 (3) تلبيس إبليس ص19.

(الأنفـال:20), وقوله تعـالى: (آل عمران:132).

2- أن الله تعالى جعل الاهتداء إلى الصراط المستقيم نتيجة لطاعته واتباعـــه, وذلك في قوله جل وعلا: (النور:54).

3- أن الله جعل طاعته سـببا لـدخول الجنـة, فعن أبي هريـــرة رضي الله عنه أن رســـول الله- صـــلى الله عليه وسلم- قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى). قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة, ومن عصاني فقد أبى)[1].

4- أن طاعته طاعة لله وعصـيانه عصـيان للـه, ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صـلى الله عليه وســـلم- قـــال: (من أطـــاعني فقد أطـــاع الله, ومن عصاني فقد عصى الله)[2].

5- نفي الإيمـان عمن لا يتحـاكم إليـه- صـلى الله عليه وسلم- ويرضى بقضائه ويسلم له, قال تعالى: (النساء:65).

6- أن من عمل عملا يخالف طريقه وليس عليه أمره- عليه الصـلاة والسـلام- فعمله مـردود عليه لا يقبـل, ففي الحديث: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [3], وفي رواية: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[4].

فيتبين من خلال الأدلة السابقة أن الدين بالاتبـاع, وأن الاتبـــاع يكـــون بموافقة النـــبي- صـــلى الله عليه وســـلم- ومتابعته في ســـنته قـــولا وعملا وتركـــا, فـــالحلال ما أحل والحرام ما حرم والدين ما شرع.

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة.

2 (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتـاب الأحكـام- بـاب قـول الله تعـالى: - , ومسلم في صحيحه برقم (1835) عن أبي هريرة.

3 (3) سبق تخريجه ص43.

4 (4) سبق تخريجه ص43.

أما اتبـــاع الهـــوى فهو أخذ القـــول والفعل الذي يحبه الإنسان ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله[5], وهو عين ضـلال لا هداية فيــه, كما قـال تعـالى: [illegible] (القصص:50).

سادسا: نشر الحق الواضح وكشف شبهات الملبسين وفضحهم

ما دمنا عرفنا بأن مهمة الملبسين أهل الأهواء هي إظهار الباطل للناس في صورة الحق, فإنه ينبغي على كل مصلح أن يتبع الخطوات التي تؤدي به إلى تخليص الناس من هذه الفتن, فمن تلك الخطوات- حسب فهمي- ما يأتي:

1- تعريف النـــاس بحقيقة الـــدين الإســـلامي عقيدة وشريعة والتركيز على ذلك:

من المعلـوم أن الإنسـان إذا كـان خـالي الـذهن من قضـية معينة فـإن أول ما يتطــرق إلى ذهنه هو المحتمل أن يقتنع به ويظهر كحقيقة ثابتة لديـه, فما دمنا عرفنا بـأن أكـثر من يؤثر فيهم أهل الأهواء هم جهال المسـلمين, فـالواجب إذن من قبل من يريد الإصــلاح ويــرغب في إنقــاذ النــاس من قبضة الملبسـين هو المسـارعة إلى تعليمهم الخـير والـدين الصحيح؛ ليسبق المتبعين لهواهم, ويكون أول ما يـدخل في أذهان الجهـال هو الـدين الصـحيح, يصـلهم بيضـاء نقيـة, ثم يترسخ في عقولهم, حتى يكـون أي شـيء جـاء بعـده غريبا تنكره الأذهان.

فينبغي أن يعلم جهال المسلمين معنى الإسلام أنه هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقيـاد له بالطاعة والخلـوص من الشـرك وأهلـه, كما ينبغي تعليمهم معـاني أركـان الإسـلام ركنا ركنا وعلى رأس تلك الأركان الشهادتان.

فإنه يجب على كل مسلم معرفة معـاني شـهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسـول اللـه؛ لأن فهم هـذين الشـهادتين يعتـبر مما لا يسع المسـلم جهلـه, فإنهما أفضل

---

[5] (5) مجموع الفتاوى 4/189.

أركـان الإسـلام على الإطلاق, وبهما يحقق المسـلم فحـوى كلمة التوحيد, فيجب فهم هاتين الشهادتين فهما صـحيح مع العمل بمقتضاهما.

2- كشف أهم الشـبهات الـتي يلبس بها أهل الأهواء على الناس:

لم يكن أصـحاب الأهـواء يلبسـون على من يلبسـون عليهم إلا من خلال أمـــور اتخـــذوها حججا وبـــراهين وفي حقيقة الأمر هي شـبهات مجـردة؛ ولـذلك أرى أن من أمثل السبل وأنجح الطرق لتخليص المسلمين من فتنة هـؤلاء أن تكشف شـــبهاتهم الــتي يســتندون عليها وينطلقــون منها لإظهار الباطل في صورة الحق.

ومن أهم ما يلبس به علمـــاء الســـوء على جهـــال المســلمين التأكيد لهم بــأن الــدعاء لا يســتجاب منهم إلا بالواسطة وأن العلمـاء هم الواسـطة بين النـاس وبين الله جل وعلا دعـاهم إلى القيـام بهـذا الفعل الشـنيع الخضـوع لشـهوات النفس والهـوى والشـيطان؛ ولـذلك تجد هـؤلاء الجهال لا يقطعون بشيء من أمورهم الخاصة إلا بعد إخبـار من اتخـذوهم زعمـاء روحـانيين واستشـارتهم, وإذا حـزب هؤلاء الناس أمر ذو بـال فـإن زعمـاءهم هم الـذين يتولـون ذلك عنهم. فينبغي تعليم هـؤلاء الجهـال بـأن الله تعـالى لم يشـترط وجـود واسـطة بينه وبين خلقه مهما كـان بل على العبد أن يتوجه إلى ربه مـتى شـاء وأين شـاء, وحين نقـرر ذلك فإننا لا ننكر شـــرعية طلب المســـلم من أخيه أو من يـراه أتقى منه أو أكـثر منه تعبـدا أن يـدعو لـه؛ لأن دعـاء المسـلم لأخيه المسـلم في ظهر الغيب مسـتجاب, إلا أن الأصل توجه المـرء إلى ربه بالـدعاء لنفسه وليس شـرطا تكليف شـخص يـراه أقـرب منه إلى الله بالـدعاء له لقوله تعالى: [illegible] (البقرة:186).

أما الفئة الثانية من أهل الأهـواء وهم الصـوفية فـإن حيلتهم التي ينتفعون منها للتلبيس على أتبـاعهم ومريـديهم بل وعامة الناس هي إظهار أنفسهم مظهر من بلغـوا أرقى مرتبة في العلم والعبـادة والصـلاح والتقى, والـتي لا يمكن

أي تــابع أو مريد أن يبلغ مثلهــا؛ ونتيجة ذلك أنك تجد أتبــاع مشايخ الصوفية ومريديهم يقدسون مشايخهم أيما تقديس, فيتوسلون بذواتهم وجاههم, وتبركون بذواتهم وآثــارهم, كل ذلك في حياتهم, وإذا مـاتوا لا يـزال ذلك التقـديس ميتمـرا, فتجـــدهم يبنـــون على قبـــورهم أو يزينونها بطريقة خاصة تجعل من يزورها يشـــعر بنـــوع من القداسة وعلو المنزلة للمـــدفونين في تلك القبـــور, فيتمسح الجهـــال بقبـــورهم وينـذرون لهم ويصـلون عند قبـورهم معتقـدين بـأن الصـلاة عندها أفضل من الصلاة في بيوت الله تعالى.

هذا ملخص ما جره مشايخ الصوفية من الــويلات على أتباعهم ومريديهم, يقـدمون لهم ما يحصل به العقـاب بـدل ما ينال به الثواب ولم يدر المساكين قبح ما يرشدونهم إليه بل يظنـون بـأنهم أرادوا بهم الخـير ويـدلونهم على التمسك بأسباب نيل سعادة الدين.

ولبيــان كيد هــؤلاء وإبطــال حيلتهم نقــول بأنه لا يوجد واحد من أنبيــــاء الله ورســــله عليهم أفضل الصــــلاة وأتم التسليم يـأمر أتباعه أو الـذين بعث إليهم بعبادتـه, بل كـانوا ينهـون أممهم عن التوجه بالعبـادة إلى غـير الله ويكـررون كما قـال تعـالى عنهم: (اعبـدوا الله ما لكم من إله غـيره), وعلى رأسهم نبينا محمد- صلى الله تعالى عليه وسلم, فهو خير الأنام وأفضل ولد آدم على الإطلاق, وإمـام المرسـلين وأكرم خلق الله على الله, لكن مع كل هذه الممـيزات فإنه لم يكن يســمح للنــاس بدعائه أو الاســتغاثة به حفاظا منه على جنـاب الوحيد كيلا تشـوبه أدنى شـائبة, بل كـان ينهى عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الشرك بالله صغيرا كـان أو كبيرا, فينهى عن إطرائه- عليه الصـلاة والسـلام, ويحـذر من اتخاذ قـبره عيـدا, كما يحـذر من اتخـاذ القبـور مسـاجد والبناء عليها.

فمنهجـــه- عليه الصـــلاة والســـلام- أنه كلما ارتفعت درجته وعلت مكانته عند ربه كلما ازداد تقربا إليه وتواضــعا لــه, وهكــذا ينبغي أن يكــون العلمــاء وكل من انتسب إلى العلم الشرعي حتى يكونوا في الحقيقة ورثة الأنبياء.

والخلاصة أن إلـزام النـاس باتخـاذ زعمـاء روحـانيين يدعون الله لهم ويسـألونه لهم حـاجتهم وكـذلك جعل بعض النـاس أنفسـهم في موضع القداسـة, كل ذلك يخـالف دين الله سبحانه وتعالى, وكل ما خالف شـرع الله وحكمه ودينه فهو هـوى وليس بهـدى, وإن أدنى انحـراف عن الصـراط المسـتقيم يـؤدي بصـاحبه إلى الضـلال؛ ولـذلك تجد الـذين يجعلون أنفسهم زعماء روحانيين للناس اضطروا أن يعملوا السحر والشعوذة لأنهم يريدون أن يلبـوا حاجـات قاصـديهم ويقدموا لهم بغيتهم, وكذلك فعل مشـايخ الصـوفية تعـاطوا السحر والشعوذة لأنهم يرغبون في إظهار الكرامـات ليقبل هؤلاء السذج أنهم بالفعل هم أولياء الله ومكـانتهم عند الله مرموقة.

سابعا: كشف خطط المستعمرين وأتباعهم وتحذير المسلمين من التمسك بالأفكار الواردة من دول الكفر والإلحاد

إذا كنا قد قبلنا بأن الاستعمار سبب من أسـباب وقـوع بعض مسلمي نيجيريا في الانحراف العقدي من خلال ما تم استعراضه من الأدلة والـــــبراهين يبقى أمامنا البحث عن ســبل الخـــروج من قبضة المســتعمرين أعـــداء الملة المحمدية, فأول علاج نـاجع لهـذه المشـكلة- حسب علمي- هو بيان قبح تلك الطريقة التي يسلكها الاسـتعمار للوصـول إلى أهدافه الخبيثة وتعارضها مع ديننا الإسلامي.

فما من شك بـــأن التعصب القبلي الـــذي يؤيـــده الاســتعمار ويــدعو إليه قد أدّى إلى مــوالاة الكفــار من النصارى والوثنيين واتخـاذهم بطانـة, والاستنصـار بهم على من اعتـبروا أعـداء من المسـلمين, وفي هـذا من الفسـاد الكبـير ما هو معلـوم؛ لأن الـدعوة إلى العصـبية من دعـوى الجاهليـة, وكم جـرت دعـوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحــروب طاحنــة، وقودها النفــوس والأمــوال والأعــراض، وعاقبتها تمزيق الشــمل وغــرس العــداوة والشــحناء في القلــوب, والتفريق بين القبائل والشــعوب. يقــول شــيخ الإســلام ابن تيمية رحمه اللــه: "كل ما خــرج عن دعــوى

الإســلام والقــرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مــذهب أو طريقة فهو من عــزاء الجاهليــة، بل لما اختصم مهــاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصــار، قــال النــبي- صــلى الله عليه وســلم: (أبــدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟) وغضب لذلك غضبا شديدا[1][2].

وأما الوثنية الــتي يحييها الاســتعمار ويعيد النــاس إليها باسم عــادات الأجــداد وتقاليــدهم الــتي لا ينبغي أن تنسى فإنها ديانة المشركين, وقد وردت نصــوص الكتــاب والســنة تحــذر المســلمين من أعمــال أهل الشــرك عقيــدة وعبــادة وسلوكا, ومن أفضل ما ورد في ذلك التحــذير ما وجهه الله سبحانه وتعالى من أوامر صارمة ومكررة لنبيــه- صــلى الله عليه وســلم- طالبا منه إعلان الــبراءة من الشــرك وأهله لهؤلاء المشــركين, وذلك في قوله جل وعلا: (الكافرون:1-6).

فــدعوة المســتعمرين وأتبــاعهم من أبنــاء نيجيريا إلى الاهتمــام بالعــادات والتقاليد القديمة إن هي إلا دعــوة إلى الوثنية وإن لبســوها ما لبســوها من الغطــاء المزخــرف, فيجب على كل مسلم التنبه لها.

وهناك أمــور أخــرى ينبغي تنبيه المســلمين لها وخاصة الشباب مما قد يكــون من وســائل علاج للانحــراف العقــدي الذي يسببه الاستعمار وأذنابه, منها:

1- الحــذر من قبــول الأفكــار الــواردة من دول الكفر والإلحــاد؛ إذ قد لعب أعــداء الــدين من خلف المســتعمرين بعقول الكثير من شــباب المســلمين في نيجيريا فــأدخلوهم بالتدرج في الجمعيات الســرية الكفرية مثل جمعية روتــاري اليهودية باسم الســلام والإخــاء؛ ولــذلك ينبغي للشــاب المسلم أن لا يغتر بتلك الأفكار الوافدة من دول الكفر وإن حملت أسماء براقة وظهرت شعاراتها بأقوال مزخرفة.

---

[1] (1) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والأدب- باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما- ص1130 برقم (2584) عن جابر بن عبد الله.

[2] (2) مجموع الفتاوى 28/328-329.

2- عدم قبول الأحكام التقريرية والنظريات التي تقدمها المذاهب على أنها حقائق علمية مسلمة, وإن تسترت باسم العلم, إلا بعد فحصها ومناقشتها وتحليلها باليقظة التامة[1].

3- تحصين الشباب المسلم تحصينا فكريا مبنيا على العقيدة الصحيحة الخالية من شوائب الشرك, وخاصة تلك الفئة من الشباب أصحاب التخصصات العصرية الدارسين في الجامعات النيجيرية.

ومن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى على الأمة المحمدية أن حذرهم من اتباع دعاة الضلال, قال تعالى: [illegible] (البقرة: 120).

كما حذر النبي- عليه الصلاة والسلام- أمته من اتباع هؤلاء المضلين.

فقد روى البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في الجاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير, فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم). قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم, وفيه دخن). قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي, تعرف منهم وتنكر). قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم, دعاة إلى أبواب جهنم, من أجابهم إليها قذفوه فيها). قلت: يا رسول الله صفهم لنا! فقال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا). قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم). قلت: فإن لم يكن لهم جماعة

---

1 (1) الانحراف في الاعتقاد أسبابه ومظاهره وعلاجه في الإسلام 1/155, رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية بمركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية, إعداد الطالب سليمان بن محمد سعيد بن إبراهيم العوفي, إشراف الدكتور أحمد بن ناصر الحمد, 1409هـ- 1989م.

ولا إمــام؟ قــال: (فــاعتزل تلك الفــرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[1].

المبحث الثاني
أساليب[2] علاج الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

أولا: إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه:

وقد استخدم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هذا الأسلوب في بعض المواقف في تعامله مع المخطئين, ومن أمثلة ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال: يا رسول الله ما شاء الله وشئت, فقال: (جعلتني لله عدلا, بل ما شاء الله وحده)[3].

وإني لأرى أن هذا الأسلوب يصلح جدا لإرشاد بعض مسلمي نيجيريا إلى الصواب فيما يقعون فيه من التوسل

---

1 (1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الفتن- باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة, ومسلم في صحيحه برقم (1847) عن حذيفة.

2 (1) استفدت في هذا المبحث من علم الشيخ محمد صالح المنجد في كتابه "الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس", ط/الأولى 1417هـ, دار الوطن للنشر- الرياض.

3 (2) سبق تخريجه ص266.

غير المشروع مثل التوسل بالنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- وغيره من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ثانيا: إنكار موضع الخطأ وقبول الباقي:

يصلح استخدام هذا الأسلوب إذا كان القول أو الفعل الذي صدر من المخطئ ليس كله خطأ, فنقتصر في الإنكار على موضع الخطأ فقط, ولا نعمم كل قوله أو فعله بالتخطئة, وهذا الذي تقتضيه الحكمة في إنكار المنكر.

وقد استخدم المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه- هذا الأسلوب في بعض المواقف لإنكار المنكر. مثال ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال: يا محمد, يا سيدنا, وابن سيدنا, وخيرنا وابن خيرنا, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس, عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان, أنا محمد بن عبد الله, عبد الله ورسوله, والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)[1].

مثال آخر ما أخرجه البخاري في صحيحه عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: جاء النبي- صلى الله عليه وسلم- فدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني, فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من أبائي يوم بدر, إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد, فقال: (دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين)[2].

وفي رواية ابن ماجه: فقال: (أما هذا, فلا تقولوه. ما يعلم ما في غد إلا الله)[3].

ومن الحالات التي يصلح فيها استخدام هذا الأسلوب النبوي الرشيد بعض المواقف التي يخطئ فيها المسلمون بالخلط بين أعمال هي من السنة وأخرى بدعة, مثال ذلك بعض المسلمين الذين يجتهدون في ذكر الله تعالى لكن بطريقة جماعية, فيبين لهم أن ذكر الله عمل مشروع ومن أجلّ العبادات, لكن أداءه بتلك الطريقة يجعله بدعة. ومن

---

[1] (3) سبق تخريجه ص251.

[2] (1) سبق تخريجه ص171.

[3] (2) سبق تخريجه ص265.

الأمثلة على ذلك أيضا ما تقوم به بعض الجمعيات الإسلامية التي تسمى بجمعيات الصلاة على النبي ومهمتها الاجتماع للصلاة على النبي بشكل جماعي وبأعداد محددة وصيغ غير التي وردت في السنة, فننكر على هؤلاء هذه الطريقة التي يسلكونها في الصلاة على نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- مع بيان لهم أن أصل فعلهم صحيح ومشروع لأنه عبادة, إلا أن العبادة يشترط في فعلها متابعة سنة المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه- وسنة أصحابه عليهم رضوان الله أجمعين.

ولا شك أن مثل هذا الأسلوب يشعر المخطئ بإنصاف وعدل القائم بالإنكار والتصحيح, ويجعل تنبيهه أقرب للقبول في نفس المخطئ, بخلاف بعض المنكرين الذين قد يغضب أحدهم من الخطأ غضبا يجعله يتعدى في الإنكار, يصل به إلى تخطئة ورفض سائر الكلام بما اشتمل عليه من حق وباطل, مما يسبب عدم قبول كلامه وعدم انقياد المخطئ للتصحيح.

ثالثا: إظهار الغضب من الخطأ:

ينبغي للداعية إلى الله أن يكون غضبه لله اقتداء برسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه, وقد قال عنه الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه: ما رأيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- انتقم لنفسه من شيء قط إلا أن ينتهك لله حرمة, فإن انتهكت لله حرمة كان أشد الناس غضبا لله[1].

فكان غضبه- عليه الصلاة والسلام- دائما إذا انتهكت حرمة الله, وخاصة إذا كان الخطأ له علاقة بالأمور الاعتقادية, ويدل على ذلك أمثلة كثيرة, منها:

ما رواه ابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون في القدر, فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب, فقال: (بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟

[1] (1) جزء من حديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 9/71, والمعجم الصغير 2/243, عن أنس بن مالك, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (507).

تضربون القرآن بعضه ببعض, بهذا هلكت الأمم قبلكم).
قال: فقال عبد الله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه[1].

ومنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه النبي- صلى الله عليه وسلم- فغضب فقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به, والذي نفسي بيده, لو أن موسى- صلى الله عليه وسلم- كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني[2].

وأمثلة هذا كثيرة جدا في أفعاله- عليه الصلاة والسلام- فإنه لا يسكت عن الخطأ, ولا يؤخر البيان عن وقت الحاجة, ويغضب إذا احتاج الموقف إلى ذلك لكن غضبه كله لله إذا انتهكت حرمته جل وعلا, وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله.

إن انفعال الداعية المتوازن مع الخطأ عند حدوثه أو رؤيته أو سماعه بحيث يرى ذلك في وجهه ويعرف في صوته وأسلوبه هو علامة حياة في القلب ضد المنكر وعدم السكوت عليه حتى تقع في قلوب الحاضرين الرهبة من ذلك الخطأ ويعمل الكلام وقت الانفعال في النفوس عمله المؤثر, هذا بخلاف كتم الأمر أو تأخيره فربما يبرد أو يزول أثر التعليق.

رابعا: هجر المخطئ:

---

1 (2) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب السنة- باب في القدر- ص2482 برقم (85), وأحمد في مسنده 2/178 عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده, وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص288.

2 (3) أخرجه أحمد في مسنده 3/387, وابن أبي شيبة في المصنف 5/312, والبيهقي في شعب الإيمان 1/199 عن جابر بن عبد الله, حسنه الألباني في إرواء الغليل 6/34 وقال: "وهذا سند فيه ضعف من أجل مجالد وهو ابن سعيد الهمداني. قال الحافظ في التقريب: ليس بالقوي, وقد تغير في آخر عمره" ثم قال: "لكن الحديث قوي فإن له شواهد كثيرة أذكر بعضها" فذكرها.

وهذا أسلوب من أساليب الدعوة إلى الخير وتصحيح الخطأ التي تمثل نوعا من الضغط النفسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي على المهجور ليحس بأن ما فعله أمر غير مرغوب فيه شرعيا واجتماعيا, وأنه أصبح في المجتمع نشازا ومصدر أذى.

فالهجر إذن ليس مقصودا لذاته وإنما هو إجراء علاجي تأديبي لمنع المخطئ من مقارفة خطئه ومنع العامة من الاقتداء به, فمتى تحققت هذه الغاية بوجود الفيئة منه كف عن هجره, ويفعل من الهجر ما يحقق هذه الغاية بأقرب الطرق وأيسرها, أما إذا كان الهجر لا يحقق شيئا فإنه لا فائدة منه, بل إذا كان يأتي بما يضاد هذه الغاية حيث يزيد المهجور فسادا فإنه يمتنع من فعله[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإذا كان يحصل بهذا الهجر حصول معروف أو اندفاع منكر فهو مشروع, وإن كان يحصل به من الفساد ما يزيد على فساد الذنب فليس مشروعا"[2].

ومما يحسن التنبه له في هذا الأسلوب حتى يكون نافعا ومفيدا أن يكون الهاجر والمعرض له مكانة في نفس المهجور, وإلا فلن يكون لهذا الفعل أثر إيجابي عليه بل ربما يشعر أنه قد استراح.

ويصلح مثل هذا الأسلوب غالبا لعوام الناس من المسلمين إذا وقعوا في أخطاء عقدية؛ لأنهم في الغالب لا تكون عندهم شبهات يحتجون بها بخلاف بعض أهل الأهواء ممن ينتسبون للعلم.

خامسا: الحوار والمناقشة:

ينبغي للدعاة إلى الله سلوك أسلوب الحوار والمناقشة في تصحيح الأخطاء العقدية عند من يقع فيها وخاصة إذا كان المخطئ ممن عندهم شبهات في المسألة,

---

1 (1) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى تأليف الدكتور عبد الله بن رشيد بن محمد الحوشاني 2/506-507, ط/ الأولى 1417هـ- 1996م, مركز الدراسات والإعلام, دار إشبيليا.

2 (2) مجموع الفتاوى 28/216.

ويستفاد من خلال الجلوس والمناقشة معه معرفة منشأ المشكلة, فيجاب عن الشبهات لعل الله يفتح قلبه ويهديه إلى الحق والصواب.

وهذا الأسلوب من الأساليب النبوية الرشيدة في تصحيح أخطاء الناس وتغيير الأفكار الخبيثة التي يحملونها, فعن أبي أمامة قال: إن فتى شابا أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنى. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: (ادنه), فدنا منه قريبا, قال: فجلس. قال: (أتحبه لأمك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك, قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم). قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك, قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم). قال: (أتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك, قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم). قال: أتحبه لعمتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك, قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم). قال: (أتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك, قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم). قال: فوضع يده عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه, وطهر قلبه, وحصن فرجه). فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.[(1)].

فيلاحظ من خلال هذا الأسلوب النبوي الرفيع كيف أزال النبي- عليه الصلاة والسلام- تلك الفكرة الخبيثة عن ذهن الفتى, فأسلوب الحوار والمناقشة مفيد جدا إذا قصد الجانبان الوصول إلى الحق؛ لأنه ينتج من خلاله سبب الوقوع في الانحراف الذي نريد علاجه إما الجهل أو الشبهة, فإذا كان جهلا يعلّم الجاهل بالصواب, وإذا كان شبهة تناقش ويجاب عنها.

وقد استعمل هذا الأسلوب كثيرا الشيخ محمود أبو بكر غومي رحمه الله مع مشايخ الصوفية في حياته, ونفع الله به من أراد الله أن يهديه من هؤلاء المبتدعة إلا أن بعضهم لم يزده ذلك إلا عنادا وإعراضا عن الحق, وما زال بعض

---

[1] (1) أخرجه أحمد في مسنده 5/256, والطبراني في المعجم الكبير 8/162, 183 عن أبي أمامة, وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (370).

علماء السنة في نيجيريا إلى الآن يسلكون نفس الطريق مع من انحرف عن الصواب لإبراز الحق لهم وإرشادهم إلى سواء السبيل بالأدلة.

سادسا: بيان خطورة الخطأ:

إن العقيدة أساس الدين المتين, والإيمان مبني على أنواع التوحيد الثلاثة, فإذا انهدمت أو ضعفت انهدم البناء العقدي للإسلام أو ضعف وسرى هذا إلى كل المجالات الإسلامية.

ومن كان في معتقده فساد فلا بد أن يتأثر عمله تأثرا سلبيا فيسرى إليه الفساد, لأن العقيدة مرتبطة بالعبادة والسلوك[1], وهذا يحتم الاهتمام بالعقيدة حتى لا ينهدم البناء ولا تتأثر الفروع وحتى لا يفسد العمل.

ولما كانت العقيدة بهذه المكانة من الدين يجب الاهتمام بها غاية الاهتمام وبيان خطورة الأخطاء فيها, فقد كان رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- يسد جميع الذرائع المفضية إلى الشرك ويضيق منابعه ببيان الخطورة التي تترتب على الأخطاء في العقيدة سواء كانت قولية أو عملية, والأمثلة على هذا لا حصر لها في أحاديثه الشريفة.

فعن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا, ولا أكذب ألسنا, ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبت, ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله- صلى الله عليه وسلم! فبلغ ذلك النبي- صلى الله عليه وسلم- ونزل القرآن, قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب! ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول:

(التوبة:65, 66)[2].

فينبغي للداعية أن يبين خطورة الأخطاء العقدية وما يترتب عليها للناس فور وقوعهم فيها لتحذيرهم عنها,

---

[1] (1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم.

[2] (2) تفسير الطبري 6/408.

وخصوصا ما يتعلق بالأقوال فإنه يكثر فيها الأخطا العقدية عند الناس.

سابعا: تقديم البديل الصحيح:

فإنه من تقصير الداعية إذا أنكر على الناس بعض أخطائهم أن يكتفي بالتخطئة وإعلان الحرمة دون تقديم البديل أو بيان ما هو الواجب فعله. ومعلوم من طريقة الشريعة أنها تقدم البدائل عوضا عن الأشياء المحرمة, فلما حرمت الزنا شرعت النكاح, ولما حرمت الربا أباحت البيع, ولما حرمت الخنزير والميتة وكل ذي ناب ومخلب أباحت الذبائح من بهيمة الأنعام وغيرها وهكذا.

والمؤمن يتأدب بأدب الله تعالى, فينبغي للداعية إلى الله أن يفكّر في تقديم البديل كلما وجد بديلا مناسبا لما ينكره من الخطأ, وذلك أدعى إلى ترك المخطئ خطأه ويتمسك بالبديل الصحيح.

ومن الأمثلة على استخدام النبي- صلى الله عليه وسلم- هذا الأسلوب ما رواه حذيفة رضي الله عنه عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان, ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)[1].

وعن قتيلة امرأة من جهينة أن يهوديا أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت, وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة, ويقولون: ما شاء الله ثم شئت[2].

ثامنا: الترغيب والترهيب:

المقصود بهاتين الكلمتين هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة وتخويفهم من عقاب الله والنار, وهو أسلوب قرآني رفيع كثر استعماله في سوره وآياته, فالله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز قصص الأمم السابقة وتعاملهم مع الأنبياء والرسل الذين أرسلوا إليهم, فيذكر

---

1 (1) سبق تخريجه ص171.

2 (2) سبق تخريجه ص183.

تلك العاقبة الحميدة التي كانت للذين آمنوا واتبعوا المرسلين وما أعده لهم في الآخرة من الأجر الكبير, كما يذكر ما للذين كفروا وأعرضوا عن رسلهم من سوء العاقبة وما ينتظرهم في الدار الآخرة من العذاب الأليم؛ كل ذلك من أجل ترغيب الناس في الخير وتنفيرهم من الشر, والنفوس السوية مجبولة على حب الخير والشوق إلى النور والهدى والإحسان وعلى الخوف والفزع من عذاب جهنم.

ومن الأمثلة على استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: (الواقعة:27-44), وقوله تعالى: (الغاشية:1-16).

فيصلح استخدام هذا الأسلوب لعلاج الانحراف في مسائل توحيد الألوهية الذي يقع فيه بعض مسلمي نيجيريا, يبين لهم ذلك الخير الكثير الذي يجدونه في اتباع الحق والصواب ترغيبا لهم فيه, كما يبين لهم ذلك الخطر العظيم المغدق بهم إذا تمادوا في الانحراف عن الصواب.

تاسعا: الهدوء في التعامل مع المخطئ:

لقد أعطي رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- حظا عظيما في الخلق, قال عنه ربه جل وعلا: (القلم:4). فبفضل ما أعطي من الخلق العظيم وقد كان يتعامل مع من أخطأ في كثير من الأحيان بطرق لا يمكن أن يسلكها غيره في التعامل مع المخطئ, "فله من الأخلاق أطيبها وأزكاها كالحلم والوقار والسكينة والرحمة والصبر والوفاء وسهولة الجانب ولين العريكة والصدق وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد

والتواضـع وخفض الجنـاح لأهـل الإيمان"[1], وتتمثـل هـذه الأخلاق الطيبـة في تعاملـه- صـلى اللـه عليـه وسـلم- مـع صحابته الكرام, وخاصة مع من ارتكب خطأ في حضرته.

وهذا الأسلوب الحكيم يحدث أثرا بالغا في نفس المخطئ؛ إذ هو سيعيد النظر في خطئه وما قابله به المصحح له من التيسير وعدم التعسير والتنفير, وذلك أدعى لقبول الحق ورجوع المخطئ إلى دائرة الصواب.

وقد استخدم الرسول- عليه الصلاة والسلام- هذا الأسلوب الحكيم مع ذلك الأعرابي الذي بال في المسجد[2], وذكر ابن حجر رحمه الله بعض الفوائد المستنبطة من الحديث حيث قال: "وفيه الرفق بالجاهل, وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا, ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه, وفيه رأفة النبي- صلى الله عليه وسلم- وحسن خلقه"[3].

ويصلح مثل هذا الأسلوب في علاج الأخطاء التي يرتكبها بعض العلماء المحليين والمشايخ الكبار الذين لا يرون الاحترام عند التحية إلا بالانحناء أو القعود أو الجثو على الركبتين, فإذا أحسن الدعاة الجدد في التعامل معهم بالهدوء وحاولوا تغيير هذه العادات بالأدب وطيب المعاملة فسيقتنع هؤلاء الآباء والمشايخ بأن تلك العادات تخالف ما جاء به الدين الحنيف وأمر به الرسول- صلى الله عليه وسلم.

عاشرا: تهيئة النفوس لقبول النصيحة بذكر ما تحبه:

يحسن استخدام هذا الأسلوب إذا كان الشخص المراد نصيحته له محاسن في بعض الجوانب لكنه غفل عن الجانب الذي يراد توجيهه إليه, فيستخدم هذا الأسلوب ليكون تذكرة له وتنبيها إلى الجانب الذي يغفله, وبذكر تلك المحاسن التي يتمتع بها فإن نفسه تتهيأ لقبول الموعظة.

---

[1] (1) زاد المعاد 1/65.

[2] (2) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الوضوء- باب صب الماء على البول في المسجد- ص20 برقم (220) عن أبي هريرة.

[3] (3) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 1/431.

وقد استخدم رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- هذا الأسلوب في حالات كثيرة, منها حينما كان يعرض الإسلام على قبائل العرب, يدعوهم إلى الله وحده وأن لا يشركوا به شيئا, وينصروه ويصدقوه, [فأتى كلبا في منازلهم, فكلّم بطنا منهم يقال له بنو عبد الله, فجعل يدعوهم حتى إنه ليقول لهم: (يا بني عبد الله! إن الله قد أحسن اسم أبيكم, إني رسوله فاتبعوني حتى أنفذ أمره)] [1].

ومن تلك الحالات أيضا ما رواه أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أخذ بيده وقال: (يا معاذ والله إني لأحبك) فقال: (أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[2].

والثناء على المرء وذكر ما يحسنه مما يهيئ نفسه ويجعله مستعدا لقبول ما سيلقى عليه فيما بعد من النصيحة؛ وذلك أن حب الثناء مما جبلت عليه نفوس بني آدم, فما من أحد إلا ويحب أن يحمد على فعله الحسن, بل هناك من يحب أن يحمد على ما لم يفعل كما ذكر القرآن الكريم.

فالانحرافات التي يقع فيها بعض المسلمين فيما يتعلق بقراءة القرآن الكريم وغيره من الأذكار يمكن علاجها باستخدام هذا الأسلوب, حيث إن هؤلاء المسلمين لا يقعون فيما يقعون فيه من هذه الانحرافات إلا من حبهم لكتاب الله ولذكره جل وعلا في كل وقت وحين, فيذكّر هؤلاء بالخير الذي هم عليه بحبهم لكتاب الله والتعلق بذكره, ثم يتم تنبيههم أثناء ذلك وتوجيههم إلى الطريقة الصحيحة لقراءة كتاب الله وعمل الأذكار حتى يؤجر المرء الذاكر على عمله.

---

1 (1) السيرة لابن حبان 1/93.

2 (2) أخرجه أبو داود في سننه برقم (1522), والنسائي في سننه برقم (1303), وابن خزيمة في صحيحه 1/369, وابن حبان في صحيحه 5/364 عن معاذ بن جبل, وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (13929).

ومن الجوانب التي يمكن أن يكون هذا الأسلوب خير معين على علاج الانحراف ما يفعله بعض المسلمين من التبرك بذوات الصالحين وآثارهم بدعوى محبتهم لأولئك الصالحين, فتُهَيّأُ نفوسهم لقبول تصحيح الأخطاء التي وقعوا فيها بذكر الجانب الذي أحسنوا فيه وهو محبتهم للصالحين.

فاستخدام العبارة: "يا أخي! فيك خير وبركة, ولو فعلت كذا وكذا, أو لو تركت ما أنت عليه... لكان خيرا", استخدام مثل هذه العبارة في إرشاد من غلب فيه جانب الفسق على جانب الإيمان مما يليّن قلبه ويرفع نسبة إيمانه ويقلل نسبة فسقه وإن لم يزله نهائيا, فينبغي على الدعاة المصلحين الترحم على المخطئين والمذنبين والتلطف بهم, وعسى أن يهدي الله الجميع إلى سواء السبيل.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج:

أولا: في مباحث التمهيد:

1) وجود بعض العادات والتقاليد التي لم تتوافق مع الإسلام ورثها النيجيريون عن آبائهم وأجدادهم ونقلوها إلى الإسلام دون غربلة؛ فسبّب التمسك بتلك العادات بعض صور الانحراف في توحيد الألوهية.
2) أن الديانة الوحيدة التي يتدين بها أهل نيجيريا كلهم قبل الإسلام هي الوثنية.

ثانيا: في مباحث الباب الأول:

1) أن من أهم أعمال الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله أنه بذل كل ما في وسعه في سبيل القضاء على البدع المنتشرة في مجتمعه, وقد جاهد بقلمه, ولسانه, وأخيرا بيده, حتى أقام دولة إسلامية حملت على عاتقها أنقى الدعوات التي ظهرت جنوب الصحراء, وأقربها إلى العقيدة السلفية الصحيحة.
2) من أعماله أيضا تقرير بعض مسائل توحيد الألوهية مثل التبرك, والنذر, والذبح, والحلف, والخضوع, على حسب فهمه رحمه الله.
3) أن مما يؤخذ على الشيخ عثمان بن فودي أنه كان صوفيا قادري الطريقة, وكان يعتقد في التوسل بالنبي والولي, وكذلك فسر مقام الإحسان بالتصوف.
4) لا ينبغي إقرار الشيخ عثمان بن فودي على ما ظهر منه من البدع, ولا إباحة اتباعه على ذلك, وإنما يجب الإنكار عليه فيما يسوغ إنكاره مع مراعاة الأدب في ذلك, ويعذر كما يعذر غيره ممن أخطأوا في اجتهادهم؛ لكون أكثر من تلقى منهم العلم من مشايخ الصوفية وعدم وجود علماء السنة الخلص في مجتمعه في عصره.
5) أن من أهم أعمال الشيخ أبي بكر محمود غومي رحمه الله تأليف كتابه "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة", تناول فيه بالتفصيل أشهر المسائل العقدية

التي يخطئ فيها مشايخ الصوفية في نيجيريا مثل مفهوم الولاية والإيمان, والاعتقاد بأن النبي- صلى الله عليه وسلم- ينفع ويضر بعد موته ويجوز الاستغاثة به, وأنواع البدع الأخرى التي أحدثوها في باب الذكر مثل الأوراد المحدثة, والرقص أثناء الذكر.

6) أن الشيخ أبا بكر محمود غومي من أشهر علماء أهل السنة في نيجيريا, وأكثر العلماء النيجيريين الثلاثة الذين أبرزت جهودهم في هذه الدراسة تمسكا بمنهج السلف الصالح في فهم النصوص وتناول المسائل الاعتقادية.

7) أن من أهم أعمال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله سعيه الجاد لتوحيد صفوف مسلمي نيجيريا, وقد خطى خطوات عدة في سبيل ذلك, كما بذل جهودا لنشر اللغة العربية حتى لقب بالمناضل النيجيري من أجل العروبة, وكذا قرر بعض مسائل توحيد الألوهية مثل الذبح والخضوع والركوع والسجود.

8) مما يؤخذ على الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله أنه أساء الفهم في بعض المسائل العقدية حيث لم ير كفر المستغيث بغير الله إذا لم يعتقد كفرا ولا تأثيرا لغير الله, وكذلك لم ير جواز الاستدلال بحديث الرهط الثلاثة الذين آووا إلى الغار على التوسل بالأعمال الصالحة, كما فسر الشيخ مقام الإحسان بالتصوف.

ثالثا: في مباحث الباب الثاني:

1) أن الدعاء بنوعيه: دعاء العبادة ودعاء المسألة, من حقوق الله الألوهية, لا ينبغي صرف شيء منها لغيره سبحانه وتعالى, ومن صرف شيئا منها لغير الله فهو مشرك.

2) من صور دعاء غير الله لدى بعض مسلمي نيجيريا: دعاء شياطين الإنس والجن, ودعاء الأولياء والصالحين الأحياء, دعاء الملائكة والجن, ودعاء الأموات.

3) مما يحتج به المجيزون لدعاء غير الله من مسلمي نيجيريا ادعاء وجود الروحانية خدام سور القرآن الكريم وآياته, كما يحتجون بحصول مطلوبهم إذا دعوا

الصالحين, وقد أجبت عن تلكما الشبهتين بما يكفي لإزالتهما.

4) التوسل المشروع ثلاثة أنواع: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا, والتوسل إلى الله بالعمل الصالح, والتوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح, ولكل نوع من هذه الأنواع أدلة تدل على مشروعيته من الكتاب والسنة.

5) من صور التوسل الممنوع لدى بعض مسلمي نيجيريا: التوسل إلى الله بأسماء وأوصاف لم يصف بها نفسه ولا وصفه بها رسوله, والتوسل إلى الله بذات المخلوق, والتوسل إلى الله بحق مخلوق أو حرمته أو جاهه أو بركته, والتوسل إلى الله بكلمات لا يفهم معناها, والتوسل إلى الله بطلب الدعاء من الأموات.

6) أن من التوسل الممنوع ما هو بدعة ومحرم مثل التوسل بكلمات لا يفهم معناها, والتوسل بجاه المخلوق أو حقه أو حرمته, ومنه ما هو من الوسائل المفضية إلى الشرك مثل التوسل بطلب الدعاء من الميت, ومنه ما هو شرك بعينه مثل التوسل بذات المخلوق إذا قصد به الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ لأن في ذلك حينئذ توجيه الدعاء لغير الله.

7) الصواب في حكم الحلف بغير الله أنه محرم وشرك أصغر؛ لأن الأصل في الحلف تعظيم المحلوف به, أما إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به مثل تعظيم الله أو أشد فيكون إذن من الشرك الأكبر.

8) من الأشياء التي يحلف بها بعض مسلمي نيجيريا غير الله: النبي- صلى الله عليه وسلم- وقبره الشريف, بعض آلهة الكفار, الأموات وتراب القبور, الأوراق النقدية وغير ذلك.

9) إن أصل الذكر ما كان بالقلب إلا أن القول اللساني غلب عليه لكثرة إطلاقه.

10) الأذكار القولية قسمان: المأثور وهو ما جاءت به النصوص, وما ينشئه العبد من الثناء والدعاء, ولكل

من هذين القسمين ضوابط تجعله موافقا لمفهوم الذكر الشرعي.

11) الأذكار المأثورة إما أن تكون مطلقة وهي التي لم تربط بسبب ولا مناسبة ولا هيئة ولا عدد, وأفضلها القرآن الكريم. وإما أن تكون مقيدة وهي التي قيد لها الشارع ما تقال فيه من الحال والمناسبة والظرف المكاني والزماني وقيد لها العدد والهيئة.

12) من صور الانحراف في الذكر لدى مسلمي نيجيريا: الإتيان بالأذكار الواردة في الشرع بشكل جماعي, وتقييد الأذكار المطلقة بزمان أو مكان أو هيئة أو عدد, وإنشاء أذكار لم ترد في السنة مع تقييدها وترتيب الثواب عليها.

13) المقصود بحلق الذكر أو مجالس الذكر هو كل مجلس يشتمل على ذكر الله بأنواعه المختلفة من تسبيح وتكبير, ومدارسة كتاب الله وتلاوته, وتعلم العلوم الشرعية وتعليمه.

14) لقد حمى النبي- عليه الصلاة والسلام- التوحيد حماية بالغة, وسد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إلى الشرك, فنهى عن إضافة النعم إلى غير الله, والنياحة على الميت, والاستهزاء بالدين, والتصريح بمعارضة تحكيم شرع الله وغير ذلك.

رابعا: في مباحث الباب الثالث:

1) للسجود حالتان: أن يكون سجود عبادة, أو يكون سجود تشريف وتحية.

2) سجود العبادة هو الذي تضمن غاية الذل والخضوع, ولا يكون إلا لله تعالى.

3) سجود التشريف والتكريم, وعليه يحمل سجود الملائكة لآدم, وسجود يعقوب وأولاده ليوسف عليه السلام, وقد كان مأذونا في الشرائع السابقة, وأصبح محرما في الشريعة المحمدية.

4) كل صورة من صور الانحراف في الركوع والسجود لدى بعض مسلمي نيجيريا هي من بقايا عادات وتقاليد

الجاهلية, وقد بينت أن العادات تترك إذا خالفت ما جاءت به الشريعة.

5) من صور النذر لغير الله لدى بعض مسلمي نيجيريا النذر للمشايخ الأحياء, والنذر للأموات, ومن صور الذبح لغير الله الذبح وتقديم القرابين لشياطين الإنس والجن.
6) البركة في اللغة ثبوت الخير ونماؤه, والتبرك هو طلب هذه البركة, والبركة كلها لله تعالى ومنه, وقد أودعها بفضله في بعض الأشياء من الأشخاص والأقوال والأماكن والأزمنة والمطعومات.
7) يشرع أخذ الوقاية والعلاج بالرقى إذا خلت من الشرك مع الضوابط التي وضعها العلماء, ويجوز العلاج بالأدوية المباحة المصنوعة من الطيبات مثل العسل وزيت الزيتون والحبة السوداء وغير ذلك, ويحرم التداوي بالمحرمات مثل الخمر وغيره.
8) اتفق العلماء على تعليق التمائم إذا كانت من غير القرآن, أما إذا كانت من القرآن فقد اختلفوا في تعليقها, والراجح هو عدم جواز تعليقها حماية لجناب التوحيد, ولقوة أدلة أصحاب هذا القول.
9) من صور العلاج بالسحر والشعوذة لدى بعض مسلمي نيجيريا العلاج بكتابة الطلاسم, وكلمات لا يفهم معناها ولا يعقل, والاستعانة بالأرواح الشيطانية.
10) العيد المشروع هو كل زمان أو مكان خصه الشرع باجتماع وأعمال تقام فيه, والأعياد المشروعة قسمان: الأعياد الزمانية والأعياد المكانية.
11) الأعياد الزمانية في الإسلام ثلاثة: عيد الأضحى, وعيد الفطر, ويوم الجمعة. والأعياد المكانية هي المسجد الحرام, وعرفات, ومزدلفة, ومنى.
12) الأعياد الممنوعة منها الأعياد المبتدعة في هذه الأمة, ومنها الأعياد التي تشبه المسلمون فيها بغيرهم. والتي تشبه المسلمون فيها بغيرهم ثلاثة: الأعياد الدينية, والأعياد الاجتماعية, والأعياد القومية.

13) كان هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- في الجنائز إقامة العبودية لله تعالى على أكمل الأحوال, والإحسان إلى الميت, وتجهيزه إلى الله على أحسن الأحوال وأفضلها.
14) من أشهر صور الانحراف في أمور الميت لدى بعض مسلمي نيجيريا اجتماع أهل الميت في بيت واحد لقبول العزاء, وصنع أهل الميت الطعام للوافدين لتعزيتهم, وإقامة الحفلات كالتشريف النهائي للميت, وقد بينت أن كلها من البدع الشنيعة.
15) الولاء والبراء أصل عظيم من أصول الإيمان, فيجب على كل مسلم أن يحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله, ويوالي من يوالي الله ورسوله ويعادي من يعادي الله ورسوله.
16) من أهم صور موالاة الكفار لدى بعض مسلمي نيجيريا محبة الكافر من قبيلة الشخص أكثر من محبته للمسلم من غير قبيلته, ومشاركة الكفار في أعيادهم, وتفضيل الكافر على المسلم عند الترشيح للوظائف الحكومية.
17) العبادات القلبية هي الأعمال التي يتعلق أداؤها بالقلب دون سائر الجوارح مثل المحبة والخوف والرجاء والتوكل والتذلل, وهذه العبادات من حقوق الله الخاصة, يجب على العبد إفراد الله بها وصرف شيء منها لغيره شرك.
18) يوجد بين مسلمي نيجيريا من يصرف هذه العبادات لشياطين الإنس والجن, والسحرة والمشعوذين, والأنبياء والصالحين. وقد بينت أن ذلك كله شرك.

خامسا: في مباحث الباب الرابع:

1) أبرز أسباب وقوع مسلمي نيجيريا في الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية: الجهل بالدين, والغلو, والتشبه بالكفار, والتأثر بالوثنية والجاهلية, واتباع الهوى, وتلبيس أهل الأهواء, والاستعمار السياسي.

2) من الوسائل المهمة لعلاج صور الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية لدى بعض مسلمي نيجيريا: نشر العلم الشرعي, وتوضيح الدين للناس على الوجه الصحيح, وبيان استقلال الإسلام وعزة أهله, وتحذير الناس من الوثنيات, وكشف شبهات الملبسين وفضحهم, وتحذير المسلمين من التمسك بالأفكار الواردة من دول الكفر.
3) من الأساليب التي ينبغي أن يستخدمها الدعاة لإصلاح الأوضاع في نيجيريا: إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه, إنكار موضع الخطأ وقبول الباقي, هجر المخطئ إذا تحقق نفعه, الحوار والمناقشة, تقديم البديل الصحيح, الترغيب والترهيب, الهدوء في التعامل مع المخطئ, تهيئة النفوس لقبول النصيحة بذكر ما تحبه.

نتائج الاستبانة:

من خلال تحليلي للاستبانة التي وزعتها على مائة شخص فقد استخلصت النتائج التالية:

1) تفاعل المجيبين عن أسئلة الاستبانة خير دليل على انتشار هذه الانحرافات لدى بعض مسلمي نيجيريا. فقد كان هؤلاء المجيبون ثلاثة أصناف: فمنهم الدعاة العاملون في ساحة الدعوة في نيجيريا, ومنهم طلبة المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا. ومنهم الطلبة النيجيريون الدارسون في جامعات الدول العربية.
2) من أحسن أوجه استفادتي من الاستبانة ما توفر لي من ذكر المجيبين عن أسئلتها لصور الانحراف في كل مسألة من مسائل البحث كما تحدث تماما في كل منطقة من المناطق النيجيرية, وقد أسهم ذلك بجمع أكبر عدد من صور الانحراف.

	سبب الانحراف	عدد اختيار المجيبين له	النسبة المئوية
1	الجهل	2190	35.2%
2	الغلو	1146	18.4%
3	التشبه بالكفار	594	9.5%
4	التأثر بالوثنية والجاهلية	561	9.0%
5	اتباع الهوى	906	14.5%
6	تلبيس أهل الأهواء	699	11.2%
7	الاستعمار السياسي	135	2.2%
	المجموع	**6231**	**100%**

3) لقد تبين من خلال آراء المجيبين عن أسئلة الاستبانة ووجهات نظرهم بأن الجهل سبب لـ (35.2%) من المخالفات العقدية التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا. وأن الغلو سبب لـ (18.4%) منها, ثم يليه اتباع الهوى الذي هو سبب لـ (14.5%) منها, بينما كان تلبيس أهل الأهواء سبب لـ (11.2%) منها, والتشبه بالكفار سبب لـ (9,5%) منها, والتأثر بالوثنية والجاهلية سبب لـ (9,0%) منها, ثم يأتي الاستعمار السياسي وهو سبب لـ (2,2%) فقط.

المقترحات:

1) إن من أفضل وأنجح العوامل المعينة على إصلاح الأوضاع في المجتمع النيجيري هو نشر العلم الشرعي وعلى رأسه علم العقيدة. إلا أنه لا بد- لنجاح هذا العامل- من الحرص الشديد على التزام مذهب السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) في تأصيل العقيدة، والعمل بها، والدعوة إليها، وذلك ببيان العقيدة الإسلامية الصحيحة، والاهتمام بمصادرها

تأصيلا واستدلالا، وفهمًا على نصوص الوحيين، وأقوال الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ومن أهل العلم والدين السائرين على طريقة السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين.

2) التواصل العلمي مع علماء أهل السنة والجماعة خارج نيجيريا يحصل ذلك بزيادة المنح الدراسية للشباب النيجيريين للدراسة في جامعات السعودية, ثم إتاحة الفرص للراغبين منهم لمواصلة الدراسات العليا بعد التخرج من الكليات؛ لكي يتخصصوا في مجالات مختلفة من العلوم الشرعية, بل يستحسن فتح المجال للذين عندهم العزيمة الصادقة في طلب العلم ليجلسوا مع المشايخ ليأخذوا العلم والأدب وسمت هؤلاء العلماء قبل رحالهم إلى أهاليهم.

3) إنشاء مكتبات إسلامية عامة, يهدف ذلك إلى إيجاد جو ملائم للباحثين في العلوم الشرعية, كما يهدف إلى تبديل الكتب التي فيها انحرافات وضلالات بكتب علماء أهل السنة والجماعة الربانيين المصلحين, وليجد الناس بغيتهم في كتب الأذكار والأدعية الواردة في الكتاب والسنة ويستغنون بها عن التي فيها دعاء الجن والشياطين.

4) تعديل المناهج الدراسية في المدارس العربية والإسلامية النيجيرية بما يتناسب مع أوضاع البلد بحيث نجمع بين المنهج الإسلامي والمناهج المقررة من قبل الحكومة؛ يثمر تدريسها إتقان الطالب للغة الرسمية, ويعطيه نصيبه الكافي في الثقافة العصرية. مما يضمن له فرص الحصول على الوظائف في القطاعات الحكومية وذلك باعتراف الحكومة لشهادته. ورفع مستويات المدرسين علميا وتربويا مما يعطي النتيجة الإيجابية في تربية وتوجيه طلابهم.

5) الاهتمام بالوسائل الإعلامية من صحافة وإذاعة وتلفزيون, فكلها وسائل فاعلة ومؤثرة, ومهمة في إيصال المعلومات إلى الآخرين بيسر وسهولة, وكلها عوامل مهمة في صنع الرأي العام في أي مجتمع من

المجتمعات. فالحاجة قائمة لإنشاء محطات الإذاعة المحلية (إف. إم.) ومحطات التلفاز التي تخدم الدعوة, يشرف على برامجها أناس من حملة الرسالة الإسلامية أصحاب خلق ودين, كما ينبغي أن يحرص مسلمو نيجيريا على الاستفادة من تقنية المعلومات الحديثة مثل البريد الالكتروني والشبكة الدولية الانترنت لتعليم الناس الخير الذي يدعو إليه الدين الإسلامي, وتصويب الأخطاء التي يرتكبها المسلمون وخاصة في العقيدة.

وفي ختام هذا البحث أتوجه إلى المولى جل وعلا أن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتي, وأن يغفر لي كل ما كان فيه من خلل أو زلل, ويجبر الكسر ويتم النقص. هذا ما علي أن أقول, ومن الله أرجو حسن القبول, وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهـارس العـامة

فهرس الآيات

الآية **رقمها** **رقم الصفحة**

1- سورة الفاتحـة

2- سورة البقرة

الآية رقمها رقم الصفحة

3- سورة آل عمران

الآية	رقمها	رقم الصفحة

5- سورة المائدة

الآية **رقمها**
رقم الصفحة

6- سورة الأنعام

الآية **رقمها** **رقم الصفحة**

7- سورة الأعراف

8- سورة الأنفال

9- سورة التوبة

10- سورة يونس

الآية **رقمها**

رقم الصفحة

11- سورة هـود

12- سورة يوسف

108 — 630, 647

13- سورة الرعد

14 — 91, 122, 137

15 — 276

17 — 70, 510

21 — 568

26 — 137

الآية — **رقمها** — **رقم الصفحة**

31 — 391

37 — 586

38 — 280

39 — 444

14- سورة إبراهيم

35 — 627

52 — 647

15- سورة الحجر

9 — 596

56 — 543

18- سورة الكهف

الآية **رقمها** **رقم الصفحة**

19- سورة مريم

20- سورة طـه

21- سورة الأنبياء

الآية **رقمها**
رقم الصفحة

22- سورة الحج

الآية	رقمها	رقم الصفحة

28- سورة القصص

الآية	رقمها	رقم الصفحة

29- سورة العنكبوت

31- سورة لقمان

33- سورة الأحزاب

35- سورة فاطر

الآية	رقمها	رقم الصفحة

36- سورة يـس

38- سورة ص

39- سورة الزمر

44- سورة الدخان

45- سورة الجاثية

46- سورة الأحقاف

47- سورة محمد

الآية **رقمها** **رقم الصفحة**

48- سورة الفتح

49- سورة الحجرات

50- سورة ق

51- سورة الذاريات

53- سورة النجم

الآية **رقمها** **رقم الصفحة**

56- سورة الواقعة

58- سورة المجادلة

[illegible] 11 — 649

[illegible] 22 — 462, 513, 662, 663

59- سورة الحشر

[illegible] 10 — 506

[illegible] 19 — 192

60- سورة الممتحنة

[illegible] 1 — 502

[illegible] 4 — 500, 502

[illegible] 8 — 522

الآية **رقمها** **رقم الصفحة**

62- سورة الجمعة

[illegible] 10 — 240

64- سورة التغابن

[illegible] 11 — 259

65- سورة الطلاق

67- سورة الملك

68- سورة القلم

الآية **رقمها**
رقم الصفحة

69- سورة الحاقّـة

71- سورة نـوح

72- سورة الجن

73- سورة المزمل

75- سورة القيامة

76- سورة الإنسان

الآية **رقمها**
رقم الصفحة

78- سورة النّـبأ

86- سورة الطارق

88- سورة الغاشية

89- سورة الفجر

94- سورة الشرح

96- سورة العلق

98- سورة البينة

108- سورة الكوثر

109- سورة الكافرون

فهرس الأحاديث الواردة في البحث

طرف الحديث **الصفحة**

طرف الحديث
الصفحة

طرف الحديث الصفحة

طرف الحديث الصفحة

طرف الحديث الصفحة

طرف الحديث
الصفحة

طرف الحديث **الصفحة**

طرف الحديث الصفحة

فهرس الآثار

طرف الأثر **القائل** **الصفحة**

فهرس الأعلام المترجم لهم

مسلسل العلم
الصفحة

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العامة:

1- أبرز مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي والقضايا التي تناولتها للدكتور زين العابدين عبد الحميد السراج (ضمن بحوث الندوة العالمية ص369).
2- أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني أحمد التجاني ص10, مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني- القاهرة.
3- أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام للشيخ محمد بن بخيت المطيعي, الطبعة الأولى 1408هـ- 1988م, مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت.
4- أحكام الجنائز وبدعها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الأولى 1412هـ- 1992م, مكتبة المعارف- الرياض.
5- أحكام الرقى والتمائم تأليف الدكتور فهد بن ضويان بن عوض السحيمي, الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م, مكتبة أضواء السلف- الرياض.
6- أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور عبد الله بن عمر بن محمد السحيباني, الطبعة الأولى 1426هـ- 2005م, دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- الدمام.

7- أحكام أهل الذمة للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي 2/715, تحقيق يوسف أحمد البكري, شاكر توفيق العاروري, الطبعة الأولى 1418هـ- 1997م, دار ابن حزم- الدمام رمادي للنشر- بيروت.

8- إخماد البدعة وإحياء السنة للشيخ عثمان بن فودي, مطبعة الزاوية التيجالية- القاهرة 1377هـ.

9- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب ومنهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع تأليف الشيخ سليمان بن سحمان, مطبعة المنار بمصر 1340هـ.

10- أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا للشيخ مصطفى زغلول السنوسي, الطبعة الأولى 1407هـ, شركة تكنو برس الحديثة- بيروت.

11- اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي, تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك, الطبعة الثانية 1406هـ, مؤسسة الرسالة- بيروت.

12- أشعة العقول والنقول على أضواء القنديل والفضول تكملة على هامش كتاب الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا, للشيخ آدم عبد الله الألوري, الطبعة الأولى 1988م, مطبعة الثقافة الإسلامية لاغوس- نيجيريا.

13- أصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة للشيخ آدم عبد الله الألوري, الطبعة الثانية, مطابع الزهراء للإعلام العربي- القاهرة.

14- إصلاح المساجد من البدع والعوائد تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي, خرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الخامسة 1403هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.

15- أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل تأليف محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني, تحقيق القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل, الطبعة الأولى 1986م, مؤسسة الرسالة- بيروت.

16- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين

بن محمد المختار الشنقيطي, اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلايلي, الطبعة الأولى 1417هـ, دار إحياء التراث العربي- بيروت.
17- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان, الطبعة الثانية 1422هـ-2001م, مؤسسة الرسالة- بيروت.
18- إعجاز الطب النبوي في عالم اليوم للدكتور السيد الجميلي, تقديم الدكتور حسين مؤنس, مكتبة الثقافة الدينية ميدان العتبة.
19- إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي, تحقيق طه عبد الرؤوف سعد, دار الجيل- بيروت 1973م.
20- أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم, إعداد الدكتور سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي, الطبعة الأولى 1426هـ- 2005م, طبعة عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
21- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان تأليف محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي, تحقيق محمد حامد الفقي, الطبعة الثانية 1395هـ- 1975م, دار المعرفة – بيروت.
22- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية, تحقيق محمد حامد الفقي, الطبعة الثانية 1369هـ, مطبعة السنة المحمدية- القاهرة.
23- الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ, الطبعة الخامسة 1375هـ- 1956م, دار المعرفة- بيروت.
24- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي تأليف علي بن عبد الكافي السبكي, تحقيق جماعة من العلماء, الطبعة الأولى 1404, دار الكتب العلمية- بيروت.
25- الإحكام في أصول الأحكام تأليف علي بن محمد الآمدي, تحقيق الدكتور سيد الجميلي, الطبعة الأولى

1404هـ, دار الكتاب العربي- بيروت.
26- الأدب المفرد تأليف محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, الطبعة الثالثة 1409هـ- 1989م, دار البشائر الإسلامية- بيروت.
27- الأذكار لجمعية يسر الله النيجيرية ص37, مطبعة أيوأولابو التجارية- (إبادن) نيجيريا.
28- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان, الطبعة الأولى 1424هـ.
29- الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس بقلم الشيخ محمد بن صالح المنجد, الطبعة الأولى 1417هـ, دار الوطن للنشر- الرياض.
30- الاستذكار للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري, تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض, الطبعة الأولى 1421هـ- 2000م, دار الكتب العلمية- بيروت.
31- الاستذكار للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري, تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض, الطبعة الأولى 1421هـ- 2000م, دار الكتب العلمية- بيروت.
32- الاستقامة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم, الطبعة الأولى 1403هـ, جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة النبوية.
33- الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري, الطبعة الأولى 1405هـ- 1985م, مطابع المختار الإسلامي.
34- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني للشيخ آدم عبد الله الألوري, الطبعة الثالثة 1398هـ- 1978م, دون بيانات أخرى.
35- الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الألوري, دون بيانات أخرى.

36- الإسلام وتقاليد الجاهلية للشيخ آدم عبد الله الألوري, مطبعة المدني- القاهرة.
37- الأشباه والنظائر تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى 1403هـ, دار الكتب العلمية – بيروت.
38- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي, علق عليه وأخرج أحاديثه محمود طعمه حلبي, الطبعة الثانية 1420هـ, دار المعرفة بيروت.
39- الاعتصام للعلامة الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي, علق عليه وأخرج أحاديثه محمود طعمه حلبي, الطبعة الثانية 1420هـ- 2000م دار المعرفة- بيروت.
40- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام تأليف محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي, تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا, دار التراث العربي 1398هـ.
41- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي, الطبعة الخامسة 1980م, دار العلم للملايين- بيروت.
42- الأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد, إعداد حافظ بن موسى محمد الحكمي, إشراف الدكتور رشيد بن حسن محمد الألمعي 1420/1421هـ.
43- الانحراف في الاعتقاد أسبابه ومظاهره وعلاجه في الإسلام, رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية بمركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية, إعداد الطالب سليمان بن محمد سعيد بن إبراهيم العوفي, إشراف الدكتور أحمد بن ناصر الحمد, 1409هـ- 1989م.

44- الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف ضمن رسائل الجزائري الثالثة: ست عشرة رسالة في مواضع دينية وإصلاحية مختلفة تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري, عنى بنشرها وتصحيحها مكتبة الكليات الأزهرية.
45- الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات للألوسي, تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الرابعة, المكتب الإسلامي- بيروت.
46- الإيمان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, علق عليه جماعة من العلماء, المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة.
47- البحر الرائق شرح كنز الدقائق تأليف زين الدين بن نجيم الحنفي, الطبعة الثانية, دار المعرفة- بيروت.
48- البحر الزخار تأليف أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله, الطبعة الأولى 1409هـ, مؤسسة علوم القرآن, مكتبة العلوم والحكم- بيروت, المدينة.
49- البداية والنهاية تأليف الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء, مكتبة المعارف- بيروت.
50- البداية والنهاية تأليف الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء, مكتبة المعارف- بيروت.
51- البدع الحولية إعداد عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري, الطبعة الأولى 1421هـ- 2000م, دار الفضيلة- الرياض.
52- البدع والمحدثات وما لا أصل له جمع وإعداد حمود بن عبد الله المطر, الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م, دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع- الرياض.
53- البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة للدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي, الطبعة الثانية 1419هـ, مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
54- البركة تأليف أبي حذيفة إبراهيم بن محمد, الطبعة الأولى 1408هـ, دار الصحابة للتراث- طنطا.

55- التبرك المشروع والتبرك الممنوع للدكتور علي بن نفيع العلياني, الطبعة الأولى 1411هـ, دار الوطن للنشر- الرياض.
56- التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع, الطبعة الخامسة 1421هـ- 2000م, مكتبة الرشد- الرياض.
57- التبصرة في أصول الفقه إبراهيم بن علي بن يوسف الفيرزآبادي الشيرازي أبو إسحاق, تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو, الطبعة الأولى 1403هـ, دار الفكر- دمشق.
58- التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكرياء يحيى بن شرف الدين النووي, دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت 1409هـ.
59- التحذير من البدع للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز, من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية 1396هـ.
60- التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر بن عاشور, الدار التونسية للنشر 1972م.
61- التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بن محمد بن عبد الله الهنيدي, الطبعة الأولى 1421هـ- 2000م, مكتبة الرشد- الرياض.
62- التداوي بالأعشاب والنباتات قديما وحديثا جمع وتنسيق أحمد شمس الدين, الطبعة الثانية, دار الكتب العلمية- بيروت.
63- التسهيل لعلوم التنزيل تأليف العلامة المفسر محمد بن أحمد بن جزي الكلبي, صححه محمد سالم هاشم الطبعة الأولى 1415هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.
64- التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي تأليف جميل بن حبيب اللويحق, الطبعة الأولى 1419هـ- 1999م, دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع- جدة.
65- التعرف لمذهب التصوف تأليف محمد الكلاباذي أبي بكر, دار الكتب العلمية- بيروت 1400هـ.

66- التفسير القيم للإمام ابن القيم جمعه محمد أويس الندوي, حققه محمد حامد الفقي, الطبعة الأولى 1408هـ- 1988م, دار الرائد العربي- بيروت.
67- التفسير الكبير تأليف فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الطبعة الأولى سنة 1421هـ - 2000م, دار الكتب العلمية – بيروت.
68- التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية وتقليدها لغيرها وبيان نتائج ذلك ومواقف الناس منه, إعداد الدكتور ناصر عبد الكريم العقل, إشراف الدكتور محمد عبد الله أبي الفبح البيانوني, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض 1393هـ.
70- التلقين في الفقه المالكي تأليف أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي, تحقيق محمد ثالث سعيد الغاني, الطبعة الأولى 1415هـ, المكتبة التجارية- مكة المكرمة.
71- التمهيد لشرح كتاب التوحيد دروس ألقاها الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ, الطبعة الأولى 1423هـ- 2002م, دار التوحيد- الرياض.
72- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري, تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري, وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب, 1387هـ.
73- التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني, نسقه وآلف بين نصوصه محمد عيد العباسي, الطبعة الأولى 1421هـ- 2001م, مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.
74- التوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ محمد نسيب الرفاعي, الطبعة الثانية, المكتبة المكية.
75- الثقافة العربية في نيجيريا من عام 1750م إلى 1960م عام الاستقلال تأليف الدكتور علي أبو بكر, الطبعة الأولى 1972م.
76- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب تأليف محمد

ناصر الدين الألباني, الطبعة الأولى, غراس للنشر والتوزيع.
77- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, تحقيق سالم مصطفى البدري الطبعة الأولى 1420هـ- 2000م, دار الكتب العلمية- بيروت.
78- الجاهلية قديما وحديثا: دراسة في ضوء القرآن والسنة والفكر الإسلامي تأليف أحمد أمين عبد الغفار, شركة الشعاع للنشر- الكويت.
79- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي, دار الكتب العلمية- بيروت.
80- الجواهر المضية في طبقات الحنفية تأليف عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبي محمد، مير محمد كتب خانه- كراتشي.
81- الحلف والأيمان: دراسة عقدية للدكتور يوسف بن محمد السعيد, بحث في مجلة جامعة الإمام العدد 39, رجب 1423هـ.
82- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي, الطبعة الأولى 1417هـ, مكتبة الرشد- الرياض.
83- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب تأليف إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية- بيروت.
84- الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة وحكم التفرغ لها واتخاذها حرفة تأليف الدكتور علي بن نفيع العلياني, الطبعة الأولى 1411هـ, دار الوطن للنشر.
85- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله المشهور بابن القيم الجوزية, دار الكتب العلمية بيروت 1395هـ- 1975م.
86- الروض الداني- المعجم الصغير تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني, تحقيق محمد

شكور محمود الحاج أمرير, الطبعة الأولى 1405هـ-1985م, المكتب الإسلامي, دار عمار - بيروت, عمان.
87- الروض المربع شرح زاد المستقنع تأليف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي, مكتبة الرياض الحديثة- الرياض 1390هـ.
88- السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف- الرياض.
89- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني, تحقيق محمود إبراهيم زايد, الطبعة الأولى 1405هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.
90- الشرح الممتع على زاد المستقنع للعلامة محمد بن صالح العثيمين, الطبعة الأولى 1423هـ, طبع بإشراف مؤسسة الشي محمد بن صالح العثيمين الخيرية, دار ابن الجوزي- الرياض.
91- الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام تأليف الدكتور يحيى شامي, دار الفكر العربي- بيروت 1993م.
92- الشيخ إبراهيم انياس السنغالي حياته وآراؤه وتعاليمه وكتاب كاشف الإلباس وتحقيق السر الأكبر: دراسة وتعليقا, تأليف محمد الطاهر ميغري جامعة بايروو بمدينة كانو نيجيريا. الطبعة الأولى 1401هـ- 1981م, دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
93- الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته تأليف الشيخ مشهود رمضان جبريل الأميري الكيتوي, الطبعة الأولى 1425هـ, مكتبة الله نور- لاغوس نيجيريا.
94- الصفدية تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس 1/265, تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم, الطبعة الثانية 1406هـ.
95- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم, تحقيق الأستاذ الدكتور علي بن محمد الدخيل الله, الطبعة الثالثة 1418هـ, دار العاصمة- الرياض.

96- الطب النبوي للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي, تحقيق ودراسة وتعليق الدكتور السيد الجميلي, الطبعة الثالثة 1417هـ- 1996م دار الكتاب العربي- بيروت.
97- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري, دار صادر- بيروت.
98- العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة للشيخ أبي بكر محمود غومي, دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت 1392هـ.
99- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة تأليف الشيخ عبد الرحمن بن محلا اللويحق, الطبعة الخامسة 1423هـ- 2002م, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
100- الفتاوى السعدية للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي, الطبعة الأولى 1415هـ- 1995م, عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
101- الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, تحقيق حسنين محمد مخلوف, الطبعة الأولى 1386, دار المعرفة- بيروت.
102- الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى إشراف الشيخ صالح بن فوزان الفوزان الطبعة الأولى 1424هـ, رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض.
103- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية, تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى, الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م, دار الفضيلة للنشر والتوزيع- الرياض, ودار ابن حزم- بيروت.
104- الفروسية للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي, تحقيق مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان, الطبعة الأولى 1414هـ- 1993م, دار الأندلس- السعودية.
105- الفروق اللغوية تأليف أبي هلال العسكري,

الطبعة الثانية 1977م, دار الآفاق الجديدة- بيروت.
106- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري, مكتبة الخانجي- القاهرة.
107- الفوائد لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية, الطبعة الثانية 1393هـ- 1973م دار الكتب العلمية- بيروت.
108- القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح, 1404هـ- 1983م.
109- القاموس المحيط تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي, مؤسسة الرسالة- بيروت.
110- القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي), دار اشبيليا للنشر والتوزيع- الرياض.
111- القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين تأليف الشيخ أبي الفتوح محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي الأزهري, الطبعة الأولى 1395هـ- 1975م, شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده- مصر.
112- القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين, بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية, الطبعة الثانية 1424هـ, دار ابن الجوزي- الدمام.
113- الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل للعلامة عبد الله بن قدامة المقدسي أبي محمد, المكتب الاسلامي- بيروت.
114- الكتب الستة طبعة دار السلام للنشر والتوزيع, إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ, الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م.
115- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي, تحقيق عبد الرزاق المهدي,

دار إحياء التراث العربي- بيروت.
116- المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي مع تحقيق كتابه نصيحة أهل الزمان تأليف الشيخ أمين الدين أبي بكر, مطابع المختار الإسلامي.
117- المجموع شرح المهذب تأليف أبي زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي, دار الفكر- بيروت 1997م.
118- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي, تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد, الطبعة الأولى 1413هـ- 1993م, دار الكتب العلمية- بيروت.
119- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل تأليف عبد القادر بن بدران الدمشقي, تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي, الطبعة الثانية 1401هـ, مؤسسة الرسالة-بيروت.
120- المدخل تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، دار الفكر 1401هـ- 1981م.
121- المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية تأليف قريب الله بن محمد الناصر الكبرى القادري.
122- المستدرك على الصحيحين تأليف محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري, مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص, تحقيق مصطفى عبد القادر عطا, الطبعة الأولى 1411هـ- 1990م, دار الكتب العلمية- بيروت.
123- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف الشيخ العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي, اعتنى به عادل مرشد, مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد- لبنان.
124- المصنف في الأحاديث والآثار تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي, تحقيق كمال يوسف الحوت, الطبعة الأولى 1409هـ, مكتبة الرشد-

الرياض.
125- المطلع على أبواب الفقه تأليف محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبي عبد الله, تحقيق محمد بشير الأدلبي, المكتب الإسلامي- بيروت، 1401هـ- 1981م.
126- المعجم الأوسط تأليف أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني, تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد, عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني, دار الحرمين – القاهرة 1415هـ.
127- المعجم الكبير تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني, تحقيق حمدي ابن عبد المجيد السلفي, الطبعة الثانية 1404هـ- 1983م, مكتبة العلوم والحكم – الموصل.
128- المعجم الوسيط إخراج مجموعة من المؤلفين الطبعة الثانية 1392هـ, دار الدعوة- استنبول.
129- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني تأليف عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي, الطبعة الأولى 1405, دار الفكر- بيروت.
130- المفردات في غريب القرآن للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني, تحقيق محمد خليل عيتاني, الطبعة الثانية 1420هـ- 1999م, دار المعرفة- بيروت.
131- المهذب في فقه الإمام الشافعي تأليف إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبي إسحاق، دار الفكر- بيروت.
132- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار تأليف تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي, حققها وكتب مقدمتها ووضع فهارسها الدكتور أيمن فؤاد سيد, مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن, 1416هـ- 1995م.
133- الموافقات في أصول الفقه تأليف إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي, تحقيق عبد الله دراز, دار المعرفة- بيروت.

134- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة, إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع بن حماد الجهني, الطبعة الرابعة 1420هـ, دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض.

135- النبوات لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, المطبعة السلفية- القاهرة 1386هـ.

136- الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية تأليف محمد تقي الدين الهلالي ص106, الطبعة الأولى 1393هـ-1973م (دون بيانات أخرى).

137- الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى, دار إحياء التراث- بيروت, 1420هـ- 2000م.

138- الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان, الطبعة الأولى 1414هـ- 1993م, دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة.

139- الولاء والبراء في الإسلام مفاهيم عقيدة السلف تأليف محمد بن سعيد بن سالم القحطاني, تقديم الشيخ عبد الرزاق عفيفي, الطبعة الأولى, دار طيبة- الرياض.

140- إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور تأليف محمد بلو بن عثمان بن فودي, دار ومطابع الشعب- القاهرة, 1383هـ.

141- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء تأليف قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي, تحقيق الدكتور أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي, الطبعة الأولى 1406هـ, دار الوفاء- جدة.

142- بدائع الفوائد لابن القيم, تحقيق هشام عبد العزيز عطا وغيره, الطبعة الأولى 1416هـ, مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة.

143- بداية المجتهد ونهاية المقتصد تأليف محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي, دار الفكر- بيروت.

143- بردة المديح المباركة ويليها القصيدة المضرية

والقصيدة المحمدية تأليف شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري, دون بيانات أخرى.
144- بستان العارفين للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي, اعتنى به وعلق عليه محمد الحجار, الطبعة الرابعة 1416هـ- 1996م, دار البشائر الإسلامية- بيروت.
145- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي, تحقيق الأستاذ محمد علي النجار, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة 1385هـ.
146- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, تحقيق الدكتور موسى سليمان الدويش, الطبعة الأولى 1408هـ, مكتبة العلوم والحكم.
147- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي, تحقيق هشام بن محمد سعيد آل برغش, الطبعة الأولى 1421هـ- 2000م, دار الوطن للنشر- الرياض.
148- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية للشيخ عثمان بن فودي, مطابع أحباب- كادونا نيجيريا, دون بيانات أخرى.
149- تاج العروس من جواهر القاموس تأليف محمد مرتضى الحسيني الزبيدي, تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الهداية.
150- تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي, الطبعة الأولى 1419هـ- 1999م, دار إحياء التراث العربي- بيروت.
151- تاريخ ابن خلدون تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون, دار إحياء التراث العربي- بيروت, 1391هـ- 1971م.

152- تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر للأستاذ الدكتور عبد الله عبد الرزاق إبراهيم والأستاذ الدكتور شوقي الجمل, دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة 1997م.
153- تجريد التوحيد المفيد للعلامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي, اعتنى به علي بن محمد العمران, الطبعة الثانية 1424هـ, دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- مكة المكرمة.
154- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الرابعة, المكتب الإسلامي- بيروت.
155- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري, دار الكتب العلمية- بيروت.
156- تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام للشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الأولى 1405هـ- 1984م, المكتب الإسلامي- بيروت.
157- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف, مكتبة الرياض الحديثة- الرياض.
158- تذكرة الحفاظ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، الطبعة الأولى, دار الكتب العلمية- بيروت.
159- تربية الأطفال في الإسلام تأليف رأفت فريد سويلم تقديم الشيخ محمد حسين يعقوب, الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م, دار ابن الجوزي- القاهرة.
160- تسهيل العقيدة الإسلامية تأليف الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين الطبعة الأولى1423هـ, دار الصميعي- الرياض.
161- تصحيح الدعاء تأليف الشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد, الطبعة الأولى 1419هـ- 1999م, دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض.
162- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي

الدمشقي, قدم له عبد القادر الأرناؤوط الطبعة الخامسة 1421هـ-2001م, مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض.
163- تلبيس إبليس تأليف عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج, تحقيق الدكتور السيد الجميلي, الطبعة الأولى 1405هـ- 1985م, دار الكتاب العربي – بيروت.
164- تلخيص أحكام الجنائز للشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الثالثة 1410هـ, مكتبة المعارف- الرياض.
165- تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير تأليف أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني, تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني, المدينة المنورة 1384هـ- 1964م.
166- تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية, تحقيق محمد علي عجال الطبعة الأولى 1417هـ, مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة.
167- تمام المنة في التعليق على فقه السنة تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الثالثة- 1409هـ, المكتبة الإسلامية، دار الراية للنشر.
168- تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر محمد أديب كلكل, المطبعة التعاونية- دمشق, دون بيانات أخرى.
169- تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار تأليف الدكتور صالح بن سعد السحيمي, الطبعة الأولى 1410هـ- 1989م دار ابن حزم للنشر والتوزيع- الرياض.
170- توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري, الطبعة الأولى 1299هـ- 1979م, مطبعة الأمانة- القاهرة.
171- توجيه النظر إلى أصول الأثر تأليف طاهر الجزائري الدمشقي, تحقيق عبد الفتاح أبي غدة, الطبعة الأولى 1416هـ- 1995م, مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.

172- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى, تحقيق زهير الشاويش, الطبعة الثالثة 1406هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.
173- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب, اعتنى به أبو بكر عبد الكريم حامد, الطبعة الأولى 1422هـ- 2002م, دار إحياء التراث العربي- بيروت.
174- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي, تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق, الطبعة الأولى 1424هـ, دار ابن حزم- بيروت.
175- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري, حققه وعلق على حواشيه محمود محمد شاكر, راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر, الطبعة الثانية, دار المعارف- بمصر.
176- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للإمام عبد الرحمنبن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب, تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره, الطبعة السابعة 1423هـ, مؤسسة الرسالة- بيروت.
177- جواهر المعاني وبلوغ الأماني تأليف علي حرازم بن العربي براد المغربي الفاسي, إشراف مكتب البحوث والدراسات, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت, 1421هـ- 2001م.
178- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية, الطبعة الثانية 1415هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.
179- حاشية السندي على النسائي تأليف نور الدين بن عبد الهادي أبي الحسن السندي, تحقيق عبد الفتاح أبي غدة, الطبعة الثانية سنة 1406هـ- 1986م, مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.

180- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين تأليف أحمد بن محمد الصاوي المصري, ضبطه محمد عبد السلام شاهين, الطبعة الأولى 1420هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.
181- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع تأليف حسن العطار, الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م, دار الكتب العلمية- بيروت.
182- حركات التنصير في نيجيريا ورد الفعل الإسلامي إعداد إسماعيل أكنمو محمد الأول, بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية والدعوة بالمعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة, للعام الجامعي 1413هـ- 1993م.
183- حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية- المنهجية- الأهداف للبروفسير أحمد محمد كانى (ضمن سلسلة بحوث الندوة).
185- حسن التنبه لما ورد في حسن التشبه تأليف نجم الدين أبي المكارم محمد بن محمد بن محمد الغزي دراسة وتحقيق, رسالة ماجستير إعداد ريمة بنت محمد بن فريح العبد المنعم, إشراف الشيخ ناصر بن عبد الرحمن الجديع, العام الجامعي 1419هـ.
186- حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة تأليف سيد سعيد عبد الغني, تقديم الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام والشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع والشيخ سعيد بن مسفر القحطاني, الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م, دار ابن حزم- الرياض.
187- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني, الطبعة الرابعة 1405هـ, دار الكتاب العربي- بيروت.
188- حماية الرسول حمى التوحيد تأليف الدكتور محمد بن عبد الله زربان الغامدي, الطبعة الأولى

1423هـ, عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
189- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية, تحقيق محمد رشاد سالم, دار الكنوز الأدبية- الرياض 1391هـ.
190- دراسات في التصوف تأليف إحسان إلهي ظهير, الطبعة الأولى 1409هـ, إدارة ترجمان السنة-لاهور باكستان.
191- دروس في شرح نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب ألقاها الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان, أخرجها محمد بن فهد الحصين, الطبعة الثانية 1425هـ- 2004م, مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض.
192- دعاء الغاية المقصودة بموافقة الاستجابة تأليف الحاج عبد العزيز أحمد بالوغن الألوري, دون بيانات أخرى.
193- دعاء الفوز العظيم, دون بيانات أخرى.
194- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي: دراسة تاريخية مقارنة إعداد محمد بن علي بن محمد السكاكر ص192-193, 1421هـ- 2000م, مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض.
195- دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم تأليف محمد بن أبي بكر الجزولي السملالي, المكتبة الثقافية- بيروت.
196- ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع إعداد عبد الرحمن محمود خليفة ص64, ط/الأولى 1424هـ- 2003م, دار طيبة الخضراء- مكة المكرمة.
197- ذم الهوى للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي, تحقيق مصطفى عبد الواحد, دون بيانات أخرى.
198- رحلتي إلى الديار الإسلامية القسم الأول: إفريقيا

المسلمة تأليف محمد محمود الصواف, الطبعة الأولى 1395هـ- 1975م, دار القرآن الكريم والدار السعودية للنشر والتوزيع.
199- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية, تحقيق عبد الله بن محمد المديفر, الطبعة الأولى 1420هـ, فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض.
200- رسالة التوحيد للعلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي, نقله إلى العربية وعلق عليه أبو الحسن علي الحسني الندوي, الطبعة الثانية 1398هـ- 1978م, المكتبة التجارية لدار العلوم ندوة العلماء- لكهنؤ الهند.
201- رسالة بعنوان: "من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرجت" للشيخ آدم عبد الله الألوري, لمناسبة عيد الأربعين عاما من تأسيس المركز العربي الإسلامي أغيغي نيجيريا, مطبعة الثقافة الإسلامية- لاغوس 1411هـ.
202- رسالة بعنوان: "ولما بلغت" للشيخ عثمان بن فودي (مخطوط).
203- رسالة صغيرة بعنوان: الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ محمد بن صالح العثيمين. أشرف على تصحيحه وطبعه إبراهيم بن عبد العزيز الشثري.
204- رسالة في تحقيق التوكل لابن تيمية, مطبوعة ضمن جامع الرسائل, تحقيق محمد رشاد سالم, دون بيانات أخرى.
205- رسالة في قنوت الأشياء تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, الطبعة الأولى 1410هـ, الإدارة العامة للطبع والترجمة- الرياض.
206- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي, دار إحياء التراث العربي- بيروت.
207- روضة الطالبين وعمدة المفتين تأليف الإمام يحيى بن شرف بن مري النووي, الطبعة الثانية 1405,

المكتب الإسلامي- بيروت.
208- روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي, الطبعة الثانية 1405هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.
209- روضة الناظر وجنة المناظر تأليف عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي, تحقيق الدكتور عبد العزيز عبد الرحمن السعيد, الطبعة الثانية 1399هـ, مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.
210- زاد المسير في علم التفسير تأليف الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي, الطبعة الثالثة 1404هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.
211- زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله المشهور بابن قيم الجوزية, تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره, الطبعة الرابعة 1407هـ, مؤسسة الرسالة- بيروت.
212- سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك تأليف الشيخ حمد بن علي ابن عتيق, طبعة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية, الطبعة السابعة 1423هـ- 2002م.
213- سلسلة أعياد ومناسبات أبدلنا الله خيرا منها: شم النسيم بقلم عمرو عبد المنعم, الطبعة الأولى 1413هـ- 1992م, دار الصحابة للتراث- طنطا.
214- سلسلة شرح الرسائل للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب, والشح بقلم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان, أشرف على طبعه عبد السلام بن عبد الله السليمان, الطبعة الأولى 1424هـ.
215- سنن البيهقي الكبرى تأليف أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي, تحقيق محمد عبد القادر عطا, مكتبة دار الباز- مكة المكرمة 1414هـ- 1994م.
216- سنن الدارقطني تأليف علي بن عمر أبي الحسن الدارقطني البغدادي, تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني, دار المعرفة- بيروت 1386هـ- 1966م.

217- سنن الدارمي للإمام عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي, تحقيق فواز أحمد زمرلي وغيره والأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها, الطبعة الأولى 1407, دار الكتاب العربي- بيروت.
218- سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبي عبد الله، تحقيق شعيب الأرناؤوط, محمد نعيم العرقسوسي, الطبعة التاسعة 1413هـ, مؤسسة الرسالة- بيروت.
219- سيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته, للأستاذ عبد اللطيف سعيد, ضمن سلسلة بحوث الندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة احتفاء بذكرى الشيخ عثمان بن فودي, الخرطوم 26- 28 جمادى الآخرة 1416هـ (19-21 نوفيمبر 1995م), إصدار جامعة إفريقيا العالمية ومنظمة الإيسيسكو 1417هـ- 1996م.
220- شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: عرض ونقد, رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية أصول الدين بالرياض, إعداد عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل, إشراف الدكتور راشد بن حمد الطيار, 1424هـ- 2003م.
221- شذرات الذهب في أخبار من ذهب تأليف عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط, الطبعة الأولى 1406هـ, دار بن كثير- دمشق.
222- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم تأليف الإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي, تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي, الطبعة السادسة 1420هـ, دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض.
223- شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح

العثيمين, الطبعة الأولى 1424هـ- 2003م, دار الثريا للنشر والتوزيع- الرياض.
224- شرح السنة للحسن بن علي بن خلف البربهاري أبي محمد, تحقيق الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني, الطبعة الأولى 1408هـ, دار ابن القيم- الدمام.
225- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي, الطبعة الرابعة 1391هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.
226- شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير أو المختصر المبتكر في أصول الفقه تأليف العلامة محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار, تحقيق الدكتور محمد الزحيلي, والدكتور نزيه حماد, دار الفكر- دمشق 1400هـ- 1980م.
227- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف بن مري النووي, الطبعة الثانية 1392هـ, دار إحياء التراث العربي- بيروت.
228- شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين, إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان, إشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية, الطبعة الثانية 1426هـ- 2005م, دار الثريا للنشر والتوزيع- الرياض.
229- شرح صحيح البخاري لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك, ضبط نصه وعبق عليه أبو تميم ياسر بن إبراهيم, الطبعة الأولى 1420هـ- 2000م, مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض.
230- شرح معاني الآثار تأليف أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبي جعفر الطحاوي, تحقيق محمد زهري النجار, الطبعة الأولى 1399هـ, دار الكتب العلمية- بيروت.
231- شرح مقصورة ابن دريد في فنون الشعر والحكمة والوعظ والأدب والغزل تأليف أبي بكر بن الحسن بن دريد الأزدي, الطبعة الأولى 1358هـ-

1939م, شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني وأولاده- القاهرة.

232- شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى تأليف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي, الطبعة الثانية 1996م, دار عالم الكتب- بيروت.

233- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تأليف محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي, تحقيق شعيب الأرنؤوط, الطبعة الثانية 1414هـ, مؤسسة الرسالة- بيروت.

234- صحيح ابن خزيمة تأليف محمد بن إسحاق بن خزيمة أبي بكر السلمي النيسابوري, الأحاديث مذيلة بأحكام الأعظمي والألباني عليها, تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي, المكتب الإسلامي- بيروت 1390هـ- 1970م.

235- صحيح الترغيب والترهيب تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الخامسة, مكتبة المعارف- الرياض.

236- صحيح سنن ابن ماجه تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, مكتب التربية العربي لدول الخليج- بيروت, 1407هـ- 1986م.

237- صحيح سنن أبي داود باختصار محمد ناصر الدين الألباني, اختصر أسانيده وعلق عليه وفهرسه زهير الشاويش, مكتب التربية العربي لدول الخليج- بيروت, 1409هـ- 1989م.

238- صحيح سنن الترمذي تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير الشاويش, مكتب التربية العربي لدول الخليج- بيروت, 1408هـ- 1988م.

239- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, المكتب الإسلامي.

240- صفة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد, تحقيق محمود فاخوري- د. محمد رواس قلعه

جي, الطبعة الثانية 1399هـ- 1979م, دار المعرفة- بيروت.
241- ضعيف الترغيب والترهيب تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, مكتبة المعارف– الرياض.
242- ضعيف سنن أبي داود ضعف أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, المكتب الإسلامي- بيروت, 1412هـ- 1991م.
243- ضعيف سنن الترمذي ضعف أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, المكتب الإسلامي- بيروت, 1411هـ- 1991م.
244- طبقات الحفاظ تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أب الفضل، الطبعة الأولى 1403هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.
245- طبقات الحنابلة تأليف محمد بن أبي يعلى أبي الحسين، تحقيق محمد حامد الفقي, دار المعرفة- بيروت.
246- طبقات الشافعية تأليف أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان, الطبعة الأولى 1407هـ, عالم الكتب- بيروت.
247- طريق الهجرتين وباب السعادتين للعلامة محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله, تحقيق عمر بن محمود أبو عمر, الطبعة الثانية 1414هـ- 1994م, دار ابن القيم- الدمام.
248- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الثالثة 1413هـ- 1993م, المكتب الإسلامي- بيروت.
249- عالم السحر والشعوذة للدكتور عمر سليمان الأشقر, الطبعة الأولى 1410هـ- 1989م, مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع- الكويت ودار النفائس للنشر والتوزيع- الكويت.
250- عصا موسى بين حبال السحرة: كتاب يرد على مجسمة هذا العصر (المتمسلفة) تأليف عبد الجبار بن

محمد الناصر المختار كبر القادري.
251- عقيدة المؤمن تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري, الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م, مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة.
252- علم أصول البدع: دراسة تكميلية مهمة في علم أصول الفقه تأليف علي بن حسين ابن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري, الطبعة الثانية 1417هـ, دار الراية للنشر والتوزيع- الرياض.
253- علماء الدعوة تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ, مطبعة المدني 1386هـ- 1966م.
254- عمدة القاري شرح صحيح البخاري, تأليف بدر الدين محمود بن أحمد العيني, دار إحياء التراث العربي- بيروت.
255- عون العلماء الصالحين جمع وترتيب الحاج يعقوب بن عبد الله الألوري, دون بيانات أخرى.
256- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية, الطبعة الأولى 1419هـ, منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية- بيروت.
257- عيد اليوبيل بدعة في الإسلام (نشأته وحكمه) للعلامة بكر بن عبد الله أبي زيد, الطبعة الأولى 1422هـ- 2001م, دار الحرمين للطباعة- القاهرة.
258- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الثالثة- 1405هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.
259- غريب الحديث تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله ابن حمادي, تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي, الطبعة الأولى 1985م, دار الكتب العلمية- بيروت.
260- غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي أبي عبيد, تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان, الطبعة

الأولى 1396هـ, دار الكتاب العربي- بيروت.
261- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش, الطبعة الثالثة 1419هـ- 1999م, رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض.
262- فتاوى مهمة لعموم الأمة للشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن صالح العثيمين, تحقيق إبراهيم الفارس, الطبعة الأولى 1413هـ, دار العاصمة- الرياض.
263- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ, جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم, تصوير طبق الأصل على الطبعة الأولى, مطبعة الحكومة بمكة المكرمة 1399هـ.
264- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني وعليه تعليقات العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك, اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي, الطبعة الأولى 1426هـ- 2005م, دار طيبة- الرياض.
265- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني, دار المعرفة- بيروت 1379هـ.
266- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي, تحقيق مجموعة من العلماء, الطبعة الأولى 1417هـ- 1996م, مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية.
267- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني, تصحيح أحمد عبد السلام, دار الكتب العلمية- بيروت.
268- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب, تحقيق الدكتور الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان الطبعة الرابعة 1419هـ, توزيع وزارة الشؤون

الإسلامية- الرياض.
269- فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبيان معناها وكيفيتها وشيء مما ألف فيها تأليف عبد المحسن بن حمد العباد, الطبعة الثانية 1408هـ, مركز شؤون الدعوة, الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
270- فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبد الرؤوف المناوي, الطبعة الأولى 1356هـ, المكتبة التجارية الكبرى- مصر.
271- قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم, مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة.
272- قصة سفر في نيجيريا للشيخ محمد بن ناصر العبودي, الطبعة الأولى 1415هـ, مطابع الفرزدق التجارية- الرياض.
273- قضايا السنة النبوية والاهتمام بها في لغة الهوسا, بحث قدمه محمد الثاني عمر في ندوة عقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
274- كتاب التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني, دار الكتب العلمية- بيروت 1416هـ.
275- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب), الطبعة الثانية 1423هـ- 2003م (دون بيانات أخرى).
276- كتاب الحوادث والبدع للإمام أبي بكر محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي المعروف بابن زندقة, تحقيق بشير محمد عيون, الطبعة الثانية 1412هـ- 1991م, مكتبة المؤيد- الطائف.
277- كتاب العين تأليف أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي, تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال.
278- كتاب نيل الأماني في شرح التهاني تأليف أبي

علي الحسن بن مسعود اليوسي, وهو شرح لقصيدته الدالية في مدح شيخه أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي, دون بيانات أخرى.
279- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدري تأليف علاء الدين عبد العزيز ابن أحمد البخاري, تحقيق عبد الله محمود محمد عمر, دار الكتب العلمية- بيروت, 1418هـ- 1997م.
280- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون تأليف مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية- بيروت, 1413هـ- 1992م.
281- كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني تأليف أبي الحسن المالكي، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي, دار الفكر- بيروت 1412هـ.
282- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال تأليف علي بن حسام الدين المتقي الهندي, مؤسسة الرسالة- بيروت 1989م.
283- كيف نتأدب مع المصحف كتابة قراءة تعلما استماعا تأليف محمد رجب فرجاني, دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة.
284- لسان العرب تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري, الطبعة الأولى, دار صادر- بيروت.
285- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف تأليف الإمام الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي, الطبعة الثانية 1417هـ- 1996م, دار ابن حزم- بيروت, مؤسسة الريان- بيروت.
286- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي, دار الفكر- بيروت 1412هـ.
287- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي, مؤسسة الرسالة- بيروت, 1418هـ- 1997م.
288- مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان, دار

ابن الهيثم- القاهرة.
289- مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز إعداد وتقديم الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار والشيخ أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله لن باز, الطبعة الأولى 1416هـ, دار الوطن- الرياض.
290- مجموعة التوحيد المعروف بـ (مجموعة التوحيد النجدية), طبعة الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة, 1419هـ- 1999م.
291- محاضرات في العقيدة والدعوة بقلم الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان, تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض, الطبعة الأولى 1422هـ.
292- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع تأليف عبد الرؤوف محمد عثمان, طبع تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية, الرياض 1414هـ.
293- محمد بلو الشاعر (ضمن سلسلة بحوث الندوة).
294- مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي, تحقيق محمود خاطر, طبعة جديدة 1415هـ- 1995م, مكتبة لبنان ناشرون- بيروت.
295- مختصر شعب الإيمان للبيهقي تأليف عمر بن عبد الرحمن القزويني أبي المعالي, تحقيق عبد القادر الأرناؤوط, الطبعة الثانية 1405هـ, دار ابن كثير- دمشق.
296- مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي, خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط, الطبعة الثالثة 1403هـ- 1983م, مكتبة دار البيان- دمشق, مكتبة المؤيد- الطائف.
297- مخطوطات الفوديين: بيبليوجرافية وصفية مختارة للأستاذ عبد القيوم عبد الحليم الحسن, (ضمن بحوث الندوة العالمية).
298- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك

نستعين للإمام ابن قيم الجوزية, الطبعة الثانية 1393هـ- 1973م, دار الكتاب العربي- بيروت.
299- مذكرة بعنوان: انتشار الإسلام في إفريقيا إعداد الدكتور مصطفى محمد مسعد, مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, 1405/1406هـ.
300- مرآة الناظرين في تعريف الآصال من العلماء في بلد إبادن تأليف مرتضى أبي بكر المعروف بابن المعلم, الطبعة الأولى1414هـ-1993م, دار الطباعة المحمدية- الأزهر, القاهرة.
301- مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب, تحقيق محمود شكري الألوسي, مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية 1396هـ.
302- مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي التميمي, تحقيق حسين سليم أسد, الطبعة الأولى 1404هـ- 1984م, دار المأمون للتراث- دمشق.
303- مسند الإمام أحمد بن حنبل تأليف الإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني, الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها, مؤسسة قرطبة- القاهرة.
304- مسند الشافعي تأليف الإمام محمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله, دار الكتب العلمية– بيروت.
305- مسند الطيالسي تأليف سليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي, دار المعرفة- بيروت.
306- مشاهير علماء نجد وغيرهم تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ, الطبعة الأولى 1392هـ- 1972م, دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر- الرياض.
307- مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني تأليف الشيخ محمد الخضر الشنقيطي, جمعها وعلق عليها الشيخ إبراهيم القطان, الطبعة الأولى 1405هـ- 1985م, دار البشير- عمان.

308- مشكاة المصابيح تأليف محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي, تحقيق محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة الثالثة 1405هـ- 1985م, المكتب الإسلامي- بيروت.
309- مصنف عبد الرزاق تأليف أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني, تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي, الطبعة الثانية 1403هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.
310- مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني, تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي, الطبعة الثانية 1403هـ, المكتب الإسلامي- بيروت.
311- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي, تحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق, الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م, دار ابن الجوزي- الدمام.
312- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للعلامة حافظ بن أحمد حكمي, تحقيق عمر بن محمود أبو عمر, الطبعة الأولى 1410هـ, دار ابن القيم- الدمام.
313- معالم التنزيل في التفسير والتأويل تأليف الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي, دار الفكر- بيروت 1405هـ- 1985م.
314- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الطبعة الأولى 1411 هـ- 1991م، دار الكتب العلمية- بيروت.
315- معجم ألفاظ العقيدة تأليف عامر عبد الله فالح, الطبعة الأولى 1417هـ, مكتبة العبيكان- الرياض.
316- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية تأليف عمر رضا كحالة, مكتبة المثنى- بيروت, دار إحياء التراث العربي- بيروت.
317- معجم مقاييس اللغة تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء, اعتنى به الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان, الطبعة الأولى

1422هـ- 2001م, دار إحياء التراث العربي- بيروت.
318- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج تأليف محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر- بيروت.
319- مكانة الشيخ عثمان فودي بين رجال الفكر والدعوة والدولة في الإسلام للدكتور حسن مكي محمد أحمد (ضمن بحوث الندوة).
320- مكونات الفكر السياسي عند الشيخ عثمان بن فودي للدكتور بهيجة الشاذلي (ضمن بحوث الندوة ص 82).
321- مناهل العرفان في علوم القرآن تأليف محمد عبد العظيم الزرقاني, تحقيق مكتب البحوث والدراسات, الطبعة الأولى 1996, دار الفكر- بيروت.
322- منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل لمحمد عليش, دار الفكر- بيروت 1409هـ- 1989م.
323- منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس تأليف العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ, الطبعة الثانية 1407هـ- 1987م, دار الهداية للطبع والنشر والترجمة- الرياض.
324- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس, تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم, الطبعة الأولى 1406هـ, مؤسسة قرطبة.
325- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى تأليف الدكتور عبد الله بن رشيد بن محمد الحوشاني, الطبعة الأولى 1417هـ- 1996م, مركز الدراسات والإعلام- دار إشبيليا.
326- موجز تاريخ نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الألوري, الطبعة الأولى 1965م, دار مكتبة الحياة- بيروت.
327- موطأ الإمام مالك- رواية يحيى الليثي للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي- مصر.
328- نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا

تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري, الطبعة الثالثة 1411هـ- 1990م, مكتبة وهبة- القاهرة.
329- نصب الراية لأحاديث الهداية تأليف عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي, تحقيق محمد يوسف البنوري, دار الحديث - مصر 1357هـ, ومع الكتاب حاشية بغية الألمعي في تخريج الزيلعي.
330- نور الألباب تأليف الشيخ عثمان بن فودي الفلاني, مطابع أحباب- كادونا نيجيريا, دون بيانات أخرى.
331- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني, ضبطه وصححه محمد سالم هاشم, الطبعة الأولى 1415هـ- 1995م, دار الكتب العلمية بيروت.
332- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس, دار الثقافة- لبنان.

ثانيا : الدوريات:
1- جريدة عكاظ, جريدة يومية تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بالرياض.
2- قراءات إفريقية مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الإفريقية تصدر عن المنتدى الإسلامي.
3- مجلة الأزهر, مجلة شهرية جامعة تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي.
4- مجلة البحوث الإسلامية, مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.
5- مجلة الكوثر, مجلة ثقافية تربوية متنوعة تصدر عن جمعية العون المباشر بالكويت.
6- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, مجلة علمية محمكمة, تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة.

ثالثا : مصادر أجنبية:

1- Tarihin Shehu Dan Fodio by Mustapha Dandume
2- Ise Iyanu Sheikh Ibrohim Nias (rta) lati owo Mudathir A. Rouf (Ikire).
3- Top Secret About Christanity, Ogbonism and other Fetish Religions And Superlative of Islam by Sheikh Dr. Booniyameen Alalaye Banire, Al- bayan Islamic Press Ent. Agege Lagos, Nigeria.
4- Encarta Encyclopedia Deluxe 2004 (CD).
5- Where I Stand: Sheikh Abubakar Gumi with Ismail Abubakar Tsiga, Spectrum Books Limited, Ibadan. Oweri. Kaduna. Lagos, Nigeria.
6- Polamical Literature For And Against Sufism.
7- Akomolede Ijinle Yoruba (3) Adebisi Aromolaran Ati Oyebamiji Mustapha, Macmillan Nigeria Publishers Limited, Lagos, Ibadan.
8- Igbo Traditional Life, Culture and Literature. Edited with an Introduction by M.J.C.Echeruo & E.N.Obiechina. Preface by S.O.Anozie.
9- Religion In An African City by Geoffrey Parrinder, D.D. Negro University Press.

فهرس الموضوعات

الموضوع
الصفحة

الموضوع
الصفحة

الباب الأول
جهود العلماء النيجيريين في تقرير توحيد الألوهية

الموضوع
الصفحة

الموضوع
الصفحة

الموضوع
الصفحة

الباب الثاني
العبادات القولية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

الموضوع
الصفحة

الموضوع
الصفحة

الباب الثالث

العبادات العملية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

الموضوع
الصفحة

الموضوع
الصفحة

الموضوع
الصفحة

<u>الموضوع</u> **<u>الصفحة</u>**

الموضوع
الصفحة